

تصوير ابو عبدالرحمن الكردي



دكتور محمد مؤنس عوض

# الإمبراطورية البيزنطية

دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة



منتدى اقرأ الثقافي

[www.iqra.ahlamontada.com](http://www.iqra.ahlamontada.com)

# الإمبراطورية البيزنطية

دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة

( ٢٣٠ - ١٤٥٣م )

إعداد

أ.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب- جامعة عين شمس

وكلية الآداب والعلوم- جامعة الشارقة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م



عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

حقوق النشر محفوظة ©

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

ه شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٢٨٧١٦٩٢

Publisher: EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St., Elharani - A.R.E. Tel : 3871693

E-mail : dar\_Ein@hotmail.com

book\_ein@yahoo.com

web site: WWW.Dar-Ein.com

المرجع الالكتروني

## المستشارون

د. أحمد إبراهيم الهولرى

د. شوقى عبد القوى حبيب

د. قاسم عبده قاسم

المدير التنفيذي :

شريف قاسم

مدير الانتاج :

جمال عابد

تصميم الغلاف : محمد أبوطالب

على قدر أهل العزم تأتي العزائم  
وتأتي على قدر الكرام المكارم  
وتعظم في عين الصغير صغارها  
وتصغر في عين العظيم العظائم  
أتوك يجرون الحديد كأنهم  
سروا بجياد مالهن قوائم  
خميس بشرق الأرض والغرب  
زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمام

المتنبى في مدح سيف الدولة الحمداني

## الإهداء

إلى روح إيمان سالم ؛ التقيّة النقيّة .. التي  
اختطفها الموت فجأة (ت ٢٠٠٣م) ، وهي في  
ربيع العمر الأخضر الوثاب ... فبكت عليها كل  
عين رأتها ... !!! وعَصَفَ الحزن القتال بكل قلب  
عرفها ... !! ، ورثتها في عنان السماء طيور  
مدينة رشيد الجميلة ... وإنما لله وإنما إليه  
راجعون...!!



## المحتويات

الإهداء .....	٥
التقديم .....	٩
المقدمة .....	١١

## القسم الأول

مدخل ببيوغرافي للتاريخ البيزنطي- نماذج مختارة ومشكلات الدراسة .....	١٧
---	----

## القسم الثاني

تاريخ الأسرات البيزنطية الحاكمة (٣٣٠-١٤٥٣م) .....	١٢٣
أولاً : أسرتى قسطنطين (٣٢٤-٣٧٨م) وثيودوسيوس (٣٧٩-٥١٨م) .....	١٢٩
ثانياً : أسرة جستنيان (٥١٨-٦٢١م) .....	١٥٦
ثالثاً : الأسرة الهيرقلية (٦١٠-٧١٧م) .....	١٨٥
رابعاً : الأسرة الأيسورية (٧١٧-٨٢٠م) .....	٢١٠
خامساً : الأسرة العمورية (٨٢٠-٨٦٧م) .....	٢٣٧
سادساً : الأسرة المقدونية (٨٦٧-٩٥٩م) .....	٢٥١
سابعاً : أسرتى دوكاس وكومنين (١٠٥٧-١١٨٥م) .....	٣٠٢
ثامناً : أسرة المجيلوس والاحتلال اللاتينى (١١٨٥-١٢٦١م) .....	٣٤٦
تاسعاً : أسرة باليرلوج (١٢٦١-١٤٥٣م) .....	٣٧٨
الخاتمة .....	٤٢٧
الملاحق .....	٤٣٥
المخرائط .....	٤٥٧
قائمة المختصرات .....	٤٧١
قائمة المصادر والمراجع .....	٤٧٣





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### التقديم

يشرفني أن أقدم هذا العمل العلمي المتميز بقلم الأستاذ الدكتور محمد مؤنس عوض إلى القارئ العربي الخاص والعام جميعاً، ولعل أكثر ما يثير الإعجاب في هذا المؤلف الرائع ذلك المدخل الجيولوجي التاريخ البيزنطي بطريقة تحليلية نقدية التي هي ما سمات المؤرخ محمد مؤنس؛ فلقد عالج في هذا القسم المصادر اليونانية واللاتينية من خلال الباتولوجيا وأيضاً الجامع للمخطوطات البيزنطية ومجموعة مؤرخي الحروب الصليبية التي تضم المصادر الأرمينية والشرقية، والجامع للنقوش اليونانية وتلك الخاصة بأسيا الصغرى، ومجموعة مؤرخي ألمانيا، والجامع للكنائس البيزنطية في الأرض المقدسة، ومجموعة مؤرخي الغال وفرنسا وحوليات بريطانيا وأيرلندا، والباتولوجيا الشرقية، وأعمال الكتابات الإيطالية ومجموعة نصوص حجاج فلسطين إلى جانب عمد المؤرخين البيزنطيين من أمثال يوساب القيساري وميناندر ويوحنا الأفسوسى، وثيوفيلكت، وأميانوس ماركليتيوس، وحنا مالالاس، وسقراط، وسوزين وميخائيل بسلوس، ويوحنا الليدى، وجورج الراهب، وماتويل فيليس وجورج كدريوس والامبراطور الأديب قسطنطين بورفيرو جنيثس، وليو الشماس، وليو الحكيم، وجورج البسدى، ويولس الصامت، وثيوفانس، والقائد كيكومينوس، ويطرس الصقلى، وزوسيموس، وبروكيوس القيساري، وإيفاجريوس اسكولاستيكوس، وجورج باخيميرس وثيودوس الراهب وصولاً إلى الأميرة المؤرخة أنا كومينا والعلماء كيناموس ونيكتاس خونياتس.

أما المصادر اللاتينية فتشمل إكهارد رادولف ديكاين وجيبرت التوجنتي وأودو الدولى وفوشيه دى شارتر، وريوند داجيل، وروبرت كلارى، وأوتو الفريزي، ووليم الصورى ونيامين التظلى، ومارينو سانودو وغيرهم.

أما المصادر الأرمينية فنشتمل على: متى الراهب، وسيبوس، وجيغوند وصمويل من أنى، وموسى خونيه إلى جانب المصادر السريانية وتتضمن ميخائيل السريانى وابن العبرى وغيرهم كذلك يعرج المؤلف على المصادر الروسية من قبيل حولية نسطور وحولية نوفجورد.

ومن المصادر العربية المسعودى، وياقوت الحموى، وأبا الفداء، والقزوينى، والطبرى، وابن الأثير، وغيرهم كثير.

ويتجرد خالص أود أن أقرر في هذا التقديم أن هذه أول دراسة نقدية نزيهة لمصادر التاريخ البيزنطي شرقا وغربا

ويعالج المؤلف في القسم الثاني تواريخ الأسر البيزنطية ما بين سنة ٣٣٠م - وهي سنة تأسيس مدينة القسطنطينية على يد القسطنطين الكبير - مروراً بأسر قسطنطين وثيودوسيوس وجوستينيان وهرقل وليو الأيسوري والعموريين والمقدونيين وآل دوكاس وكومنين وصولاً إلى الغزو الصليبي للقسطنطينية سنة ١٢٠٤م ، ثم تحريرها على يد أسرة باليولوغوس سنة ١٢٦١م ، وأخيراً الفتح العثماني لمدينة القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني الفاتح سنة ١٤٥٣م

وبهذا يغطي المؤلف تاريخ الدولة البيزنطية من الألف إلى الباء والجميل أنه يزود عمله الرائع بخاتمة وملاحق تخدم المتخصصين من طلاب الدراسات العليا في التاريخ البيزنطي ومن أمثلتها تواريخ الأسرات البيزنطية الحاكمة من ٣٣٠م إلى ١٤٥٣م والخلفاء ، الفاطميين في مصر من ٩٧٢م إلى ١١٧١م ، السلاطين العثمانيين من ١٢٩٩م إلى ١٥٢٥م ، والترتيب الزمني لأهم أحداث التاريخ البيزنطي وأبيات من القصيدة الأرمينية التي أرسلها تقفور فوكاس إلى الخليفة العباسي المطيع لله متهدداً ومتوعداً ، إلى جانب المستعمرات البيزنطية التي خضعت للبنديقية بعد عام ١٢٠٤م

ويؤكد المؤلف في خاتمته لهذا المؤلف الضخم على فاعلية العوامل الداخلية ودورها البارز في سقوط بيزنطة مرتين الأولى ١٢٠٤م في أيدي الصليبيين ، والثانية في ١٤٥٣م على يد السلطان الفاتح متبعاً رؤية المؤرخ البريطاني المرموق أرنولد توينبي وأستاذه عبد الرحمن ابن خلدون مؤكداً على أن السقوط في التاريخ دائماً من الداخل وليس من الخارج

كما يتوقف الأستاذ الدكتور المؤلف عند النموذج الأخلاقي البيزنطي والذي ورثه عنهم العثمانيون من دساتير وممارسات البيت الحاكم ، كذلك يوضح المؤلف للقارئ أن التعامل مع المصادر التاريخية وقراءتها بالنسبة لبيزنطة يختلف من مدرسة إلى أخرى وذلك بحكم الأيدولوجية التي تحكم هذا الكاتب أو ذاك

أخيراً يسعدني أن أقرر في موضوعية ونزاهة كاملة ؛ أن هذا العمل يعد إضافة علمية موقرة للمكتبة العربية

**أ.د. اسحق عبيد**

أستاذ العمور الوسطى كلية الآداب جامعة عين شمس

## المقدمة

يتناول هذا الكتاب بالدراسة : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الممتدة من القرن الرابع الميلادي إلى ما زاد على منتصف القرن الخامس عشر الميلادي . وبالتحديد من عام ٣٣٠ إلى ١٤٥٣م. أى على مدى ما فاق أحد عشر قرناً من عمر الزمان من خلال الأسرات الحاكمة .

والواقع أن ذلك التاريخ يحتل أهميته الخاصة ؛ إذ أخضعت تلك الإمبراطورية بلاد الشام، ومصر وبقية الشمال الأفريقي لسيطرتها 'سياسية إلى أن ظهر الإسلام وأخضع الفاتحون العرب تلك المناطق لسيادتهم وانتزعوا من السيادة البيزنطية، وهكذا ؛ فإن المرحلة البيزنطية ليس فى الإمكان إسقاطها من تاريخ منطقتنا ، كما أن تلك الإمبراطورية دخلت فى علاقات سياسية وحرية، وحضارية مع الأمويين والعباسيين والأتراك السلاجقة والعثمانيين، وبالتالي؛ فإن فهم تاريخها يعد أمراً ضرورياً من أجل دراسة تاريخ العلاقات بين عالم 'الإسلام وعالم المسيحية فى المرحلة القروسطية .

جدير بالذكر ؛ يرجع إهتمامى بالتاريخ البيزنطى إلى نحو ثلاثة عقود، فاللاحظ أن المتخصص فى تاريخ الحروب الصليبية خلال القرنين الثانى عشر ، والثالث عشر الميلاديين؛ يدرك حجم الاتصال الوثيق بين التاريخ البيزنطى، وتاريخ الصليبيين فى الشرق، كما أنه فى أطروحتى للدكتوراه- عن السياسة الخارجية للدولة النورية (١١٤٦-١١٧٤م) خصصت فصلاً عن العلاقات النورية - البيزنطية ، ولا أغفل كذلك جانب الخبرة التدريسية وتأثيرها الواضح؛ فقد قمت بتدريس التاريخ البيزنطى فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها بالملكة العربية السعودية طوال ست سنوات كاملة، ولانزع فى أن تدريس التاريخ البيزنطى يعطى للباحث فى رحابه أبعاداً فكرية جديدة لاتتنافر إلا لمن خاض غمار التجربة تأليفاً وشرحاً ومعايشة العصر التاريخى ذاته، ومن خلال دراسة العلاقات الدولية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى.

مهما يكن من أمر ؛ فتأليف كتاب عن تلك المرحلة الزمنية يحتاج إلى مجهود كبير، خاصة أن هناك العدد الوافر من الدراسات فى الغرب الأوروبى والولايات المتحدة الأمريكية عن كافة جزئياته. كذلك توجه أطروحات علمية للماجستير والدكتوراه من جانب عدد من الباحثين العرب، ناهيك عن إصدارات متعددة لمؤرخين مصريين. وعرب ساهموا فى تطوير الدراسات

البيزنطية في العالم العربي وذلك على مدى نحو سبعين عاماً ، ولاشك في أن ذلك يضع عبئاً ثقيلاً على من يسعى إلى عرض التاريخ البيزنطي في دراسة واحدة مستقلة .

من ناحية أخرى ؛ سيلاحظ القارئ أن الكتاب بهتم - قدر الإمكان- بالجانب النقدي، فليس هدف كاتب هذه السطور اللهث وراء الأحداث وتوهم اقتناصها بل البحث فيها ، وتأملها قدر الجهد الممكن.

وقد انقسم الكتاب إلى قسمين ، اهتم الأول منهما بتقديم عرض جغرافي أولى لمصادر ومراجع التاريخ البيزنطي، وذلك من خلال أسلوب النماذج المختارة ويهدف إلى تقديم لمحة بانورامية عامة عن مصادر ذلك التاريخ وحيث أن إيجاد دراسة جغرافية شاملة أمر خارج القدرات الفردية نظراً لوفرتها وتعددتها ؛ لذا فإن جهدي يظل في هذا المجال جهداً فردياً ومن المفترض في المستقبل - بإذن الله تعالى- سيتم تخصيص دراسة أكثر شمولية عن ذلك الجانب الجغرافي البالغ الأهمية بالنسبة للباحثين كما اهتم بدراسة المشكلات المنهجية الخاصة بتاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، والأمر المؤكد؛ أن تلك المشكلات لها أهميتها الواضحة عند التعامل مع مصادر ذلك التاريخ التي تمتاز بالتنوع الكمي، والكيفي في آن واحد.

وفيما يتصل بالقسم الثاني ؛ نجدتنا عرضاً للتاريخ البيزنطي في صورة ملامح بانورامية عامة ، وذلك من خلال دور الأسر البيزنطية الحاكمة ، والعمل - قدر الإمكان- على المقارنة بين كل أسرة وأخرى وعوامل النجاح والإخفاق . وذلك من خلال الظروف الدولية المختلفة التي صاحبت تاريخ كل أسرة حاكمة، وشكلت أدوارها في السياستين الداخلية ، والخارجية . وأود لفت انتباه القارئ إلى أن بيزنطة لا يزال هناك إمكانية تقديم تصورات تاريخية مغايرة بشأنها ؛ فالتاريخ - عموماً- لم يقل كلمته الأخيرة بعد !

كذلك تم تزويد الدراسة بخاتمة احتوت على أهم ما أمكن التوصل إليه من نتائج، وكذلك تم إبراد عدد من الملاحق والخرواط . ثم أخيراً قائمة بالمصادر والمراجع بلغات متعددة كالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والعربية

وقد يتصور البعض؛ أن تناول التاريخ البيزنطي من خلال الأسرات الحاكمة يعد أمراً تقليدياً غمطياً لا جديد فيه، وللرد على ذلك ؛ نقول ؛ أن طبيعة المعالجة هي التي تحسم الأمور؛ إذ أن عهد إمبراطور بيزنطي ما؛ لا يمكن فهمه دون فهم طبيعة التطور التاريخي للأسرة الحاكمة التي وجد فيها من خلال إيجابيات ، وسلبيات سياستها.

من زاوية أخرى ؛ من المهم التنويه إلى أن المقارنة بين الأباطرة فى الأسرة الحاكمة الواحدة، وكذلك بين أسرة وأخرى؛ يعتمد على الاقتراب أكثر من طبيعة التاريخ البيزنطى التى لم تتخذ أشكالاً ثابتة أو غطية خاصة فى الصراع، من أجل البقاء مع القوى الخارجية . وما أكثرها والتى عرفت بمعاداتها للإمبراطورية المترامية الأطراف جغرافياً ، المترامية تاريخياً على نفس المقدار !

وهكذا ؛ فى تصورى أن التعامل مع الأسرات البيزنطية الحاكمة، يمكن الدارس من تسليط الأضواء على جوانب محددة لا تتوافر له وفى حالة دراسته لتاريخ بيزنطة وفق تصور مغاير .

والآن ؛ أتى موعد قطف زهور الشناء ، وورود الشكر والتقدير، وأقدمها إلى عدد من المؤرخين المصريين فى صورة المؤرخ والمترجم والمحقق الراحل أ.د. حسن حبشى ؛ أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية التربية جامعة عين شمس الذى رحل عن عالمنا عام ٢٠٠٥م<sup>(١)</sup>، تاركاً فى القلب غصة لا تنتهى !، وقد عكف ابن مصر البار على ترجمة عدد من مصادر التاريخ البيزنطى والتعليق عليها على نحو يعجز عن القيام به فريق عمل من الباحثين حالياً ؛ وكل ذلك باقتدار ، وأستاذية العالم الراهب الذى توحد مع المداد والأوراق، ولا يفوتنى هنا ؛ الإشادة بترجماته الشريفة بالتعليقات لكتابات كيناموس Kinnamos ، وأنا كومنينا Anna Comnena ، ونيكتاس خونياتس Nicetas Choniates وقد طالعتهما وهى مخطوطة ومنها ما لم يطبع بعد، بالإضافة إلى معجم التراجم البيزنطية الذى أعده دونالد نيكول Donald Nicol عالم البيزنطيات الشهير

أما المؤرخ الثانى ؛ فهو أ.د. اسحق عبيد أستاذ العصور الوسطى بكلية الآداب- جامعة عين شمس الخبير بالتاريخ البيزنطى، والعلاقات البيزنطية - اللاتينية، وأغتنم الفرصة للإشادة بمؤرخ تدوين له الدراسات البيزنطية فى جامعات نوتنجهام Nottingham بالإنجلترا، ومصر وبنى غازى بليبيا ، والكويت، والبمن بالكثير . وقد أفدت من خبرته العلمية الواسعة منذ أن تملذت على يدى ابن أسيرط عام ١٩٧٧م. وما زالت ذكرى محاضراته متعشة فى الأذن، والقلب والعين ، والروح وكأنه ألقاها على التسر منذ لحظات على الرغم من توالى الأعوام مهرولة ولا أستطيع لها دفعا !!!

عن سيرته أنظر: محمد مؤنس غرض، عصر الحروب الصليبية ٦ - ٠٢، ص ٢٤٣- ص ٢٤٢

كذلك لا أغفل الإشادة بكتابات مؤرخين بارزين فى حقل الدراسات البيزنطية من أرض الكنانة وأذكر منهم أ.د. محمود سعيد عمران ، أ.د. وسام عبد العزيز فرج ، أ.د. محمد مرسى الشيخ أ.د. عليه الجنزورى ، أ.د. زبيدة عطا ، أ.د. عفاف صبره ، أ.د. ليلي عبد الجواد. وقد أفدت من مؤلفاتهم، ومن سوريا- الشقيقة الجغرافية والتاريخية لأرض الكنانة- أذكر أ.د. عادل زيتون ، أ.د. نعيم فرح ، د. عبد السلام زيدان ، الذى قدم لى كل عون فى الحصول على بعض المؤلفات الصادرة فى دمشق ، وللزميل الفاضل د. حاتم الطحاوى لمراجعته الدقيقة لقسم كبير من الكتاب وللأستاذ الدكتور حمام الدين السامرائى لافادتى من مكتبته العامرة فى كلية الآداب والعلوم بجامعة الشارقة، والدكتور سلامه البلوى بنفس الكلية للملاحظات القيمة التى قدمها لى بعد مطالعة مخطوط الكتاب ، كذلك أشكر عدداً من تلاميذى خاصة محمد فوزى، وأحمد عبدالله، وهنادى السيد خاصة الأخيرة التى صورت لى عدداً من المقالات والمراجع المهمة - كذلك لا أغفل تقديم شكر خاص للزميلة د. زينب توفيق خبيرة اللغة اليونانية.

بصفة عامة ؛ أفدت من مكتبات اليونان ، وتركيا ، والسعودية، والإمارات العربية، ومصر. وذلك على مدى زمنى طويل، وفى الأخيرة أذكر مركز البحوث الأمريكى ، والجامعة الأمريكية والكلية القبطية والمعهد الفرنسى والمعهد الألمانى للأثار ، ومكتبات جامعات القاهرة وعين شمس والاسكندرية وأسيوط، بالإضافة إلى المكتبات الخاصة لعدد من الأساتذة الأفاضل فى حقل الدراسات البيزنطية.

لقد كان إعداد هذا الكتاب فرصة سانحة لاقتناء منات الكتب والمقالات عن التاريخ البيزنطى ، وقد استغرق العمل فيه ثلاث سنوات من الجهد المتواصل وقد نتج عن ذلك قائمة المصادر، والمراجع فى نهاية الدراسة، وأتصور أن القارئ الموضوعى سيقدر ما بذل فيه من جهد على.

على أية حال ؛ أدعو القارئ إلى تصفح صفحاته. ودائماً وأهدأ أردت قول الحق تبارك وتعالى «وفوق كل ذى علم عليم». صدق الله العظيم

أ.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ مصر الوسطى

القاهرة- مصر الجديدة - مساكن الشيراتون

القسم الأول

مدخل ببليوغرافى للتاريخ البيزنطى

ومشكلات دراسته





## مدخل ببيوغرافى للتاريخ البيزنطى ومشكلات الدراسة

يتناول هذا القسم من الكتاب ؛ لمحة عن نماذج لأهم المصادر والمراجع التاريخية التى من خلالها يمكن للباحث الإطلاع على وقائع التاريخ البيزنطى ، وبداية أود الإشارة إلى أن ذلك المدخل ليس من مهمته إبراد حصر شامل للمصادر والمراجع المذكورة ؛ إذ أن ذلك خارج عن حدود النطاق الفردى ويتطلب فريق عمل من الباحثين خاصة أنها مصادر تاريخ أحد عشر قرناً من عمر الزمان .

واقع الأمر ؛ من المهم التعرض لمجموعات مصادر التاريخ البيزنطى ، ثم الكتابات العلمية ، والأثار ، والنقوش ، والنقود ، وتقديم نماذج مختارة من كل نوع من تلك المصادر حتى يمكن للباحث الذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك من خلال مطالعة المزيد منها من خلال قدراته الشخصية البحثية .

وفيما يتصل بمجموعات المصادر ، من الممكن إيرادها على النحو التالى

- الباترولوجيا اليونانية ، إصدار ج. ب ، ميني ، باريس ١٨٥٧-١٨٦٦م ،  
١٨٨٠-٣-١٩٠٣م وتقع فى (١٦١) جزءاً ؛

Patrologiae Cursus Completus , Series Graeco - Latine, ed J.P. Migne , Paris  
1857 - 1866 , 1880-1903 , 161 vols .

- الباترولوجيا اللاتينية ، إصدار ج. ب ميني ، باريس ١٨٤٤-١٨٥٥م ،  
١٨٦٢-١٨٦٤م وتقع فى (٢٢١) جزءاً

Patrologiae Curus Completus Series Latina , ed . J.P. Migne , Paris 1844-  
1855, 1862-1864 , 221 vols ,

- الجامع للمخطوطات البيزنطية .

Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae , Bonn, 1828-1897 , 50 vols.

- مجموعة مزرخى الحروب الصليبية

Recueil des Historiens des Croisades, Paris .

وتنقسم إلى :

- الوثائق الأرمنية، مجلدان ، باريس ١٨٦٩-١٩٠٦م .  
Documents armeniens, 2 vols ., Paris 1869 - 1906 .

- المؤرخون الاغريق ، مجلدان ، ط. باريس ١٨٧٥-١٨٨١م .  
Historiens grecs , 2 vols ., Paris 1875-1881  
Lois, 2 vols , Paris , 1841-1843 .

- المؤرخون الغربيون . ٥ مجلدات في ٨ أجزاء باريس ١٨٤٤-١٨٩٥م .  
Historiens Occidentaux , 5 vols ., in 8 pts, Paris 1844-1895 .

- المؤرخون الشرقيون . ٥ مجلدات في ٦ أجزاء . باريس ١٨٧٢-١٩٠٦م .  
Historiens Orientaux, 5 vols . in 6 pts , Paris 1872 - 1906 .

ومن مجموعات المصادر نذكر أيضاً

- الجامع للنقوش اليونانية ، ٤ أجزاء، ط. برلين ١٨٢٨-١٨٧٧م .  
Corpus Inscriptionum Graecarum , 4 vols , Berlin 1828- 1877

- مجموعة النقوش اليونانية المسيحية لآسيا الصغرى، ط. باريس ١٩٢٢م .  
Recueil des Inscriptions Grecques Chretiennes d'Asie Mineure, Paris 1922 .

- مجموعة مؤرخي ألمانيا<sup>(١)</sup>

Monumenta Germaniae historica.

١- من المهم الإقرار بأن مجموعة تاريخ ألمانيا التذكارية قام بنشرها ج.ه. برتز G.H. Periz. وتتناول تاريخها فيما بين عامي ٥٠٠ - ١٥٠٠م. ووقعت في ١٢٠ مجلداً وقد صدرت في برلين وهانوفر فيما بين عامي ١٨٢٦-١٩٢٥م. ويلاحظ أنها تعد من أكبر مجموعات التاريخ القومي في كل أوروبا . ولا ريب في أنها صدرت على مدى قرن كامل . وعكست حرص الألمان على تجميع ونشر مصادر تاريخهم القومي.

عن هذه المجموعة أنظر:

على الفصراوي : « المؤلفات الدينية في أدب الفقهاء اللاتين من القرن السادس حتى القرن الثامن » ، مجلة كلية الآداب والدراسات - جامعة الكويت، ديسمبر كانون الأول ١٩٧٤م. ص١٢٧ ، « معالم ألمانيا التاريخية Monumenta Germaniae Historica مجموعة مصادر التاريخ والتراث الألماني في العصور الوسطى. » مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٩٨٦م.

محمد مؤنس عوض، فصول بليوغرافية في تاريخ الحروب النسطية . ط. القاهرة ١٩٩٦م. ص٥٢

وتنقسم إلى :

- Monumenta Germaniae historica: Aucta - rerum antiquissimorum, 15 vols. , Berlin 1877-1919 .
- Monumenta Germaniae historica: Epistolarum, 8 vols , Berlin 1887-1939 .
- Monumenta Germaniae historica: Legum, 5 vols, Hannover 1835-89 .
- Monumenta Germaniae historica Poetarum latiuorum medi aeui, 6 vols , Berlin - Leipzig - Weimar 1880-1951 .
- Monumenta Germaniae historica: Scriptorum , 32 vols : Hannover 1826-1934 .
- Monumenta Germaniae historica, Scriptores rerum langobardicarum et italicarum Saec., Hannover 1878
- Monumenta Germaniae historica Scriptores rerum merovingicarum 7 vols , Hannover 1885-1920 .

- الجامع للكنائس البيزنطية في الأرض المقدسة ، نشر أوفاديا ، ط. بون ١٩٧٠م.  
Corpus of the Byzantine Churches in the Holy land , ed. by Ovadiah , Bonn 1970 .

Nicene and post Nicene Fathers of the Church of the Christian Church , ed. by Philip Schaff and Henry Wace , Michigan 1891

- مجموعة مؤرخي الغال وفرنسا ، ٢٧ جزءاً باريس ١٧٣٨-١٨١٨م.  
Recueil des Historiens des Gaules et de la France , Par des religieux Bendictins , 27 vols ., Paris 1738-1818 .<sup>(١)</sup>

---

١- تجدر الإشارة إلى أن المجموعة المذكورة ؛ تعد بمثابة أول مجموعة ضخمة شملت مصادر التاريخ القروس في أوروبا . وقد بدأ بوكيه Bouquet في نشرها في باريس . وذلك عام ١٧٣٨م. وصدر منها في عام ١٧٨٦م ثلاثة عشر مجلداً . وتوقف إصدارها خلال أحداث الثورة الفرنسية وعادت بعدها للصدور . وللجموعة المذكورة طبعة أخرى نشرها ل. دلسيل L. Delisle . في باريس من عام ١٨٦٨ إلى عام ١٨٨٠ مع ملاحظة أنه اقتصر على المجلدات التسعة عشر الأولى. عن ذلك أنظر : على الغمراوي: تقرير بليوغرافى عن بحوث فرنسا ونشراتها في القرن الثامن =

- حوليات بريطانيا وأيرلندا خلال العصور الوسطى. ٩٩ جزءاً ، لندن ١٨٥٨-١٨٩٦م<sup>(١١)</sup>.

Rerum Britannicarum medii devi Scriptores , or Chronicles and memorials of Great Britain and Ireland during The Middle Ages, published by the authority of her Matesty's Treusury under the direction of the Master of the Rolls, 99 vols ., London 1858-1896 .

- الباتولوجيا الشرقية ، نشر ل. جرافين، ف. ناو ، ط. باريس ١٩٠٤  
Patrologia Orientalis , ed. R. Graffin et F. Nau , Paris 1904 FF.  
Corpus Fontium Historiae Byzantinae.

وهي مجموعة مصدرة بيزنطية مهمة صادرة عن مركز دامبرتون أوكس  
Oaks<sup>(١٢)</sup> في واشنطن وقد صدر منها حتى عام ١٩٩٢م (١٠) أجزاء ، وتحتوى على  
النصوص اليونانية ، وترجماتها الإنجليزية . ومن أمثلة إصداراتها الآتى

عشر ، مجلد كلية العلوم الاجتماعية . جامعة الإمام محمد بن سعود العدد (٧) عام ١٤٠٣هـ  
١٩٨٣م ، ص ١١١ . محمد مؤنس عوض ، فصول بليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية . ص ٤٨

١- عن بعض محتويات تلك المجموعة المصدرة انظر زينب عبد القوي . الإنجليز والحروب الصليبية . ط.  
القاهرة ١٩٩٦م . ص ١١ وتذكر الباحثة أن عددها يقترب من المائة مجلد والواقع أن العدد الحقيقي هو  
(٩٩) مجلدًا أنظر رأيها في الصفحة المذكورة

٢- أقيم مركز دامبردون أوكس Dumbaron Ouks Center في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية  
عام ١٩٤٠م . وقد توالى على المركز المذكور عدد من العلماء الذين عملوا على دراسة التاريخ البيزنطى من  
كافة جوانبه السياسية والحضارية ونشر المصادر وترجمتها وكذلك الأبحاث التاريخية ، نذكر منهم جون س .  
ناكر John S. Tracher (١٩٤٠-١٩٦٩م) وكان مسئولاً عن إدارة التنظيم الداخلى ، ثم هناك ألبرت م . فرند  
Albert M. Friend (١٩٤٣-١٩٥٦م) . ومن بعده ، نذكر إرنست كسترنجيبو Ernest Kitzingeo  
(١٩٠٠-١٩٦٦م) وكذلك روميلى ج . هـ . جنكر Romilly J. H. Jenkins (١٩٦٧-١٩٦٩م) ووليسبر .  
تيلور William R. Tyler (١٩٦٩-١٩٧٧م) . ثم جيلز كونستابل Giles Constable (١٩٧٧-١٩٨٤م)  
وروبرت و . تومسون Robert W. Thompson (١٩٨٤-١٩٨٩م) . عن ذلك المركز البحثى الذى يعد من  
أعظم المراكز المتخصصة على مستوى العالم إن لم يكن أهمها مع عدم إغفال دور مركز جامعة برمنجهام  
ومركز الدراسات البيزنطية في سالونيك ومركز جامعة السربون في باريس . أنظر

- Constantine Porphyrogenitus, *De Administrando Imperio*, ed. by Gy. Moravcsik, Trans. by R. J. H. Jenkins, 1967
- Nicholas I, Patriarch of Constantinople Letters, ed. and Trans. by R.J.H. Jenkins and L.G. Westerink, 1973.
- *The Correspondence of Athanasius I Patriarch of Constantinople: Letters to the Emperor Andronicus II, Members of the imperial Family and officials*, ed. with Translation and commentary by Alice - Mary Maffry Talbot, 1975.
- *The Letters of Manuel II Palaeologue*, ed. and Trans. by George T. Dennis, 1977
- *The Synodicon Vetus*, ed. with Translation by John Duffy and John Parker, 1979.
- *Nicholas I, Patriarch of Constantinople : Miscellaneous Writings*, ed. and Trans. by L.G. Westerink
- *Letters of Gregory Akirdynos*, ed. and Trans. by Angela Constantinides Hero, 1983.
- *The Correspondence of Leo, Metropolitan of Synada and Syncellus*, ed. and Trans. by Martha Pollard Vinson, 1985.
- *Three Byzantine Military Treatises*, ed. and Trans. by George T. Dennis, 1985.
- *Nikephoros, Patriarch of Constantinople, Short History*, ed. and Trans. by Cyril Mango, 1990.<sup>(1)</sup>

---

= Anastos, "Dumbarton Oaks and Byzantine Studies, a Personal Account", in Laiou and Maguire (eds.) *Byzantium A World Civilization*, D.O., Washington 1992, pp. 5-18.

١- عن ذلك أنظر : Laiou and Maguire (eds.) *Byzantium A world Civilization*, D.O., Washington 1992, pp. 159-160.

- أعمال الكتابات الإيطالية ، نشر ل. ز. موراتوري (٢٥) مجلد في (٢٨) جزء ، ط. ميلانو ١٧٢٣-١٧٥١ م .

- *Rerum Italicarum Scriptores* ed. L.A. Muratori , 25 vols ., in 28 pts., Milan 1723-1751

### وأيضاً

*Rerum Italicarum Scriptores*, Citta di Castello- Bologna 1900 .

- *Historici Graeci Minores*, ed. L. Dindorf , 2 vols ., Leipzig 1870-1871

- *Fragmenta Historicorum Graecorum* , ed. Muller , 5 vols ., Paris 1874-1885 .

مجموعة نصوص حجاج فلسطين (١٣) جزءاً وتحتوى على عدد من الحجاج الأوروبيين الذين مروا بمناطق الدولة البيزنطية أو كانوا من مناطقها المختلفة وقدموا إلى فلسطين ودونوا رحلاتهم ومن أمثلتهم يوحنا فوكاس Joannes Phocas وغيره وهناك أيضاً مجموعة :

- *Palestine Pilgrims Text Society* , 13 vols ., 1880-1897

- *Byzantine Monastic Foundation Documents*, Acomplete Translation of the Surviving Founders Typika and A.C. Hero , 5 vols . Washington 2000 .

وتختص بوثائق المؤسسات الديرية البيزنطية وتقع في ٥ مجلدات ، وصدرت في واشنطن عام ٢٠٠٠م .

كذلك نجد مجموعات وثنائق في الكتاب التالية

- Gumel (V.), *Les Regesta des actes du patriarcat de Constantinople* , 1, Paris 1972 , II, Chaleedon 1936 , III, Chaleedon and Buchares 1947

- Tafel (G.) and Thomas (G.), *un kunden zur Alfaren Handels und Staats geschichte der Repablik Venedig Mit Besondr Beziehung Auf Byzanz und Dielevante (814-1205)*, Wien 1856 .

---

عن المجموعة المذكورة انظر: محمد مزّن عوض ، *فصول بليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية* ،

- Movozzo Della Roca and Lombardo, Documenti del Commercio Veneziano nei secoli XI- XII , Romg 1940 .
- Miklosich (F.) et Muller (J.) Acta et Diplomata Graeca Medii Aevi.
- Pothasti (A.), Regesta Pontificum Romanorum (1198-1304) , 2 vols., Berlin 1874 - 1878 .
- Jaffe (P.), Regesta Pontificum Romanorum .
- Dolger , Regesta Von Kaiserur kenden des Ostromischen Reiches von 565-1453 .

وبعد ؛ فتلك لمحة من مجموعات مصادر التاريخ البيزنطي ، ويضاف إلى ذلك الكتابات القلمية ونذكر منها

- المصادر البيزنطية .
- المصادر اللاتينية .
- المصادر السريانية .
- المصادر الروسية .
- المصادر العربية .

وفي العرض التالي ؛ نذكر أمثلة كتماذج مختارة من كل مجموعة من المصادر المذكورة

أولاً ؛ المصادر البيزنطية

يوساب القيساري Eusebius of Caesarea <sup>(١)</sup> مؤلف كتاب Vita Constantini :

---

١- يوساب القيساري ؛ رجل كنيسة ومؤرخ ولد عام ٢٦٠م. وقد تلقى العلم على يدي بامفيلوس؛ وهو راهب في قيسارية تأثر بأفكار كليمنت السكندري Clement of Alexandria الذي كان أحد آباء الكنيسة . ويلاحظ أنه عقب صدور مرسوم 'انسامح عام ٣١٣م . صار يوساب أسقفًا على قيسارية . وتعلم أن صلاته توطدت بالإمبراطور قسطنطين وبعد مؤرخ سيرته . وتعرف أن يوساب قام بدور بارز في المجمع المسكوني الأول الذي عقد في نيقية Nicaea عام ٣٢٥م . وقد توفي عام ٣٣٩م . عنه أنظر

Grant , Eusebius as Church Historian , Oxford 1980 .

Nicol, A Biographical dictionary of the Byzantine Empire , London 1991 , pp. 37-38 Cantor , Medieval History . the life and death of civilization , New york 1969 , pp. 37-38 , p. 42. p. 46 .



أى حياة قسطنطين وكذلك كتاب *Historia Ecclesiastica* <sup>(١)</sup>؛ أى التاريخ الكنسى وبعد الكتاب الأول تاريخاً للإمبراطور قسطنطين الأول، وهو عامر بالثناء عليه، وبالتالي؛ يقدم لنا رؤية متحازة له ولأعماله، ولا يتحدث، إلا عن إيجابياته، ويلاحظ أنه اعتبره الحوارى الثالث عشر للسيد المسيح، وقد ألقه بعد وفاة ذلك الإمبراطور عام ٣٣٧ م <sup>(٢)</sup>.

أما الكتاب الثانى؛ فتناول فيه الأحداث التاريخية التى مرت بالكنيسة منذ عهد السيد المسيح عليه السلام حتى معركة خريسوبروليس *Chrysopolis* عام ٣٢٢م التى انتصر فيها قسطنطين على منافسه ليكينيوس.

= على العمراوى، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط. ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ٦٨، زبدة عطا. الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى أناستاسيوس. ط. القاهرة ب-ت، ص ٩، جوز. مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ت. إحسان عباس، ط. عمان ١٩٨٦م، ص ٢٧، حاشية (٢)، جورج عطيه، «الأثر السريانى فى الحياة الفكرية والعلمية فى بلاد الشام»، ضمن كتاب بلاد الشام فى العهد البيزنطى، الدورة الأولى من أعمال المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام، محرير محمد عدنان البيخيت ومحمد عصفور، ط. عمان ١٩٨٦م، ص ١٥٧

ويلاحظ أن هناك مدينتين حملتا اسم قيسارية الأولى على الساحل الفلسطينى إلى الشمال من أرسوف *Arsuf* وبعدت عنها ١٨ ميلاً، والثانية فى إقليم كبادوكيا *Cappadocia* فى أسيا الصغرى ومن المقرر أن يوساب عمل أسقفاً لقيسارية فلسطين، عن ذلك أنظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، محقق رينو دى سلان، ط. باريس ١٩٨٠م، ص ٢٨، حسن عبد الوهاب، قيسارية الشام فى التاريخ الإسلامى، ط. الإسكندرية ١٩٩٠م. مرجعى الدومنيكى، بلدانية فلسطين العربية، منشورات أنجس الثقافي، ط. أبوظبى ١٩٩٣م، ص ٢٧٧، محمد مؤنس عوض، فى الصراع الإسلامى الخليلى معركة أرسوف - ١١٩١م / ٥٨٧هـ ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٢٨، أسامة زكى زيد، صيدا ودورها فى الصراع الصليبي - الإسلامى، ط. الإسكندرية ١٩٨١م، ص ١٠، حاشية (٥)

Eusebius, *Extraits from Eusebius life of Constantine*, Trans. by Gohn Bernard, P.P.T.S., vol. 1, London 1896.

وتوجد ترجمة عربية انظر يوساب القيسارى، حياة قسطنطين العظيم، ت. مرقص داود، ط. القاهرة ١٩٧٥م.

Eusebius, *The Ecclesiastical History*, Trans. by Kirsopp - Lake, L.C.L., London 1930-1940.

١- التاريخ الكنسى، ت. مرقص داود، ط. القاهرة ١٩٧٩ عرفان شهيد، روما والعرب مقدمة لدراسة بيزنطة والعرب، ت. محمد فهمى عبد الباقى محمود، ط. القاهرة ب-ت، ص ١٤٤، حاشية (٢).

Nicol, *A Biographical dictionary*, p. 37

مسيناندر<sup>(١١)</sup> Menander مؤلف Excepta ex historia<sup>(١٢)</sup> أى التاريخ المتوالى أو المتعاقب، ويتناول الأحداث التاريخية التى جرت فيما بين عامى ٥٥٨-٥٨٢ م. يلاحظ أنه ارتبط بخدمة الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م) الذى لقبه بلقب موظف البلاط الكبير.

ألف مسيناندر كتابه ليكون مكملاً لكتاب أجاثيوس Agathius - كما لاحظ دونالد تيكول- وقد فقد ذلك العمل ، ولم يبق منه إلا النذر اليسير، ولا تغفل أنه اعتمد على الوثائق الرسمية كذلك روايات شهود العيان ، ويقرر المؤرخ السالف الذكر: أن تاريخ مسيناندر يعد المصدر التاريخى الوحيد عن السنوات الأخيرة من حكم جستنيان الأول وكذلك الأعوام التى حكم خلالها خلفه جستين الثانى (٥٦٥-٥٧٨م) ، وهى من المراحل الشاققة التى ظهرت فيها بيزنطة ككائن مثقل بالأعباء والجراح

يوحنا الانفسوسى John of Ephsus<sup>(١٣)</sup> مؤلف Historia Ecclesiatica<sup>(١٤)</sup> أى التاريخ الكنسى .

١- ميناندر ١ معامى ومزخ ، ولد فى القسطنطينية ودرس بها القانون . وقد عمل فى بلاط الإمبراطور موريس الذى منحه لقب موظف البلاط الكبير، بصفة عامة وبعد ذلك الإمبراطور معاصراً للنصف الثانى من القرن السادس الميلادى عنه انظر:

Nicol, A Biographical dictionary , p. 83 .

Ure, Justinian and his age . London , 1951 . pp. 187-190 .

أرنولد توينسى ، الفكر التاريخى عند الاغريق، ت. لعي المطبعى . ط. القاهرة ١٩٩٠م، ص١٢٤-١٢٥

هاى ألز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية، ت . محمد عبد الرحمن برج . ط. القاهرة ١٩٨٤م، ج ١٣١

٢- نشره نيبور فى مجموعة الكورس وصدر عمله فى عام ١٨٢٩ انظر:

Menander, Excepta ex historia , ed. Nichuhr, C.S.H.B., Bonn 1829

وظهرت ترجمة إنجليزية له من جانب ر.سى. بلوكلى فى ليفربول عام ١٩٨٥م، أنظر:

- Menander , The History of Menander The Guardsman , ed. and Trans. by R.C. Blockley , Liverpool 1985 .

٣- يوحنا الانفسوس ١ مؤرخ عاصر القرن السادس الميلادى، عنه انظر: نعيم فرح، تاريخ أوروبا السياسى فى العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٩٥م، ص٢٤

John of Ephsus , Eccleristical History . Trans. by W.J. van Douwen and J.P.N. Land -٤ . Amersdam 1889

وقد احتوى على إشارات مهمة عن إغارات العناصر السلافية على أراضي الإمبراطورية البيزنطية خلال النصف الثاني من القرن السادس الميلادي

مجهول ، Miraciula Sancti Demetri ، أى معجزات القديس ديمتري<sup>(٤١)</sup> .

ويتناول أمر محاصرة العناصر السلافية لمدينة سالونيك خلال المرحلة الواقعة بين أخريات القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلاديين؛ كذلك يتعرض لدور القديس ديمتري من أجل إنقاذ المدينة المذكورة ، كما أنه قدم إشارات مهمة عن الغزو السلافي لمقدونيا وحوض البحر الايجي .

ثيوفيلكت سيموكاتس Theophylact Simocattes<sup>(٤٢)</sup> ، ألف كتاب Historiae<sup>(٤٣)</sup> .

ويعد المؤرخ المذكور من مؤرخي العصر البيزنطي المبكر . وقد ألف تاريخاً للإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢ م) ، ويعد مكملاً لتاريخ ميناندر<sup>(٤٤)</sup> ، ويقدم فيه معلومات لها

١- نعيم فرح، المرجع السابق، ص ٢٤

وعن ذلك المصدر انظر أيضاً :

وسام عبد العزيز فرح ، السلاف Slavs فى شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد وسادتها (٥٩١-١٠١٨ م) . ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ السياسى والإدارى . ط. القاهرة ١٩٠٤ - ٢٠٠٤ م . ص ١٥٧ . وأنظر الترجمة الفرنسية التى قام بها ليميرك Lemerle وظهرت فى باريس عامى ١٩٧٩ م . ١٩٨١ .

Les Plus anciens recueils des miracles de Saint Demetrius et la Penetration de Slaves dans les Balkans. trad . par lemerle . 2 vols, Paris 1979-1981

٢- ثيوفيلكت سيموكاتس : مؤرخ مصرى قدم من الاسكندرية . وعرف بتلك التسمية نظراً لأنه كان يشبه إلى حد كبير نطق الأنطس الأنف . وقد اتجه إلى القسطنطينية لدراسة القانون فى بدايات عهد الامبراطور هرقل عام ٦١٠ م . وقام بتولى عدة من الوظائف . ويعد ما نعرفه عنه عموماً أمراً محدوداً

عنه انظر :

Nicol, A Biographical Dictionary, p. 129 .

٣- نشره دى بور فى ليزج عام ١٨٨٧ م . انظر :

Theophylact Simocatta, Historiae , ed. de Boor . Leipzig 1887

٤- وسام عبد العزيز فرح . دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية . الإمبراطورية البيزنطية . ٣٢٤ ٢٥ ٢٢٤ م . ط. الاسكندرية ١٩٨٧ . ص ٢٢٤

شأنها عن بلاد فارس، والصقالبة، والآفار خلال حكم ذلك الامبراطور . مما عكس أهمية فى شأن العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والعالم المحيط بها

أيوردانوس<sup>(١١)</sup> مؤلف جيتكا Getica أى تاريخ الشعب القوطى . واعتمد فى تأليف كتابه على عدد من المصادر التاريخية المفقودة مثل مقالات كاسيدور<sup>(١٢)</sup>، وتناول العلاقات البيزنطية مع عناصر القوط فى عهد الإمبراطور فالنز Valenz (٣٦٤-٣٧٨م) وتعرض لأمر معركة أدرنة الحاسمة عام ٣٧٨م التى هزم فيها الجيش البيزنطى وقتل خلالها الإمبراطور نفسه

إمبانوس ماركلينوس<sup>(١٣)</sup> Ammianus Marcellinus مؤلف كتاب Res Gestae : أى الأعمال تناول فيه الأحداث التاريخية من عام ٣٥٣ إلى ٣٧٨م، ويلاحظ مشاركته فى الأحداث بوصفه محارباً أو مفاوضاً أو قائماً بمهام سرية تتصل بتلك العمليات، كما شارك فى إحدى العمليات العسكرية ضد الفرس عام ٣٦٣م .

جدير بالذكر : تكون كتاب إمبانوس مارسيلينوس من (٣١) جزءاً . وقد فقدت بعض الأجزاء . ووصلت إلينا الأجزاء من (١٤) إلى (٣١)<sup>(١٤)</sup>، وهناك من يقرر أن كتاب ذلك المؤرخ يعد تكملة لتاريخ تاكيتوس Tacitus<sup>(١٥)</sup> .

١- أيوردانوس : مؤرخ معاصر للقرن الرابع الميلادى عنه انظر:

نعيم فرح، تاريخ أوروبا الساسى فى العصور الوسطى، ص٣٦

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- مؤرخ ولد فى أنطاكية عام ٣٣٠م وقد توفى فى روما فى أواخر القرن الرابع الميلادى عنه انظر:

نفسه، ص٣٦

رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة المسيحية الجديدة، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٣٨

٤- نعيم فرح، تاريخ أوروبا الساسى فى العصور الوسطى، ص٣٦

٥- نفسه، نفس الصفحة.

حنا مالالاس John Malalas<sup>(١١)</sup> مؤلف Chronographia : أى المزمنة<sup>(١٢)</sup>.

وقد عاصر القرن السادس الميلادى، وتناول فى حويلته تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م)، ويعد أول حولية بيزنطية عالمية<sup>(١٣)</sup>؛ مما عكس ريادة ذلك المؤرخ .

من الملاحظ أن تلك الحولية؛ يلقى فيها مؤرخها الأضواء إلى جانب الأحداث السياسية والحربية على جوانب من الحياة اليومية مما أعطاها أهمية خاصة.

سقراط<sup>(١٤)</sup> Socrates مؤلف:

١- حنا مالالاس، ولد فى أنطاكية حوالى عام ٤٩٠م ويلاحظ أن كلمة مالالاس ، Malalas تعنى المحطبة أو معلم البلاغة فى اللغة السريانية . وقد تلقى تعليمه فى المدينة المذكورة ثم انتقل إلى العاصمة البيزنطية عام -٥٣م أو فى أعقاب عام ٥٤٠م وتوفى عام ٥٧٠م، عنه أنظر  
Jeffreys, Croke and Scout (eds.) Studies in John Malalas . Sidney 1990 .

دراسة قيمة عن ذلك المؤرخ خاصة أن من شارك فيها قام بترجمة تاريخه إلى الإنجليزية وعلى غير المعتاد لم يظهر العمل المذكور فى أوروبا والولايات المتحدة . بل فى استراليا  
Nicol, A Biographical dictionary . p. 77 , O.D.B., vol . 2 . p. 1215 .  
Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 183-184

هارى المزابنر . تاريخ الكتابة التاريخية، ص ١٣١

٢- نشر ل. ديتنورف تاريخ مالالاس وصدر عمله فى بون عام ١٨٣١م .  
Malalas , Chronographia , ed . L. Dindorf, Bonn 1831

وقد صدرت ترجمة إنجليزية لتاريخ حنا مالالاس فى استراليا من جانب البرابيث جيفريز . وميشيل جيفريز . وروجر سكوت وصدر العمل من جانب الجمعية الأسترالية للدراسات البيزنطية عام ١٩٨٦م، عن ذلك  
أنظر:

The Chronicle of John Malalas , Trans. by Jeffreys, Michael Jeffreys, R Scout (eds.) Byzantine Australiensi Australia Association for Byzantine Studies , University of Sidney 1986

O.P.B., vol . 2, p. 1275 .

-٣

٤- سقراط: مؤرخ كنسى؛ وله فى 'القسطنطينية عام ٣٨٠م . ونيسا بعد تلقى تعليمه على أيدى عدد من كبار علماء عصره مثل أمونيس Ammonios ، وهيلادوس Helladios، وقد توفى عام ٤٥٠م . عنه  
أنظر:

Historia Ecclesiastica<sup>(١١)</sup> . أى التاريخ الكنسى ، وتناول فيه الأحداث ذات الطابعين الدينى والسياسى منذ عام ٣٠٥م إلى عام ٤٣٩م، ووقع فى سبعة أجزاء، وقد خصص كل جزء من الأجزاء لعهد إمبراطور من الأباطرة منذ عهد قسطنطين الأول إلى ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨-٤٥٠م)

ويقدر دونالد نيكول Donald Nicol : أن ذلك المؤرخ بعد أول رجل علمانى حاول كتاب تاريخ للكنيسة ، على الرغم من أنه يدين بالفضل إلى درجة كبيرة فى هذا الموضوع إلى سلفه يوسيبوس،<sup>(١٢)</sup> وقيمة الكتاب من وجهة نظر المؤرخ المذكور إحتوائه على عدد من الوثائق الدينية ، وكذلك الديوانية على نحو أثرى كتابته التاريخية<sup>(١٣)</sup> .

سوزومين<sup>(١٤)</sup> Sozomenos ألف كتاباً عنوانه<sup>(١٥)</sup> Historia Ecclesiastica أى 'لتاريخ الكنسى.

---

= Nicol, A Biographical dictionary , p. 115 , O.D.B., vol. 3, p. 1923 .

سلى بالهاج صالح، المسيحية العربية وتطورها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص ٨ حاشية (١)

١- نشر الكتاب المذكور من جانب ر. هسى وراجع عليه ب. برايت ، وصدر فى أكسفورد عام ١٨٨٣م.  
Socrates , Ecclesiastical History , ed . R. Hussey, revised by W. Bright, Oxford 1893.  
O.D.B., vol. 3, p. 1923 .

٢- Nicol , Op. cit., p. 115 .

٣- Ibid, p. 115 .

٤- سوزومين : ولد فى باثيليا Bathelia (بيت لاهب حالياً) فى القرن الخامس الميلادى ومهدياً عام ٤٠٠م، وقد مارس الحماما فى القسطنطينية، تولى عام ٤٥٠. عنه أنظر  
O.D.B., vol. 3 , pp. 1922 - 1923 .

Nicol, Op. cit., p. 115 .

رأفت عبد الحميد ، «سوزميين المؤرخ الغزاري» ضمن كتاب فلسطين عبر التاريخ إعداد حامد غانم زيان، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، جامعة القاهرة ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٨٥-١٢٨

سلمى عرفات المبيض، النصرانية وأثارها فى غزة وما حولها . ط. غزة- فلسطين ١٩٩٨م، ص ١٠٥

٥- نشر بجزء التاريخ الكنسى وصدر عمله فى باريس ١٩٨٣م . =

عاصر المؤرخ المذكور القرن الخامس الميلادي حتى منتصفه، وقد احتوى كتابه على الأحداث التي وقعت منذ بواكير الكنيسة الأولى حتى الربع الأول من القرن الخامس ومجديدا من عام ٣١٤م إلى ٤٣٩م وقام باهداء كتابه للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م)

تجدر الإشارة ؛ إلى أن نهاية ذلك التاريخ تعد مفقودة ، وهي التي تتناول الأحداث الواقعة بين عامي ٤٢٥-٤٣٩م وبصفة عامة يعد مصدراً مهماً للتاريخ البيزنطي المبكر، ويقرر دونالد نيكول عنه « أن الكتاب مصدر فريد للعديد من الأحداث المبكرة في التاريخ الكنسي »<sup>(١١)</sup> .  
ديمتريوس كيدونييس Demetrios Kydones<sup>(١٢)</sup> ، مؤلف الرسائل Letters<sup>(١٣)</sup> ، ألف ذلك المؤرخ (٤٥٠) رسالة تناولت عدداً من الأحداث التاريخية خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي ، وترجع أهميته إلى أنه كان من دعاة الوحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية .  
بصفة عامة؛ تعد رسائله مصدراً مهماً من مصادر العصر البيزنطي المتأخر، خاصة من خلال الوضعية السياسية التي احتلها كرئيس للوزراء في مرحلة لقلقة من مراحل التاريخ البيزنطي.

---

= Sozomenos , Hsioire Ecclesiastique , ed. par J Bidez, Paris 1983 .

N.P.NF., vol . 2 .

كما توجد له ترجمة في

Nicol, ABiographical dictionary , p. 116 .

٢- ديمتريوس كيدونييس؛ عاش خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٣٢٤م ، ١٣٤٧م، وقد صار رئيساً لوزراء الإمبراطور يوحنا السادس كونتاغوزين ١٣٤٦-١٣٥٥م John V Cantacuzene ومن الملاحظ أنه تحول إلى المذهب الروماني ثم تقاعد حبناً من الوقت ، وأمعن الأعمام المتبقية من عصره وذلك بين كريت والبنديفة، ومات عام ١٣٩٧م.  
عنه أنظر

Nicol . A Biographical dictionary, Id, p. 719, The Reluctant Emprcor , A biography of John Cantacuzene , pp. 134-135 , pp. 144-148 . pp. 157-159

٣- نشرها لونيبرتز في الفاتيكان في جزأين نسا بين عامي ١٩٥٦م، ١٩٦٠م، انظر- Demetrios Ky- drones ed, R.J. Loenertz 2 vols - vatican city 1965 - 1960. Nicol, the Reluctant , p. 189.

جريجورى النيسى Gregory of Nyssa<sup>(١١)</sup> وهو مؤلف عدة كتب هي «ليس بألثة ثلاث»  
The life of «العشرية» on Virginité . و«حياة مكرينا»<sup>(١٢)</sup> .  
Macrina عاصر القرن الرابع الميلاد، ويعد من أكبر مفسرى اللاهوت المسيحي، وفق مجمع  
نيقية . ويعد ما ألفه مصدراً تاريخياً مهماً عن الجدل الديني في القرن المذكور.

أجاثياس سكولاستيكوس Agathias Scholasticus<sup>(١٣)</sup> . مؤلف Historiarum<sup>(١٤)</sup> أرى  
التواريخ ألف تاريخاً في خمسة كتب بدأه بأحداث عام ٢٥٢م حتى عام ٥٨٠م، وأهتم فيه  
بذكر حملات القائد نارسيس Narses ضد عناصر القوط، والوندال، والفرس، ويلقى الضوء  
على الكوارث الطبيعية التي حدثت في عهد جستنيان كزلزال عام ٥٥٧م وهناك من يقرر أن  
تاريخ أجاثياس هو تكملة لما كتبه بروكوبيوس Procopius<sup>(١٥)</sup> .

١- جريجورى النيسى : هو أسقف نيسا Nyssa في إقليم كبادوكيا Cappadocia بآسيا الصغرى  
Minor عام ٢٣٥م . وهو الأخ الأصغر للقديس باسل الكبير St. Basil The Great . وقد تزوج من اسمها  
نيوسيبيا Theosebeia ، ويلاحظ معارضة لفكر الأريوسية وقد توفى عام ٣٩٥م وصار قديساً يوم عبده  
بولاق يوم ٩ مارس ، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, p. 46 .

Attwater, The penguin dictionary of Saints , Penguin Book, London 1977, p. 161

على الفصاوي، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط . ص٦٨-٧٠ . حاشية (٣)

٢- عن تلك المؤلفات انظر:

Nicol . op. cit . Cit . . p. 46 .

٣- أجاثياس سكولاستيكوس . هو مؤرخ وشاعر كانت ولادته في ميرينا في آسيا الصغرى وتلقى  
تعليمه في كل من الاسكندرية والقسطنطينية ودرس القانون وعامس المعاماة وقد توفى حوالى عام ٥٨٢م .  
عنه أنظر:

Nicol . op. cit, p. 1.

هارى ألز بارنز . تاريخ الكتابة التاريخية ، ص١٣١

٤- نشره ديندروف وصدر في ليزج فيما بين عامى ١٨٧٠-١٨٧١م، عنه أنظر:

Agathias Schlasticus , Historiarum , ed L.A.Dindorf , Historici Graeci Minores, Vol. II,  
Leipzig 1870-1871 .

وقد صدرت ترجمة إنجليزية من جانب أ.ج. فرندو في نيويورك عام ١٩٧٥م ، عنها أنظر:

Agathius , The Histories . Trans. by J.D. Frendo , New York, 1975

٥- زبيدة عطا . الدولة السزنطية ، ص١٠٥



ميخائيل بسلوس<sup>(١)</sup> Michael Psellus مؤلف كتاب Chronographia<sup>(٢)</sup>؛ أي الزمننة عاش المؤرخ المذكور بين عامي ١٠١٨ ، ١٠٧٨ م . وترجع أهميته إلى أنه عمل لدى كل من الإمبراطورين ميخائيل الخامس Michael V (٤١-١٠٤٢م) وقسطنطين التاسع Constantine IX (٤٢-١٠٥٤م) . وقد تناول في كتابه أربعة عشر إمبراطوراً بيزنطياً في المرحلة الممتدة من وفاة باسل الثاني حتى عهد نقفور الثالث Nicephor III (١٠٧٨-١٠٨١م)

بصفة عامة ؛ يعد كتابه مصدراً أساسياً من مصادر القرن الحادى عشر الميلادى.

يوحنا الليدى<sup>(٣)</sup> John The Lydian مؤلف كتاب De Magistratibus Populi Romani<sup>(٤)</sup> ويعد من المصادر التاريخية المهمة عن عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م)

١- ولد ميخائيل بسلوس عام ١٠١٨م من أسرة متواضعة ، وتلقى تعليمه على أبهى عدد من الأساتذة ومنهم يوحنا مورويوس John Mauropus ، وقد عمل في مجال الإدارة المدنية ،، وارتبط بمجموعة من المفكرين الشبان، مثل يوحنا الثامن اكسيفيلينوس John VIII Xiphilinos ، وقسطنطين الثالث ليودوس Constantine III Leiyhodes وكان يحدهو الأمل في أن يملأوا قوة ضغط في عهد الإمبراطور قسطنطين العاشر Constantine X (١٠٥٩-١٠٦٧م) ، وفيما بعد؛ أجبر ميخائيل بسلوس على أن يحيا حياة ديرانية في جبل أوليمبوس، ثم عاد أدراجه إلى العاصمة البيزنطية ، وشارك في الحياة السياسية ، وقد توفى عام ١٠٨١م، عنه انظر : Hussey, "Michael Psellus", S. vol. X., 1935, pp. 81-90. O.D.B., vol. 2, p. 1754 - 1755 .

Jugie, " Michael Psellus ", D.T.C., T.XIII, 1936, pp. 1149-1158 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 367 .

تقوم حائياً الباحثة آمال حامد غانم زهان المدرس المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة بإعداد أطروحتها للدكتوراه بعنوان الدور السياسى للمؤرخ البيزنطى بسلوس.

٢- انظر الترجمة الإنجليزية . Psellus , Fourteen Byzantine Rulers: The Chronographia . Trans. by E.R.A. Sewter Penguin Book, London, 1966 .

٣- يوحنا الليدى، ، ولد وفى فيلادلفيا Philadelphia (اليسديا Lydia) عام ٤٩٠م، وقدم إلى القسطنطينية عام ٥١١م، وهناك عمل فى الخدمة المدنية أربعين عاماً، وحظى بإعجاب وتقدير الإمبراطور جستنيان، وألف كتابه De Maytstrations وتوفى حوالى عام ٥٦٥م ، عنه انظر O.D.B., vol 2, 1061 .

Maas , John Lydus and the Roman past, London 1992 .

٤- انظر الترجمة الإنجليزية التى أعدها باندى وظهرت فى فيلادلفيا =:

جورج الراهب<sup>(١١)</sup> George Monachos وهو المعروف باسم Hanartolus (أى 'المُنسَب) مؤلف كتاب حوليه العالم World Chronicle<sup>(١٢)</sup> عاصر المؤرخ المذكور القرن التاسع الميلادي، وفي كتابه : تناول الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى عام ٨٤٢م، أى حتى نهاية عهد الإمبراطور ثيوفيلوس من أباطرة الأسرة العسورية ، حيث حكم خلال المرحلة من ٨٢٩ إلى ٨٤٢م<sup>(١٣)</sup>، وهناك من يقرر: أنه انتهى من تأليف عام ٨٦٦م و٨٦٧م<sup>(١٤)</sup>؛ أى خلال عهد الامبراطور ميخائيل السكير، وهو من أباطرة نفس الأسرة وحكم خلال المرحلة من ٨٤٢ إلى ٨٦٧م وقد ظهرت : ظهرت تكملة لذلك التاريخ عنوانها : تكملة جورجوس وقد ألفت في عهد الامبراطور ثقفور فوكاس وتشمل الأحداث التي وقعت من نهاية تاريخه، إلى سنة ٩٤٨ وهو عام وفاة رومانوس الأول<sup>(١٥)</sup>.

مجهول ، الوصف الكامل للعالم والشعوب<sup>(١٦)</sup> Exposito Totius mundi et gentium

=John The Lydian, John Lydus , De Magistratibus , ed. with Trans, by A.C. Bandy , Philadelphia , 1983 .

١- جورج الراهب هو جورج موناخوس George Monachos . وقد عاصر القرن التاسع الميلادي. وهناك من يقرر أنه اجتمع فيه كل من صفة الراهب وكذلك صفة المؤرخ . ويلاحظ أن مؤلفاته لقيت استحساناً شعبياً كبيراً وقت ترجمتها خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر 'للبلايين إلى اللغتين السلالية والجرجية . عنه أنظر:

Nicol, Biographical dictionary, p. 43 .

2- Ibid , p. 43 .

3- Ibid , p. 43 .

4- Ibid, p. 43 .

5- Ibid , p. 43 .

٦- نعيم فرح ، « ثلاثة مصادر تلقى بعض الأفتوا . على جوانب من الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العهد البيزنطي »، ضمن مؤقر بلاد الشام في العهد البيزنطي . الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام محرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور، ط. عمان ١٩٨٦م، ج ١ ، ص١٩٩  
ويلاحظ أن ذلك المصدر نشر من جانب موليريسوس. وصدر في باريس عام ١٨٦١م. انظر:

Geographi Graeci Monores , ed . Par C. Mullerus , Paris 1861 .

عن ذلك انظر: نعيم فرح ، المرجع السابق، ص١٩٩

وقد أطلق البعض على ذلك المصدر إسم «الجغرافيا الاقتصادية أو التجارية للإمبراطورية البيزنطية فى القرن الرابع»

جدير بالذكر : تناول المؤلف فى كتابه الأوضاع الاقتصادية فى مدن إيطاليا ، وأسبانيا ، وموريتانيا ، ونوميديا ، وشبه جزيرة البلقان ، وآسيا الصغرى ، ومصر ، وسورية ؛ بما عكس اتساع النطاق الجغرافى الذى تناوله

يلاحظ أن ذلك المصدر ؛ يقدم لنا إشارات مهمة عن مدن بلاد الشام مثل صور ، وبيروت ، وصيدا ، وأنطاكية . واللاذقية ، وكانت من المراكز الصناعية ، والتجارية البارزة فى العصر البيزنطى المبكر<sup>(١)</sup>.

من ناحية أخرى؛ أشار ذلك المصدر إلى بعض المدن التجارية الواقعة فى مناطق الحدود البيزنطية الفارسية فى بلاد ما بين النهرين مثل نصيبين ، والرها Edessa ، وذكر أنهما كانتا تحتويان على تجار برعوا فى التجارة مع الفرس وقاموا باحتكارها ، كما قاموا ببيع المنتجات البيزنطية ماعدا النحاس والحديد ، التى فرضت الدولة البيزنطية الحظر عليهما حتى لا يستخدمهما الفرس فى صناعة الأسلحة وقد امتد ذلك الحظر حتى القرن السادس الميلادى

قزما الملاح البحر فى الهند ، الطبوغرافية المسيحية<sup>(٢)</sup> ، The Cosmas Indicopleustes , Christian Topography.<sup>(٤)</sup>

١- نعب فرح ، ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص ١٠٠

٢- نفسه ، ص ٢٠٤ - ص ٢٠٥

٣- عن قزما الملاح البحر فى الهند وكتابه أنظر:

Wolska . la Topographie Chretienne de Cosmas indrcopleustes: Theologie et Sience au vie Siecle , Paris 1962

Beazley . The Dawn of Modern geography , vol 1 , p. 190-196 , p. 273-303 .

Vasiliev . History of the Byzantine Empire , p. 163 , p. 165-167

يورى ميخايلوفيتش كويشانوف ، الشمال الشرقى الأفريقى فى العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاتها بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع ، ت. صلاح الدين عثمان هاشم ، ط. عمان ١٩٨٨م ، ص ١٦

٤- يلاحظ أن نص الكتاب المذكور تجده لدى الباترولوجيا اليونانية مجلد (٨٨) عن ذلك أنظر: =

( تعنى كلمة indicopleutes المبحر إلى الهند ) وهو مصدر مهم عن التجارة البيزنطية خلال القرن السادس الميلادي ، ويلاحظ أن المؤلف عمل بالتجارة في بحار ثلاثة هي: البحر الرومي أو المتوسط ، والبحر الأريتري أو المحيط الهندي، البحر الفارسي أو الخليج العربي.

جدير بالذكر: استمد المؤلف معلوماته التي أوردها في كتابه من السكان أنفسهم الذين عاشوا في المناطق التي زارها ، مما عكس أهمية مصدره في هذا المجال كذلك نعرف أنه قام بزيارة الحبشة في عام ٥٢٢ أو ٥٢٥م في زمن معاصر لعهد الامبراطور البيزنطي جوستين الأول .

مانويل فيليس<sup>(١)</sup> Manuel Philes له أشعاره .

وهو من شعراء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وتعد كتاباته مصدراً تاريخياً مهماً عن المرحلة التي عاصرها<sup>(٢)</sup> في العصر البيزنطي المتأخر

جورج كيدرينوس George Kedronos مؤلف Synopsis Historion<sup>(٣)</sup> أي موجز التاريخ، وقد تناول فيه الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى حوالي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي . وتجددًا عام ١٠٥٧م. مع تركيزه على المرحلة من ٨١١م إلى العام الأخير ، وقد أفاد من عدة مؤرخين مثل ثيوفانيس Theophanes، وجورج هامارتولوس George Hamartolos ، وغيرهما

= Cosmos Indicopleustes, Topographia Christiano, XI, ed. Migne, p. G., T. LXXXVIII.

vasiliev, op cit ., p. 165 . not (100) .

عن ذلك :

وتوجد ترجمة إنجليزية له أنظر:

The Christlon Topography of Cosmos, An Egyptian Monk, Trans by J.W. McCrindle, London , 1897

١- بعد مانويل فيليس من شعراء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي . ولد عام ١٢٧٥م. ووصف بأنه شاعر اللاط في العاصمة البيزنطية، وقام بذيور دبلوماسي حيث شارك في سفارات إلى كل من روسيا، وفارس، وفيما بعد إنهم وزج به . في السجن. وقد توفي عام ١٣٤٦م.

Nicol, A Biographical dictionary . p. 104-105 .

عنه أنظر:

Ibid .p. 104 .

٢- لا نعرف شيئاً عن حياة جورج كيدرينوس ويلاحظ أن تاريخه نشر من جانب بكر في جرابين ومصدر =

مجهول ، Odoiporiari apo Edem أى طرق الرحلات التى تم استخدامها منذ آدم حتى الرومان<sup>(١)</sup> يحتوى المصدر المذكور على معلومات جغرافية وتاريخية فيما قبل القرن السابع الميلادى ، ويلاحظ أن الطريق المشار إليه بدأ من الهند التى كانت بمثابة المركز التجارى البارز فى الشرق يقوم بتصدير البضائع ، عبر إيران، ووصل إلى روما عبر البحر المتوسط، ومن روما انتقلت إلى غاله أو فرنسا ، ولانغفل هنا الإشارة - كما يقرر نعيم فرح- إلى أن التجار السوريين قاموا ببلور بارز فى تلك التجارة العالمية.

يبقى أن نلفت نظر القارئ إلى أن تعبير « جنة آدم » جاء غامضاً فى المصدر المذكور ، ولانغفل أن قزما الملاح الهندي السالف الذكر ، لا يعترف بوجودها أصلاً وقد ذكر أنه ما من أحد عرف جنة آدم على الأرض أو وصل إليها ففى حالة إمكانية الوصول إليها لذهب إليها الكشجرون ، إذ أن الناس يلهبون إلى أقاصى الأرض للحصول على الحرير الخام. فكيف لا يلهبون إلى جنة آدم لو كانت موجودة فى الأرض فعلاً ؛ مما عكس إنكار البعض لذلك التصور الذى أحيط بالطابع الأسطورى.

قسطنطين السابع بورفبروجنيستس<sup>(٢)</sup> Constantine VII Porphyrogenitus (٩١٣-٩٥٩ م) ، وله عدة مؤلفات :

= فى بون فيما بين عامى ١٨٢٨م و١٨٣٩م انظر:

Georgius Cedrenus, ed. 7 . Bekker , 2 vols. , Boun 1838-1839.

عن ذلك انظر:

(O.D.B., vol . 2, p. 118 .

١- أورد نعيم فرح ترجمة عنوان المصدر على أنه « الطريق من جنة آدم حتى الرومان » وهى ترجمة جانبها الصواب والصحيح ما أثبتته فى المتن ، انظر

نعيم فرح ، ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص٩٠-٢٠٩

ويلاحظ أن أ. كلوتز قام بنشر المصدر المذكور عام ١٩٨٠م. عن ذلك انظر:

A. Klots, Odoiporiari apo Edem Phelionisches Moseum Fur Philologie , T. LXV, 1910, 11. 608-610 .

عن ذلك انظر: نعيم فرح، المرجع السابق، ص٩٠

٢- من قسطنطين السابع بورفبروجنيستس انظر: القسم الثانى.

عن الثغور De Thematibus<sup>(١١)</sup> ويتناول فيه الثغور التي وقعت على الحدود بين بيزنطة وجيرانها في القرن العاشر .

عن المراسيم De Ceremoniis aulae Byzantinae<sup>(١٢)</sup> وفيه يقدم وصفاً يتسم بالدقة للبلاد البيزنطية، ويتجه إلى الإغلاء من شأن الإمبراطورية البيزنطية كقوة عالمية حينذاك.

عن الإدارة البيزنطية De Administando imperio<sup>(١٣)</sup> ويقدم فيه أصول الدبلوماسية البيزنطية، كذلك يشير فيه إلى اشارات جغرافية على جانب كبير من الأهمية .

حياة باسل Vita Basilio<sup>(١٤)</sup>، هي سيرة لباسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وقد كتبت من جانب قسطنطين السابع حوالي عام ٩٥٠م<sup>(١٥)</sup>، وتقدم لنا «حياة باسل» الإمبراطور على أنه

١- صدرت ترجمة إيطالية له من جانب بروتوس، ونشرت في الفاتيكان عام ١٩٥٣م أنظر:  
Constantine VII, De Thematibus, ed. with Italian Translation by A. Petusi, Vatican City 1953

٢- صدر في مجموعة الكوريس C.S.H.B. في جزأين من جانب ريسك بين عامي ١٨٢٩، ١٩٣٠م:  
انظر:

Constantina VII , De Ceremoniis, ed . J.J. Reiske, 2 vols , C.S.H.B., 1829-1830 .

٣- صدرت ترجمة إنجليزية له قام بها هنكز عام ١٩٦٧م، أنظر -Constantin VII, De Administando Imperio , ed . by Gy . Morovcsik, Trans. by R.J.H. Jenkins 1967

كما توجد ترجمة إلى العربية قام بها أ.د. محمود سعيد عمران تحت عنوان «إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٨٠م، وهو المصدر الوحيد الذي ألفه ذلك الإمبراطور وقت ترجمته إلى العربية مما عكس ريادة ابن جامعة الاسكندرية

O.D.B., vol . 3, p. 2180 .

٤- عنه

وقد نشره بكر وصدر في برن عام ١٨٣٨م.

Theophanes Continuatus, ed. I . Bekker . Bonn 1838 .

وهناك ترجمة ألمانية للمصدر المذكور قام بها ل. براير

L. Breyer von Bauershof auf den kaiserthron, Trans . by L. Breyer, Cologne 1981

O.D.B., vol . 3, p. 2180 .

عن ذلك أنظر

٥- وسام عبد العزيز فرح . «الأنواع والسادة»، دراسة في ظاهرة النجبة الشخصية في العصر البيزنطي=

منحدر من أحد النبلاء، وتؤكد على أنه أقام حكومة عادلة وقام بحماية الفلاحين من ظلم جامعي الضرائب وما يذكر؛ أن المؤلف كان كارها لكبار رجالات الدولة، وعلى نحو خاص للخصيان<sup>(١١)</sup>.

بصفة عامة، يقدم المصدر المذكور غرضاً يفلب عليه طابع المديح لبائل الأول ولذلك فعلى الباحث أن يتنبه لتلك الزاوية الأساسية في الكتاب المذكور، لأنه يقدم رؤية منحاظة.

ليو الشماس<sup>(١٢)</sup> Leo The Deacon مؤلف كتاب<sup>(١٣)</sup> Historiae أى التواريخ ويعد مصدراً تاريخياً يونانياً وحيداً عن المرحلة الواقعة بين عامي ٩٥٠م، ٩٧٥م<sup>(١٤)</sup>، وبالتالي؛ تعرض لمهدي الإمبراطورين ثقفور فوكلس Nicephore Phocas (٩٦٣-٩٦٩م)، ويوحنا تزميسكس John Tzimiskes (٩٦٩-٩٧٦م) وهم من القادة العسكريين الذين وصلوا إلى العرش البيزنطي في عصر الأسرة المقدونية

ليو السادس (الحكيم) Leo VI (٨٨٦-٩١٢م)<sup>(١٥)</sup> مؤلف كتاب Tactica السذى يلقى أضواء كاشفة على توزيعات الجيش البيزنطي، وعناصره، وأساليبه الحربية، وهو مصدر

= الأوسط، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١٦٠  
O.D.B., vol. 3, p. 180.

٢- ليو انساسس مروح بيزنطي عاصر القرن العاشر الميلادى وقد ولد تحديدا عام ٩٥٠م فى كالى Kaloe فى آسيا الصغرى، وقد انضم فيما بعد إلى رجال القصر الإمبراطورى ومدح باسل الثانى واشترك معه فى حملته على اللغار عام ٩٨٦م، عنه أنظر Nicol, A Biographical dictionary, p. 75.

هارى ألز بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ص ١٣٣

٣- نشر الكتاب المذكور فى مجموعة الكوريس C.S.H.B. من جانب ب هاسيوس B. Hasius عام ١٨٢٨م.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 770.

-٤

٥- انظر ما سبقتم إيراده بشأنه ضمن الأسرة المقدونية وعن ذلك المصدر انظر:

لاغنى عنه للباحث فى النظم الحربية البيزنطية خاصة خلال القرن التاسع والعقدين الأول والثانى من القرن العاشر الميلاديين ، وهو يذكرنا- بصفة عامة- بكتاب الإمبراطور موريس Maurire (٥٨٣-٦٠٢م) . الاستراتيجيكون .

جورج البسيدى<sup>(١)</sup> George of Pisidia مزلف Poemi<sup>(٢)</sup> أى الأشعار وقد عاصر عهد الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م) ووصف بأنه أحد شهود العيان على حملته على الفرس التى جرت وقائعها عام ٦٢٢م . كذلك وصف من خلال أسلوبه الشعرى الحملة المشتركة التى قام بها كل من الفرس والآفار على العاصمة البيزنطية وحصارهم لها عام ٦٢٦م ، كما عرض احتفالات الإمبراطورية فى عهد ذلك الإمبراطور بالانتصار النهائى على الفرس .

مجهول ، Chronicon Paschale أى حولية النصح وتتناول الحولية المذكورة الأحداث منذ بدء الخليفة حتى عام ٦٢٩م . ويلاحظ أن المؤلف فى كتابه شاهد وعاصر عدداً من الأحداث ويذكر أسماء مؤلفات عدد من المؤرخين<sup>(٣)</sup> .

بولس السيلنتياري Paul Silentiary (أى الصامت)<sup>(٤)</sup> مؤلف عمل شعري بعنوان Ek-phrasis أى وصف وقد وصف بأنه شاعر البلاط فى عهد الإمبراطور جستنيان

= طارق منصور . فن القتال عند البيزنطيين دراسة فى الاستراتيجية فى ضوء تكتيكات ليو الحكيم ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، أبحاث مهديا ، إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين . التحرير حاتم الطحاروى ، ط . القاهرة ٢٠٠٣ .

أيضاً

Mohammad , "Ibn Mangli between The Arab and Byzantine Worlds: New Evidence" , J.M.I. H., vol. III, pp. 25-43 .

١- جورج البسيدى : أحد موظفى كنيسة أيا صوفيا Hagia Sophia فى عهد البطريرك سرجيوس Ser-gius (٦١٠-٦٣٩م) . وقد عاصر عهد الإمبراطور هرقل . عنه أنظر :

وسام عبد العزيز فوج . دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية . ص ٢٢٢

Nicol , A Biographical Dictionary , p. 43

٢- Haldon , Byzantium in the Seventh Century , Cambridge 1997 , p. XXV

٣- عن ذلك المؤرخ ومحتويات تاريخه أنظر : أسد رستم . الروم ، ج ١ . ص ٢٨٥

Haldon , op. cit , p. XXII

٤- بولس السيلنتياري ، شاعر يرجع إلى القرن السادس الميلادى ، وقد وصف بأنه كان صديقاً للمؤرخ=



(٥٢٧-٥٦٥ م) ، وقد قام بنظم قصيدتين شهيرتين في وصف كنيسة أبا صرّو Hagia Sophia ، وبالتالي؛ بعد إنتاجه الشعري في هذا الصدد؛ من المصادر الأدبية المهمة عن عصر ذلك الإمبراطور، وكذلك في أمر تاريخ الفن البيزنطي<sup>(١)</sup>، خلال القرن السادس الميلادي.

وتجدر الإشارة أن ما كتبه في هذا الشأن حدث في ظروف إعادة افتتاح الكنيسة المذكورة عام ٥٦٢م بعد أن انهارت قبتها<sup>(٢)</sup>.

ثيوفانيس<sup>(٣)</sup> Theophanes مؤلف أي الحولية<sup>(٤)</sup> Chronographia ، عاش ذلك المؤرخ

أجاثيوس Agathius ، ووصف بأنه كان من أذباء البلاط في عهد الإمبراطور جستنيان، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary pp. 103-104 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 186 .

Evans , Procopius , New York , 1972 , p. 29 .

٣- ثيوفانيس Theophanes : مؤرخ بيزنطي ولد عام ٧٦٠م، في عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥ م) ، وتعرف أنه أقام ديراً في سجرمان Sigriane وعرف بتأييده لعبادة الأيقونات ، وتوفي عام ٨١٨م عنه أنظر:

The life and Conduct of and narrative about our thrice Blessed and inspired Fathers David , Symeon , and George, in Talbot (ed.), Byzantine defenders of images, Eight Saints lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1998, p. 183 , note (208) .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 127 .

عبد الشافي المغربي، العصور الوسطى الأوروبية رؤية في المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة، ط. الاسكندرية ، ٢٠٠٤م، ص٣٧، لطفى عبد الوهاب «حولية ثيوفانيس مصدر بيزنطي عن بلاد الشام في العصر الأموي»، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في العصر الأموي ، عمان ٢٤-٢٩ تشرين الأول ١٩٨٧م.

٤- ترجم أحداث الأعوام من ٦٠٢ إلى ٨١٣م هاري تورليدوف . أما أحداث الأعوام من ٢٨٤ إلى

٨١٣م فترجمها سيريل مانجو، وروجر سكوت وجوفري جرير عن ذلك أنظر:

Theophanes, The Chronicle of Theophanes An English Translation of anni mundi 6095-6305 (A.D. 602-813) , with Introduction and notes by Harry Turtledove , Pennsylvania 1982 .

Theophanes, The Chronicle of Theophanes The Confessor , Byzantium and Near Eastern History A.D. 284-813 , Trans. by Cyril Mango and Roger Scot, with assistance , of Geoffrey Greater , Oxford 1997

خلال المرحلة ما بين عامي ٧٦٠م، ٨١٨م وقد ألف حوليته - كما قرر دونالد نيكول- بين عامي ٨١٠، ٨١٤م، وهي تعد تكملة لما ألفه صديقه جورج سينكيلوس George Synkellos واشتملت على الأعوام من ٢٨٤م إلى ٨١٣م<sup>(١١)</sup>. وقد اعتمد على بعض المصادر المفقودة ويلاحظ : أن عدداً من المؤرخين اليونانيين المجهولين عملوا على كتابة ذبول على ذلك التاريخ بلغت ستة كتب اشتملت على الأعوام من ٨١٣ إلى ٩٦٦م وعرفت باسم تكملة على ثيوفانيس أو Scriptorum post Theophaneon<sup>(١٢)</sup>.

القائد كيكومينوس<sup>(١٣)</sup> Kekaumenos مؤلف كتاب Strategicon أي الاستراتيجية وقد إنتمى إلى عناصر الأرستقراطية العسكرية وقام بتأليف كتابه خلال الأعوام من ١٠٧٥ إلى ١٠٧٨م. اعتمداً على خبرته الشخصية ، وفي ختامه كتب فصلاً صغيراً إحتوى على نصائح قدمها لمن يتولى المنصب الامبراطوري ، كما احتوى كتابه على إشارات سياسية مهمة خاصة عن منطقة البلقان ، وأرمينية ، والحدود الإسلامية - البيزنطية<sup>(١٤)</sup>؛ مما عكس أهمية ذلك المصدر بين مصادر العصر البيزنطي الأوسط

بطرس الصقلي<sup>(١٥)</sup> Peter of Sicily مؤلف كتاب Historia Manichacorum<sup>(١٥)</sup> أي

١- Nicol, ABiographical dictionary., p. 127

٢- Ibid, p. 127

٣- كيكومينوس Kekaumenos : ولد في جنوب مقدونيا Macedonia فيما بين عامي ١٠٢٠ م، ١٠٢٤ م. وقد توفي فيما بعد عام ١٠٧٠م. والواقع أننا لانعرف معلومات مفصلة عن حياته بغير أنه كان من أصل مختلط أرميني

عنه أنظر: O.D.B., vol . 2, p. 119 .

وسام عبد العزيز فرج ، دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، ص٢٤٣

٤- بطرس الصقلي : مؤرخ بيزنطي معاصر للقرن التاسع الميلادي. ووفق ما قرره عن نفسه، ثم إرساله في سفارة دبلوماسية إلى تفريك Tephrike عام ٨١٩م وهي التي اعتبرت مركزاً لعناصر البولسيين ، ويلاحظ أن ما نعرفه ضئيل عنه. انظر O.D.B., vol 3 , p. 1640-1641

هاني عبد الهادي البشير، « البيالسه في آسيا الصغرى في ضوء مصنف بطرس الصقلي »، المؤرخ القصري العدد (٢٤) ، يناير ٢٠٠٦م، ص٤٥

٥- مجرد الإشارة إلى أن كتاب بطرس الصقلي باليونانية وترجمته بالإنجليزية هي

تاريخ المانويين ويعد تاريخه مصدراً أساسياً لدراسة حركة البرولسيين وهي حركة دينية معارضة نظرت إليها الكنيسة البيزنطية على أنها مهترقة ؛ وقد برز أمرها في عهد الإمبراطور بازل الأول (٨٦٧-٨٨٦م)

تجدر الإشارة ؛ إلى أن هناك كتابات أخرى تناولت البرولسيين مثل ما كتبه فوشوس -Pho-tios، وجورج هامارتولوس George Hamartolos ،، وهناك إعتقاد أن ما كتبه بطرس الصقلي كان بمثابة الأساس الذي اعتمد عليه المؤرخون الذين أروا للبرولسيين<sup>(١)</sup>.

بصفة عامة؛ يحتوى كتابه على مادة مهمة عن تاريخ وعقائد تلك الطائفة الدينية المعارضة والتي تمثل دراستها أهمية كبيرة في القاء الأضواء على تاريخ الحركات الدينية المعارضة في الساحة البيزنطية

زوسيموس Zosimus<sup>(٢)</sup> مؤلف كتاب Historia Nova ؛ أى التاريخ الجديد، وهو مؤرخ بيزنطى عاصر القرن الخامس الميلادى، وتناول في حويلته أحداث التاريخ منذ عهد الإمبراطور أغسطس Augustus حتى سقوط روما على يدى ألاك عام ٤١٠م ، ولا تغفل ؛ الإشارة إلى أنه يقدم تفصيلات مهمة عن عهد الإمبراطور دقلديانوس Diocletian

---

= Useful History and refutation of the senseless and Vain Heresy of the Manichaeans .

أى تاريخ مفيد وتفنيد لهيرطقة المانويين الخاطئة والتافهة ويسمى الكتاب أيضاً Paulicians عنه أنظر

Peter of Sicily, Historia Manichaeorum qui et Pauliciani dicuntur , ed . ch Astruc, W. Carus - Wolska, J. Gouillard, p. Lemerte , D. Papachryssanthou and p. Paramelle, Les sources greques Pour L'Histoire des Pauliciens d' Asie Mincure , Travaux et Memoire , Paris 1970, O.D.B., vol . 3, p. 1640 .

١- سيتم تناول البرولسيين بالتفصيل فى القسم التالى من خاصة خلال عهد الإمبراطور باسل الأول

٢- زوسيموس ؛ مؤرخ بيزنطى عاصر القرن الخامس ، ولا تعرف عنه الكثير . ويبدو أنه عمل كموظف فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى وخلفائه التالبيين مباشرة . عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, p. 138 . O.D.B., vol . 3, p. 2231 .

نصيم فرح، تاريخ أوروبا السياسى، ص٣٧

بروكوبيوس القيساري Procopius of Caesarea<sup>(١١)</sup>، مؤرخ معاصر للإمبراطور  
جستنيان Justinian (٥٢٧-٥٦٥ م) ، وقد ألف عدة مؤلفات يمكن إجمالها في الآتي:  
De Bello Persico , De Bello Vandalico, De Bello Gothico.

أى الحروب الفارسية ، والوندالية ، والقوطية على التوالي. وفيها يقدم وصفاً يتسم بالدقة  
للحروب التي خاضتها الجيوش البيزنطية خلال عهد الامبراطور جستنيان ونظراً لكونه شاهد  
عيان لأحداثها؛ لذا احتلت مؤلفاته أهمية خاصة .

كذلك ألف كتاب: Libri De Aedificiis أى بالمبانى، وفيه أورد كافة الإنشاءات  
التي شيدت في عهد ذلك الإمبراطور حيث شهدت سنوات حكمه ما يوصف «بتهنئة  
معمارية»

كما أن له كتاب: Historia Arcana أى التاريخ السرى<sup>(١٢)</sup>، وفيه قام بنقد كافة

١ - بروكوبيوس القيساري Procopius of Caesarea من المرجح أنه ولد عام ٥٠٠م. في مدينة قيسارية  
بفلسطين ، وفيما بعد درس القانون، وفي عام ٥٢٧م صار بمثابة المستشار القانوني للإمبراطور جستنيان،  
كذلك عمل كاتباً للقائد بليزاريوس، وقد صحب جيوشه في حروب بيزنطة ضد الفرس . وكذلك الجرمان .  
ويقال أنه ختم حياته بأن صار محافظاً للتسطنطينية عام ٥٦٢م، ويقرر المؤرخ دونالد نيكول أنه يعد من أكبر  
كتاب التاريخ اليوناني القديم، عنه أنظر:

Procopius, Secret History, Trans. by Richard ATwater , Michigan 1961 , pp. V-XIV Nicol,  
A Biographical dictionary, p. 108 .

Cameron , Procopius and the Sixth century , Oxford 1989 .

دراسة قيمة متخصصة عن بروكوبيوس والمؤلف له خبرة سابقة في ترجمة مؤلفات ذلك المؤرخ

Ure , Justinian and his age . pp. 169-184 .

Evans, Procopius, New York, 1972, pp. 15-151

ويلاحظ أن دراسة كامبرون تعد أفضل من الدراسة الأخيرة

إسحق عبيد اللغات والموضوع في كتابات مؤرخي العصور الوسطى قراءة في بوسابيوس وبروكوبيوس ،  
ضمن كتاب الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية السنوار. جامعة الكويت. ط. الكويت . ١٩٩٥م. ص١٧

٢ - هناك ترجمة إنجليزية لتلك المؤلفات في مجموعة اللويب The Loeb Classical Library

الأعمال التي امتدحها من قبل والتي قام بها الامبراطور جستنيان ، ولانغفل الإشارة إلى أن الكتاب المذكور لم يظهر إلا بعد وفاته .

لقد هاجم بروكوبيوس الامبراطور وزوجته ثيودورا وكمال لها الاتهامات، وترجع أهمية الكتاب إلى المعلومات الخاصة بالجانبيين الادارى والمالى خلال عهد الامبراطور المذكور .

إيفاجريوس سكلوستيكيوس Evagarius Scholastikos<sup>(١)</sup> مؤلف Historia Eccle-  
siastica<sup>(٢)</sup> أى : التاريخ الكنسى .

= فى ٧ أجزاء صدرت فى نيويورك نيسا بين عامى ١٩١٤-١٩٢٥م ؛ وهى التى قام بها هـ ب ديونج  
.H.B. Dewing

كذلك توجد ترجمة إنجليزية أخرى للحروب الفارسية ، والوندالية، والقوطية بالإضافة إلى التاريخ السرى،  
والمباني من جانب أفبريل كامبرون، وصدر عمله فى نيويورك عام ١٩٦٧م ، عن ذلك أنظر :

Procopius , History of Wars, Secret History and buildinga, Trans. by Averil Cameron, New  
York 1967

توجد ترجمة إنجليزية للتاريخ السرى قام بها ريتشارد أتووتر، وصدرت فى ميشيجان عام ١٩٦١م ، عن  
ذلك أنظر : Procopius , Secret History , Trans. by Richard A twater , Michigan 1961 .

ولا أغفل الإشارة إلى أن الراحل د.أ.د. حسن حبشى قام بترجمة التاريخ السرى وهو تحت الطبع . عن  
هذه الإشارة والأعمال الأخرى التى فى طريقها إلى النشر انظر:

محمد مؤنس عوض ، أ.د. حسن حبشى مؤرخ مصرى رائد للعصور الوسطى، ضمن كتاب عصر الحروب  
الصلبية بحوث ومقالات . ط. القاهرة ٢٠٠٦ م. ص٢٥٨

ومع ذلك ا ملاحظ صدور ترجمة عربية للكتاب المذكور قام بها الراحل د. صبرى أبو الخير ، انظر:  
بروكوبيوس ، التاريخ السرى، ت. صبرى أبو الخير، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

وعن مؤلفات بروكوبيوس بصفة عامة أنظر :

Cameron , Procopius and the Sixth century , los Anglos 1985 , pp. 49-207 .

١- إيفاجريوس سكلوستيكيوس: ولد فى إيفانيا Ephania فى سوريا المحرقة Coele Syria عام ٥٣٦م،  
وقبما بعد عمل فى مجال المحاماة، فى أنطاكية كما التحق بعدد من الوظائف المرموقة إدارياً . وتوفى قبما  
بعد عام ٦٠٠م عنه أنظر:

O.D.B., vol. 2 . p. 761

Nicol, A Biographical dictionary . p. 39

٢ نشره بيلز وبارمينتير فى لندن عام ١٨٩٨م . كما أعيدت طباعته عام ١٩٦٤م انظر =

وقد عاصر القرن السادس الميلادى، ووقع تاريخه فى ستة أجزاء، وأستفاد فيه من كتابات سقراط ، سوزومين ، وثيودوريت ، وتناول الأحداث الواقعة بين عامى ٤٣١م . ٥٩٣م بحكم معاصرته لها<sup>(١)</sup>.

جورج باخيميريس George Pachymeres<sup>(٢)</sup> له كتاب De Michaele et Andronico Palaeologis<sup>(٣)</sup> أى تاريخ ميخائيل وأندرونيكوس باليولوغوس وقد عاصر النصف الثانى من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلاديين، واحتوى تاريخه على تناول لعهد الإمبراطورين ميخائيل الثامن (١٢٥٩-١٢٦١م) وأندرونيكوس الثانى باليولوغوس (١٢٦١-١٣٠٨م) واستخدم فى تأليفه أسلوباً يونانياً تقليدياً دعمه بكلمات مهجورة<sup>(٤)</sup>

Evugrios Scholastikos , Ecclesiastical History . ed. J. Bidez, L. Parmentier , London, 1898 , Amsterdam 1964 .

وهناك ترجمة حديثة من جانب ميشيل وينى صدرت فى ليفربول عام ٢٠٠٠م أنظر:

Evagrius Scholasticas , The Ecclesiastical History , Trans. by Michael Whitby , Liverpool 2000.

O.D.B., vol 2, p. 761 .

عن ذلك أنظر:

Nicol, Abiographical dictionary . p. 39 .

-١

٢- جورج باخيميريس، ولد فى نيقية عام ١٢٤٢م وبعثا بعد الهجاء إلى العاصمة البيزنطية حيث درس هناك مع جورج أكروبوليتيس . وصار شماساً وعضواً فى السلك البطريركى، وقد تعددت اهتماماته الفكرية وتراوحت بين التاريخ، والفلسفة والرياضيات ، والقانون ، وتوفى عام ١٣١٠م، عنه أنظر:

O.D.B., vol . 3, p. 1550 .

Nicol, Op. cit ., p. 102 .

٣- نشره بيكر فى بون عام ١٨٣٥م وصدر فى مجلدين أنظر:

Georgii, Pachymeris , De Michaele et Andronico Palaeologis , ed . Bekker , 2 vols, Bonn 1885 .

O.D.B., vol . 3, p. 1550 .

عن ذلك أنظر:

وعن الكتاب المذكور انظر هذه الدراسة:

Laton , "On Political geography : The Black Sea of Pachymeres". in Beaton and Roveche (eds.) , The Making of Byzantine History, Studies dedicated to Donald M. Nicol , Centre of Hellenic Studies, King's College , London 1993, pp. 94-121 .

Nicol , op. cit ., p. 102 .

-٤

حولية المورة The Chronicle of Morea<sup>(١١)</sup>.

تعد بمثابة المصدر الأكثر أهمية للتاريخ السياسى للدولة الصليبية فى اليونان خلال القرنين الثالث عشر ، والرابع عشر الميلاديين ولذلك ؛ لاعتجب أن اهتم بها عدد من الباحثين من خلال ترجمتها ، وكذلك إعداد دراسات عنها ، وتلقى الحولية المذكورة أضواء كاشفة على إمارة أخايا Achaia . كما تقدم مادة مهمة عن بحر ايجيه Aegean Sea تحت السيادة الصليبية.

ولانفعل ؛ أن تلك الحولية تروى لنا أمر اتصال الحكام اليونانيين فى المورة بالفرسان اللاتين حيث كونوا مجتمعاً إقطاعياً ، وقد ورد فيها العديد من المصطلحات الخاصة بالنظام الإقطاعى البيزنطى (البرونيا) ونظام الإقطاع فى الغرب الأوربى<sup>(١٢)</sup> ، مما عكس أهمية تلك الحولية بصفة عامة.

يوحنا سكايليتزيس John Skylitzes<sup>(١٣)</sup> ألف كتاباً عنوانه Synopsis Historiarum أى مختصر التواريخ

بتناول فى الكتاب المذكور ؛ وقائع الأعوام من ٨١١ إلى ١٠٥٧ م . ويعد تكملة لما كتبه ثيوفانىس المعترف Theophanes The Confessor

١- عن حولية المورة انظر هذه الترجمات

The Chronicle of Morea, Trans. by J. Schmitt, London 1904, Reprint, New York 1979  
- Crusaders, Conquerors, The Chronicle of Morea, Trans. by H.E. Lurier, New York 1964

- To Chronikon Tou Moreos, p. Kalonaros, Athens 1940 .

ويجد ترجمة عربية للحولية المذكورة لدى: سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ط. دمشق ١٩٩٥، ج. ١٠، ص ٣٠٥-٥٨٥

٢- حستين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٦٣

٣- مؤرخ بيزنطى عاش خلال النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى، ولا تزال حياته بكتنفها الغموض

O.D.B., vol. 3, p. 1914

عنه أنظر:

Nicol. A Biographical dictionary . p. 115 .

محمد زايد عبد، العلامات البيزنطية الألمانية ٩٦٢-٥٩٠م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م، ص ٣

ثيودوسيوس الراهب Theodosius The Monk<sup>(١١)</sup>.

هو شاهد عيان على فتح سيراكوز Syracuse على أيدي المسلمين عام ٨٧٨م ، وقد وصف تلك الأحداث في رسالة أرسلها إلى الشماس ليو The Deacon Leo ، ويلاحظ أن المخطوطة البيزنائية الكاملة للخطاب فقدت، وتم نشر النص على أساس مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس B.N ، ويحتوي على جزء فقط من ذلك الخطاب، ولحسن الحظ فإن الترجمة اللاتينية الكاملة من جانب يوسفات أزال Josophat Azzale تم حفظها في مخطوط يرجع إلى القرن ١٧م.

وهناك من يقرر ؛ أنه على الرغم من كونه ثيودوسيوس الراهب شاهد عيان لتلك الأحداث؛ إلا أن عرضه لم يكن شخصياً ، وهو يقدم عرضه على أنه ضمن من مجموعة من رجال الاكليروس السيراكوزيين الذين واجهوا الحصار العرسى، ويحتوى وصفه قسماً من المبالغات كما هو متوقع في مصادر ذلك العصر .

وجدير بالذكر؛ كتب نفس المؤرخ قصائد شعرية عن سقوط سيراكوز<sup>(١٢)</sup>.

سوفرونيوس Sophronios<sup>(١٣)</sup> بطريرك بيت المقدس ٦٣٤-٦٣٨م الذى سلمها للخليفة عمر بن الخطاب .

١ - مؤرخ معاصر للقرن التاسع الميلادى.

عنه أنظر: . O.D.B., vol. 3, p. 2053 - 2054 .

٢ - O.D.B., vol. 3, p. 2054 .

٣- سرفرونيوس : هو بطريرك بيت المقدس خلال المرحلة ٦٣٤-٦٣٨م وقد ولد في دمشق عام ٥٦٠م ، وتوفى في بيت المقدس في ١١ مارس ٦٣٨م. والمعتمد أن يورد اسمه على أنه Sophronios The Sophist أي سوفرونيوس التجادل على الرغم من أن تلك الناحية ما زالت موضع خلاف ويلاحظ أنه كان راهباً ، وقد قام بالاشتراك مع معلمه يوحنا موسكوس John Moschos برحلة على نطاق متسع زار فيها أديرة متعددة في مصر وفلسطين ، وروما ، وعاد أدراجه إلى بيت المقدس للالتحاق بدير ثيودوسيوس Monastery of Theodosios . وقد أدت صراعاته اللاهوتية إلى ذهابه إلى مصر عام ٦٢٢م والقسطنطينية ، وعلى الرغم من دفاعه المجيد عن مجمع خلقدونية إلا أنه لم يتمكن من إقناع كيروس السكندرى Cyros of Alexandria أو سرجيوس الأول من القسطنطينية Sergius I of Constantinople

O.D.B., vol. 3, p. 1928 .

عنه أنظر



وقد ألف سيرة حياته وأرسلها إلى صديقه يوحنا إليمون John Elemon ، ويلاحظ أن أهمية سوفرونوس تتمثل في كونه يمثل نهاية السيادة البيزنطية على المدينة المقدسة وبداية السيادة الإسلامية عليها في القرن السابع الميلادي.

ثيودور ليكتور Theodore Lector<sup>(١١)</sup> مؤلف Tripartite أى الكتاب الثلاثي الأجزاء

وقد أفاد في كتابه مما كتب كل من سقراط Socrat ، وسوزمونيوس Sozomenos وسيودوريت أوف كيسرولوس Theodoret of Cyrillus ويتناول المرحلة الممتدة من أوائل القرن الرابع الميلادي وتحديدًا عام ٣٠٥ إلى عام ٤٣٩ م . وله أيضا : التاريخ الكنسي .

وقد تناول فيه الأحداث التاريخية التي مرت بها لكنيسة حتى عام ٥٢٧ م .

يوحنا زوناراس John Zonaras<sup>(١٢)</sup> معاصر للقرن الثاني عشر م ، ومؤلف Epitome Historiarum<sup>(١٣)</sup> أى مختصر التواريخ .

وترجع أهميته إلى أنه عمل في بلاط الإمبراطور الكسبوس كومنين Alexius Comnenus (١٠٨٠-١١١٨ م) ، يمتد تاريخه منذ بدء الخليقة إلى عام ١١١٨ م ، ويعتمد اعتمادًا كبيرًا على ما كتبه سكيليتزيس Skylitzes ، ويسلوس Psellus وذلك خلال كتابته للمرحلة بعد عام ٨١١م غير أنه بالنسبة لعهد ذلك الإمبراطور البيزنطي السالف الذكر ، نجد أن ما كتبه زوناراس يعد مصدرًا أساسيًا يعرضنا عن الرؤية المنحازة التي نجدها في الكسباد أنا كومنينيا .

١- مؤرخ كنسي عاصر قسماً من القرن الخامس ، والرابع الأول من القرن السادس الميلادي ، وتوفي بعد عام ٥٢٧ م .

عنه أنظر O.D.B., vol 2 , p .

٢- يوحنا زوناراس : مؤرخ ورجل قانون وعالم لاهوت ، احتل مكاناً بارزاً في بلاط الإمبراطور الكسبوس كومنين ، ومن المحتمل أنه فقد منصبه بعد عام ١١١٨ م ، وصار راهباً في دير القديس جليكيريا St. Glyke-ria . وقد توفي بعد عام ١١٥٩ م ، عنه أنظر

O.D.B., vol . 3, p. 2229 .

٣- نشر ل . ونديروف تاريخه في ٦ أجزاء في ليزج خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٨٦٨ م . ١٨٧٥ م ، أنظر : Epitome Historiarum , ed . L. Dindorf , 6 vols ., Leipzig 1868 - 1875

O.D.B., vol . 3, p. 2229 .

عن ذلك انظر :

من ناحية أخرى ؛ ألف تعليقات على نظم الدساتير البابوية Commentaries on the Apostolic constitutions وقوانين المجامع وآباء الكنيسة Church Fathers ، وكذلك بعض الكتابات الهيجوجرافية Hagiographical Works (أى الخاصة بسير القديسين) .

جورج سفرانترز George Sphrantzes مؤرخ معاصر للقرن الخامس عشر م مؤلف حولية Chronicon Minus وترجع أهميته إلى أنه التحق بالعمل لدى الامبراطور مانويل الثانى Manuel II (١٣٩١-١٤٢٥م) كذلك قام بعدة سفارات إلى الأتراك ، وجورجيا Georgia ، وطرابيزون Trebizond والمسورة Morea ، والمجزر الايجية Aegean Islands ، كذلك تم تعيينه حاكمًا على باتراس Patras عام ١٤٢٠ ، ومسترا Mistra عام ١٤٤٦م .

جدير بالإشارة ؛ يعد الكتاب المذكور يوميات تغطي المرحلة من ١٤٠١ إلى ١٤٧٧م ، ويلاحظ ؛ أن أسلوبه الأدبي فى كتابتها نجد فيه ألفاظًا تركية وإيطالية .

ملحمة ديجنيس أكرتيس Diogenis Akritis<sup>(١)</sup> .

١- جورج سفرانترز ؛ ولد عام ١٤٠٠م ، وفيما بعد صار أحد موظفى الدولة منذ عام ١٤١٨م ، وعمل فى المجال الدبلوماسى ، بل صار رئيس وزراء الامبراطور البيزنطى الأخير قسطنطين الحادى عشر ، وقد قبض عليه الأتراك العثمانيون بعد نجاحهم فى فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م ، إلا إنه تمكن من الهرب إلى شبه جزيرة البلبونيز أو المورة Morea ثم إلى كورفو ، وهناك مات عام ١٤٧٨م ، عنه أنظر : Nicol, A Biographical Dictionary , p. 116 , O.D.B., vol . 3 p. 1937

٢- من الملاحظ أن كلمة ديجنيس Digenes ، لفظ يونانى يعنى المولود من شعبين ، على اعتبار أن والد باسيلوس ديجنيس وصف بأنه كان عربياً مسلماً أما أمه فرومية مسيحية ، وكلمة اكرتيس Akrites ؛ لفظ يونانى يعنى الذى ينتسب إلى حدود الدولة .

عن ملحمة ديجنيس اكرتيس أنظر:

Digenes Akrites, ed. and Trans. by J. Mavrogordat , Oxford 1926 .

Beaton and Ricks (eds.), Digenes Akrites , New Approaches to Byzantine Heroic Poetry , London 1993 .

طارق منصور ، «الملحمة البيزنطية ديجنيس اكرتيس رؤية أدبية» ، ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطى ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م ، ج١ ، ص٦٨-١٠٣ ، الأمين أبو سعده ، «بيزنطة فى الملاحم العربية- قراءة فى سرية»

وهي ملحمة بيزنطية ظهرت في القرن العاشر الميلادي . وتدور أحداثها حول محارب مسلم من أصول بيزنطية قام باختطاف فتاة بيزنطية . وذلك خلال إحدى الغزوات ، ثم قام بالارتداد عن الإسلام، وعاد إلى مناطق الدولة البيزنطية، وهناك؛ أنجب طفلاً يعد بطل الملحمة المذكورة. وقد أطلق عليه اسم بازيل ديجينيس اكريتيس Basil Digenes Akrites وعاش في مناطق الحدود البيزنطية الإسلامية وهناك أثبت كفاءته الحربية في محاربة خصومه ، وهناك من يقرر أنه رفض الخضوع للسلطة البيزنطية الرسمية. وتعد الملحمة المذكورة ؛ مصدرًا أساسيًا من مصادر التاريخ البيزنطي خاصة فيما يتصل بالعلاقات البيزنطية - العربية.

الإكلوجا Ecloga<sup>(١١)</sup> أي المختارات وهي تلك المجموعة القانونية التي صدرت في عهد الإمبراطور ليو الثالث الأيسري Leo III The Isaurian (٧١٧-٧٤١م) ، وقسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١-٧٧٥م) ، وهي تلقى أضواء كاشفة على التطور القانوني في الإمبراطورية ، كما أنها تعين الدارسين على دراسة المجتمع البيزنطي من خلال القانون .  
الامبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م) الذي ينسب إليه كتاب Strategikon<sup>(١٢)</sup> أي الاستراتيجية.

= الأميرة ذات الهمة . ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى مهداة إلى أ.د. قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين، محرر حاتم الطحاوي. ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٣٣١، حاشية (٥٩) . نعيم فرح، الحضارة البيزنطية . ط دمشق ٢٠٠٣م. ص ٢٦٠  
Rinciman , Byzantine Civilization , p. 201 . Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 132 . Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 369-371  
Kazhdan and Epdtein , Change in Byzantine Culture in the Eleventh and Twelfth Centuries , los Anglos 1985, pp. 117-119 .

١- عن الأكلوجا أنظر:

Leo III, Ecloga, ed. with German Trans . L. Burgmann, Ecloga: Das Gesetzbuch Leon III und Konstantions, V , Frankfurt 1983 .

٢- هناك ترجمة ألمانية لذلك الكتاب ؛ أنظر:

Dennis G.T.E., Gamillscheg, Das Strategikon des Maurikios , Vienna 1981

كما أن له ترجمة إنجليزية . انظر:

Dennis G.T.E., Maurice's Strategikon Handbook of Byzantine Military Strategy, Philadelphia, 1984

O.D.B., vol . 2, p.

عن ذلك انظر:

ويلاحظ أن هناك جدلاً حول نسبة الكتاب المذكور لذلك الامبراطور ، وبصفة عامة : فإنه يعد مصدراً أساسياً لدراسة الفكر العسكري البيزنطي خاصة خلال الربع الأخير من القرن السادس الميلادي، ويحتوي على عدد من النصائح التي تعكس الخبرة الحربية عن كيفية القتال لدى الشعوب التي حاربتها بيزنطة

يوحنا السادس كانتا كوزين John VI Cantacuzene<sup>(١)</sup> مؤلف Historiae أي التواريخ<sup>(٢)</sup>

والمؤلف هو الإمبراطور البيزنطي الذي حكم خلال المرحلة من ١٣٤٧ إلى ١٣٥٣م مما أعطى لكتابه أهمية خاصة ، وهو يفيد في دراسة أوضاع الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الرابع عشر الميلادي، وقد احتوى على إشارات مهمة - إلى جانب الناحية السياسية- تناولت الأوضاع الاقتصادية ، والاجتماعية، ومنها ما اتصل بالفناء الكبير Black Death الذي حدث في القرن المذكور.

كتاب الإبارخوس Eprchikon Biblion<sup>(١)</sup> أي الوالي وقد ألف في القرن العاشر

= كما أن له ترجمة إنجليزية ، انظر :

Dennis G.T.E., Maurice's Strategikon Handbook of Byzantine Military Strategy, Philadelphia, 1984 .

عن ذلك انظر : O.D.B., vol . 2, p.

١- عن يوحنا السادس كاتاكوزين أنظر القسم الثاني من هذا الكتاب

٢- تم نشر الكتاب في مجموعة الكورس C.S.H.B. في ثلاثة أجزاء من جانب ل. شوبين و ب. نيبور  
وصدر فيما بين عامي ١٨٢٨م، ١٨٣٢م. عن ذلك أنظر :

John VI Cantacuzenus, Historiae , ed. L. Schopen and B. Niebuhr , 3 vols., C.S.H.B., 1828- 1832

ويشير دونالد نيكول إلى أن هناك ترجمة إنجليزية للجزء الثامن من تاريخ حنا كاتاكوزين لم تنشر في صورة رسالة جامعية أعدها ت.س ميلر من الجامعة الأمريكية الكاثوليكية عام ١٩٧٥م. عن ذلك انظر :

Nicol, The Reluctant Emperor, A biography of John Cantacuzene , Byzantine Emperor and Monk, C. 1295 - 1383, Cambridge 1996, p. 188 .

Vasiliev, History, of the Byzantine Empire , p. 343 .

٣- عنه أنظر

الميلادى، وهو مصدر أساسى لدراسة النقابات البيزنطية Byzantine Guilds ، ويلاحظ أن كلمة إيبارخوس كانت تعنى « أمين العاصمة » ، وهو الذى وقع على عاتقه الإشراف على جميع النقابات سرا، الصنعية أو التجارية فى القسطنطينية.

على أية حال ؛ من الأهمية بمكان الإقرار بأن الكتاب المذكور<sup>(١)</sup> ، أحتوى على القواعد التى أقرتها الامبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور ليو السادس Leo VI (٨٨٦-٩١٢م)؛ من أجل تنظيم النشاط الاقتصادى فى العاصمة.

= نعميم فرح، الحضارة البيزنطية ، ص٢٣٥-٢٤٩ ولما يتصل بتاريخ كتابته، يلاحظ، أنه فى عام ١٩٣٥م، قام مؤرخ يونانى هو أ.د. كريستوفيلوبوليس A.P. Christophitopoulos بدراسة تمكن من خلالها من تحديد تاريخ كتابته وهى خلال المرحلة الواقعة بين أول سبتمبر ٩١١م إلى ١١ مايو ٩١٢م . عن ذلك أنظر:

Vasliiev, History of the Byzantine Empire, p. 188 .

١- عشر المؤرخ السويسرى جوليس نيقولا Julius Nicole على وثيقة كتاب الوالى عام ١٨٩٢م، ونشره مع ترجمة لاتينية فى صيف عام ١٩٩٣م، وفى عام ١٩٢٩م؛ قام بوك A.E.Book بترجمة الكتاب إلى الإنجليزية فى: Journal of the Economic History and Business (J.E.H.B)

أما فى عام ١٩٣٨م، فقد صدرت الترجمة الإنجليزية الثانية انظر.

Freshfield , Roman Law in the lafer Roman Empire, Byzantine Guilds, Professional and Commercial , Cambridge 1938 .

ثم قام السيد الباز العرنين بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان « كتاب عن الحسبة فى بيزنطة فى القرن العاشر الميلادى أو كتاب الوالى » . مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة ، (١٩) ، ج.١ مايو ١٩٥٧م، ص١٣٥-١٨٧

عن ذلك انظر:

وسام عبد العزيز فرج . « الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الأوسط (من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص١١٩-١٢٠

وهناك نص منه أنظر:

Lopez and Raymond, Medieval Trade in The Mediterranean World , New York 1961 , pp. 20-23 .

وقد وقع الكتاب في (٢٢) فصلاً، وتناولت الفصول التسعة عشر الأولى نقابات تجارية ، وكذلك حرفية متعددة ، أما الفصل العشرين، فإنه اختص بتناول واجبات ما عرف بنائب الرالسى أو *Leyatarios* ، واختص الفصل الحادى والعشرين بواجبات الوسطاء الرسميين الملحقين بالأسواق المتخصصة فى بيع الماشية، ونجد أن الفصل الأخير وهو والثانى والعشرين إختص بتناول القواعد العامة المؤثرة على نشاط التجار والحرفيين<sup>(١)</sup>، مما عكس تعدد العناصر الاقتصادية التى تناولها الكتاب المذكور ويقرر العلامة فازيليف عنه : أنه بمثابة كنز لتاريخ الأوضاع الداخلى للقسطنطينية<sup>(٢)</sup>، وهو أمر لاكتشفه يمثل هذه الصورة كتب الحوليات الأخرى التى تفيض بالأحداث السياسية ، والحربية.

نقفور برينبوس<sup>(٣)</sup> Nicephor Bryennios مؤلف.

*Historiarum Libri quattuor* أى كتب التاريخ الأربعة عاصر المؤرخ المذكور قسماً من القرن الحادى عشر الميلادى، وكنا جزءاً من القرن الثانى عشر الميلادى، وقد تناول فى كتابه : الأحداث التاريخيه التى مرت بالإمبراطورية البيزنطية منذ عام ١٠٧٠ إلى ١٠٧٩م، وفيه يقدم إشارات مهمة عن معركة مانزكوت عام ١٠٧١م الحاسمة التى انتصر فيها السلاجقة على القوات البيزنطية وهو ينقل رواياته عن جده الذى اشترك فعلياً فيها<sup>(٤)</sup> ؛ مما أعطى لرواياته أهمية خاصة.

١- وسام عبد العزيز فرج، الدولة والتجارة، ص٨١

٢- vasiliev, History of the Byzantine, Empire, p. 343 .

٣- نقفور برينبوس : ولد عام ١٠٦٢م، وهو حفيد نقفور برينبوس الذى سعى إلى العرش البيزنطى عام ١٠٧٧م، وقد تزوج من الأميرة البيزنطية انا كومنينا Anna Comnena عام ١٠٩٧م . ويلاحظ أنه عمل فى الجهاز الإدارى البيزنطى. كذلك التحق بالجيش البيزنطى فى عهدى الكيسروس كومنين وابنه حنا الثانى. وقد حصل على لقب قيصر . وتوفى عام ١١٣٦م ، عنه انظر .

Nicol, ABIographical dictionary, p. 21

٤- عن ذلك انظر :

فايز نجيب اسكندر ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة مانزكوت (١٠٧١م / ٤٦٣هـ) فى مصنف نقفور برينبوس دراسة مقارنة للمصادر، ط. الاسكندرية ١٩٨٢م، ص١١-١٢

- البطريرك نقفور Nicephorus مؤلف كتاب<sup>(١١)</sup> : Breviarium Historicum Gestis Post imperium Mauricii ؛ أى مختصر تاريخى لما حدث بعد الإمبراطور موريس .

وقد عمل المؤلف بطريركاً للقسطنطينية فيما بين عامى ٨٠٦ ، ٨١٥ م. وبالتالي احتل منصباً دينياً بارزاً ، وفى الكتاب نجده يتعرض للأحداث التاريخية فيما بين عامى ٦٠٢ ، ٧٦٩ م ؛ أى منذ عهد الإمبراطور فوكاس Phocas (٦٠٢ - ٦١٠ م) حتى نهاية عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥ م) وتعرض لأمر الصراع البيزنطى - الفارسى، كما قدم إشارات مهمة عن علاقات الامبراطور البيزنطية مع عناصر الخزر.

نقفور جويجوراس Nicephorus Gregoras<sup>(١٢)</sup> وعاصر القرن الرابع عشر م. وألف

١- البطريرك نقفور ؛ بطريرك القسطنطينية فى القرن التاسع الميلادى، ولد فى العاصمة البيزنطية عام ٧٥٠ أو ٧٥٨ م، وهو مؤرخ وقديس تولى منصب البطريركية خلال المدة من ١٢ أبريل ٨٠٦ م إلى ١٣ مارس ٨١٥ م، وقد وصف بأنه كان من المدافعين عن عبادة الأيقونات ، وفيما بعد توفى فى دير القديس ثيودور Theodore بالقرب من خرسوبوليس Chrysopolis فى ٥ أبريل ٨٢٨ م، عنه أنظر:

Life of the Patriarch Nikephoros I of Constantinople , Trans. by Elizabeth A. Fisherin Talbot (ed.O Byzantine defenders of images , Eight Saints, Lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1998, pp. 25-147 .

هانى عبد الهادى البشير، «نقفور بطريرك القسطنطينية (٨٠٦-٨١٥ م) ومؤلفه التاريخ المختصر المؤرخ المصرى. العدد (٢٦) ، يناير ٢٠٠٣ م ص٣٩-٧٥

O.D.B., vol . 3, p. 1477 .

٢- الترجمة الانجليزية قام بها مانجو . وصدرت فى واشنطن عام ١٩٩٠ م.

Nicephorus , Short History , ed. C. Mango Washington 1990 .

٣- نقفور جويجوراس ؛ عالم ومؤرخ ، عاصر القرن الرابع عشر م . فى صفه قام بكفالاته عمه يوحنا الذى عمل أسقفاً لهرقلية بونتياكاHerrakleia Pontika ، وارتبط ذلك المؤرخ بالامبراطور يوحنا السادس كونستانتينون John VI Contacuzen (١٣٤٦-١٣٥٥ م) وصحوتاً من جانبه للقوى السياسية المعاصرة له. ويرفر دونالد نيكل أن نقفور جويجوراس وصف بأنه من أعظم رجال القرن الرابع الميلادى . وقد توفى عام ١٣٦١ .

Nicol, Abiographical dictionary, pp. 44-45 .

عنه أنظر:

كتابه التاريخ Historia<sup>(١١)</sup> الذي وقع في ٣٧ كتاباً واشتمل على المرحلة الزمنية بين عامي ١٣٢٠ ، ١٣٥٩م، وهو مصدر مهم لعصره.

من جهة أخرى؛ ألف ذلك المؤرخ عدداً من تراجم القديسين ، كذلك نعرف أنه نظم قصيدتين لرثاء كل من الإمبراطورين أندرونيكوس الثاني (١٢٨٢ - ١٣٢٨م) ، وأندرونيكوس الثالث (١٣٢٨ - ١٣٤١م)

- بوستاش السالونيكى<sup>(١٢)</sup> Eustathios of Thessalonike مؤلف<sup>(١٣)</sup> سقوط سالونيك On the improvement of the life of the Thessalonians and On the Capture of Thessalonike . Monastic life.

١- تم نشر تاريخ نقفور جريجوراس في ثلاثة أجزاء من جانب كل من شومين، بيكر في مجموعة الكوريس فيما بين عامي ١٨٢٩ ، ١٨٥٥م.

Nicphorus Gregoras , ed. L. Schopen and I Bekker, 3 vols, C.S.H.B., 1829-1855

٢- بوستاش السالونيكى، موظف كنسى وعالم، ولد في عام ١١١٥م، وقد تعلم فيما بعد في القسطنطينية . وصار شماساً . وفي عام ١١٧٨م صار رئيساً لأساقفة سالونيك ، وقد إجه إلى تأليف مزلفات عبارة عن تعليق وشروح على هوميروس Homer مبدع الإلياذة والأوديسا وكذلك الأدب المسرحى أرسطوفانيس Aristophanes . ويوحنا الدمشقى John of Damascus ، وقد توفى عام ١١٩٥م عنه أنظر:

Kazhdan and Epstein, Change in Byzantine Culture in the Eleventh and Twelfth centuries , Berkaly 1995, p. 165-166 .

O.D.B., vol . 2, p. 754 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 38 .

عبد العزيز رمضان، العلامات البيزنطية - اللاتينية في عهد الامبراطور مانويل الأول كومنينوس ١١٤٣-١١٨٠م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م، ص١٠٠

حاشية (١)

٣- الترجمة الإنجليزية قام بها ماثيل جونز، وصدرت في كاتبرا عام ١٩٨٨م.

أنظر: Eustasios of Thessaloniki , The Capture of Thessaloniki, ed. Trans. by J.R. Mcville Jones, Canberra 1988 .



وهو مؤرخ معاصر للقرن الثاني عشر م. ووصف بأنه مفكر أصيل ، وقد دعم الإمبراطور مانويل كومنين . ويعد الكتاب الأول مصدراً أساسياً عن سقوط سالونيك وهي من الحواضر البيزنطية البارزة- في قبضة النورمان عام ١١٨٥م.

أما الكتاب الثاني؛ فيمثل نقداً للحياة الديرانية البيزنطية في عصر ذلك المؤرخ.

٨٠- زكريا المتليني Zachariah of Mitylene مؤلف *Historia Ecclesiastica* أرى التاريخ الكنسى وهو من رجال الكنيسة وقد شارك بالحضور في جمع القسطنطينية الذى عقد عام ٥٣٦م. وقد ألف كتابه التاريخ الكنسى من منظور مونوفيزيتى ويشتمل على دراسة للرحلة الواقعة بين عامى ٤٥٠ م ، ٤٩١ ، وهناك احتمال أن يكون قد امتد ليشمل المرحلة من ٤٩٢ إلى ٤٩٥م. ويعد الكتاب المذكور من المصادر التاريخية عن القرن الخامس الميلادى.

يوحنا فوكاس<sup>(٣)</sup> *Joannes Phocas* وله رحلته بعنوان *Descriptio Tevrae*

١- زكريا المتليني، رجل كنيسة ولد في مايوما Maiouma بالقرب من غزة بين عامى ٤٦٥ . ٤٦٦م، وفيما بعد درس الفلسفة فى الاسكندرية ، والقانون فى بيروت، وقد صار أسقفًا لتلين Mitylene كذلك حضر انجمن الكنسى فى القسطنطينية عام ٥٣٦م. وقد توفى عام ٥٣٦م.  
عنه انظر:

O.D.B., vol . 3, p. 2218 .

٢- نشر بروكس التاريخ الكنسى فى أربعة مجلدات فى باريس خلال المرحلة ١٩١٩ إلى ١٩٢٤م، عن ذلك انظر:

*Historia Ecclesiastica*, ed. E.W. Brooks , 4 vols , Paris 1919-1924 .

O.D.B., vol . 3, p. 2218 .

٣- ولد يوحنا فوكاس *Joannes Phocas* فى جزيرة كريت Crete، ووالده هو ماثيو Mathiew الذى عمل فى السللك الديرانى ووصل فيه إلى رتبة مرتفعة ، وأدركته منبته فى جزيرة باتموس Patmos، وعندما شب يوحنا فوكاس عن الطوق، عمل فى الجيش البيزنطى فى عهد الإمبراطور مانويل كومنين، عن يوحنا فوكاس انظر:

Beazly . *The Dawn of modern geography , A History of expedition and geographical Science from " the cloise of the ninth to the middle of the Thirteenth century , vol . II, London 1901, p. 199 .*

Tobler , *Bibliographia Geographica Palaestinae . Leipzig 1867, p. 21*

Sanctae<sup>(١١)</sup>: أى وصف الأرض المقدسة وهو من كريت وقد عاصر القرن ١٢م وقام برحلة إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين حوالى عام ١١٨٥م. وقد زار كنيسة الضريح المقدس Church of Holy Sepulchre في بيت المقدس عندما قام برحلة حج إلى هناك، وأشار في رحلته إلى النقش الذى وجده هناك تخليداً لذكرى تجديد الكنيسة المذكورة في عهد الملك الصليبي عمورى الأول (١١٦٣-١١٧٤م) وذلك خلال حكم الامبراطور مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) على نحو يلقى الضوء على العلاقات البيزنطية مع الشرق اللاتينية Levant.

- كيناموس<sup>(١٢)</sup> Kinnamos له كتاب Epitome Historiarum<sup>(١٣)</sup>، أى مختصر التاريخ.

= محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، ص ٢١٤ . الرحالة الأوربيون في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٥٧-٦٢  
١- انظر الرحلة في البيروlogيا اليونانية:

Descriptio Terrae Sanctae P. G., T. CXXXIII, cols 997-1063 .

ومجموعة مزمخى الحروب الصليبية الموزخون الإغريق . ج ١

R.H.C., T.I, Paris 1875, pp. 527-559 , T. II, pp. 683-695 .

والترجمة الإنجليزية التى قام بها أونرى ستوارت في مجموعة نصوص حجاج فلسطين . مجلد (٥) ط. لندن ١٨٩٦م:

Joannes Phocas, A Brief Description of the Holy land . Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol V , London , 1890 .

محمد مؤنس عوض، فصول جيوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، ص ٦٩ . ص ٣٧٥ الترجمة العربية أ.د. سهيل زكار الموسوعة الشامية، رقم ١٩٩٥م، ص ٣٥ . ص ٤٠٤

٢- كيناموس Kinnamos: ولد قبل عام ١١٤٣م وهو مزمخ بيزنطى معاصر للإمبراطور مانويل الأول (١١٤٣-١١٨٠م) وعمل سكرتيراً له، شارك في معارك متعددة وتوفى بعد عام ١١٨٥م، عنه أنظر O.D.B., vol . 2, p. 1130 .

يلقى عبد الجواد ، وحملات مانويل كومنين على انجر (١١٥١-١١٦٧م) في ضوء كتابات حنا كيناموس ، المجلة التاريخية المصرية، العدد (٣٧) ، عام ١٩٩٠م، ص ٧٢-١٠٠

هارى المزارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ص ١٣٤

٣- أنظر الترجمة الإنجليزية التى قام بها شارلز براند وصدرت في كولومبيا عام ١٩٧٦م، عنه أنظر:

وقد تناول في كتابه عهد كل من الإمبراطورين حنا كومنين (١١١٨-١١٤٣م) . ومانويل كومنين (١١١٨-١١٤٣م) ، ويمثل الكتاب أهمية خاصة نظراً لكون المؤرخ المذكور اتصل بالقيادات البيزنطية، وقد توافرت لديه وثائق متعددة أفادته في إعداد كتابه بالإضافة إلى كونه من شهود العيان المشاركين في الأحداث، ولذلك يحتل كتابه أهمية خاصة بين مصادر العصر البيزنطي الأوسط.

نيكتاس خونيئاتس Nicetes Choniates<sup>(١١)</sup> وله حويله بعنوان Historia؛ أى التاريخ وقد عاصر النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، والعقد والنصف الأولين من القرن الثالث عشر ميلادي<sup>(١٢)</sup>.

وقد قسم كتابه إلى عشرة كتب أو فصول جعل الأول عن عهد حنا كومنين (١١١٨-١١٤٣م) ، والثاني عن مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) ، والثالث عن الكيسوس

= Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus , Trans. by Charles M. Brand, Columbia 1976 .

مجدد الإشارة إلى أن العلامة الراحل أ.د. حسن حيشي أستاذ العصور الوسطى بكلية التربية- جامعة عين شمس سابقاً قام بترجمة الكتاب المذكور وسيصدر من جانب الهيئة المصرية العامة للكتاب قريباً وقد طالعت أصله المخطوط.

١- نيكتاس خونيئاتس Nicetas Choniates. ولد في خوناى فى آسيا الصغرى Asia Minos وعاش فيما بين عامى ١١٥٠ ، ١٢١٥م. درس فى القسطنطينية والتحق فى خدمة الامبراطورين الكيسوس الثانى (١١٨٠-١١٨٣م) واسحق الثانى (١١٨٥-١١٩٥م) وعندما حدثت الحلة الصليبية الرابعة ضد القسطنطينية عام ١٢٠٤م. فقد كافة ممتلكاته ، ولذلك هاجر بالفرار إلى نيقية حيث عمل لدى الامبراطور تيودور الأول لاسكاريس عنه أنظر:

Nicol, A Biographical Dictionary, p. 22-23 .

فايز نجيب اسكندر . نيكتاس خونيئاتس واعترافه بتسامح المسلمين وحرية الصليبيين - قراءة نقدية لتجاوزات الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م / ٦٠٠هـهه ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. المنصورة ب-ت المنصورة ص٥٥-٥٧

هارى ألز بارنز ، تاريخ الكنيسة التاريخية، ص١٣٤

٢- توجد ترجمة إنجليزية لها ، من جانب هارى ماجولياس وصدرت من جامعة ولاية وايمن عام ١٩٨٢م. Nicetas Choniates O'city of Byzantium . Annals of Nicetas Choniates. Trans. by Harry Magolias Wayne state University, Detroit 1984

وقد قام أ.د. حسن حيشي بترجمته إلى العربية وسيصدر من الهيئة العامة للكتاب قريباً.

الثانى ابن مسانويل كومنين (١١٨٠-١١٨٣م) ، والرابع عن أندرونيكوس كومنين (١١٨٣-١١٨٥م) ، والخامس عن إسحق أنجيلوس (١١٨٥-١١٩٥م) ، والسادس عن عهد الكيسوس الثالث أنجيلوس (١١٩٥-١٢٠٣م) والسابع عن المدة القصيرة التى عاد فيها إسحق أنجيلوس ، وابنه الكيسوس الرابع إلى الحكم عام ١٢٠٣م ، كذلك خصص الثامن لمدة حكم الكيسوس الخامس دوقاس ، كما خصص الفصلين التاسع ، والعاشر لتناول الحملة الصليبية الرابعة والاحتلال اللاتينى للعاصمة البيزنطية عام ١٢٠٤م<sup>(١١)</sup>.

والكتاب المذكور يعد مصدراً على جانب كبير من الأهمية من علاقات الامبراطورية البيزنطية بالمدن الإيطالية خلال المرحلة الممتدة من ١١٨٠ إلى ١٢٠٤م ، كذلك يعد المؤرخ شاهد عيان لسقوط القسطنطينية لأول مرة فى العام الأخير<sup>(١٢)</sup>.

لا تغفل أن نيكيثاس خونيئاتس كان عاشقاً لبيزنطة، ورأى بعينى رأسه كيف تذبح معشوقته بسكين الغرب الأوربي الغازى لها ، ويصل إلى التوحيد مع بيزنطة خاصة خلال الفصل الأخير من حوليته ، ومنطقي - والأمر كذلك- أن يجده يكتب حوليته بمداد المرارة والكراهية الشديدة للاتين.

- أنا كومنينينا Anna Comnena<sup>(١٣)</sup> مؤلفة كتاب Alexiad<sup>(١٤)</sup> (أى المنسوب إلى الكيسوس).

١- عادل زبون ، العلاقات السياسية والكسبية بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى فى العصور الوسطى ، ط. دمشق ١٩٨٠م ، ص ٢٦  
٢- نفسه ، نفس الصفحة

٣- أنا كومنينينا Anna Comnena : أميرة بيزنطية ومؤرخة ولدت فى ديسمبر عام ١٠٨٣م ، وتعد أكبر بنات الإمبراطور البيزنطى الكيسوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م) ، وقد تمت خطوبتها فى صغرها لقسطنطين دوكاس ، وعندما مات خطيبها تزوجت من ثقفور برينبيوس ، ويقرر دونالد نيكول أنها تعد المؤرخة الوحيدة التى أنجبتها الإمبراطورية البيزنطية ، ويلاحظ أنها أنجبت ولدبن وابنه ، وقد عاشت بعد وفا: زوجها ١٥ عاماً ، وتوفيت عام ١١٥٣م ، عنها أنظر:

Nicol, Aitographical dictionary , p. 9. Buckler, Anna Comnena, London 1929 .

٤- هناك ترجمة إنجليزية له قام بها سوتير وصدرت فى لندن عام ١٩٧٩م ،

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by Scwter , Penguin Book. London , 1979 .

ولابد من الإشارة إلى الترجمة العربية التى أعدها العلامة أ.د. حسن حشى.

بعد مصدرًا أساسيًا لعهد الإمبراطور الكيسوس كومنين والد المؤلفة (١٠٨٠-١١١٨م) وقد حدث في عهده مقدم الحملة الصليبية الأولى، وبالتالي؛ فإن المؤلفة تعبر عن وجهة النظر البيزنطية تجاه الحملة المذكورة، وهي نظرة ملؤها الكراهية الدينية، والعداء، والشكوك خاصة تجاه عناصر النورمان التي سبق لها مهاجمة أملاك الامبراطورية في إيطاليا والاستيلاء عليها.

جدير بالذكر؛ يظهر في الكتاب الإعجاب التواضع بالامبراطور الأب، ولذلك من المهم إدراك الطابع المتحاز بالضرورة من جانب الأميرة المؤرخة تجاه والدها، ولا ينفى ذلك- بطبيعة الحال- أنها في بعض الجوانب عارضته وكانت لها شخصيتها المستقلة في عرض الواقع التاريخية منفصلة عن «كاريزما» الامبراطور الأب، غير أن ذلك حدث في القليل النادر

ومن المهم هنا ملاحظة؛ الظروف النفسية التي ألفت فيها تلك الأميرة البيزنطية كتابها المذكور، فقد قامت بنصب خيوط مؤامرة بالإشتراك مع زوجها ضد شقيقها حنا كومنين وصولاً إلى السلطة، وذلك في عام ١١١٩م وأرادت قتله تحقياً للرجبة الجامحة للجلوس على العرش الإمبراطوري. إلا أن المؤامرة كشفت وذلك عن طريق زوجها نفسه!، وقد أحسن حنا كومنين للمتآمرين قلم يفتك بهم، واكتفى بالقبض عليهم وصادر أموالهم، ورفض إبداع أخته أحد الأدبرة<sup>(١)</sup>، بل تركها وشأنها فأختارت الانعزال عن الحياة العامة بقتربها الشعور بالمرارة والإحباط وخلال ذلك الحين التحمت إلى تأليف الكسياد ليكون لها بمثابة العزاء، عن تلك الظروف العصبية.

---

= أنا كومنين، الكسياد، ت. حسن حبشي، المشروع القومي للترجمة، ط. القاهرة ٢٠٠٥. وهي آخر أعمال الراحل العالم المذكور قبل وفاته، وأحيل القارئ إلى المقدمة الممتازة التي وضعها، وهناك ترجمة لنص من الكتاب لدى سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ط. دمشق، ١٩٩٠، ج٦، ص٩٠، ص٧٦

Mango, Byzantium The Empire of New Roman, New York 1980, p. 29, p. 242.

أيضا ماجدة حسن حددي، العلاقات البيزنطية التركية في نثر، كتاب الكسياد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩م.

أسال حامد زيان، الإمبراطور الكيسوس كومنين والحملة الصليبية الأولى من خلال كتاب الكسياد رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ٢٠٠٥.

١- محمد محمد مرسى الشيخ تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٤٥، ص٣٤٦

والأمر المؤكد : أن الكتاب المذكور على النحو الذي وصل إلينا يعكس قدرة أنا كومنينيا على تجاوز ظروفها النفسية العصبية، وهكذا حولت عقدة الإخفاق إلى نجاح عاش بعدها قروناً!!

- ثيودوروس سكواتاريوتيس<sup>(١)</sup> Theodoros Skoatariotes .

مسؤلف : Syhopsis Chronika وفيها ، يتعرض لأباطرة الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الحادى عشر الميلادى منذ عهد الإمبراطور باسل الثانى Basil II (٩٧٦-١٠٢٥م) حتى رومانوس الرابع ديوجنيس Romanus IV Diogenes (١٠٦٧-١٠٧١م)<sup>(٢)</sup> .

- الكتابات الهجيوغرافية<sup>(٣)</sup> Hagiography وهى عبارة عن سير القديسين والقديسات، وهى تحوى مادة تاريخية على جانب كبير من الأهمية عن النواحي الدينية ، والسياسية على مدى التاريخ البيزنطى.

ويلاحظ أن أهم الدراسات التى تحتوى تلك المصادر هى:

- Bibliotheca Hagiographia Graeca, ed. F. Halkin, 3 vols , Bruxelles 1957

ويعد أشمل كتاب عن الكتابات الهجيوغرافية اليونانية، ووقع فى ٣ أجزاء، وطبع فى بروكسيل ١٩٥٧م.

- Talbot (ed.), Holy Women of Byzantium , Ten Saints' Lives in English Transtation , Washington 1996 .

١- مؤرخ بيزنطى معاصر للقرن الحادى عشر الميلادى.

وقد أورد د. عبد العزيز رمضان أن ذلك المصدر يتعرض لأباطرة القرن الحادى عشر من باسل الثانى حتى رومانوس السابع ديوجينيس ، والواقع أنه لا يوجد إمبراطور بهذا الاسم فى القرن المذكور، والأصح رومانوس الرابع ديوجينيس والذى حكم خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٠٦٧ ، ١٠٧١ وهزم فى معركة مانزكرت ، انظر عنه القسم الثالث من هذا الكتاب ، انظر عبد العزيز رمضان . مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية، ص ٨٦

٢- ترجمة روبرت بهدروسيان ، انظر عبد العزيز رمضان. المرجع السابق، نفس الصفحة.

٣- عن تلك المصادر فى الغرب الأوربي أنظر هذه المقالة الرائعة بالعربية:

على الفغراوى ، «المصادر الهجيوغرافية قبل النهضة الكارولبية» ، مجلة كلية الآداب والدرية - جامعة الكويت، العدد (٢) ، عام ١٩٧٢م، ص ٨٩- ٩٨

- Talbot (ed.), Byzantine Defenders of Images, Eight Saints lives in English Translation, Washington 1998 .

وصدرت الدراستان المحتويان (١٨) سيرة مترجمة إلى الإنجليزية من جانب مركز دامبرتون اوكس بواشنطن وتعد المؤرخة اليس ماري تالبوت Alice - Mary Talbot أبرز متخصصات في المجال المذكور وقد أشرفت على فريق عمل من المترجمين لترجمتها إلى الإنجليزية .

mlk Bil jg; hgsdn kc:n:

St. Anthousa daughter of Con-<sup>(١)</sup>stantine V. سيرة القديسة أنتوسا ابنة قسطنطين الخامس

- سيرة القديسة أنتوسا من مانتين<sup>(٢)</sup> .

St. Antousa of Mantinc.

- سيرة القديسة أثاناسيا الإيجينية<sup>(٣)</sup>

St. Athanasia of Aegina.

- سيرة القديس كيريل الفيليني<sup>(٤)</sup> .

St. Cyrille le Phileote.

- سير القديسين ديفيد . وسيميون . وجورج اللبوسيين<sup>(٥)</sup> .

١- عنها أنظر: The life of St. Anthous Daughter of Constantine V, Trans . by N. Constas, in Talbot (ed.0), Byzantine Defenders of Images Eight Saints Lives in English Translation Washington 1998, pp. 21-24 .

٢- عنها أنظر: The life of St. Anthousa of Mautincin in Byzantine Defenders of Icons, pp. 13-20 .

٣- عنها أنظر: The Aegina , Trans. by L.F. Sherry, in Talbo (ed.) Holy woman of Byzantium, pp. 137-158 .

٤- عنها أنظر La Vie de Saint Cyrille Le Phileote Mione Byzantim (1100) , Trans. E. Sargoloyos , Brussel 1964 .

٥- عنها أنظر: The Life of Sts . David . Symeon and George of Lesbos . Trans. by D. Do- miugo- A. Foraste and D. Abrahamse . in Byzantine Defenders of Images , pp. 143-241

St. David , St. Symein, St. Georje of Lesbos .

- سيرة القديس أيونيكيوس<sup>(١١)</sup> .

St. Ioannikios .

- سيرة الإمبراطورة القديسة إيرين<sup>(١٢)</sup> .

St. Irene.

- سيرة القديسة إيرين كريسوبالتون<sup>(١٣)</sup> .

St. Irene Abbess of Chrysobalantum.

- سيرة القديسة ماريا أو (مارينوس)<sup>(١٤)</sup> .

St. Maria Marinos

- سيرة القديسة مريم المصرية<sup>(١٥)</sup> :

St. Mary of Egypt .

- سيرة القديسة ثيردور السالونيكية :

St. Theodora of Thessalonike

- سيرة القديسة مريم الصغرى<sup>(١٦)</sup> .

١- عنها أنظر : The Life of St. Ioannikios Talbot ces., Trans. by D.F. Sullivan in Talbot (ed.), Byzantine Defenders of Images Byzantine Defenders of Images , pp. 243-391

٢- عنها أنظر : La Vie de L'imperatrice Sainte Irene , et Trans. by F. Halkin, A.B 106 , 1988, pp. 5-27

٣- عنها أنظر : The lif St. Irene Abbess of Chrysobalanton , Trans. by J.O. Resenquist : uppsala, 1986

٤- عنها أنظر : Life of St. Mary / Marinos , in Talbot (ed.), Holy women of Byzantium, pp. 1-12 .

٥- عنها أنظر : Life of St. Mary of Egypt , in Talbot (ed.), Holy Women , pp. 65-93

أيضاً طارق منصور «ماريا المصرية نموذج للقصص الدينية في العصور الوسطى» . ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطي، أولاً الأدب، ط. القاهرة: ٢٠٠٢م، ص٤٦. ص٦٥

St. Mary The Younger.

٦- Life of St. Theodora of Thessalonike, in Talbot (ed.), Holy woman pp. 159-237



- St. Theodora of Arta. - سيرة القديسة ثيودورا الأرتية<sup>(١)</sup> .
- St. Athanasia of Aegina. - سيرة القديسة أثناسيا الأيجينية<sup>(٢)</sup> .
- St. Matrona of Perge. - سيرة القديسة ماترونا البرجية<sup>(٣)</sup> .
- St. theoktiste of Lesbos. - سيرة القديسة ثيوكتستى الليسبوسية<sup>(٤)</sup> .
- St. Thomais of Lesbos - سيرة القديسة تومايوس اللسبوسية<sup>(٥)</sup> .
- St. Elisabeth the Wonderworker - سيرة القديسة إليزابيث صانعة العجائب<sup>(٦)</sup> .
- وهناك في مجال كتابات سير القديسين مصدر مهم في صورة:

The Golden Legend جاكوبوس القوراجيني Jacobus de Voragine وتحت عنوان  
or Lives of Saints.

وقد ألفه في عام ١٢٧٥م وتم نشره عام ١٤٧٠م.

وقمت ترجمته إلى الإنجليزية على يدى وليم كسون William Caxton ونشر عام  
١٤٨٣م، ويلاحظ أنه يقع في ٧ مجلدات كاملة<sup>(٨)</sup> .

---

Life of St. Mary The Younger , in Talbot (ed.) Holy women, pp. 239-290 .

Life of St. Theodora of Aegina, in Talbot (ed.), Holy Women , pp. 323-333 .

Life of St. Athanasia of AAegina, in Talbot (ed.) , Holy Women , pp. 137-158 . -٣

Life of St. Marona of Perge, in Talbot (ed.) Holy Women, pp. 13-64 . -٤ عنها أنظر

Life of St. Theokliste of Lesbos in Talbot (ed.) Holy Womeen , pp. 95- ٥ عنها أنظر :  
116.

Life of St. Thomais of Lesbos, in Talbot (ed.), Holy Women pp. 291-322. -٦ عنها أنظر

Life of St. Elisabeth the Wonder worker , in Tlabot (ed.) Holy Women, -٧ عنها أنظر:  
pp. 117-136 .

٨- عبد العزيز رمضان ، «مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الانترنت، حولية التاريخ

الإسلامية والوسطى» م (٢٠٠٣) . عام ٢٠٠٣، ص٨٣

## ثانياً : المصادر اللاتينية :

مجهول<sup>(١١)</sup>، مؤلف *Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum* <sup>(١٢)</sup> أى أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس.

والمؤلف أحد الجنود الذين شاركوا فى الحملة الصليبية الأولى، ووصف بأنه من أتباع الزعيم النورمانى بوهمند Bohemond ابن روبرت جويسكارد Robert Guiscard ويعد الكتاب المذكور مصدراً أساسياً من مصادر الحملة الصليبية الأولى وبالتالي لا يمكن إغفاله فيما يتصل بالعلاقات البيزنطية اللاتينية<sup>(١٣)</sup>.

أوردريك فيتاليس<sup>(١٤)</sup> Ordericus Vitalis مؤلف كتاب *Historia Ecclesiastica*:

- 
- ١- عن المؤلف المجهول أنظر: مقدمة الترجمة العربية التى أعدها حسن حبشى ، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ط القاهرة ١٩٧٠م، ص٩-١٦ ، ويلاحظ أن الطبعة الأولى صدرت بالقاهرة ، عام ١٩٥٨م، محمود الروضى . إمارة الرها الصليبية ، ط. مئة ٢ - ٢٠٢م، ص٢٥-٢٦
- ٢- توجد ترجمة إنجليزية للمصدر المذكور من جانب روزالين هل ، وصدرت فى لندن عام ١٩٦٢م ، أنظر:

Anonymous , *The Deeds of the Franks and Other Pilgrims*, Trans by R. Hill, London 1962 .

ويلاحظ أن كراى قام بنشر فقرة كانت مفقودة من التاريخ المذكور ، أنظر:

Krey , " A Neglected Passage in The Gesta and its Beating on The literature of the First Crusade , in the Crusades and other Historical Essays Presented to Dana C. Munro by his Former Students , New York 1928 , pp.

- ٣- أوردريك شتاليس مؤرخ إنجليزى ولد فى إنجلترا عام ١٠٧٥م لأب نورماندى وأم إنجليزية . وقد درس فى شروسبرى Shrewsbury فى صغر سنه ، وأرسله أبوه إلى نورمنديا ليصبح راهباً فى دير القديس أنسول St. Evroul وألف تاريخه بناء على طلب روجر أوف لى ساب Roger of le Sap أسقف دير افرون ١٠٩١-١١٢٧م . ومات أوردريك عام ١١٤٣م، عنه أنظر : محمود الروضى، إمارة الرها الصليبية ، ص٣١، حاشية (٣) سرور عبد النعم ، السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك=

أى التاريخ الكنسى. ويتكون من ثلاثة عشر فصلاً وقام بتأليفه ذلك المؤرخ الإنجليزي بين عامى ١١١٤-١١٤١م، ويعد مصدراً مهماً عن العلاقات بين الصليبيين ، والبيزنطيين خاصة خلال أحداث الحملة الصليبية الأولى . وما تلاها من أحداث ومع ذلك؛ يوجه للمؤرخ وكتابه النقد من خلال عدم التزامه بالتسلسل الزمنى للأحداث .

ويكهارد Ekkehard<sup>(١)</sup> مؤلف كتاب<sup>(٢)</sup> Hierosolymitana ؛ أى بيت المقدس ويعد الكتاب المذكور مصدراً من مصادر الحملة الصليبية الأول . وكذلك أمر العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والصليبيين خلال تلك المرحلة من تاريخ الصليبيين فى الشرق وعلى نحو خاص علاقة الأمير الصليبي تانكرد مع تلك الامبراطورية خلال عهد الكيسوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م).

رادولف دى كاين<sup>(٣)</sup> Radulf de Caen

= الالمجوى ١١٣١م - ١١٤٣م / ٥٢٦ - ٥٣٨ هـ . رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التات - جامعة عين شمسعام ٢٠٠٠م. ص ٤ . حسين عطيه. امارة انطاكية والسلمون . ط. الاسكندرية ١٩٨٩م. ص٣١

١- إيكهارد ؛ مؤرخ ألماني من مدينة مين Main. وارتبط بالرهنة وصار مرتبطاً بدير مدينة أورا . عنه أنظر:

Caen, la Syrie du nord a l'époque des croisades, paris 1940, p. 11

السيد الباز العربى . مؤرخو الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٣م. ص٦٠

R.H.C., Hist. Occ., vol V

٢- يوجد فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية . المؤرخون الغربيون . الجزء الخامس

٣- رادولف دى كاين ؛ ولد فى مدينة كاين Caen بفرنسا عام ١٠٨٠م تقريباً ، وانجه إلى سلك الرهنة ، وقد رافق برهيند خلال حملته على بيزنطة عام ١١٠٧م. ثم توجه إلى بلاد الشام عام ١١٠٨م . حيث مكث بها إلى أن توفى بعد عام ١١٣١م . عنه أنظر:

مؤلف كتاب Gesta Tancardi<sup>(١١)</sup> أى أعمال تانكرد.

ويعد من المصادر المهمة عن الحملة الصليبية الأولى، والعلاقات المبكرة بين البيزنطيين، والصليبيين خاصة في علاقة الأمير تانكرد مع الإمبراطور الكيسوس كومنين، وبالتالي يفيد في تتبع جذور ما عرف بالمشكلة الأنطاكية في السياسة البيزنطية؛ وهي التي ستتناولها فيما بعد بشئ من التفصيل .

جيبيرت أوف نوجنت<sup>(١٢)</sup> Guilbert de Nogent مؤلف كتاب Gesta Dei per Fron-cos<sup>(١٣)</sup>

وقد عالج المؤرخ المذكور في كتابه أحداث المرحلة الممتدة بين عامي ١٠٩٥م، ١١٠٤م، وعلى الرغم من عدم مقدمه إلى الشرق؛ إلا أنه اعتمد على روايات شهود العيان الذين شاركوا في أحداث الحملة الصليبية الأولى، ووصفة عامة؛ يعد الكتاب المذكور من مصادر تلك الحملة وأمر العلاقات بين الجانبين البيزنطي والصليبي.

أودو أوف دل Odo of Deul<sup>(١٤)</sup>.

= محمود الروضى، إمارة الرها الصليبية، ص ٢٨، حاشية (١)، السيد الباز العرينى، مؤرخو الحروب الصليبية، ص ٥٦-٥٧  
Sybel, The History and Literature of The Crusades, Trans. by Duff Grdon, London 1861, p. 147

١- يوجد التاريخ المذكور في مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية المؤرخون الغربيون، الجزء الثالث R.H.C., Hist. Occ., Vol. III.

٢- جيبيرت أوف نوجنت؛ ولد في كلير مونت Clermont بفرنسا عام ١٠٥٣م وانحدر من إحدى الأسرات النبيلة، ودخل سلك الرهبة، وقد صار رئيساً لأحد الأديرة، توفي عام ١١٢٤م. عنه أنظر: محمود الروضى، المرجع السابق، ص ٣٣، حاشية (٣)، السيد الباز العرينى، السيد الباز العرينى، المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦

Sybel, op. cit., p. 122.

٣- يوجد التاريخ المذكور في مجموعة الحروب الصليبية والمؤرخون الغربيون الجزء الرابع R.H.C., Hist. Occi., vol VI.

٤- أودو دى دول، وأهب فرنسى بتدكتى من دير القديس دنيس St. Denis ولد عام ١١٠٠م، من أصول اجتماعية متواضعة وقد خدم الملك الفرنسى لويس السابع Louis VII (١١٣٧-١١٨٠م) كسكرتير وكسيس خلال أحداث الصليبية الثانية، التي إلهجت إلى الشرق بعد أن تمكن المسلمون بقيادة عماد الدين =

وله كتابه *De Protectione Ludovici VII in Orientem*.<sup>(١)</sup>

أى ؛ أعمال لويس السابع فى الشرق وهو مؤرخ حملة ذلك الملك الفرنسى (١١٣٧-١١٨٠م) إلى بلاد الشام المعروفة بالصليبية الثانية (١١٤٧-١١٤٩م) بصفة عامة؛ بعد الكتاب المذكور مصدراً تاريخياً أساسياً لدراسة تطور العلاقات البيزنطية اللاتينية فى أخرى النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى من خلال وجهة نظر فرنسية بطبيعة الحال.

ويلاحظ أن ذلك المؤرخ يكشف لنا فى ثنايا كتابه عن تطور الصراعات بين بيزنطة والغرب الأوروبى منذ القرن الثانى عشر الميلادى ومع ذلك ؛ يؤخذ عليه تعصبه الشديد للعناصر اللاتينية، وكذلك البابوية ضد البيزنطيين، وكذلك كنيسة القسطنطينية وعلى حين وصف الإمبراطور مانويل كومنين بأنه إمبراطور القسطنطينية ؛ نجد أنه قد زاد فى مديحه لروجر الثانى ملك صقلية Roger II of Sicily ؛ وهو العدو اللدود للإمبراطورية البيزنطية<sup>(٢)</sup>، ولانسزاع فى أن الصراع السياسى ، والحلاف الدينى المذهبى ؛ إنعكس بدوره على المصادر التاريخية التى وصلت إلينا من ذلك العصر فكان هناك مجال بين مؤرخى كل فريق وإلى جانب ذلك ؛ نجد أن ذلك المؤرخ يقدم لنا وصفاً مهماً للعاصمة البيزنطية على نحو يفيد فى تتبع التطور التاريخى لعمرانها خاصة خلال أواسط القرن ١٢م.

---

= زكى من السيطرة على الرها . وخلال صحته ألف كتابه كتاريخ لأعمال لويس السابع فى الشرق، وقد صار رئيساً للدير المذكور عام ١١٥٢م، وتوفى عام ١١٦٢م.

عن أوهدى دى دول أنظر: O.D.B., vol 3, p. 1512.

عادل زيتون . العلاقات السياسية والكنسية، ص ٣٢-٣٣ ؛ شعبان محمد خلف . هتغاريا والحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢١٨م / ٤٨٩-٦١٤هـ) . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة المنيا عام ٢٠٠٤م، ص ١١ ، ومقدمة الترجمة الإنجليزية.

١- أنظر الترجمة الإنجليزية:

Odo of Deuil , *De Protectione Ludovici VII in Orientem*, ed. and Trans. by V. Berry, New York 1948 .

٢- عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص ٣٣

فوشيه الشارتري Fulcher of Chartres<sup>(١)</sup>.

مؤلف كتاب : Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium<sup>(٢)</sup>. أى : أعمال الفرنجية حجاج بيت المقدس. ويعد كتابه من المصادر اللاتينية الرئيسية عن التاريخ المبكر للعلاقات بين بيزنطة والغرب الأوربي في أخريات القرن الحادى عشر الميلادى، والرابع الأول من

١- فوشيه الشارتري ، ولد بفرنسا حوالى عام ١٠٥٩م وشارك فى الحملة الصليبية الأولى وهناك اعتقاد عن حضوره مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م وقد رافق بلدوين دى برون وأقام معه فى الرها Edessa حيث حكمها قرابة العامين. ومن بعد ذلك انتقل معه إلى بيت المقدس حيث حكمها بعد رحيل شقيقه جودفرى دى برون وصاحب بلدوين الأول حتى وفاته عام ١١١٨م ومكث فى تلك المدينة المقدسة حتى عام ١١٢٧م ، عنه أنظر:

Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem , Trans . by Frances Rita Rian , Tennessee 1969, pp. 3-56 .

فوشيه الشارتري ، تاريخ الحملة إلى القدس ، ت. زياد العسلى ط. عمان ١٩٩٥م، ص ١-١٢

السيد الباز العرينى ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ٣٧-٤٤ ، على أحمد السيد، المجلد والحرم الإبراهيمى فى عصر الحروب الصليبية، (١٠٩٩-١١٨٧م / ٤٩٢-٥٨٣هـ) . ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٨ حاشية (٢) ، نور الدين خاتوم، المدخل إلى التاريخ، ط. دمشق ١٩٦٥م، ص ٤١١ ، محمد مؤنس عوض، التنظيمات الدينية الحربية فى مملكة بيت المقدس اللاتينية ، القرنين ٦ ، ٧ / ١٢-١٣م، ط. رام الله ٢٠٠٤م، ص ٢١ ، إشارات أسراب الجراد وأثرها فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١١١٤-١١٥٩م ٥٠٩-٥٥٤هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م ، ص ٥٠-٥١ ، حاشية (٣) ، جلال حسنى سلامه، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، ط. نابلس ١٩٩٨م، ص ٢٥ ، سعيد البيشارى، الممتلكات الكنسية فى بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١٢٢٩م / ٤٩٢-٦٦٠هـ ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، ص ، نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٦٠هـ / ١٠٩٩-١٢٢٩م ط. عمان ١٩٩٠م، حاشية (١٠) ، ص ٢٨ ، الاستيطان الفرنجى فى بيت المقدس والمناطق المحيطة بها ١٠٩٩-١١٨٧م، ضمن بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد، وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٢٨٧ ، حاشية (١١) محمود الرضى، إمارة الرها الصليبية ، ص ٢٠-٢٥ مقبد الزيد، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية ، ط. عمان ٢٠٠٤م، ص ٢٢٩

٢- الترجمة الإنجليزية أشرت إليها من قبل وهناك ترجمتان إلى العربية الأولى إعداد قاسم عبده قاسم والثانية أعدها زياد العسلى ، وعنوانها على التالى تاريخ الحملة إلى القدس، ط. عمان ١٩٩٥م، سنة ١٩٩٠م، الوجد الصليبي فى الشرق العربى، الاستيطان الصليبي فى فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٨-١١٢٧م ، ط. الكويت، ١٩٩٣م.

القرن الثاني عشر الميلادي وقد عاصر ذلك المؤرخ عهد كل من الكيسوس كورنين (١٠٨٠-١١١٨م) وحنا كورنين (١١١٨-١١٤٣م) ويلاحظ أن تاريخه يتوقف عند عام ١١٢٧م. وقد شارك في الحملة الصليبية الأولى، وبعد كتابه مصدرًا أساسيًا عن أحداثها - رايوندا اجيل Raymond d'Aguilers<sup>(١)</sup> مؤلف كتاب تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس:

#### Historia Francorum qui Cepurunt Therusalen

شارك المؤرخ المذكور في أحداث الحملة الصليبية الأولى خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٠٩٥ ، ١٠٩٩م. وبعد كتابه من المصادر التاريخية الأساسية عن العلاقات بين الغرب الأوربي وبيزنطة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الحروب الصليبية.

- روبرت كلاري Rober of Clari<sup>(٢)</sup> له كتاب مقوط القسطنطينية The Fall of Con-stantinople<sup>(٣)</sup>.

- 
- ١- عن رايوندا اجيل أنظر: مقدمة الترجمة العربية التي لام بها حسين عطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م.  
٢- وتوجد ترجمة إنجليزية للكتاب من جانب جون هل ولورين هل وصدرت في فيلادلفيا ١٩٦٨م.  
Raymond d'Aguilers, Historia Francorum, Trans. by John Hill and Laurita Hille, Philadelphia 1968.

كما أن له ترجمة عربية قام بها حسين عطية أنظر:

- رايوندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت. حسين عطية ط. الاسكندرية ١٩٩٠م.  
٣- روبرت كلاري: ولد في كلاري Clari وهي التي تعرف باسم Clerly- les- Pernois. وبعد المؤرخ الفرنسي للصليبية الرابعة ١٢٠٣-١٢٠٤م. وقد شارك فيها على اعتبار أنه فصل تابع لبطرس الاميانى Piers of Amiens، وقيب بعد عماد أدرجه إلى فرنسا، ومن المحتمل أن ذلك حدث عام ١٢٠٥م. وقد توفي بعد عام ١٢١٦م، عنه أنظر  
O.D.B., vol. 2, p. 1799

- ٤- توجد ترجمة إنجليزية أعدها مكنيل وصدرت في نيويورك عام ١٩٣٦م، أنظر:  
Robert Clari, The Conquest of Constantinople, Trans. by E.H. McNeal, New York 1936.

وهناك ترجمة عربية قدها حسن حبشي أنظر:

روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ط. القاهرة ١٩٦٤م.

ويعد مصدراً يتسم بالأهمية عن أحداث الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية عام ١٢٠٤م على أيدي اللاتين ، ويلاحظ أنه يتفق مع جوفري أوف فلهااردوين فسران تحول الحملة إلى القسطنطينية حدث نتيجة تطور بعض الأحداث ولم يحدث من خلال مؤامرة بندقية<sup>(١)</sup>.

جوفري أوف فلهااردوين Geoffrey of Villeharduin<sup>(٢)</sup> وله كتاب The Conquest of Constantiople<sup>(٣)</sup> أي غزو القسطنطينية.

الكتاب المذكور ، مصدر أساسي لأحداث الحملة الصليبية الرابعة وسقوط العاصمة البيزنطية خلالها عام ١٢٠٤م بالإضافة إلى ما كتبه روبرت كلاري Robert of Clari ومجموعة مصادر معاصرة أخرى، ويقدم لنا فلهااردوين وجهة نظر فرنسية لتلك الأحداث .

أوتو الفريزي<sup>(٤)</sup> Otto of Freising

O.D.B., vol. ii. p. 1799 .

-١

٢- جوفري أوف فلهااردوين : مؤرخ فرنسي ، ولد بالقرب من تروي Troyes لمل عام ١١٥٢م، ويعد المؤرخ الفرنسي للحملة الصليبية الرابعة، وقد توفي فيما بين عامي ١٢١٢ . ١٢١٨م عنه انظر : O.D.B., vol 3, p. 2169.

Bear, Villehardouin : Epic Historia, Geneva 1968 .

٣- توجد طبعة فرنسية قام بها فرال أنظر : Villeharduin, la Conquete de Constantinople, ed . E. Farrat . 2 vols , Paris 1938-1939

توجد ترجمة إنجليزية Villeharduin, Chronicles of the Crusades, Trans. by Shaw, Penguin Book, London 1963 .

وهناك ترجمة عربية قام بها حسن حشبي، تحت عنوان مذكرات فلهااردوين فتح القسطنطينية . ط. جدة ١٩٨٢م.

٤- أوتو الفريزي : ولد عام ١١١٤م .. وفيما بعد عمل كاسقف فريزيغ، ويلاحظ أنه عم الامبراطور فردريك بارباروسا وتعرف أنه ألف كتابين شهيرين هما : كتاب المدينتين ، وأعمال الامبراطور فردريك الأول. ويعتبره هاري المزبارتز أول فيلسوف للتاريخ يستحق الذكر في العصور الوسطى، ومن المتصور أن ذلك القول بحوى مبالغه واضحه . وقد توفي ذلك المؤرخ عام ١١٥٨م تقريباً . عنه أنظر: جوزيف دهموس، سبعة مؤرخين في العصور الوسطى، ت . محمد فتحي الشاعر، ط. القاهرة ١٩٨٩م، ص١٢١-١٥٢



مؤلف كتاب *The Deeds of Frederick Barbarossa* <sup>(١)</sup> أى أعمال فردريك بارباروسا ، وهو امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة خلال المرحلة من ١١٥٢ إلى ١١٩٠م وقد دخل فى علاقات عدائية - بصورة متعددة- مع الإمبراطورية البيزنطية ووصل الأمر إلى حد الصدام المسلح بين قواته والبيزنطيين ، بل فكر جدياً فى غزو القسطنطينة دون أن يتمكن من تحقيق ذلك .

وليم الصورى William of Tyre <sup>(٢)</sup> .

مؤلف كتاب : *Historia Rerum Impartibus Transmarinis gestarum* .

=عبد اللطيف عبد الهادى السيد ، «دراسة نقدية لمنهج الكتابة التاريخية عند جاك دى فترى» . ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى تحرير محمد مؤنس عوض . ط . القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ١٦٧ هارى المزارتز ، تاريخ الكتابة التاريخية . ص ١٢٣ - ١٢٤

١- الترجمة الانجليزية Ouo of Frising , The Deeds of Frederick Barbarossa, Trans. by Charles Microw , Toronto 1966 .

٢- وليم الصورى : هو المؤرخ الرسمى لمملكة بيت المقدس الصليبية فى القسم الأكبر من القرن ١٢ . ولد فى بيت المقدس عام ١١٢٧م من أبوين فرنسيين ، وينسب التفرقة بين اثنين من الأشخاص حملتا اسم وليم الصورى . أولهما وليم الصورى ؛ وهو إنجليزى شغل منصب حارس القبر المقدس A Historian والثانى المؤرخ الصليبي البارز وقد كان مؤرخاً على معرفة بسميه الانجليزى ، وقد تلقى مؤرخنا تعليمه الأولى فى احدى المدارس التابعة للأديرة ونسبا بعد سافر إلى الغرب الأوربي حيث تتلمذ هناك على مراكز العلم خلال نهضة القرن الثانى عشر لمدة عشرين عاما فيما بين عامي ١١٤٦م-١١٦٥م . وعندما عاد أدراجه إلى المملكة الصليبية خلال عهد الملك عمورى الأول ١١٦٣م-١١٧٤م جعله مؤدباً لابنه بلدوين الرابع . وطلب منه تأليف تاريخ للمملكة الصليبية وبالفعل ألف تاريخ الأعمال وتاريخ الأمرا ، الشرقيين والأخير مفقود . وقد مات مسوماً فى ١٩ سبتمبر عام ١١٨٦م كما قرر البعض ، عنه أنظر

Edbury and Rowe . William of Tyre Historian of the latin East, Cabridge, 1988, pp. 13-173.  
Krey. " William of Tyre , The making of an historian in the Middle Ages", S. vol XVI, 1941 . pp. 149-166 , Davis", William of Tyre' in Barker (ed) . Relations between East and West i the Middle Ages, Edinburgh 1973 . pp. 64-75 . Vissey , " William of Tyre and the art of Historiography" M.S., vol XXXV, 1973 . pp. 433-455 , Edbury." William of Tyre, A Historian, of the Crusades and the Kingdom of Jerusalem (1130-1148), B.F.A.A.U., 1988, pp 43-52 . =

وترجمته الانجليزية A History of deeds done beyond The Sea وهو عمدة مؤرخي الصليبيين في القرن الثاني عشر الميلادي، وقد عمل رئيساً لأساقفة صور Tyre وهو مؤرخ يعد مصدراً أساسياً للعلاقات البيزنطية - الأنطاكية- الايطالية خاصة خلال المرحلة الممتدة بين عامي ١١٢٧م ، ١١٨٤م وقد شارك ذلك المؤرخ في سفارات دبلوماسية ومؤتمرات إلى كل من روما والقسطنطينية ولذلك وصف بأنه صاحب إطلاع واسع على تطور العلاقات بين البيزنطيين والغرب الأوربي<sup>(١)</sup>.

ويعتبر كتابه<sup>(٢)</sup> مصدراً أساسياً لاغني عنه لتاريخ العلاقات الصليبية - البيزنطية منذ بداية اندلاع الحروب الصليبية حتى ثمانينيات القرن ١٢م خاصة خلال أحداث الحطتين الأولى، والثانية ، ويلاحظ كراهيته الشديدة لبيزنطة على نحو خاص، ويعدها دوماً خائنة للصليبيين.

---

Hanimad , Latin and Muslim Historiography of the Crusades, Acomperative Study of Wil-  
liam of Tyre and 127 Addin Ibn Alathir , ph. D., Pennsylvania Universty 1987 .

وهناك فصل مترجم منها في الكتاب الأتي مني حساد ، «وليام الصوري والصراع الفرنجي الإسلامي ١٠٩٩-١١٨٤م» ، ضمن كتاب أبحاث ودراسات في التاريخ العربي مهداة إلى ذكرى مصطفى الهباري، ١٩٩٨-١٩٩٨م، تحرير صالح الحمارة، الجامعة الأردنية ط. عمان ٢٠٠١م، ص٢٥٣-٢٧٥

وهي دراسة قيمة لمؤرخه أردنية متميزة وتنمى أن تكمل ترجمة فصول الرسالة المهدية بالترجمة.

سمايلى ، المؤرخون في العصور الوسطى، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص١٨٦-١٨٧  
عمر كمال توفيق ، «المؤرخ وليم الصوري» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية م( ٢١١) عام ١٩٦٧م  
تقديم حسن حشيش الرافى للترجمة العربية لتاريخ وليم الصوري ج١، ص١٠-٤٠ ، محمد مؤنس عوض ،  
وليم الصوري مؤرخاً للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة من ١١٣٧-١١٥٠م /  
٥٣٢-٥٤٥هـ سلسلة دراسات شرق أوسطية مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس ، ط. القاهرة  
١٩٩٥م، الحروب الصليبية دراسات تاريخية وتقنية ط. عمان ١٩٩٩م، ص٦٣-١٠٤ ، محمد الرضى ،  
إمارة الرها الصليبية ، ص٣٩-٤٢

١- عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٣٥

٢- فيما يتصل بكتاب وليم الصوري نجد أن النص اللاتيني يوجد في مجموعة مؤرخي الحروب

الصليبية، المؤرخون الغربيون ، المجلد الأول، R.H.C.,T.I. Hist. Occ.

بنيامين التطيلي<sup>(١)</sup> Benjamin of Tudela ، وله رحلته<sup>(٢)</sup> .

= وهناك ترجمة إنجليزية قام بها بابكوك وكراى وصدرت فى نيويورك عام ١٩٤٨م تحت عنوان:  
A History of deeds done Beyond The Sea , Trans . by E.A. Babcock and A.B. Krey , 2 vols  
., New York 1948 .

كذلك اهتم هاينز بنشر ترجمة أخرى لتاريخ وليم الصورى أنظر:  
Guillaume de Tyre, Chronicon, ed. Robert B.C. Haygens, Corpus  
Continatio, 2 vols ., Turnhout 1986 .

كذلك لانغفل اهتماما، هاينز السابق بنشر الفصل المنقود فى تاريخ وليم الصورى عن ذلك أنظر:  
= Huygens . : La Tradition manuscrite de Guillaume de Tyr" S.M., . ser. 3, no . 5, 1964,  
pp. 281-373 .

وهناك ترجمتان عربيتان فى صورة جهد كل من سهيل زكار . ط. دمشق ١٩٩٠م حسن حيشى، (٤)  
أجزاء ١، ج ١، ط. القاهرة ١٩٩١م، ج ٢، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ج ٣، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ج ٤، ط. القاهرة  
١٩٩٥م. ويلاحظ أن المترجم الأخير زود ترجمته بتعليقات ثرية وقبحة.

١- بنيامين التطيلي ؛ هو الرى بنيامين ، والده يدعى يوحنا Jonah؛ رحالة يهودى أسانى ارحل إلى  
الشرق من مدينة تطيلة Tudela، وقام بالتجوال فى مناطق متعددة فى جنوبى فرنسا، واطالبا واليونان وبلاد  
الشام والعراق ومصر وغيرها، ثم عاد أدراجه إلى أسانبا فى سبعينيات القرن الثانى عشر الميلادى، وقد  
تصورت خطأ فى بعض كنى السابقة أنه من طليطلة والصواب ما أثبتته هنا، عنه أنظر:  
Ency . Jud., " Benjamin of Tudela" Jerusalem 1973 , vol IV , pp. 535-538 .

Wright, Early Travels in Palestine London 1848, p. 63 .

Roth, Ashort History of the Jewish People , London 1953 . p. 16 .

Mayer, Bibliographie Zur Geschichte der Krenzzuge , Hannover 1965 . p. 65.

Rohricht , Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heiligen Landes . Bezue-  
glichen Literatur , von 333 Bis 1878. Berlin 1878, pp. 37-38 .

صلاح الدين المسجد ، المشرق فى نظر المغاربة والأندلسيين فى القرون الوسطى، ط. بيروت ١٩٦٣م،

ص ٢٨

٢- هناك ترجمة إنجليزية لرحلة بنيامين التطيلي قام بها رايت فى كتابه عن الرحلات المبكرة فى فلسطين  
الصادر فى لندن ١٨٤٨م والمشار إليه من قبل

كما أن هناك ترجمة عربية على يدى عزرا حداد، وصدرت فى بغداد عام ١٩٤٥م، كذلك أعيد نشر  
الترجمة المذكورة مع مقدمة من جانب عبد الرحمن عبدالله الشيخ، وسدر من الجمع الثقافى أبوظهى عام

وقد قدم إلى الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠ م) ، ووصف أهم معالم العاصمة البيزنطية حينذاك ، وأفادت رحلته في لقاء الضراء على الحضارة البيزنطية ومظاهرها العمرانية في عهد أسرة آل كومنين.

وهكذا ؛ يتأكد لنا أن الرحلات من المصادر الأساسية في التاريخ البيزنطي حيث زار القسطنطينية عشرات الرحالة الذين دونوا رحلاتهم واهتموا بجوانب لم تهتم بها حواريات المؤرخين ولذا نقول أن الرحلة - ويحق - هي عين الجغرافيا المبرصة

٦٣- ماريوسانودو Marian Sanudo<sup>(١)</sup> مؤلف كتاب *Secreta Fidelium Crucis* أي: أسرار للصليبيين الحقيقيين<sup>(٢)</sup> وقد قدمه إلى البابا كليمنت الخامس Clement V (١٣٠٥-١٣١٤م)

كما ألف تاريخاً لاتينياً عن الإمارة الفرنجية وبيزنطة، وظل قائماً على أساس ترجمة بندقية بعنوان *Istoria del regno di Romania* ويلقى أحياناً كاشفة فريدة على دور ميخائيل الثامن -Mi chael VIII في إستعادة القسطنطينية

١- ماريوس سانودو الملقب بالكبير *The Elder* ، تاجر ودبلوماسي ومؤرخ بندقي ، ولد عام ١٢٧٠م. ومات بعد ٩ مارس ١٣٤٣م، وقد انحدر من عائلة بندقية أرستقراطية وتعلم أنه ارتحل إلى مناطق متعددة في نطاق البحر المتوسط خلال المرحلة الممتدة من عام ١٢٨٩م إلى ١٣٣٣م ، وكان يدعو إلى القيام بحملة صليبية ضد مصر كذلك دعا إلى وحدة الكنائس ، وقد توفي عام ١٣٤٣م، عنه أنظر : جمال فاروق الوكيل، تطور استراتيجية الحروب الصليبية في القرن الرابع عشر الميلادي في ضوء كتابات ماريوس سانوتو، رسالة جامعة طنطا عام ٢٠٠٦م، ص٥٨-٥٩ وانظر بعض الرسائل المترجمة ص١٣٣-١٥٩ حسين السيد مشولى النحال، الحروب الصليبية المتأخرة على مصر وتونس في أواخر العصور الوسطى ١٣٦٥-١٤٠٧م، رسالة دكتوراء غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس ع. ١٩٩١م، ص١١٥ -١١٧ O.D.B., vol . III, p. 1840 .

محمد مؤسس عوض، الرحالة الأوروبيون في العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص١٠٣-١٠٩  
٢- هناك ترجمة إنجليزية قام بها أوبري ستورانت انظر *Marino Santo, Secrets for True Crusaders to help Them to recover The Holy land Aubrey Stewart , P.P. T.S. vol V 2 , london 1896 .*

وهناك ترجمة عربية غير مكتملة ، أنظر ماريوس سانوتو كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها ت. الأب سليم رزق الله ط. بيروت ١٩٩١م.

كذلك ينسب له تأليف تاريخ مختصر باللاتينية عن ضعف ، وإنهيار الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية<sup>(١)</sup> وجهود بلدوين الثاني Baldwin II (١٢٢٨-١٢٦١م) ولمارينو سانودو رسائله<sup>(٢)</sup> ، وتبلغ (٤٢) رسالة كتبها فيما بين أعوام ١٣٢٣م، ١٣٣٦-١٣٣٧م، خاضب فيها - على سبيل المثال- أندرونيكوس الثاني باليولوجوس An-dronicos II Palaiologos ، وستيفن سيروبولوس Stephen Syropoulos وجيروم الأسقف الفرنسيكان لكافا Jerom. Franciscan bishop of kaffa

١- عن ذلك التاريخ أنظر نشر سي . هوف له في برلين عام ١٨٧٣م.

C.Hoph. Chroniques greco romanes , Berlin 1873 .

O.D.B.. vol 3 , p. 1840 .

عن ذلك أنظر :

٢- عن رسائل مارينو سانودو انظر نشرها على يدى سربلى فى مجلة بيليفيليا العدد (٤٢) عام ١٩٤٠م.

A. Cerlini, Nuove lettere di Marine Sanudo il Vecchio", La bibliofilia. 42 , 1940, pp. 321-459

وكافة هذه المعلومات بجدها القارئ فى:

O.D.B.. vol 3, p. 1873 .

ويلاحظ أن الباحث رودى S. Roddy أعد أطروحة للدكتوراه عن مراسلات مارينو سانودو ونشرت فى جامعة بنسلفانيا عام ١٩٧١م، انظر:

S.Roddy. The Correspondence of Marino Sanudu Torsello, Ph. D., Sanudu Torsello, Ph. D., University of Pennsylvania 1971

O.D.B vol 3, p. 1873 .

عن ذلك

### ثالثاً : المصادر الأرمينية :

متى الرهاوى Mathieu d'Edesse<sup>(١)</sup> وله حوليته Chronique<sup>(٢)</sup>.

عاصر المؤرخ المذكور القرن الثاني عشر الميلادي، ووصف بأنه شاهد عيان لأحداث متعددة مرت بها إمارة الرها أولى الإمارات التي أقامها الغزاة الصليبيون في الشرق وتبدأ حوليته بأحداث عام ٩٥٢م وتقتد حتى عام ١١٣٦م . وقد رتب الوقائع التاريخية وفق التقويم الأرميني اعتماداً على مصادر شفوية ومكتوبة ووفق ما قرره ؛ فقد استغرق ثمانى أعوام فى تأليفها

وعمل جريجورى الراهب Gregory The Priest على تكملته ووصل بالأحداث حتى عام ١١٦٢م<sup>(٣)</sup>.

١- متى الرهاوى ؛ راهب ومؤرخ ولد فى الرها Edesaa . ولد عمل رئيساً لأحد أديرتها . ومن المقرر أنه كان موجوداً فى مدينة كيسوم عام ١١٣٦م . وهو العام الذى قام فيه محمد بن غازى بن الدانشمند بجماعتها . وهناك من يقرر أنه توفي خلال حصار الأتابك عماد الدين زنكى لتلك الإمارة الصليبية عام ١١٤٤م . وقد وصف بأنه من شهود العيان لأحداث سياسية ، وحرية مهمة حلت بتلك الإمارة . وكذلك بالعلاقات بين الأرمن والبيزنطيين عنه أنظر:

فايز نجيب اسكندر ، متى الرهاوى والحملة الصليبية الأولى (١٠٩٥ - ١٠٩٩م / ٤٨٨ - ٤٩٢هـ) . ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى . ط. المنصورة ب-ت، ص ١٥-١٦  
عليه المجزورى ، إمارة الرها الصليبية ، ص ٤٤ . . ط. القاهرة ١٩٨٦م ص ١١ . عادل زيتون . العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٣٩ ، حسين عطية ، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون . ط. الاسكندرية ، ص ٦٤ محمود الرويضى ، إمارة الرها الصليبية ، ص ٤٤ ، حاشية (٤)

٢- للحولية المذكورة ترجمة فرنسية قام بها م.ب. بولكلرين . وصدرت فى باريس عام ١٨٥٨م . عن ذلك انظر:

Mathieu d'Edesse. Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136). avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusque 1162, ed. M.B Bulquerier , Paris 1858 .

R.H.C. Hist. Arm. vol 1 , pp. 1-150 . كما نشر فى مجموعة :

أيضاً محمد مؤنس عوض . فصول بيبليوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية . ط. القاهرة ١٩٩٦م . ص ٣٢

ATiya, The Crusade, Historiography and Bibliography, London 1962 , p. 42

O.D.B., vol II , p. 1316 .

وبصفة عامة؛ تعد حولية متى الرهاوى مصدراً أساسياً للتاريخ البيزنطي ، والصليبي،  
والتركي في كيليكيا Cilicia، وآسيا الصغرى Asia Minor<sup>(١)</sup>.

ولا تغفل ؛ أنه عارض الإمبراطورية البيزنطية مثل غيره من المؤرخين الأرمن<sup>(٢)</sup> ، ومع ذلك  
نلاحظ امتداحه لعدد من الأباطرة مثل باسل الثاني وغيره .

- سيبوس Sebeos<sup>(٣)</sup> ، تاريخ هرقل Histoire d'Heraclius<sup>(٤)</sup>.

والمؤرخ أرميني معاصر للفتوحات الإسلامية ضد الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع،  
وتعد حولية مهمة عن عصر الإمبراطور هرقل، وقد أفاد منه مؤرخ أرميني آخر هو جيفوند  
Ghévond.

ويلاحظ أن سيبوس تعرض في تاريخه لمعركة اليرموك عام ٦٣٦م وانتصار المسلمين  
الحاسم فيها ضد البيزنطيين .

- جيفوند Ghévond<sup>(٥)</sup> ، كتاب : تاريخ حروب وفتوح العرب في أرمينيا؛

Histoire des Guerres et des Conquetes des Arabes en Armenie.<sup>(٦)</sup>

يبدأ تاريخه بعام ٦٣٢م، ويستمر في إيراد الأحداث التاريخية حتى عام ٧٩٠م ؛ أي  
على مدى ما زاد على قرن ونصف من الزمان . ويوصف ذلك المؤرخ وكتابه بأنه من المصادر  
المهمة في التاريخ الأرميني في العصور الوسطى وتاريخ بيزنطة خلال القرن السابع ، والثامن  
الميلادي.

O.D.B., vol. 2, p. 1310 .

-١

-٢ عادل زيتون ، العلاقات الكنسية ، ص٣٩

-٣ عنه أنظر . O.D.B., vol. III, p. 1863 .

-٤ أنظر الترجمة الفرنسية

Scheos . Histoire d'Heraclius, Trad. Par F. Macler , Paris 1904 .

-٥ جيفوند ؛ عالم لاهوتي ، ومؤرخ عاصر القرن الثامن الميلادي . وعمل مستشاراً للكنيسة الأرمنية  
عنه أنظر:

فايز نجيب إسكندر ، الفتوحات الإسلامية لأرمينية (١١-٤٠ هـ / ٦٢٢-٦٦١م) ، ج ١ ، ط.  
الاسكندرية ١٩٨٣م، ص٣-١٣

-٦ أنظر الترجمة الفرنسية:

Ghevond , Histoire des Guerres et des Conquete des Arabes en Armenie, Trad. Par. G.V.  
Chahnazarians, Paris, 1856

عن ذلك انظر: فايز اسكندر ، المرجع السابق ، ص٤.

صموئيل من أنى<sup>(١١)</sup> Samuel of Ani مؤلف حولية<sup>(١٢)</sup>:

وقد تناول فيها الأحداث منذ ميلاد السيد المسيح حتى عام ١١٧٩م، وتعرض خلالها للأحداث التي مرت بأرمينيا وعهود الأباطرة البيزنطيين حتى القرن الثاني عشر الميلادي ، ويفيد كتابه في دراسة السياسة البيزنطية في الأناضول ويلاحظ أن الكثيرين من الكتاب الأرمن في القرن الثالث عشر أفادوا منه بما عكس أهميته، بل إن هناك ذيولاً ألفت لتكملة وقائع تاريخه

موسى خورنوبه<sup>(١٣)</sup> Moses Khorenots مؤلف كتاب تاريخ الأرمن<sup>(١٤)</sup> History of the Armenians.

١- صموئيل بن أنى . كاتب حوليات وراهب ، لا تعرف إلا القليل عن حياته . ويقال أن البطريرك الأرميني لكليكييا Cilicia ويدعى جريجورى Gregory ، ومن المحتمل أنه جريجورى الثالث (١١١٣-١١٦٦م) ؛ طلب منه أن يكتب حوليته

O.D.B., vol. 3, p. 1837 - 1838 .

عنه أنظر

فايز نجيب اسكندر، استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية أنى، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م

٢- تم نشر الحولية المذكورة في الباتولوجيا اليونانية P.G 19: 607-742 ، وهناك ترجمة فرنسية . قام بها م.ف بروسية M.F. Brosset ونشرت في مجموعة مؤرخى الأرمن، المجلد الثاني، ط. ستراسبورج ١٨٧٦م، أنظر:

C. H.A., vol. II , Strasburg 1876

وأعيدت طباعته في امستردام عام ١٩٧٩م.

O.D.B., vol 3, p. 1883

عن ذلك انظر:

كذلك نجد مقتطفات منها لدى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية الوثائق الأرمينية R.H.C., Docau-ments Armeniens.

عن ذلك انظر: محمد مؤنس عوض ، فصول بيليوغرافية، ص٣٣

Atiya, Op. cit , p. 43

٣- عنه أنظر محمد عبد الشافي المغربي، ملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م، ص٢٤

٤- أنظر الترجمة الإنجليزية للتاريخ المذكور التي أعدها روبرت و. طوسون ، وصدرت في لندن ١٩٧٨م.



وهو مؤرخ أرمني معاصر للقرن السابع الميلادي، قدم في كتابه إشارات مهمة عن علاقة الإمبراطورية البيزنطية بالقوى السياسية المجاورة لها، ومنها الخزر، ولذلك عد من المصادر المهمة في ذلك القرن الذي شهد تحولات محورية في التاريخ البيزنطي.

### رابعاً : المصادر السريانية :

ميخائيل السرياني<sup>(١)</sup> Michael le Syrien مؤلف حولية Chronique<sup>(٢)</sup>.

= عن ذلك أنظر:

Moses khorenots, History of the Armenians , Trans. and Commentarty on the literary Sources by Robert W. Thomson , London 1978 .

١- ميخائيل السرياني ؛ ولد عام ١١٢٦م . وفيما بعد ؛ صار راهباً ثم أصبح رئيساً لدير سمعان إلى أن تولى منصب بطريرك أنطاكية على مدى المرحلة الواقعة بين عامي ١١٦٦م إلى ١١٩٩م ؛ أي على مدى ثلاثين عاماً . وقد ألف عدة مؤلفات دينية خاصة بطقوس الكنيسة السريانية . وتوفي في العام الأخير عن عمر بلغ نحو ٧٣ عاماً ، عنه أنظر Atiyya, The Crusade, Historiography and Bibliography, p. 43

O.D.B., vol . II , pp. 1362-1363 .

Cahen , la Syrie du nord a' L'epoque des Croisades , p. 97

حسين عطيه ، إمارة أنطاكية الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م ، ص٣٠ ، إمارة أنطاكية والمسلمون ، ص٦٣ ، محمد مؤنس عوض، فصول بيليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٣٣ ، محمود الرويضي ، إمارة الرها الصليبية ، ص٤٨ ، حاشية (٤) ، على العواصي . مواقف نصاري الشام ومصر من الحروب الصليبية في الفترة من ٥٤٨٨ / ١٠٩٥م إلى ٥٦٩٠ / ١٢٩٩م رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٩٩م ، ص١٦ ، فايز نجيب اسكندر ، الفتوحات الإسلامية الأرمنية ، ص١٠٥ ، حاشية (١٨٧)

٢- قام ج.ب. شاهر بترجمة الحولية المذكورة إلى الفرنسية وصدرت في ٤ أجزاء في باريس بين عامي ١٨٩٩م ، ١٩٢٤م، عن ذلك أنظر:

Michael le Syrien, Chronique du Michael Le Syrien Patriarche Jacobite, d' Antioche (1166-1199) , ed. Trad. Par . J.B. Chabot, 4 vols ., Paris 1899-1924 .

وقد عاصر القرن الثاني عشر الميلادي، وبالتحديد خلال المرحلة الممتدة من ١١٢٦م إلى ١١٩٩م وتعد حوليته بمثابة العمل الرئيسي المتكامل في اللغة السريانية، وتستمد أهميتها من أهمية مؤلفها الذي عمل بطبريوكًا لأنطاكية Antioch حاضرة شمالي بلاد الشام على مدى ثلاثة وثلاثين عامًا.

تجدر الإشارة : تألفت الحولية المذكورة من (٢١) كتاباً ألفت على النمط الحولي، وتناول فيها ميشيل السرياني الأحداث منذ بدء الخليقة حتى عام ١١٩٥م، أي حتى قبل وفاته بأربعة أعوام<sup>(١١)</sup>.

- ابن العبري<sup>(١٢)</sup> الملطى المعروف باسم بارهيراؤوس Barhebraeus

مؤلف كتاب<sup>(١٣)</sup> The Chronography of Georgory Abul Farag

وقد تعرض في تاريخه لجوانب متعددة عن علاقات بيننطة السياسية الخارجية ومنها صراعها مع المسلمين والصليبيين حتى النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي. وله أيضاً تاريخ مختصر الدول وهو من المؤلفات المهمة خاصة في وقائع القرن الثالث عشر الميلادي حيث عاصرها ذلك المؤرخ .

١- وقد قرر الباحث محمود الرويضي أن الحولية المذكورة تناولت الأحداث الواقعة منذ بدء الخليقة حتى زمن هشوم ملك أرمينية الصغرى (١٢٢٤-١٢٥٢م) غير أن ذلك القول مردود نظراً لوفاة ميشيل السرياني عام ١١٩٩م . انظر رأى الباحث . محمود الرويضي، إمارة الرها الصليبية، ص٤٩، حاشية (١١)

٢- ابن العبري : أبو الفرح غريغوريوس بن أهرون الملطى ولد عام ١٢٢٦م . ويبدو أن أباه كان على الديانة اليهودية ثم تحول إلى البعقوبية . وقد درس ابن العبري في مطبنة بالجزيرة اللغات اليونانية والسريانية والعربية ، كذلك درس اللاهوت ، والطب ، والفلسفة ، ومع مقدم الفزوز المعرفي إلى أنطاكية ويقال أنه انجبه إلى سلك الرهبنة . وقد توفي عام ١٢٨٦م . عنه أنظر :

شاكور مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون ، ط١ . بيروت ١٩٨٠م، ج٢، ص٤٥٥-٤٥٦

٣- أنظر الترجمة الإنجليزية

Bar Hebraeus, The Chronography of Gregory Abul Farag . The Son of the Aron, Trans. to English from the Syriac by E.A.W. Budge, Oxford 1932

- مجهول، الحولية السريانية المجهولة The Anonymous Syriac Chronicle<sup>(١١)</sup>.

وتتناول أحداث خاصة بالقرن الثاني عشر الميلادي وتلقى الضوء على علاقات بيزنطة بالفقري الإسلامية والصليبية وتفيد فيما يتصل بأحداث الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية.

### خاصاً : المصادر الروسية

ومن أمثلتها ما ألفه نسطور Nestore تحت عنوان حولية نسطور<sup>(١٢)</sup> Chronicle of Nes-tor وتعرف على أنها حولية وقائع الأيام الخالية، وفيها قام نسطور بالتأثر بالكتابة التاريخية البيزنطية، وهي تفيد في إلقاء الضوء على العلاقات بين الروس والإمبراطورية البيزنطية حيث أورد أمر المعاهدات التي أبرمت بين الجانبين خلال القرنين العاشر، والحادي عشر الميلاديين على نحو مفصل، مثلما تجده في معاهدات أعوام ٩٠٧م، ٩١١م، ٩٤٥م، ٩٧١م مما عكس أهميتها التاريخية.

### حولية نوفجورد<sup>(١٣)</sup> The Chronicle of Novgord

وهي حولية تهتم بتاريخ إحدى المدن الروسية في صورة نوفجورد خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٠١٦، ١٤٧١م أي على مدى خمسة قرون وهي تفيد في أمر العلاقات الروسية البيزنطية

### ١- أنظر الترجمة الإنجليزية:

The First and Second Crusades From an Anonymous Syriac Chronicle, ed. and Trans. by A.S. Tritton and H. Gibb, J.R.A.S., vol. pp. 273-306 .

وهناك ترجمة عربية قام بها سهيل زكار انظر: مجهول، الحملتان الصليبتان الأولى والثانية، ت. سهيل زكار في كتاب الحروب الصليبية، ج ١، ط. دمشق ١٩٨٤م.

٢- ولد نسطور حوالي عام ١٠٥٠م ووصف بأنه كان راهباً في دير الكهوف Caves Monastery عند كييف Kiev منذ الربع الأخير من القرن الحادي عشر وحتى بداية القرن الثاني عشر الميلاديين، وقد ألف عدة مؤلفات عن القديسين بوريس وجليب Gleb وهي ابني فلاديجير الذين تم قتلها عام ١٠٨٠م عنه أنظر

طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي ٩٤٥-٥٤٠م، ط القاهرة ٢٠٠١م، ص ٥٤ من المقدمة

٣- عن الحولية المذكورة انظر: طارق منصور، المرجع السابق، ص ٥٤ من المقدمة.

## سادساً : المصادر العربية

لايخلو مصدر جغرافى أو تاريخى عربى منذ القرن الثامن حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادى من إشارات هنا وهناك عن العلاقات الإسلامية - البيزنطية، ولذا سأعرض لنماذج مختاره - منها

من أمثلة تلك المصادر الجغرافية : نذكر المسعودى<sup>(١)</sup> ( ت ٩٥٧م) وكتابه مروج الذهب ، وابن خردادبة<sup>(٢)</sup> (ت ٨٨٥م) وكتابه المسالك والممالك ، وابن رسته<sup>(٣)</sup> (ت ٩١٢م) وكتابه الأعلاق النفيسة ، وابن فضلان<sup>(٤)</sup> (ت ق ١٠م) وابن بطوطة<sup>(٥)</sup> (ت ١٣٧٧م) فى رحلتيهما وشيخ الربيوة الدمشقى<sup>(٦)</sup> (ت ١٣٢٦م) وكتابه نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر والادريسي (ت ١١٦٦م) وكتابه نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق وأبو الفداء<sup>(٨)</sup> (ت ١٣٣٢م) وكتابه

١- عنه أنظر: دمترى ميكولسكى ، المسعودى هيروودت العرب، ت- عادل إسماعيل مراجعة نوفل ينف ط. دمشق ٢٠٠٦م ، ص٦٥-٢٠٨

٢- عنه أنظر السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب ، ط. الاسكندرية ١٩٧٦م، ص١٨٨ الفاخورى، تاريخ الأدب العربى ، ط. بيروت ب-ت ٧٧٣

٣- عنه أنظر دائرة المعارف الإسلامية ، مادة «ابن رسته».

٤- عنه أنظر نقولا زيادة الجغرافية والرحلات عند العرب ، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص١٤١ - ١٤٩

٥- عنه أنظر دائرة المعارف الإسلامية مادة «ابن بطوطة»

٦- عنه أنظر: كرانسكوفسكى، تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ت. صلاح الدين هاشم ، ط. القاهرة

١٩٥٧م، ج ١، ص٣٨٦

٧- عنه أنظر: محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية .

ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص١٧-٧٢ ، أحمد سوسه ، الشريف الإدريسي فى الجغرافية العربية ، ط. تونس

١٩٧٤م، ابراهيم خورى، الشريف الإدريسي نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مركز زايد للتراث والتاريخ ، ط.

أبرطلى ٢٠٠٠م، ص١٧-٤٧

٨- عنه أنظر: عبد الرحمن حميفة ، أبو الفداء ، ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء ، صاحب حياه فى

ذكرى مرور سبعائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م، ط. دمشق - ١٩٧٤م، ص٧-٢٣ ، سهيل زكار، أبو

الفداء، ضمن الكتاب السابق، ص٢٤-٤١ ، حسن الساعانى ، «منهج أبى الفداء فى البحث»، الكتاب

السابق، ص٥٦-٧٤ ، مصطفى الحاج ابراهيم، «الآفاق الجغرافية عند أبى الفداء، وكتابه تقويم البلدان»

الكتاب السابق، ص١٣-١٥٠ ، كامل عباد ، المؤرخ أبو الفداء، وتزعمته العلمية ، الكتاب السابق.

ص٧٥-٩٥ عمر فردوخ أبو الفداء، وتعليل التاريخ، ص٩٦-١٢٩

تقويم البلدان، وياقوت الحموى<sup>(١١)</sup> (ت ١٢٢٨م) وكتابه معجم البلدان، والقزويني<sup>(١٢)</sup>، (ت ١٢٨٣م) وكتابه آثار البلاد وأخبار العباد وغيرهم من أوردت أسماءهم ومؤلفاتهم فى خاتمة المصادر والمراجع .

أما المصادر التاريخية، فنذكر من أمثلتها، الطبرى<sup>(١٣)</sup> (ت ٩٢٢م) وكتاب تاريخ الرسل والملوك والبلاذرى<sup>(١٤)</sup> (ت ٨٩٢م) وكتابه فتوح البلدان. وابن الأثير<sup>(١٥)</sup> (ت ١٢٣٢م) وكتابه

١- عنه أنظر: عباس فاضل السعدى، ياقوت الحموى دراسة فى التراث الجغرافى العربى مع التركيز على العراق فى معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص ٩-١٧

عبد على الخفاف ومحمد أحمد عقله . دراسات فى التراث الجغرافى العربى الاسلامى، ط. عامن ١٩٩٩م، ص ٧٤-٩٠ .

٢- عنه أنظر: ابن القوطى، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، تحقيق مصطفى جواد، بغداد ١٣٥١هـ، ص ١٣٠ . ابن الساعى، تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، ج ١٤ / ٢٠ ، ط. بغداد ١٩٦٧م، ص ٧١٥-٧٢٦

محمد مفيد آل ياسين ، الحياة الفكرية فى العراق فى القرن السابع الهجرى، ط. بغداد ١٩٧٩م، ص ٣١٧-٣١٧ . محمد مؤنس عوض . الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص ١١٣-١٣٤

٣- عنه أنظر أحمد الحوفى، الطبرى، ط. القاهرة ١٩٦٣م، على بكر حسن ، الطبرى ومنهجه فى التاريخ ط. القاهرة ٢٠٠٤م ص ١٨-٤٠ . مرغوليوث . دراسات عن المؤرخين العرب، ت. حسين نزار ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٩٩-١٠٧ . محمد الزحيلي ، الامام الطبرى ، ط. دمشق ١٩٩٠، ص ١٥-٨١

٤- عنه أنظر: محمد حاسم حصادى مشهدانى، موارد البلاذرى عن الأسرة الأموية فى أنساب الأشراف ط. مكة المكرمة ١٩٨١م، ج ١، ص ٤٤-٦٧

أبو الفداء، المختصر فى أخبار الشر، ط. حيدا ١٩٦٠م، ج ٤ ، ص ٣٨٩ . عبد القادر طلبات، ابن الأثير المؤرخ، ط. القاهرة ١٩٦٩م، فيصل السامر ، ابن الأثير، ط. بغداد ١٩٨٦م.

٥- عنه أنظر:

أبرشامة ، الذيل على الروضتين ، ط. القاهرة ١٣٦٦هـ، ص ١٣٥ . صلاح الدين المنجد . المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة، مجلة معهد المخطوطات العربية، م (٢) . ج (١) عدد مايو ١٩٥٦م، ص ٨٠ ، معجم المؤرخين الدمشقيين ، ط. بيروت ١٩٧٤ . ص ٣٤ . هاملتون جب. تاريخ دمشق ضمن كتاب صلاح الدين الأيوبي، دراسات فى التاريخ الإسلامى، ت. يوسف أبيض ، ط. بيروت ١٩٧٣م، ص ٤٠ . روزنتال ،

الكامل في التاريخ، وابن القلاسي<sup>(١)</sup> (ت ١١٦٠م) وكتابه ذيل تاريخ دمشق، وابن العديم الحلبي (ت ١٢٦١م) وكتابه زبدة الحلب .

ويلاحظ ، أن تلك المصادر تتناول أمر العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين بصورة أو بأخرى، مع إدراك أنه لا توجد هناك مصادر بلغة ما هي المتسيدة في البحث التاريخي عن الإمبراطورية البيزنطية. إذ أن كافة المصادر سواء كانت البيزنطية أو اللاتينية أو السريانية أو الأرمنية أو العربية جميعها تعين على الاقتراب قدر الإمكان من ذلك التاريخ الذي تعددت مصادره من خلال الاتساع المكاني والزمني لتلك الإمبراطورية

أما فيما يتصل بالملفوظات الحديثة عن التاريخ البيزنطي؛ فيتطلب الآن التعرض على نحو موجز للرحلة التي قطعتها الدراسات البيزنطية إلى أن وصلت إلى مطلع القرن الحادي والعشرين، وستركز الحديث إعتقاداً على أستروجورسكي- فيما يتصل بأوروبا ، ثم من خلال المتابعات الجيولوجرافية عن العالم العربي وخاصة مصر والأخيرة قانسة على ملاحظاتي الشخصية.

ويقر المؤرخ المذكور : أن هيرودوس ولف Hieronymus Wolf (١٥١٦-١٥٨٠م) عمل على أن ينشر حوليه حنا زوناراس John Zonaras ، وكذلك تاريخ نيكتاس خونياست Nicetas Choniates ، ونيقفوروس جريجوراس Nicephorus Gregoras ، وبالتالي بوصف بأن دوره العلمي يعد رائداً مقارنةً بمن أتى من بعده من الباحثين.

= علم التاريخ عند المسلمين . ت . صالح العلي . بيروت ١٩٨٣م . ص ٢٠٣ ، جمال فوزي محمد عمار . التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ٥٢١-٦٦٠ هـ . ط . القاهرة ٢٠٠١م . ص ٢٠٣ - ٢٢٥

١- عنه أنظر: ابن العديم . الدراري في ذكر الذراري . لمحقق علاء عبد الوهاب . ط . القاهرة ١٩٨٤م . ص ١١-١٠ ، عباس عزاري ، التعريف بالمؤرخين . ط . بغداد ١٩٨٧م . ص ٧٧-٧٨ ، شاکر مصطفى . التاريخ العربي والمؤرخون . ط . بيروت ١٩٧٩ . ج ٢ . ص ٣٦٣

٢- Ostrogorsky. History of the Byzantine State, p. 3 .

وتجدر الإشارة هنا؛ أنني اعتمدت اعتماداً أساسياً في الجزء الخاص بالملفوظات الحديثة عن التاريخ البيزنطي على العرض الجيولوجرافي الممتاز الذي قدمه أوسترو جورسكي

ولاتفغل ؛ أن القرن السابع عشر، وفي منتصفه على نحو خاص ، بدأت الدراسات البيزنطية تنتعش بصورة حقيقية كما قرر المؤرخ السالف الذكر، وخاصة من خلال الإزدهار الفكري في بلاط الملك الفرنسي لويس الثالث عشر Louis XIII (١٦١٠-١٦٤٣م) . ومن بعده وبصورة أكبر لويس الرابع عشر Louis XIV (١٦٤٣-١٧١٥م) <sup>(١١)</sup>.

جدير بالذكر ؛ من خلال رعاية الملك المذكور، ومن خلال دار نشر شهيرة هي كولبرت -Colbert التابعة للوثر Louvre بدأ نشر سلسلة كبيرة من أعمال المؤرخين البيزنطيين ، وكان أول ما صدر متمثل في تاريخ بوخنا كناكوزين John Contacuzene وذلك عام ١٦٤٥م. وفي عام ١٦٤٨م، صدر كتاب عن الامبراطور قسطنطين بورفيروجنيس -Constantine Porphyrogenitus هو : Constantine Porphyrogenitus Excerpta Legationibus <sup>(١٢)</sup>.

من ناحية أخرى، ظهر خلال القرن السابع عشر م عدد من كبار المؤرخين في صورة جوسيت فليب لاجيه Jesuits Philippe Labbé (١٦٠٧-١٦٦٧م) ، وببير جوسين -Pierre Pousines (١٦٠٩-١٦٨٦م) ، جاك جوا Jacques Goao (١٦٠١-١٦٥٣م) ، وفرانسوا كومبيف Francois Combefis (١٦٠٥-١٦٩٧م) و شارل أنيبال فابرو Charles Anni-hal Fabrou (١٥٨٠-١٦٥٩م)

---

= حيث خصص الصفحات المذكورة لتناول الدراسات البيزنطية حتى صدور الترجمة الإنجليزية للكتاب عام ١٩٥٦. مع عدم الغفال أنه خلال النصف قرن الأخير حدث تطور معرفي غير مسبوق كماً ونوعاً في حقل الدراسات البيزنطية في الغرب الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية.

ولمعرفة المزيد عن ذلك المؤرخ اليوغوسلافي الرائد واصداراته أشير إلى صدور كتاب تذكاري Memorial Book أو Melanges تكريمه من جانب فرانسوا باريسيك وسدر في بلغراد عام ١٩٩٣م. من جانب معهد الدراسات البيزنطية في بلغراد ، عنه أنظر:

Barisic (ed.) . Melanges Georges Ostrogorsky, Beograd 1963 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 4 .

أيضاً وسام عبد العزيز فرح، «الدولة البيزنطية بين أوهام النظرية وحقيقة الهوية»، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص١٧

Ibid, p. 4 .

ويقرر أوستروجورسكى أن المؤرخ دى كانج Du Cange (١٦١٠ - ١٦٨٨ م) يعد المؤسس الحقيقي للدراسات التاريخية البيزنطية<sup>(١)</sup>، وقد قام بنشر عدة مصادر مثل تاريخ يوحنا كيناموس John Kinnamos، وحوالية يوحنا زوناراس John Zonaras، وحوالية باسكال Paschal وقد قدم تعليقات مفصلة على تلك المصادر وهنا تكمن أهمية مجهوداته العلمية خلال تلك المرحلة المبكرة فى تاريخ الدراسات البيزنطية.

جدير بالإشارة ؛ قام المؤرخ المذكور بجهود وافر فى مختلف الدراسات كما فى التاريخ، الفيلولوجيا Philology (علم فقه اللغة) ، والطوبوغرافيا Topography، والنوميات المتصلة ببيزنطة وحتى منتصف القرن العشرين عندما أصدر استروجورسكى كتابه عن تاريخ الدولة البيزنطية أشار إلى أن الباحثين لا يزالون يستفيدون من مؤلفاته القيمة وقد أعد دى كانج عدة مؤلفات مثل:

- Histoire de L'empire de Constantinople Sous les empereurs Francais .
- Historia Byzantina duplici commentario illustrato.
- Constantinopolis Christiana .
- De Familiis byzantinis.

والعمل الأكبر فى الأهمية لكانج يتمثل فى قواميسه المتعددة عن البيروانية واللاتينية الرسيطة، ومنها .

Glosarium ad Scriptores mediae et infimae graecitatis.

وعلى الرغم من وجود قواميس متعددة ، إلا أن ذلك القاموس - على نحو خاص - بما احتواه من إشارات مصدرية متعددة ، وتعليقاته التاريخية بظلم - كما اعتقد استروجورسكى - من أدوات الباحثين فى حقل الدراسات البيزنطية<sup>(٢)</sup>.

وهناك رائد آخر من أولئك المؤرخين الرواد فى صورة جين مابيلون Jean Mabillon (١٦٣٢-١٧٠٧ م) الذى وضع أساس الدراسات العلمية البيزنطية من خلال الاعتماد على

Ostrogsky History of The Byzantime State, p. 4 .

-١

وعن مؤلفاته أنظر: . 4-5 p.

Ibid. p. 5 .

-٢



الوثائق الأصلية، ويعد جين مايلون معاصراً لكناج<sup>(١١)</sup> واكمل دوره ، كما نذكر برنارد دى مونثفاكون Bernard de Montfauco (١٦٠٥-١٧١١م)

وهو مؤلف دراسة: Paleographia Graeca

الباليوغرافيا اليونانية ، وبها افتتح دراسة الباليوغرافيا اليونانية -Greek Palaeography<sup>(١٢)</sup>.

كذلك هناك دور مهم قام به ميشيل ليكوين الدومينيكاني The Dominican Michel Lequien (١٦٦١-١٧٣٣م) من خلال عمله بعنوان : Oriens Christianus<sup>(١٣)</sup> .

كما نشير إلى دور قام به انسلمو بن ورو الراجوزى البندكتى The Benedictine Anselmo Banduri of Ragusa (١٦٧٠-١٧٤٣م) الذى ألف الامبراطورية الشرقية -Imperio Orientale ، ووفق ما قرره اوستروجورسكى احتوى على مادة طوبوغرافية ، وأثرية مهمة<sup>(١٤)</sup>.

ويقرر اوستروجورسكى : أن الدراسات البيزنطية قد واجهت إنتكاسة Setback فى القرن الثامن عشر م وذلك من جراء جهود مفكرى عصر الاستنارة الذين أعلنوا من شأن النزعة العقلية، ومنهم من نظر بازدراء للتاريخ البيزنطى ونذكر فى هذا الصدد المؤرخ الشهير إدوار جيبون Edward Gibbon<sup>(١٥)</sup> (١٧٣٧-١٧٩٤م) وكتابه الشهير: History of The decline and Fall of the Roman Empire.

١- أودارد جيبون، ولد فى ٢٧ أبريل ١٧٣٧م . وتلقى تعليمه المبكر فى وستمنستر Westminster .

٢- Ibid . p. 5 .

٣- Ibid . p. 5 .

٤- Ibid . p. 5 .

٥- أودارد جيبون، ولد فى ٢٧ أبريل ١٧٣٧م . وتلقى تعليمه المبكر فى وستمنستر Westminster . وفى عام ١٧٥٢م انتقل لمواصلة تعليمه فى كلية ماجدالن Magdalen College فى أكسفورد . وبعد إقامة قصيرة هناك، انجبه إلى لوزان Lausanne فى سويسرا . حيث مكث ٥ سنوات اهتم فيها بدراسة اللغة الفرنسية والأدب الكلاسيكى والأعمال التاريخية والفلسفة البارزة . ويقرر فازيليف أن تلك السنوات تركت أثرًا كبيرًا على عقلية الشاب ادوار جيبون وغدت سويسرا بالنسبة له بمثابة الوطن الثانى . وعندما عاد أدراجه إلى انجلترا نشر أول كنهه بالفرنسية بعنوان مقالة فى دراسة الأدب Essai sur l'etude de la Literature

ويلاحظ أن أفضل طبعة للكتاب المذكور هي التي قام بها ج.ب. بيوري J.B. Bury التي صدرت خلال المرحلة من ١٨٩٧-١٩٠٠م، نظراً للتعليقات القيمة التي قام بها ذلك العالم على نص جييون؛ على نحو أدى إلى إثرائه.

من الملاحظ أن الدراسات البيزنطية لم يقض عليها من خلال جهد مفكرى عصر الاستنارة؛ وفي هذا المجال نذكر جهد ل.ج.أ. J.A. Fabrius الذي أصدر كتابه: *Bibliotheca Graeca*؛ أي المكتبة اليونانية. وفيه يقدم مادة مهمة عن تاريخ الأدب البيزنطي في (١٤) جزء، وطبع الكتاب المذكور في مدينة هامبورج خلال المدة الواقعة بين عامي ١٧٩٠م، ١٨٠٩م. مهمما يمكن من أمر؛ في نفس العام الذي اكتمل فيه إصدار كتاب فابريوس أي عام ١٧٢٨م، قام نيبور Niebuhr بوضع أساس «الجامع للكتابات التاريخية البيزنطية».

#### Corpus Scriptorum historiae byzantinae

المعروفة اختصاراً بـ (C.S.H.B.) وهي مجموعة على جانب كبير من الأهمية من حيث اشتمالها على (٥٠) مصدرًا من المصادر التاريخية البيزنطية، ونجد فيها النص اليوناني مصحوبًا بالترجمة اللاتينية.

من جهة أخرى؛ ظهر دور للمؤرخين الألمان في صورة كارل كرامباشر Karl Krumbacher (١٨٥٠-١٩٠٩م) الذي أصدر عند أخريات القرن التاسع عشر م كتابه عن تاريخ الأدب البيزنطي: *Geschichte der byzantinischen literatur*.

والعمل الذي يذكره له الباحثون في حقل الدراسات البيزنطية؛ تأسيس المجلة البيزنطية *Byzantinische Zeitschrift* والتي سرعان ما صارت مركزاً للدراسات البيزنطية في الغرب الأوروبي، وأهمية دورها أنها زودت الباحثين بقاعدة بيليوغرافية أساسية لدراساتهم.

= وقد استقبل الكتاب المذكور بحفاوة في فرنسا، وهولندا، ولكن بدرجة أقل في إنجلترا، ومن بعد ذلك انجم جييون إلى وجهة سياسية حيث انفق عامين ونصف في الانضمام إلى ميليشيا هامشير Hampshire Militia التي تم تنظيمها خلال حرب السنوات السبع بين إنجلترا وفرنسا، وفي عام ١٧٦٤م تأنت له فكرة كتابه الذائع الصيت تاريخ اضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية، على أية حال؛ توفي ذلك المؤرخ البارز في أخريات القرن الثامن عشر وتحديداً عام ١٧٩٤م. عنه أنظر

Vasiliev, *History of the Byzantine Empire*, p. 8.

وأيضاً وسام عبد العزيز فرج. «الدولة البيزنطية بين أوهام النظرية وحقبة الهزيمة»، ضمن كتاب بيزنطة قراء في التاريخ السياسي والإداري. ط القاهرة ٤٠٢٠م، ص ٢٧. حاشية (٢٦).

ويذكر لنفس المؤرخ الرائد: أن السمنار الذي كان يعقد في مدينة ميونخ München صار بمثابة مركز دولي للدراسات البيزنطية حيث قصده المؤرخون من أنحاء متعددة من أوروبا كما قرر أستروجورسكى .

وعند نهاية القرن ١٩م حدثت نهضة كبيرة من خلال جهد عدد من العلماء الألمان في صورة كل من كارل نيومان Karl Neumann وهنريش جلزرر Heinrich Gelzer وقد ألف المؤرخ الأول كتابه: Die weltstellung des byzantinischen Reiches von den Kreuzzzgen, 1894 .

وإذا فتحنا صوب الدراسات البيزنطية في روسيا: نجد أن بداياتها كانت على يدى إرنست كونيك Ernest Kuniek (١٨١٤-١٨٩٩م)، ويعد من كبار المؤرخين الرواد، وكان عضواً في الأكاديمية الامبراطورية للعلوم فى بطرسبرج :

#### The imperial Russian Academy of Sciences in St. Petersburg

وقد قام بدور بارز فيما يتصل بالتأليف عن التاريخ الروسى، وما يتصل بمصادر التاريخ البيزنطى.

ونذكر كذلك إدوارد دى مورالت Eduard Muralt (١٨٠٨-١٨٩٥م) الذى اهتم بالدراسات الكرونولوجية (المزمنة) Chronological Studies، وله دراسته :

#### Essai de Chronographic byzantine

ووقعت فى جزأين، ط. سان بطرسبرج ١٨٥٥-١٨٧١ م، ويقرر أوستروجورسكى : أنها ذات فائدة على الرغم من أنها لم تعد دراسات حديثة وقت صدور كتاب تاريخ الدولة البيزنطية عام ١٩٤٠م.

على أية حال : فإن المؤرخ الذى يعد المؤسس الحقيقى للدراسات البيزنطية فى روسيا هو ف.ج. فاسيلجنسكىج V.G. Vasiljevskig (١٨٣٨-١٨٩٩م) ، وقد اهتم بدراسة العلاقات الروسية - البيزنطية ، وما يذكر عنه تأسيسه دورية هي:

#### Vizantijskij Vremennik وذلك عام ١٨٩٤م.

وقد قدمت تلك الدورية ومعها byzantinische Zertschrift التى ظهرت قبلها بعامين أى عام ١٨٩٢م قدمت خدمات جليئة لباحث البيزنطيات.

ثم ظهر دور قام به ف. أ. اوسبنسكيج G.I. Uspenskij (١٨٤٥-١٩٢٨م) وقد اهتم بالدراسات الأثرية البيزنطية من خلال معهد عمل على إدارته ويصفه عامة؛ بوصف بأنه قام بدور بارز في تطوير الدراسات البيزنطية في روسيا

على أية حال ؛ حققت الدراسات البيزنطية نقلة نوعية من خلال جهد العلامة فازيليف Vasilev<sup>(١١)</sup> الذي عشق التاريخ البيزنطي حتى النخاع ، وألف عدة مؤلفات أهمها:

- كتابه : بيزنطة والعرب ، ed. Bar H. Gregoire et M. Canard, 3 vols , Brussel 1959 .

وقد وقع في ٣ أجزاء ، ونشره هـ. جريجوار وماريوس كنار في بروكسيل عام ١٩٥٩م، ويلاحظ هنا أن محمد عبد الهادي ترجم جزءاً واحداً من ذلك العمل الموسوعي .

- ثم كتابه تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وقد ألفه باللغة الروسية.

وقد تمت ترجمة الكتاب المذكور إلى الإنجليزية وصدر في جزأين في ماديسون بالولايات المتحدة الأمريكية عامي ١٩٢٨-١٩٢٩م

Vasiliev, History of the Byzantine Empire , 2 vols, Madison 1928-1929

كذلك ظهرت له طبعة أخرى عام ١٩٥٢م.

١- يقدم لنا ميلتون ف. أناستوس إشارات مهمة عن شخصية العالم الروسي الكبير الكسندر الكسندروفيتش فازيليف Alexandre Alexandrovich Vasilev وقد وصف بأنه «توحيد» مع تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وعمل في جامعة وسكنسون Wisconsin في الولايات المتحدة الأمريكية . وتعرف أنه لم يتزوج وظل عاكفاً على كتابة مؤلفات في التاريخ البيزنطي وتدرسه لتلاميذه ، وقد أفادته كراهيته للمرأة حيث وصف بأنه "misogypist" في الإنصاف كلية إلى عشق التاريخ البيزنطي والتأليف في مجاله . ويقرر نفس المؤلف: أنه إنخرط في "ليكا" ، عندما كان يعاشر تلاميذه عن سقوط القسطنطينية ويفهم من السياق العام للمقالة أن ذلك السقوط هو الخاص بعام ١٤٥٣م ومن المعلومات المهمة ذات المفارقة «التاريخية» . ما ذكره نفس الباحث من أن فازيليف توفي عن عمر يبلغ السادسة والثمانين (٨٦ عاماً) في يوم ٢٩ مايو ١٩٥٣م، وهو يوافق الذكرى الخمسمائة لسقوط القسطنطينية في ٢٩ مايو ١٤٥٣م؛ وهكذا فقد رحل في نفس اليوم الذي انتهى فيه التاريخ البيزنطي ذاته الذي عشقه ؛ عن ذلك أنظر:

Anastos , " Dumbarton Oaks and Byzantine Studies, a Personal Account " , in Laion and Maguire (eds). Byzantium A World Civilization, D.O. Washington 1992, p. 10 .

يلاحظ أن أهمية الكتاب المذكور لا ترجع فقط إلى إحاطة المؤلف بكافة دقائق التاريخ البيزنطي، والعلاقات بين البيزنطيين والمسلمين، بل استخدامه عدة لغات قديمة وحديثة في بحثه التاريخي، ثم إنه زود كتابه بقائمة ببليوغرافية ثرية يندر وجودها في كتاب آخر في عصره، ولا يزال هذا الكتاب - على نحو خاص - عمدة الدراسات البيزنطية، وعلى مدى نصف قرن من صدور الترجمة الإنجليزية له؛ لم يتمكن باحث آخر من أن يقدم لنا دراسة مسحية للتاريخ البيزنطي سياسياً تمثل تلك الكفاءة دون إغفال أهمية كتاب أوستروجورسكي عن تاريخ الدولة البيزنطية.

يبقى أن نذكر: أن كتاب فازيليف عن تاريخ الامبراطورية البيزنطية له ترجمة فرنسية صدرت في باريس عام ١٩٣٢م عنوانها

Histoire de L'empire byzantine, 2 vols, Paris 1932.

كذلك صدرت ترجمة تركية له عام ١٩٤٣م ومن بعد ذلك؛ ظهرت ترجمة أسبانية عنوانها:

Historia del impero Bisantino 2 vols, Barcelona 1948.

ولانزاع في أن صدور عدة ترجمات للكتاب المذكور يدل على الحرص على الاستفادة منه من جانب أكبر قطاع من الباحثين من خلال ترجمة لعدد من اللغات الأوربية وكان الأجدر بالعرب أن يترجموه منذ عقود مضت.

ولانغفل من بين المؤرخين الروس ما ألفه المؤرخ كلاكوفسكيج Kulakovskij الذي ألف كتاباً عن تاريخ الإمبراطورية البيزنطية من عام ٣٩٥ إلى ٧١٧م، ووقع في ٣ أجزاء، وصدر في كييف Kiev خلال الرحلة من ١٩١٣ إلى ١٩١٥م.

مهما يكن من أمر، يقرر أوستروجورسكي؛ أن الدراسات البيزنطية في روسيا تقدمت من خلال إصدار دورية تضاف إلى الدورية الصالفة الذكر في صورة: Vizantijskoe Obozienie أو ما عرف بالمجلة البيزنطية.

أما إذا ما اتجهنا صوب إنجلترا؛ فلابد من ذكر المؤرخ الكبير بيوري (١٨٦١-١٩٢٧م)

ويصفه استرووجورسكى بأنه كان من الرواد وأنه امتلك ندرة بارزة على النقد والتحليل<sup>(١١)</sup>، وقد أصدر كتابه : History of the Later Roman Empire وتناول فيه المرحلة من ٣٩٥ إلى ٨٠٠ م ، ووقع فى جزأين .

كما ألف كتابه : History of the Eastern Roman Empire وأصدره عام ١٩١٢م .  
كما يذكر لبيورى؛ تأليفه دراسة عن النظام الإدارى للإمبراطورية البيزنطية فى القرن التاسع الذى صدر عام ١٩١١م .

The Imperial Administration in the ninth century , London 1911 .

وبلاط : أن بيورى ترك مؤرخين من خلفه مثل نورمان بينز Norman Panes؛ الذى اهتم بالمرحلة المبكرة من التاريخ البيزنطى . وكذلك فى المرحلة المتأخرة من العصور الوسطى وخاصة مجال العلاقات البيزنطية - اللاتينية فى نطاق بحر إيجه Aegean Sea<sup>(١٢)</sup> .

وما يذكر عنه تأليف دراسته الشهيرة عن الإمبراطورية البيزنطية الصادرة فى لندن عام ١٩٢٦م .

History of the byzantine Empire , London 1926 .

والواقع أننا بعد ثلاثة أرباع قرن من الصعب أن نجد دراسة مناظرة لها على الرغم من الطفرة المعرفية فى العقدين الأخيرين على نحو خاص مما عكس ريادة المستمرة .

كما نذكر أمر تاريخ كمبردج الوسيط Cambridge Medieval History السذى تم التخطيط له من جانب بيورى، وقد تم تخصيص عدة أجزاء لتناول التاريخ البيزنطى مثل الجزء الأول الصادر عام ١٩١١م، والثانى الصادر عام ١٩١٣م . وصدر الجزء الرابع عام ١٩٢٣م . ونعترف أن الجزء الرابع احتوى تناولاً للمرحلة الواقعة من عهد ليو الثالث الأيسورى (٧١٧-٧٤١م) حتى عهد الامبراطور البيزنطى الأخير قسطنطين الحادى عشر (١٤٤٨-١٤٥٣م)<sup>(١٣)</sup> .

Ostrogorsky , History of The Byzantine State, p. 11

-١

Ibid . p. 11 .

Ibid , p. 18 .

-٣

كذلك لاتغفل دور بارز للمؤرخ الإنجليزي السير ستيفن دنسيان - Sir Steven Runci-  
man الذي ألف عدة مؤلفات رائدة في التاريخ البيزنطي أهمها

- History of the First Bulgarian Empire, London 1930
- The Byzantine Civilization, New York 1956 .
- The Eastern Schism, Oxford 1956 .

كذلك ظهر فيما بعد عدد من الباحثين الغربيين من أمثلتهم براند Hussey، وهسي Brooks ، وبراون Brown ، وروننج Browning ، وكاهن Cahen ، وشامان Chap- man ، وخرانيس Vharanis ، وكولمان Coleman ، وكونستانتيس Constantinides ، وديبل Dichl ، وإيفانز Evans وجيرو Gero ، وجارلاند Garland ، وجرانت Grant ، وكريستيدنز Christides ، وماجلولينو Magdalino ، ودوفريتك Dovrnik ، وجيناكوبوليس Geana- koples ، وجيبيل Gill ، وهبرن Herrin ، وجوتنز Jones ، وإبولونسكي Obolensky ، وميندورف Meundorff وبريس Brice ، وييرن Byrne ، وكنار Canard ، ودايجرون Dag- ron ، ومانجو Mango ، وإيكونوميدي Oikonomide وجوجي Jugie ، وليل Lille ، وكزدان Kazhdan وهوتون Hutton ، ورايس Rice ، وماكريدس Macrides وغيرهم.<sup>(١١)</sup>

أما فيما يتعلق بالقواميس ؛ فنذكر من أمثلتها الكسندر كزدان (رئيس تحرير) قاموس أكسفورد للبيزنطيات ، في ٣ مجلدات ط. أكسفورد ١٩٩١م.

Alexander , p. Kazhdan (ed.), The Oxford Dictionary of Byzantium, Ox-  
ford 1991<sup>(١٢)</sup>

وقد شارك في إصداره فريق عمل ممتاز عبارة عن عشرات الباحثين البارزين في حقل الدراسات البيزنطية ومن أبرزهم أليس - ماري تالبوت Alice - Mary Talbot وأنثوني كترل Antony Culter وهو محرر تاريخ الفن .

---

عن بعض مؤلفاتهم أنظر: قاسم 'المراجع الأجنبية نهاية الكتاب.

٢- سلاحظ القارئ دون عنا. اعتماداً على حد كبير على القاموس المفصل المذكور في إعداد المدخل  
البيبلوغرافي نظراً لأهميته الخاصة.

وتيسوثى إى جريجورى Timothy E. Gregory وهو محرر علم الآثار ، والجغرافيا التاريخية

ونانى ب سفنكو Nany P. Sevchenko أما رئيس التحرير فهو الكسندر كازدان - Alex ander Kazhdan وهو من كبار مؤرخى الدراسات البيزنطية حالياً على مستوى العالم.

ويعد القاموس المذكور من أشمل ما صدر فى التاريخ البيزنطى وأحتوى على مئات المواد المتصلة به فى الجوانب السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأدبية ، والقانونية والدينية ، والآثارية ، وما أتصل بالنقوش والعملات وغيرها ، ومثل هذا الكتاب الجامع الشامل لا يستغنى عنه الباحث فى التاريخ البيزنطى ، وتاريخ الهروب الصليبية أيضاً .

ومن الممكن العودة إلى المؤلفات الحديثة عن بيليوغرافيا التاريخ البيزنطى لمعرفة المؤرخين وأسهماتهم<sup>١١</sup> .

كذلك ؛ لانغفل ما ألفه دونالد أتوتر Donald Atwater تحت عنوان: قاموس بتجوين للقديسين ، الصادر فى لندن عام ١٩٧٧م.

Atwater, The Penguin Dictionary of Saints , London 1977.

وهو كتاب يقع فى (٣٦٣) صفحة وذو أهمية كبيرة حيث احتوى على تراجم أكثر من (٧٥٠) قديس من قديسى الكنيسة الشرقية والغربية والمؤلف متخصص فى سير القديسين .Hagiography

جدبر بالإشارة ؛ لايتمكن للباحث فى مجال الدراسات البيزنطية أو الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى الاستغناء عن الكتاب المذكور.

وهناك أيضاً ما ألفه ج.ت.د. كيلي عن قاموس البابوات الصادر فى أكسفورد عام ١٩٩٦م . Kelly , Dictionary of Popes , Oxford 1996 .

١- من المهم للغاية الرجوع إلى كتاب لهرس مؤلفى الدراسات البيزنطية الذى أعده جليسايفدا س. الان والصادر من جانب مركز دامبرتون اوكس فى واشنطن عام ١٩٨٦م.

Jelisaveta S. Allen Author Index of Byzantine Studies, Washington 1986 .

ويجد فيه القارئ مادة بيليوغرافية منفصلة وأتنى أن يقوم أحد الباحثين العرب بإعداد دراسة بيليوغرافية فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية وبالتالي يسد ثغرة طالما وقفت حائلاً دون تطوير تلك الدراسات.



ويقع فى (٢٤٩) صفحة، واحتوى على تراجم بابوات كنيسة روما من القديس بطرس St.Petec مؤسس تلك الكنيسة حتى البابا يوحنا بول الثانى John Paul (١٩٧٨-٢٠٠٥م) وهو مثل سابقه صغير الحجم كبير القيمة.

وهناك قاموس اللاهوت الكاثوليكى فى ١٥ جزء بدأ صدورها فى باريس عام ١٩٢٣م.

- Dictionnaire de Theologie Catholique, 15 Tomos Paris, 1923 , sqq.

كذلك لاتغفل ما ألفه دونالد نيكول تحت عنوان:

قاموس التراجم للإمبراطورية البيزنطية الصادر فى لندن عام ١٩٩٠م.

- Nicol, Biographical dictionary of the Byzantine Empire, London 1991

ويحتوى الكتاب المذكور . على عشرات التراجم لأعلام التاريخ البيزنطى سواءً من الأباطرة، أو البطارقة أو المؤرخين ، وغيرهم . ومثل هذا القاموس من الصعب تجنب استخدامه خاصة أن مؤلفه من أعلام التاريخ البيزنطى المعاصرين.

وقد قام العلامة الراحل أ.د. حسن حبشى بترجمته إلى العربية تحت عنوان: معجم التراجم البيزنطية . وصدر بالقاهرة عام ٢٠٠٣م ويلاحظ أنه لم يزوده بتعليقات على عكس ما حدث لدى ترجماته السابقة الخاصة لدى المصادر البيزنطية والصليبية ، ومع ذلك قدم لنا عملاً متكاملأ فى فن الترجمة الرصينة من الإنجليزية إلى العربية كعهد الباحثين بذلك المؤرخ والمترجم والمحقق الراحل.

أما فيما يتصل بالعالم العربى، واهتمامه بالدراسات البيزنطية ؛ فيلاحظ أن مصر - دونما مبالغة أو حماس وطنى- كانت الرائدة فى ذلك الحقل من الدراسات التاريخية قبل غيرها من شقيقاتها العربيات . وقد بدأ الاهتمام بها؛ خلال الترجمة من الإنجليزية إلى العربية ثم من بعد ذلك . وكان من الطبيعى أن تظهر إلى الوجود مرحلة الترجمة نظراً لعدم توافر دراسات متعددة بالعربية تغطى تاريخ الامبراطورية البيزنطية بصورة بانورامية عامة ، ومن أمثلة ذلك قيام د. مصطفى طه بدر بترجمة كتاب شارلز أومان بعنوان الإمبراطورية البيزنطية . وقد صدر بالقاهرة عام ١٩٥٣م

عنه أنظر محمد مؤنس عوض. عصر الحروب الصليبية . بحوث ومقالات، ط. القاهرة ٦ ٢٠٠٥ .

ص٢٥٥-٢٦٥ حيث ته تخديس مقال عن المؤرخ الراحل

ثم من بعده قام أ.د. حسين مؤنس بالإشتراك مع محمود زايد بترجمة كتاب نورمان بينز بعنوان الإمبراطورية البيزنطية وصدر ذلك العمل في القاهرة عام ١٩٥٧م، كذلك إتجه أ.د. محمد عبد الهادي شعيرة إلى ترجمة جزء من كتاب فازيليف بعنوان العرب والروم وصدر في القاهرة دون تاريخ للطباعة<sup>(١١)</sup>. كما حدث تطور مبكر مهم عندما ترجم أول كتاب من مؤلفات السير ستيفن رنسيمان Sir Steven Runciman في حقل الدراسات البيزنطية في صورة الحضارة البيزنطية من جانب عبد العزيز توفيق جاويد في القاهرة عام ١٩٦١م، وهو مترجم كيف كان مبصراً بنور البصيرة<sup>(١٢)</sup>؛ ساهم في ترجمة عدة دراسات في التاريخ البيزنطي والغرب الأوربي في العصور الوسطى.

مهما يكن من أمر؛ إلى جانب الترجمة هناك مؤرخون مصريون ألفوا مؤلفات رائدة ونذكر في هذا الصدد؛ المؤرخ أ.د. محمد عبد الهادي شعيرة الذي ألف دراسة عن الصراع بين العرب والبيزنطيين، فتح وتنظيم الحدود في القرنين السابع والثامن الميلاديين، وقد صدر ذلك العمل بالفرنسية في الاسكندرية عام ١٩٤٧م<sup>(١٣)</sup>.

Cheira , la Lutte entre Arabes et Byzantins : la Conquête et l'Organization  
des Frontieres aux VII et VIII Siecle, Alexandria 1947

وبالتالي يمكن القول - دونما مبالغة أو إعتساف في الأحكام - أن ذلك المؤرخ هو الرائد العربي الأول في التأليف الأكاديمي عن تاريخ بيزنطة وإن كان عمله الأول صدر بالفرنسية وليس بالعربية ، وفي وقت مبكر أي عام ١٩٤٧م، وأصدره في الاسكندرية دون القاهرة

١- عن المقرر أن الجزء الذي ترجمه محمد عبد الهادي شعيرة هو الجزء الأول، عن ذلك أنظر:

الأمين أبو سعده ، «بيزنطة في اللامح العربية قراءة في سيرة الأميرة ذات الهمة» ص٢٤٣

٢- ولد ذلك المترجم البارز الراحل بالقاهرة ، وتدرج في مراحل التعليم المختلفة إلى أن تخرج في مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٢٩م، واشتغل بالتدريس إلى أن وصل إلى منصب وكيل مدرسة مصر الجديدة الثانوية فمديراً للمركز الرئيسي للتدريب بوزارة التربية والتعليم . وقد ترجم عدة آخر من المؤلفات عن الإنجليزية وحصل على جائزة الدولة التشجيعية في الترجمة عام ١٩٨١م. كما تأن وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ، عنه أنظر ما كتب عنه ترجمة كتاب رنسيمان ، الحضارة البيزنطية

٣- عن محمد عبد الهادي شعيرة . محمد مؤنس عزمش . رواد تاريخ العصور الوسطى في مصر ، ط.

وبالتالى تكون عروس البحر المتوسط قد شهدت ميلاد تلك الدراسات. ولانغفل كذلك إبراهيم العدوى؛ وقد ألف مقالاً رائداً بعنوان : «أقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى» ونشر فى المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، العدد (٢) أكتوبر ١٩٥٠م. وفى العام التالى مباشرة ؛ أى عام ١٩٥١م، أصدر كتاباً عن الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية بالقاهرة عام ١٩٥١م .

ويلاحظ أن خمسينيات القرن العشرين شهدت أيضاً صدور مؤلفات رائدة بالعربية فى التاريخ البيزنطى ، ونذكر فى هذا الصدد إصدار إبراهيم طرخان كتابه الحركة اللأيقونية فى الدولة البيزنطية ، وصدر فى القاهرة عام ١٩٥٦م وقيمة الكتاب المذكور أنه تناول موضوعاً جزئياً ارتبط بالأسرة الأيسورية فى الأصل، وخصص له ذلك الكتاب الرائد.

كذلك أصدر السيد الباز العرنى كتاباً عن أجناد الروم بالقاهرة عام ١٩٥٦م، مما يدل على أن العام المذكور شهد بداية التأليف التاريخى المتخصص فى موضوعات محددة من التاريخ البيزنطى.

وقد واصل ذلك المؤرخ الرائد إصداراته فقام بخطوة مهمة حيث أصدر ترجمة لكتاب والى المدينة ، ونشر عمله فى مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة مجلد (١٩) ، ج (١) مايو ١٩٥٧م، ويعد ذلك بمثابة أول ترجمة لمصدر بيزنطى إلى العربية خلال ذلك الوقت المبكر.

من جهة أخرى؛ قام المؤرخ اللبناني أسد رستم بإصدار كتابه الرائد الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب فى جزأين ، عامى ١٩٥٥م، ١٩٥٦م وقيمة ذلك الكتاب تتأنى من خلال إدراكنا أن صاحبه طالع المصادر التاريخية البيزنطية خلال تلك المرحلة المبكرة، وقدم لنا كتاباً مفصلاً يتناول التاريخ البيزنطى منذ البداية حتى النهاية من خلال الجانبين السياسى والمضارى، ومن الملفت للانتباه ؛ أن هذا العام (١٩٥٦-٢٠٠٦) ، يمر نصف قرن على صدور الجزء الثانى من ذلك الكتاب الرائد الذى أعده مؤرخ لبنانى بارز.

يضاف إلى ذلك ؛ شهدت مرحلة الستينيات صدور مؤلفات مهمة فى مصر ، وكذلك لبنان، وسوريا وبالنسبة للأولى، نذكر ما ألفه عمر كمال توفيق تحت عنوان: مقدمات العدوان الصليبي الإمبراطور بوحنا ترمبكس وسياسته الشرقية الذى صدر فى الاسكندرية عام ١٩٦٦م، ثم فى العام التالى مباشرة أصدر كتابه الإمبراطورية البيزنطية فى نفس المدينة ، وقد حدث ذلك بعد أن عاد من بعثته العلمية فى بنسلفانيا Pennsylvania بالولايات المتحدة الأمريكية حيث اشتهرت الجامعة المذكورة بدراسات العصور الوسطى.

ثم أصدر فتحى عثمان دراسته الموسوعية الرائدة بعنوان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحرسى والاتصال الحضارى، وذلك فى ٣ أجزاء، وصدر بالقاهرة عام ١٩٦٦م، وتعد دراسة متميزة من خلال اهتمام مؤلفها بالزاويتين الحربية والحضارة وتتناول بغزارة التفاصيل ويعد كتابه أول عمل أكاديمى عربى يقع فى ٣ أجزاء كاملة، ولم يسمع من قبل عن مؤرخ عربى يؤلف كتاباً فى عدة أجزاء عن التاريخ البيزنطى قبل ذلك المؤرخ الرائد، وإن تكرر فيما بعد فى صورة أ.د. رأفت عبد الحميد وكتابه الدولة والكنيسة .

وقبما بعد: وفى مطلع السبعينيات، أصدر المؤرخ الرائد أ.د. إسحق عميد دراسته بعنوان روما وبيزنطة الصادر فى القاهرة عام ١٩٧٠م وهى فى الأصل أطروحة الدكتوراه التى أعدها من جامعة نوتنجهام باجلترا بإشراف برنارد هاملتون Bernard Hamilton، وتتناول هذه الدراسة بأنها تقدم لنا عرضاً موثقاً يعتمد على المصادر البيزنطية واللاتينية فى المقام الأول على تطور العلاقات بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى على مدى عدة قرون.

من بعد ذلك ، نجد مؤرخاً بارزاً فى التاريخ الكنسى هو الراحل أ.د. رأفت عبد الحميد وأهم إسهاماته كتابه الدولة والكنيسة فى ٤ أجزاء.

كذلك نشير إلى مؤلفات عدد من المؤرخين<sup>(١)</sup> كل من العرب البارزين مثل أ.د. عليه الجنزورى ، أ.د. لىلى عبد الجواد، أ.د. عقاف صبره ، أ.د. محمود سعيد عمران ، أ.د. وسام عبد العزيز فرج<sup>(٢)</sup>، أ.د. جوزيف نسيم يوسف ، أ.د. محمد مرسى الشيخ ، أ.د. محمود عبد الغنى عبد العاطى ، أ.د. حسين ربيع ، أ.د. عادل زيتون، أ.د. نعيم فرح ، د. عبد السلام زيدان وغيرهم.

#### ١ - عن مؤلفاتهم أنظر قائمة المراجع العربية والعربية.

من الملاحظ أن ذلك المؤرخ على نحو خاص تتميز مؤلفاته ، وذلك بعد عودته من بعثه إلى مركز الدراسات البيزنطية فى جامعة بترجمتها فى إنجلترا، وقد تناول دراسات ذات طابعين سياسى وحضارى ، وذلك بالاعتماد على المصادر التاريخية البيزنطية وكذلك المؤلفات الحديثة خاصة الدوريات ، ويعد القارئ عدداً من مؤلفاته فى قائمة المصادر والمراجع وقد جعل من كلية الآداب- جامعة المنصورة مركزاً بحثياً مهماً لجال الدراسات البيزنطية وأشرف على عدة أطروحات علمية لدرجتي الماجستير والدكتوراه.

تلك ملامح الكتابات العلمية المصدرية أو المرجعية الأجنبية والعربية والمعربة ؛ أما المصادر الأخرى للتاريخ البيزنطي مثل الآثار، والنقوش، والنقود فتقدم عرضاً موجزاً لأهم الدراسات عنها

وفيما يتصل بالآثار البيزنطية ، يمكن الإشارة إلى أمثلة بعض المؤلفات المهمة وهي كالآتي

- Ross, Catalogue of the Byzantine and Early Medieval Antiquities in the Dambarton Oaks Collection , vol . 1-2 , Washington 1962-1965 .
- vol . 3, by Weitzmaun, 1972 .
- Hamilton , Byzantine architecture and Decoration, London , 1958
- Foss (C.) , Winfield (D.) Byzantine Fortificatinus : An Introduction, Pretoria 1986 .
- Grabar (A.), L'Iconoclisme byzantine : le dossier. archacologique , Paris 1984 .
- The Great Palace of Byzantine Emperors , being a first Report on The exclavations carried out in Istanbul on behalf of the Walker Trust, University of St. Andrews 1935- 1938 , London 1947
- Jackson, Byzantine and Romanesque Architectue , Cambridge 1930

وفيما يتعلق بالموازيكو البيزنطي أنظر :

Furlan (1) , le Icône byzantine a mosaico , Mylan 1979 .

Demus (O.), The Mosaics of Norman Sicily , London 1949 , Byzantine Mosaic Decoration, London 1976, The Moosaics of San Marco in Venice , 2 vols., Chicago 1984

والباحث المذكور متخصص في أعمال الموازيكو البيزنطي<sup>(١)</sup>.

---

١- رفي معرض تناولنا لأمر نماذج من المؤلفات الخاصة لآثار البيزنطية أود الإشارة إلى أن هناك مجلة =

أما النقوش البيزنطية : فتشير في أمرها إلى المؤلفات التالية :

- Corpus Inscriptionum Graecarum , 4 vols ., Berlin 1828-1877
- Recueil des Inscriptions Grecques Chretiennes d'Asie Mineure, Paris 1922 .

(ويلاحظ أنه تم إيرادها من قبل لدى مجموعات المصادر)

كما أن هناك دراسات مهمة في هذا المجال من أمثلتها:

Millet (G.), Inscriptions Chretiennes de L'Athos, Paris 1904 .

- Le Fevre (G.), Inscriptions Chretiennes d'Egypte, le Carie 1907
- Gregoire (H.) , Inscriptions Chretiennes d'Asie Mineure, Paris 1922 .

أما العملة البيزنطية؛ فهناك دراسات قليلة ومهمة عنها بالفرنسية ، والإنجليزية نذكر من أمثلتها:

- Sabatier (J.), Description Generale des monnies byzantines, 2 vols , Paris 1863 .
- Wroth (W.), Catalogue of Byzantine (Coins in the British Museum, 2 vols ., London 1908 .
- Fagerlie (J.M.), Late Roman and Byzantine Solidi Found in Sweden and Denmark , New York 1967
- Witting (P.), Monnaies Byzantine Paris 1975

---

British Institute of Archaeology at An- سنوية تصدر من جانب المعهد البريطاني للأثار في أنقره - Kara's Journal .

كذلك هناك مجلة دراسات أناضولية Anatolian Studies ولانغفل التقرير الأثرى

Archaeological Report

Journal of Hellenic Studies. وهو تقرير سنوي يصدر كملحق لـمجلة الدراسات الهلينية:

Whittow . The Making of Byzantium 600-1025, p. 426 .

عن ذلك انظر:

- Grierson (p. Byzantine Coins, London 1982 .
- Hendy (M.F.), Coinage and Money in The Byzantine Empire 1081-1261 , Dumbarton Oaks , Washington 1964 .
- Studies in the Byzantine Monetary Economy 300-1450 , Cambridge 1984
- Catalogue of the Byzantine Coins in the Dumbarton Oaks Collection and in The Whistmore Collection , ed. by Alfred R. Bellinger and Philip Grierson: vol I. الجزء الأول .

من أناستاسيوس إلى موريس ٤٥١-٦٠٢م

Anastasius I to Maurice, 451-602, 1966 .

الجزء الثاني vol . II

من فوكاس إلى ثيودسيوس الثالث ٦٠٢-٧١٧م.

Phocas to Theodosius III, 602-717, 1968 .

الجزء الثالث Vol . III

من ليو الثالث إلى نقفور الثالث ٧١٧-١٠٨١م.

Leo III to Nicephorus III 717-1081, 1973 .

وهكذا ؛ فإن ذلك الكاتالوج يحتوى على نماذج من العملات البيزنطية من منتصف القرن الخامس م حتى أوائل ثمانينيات القرن الحادى عشر م.  
وبصفة عامة ؛ يعد هندى أهم من اهتم بدراسة العملة البيزنطية.

- Lopez (R.) , "The Dollar of The Middle Ages", J.E.H., vol II. 1951 , pp. 209-234

ذلك مدخل بيليوغرافى أولى عن التاريخ البيزنطى من خلال النماذج المختارة . أما الصفحات التالية فيتم تخصيصها لبحث مشكلات دراسة تاريخ الامبراطورية البيزنطية.  
أما المشكلات المنهجية التى تواجه الباحث فى دراسة التاريخ البيزنطى فهى تحتل أهمية كبيرة؛ فالباحث الذى لا يدركها ؛ يكرر ما قاله المؤرخون الآخرون دون دراية بالقضايا المنهجية

التي هي أساسية في التعامل مع المصادر التاريخية، وكذلك الدراسات الحديثة، ويلاحظ هنا: أن دراسة وقائع التاريخ من زاوية المشكلات المنهجية من شأنه استنطاق موضوعي للنصوص المصدرية والمرجعية، وفي نفس الحين يعين ذلك على التوصل إلى زوايا متجددة في تاريخ تلك الإمبراطورية، وفي تصوري أنه لاجدوى من دراسة ذلك الفرع من الدراسات التاريخية الخاصة بآسيا الصغرى، وشرقي أوروبا في القرون الوسطى دون دراسة إشكالياته المنهجية؛ فهي المدخل الحقيقي والأساس العلمي الذي لا يمكن تجنبه

والواقع أن مشكلات دراسة التاريخ البيزنطي متعددة ويمكن إجمالها في الآتي:

**أولاً: الامتداد الزمني للتاريخ البيزنطي؛** إذ عُمِّرت الامبراطورية البيزنطية على مدى المرحلة الواقعة من القرن الرابع م إلى القرن الخامس عشر (تحدد من ٣٣٠ إلى ١٤٥٣ = ١١٢٣ عاماً)؛ وهي بالتالي تعد أطول كيان سياسي «معمر» على مدى العصور الوسطى، وبالتالي فاقت بمراحل من قبل الإمبراطورية الرومانية التي عمرت خمسة قرون إلى أن سقطت على أيدي الجرمان عام ٤٧٦م، وكذلك الامبراطورية الرومانية المقدسة التي عمرت من القرن العاشر م إلى القرن السادس عشر؛ كما فاقت دولة الإسلام في الأندلس التي عمرت ثمانية قرون، والدولة العباسية التي امتدت نحو ستة قرون، ومعنى ذلك: أن الامبراطورية البيزنطية تعد الكيان المعمر الأول في عالم العصور الوسطى وقد أدى ذلك الامتداد الزمني الغير مسبوق إلى تعدد الظواهر التاريخية بها، وتعدد العلاقات الدولية بين تلك الامبراطورية وغيرها من القوى المجاورة مثل القوط والروس والبلغار، والماجبار، والنورمان، والسلاف والمسلمين، والصليبيين، وغيرهم، على نحو لا يحده لدى أي كيان سياسي آخر في مرحلة العصور الوسطى. ويلاحظ أن تاريخ بيزنطة لا ينفصل عن تاريخ علاقاتها مع جيرانها حرباً أم سلماً على مدى أحد عشر قرناً من الزمان، وبالتالي؛ فإن مؤرخها المحدث عليه معرفة أوضاع تلك القوى المجاورة بالضرورة

من زاوية أخرى؛ أدى ذلك الامتداد الزمني العابر للقرون إلى تصور بعض المؤرخين أن بيزنطة تمثل ظاهراً تاريخية فريدة وأنها تعبر عن المقدرة الفائقة على الاستمرار والبقاء، في التاريخ، ومن ثم درس عدد من المؤرخين عوامل استمرارها<sup>(١)</sup> واعتبروا الأمر «خصوصية

١- من أمثلة تلك الدراسات عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م.

ص ٢٥-٢١، جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص ٢٧-٢٢



تاريخية بيزنطية : مع ملاحظة ان الاستمرار فى التاريخ ينبغى ألا يقاس بالمقياس الزمنى فقط، بل من خلال الفعالية التاريخية ذاتها.

ولانفغل : الإشارة إلى أن ذلك الوضع جعل المؤرخين الذين أرادوا التخصص فى دراسة التاريخ البيزنطى فى مشكلة حقيقية، إذ كيف يمكن الإحاطة بأحداث أكثر من أحد عشر قرناً من الزمان بصورة علمية ودقيقة ؟ وفى تقديرى؛ أن التخصص فى ذلك المجال من مجالات الدراسات التاريخية المتصلة بشرقى أوروبا وآسيا الصغرى فى القرون الوسطى يتخصص فى زاوية محددة ثم يحيط - قدر إمكانه - بأهم ملامح التاريخ البيزنطى، وهو وضع أملمته طبيعية دراسة تلك الإمبراطورية.

ولانفغل كذلك؛ اتجه الباحثين إلى تقسيم التاريخ البيزنطى إلى عصور فى صورة العصر المبكر ، والأوسط، والتأخر، وهو أمر ما كان يحدث فى حالة اقتصراره على عدد محدود من القرون.

ثانيا : النطاق الجغرافى للإمبراطورية البيزنطية وانعكاساته فىلاحظ أن تلك الامبراطورية شملت مناطق واسعة وامتدت فى مرحلة من مراحل تاريخها مثلما حدث خلال مرحلة من القرن السادس الميلادى من نهر الفرات شرقاً إلى المحيط الاطلنطى غرباً، والأمر المؤكد أن ذلك الوضع ألقى على حكام القسطنطينية تبعات متعددة فى إدارة ذلك الامتداد المتسع بما احتواه عن شعوب، وأمم، وأقوام متباينة ذات أبعاد انفصالية عن المركز.

ومع ذلك : فإن النطاق المذكور لم يكن ثابتاً ، بل لحقته تغيرات متعددة على مدى التاريخ البيزنطى المديد، وفى القرن السابع الميلادى وكنتيجة للتوسعات تم إخضاع بلاد الشام ومصر والشمال الافريقى وخرجت بالتالى من نطاق السيادة البيزنطية ، وفيما بعد فى النصف الأول من القرن الخامس عشر م، وفى عهد الامبراطور البيزنطى :الآخر قسطنطين الحادى عشر لم يكن له من نفوذ سوى على القسطنطينية فقط، وذلك قبيل سقوطها فى أيدي الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م.

كذلك لانفغل : أن ذلك النطاق الجغرافى امتاز بتعدد مظاهر السطح فيه بين مناطق جبلية وسهلية وتعددت موارده الاقتصادية ونشاط السكان فيه، وفرض ذلك بالتالى على الباحث فى تاريخه إدراك كافة تلك المظاهر الجغرافية المتباينة من أجل فهم الأحداث التاريخية ذاتها.

وهكذا ؛ يتأكد للمرء أن تلك الامبراطورية مثلت كياناً سياسياً معقداً من حيث زاويتي الزمان والمكان، مع عدم إغفال أن «الزمان» البيزنطي كان أكثر استقراراً من «المكان» بحكم استمرارية الأول وتغير الثاني.

تجدر الإشارة ؛ أن ذلك الاتساع المكاني ، ومن قبل الزماني - السالفي الذكر - انعكس بالضرورة على حجم التراث التاريخي المصدرى المكتوب عن الامبراطورية البيزنطية وهي التي دخلت في علاقات سياسية وحضارية متشعبة مع مختلف القوى المجاورة لها ، وحتى البعيدة جغرافياً عنها بحكم رابطة المصالح المتبادلة على كافة الأصعدة والمستويات، وهكذا ؛ وجدنا مصادر تاريخية - إلى جانب البيزنطية بطبيعة الحال - روسية ، وألمانية ، وفرنسية ، وسريانية وأرمينية ، وعربية على نحو يجعل المؤرخ الذي يتصدى بالكتابة عن تلك الامبراطورية يفاجأ بوجود كم مصدرى يصعب إحصاؤه؛ وهو أمر ما كان من الممكن أن يحدث في حالة محدودة النطاقين الزماني ، وكذلك المكاني.

من الملاحظ ؛ أن الزاوية المذكورة تتأكد لنا عندما نجد مصادر تاريخية متعددة لمحادثة واحدة، ونلاحظ تعدد مشارب المؤرخين وانتماياتهم الدينية والسياسية على نحو يجعل التوصل إلى الحقيقة التاريخية أو محاولة الاقتراب منها أمراً شاقاً ، وهناك من يرى أن ذلك يعد مكسباً لذلك التاريخ نظراً لكون اختلاف المصادر التاريخية من شأنه إثراء الكتابة التاريخية ذاتها ، نجد أن ذلك يمثل جانباً واحداً من وجهي القضية ، وعلى هذا الاعتبار ؛ نجد أن ذلك التنوع يدعم الإشكالية العامة لدراسة التاريخ البيزنطي، بل من الممكن القول أن من الصعوبة بمكان أن يحاول الباحث المتخصص في ذلك النوع من الدراسات التاريخية المتصل بآسيا الصغرى وشرقي أوروبا الاحاطة الشاملة بالمصادر التاريخية ، نظراً لتعددتها البالغ كما وكيفاً ناهيك عن تعدد اللغات التي كتب بها تلك المصادر

وهكذا ؛ يتضح لنا بجلاء ؛ أن الاتساع الزماني وكذلك المكاني كان له أثره الواضح على الكتابة التاريخية المصدرية ذاتها، على نحو دعم إشكالية كتابة التاريخ البيزنطي ذات الأوجه المتعددة.

ومن المهم هنا الاقرار ، أن جانبي الزمان والمكان لا يمكن دراستهما بصورة منفصلة بعد الأخرى نظراً لتلازمهما معاً .

ثالثاً : الطابع الرسمي للمصادر التاريخية . من المفارقات الحادة فى التاريخ البيزنطى : أن المصادر التاريخية لتلك الامبراطورية مصادر ذات طابع رسمى واضح المعالم فى جانب كبير منها . فلدينا تاريخ الأباطرة، وليس لدينا تاريخ الشعوب التى صنعت تاريخها ؛ وشأكد للباحث ؛ أن الإشارات التى تتناول عامة الناس تعد ثانوية ومحدودة مقارنة بالمجوليات الكاملة التى تناولت إمبراطوراً ما ، أو عدة أباطرة

ومن المقرر ؛ أن التاريخ تصنعه الشعوب وينسبه المؤرخون الرسيون للحكام، ويصدق ذلك تماماً على تلك الإمبراطورية، وهى بالتالى مشككلة منهجية أن يقوم المؤرخ المحدث بكتابة تاريخ نخبة سياسية وعسكرية حاكمة وبغفل تاريخ كيانات اجتماعية ضخمة نظراً لعمت المصادر التاريخية فى الغالب الأعم.

حقيقة أن لدينا سير للقديسين Hagiography<sup>(١١)</sup>، وملاحم أدبية، وشواهد القبور Epi-grama، وغيرها وهى تقدم لنا مادة تاريخية عن عامة سكان الإمبراطورية، ومع ذلك؛ فإن الأمر فى نطاق محدود .

رابعاً ؛ إستثمار العاصمة القسطنطينية بحجم التأليف التاريخى؛ من الملاحظ أن تلك العاصمة استأثرت باهتمام الأباطرة البيزنطيين . وكذلك المؤرخين المعاصرين أنفسهم، ولم يكن ذلك متناسب مع المناطق الأخرى من تلك الإمبراطورية ، ولذلك يمكن القول- دون اعتساف فى الأحكام؛ أن تاريخ بيزنطة ما هو إلا تاريخ القلب البيزنطى فى الأساس؛ أى القسطنطينية بصورة طاغية لافكاك منها

إن الوضع السابق ؛ يجعل المؤرخ الذى يؤرخ لأية مدينة أو إقليم أخرى فى أرجاء الإمبراطورية الشاسعة يجد صعوبة بالغة فى أن تتوافر لديه مادة تاريخية مصدرية متوازنة، وكان باقى أجزاء بيزنطة كان مُعَبِّباً مقارنة بالقلب الذى كان بمثابة «البؤرة التاريخية» المكثفة التى استأثرت بنصيب الأسد على حساب الأطراف.

وقد يرد البعض بأن العاصمة دائماً تكون محور الأحداث وبالتالي الكتابة التاريخية وأن ذلك ينطبق على عواصم أخرى فى القرون الوسطى مثل دمشق، وبغداد وقرطبة والقاهرة ؛ إلا

أن العاصمة البيزنطية نجد فيها ذلك الأمر بصورة غير مسبقة خاصة أن لدينا مؤلفات تاريخية خاصة بالمواضع الإسلامية خلال تلك القرون نظراً لبروز نغمة تأليقي لدى المسلمين في صورة تواريخ المدن<sup>(١)</sup>.

والواقع ؛ أن نظرة متأنية لمحتويات المؤلفات المصدرية للتاريخ البيزنطي سوف يتضح لنا أن مؤلفيها في الحقيقة يدرسون العاصمة دون إمكانية الفكاهة من سيطرتها السياسية على المعاصرين ، وسطوتها العلمية من حيث المعالجة على الباحثين الأوروبيين<sup>(٢)</sup>

وإذا أمججنا إلى مقارنة بين تلك الإمبراطورية ومملكة بيت المقدس الصليبية اللاتينية The Latin Kingdom of Jerusalem فعلى الرغم من أن الأولى حكمت ما زاد على خمسة ما يزيد على أضعاف حكم الثانية (القرنان ١٢ ، ١٣م) ؛ سنجد أن الأخيرة يمكن كتابة مؤلفات

١- من أمثلتها كتاب ، تاريخ مدينة دمشق الذي ألفه ابن عساکر (ت١١٧٦م) . وقد وقع في ( ٨٠٠ ) جزء . جمعوا في ٨٠ مجلد فهو أكبر تاريخ ألف عن مدينة إسلامية ، عنه أنظر

محموعة من الباحثين . ابن عساکر في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته ٤٩٩-١٣٩٩هـ . وزارة التعليم العالي ، ط. دمشق ١٩٧٩م ، ص٣٣- ٧٧٥

وبعد الكتاب المذكور من أفضل ما نتج عن المؤتمرات العربية في حفل الدراسات التاريخية ، في القرن الماضي ، وهناك أيضا ما ألفه ابن العديم الحلبي ( ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) تمت عنران زبدة الحلب . وبغية الطلب في تاريخ حلب ، عن ذلك انظر :

فتحية البراوي ، علم التاريخ دراسة في مناهج البحث ، ط. القاهرة ١٩٩٦م ، ص١٠٧-١٠٨

٢- من أمثلة الدراسات المتخصصة في القسطنطينية أنظر

Barth, Constantinople , Paris, 1906 , Hutton, Constantinople: The Story of The Old Capital of the Empire, London 1907

Schlumberger, La Pris et le sac le Sac de Constantinople par les Turks, Paris. 1914 .

Janin . Constantinople byzantine development Urbain et repertoire Topographie , Paris, 1950

Maclagan, The City of Constantinople. New York 1968

Asimov, Constantinople The Forgotten Empire, Boston 1970 .

متخصصة عن كل مدينة من مدنها سواء الإمارات الصليبية أو المدن الساحلية والداخلية ، وساعد على ذلك؛ أن رقعة مملكة الصليبيين في بلاد الشام كانت محدودة، وبالتالي فالحدث الحربي 'امتدت تأثيراته السياسية على المناطق المجاورة فأنعكس ذلك كله على ما ورد في المصادر المعاصرة، وما أكثرها سواء اللاتينية ، والسريانية ، والأرمينية والعربية ، وغيرها .

وهكذا ؛ يمكن القول أن الإتساع الزماني ، والمكاني لم يُمكن المؤرخين المحدثين في مجال الدراسات البيزنطية من الخروج من مأزق العاصمة المستأثرة والمستأدة والتي تُلغى مناطق شاسعة أخرى من ربوع الإمبراطورية

وهت ملاحظة جديرة بالإنتباه ؛ تتمثل في أن هناك مرحلة استثنائية قصيرة في التاريخ البيزنطي المديد أمكن فيها الخروج من دائرة العاصمة على مستوى الكتابة التاريخية، وهي الفترة من ٤ ١٢ إلى ١٢٧١م. حيث ظهرت إمارة بيزنطية بديلة في نيقية ، وكذلك وجدت إمارة أخرى في طرابزون، وثالثة في إبيروس وخلال تلك الفترة المحدودة ، والاستثنائية ؛ من الممكن القول أن الكتابة التاريخية البيزنطية خرجت - مرحلياً وموقتاً من أسر العاصمة القسطنطينية . إلا أنها بعد عام ١٢٧١م ؛ عادت إليها مرة أخرى.

نخلص من ذلك كله ؛ أن المشكلة القائمة تتمثل في أن لدينا مصادر تاريخية بل ودراسات حديثة وفيرة عن بيزنطة العاصمة وليس بيزنطة الإمبراطورية المترامية الأطراف ؛ مما عكس التناقض الحاد بين المعالجة التاريخية للقلب والأطراف

#### خاصاً ؛ المركزية الأوروبية ، وتأثيراتها على معالجة تاريخ بيزنطة ؛

واقع الأمر؛ أن دراسة التاريخ البيزنطي بدأت من خلال المدارس التاريخية الفرنسية والروسية والإنجليزية، والألمانية، كما أسلفت الذكر من قبل وهكذا ؛ فإن الريادة في الكتابة التاريخية الحديثة كانت للباحثين الغربيين دون نزاع في صورة نشر النصوص المصدرية أو المؤلفات الحديثة

ولانغفل زاوية أساسية وهي؛ أن فتح القسطنطينية على أيدى المسلمين بقيادة محمد الفاتح العثماني عام ١٤٥٣م ؛ جعل المؤرخين الأوروبيين يحرصون على الكتابة التاريخية عنها حفظاً لها من 'ضياع' . وتذكرة للعقل الجمعي الأوروبي بمراحل الصدام بين عالمي المسيحية، والإسلام خلال 'عصر الوسط، وتجنباً لتكرار التجربة مرة أخرى في غير صالح الأوروبيين.

ويلاحظ : أن من أولئك المؤرخين الغربيين من نظر إلى بيزنطة بنوع من الحنين المتدفق والألم الدفين على ضياع درع المسيحية الأرثوذكسية على أيدي المسلمين ، وهو أمر يتشابه إلى حد كبير في نظرة المؤرخين المسلمين المحدثين عندما يتناولون دولة الإسلام في الأندلس وسقوطها على أيدي الأسيبان الكاثوليك عام ١٤٩٢م بالدراسة ، ويعتبرونها بمثابة الفردوس المفقود : وتفاؤلاً الفردوس الموعود !

جدير بالإشارة : أن من أولئك المؤرخين الغربيين من أراد خلق نماذج من البطولة الأوروبية في القرون الوسطى ولذلك أحاطوا كل إمبراطور بيزنطي محارب بجيوش جرارة ؛ بهالة من التقدير والإنهار ، ومن ثم ظهرت في عناوين مؤلفاتهم تعبيرات مثل : « قسطنطين الكبير » ، و« جستنيان العظيم » ، وغيرهما من العبارات التي تعكس المبالغة أكثر من المعالجة الموضوعية ذاتها

ومن المهم ملاحظة: أن الباحثين العرب المحدثين عندما اتجهوا إلى تأليف مؤلفات عن التاريخ البيزنطي تأثروا بتلك المركزية بحكم أسبقيتها ، وريادتها<sup>(١)</sup> ، ولم يكن في الإمكان الفكاك منها خاصة خلال تلك المرحلة المبكرة من مراحل التأليف التاريخي العربي الحديث عن بيزنطة وهو لا يتجاوز سبعة عقود ، ولاهراء في أن زاوية الترجمة كان لها دورها في ذلك المجال ، باستثناء مراحل تاريخية معينة كتلك التي حدث خلالها الصراع العربي - البيزنطي كما تجده في عهود الأسرة الهرقلية ، والأيسورية ، والعمورية ، والمقدونية ، وذلك كله يعنى:

---

١- من أمثلة مثل ذلك التأثير ما أورده عادل زيتون عن الصراع بين المسلمين والبنادقة في البحر الأديريكاتيكي حيث ذكر ما نصه « في عام ١٠٠٤م هزم التجار البنادقة القرصنة المسلمين في بارى ورفعوا الحصار عنها . وطردهوا السفين من أبوليا ، وبهذا نجح البنادقة في تنظيف البحر الأدرياتي من القرصنة وكسبوا بذلك مدخلا هاما إلى البحر المتوسط الشرقي » ، انظر: عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ١١٥

مثل تلك العبارات أبعد ما تكون عن الواقع التاريخي لقد كان دور المسلمين حينذاك جهادا بحريا مشروعا ولم يكونوا البتة قرصنة ، ومثل ذلك الرأي قد يقبل من مؤرخ أوربي لا من مؤرخ عربي مسلم مع تقريرى الشخصى له لمؤلفاته

أن المركزية الأوروبية كان تأثيرها محدوداً نسبياً فيما اتصل بالعلاقات الحدودية العربية- البيزنطية، أما ما تعلق بالتاريخ السياسى ، والحضارى لتلك الإمبراطورية فالاعتماد الأوفر ناتى من خلال كتابات المؤرخين الأوروبيين المحدثين .

وقد ساعد على تفاهم المشكلة ؛ غياب مركزية عربية مقابلة، فالملاحظ أن جانباً وافرًا من الكتابات العربية الحديثة فى مجال البيزنطيات تقف عند حد الترجمة من المصادر اليونانية ، واللاتينية ، والمراجع الحديثة الإنجليزية والفرنسية دون تصورات نقدية تحليلية منطلقة من مركزية خاصة مع وجود بعض الاستثناءات على أيدى مؤرخين رواد<sup>(١)</sup> ليس فى الإمكان إغفال دورهم بأى حال من الأحوال.

ومن ناحية أخرى؛ من الملاحظ أن تلك المركزية الأوروبية، كان لها تأثيرها فى مجال آخر، من حيث مهاجمة الدولة العثمانية التى كان لها فضل إسقاط العاصمة البيزنطية عام ١٤٥٣م والوصول بالإسلام إلى شرقى أوروبا ، وجعل البحر الأحمر بحيرة إسلامية مغلقة وحماية الأماكن الإسلامية المقدسة فى الحجاز من مؤامرات البرتغاليين ، كذلك عمل العثمانيون جاهدين على إنقاذ الأندلس واسترداده فى مطلع العصر الحديث ، وقد حرص المؤرخون الأوروبيون على الإسائة إليها بكل وسيلة بل والهجوم على شخص السلطان محمد الفاتح لإسقاطه من مكانته السامية كقائد عسكري شاب فذ وسياسى قدير حقق - ومعهم المسلمون- ما عجز عنه السابقون عبر قرون عديدة واتهموها بأنها السبب الرئيسى فى تخلف المسلمين خاصة مطلع العصر الحديث ، وقد رفع ذلك الأمر، الذى تأثر به قطاع من المؤرخين العرب المحدثين- إلى قيام الراحل أ. د. عبد العزيز الشناوى بتأليف دراسته الشهيرة بعنوان: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها<sup>(٢)</sup>.

١- فى هذا الشأن انظر: محمد مؤنس عوض، رواد العصور الوسطى فى مصر ط. القاهرة ٢٠٠٧م.

٢- لم يكفى للتدليل على أزواجية المعايير لدى الغربيين أن الدولة العثمانية - كما لاحظ عبد العزيز الشناوى- عمرت أكثر من ٦ قرون، أما إمبراطورية نابليون بونابرت فقد دامت ١١ عاماً فقط ١٨٠٤-١٨١٥م، ثم انهارت عقب هزيمة الفاشحة فى ووترلو Waterloo، أما الامبراطورية الثانية التى أقامها نابليون الثالث فقد انهارت هى الأخرى بعد ١٨ عاماً . فقط (١٨٥٢-١٨٧٠م) عقب هزئته فى معركة سيدان Sedan ومن الغريب أن نابليون الأول والثالث لقا احصاماً بالفاً دعائياً من جانب المؤرخين=

وهكذا : فإن المركزية الأوروبية تعد مشكلة حقيقية عند كتابة التاريخ البيزنطي؛ نظراً لكون بيزنطة تمثل جزءاً رئيسياً من تاريخ شرقى أوروبا في القرون الوسطى ، ولأسبقية المؤرخين الأوروبيين المحدثين فى التأليف التاريخى عنها، فلد يتركوا شاردة، ولا واردة عنها إلا وكتبوا بشأنها - من وجهة نظرهم بطبيعة الحال.

ولانغفل هنا زاوية على جانب كبير من الأهمية، تتمثل فى أن تلك المركزية تدعمت حالياً على نحو بارز من خلال شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) التى من خلال التعامل معها يتضح للباحث بجلاء، وجود ما يوصف - بطرفان- من المصادر التاريخية ، والمراجع الحديثة خاصة الإنجليزية، والفرنسية والروسية والألمانية فى مجال الدراسات البيزنطية. أما الوجود العربى فيها فلإيكاد يُذكر ، ولانزع فى أنه خلال "عشر سنوات الأخيرة حدث ما يوصف «بانفجار معرفى» كان لتلك الدراسات نصيب منه. على نحو جعل التعامل مع نتاج الرؤية التاريخية الأوروبية أمراً لا مفر منه ، ويكتافة كمية ووعية غير مسبوقه ولم تحدث فى عهود رواد الدراسات البيزنطية أنفسهم وبذلك فإن «الثورة المعرفية» تزيد من مأزق ضالة الإسهام العربى فى كتابة التاريخ البيزنطى وتدعم المركزية الأوروبية الطاغية

#### سادساً : مؤسسو الأسرات البيزنطية الحاكمة ودورهم الريادى<sup>(١)</sup>.

بعد مؤسسو الأسرات البيزنطية الحاكمة بمثابة القرة الفعلية، والمحركة للتاريخ البيزنطى مع عدم إغفال أوجه الاختلاف بينهم من حيث الدور التاريخى ذاته، والظروف الداخلية والدولية المصاحبة لحكمهم وكذلك الحصاد الختامى لكل منهم.

---

= الغربيين خاصة الفرنسيين على حين وصفوا السلطان العثمانى على أنه: «السلطان المسلم الجاهل المتبرير المستغرق فى ملذاته مع جواريه الفاتنات»، وأما كافة تلك التوجهات المتناقضة لم يكن غريباً أن يختار المؤلف العثمان السالف الذكر لكتابه، عبد العزيز الشورى، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج. ١، ط. القاهرة، ١٩٨٠م، ص٦-٧

ولانغفل أن المفكر المصرى، د. حسن حنفى رأى أن الحل يكمن فى الاستغراب لمواجهة الاستشراق وقد فصل ذلك فى كتابه، انظر:

حسن حنفى، مقدمة فى علم الاستغراب ، ط. بيروت مع ملاحظة أن تنفيذ ذلك على المستوى الواقعى أمر صعب المثال لأمر لبس هنا مجال تفصيل الحديث فيها

١- محمد الإشارة إلى أن القسم الثانى من كتابى أنا بول نبه الأسرات الحاكمة البيزنطية، ولا يدل ذلك =



وهكذا : من السير ملاحظة أن الأباطرة قسطنطين الأول (٣٠٦-٣٣٧م) ، وثيودوسيوس الأول (٣٧٩-٣٩٥م) ، وهرقل (٦١٠-٦٤١م) ، وليو الثالث الأيسوري (٧١٧-٧٤١م) وميخائيل الثاني العموري (٨٢٠-٨٢٩م) ، والكسيوس كومنين (٨١٠-١١١٨م) ، وإسحق الثاني أنجيليوس (١١٨٥-١١٩٥م) ، وميخائيل باليولوغرس (١٢٦١-١٢٨٢م) . هؤلاء وغيرهم هم التاريخ الفعلي البيزنطي - إلى حد كبير- ومن أتى من بعدهم يعدون في الغالب مجرد أباطرة ثانويين ، ويعانى ذلك التاريخ مما يوصف «بعقدة الامبراطور المؤسس» ، الذى يقوم بالدور التاريخى البارز ويحقق نجاحاً أو فشلاً ، ويجعل من أتى من بعده من الأباطرة يجنون حصاد ما زرع إيجابياً أو سلبياً ، ويلاحظ هنا : أن الإمبراطور المؤسس يحظى بوفرة مصدرية بارزة على عكس الاهتمام المحدود الذى وجهه المؤرخون البيزنطيون المعاصرون لمن أتى من بعده ، وأنعكس ذلك بالتالى على معالجات المؤرخين المحدثين أنفسهم.

بناءً على ذلك : ليس من الغريب ملاحظة أن التاريخ البيزنطي وافر النشاط خلال عهد أولئك الأباطرة المؤسسين ويعانى من الخمول، والنمطية فى عهود الأباطرة التاليين مع وجود استثناءات بالطبع ولايستطيع الباحث فى التاريخ البيزنطي الفكك من ذلك الوضع الذى يأتى على حساب الدور التاريخى لباقي الأباطرة ، وما أكثرهم، وهكذا يتأكد لنا أن مجريات ذلك التاريخ تم حسمها فى الغالب الأعم من خلال دور أولئك الأباطرة المؤسسين على نحو خاص.

ومع ذلك : قد يرد البعض بأن هناك أباطرة بيزنطيين لعبوا أدواراً بارزة فى التاريخ البيزنطي ولم يكونوا من مؤسس الأسرات، ومن أمثلتهم الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م) ، والإمبراطور باسل الثانى قصاب البلغار Basil II Bulgaroctonus (٩٧٦-١٠٢٥م) ، وقد لعب كل منهما أدواراً محورية فالأول حارب الجيرمان، والثانى بعد - فى تقدير البعض- آخر الأباطرة البيزنطيين الكبار . وللدرد على ذلك : يمكن القول بأن الإمبراطورين المذكورين يعدان من الحالات الاستثنائية النادرة غير أن مؤسس الأسرات

---

على الوقوع فى دائرة الاعجاب بمؤسس تلك الأسرات غير أن تاريخ الامبراطورية البيزنطية يمكن أن يدرس من خلال ذلك الترجمة مع الحرص على المقارنة بين النظريات التى حدثت فى عهد كل أسرة.

أنظر الملحق الخاص بأباطرة التاريخ البيزنطي والتعليق عليها خاصة من خلال دور مؤسس الأسرات البيزنطية الحاكمة.

-برجه عام- يعدلون أصحاب الأدوار الكبرى في التاريخ البيزنطي ومن أتى من بعدهم مجرد أباطرة تابعين ومدد حكمهم معروفة سلفاً من حيث طبيعتها على اعتبار أنهم صدى للأباطرة السابقين الكبار<sup>(١)</sup>.

سابقاً : مشكلة الطابع الذكوري للتاريخ البيزنطي وتغييب دور المرأة خاصة البعيدة عن السلطة:

من الملاحظ أن المجتمع البيزنطي كان مجتمعاً يسيطر عليه الرجل ولم يكن للمرأة<sup>(٢)</sup> الدور البارز فيه إذا ما قورنت بالرجل، وهكذا؛ كان المؤرخون من الرجال، ويكتبون تاريخ الإمبراطورية ومجاهلوا المرأة. والإشارة إليها إلا في القليل النادر، ووجدت كتابات منحازة بحكم التكوين الديني الكنسي لأغلب أولئك المؤرخين، وهكذا؛ كان الرجل هو الحمص والحكم في أن واحد بما انعكس بدوره على نصوص المصادر ذاتها.

وإذا رُدَّ البعض بأن هناك إشارات ثرية عن المرأة البيزنطية خاصة في عالم السياسة مثل ثيودورا Theodora زوجة جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) والامبراطورة إيريني Irene (٧٩٧-٨٠٢م)، وأناكومينا Anna Comnena ابنة الامبراطور الكيسوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م) وغيرهن، إلا أن الدور النسوي في الحياة العامة، لا نجد عنه إلا النذر اليسير، والتاريخ البيزنطي من خلال المصادر الأصلية غير متوازن والكفة الراجحة - على نحو مؤكد- في جانب الرجال لا النساء، وانعكست ذات الصفة على المعالجات الحديثة لدى المؤرخين الأوروبيين أنفسهم ومن الأمور ذات الدلالة؛ أنه في وسط الكم الكبير من المؤرخين الرجال لا يظهر لنا سوى مؤرخة واحدة هي أنا كومينا ابنة الكيسوس كومنين ولو لم تكن ابنة ذلك الامبراطور لما ظهرت إلى الساحة أصلاً كمؤرخة قديرة ذات تكوين ثقافي، وعلمي

١- سيتم تناول ذلك على نحر مفصل في ملحق خاص في القسم المخصص للملاحق.

٢- لاتزال الدراسة الثرية والقيمة التي ألفتها أ. د. عليّة المنزوري؛ أستاذة العصور الوسطى بكلية البنات - جامعة عين شمس عن المرأة البيزنطية والصادرة بالقاهرة عام ١٩٨٠م على مدى التاريخ البيزنطي بأكمله، بمثابة الدراسة الرائدة بالعربية في الموضوع المذكور وأوقفته بحثاً ودرساً على نحو يجهد كل من يحاول دراسته من بعدها، وعلى الرغم من صدور دراسات متعددة عن المرأة البيزنطية بالإنجليزية في الأعوام الأخيرة؛ إلا أنه لا توجد دراسات منشورة بالعربية- حتى الآن- تصل إلى مستوى دراسة تلك المؤرخة الرائدة وتتناز بأنها مؤرخة ولذلك في مقدرها إدراك الجوانب النفسية المتصلة بتاريخ المرأة ناهيك عن قدرتها على التحليل والعرض السلس.

خاص ! وذلك توصف بأنها مؤرخة استثنائية . ولا يمكن اتخاذها بالتالى كقاعدة عامة عن المرأة البيزنطية.

وهكذا ؛ فإن المؤرخين المحدثين - دون قصد منهم- يكتبون « تاريخاً ذكورياً » للإمبراطورية البيزنطية، ودائماً كانت المرأة فى تلك الامبراطورية بمثابة « الجندى المجهول » الذى لم تسلط عليه الأضواء الكافية خاصة القطاعات البعيدة عن السلطة السياسية وهى القطاعات الأوسع نطاقاً بطبيعة الحال.

ولاتفعل كذلك؛ أن المرأة البيزنطية دفعت الثمن غالباً خاصة خلال مراحل الحروب المتعددة التى خيض غمارها مع الأعداء، وما أكثرهم، وكذلك خلال أحداث الشورات، والصراعات الداخلية وبالتالى ؛ والصراعات الداخلية وبالتالى ؛ فإن ذلك الوضع الذى لايمكن الفكك منه ؛ يجعلنا ندرك أن تاريخ تلك الامبراطورية يشوبه النقص الدائم من خلال غياب عناصر أساسيه فى تكوينه المصدرى ومثل تهميش دور المرأة عن عمد مظهراً واضحاً دالاً على ذلك النقص.

ومع ذلك ؛ أود أن ألفت نظر القارئ ؛ إلى خطورة تبنى توجهات بعض المؤرخات حالياً- فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية من أصحاب وجهات نظر الحركات النسوية التى تعصبت لدور المرأة، ورأت أن التاريخ النسوى لم يكتب البتة بعد بروح الموضوعية . وهكذا ؛ فعندما قدم ذلك القطاع من المؤرخات إسهاماته وجدنا لديه التعصب للمرأة ودورها التاريخى، وكأنها فى خصومة أبدية تاريخية مع الرجل ! وهو تصور مغلوط بكرر ذات المازق الذى وقع فيه المؤرخون الرجال الذين تجاهلوا « حواء البيزنطية » إلا ما ندر من إشارات متناثرة هنا وهناك . وأنصوّر أن كلاً من الطرفين لم يقدم إلا رؤية جزئية مبتسرة لأحداث التاريخ البيزنطى الذى صنعه الرجال والنساء معاً.

#### ثامناً : الطابع الدبنى لمصادر تاريخ الإمبراطورية البيزنطية:

من الملاحظ أن تاريخ تلك الإمبراطورية تم تغليفه بالدين فى العديد من أحداثه فى عصور عرفت بعصور الإيمان من خلال تعاطم الظاهرة الدينية خلالها، وهكذا ؛ نجد أن المصادر التاريخية التى ألفها مؤرخون تلقوا تعليماً كسبياً فى المقام الأول؛ تفيض كتاباتهم بلطابع

الدينى ، وهو أمر يجعل المؤرخ الذى يريد تفسير الأحداث تفسيراً عقلياً من خلال البحث عن الدوافع الحقيقية المحركة للحدث التاريخى ، وكذلك النتائج الناتجة عنه- تجعله يواجه مشكلة حقيقية هى هل يأخذ دائماً بالتفسير الدينى للأحداث ؟ أم أن هناك الجوانب الأخرى التى حرص قطاع من المؤرخين المعاصرين على إخفائها؛ دعماً للتفسير المذكور؟ ولانغفل أن الامبراطور البيزنطى نفسه ؛ نظر إليه المعاصرون على أنه نائب السيد المسيح ولذلك تم ترك الجانب الأيسر من العرش شاغراً<sup>(١١)</sup>؛ على نحو لم يخل من الدلالة الدينية

كما أن الامبراطور كان إمبراطوراً وأسقفاً معاً ، ولانغفل أيضاً أن الغرب الأوروبى خلال القرون الوسطى شهد الصراع بين الامبراطورية والبابوية ، أما فى بيزنطة فمثل ذلك الصراع لم يوجد إلا فى حالات نادرة لاتمثل بأى حائز من الأحوال ما يوصف بأنه ظاهرة تاريخية

ولانغفل ؛ أن الخلاف حول طبيعة السيد المسيح مثل جدلاً محتدماً لايمكن إنكاره ، وفى مرحلة من المراحل ؛ حدث صراع محتدم على عبادة الأيقونات Icons ، وكان لزاماً على كل إمبراطور أن يوضع موقفه من تلك القضية التى أثارت صراعاً واسع النطاق واستهلكت طاقة الإمبراطورية فى مرحلة من مراحل تاريخها

وبندرج تحت ذات المشكلة ؛ توافر عدد كبير من القديسين<sup>(١٢)</sup> فى تاريخ بيزنطة ، ومن أمثالهم وأشهرهم القديس يوحنا الذهبى الفم St. John Chrysostom<sup>(١٣)</sup> ، والقديس

١- هسى ، العالم البيزنطى ، ص ٢٣٠

٢- عن ذلك انظر المدخل الجيوبوغرافى الجزء الخاص بالكتابات الهجيوجرافية

٣- القديس يوحنا الذهبى الفم؛ ولد فى أنطاكية عام ٣٤٧م ، وتعنى كلمة Chrysostom أى ذهبى الفم Golden mouth ، وكان الابن الوحيد لأحد ضباط الجيش الامبراطورى ، وصار مبشراً بالمسيحية لمدة ١٢ عاماً وفى عام ٣٩٨م تم انتخابه رئيس اساقفة للقسطنطينية ، وقد واجد عدداً من جهنين مخالفين ضده فى صورة أبودوكسيا Eudoxia زوجة الامبراطور اركادبوس Arcadius ورئيس أساقفة الاسكندرية ثيوفيلوس Theophilus ، ويلاحظ أن عدداً من أعماله قد ترجمت إلى الإنجليزية ، وتعرف أنه توفى فى كورمانيا Cn- mana فى بوتونس Potus فى ١٤ سبتمبر عام ٤٠٧م ، ويوم عيده هو ٢٧ يناير عنه انظر:

Atwater, The Penguin dictionary of Saints , p. 198-199

خليل رسته ، القديس يوحنا الذهبى الفم ، ط ، دمشق ١٩٨٣م.

جريجورى الزبازنى Gregory of Nazianzus<sup>(١١)</sup> ، والقديس ديمترى St. Demetry ، وغيرهم ، وقد فصلت المصادر التاريخية - معجزاتهم - على نحو عكس اعتقاد معاصريهم الراسخ فيهم وتأثيرهم الكبير على الوجدان الشعبى البيزنطى العام .

وهكذا ؛ فإن تاريخ بيزنطة يرتبط دائماً (بالتابو) أو الدينى والمقدس الذى تعمق على مدى توالى القرون ، وصار جزءاً من «العقل الجمعى البيزنطى» حتى لحظة السقوط الأخيرة عام ١٤٥٣م .

ومن زاوية أخرى؛ كثيراً ما احتوى تاريخ تلك الإمبراطورية على ظاهرة واضحة المعالم فى صورة «تسييس الدين»؛ من أجل إضفاء طابع أخلاقى تبريرى لسلوك رجال السياسة البرجماتيين ولإرضاء الجماهير التى كانت فى أحيان كثيرة تعاني من التدين العاطفى .

ويلاحظ ؛ أن تسييس الدين لم يقم به الأباطرة فقط ، بل شارك المؤرخون الرسميون فى أمره . وأيسر دليل وضّاح دال على ذلك يتمثل فى المؤرخ البيزنطى الأول يوساب القيسارى أسقف قيسارية فلسطين Eusebius Caesarinus Eusabius of Caesarea مؤلف كتاب حياة قسطنطين The life of Constantine, Vita Eusebius Caesarinus Eusabius of Caesarea Constantini حيث اعتبره الحوارى الثالث عشر للسيد المسيح عليه السلام . على الرغم من أن الدراسة المتأنية تثبت أنه كان رجلاً سياسياً ماهراً ، ودموياً عنيفاً حتى مع أقرب الأقربين . ولم يكن الدين يمثل له أكثر من قنطرة عبور لتحقيق أهدافه السياسية العليا

تأسعاً ؛ الطهبة الجدلية للتاريخ البيزنطى ووجود أكثر من رؤية تفسيرية له .

واقع الأمر؛ يملك ذلك التاريخ طبيعة خاصة فى صورة الجدل بشأن أباطرته ، ودوائع سياساته ، ونتائجها ، ولذلك اختلف مؤرخو الدراسات البيزنطية فى العديد من وقائع ذلك

١ - جريجورى الزبازنى Gregory of Nazianzus عالم لاهوت . ولد فى اربانزوس Ananzus وكان والده أسقفًا على زبازنوس Nazianzus فى كبادوكيا Cappadocia . وتم ترسيبه كاهنًا على يد والده عام ٣٦٢م . وكان ذلك على عكس رغبته حيث أراد أن يكون راهبًا . على أية حال فى عام ٣٧٩م . التحق باللاهوت كسبى فى القسطنطينية . ويلاحظ أنه توفى بالقرب من اربانزوس Arianzus عام ٣٨٩م . ويوم عبده برافق ٩ مايو . عنه أنظر : Attwater, Dictionary of Saints, p. 160-161

التاريخ منذ بدايته حتى نهايته ، ولاتفعل ؛ أن الشعب البيزنطي نفسه اتسمت حياته بالجدل حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام . وصار «الجدل البيزنطي» مضرب الأمثال .

ولاتفعل ؛ أن ذلك الوضع منح التاريخ المذكور نوعاً من الحيوية الخاصة ، على نحو لا نجد معه الاتفاق على مختلف قضاياها الكبرى بل الإختلاف الجوى المستمر . وهو أمر لا نجد على نفس الدرجة في تاريخ الغرب الأوربي في العصور الوسطى المتزامن معه .

ويعقباس «الثابت» و«المتغير» في التاريخ البيزنطي ؛ نجد أن عناصر التغير في رصد أحداثه وتحليلها تعد متفوقة على عناصر «الثبات»<sup>(١)</sup> ، ودعم ذلك كله اختلاف المؤرخين في تقويمه . ويكاد لا توجد أحداث في ذلك التاريخ دون أن تكون في دائرة الجدل بين المؤرخين

واقع الأمر ؛ فقد مر التاريخ البيزنطي بعدة مراحل ، فخلال القرن ١٨م ، الذي عرف بعصر الإستنارة نجد أن فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨م) ندد بما أسماه الامبراطورية الإغريقية ، ولم يجد في أحداث تاريخها إلا كل ما يبعث على الحزى، والعار كما لاحظ العلامة شفيق غريبال<sup>(٢)</sup> .

١- يلاحظ هنا أن تعبير «الثبات» هنا استعماري لأنه لا يوجد ثبات حقيقي في حركة التاريخ فالثبات الوحيد هو التغير .

٢- عن ذلك انظر المقدمة التي كتبها المؤرخ الراحل في تصديره لترجمة عبد العزيز توفيق حاويد للحضارة البيزنطية الذي ألفه ستيفن رتسيمان

فولتير ؛ لقب أطلق على فرانسو ماري أرويه Francois Marie Arouet de Voltaire وهو مفكر فرنسي عاش فيما بين عامي ١٦٩٤ ، ١٧٧٨م وقد تناول بالنقد اللاذع أفكار عصره وسخر من أغلب الشخصيات المعاصرة، وتعرض من جراء ذلك للسجن في الباستيل. كذلك تم نفيه إلى إنجلترا، وقد خلف الحرية في مآساته بروتوس عام ١٧٣٠م. وهاجم النظام السياسي الفرنسي من خلال الرسائل الفلسفية عام ١٧٣٤م. وتعد مؤلفاته أحد الروافد الأساسية التي أدت إلى إنفلاق الثورة الفرنسية.

عن فولتير انظر.

Hunt, The French Revolution, London 1998, p. 7.

Doyle, Origins of the French Revolution, Oxford 1999, p. 37, p. 82, p. 84

جورج كوسى، تاريخ الثورة الفرنسية، ط. بيروت - باريس ١٩٨٩م، ص ٥٥-٥٦

محمود المقداد ، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة عالم المعرفة ط. الكويت نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٩٢م، ص ١٤٦، حاشية (٣)

إسماعيل ياغي، تاريخ أوروبا المعاصر، ط. الرياض ٢٠٠٣م، ص ١٠

وعلى ذات النهج؛ نجد أن المؤرخ البريطاني إدوارد جيبون Edward Gibbon مؤلف الكتاب الشهير . A History of the decline and Fall of the Roman Empire أى تاريخ اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية وقد نظر إلى تاريخ العصور الوسطى بصفة عامة نظرة عقلانية وقد رأى أن تاريخ بيزنطة ما هو إلا سلسلة متصلة الحلقات من عمليات سفك الدماء . والاعتقالات والمؤامرات للوصول إلى المنصب الامبراطورى . وبوجه عام ؛ لم ينظر نظرة تعاطف تجاهه ، بل نظرة ازدراء<sup>(١)</sup> .

كذلك ؛ لاتغفل إسهام فنلاى Finlay الذى ألف كتاباً عن تاريخ الاغريق من سيطرة الرومان حتى عصره أى حتى عام ١٨٦٤م على وجه التحديد ووقع فى (٧) مجلدات .

ويلاحظ أنه- على عكس جيبون- تحمس لتاريخ الاغريق خاصة لثورتهم ضد الحكم التركى . وقد نظر إلى تاريخ الدولة البيزنطية على أنه تاريخ دولة إغريقية قومية<sup>(٢)</sup> ، ويلاحظ هنا؛ أن المؤرخين الإغريق المحدثين نظروا إلى تاريخ تلك الدولة كما لو كانت دولة إغريقية قومية . ولذلك ؛ أشادوا بها ، ولم يعملوا على إبراز ما فيها من سلبيات

وقد انتقل الأمر إلى الروس؛ نظرا لكون القياصرة الروس قد اعتبروا أنفسهم خلفاء لأباطرة القسطنطينية<sup>(٣)</sup> . ولاتغفل دور بيزنطة السابق فى نشر المسيحية فى صفوف الروس ، ونشر حضارتها بينهم ، وهكذا؛ اهتم المؤرخون الروس المحدثون بإبراز التاريخ البيزنطى من خلال اهتمامهم بالتاريخ القومى الروسى .

وهكذا ؛ تتضح لنا أبعاد المشكلة من خلال رصد سريع لتطور الاهتمام بالدراسات البيزنطية . فكل عصر كان يُشكّل تصورات مؤرخيه ، وبالتالي يظهر لنا تبنى المؤرخين

= عبد العزيز سليمان نوار ، التاريخ الحديث أوروبا من الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية ، ١٧٨١-١٨٧١ ، ط . القاهرة ب- ت . ص ٣٩-٤٣

١- ويلاحظ أن أفضل عمل جماعى لدراسة فكر جيبون كمؤرخ من خلال كتابه المذكور هو Mckitterick and quinault (eds.) Edward Gibbon and Empire. Cambridge 1997

ويحتوى على (١٤) بحثاً لتقييم توجهات جيبون كمؤرخ ووقع الكتاب المذكور فى ٣٥١ صفحة . أما جيبون نفسه فانظر ما أسلفت الإشارة إليه من قبل

٢- رنسيان ، الحضارة البيزنطية . ص (من مقدمة شفيق غربال)

اليونانيين والروس المحدثين للتاريخ البيزنطي على إعتبار أنه جزء لا يتجزء من تاريخهم القومى<sup>(١)</sup>، ويلاحظ أن كل فريق رأى فى ذلك التاريخ جوانب تدعم وجهة نظره بل ومصالحه القومية حتى فى العصر الحديث بتأصيله تاريخياً وامتلاك المبررات الكافية من أجل دعم تصوراتهِ، ولذلك يحق لنا القول: أن التاريخ البيزنطي؛ نظراً للموضع السالف الذكر احتوى على تصورات تتسم بالتباين، والاختلاف حتى أن الطبيعة الخلاقية صارت جزءاً لا يتجزأ منه، حقيقة أن ذلك أوجد نوعاً من الحيوية فى دراسته غير أنه - من زاوية أخرى- يرهق باحثيه الجادين

والواقع؛ أن هناك جوانب بالغة القسوة، والعنف، والدموية عبر فصوله المتعددة خاصة عند التصارع على المنصب الإمبراطورى مطلق السلطات، ومع ذلك؛ هناك جوانب حضارية لا تنكر فيه فى صورة العمارة الدينية، والمدنية والحربية وكذلك الأدب البيزنطي الكنسى، والملحمى ولا تغفل؛ كتابات المؤرخين البيزنطيين الذين عبروا عن روح أمه كاملة؛ على نحو عكس أن «الصورة» لم تكن قائمة تماماً، بل احتوت على جوانب أخرى مضينة لا تنكر كذلك دور بيزنطة فى التبادل الحضارى فى العصور الوسطى مع العباسيين، والروس، وغيرهم؛ مما دلُّ على دورها الإيجابى حينذاك

وهكذا؛ فالمنطق يدعو إلى التصور بأن كلاً من الطرفين يحوى جانباً صائباً، من خلال وقائع التاريخ البيزنطي ذاتها، وبصفة عامة؛ فإن الهجوم الزائد، والتعاطف الزائد لا يفيد فى تقويم ذلك التاريخ الحافل بالتناقضات التى قد نجد فيها فى سياسات أسرة حاكمة واحدة، بل ربما سياسة إمبراطور واحد!

١- نفسه، ص

٢- ولا أدل على ذلك من إشارة المؤرخ استروجورسكى حيث قال ما نصه بشأن اليونانيين والتاريخ البيزنطي:

"Greece had long been concerned with Byzantine history for to Greek Scholars Byzantium was Simply apart of Their own national History", Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 11



### عاشراً : مشكلة تأثير القادات الكارزمية<sup>(١)</sup> :

احتوى التاريخ البيزنطى على عدد من القيادات السياسية والحربية التى تركت تأثيراً كبيراً على المؤرخين المعاصرين ، وكذلك المحدثين، وكانت شخصياتهم آثرة بحيث صعب التخلص من تأثيرها ، وهكذا : فعندما تناولهم المؤرخون المعاصرون، واللاحقون وجدنا قطعاً منهم إنتهز بهم . وكتب تاريخهم من خلال ذلك الطابع ، وبالتالي لم يلتزم بروح الموضوعية العلمية الراجعة

وينطبق ذلك على عدد من الشخصيات مثل قسطنطين الأول (٣٢٤-٣٣٧) ، وباسل الثانى (٩٧٦-١٠٢٥م)

لانفعل : أن المؤرخين المعاصرين لذلك التاريخ ومنهم من اقترب بدرجات متفاوتة من عدد من الأباطرة بالغوا - فى أحيان متعددة- فى تقويمهم ، وارتبطت زاوية الكارزما بالدعائية التى تفيض بها المصادر التاريخية البيزنطية عندما يكون المؤرخ المعاصر متأثراً بأحد الأباطرة على نحو خاص عن شارك فى رفعة شأن الإمبراطورية على الصعيد الحربى والسياسى وزاد الأمر من خلال احاطة مثل تلك الشخصيات بالطابع الدينى كما أسلفت الإشارة من قبل.

ومن المهم الإشارة هنا؛ إلى أن تأثير الكارزما يجعل المؤرخ لا يرى قادة التاريخ البيزنطى بالرؤية الموضوعية ، بل من خلال نظرة الإعجاب الزائد بهم وتعظيم شأن كل عمل قاموا به ، - على الرغم من أن المعاصرة حجاب- وهنا يتحول المؤرخ ليصبح جزءاً لا يتجزأ من مشكلة كتابة

---

١- الكاريزما Charisma هى إحدى الخواص التى تتصف بها القيادة ، وتعنى القدرة على بث واستلهام الإيمان لدى الآخرين والتأثير فيهم إلى حد كبير، ويرى ماكس فيبر Max Weber أن الكاريزمية قوة خلاقة مؤثرة فى التاريخ وأنه من الضروري دراستها من خلال البيئة الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية، والثقافية التى تحيط بالزعيم صاحب مثل تلك الشخصية.

عن مصطلح الكاريزما أنظر:

ممدوحة محمد سلامة ، الكاريزمية- القدرة على التأثير على الآخرين ، مجلة علم النفس، العدد (١٤) ، أبريل - مايو - يونيو ١٩٩٠م، ص١٥٨-١٦٤ ، أحمد الحشاش التفكير الاجتماعى ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص٥٩٩ ، عبدالله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع التنظيم، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م، ص٢٠٧ جاسم بونس الحريرى، دور القيادة الكارزمية ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، =

التاريخ المذكور : خاصة عندما يقوم بدراسة إمبراطور ما من الأباطرة لعدة أعوام من خلال « التوحيد » مع المادة التاريخية المصدرية، والمرجعية . على نحو يجعله « جزءاً » لا يتجزأ، منها ويلاحظ أن التاريخ البيزنطي حينئذ يعانى من تصارع « الذات » و« الموضوع »،. ومثل تلك الحالة من « التشيع » بالبطريرك التاريخي يجعل المؤرخ الحديث يتحول كأنه مؤرخ رسمى معاصر يكتب دراسته بعيداً عن الموضوعية التاريخية الواجبة دون أن يدري ، مع ملاحظة : أن « التوحيد »، و« المعاشة » مع أحداث التاريخ البيزنطي- وما أكثرها تتعارض مع الانفصال الضرورى من جانب المؤرخ عندما يقوم بالحكم بموضوعية على وقائع الأحداث، لكي ينجر بنفسه ، وبأبطاله، ويقرائه - وهذا هو الأهم- من أسر الكاريزما التي من الصعب الفكك منها .

### هادى عشر : واقع الكتابة التاريخية العربية المدبنة عن التاريخ البيزنطى (المشكلة الإقليمية) :

تعانى الدراسات التاريخية البيزنطية فى العالم العربى من عدم توافر مراكز بحثية متخصصة على شاكلة المعروف على المستوى العالمى وكذلك المجالات العلمية المتخصصة ، ومن أمثلة تلك المراكز

- مركز الدراسات البيزنطية واليونانية الحديثة والعثمانية فى برمنجهام بالإنجلترا
- مركز الدراسات البيزنطية فى سالونيك باليونان.
- مركز دامبرتون او كس بواشنطن بالولايات المتحدة الامريكية.
- مركز الدراسات البيزنطية التابع للاكاديمية الصربية للعلوم فى بلجراد.

- معهد دراسات العصور الوسطى والدراسات البيزنطية بجامعة نورثام . وذلك على الرغم من توافر الإمكانيات المادية ، وأهمية العلاقات العربية البيزنطية وهى جزء لا يتجزأ من

---

= ط. أبو طيسى ٢٠٠٣ . ص ١٠ : محمد مؤنس عرض « أضواء » على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية فى القرنين ١٢ . ١٣ م / ٧٠٦ هـ . ضمن حولية التاريخ الإسلامى والوسطى ، م ( ٣ ) . عام ٢٠٠٣م . ص ٢٦٧ . « من مشكلات دراسة تاريخ الحروب الصليبية » . ضمن كتاب الحروب الصليبية السباسة - المباد - العقيدة : ط. القاهرة ٢٠٠١م . ص ٩ - ص ٢٤ ، ميشيل مان . موسوعة العلوم الاجتماعية . ت . عادل مختار الهزارى ، وسعيد عبد العزيز مطلوح . ط. الكويت ١٩٩٤م . ص ١٠٢

تاريخنا القومى؛ ولذلك فإن جهود الباحثين فى المجال المذكور تعانى من التشرذم وعدم التنسيق ، ولا أمل فى تطويرها دون القيام بتأسيس مركز عربى متخصص فى التاريخ البيزنطى؛ كى يعمل عليعقد حتى هذه اللحظة أى مؤتمر دولى واحد عن الدراسات البيزنطية فى أى دولة من الدول العربية على الرغم من الإمكانيات المادية البارزة التى يشهد عليها الجميع

ولانزاع؛ فى أن أى تطور فى حقل الدراسات البيزنطية - على المستوى العربى- لا يمكن تحقيقه دون عقد مثل تلك المؤتمرات التى من شأنها تقديم الجديد من البحوث والدراسات وإيجاد الاحتكاك مع المؤرخين الأوربيين ، لشكوين تصور واقعى عن الفجوة المعرفية التى تتسع بين العالم العربى وبينهم.

على أية حال ؛ فإن كافة تلك 'لمشكلات تعكس لنا أن التاريخ البيزنطى له خصوصيته خلال توافر عدد منها عند التصدى له بالكاتبه .

وقد يتصور البعض؛ أن كل كيان سياسى ما فى العصور الوسطى سواء فى الشرق الإسلامى أو فى آسيا الصغرى أو شرقى أوروبا أو فى الغرب الأوربى ، كانت له مشكلاته الخاصة به فى المعالجة التاريخية من خلال طبيعة المصادر ذاتها على نحو إنعكس بدوره فى معالجة المؤرخين المحدثين أنفسهم . ومع ذلك ؛ تبقى هناك خصوصية مشكلات الكتابة التاريخية . وهكذا ؛ فإن الامبراطورية البيزنطية لها طابعها الخاص على نحو ميزها على غيرها من الكيانات السياسية الكبرى خاصة لدى عالم العصور الوسطى العامر بالأحداث والصراع، والمواجهات بين مختلف القوى الدولية.

ذلك عرض عن مصادر التاريخ 'بيزنطى ثم مشكلات دراسته . أما الصفحات التالية، فيتم تخصيصها لعرض أهم ملامح ذلك التاريخ من خلال تناول الأمر الحاكمه.

القسم الثاني

تاريخ الأسر البيزنطية الحاكمة

٢٢٠ - ١٤٥٢م



## تاريخ الأسر البيزنطية الحاكمة

٣٣-١٤٥٣م

يتعرض هذا القسم من الكتاب للملاح التاريخ البيزنطى على مدى القرون المتعددة التى شكلت التطور التاريخى لتلك الإمبراطورية المعمره.

واقع الأمر؛ افتتحت بيزنطة تاريخها بالجدل بين الباحثين بشأن عام الميلاد<sup>(١)</sup>، وفيما يلى أقدم عرضاً موجزاً عن أهم الآراء التى قبلت فى هذا الشأن:

أولاً: هناك من تصور أن عام ٢٨٤م يصلح لميلاد تاريخ الإمبراطورية البيزنطية على اعتبار أنه يمثل حداً فاصلاً فى تاريخ الدولة الرومانية حيث تولى حكمها الإمبراطور دقلديانوس وهو أول من أعجبه إلى تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين شرقى . وغربى<sup>(٢)</sup>.

١- اعتمدت فى هذا الشأن على ما أورده أ.د. جوزيف نسيم يوسف حيث قدم أفضل عرض بالعربية أنظر:

جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨-١٤٥٣ . ط. الاسكندرية ١٩٨٤ م . ص ١٥-ص ٢٣  
كذلك هناك تناول مهم فى المقدمة التى كتبها أ.د. رأفت عبد الحميد فى تقديم الترجمة العربية لكتاب هسى، أنظر هسى، العالم البيزنطى، ترجمة رأفت عبد الحميد . ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٣ - ٦٥

٢- يتطلب الأمر تسليط الضوء على ما عرف بأزمة القرن الثالث الميلادى، حتى يمكن معرفة قيمة الدور الذى قام به دقلديانوس ، فيلاحظ أن الإمبراطورية الرومانية خلال المرحلة من ٢٣٥م إلى ٢٨٥م اعتلى العرش خلالها أكثر من ٢٦ إمبراطوراً وقد اغتيل أغلبهم وكان من يصل إلى العرش يقوم باغتيال معارضيه ، ولانفعل أن من مظاهر تلك الأزمة عدم الاستقرار السياسى والإضطراب الاقتصادى . وتأثير غارات القبائل الجرمانية والفرس وعند تولى دقلديانوس الحكم تمت موهبة الإدارة ، فعمل على الفصل بين السلطتين العسكرية والمدنية ، وجعل الامبراطورية تنقسم إلى قسمين شرقى وآخر غربى وكل قسم يتولاه امبراطور يتلقب بلقب أغسطس Augustus كذلك اتخذوا اجراءات أخرى كان من شأنها إنقاذ الامبراطورية فيما هى فيه من اضطراب عن ذلك انظر:

رستون فنتز ، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى . ت. زكى على ومحمد سليم سالم . ط. القاهرة ، ١٩٥٧م، ج ١ ، ص ٦٠٤- ٦١٧

سيد الناصرى ، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسى والحضارى . ط. القاهرة ١٩٧٥م، ص ٢٧٩- ٢٨٠

حستين ريج ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٣- ١٨

ثانياً رأى البعض أن عام ٣٢٣م وهو عام تولية الامبراطور قسطنطين عرش الامبراطورية، هو الأجدر بذلك نظراً للتغيرات الفعالة التي حدثت خلال عهده. وهو أمر يستتبع من خلال الصفحات التالية.

ثالثاً وجد اتجاه آخر يقرر أن عام ٣٣٠م<sup>(١)</sup>؛ الأجدر بأن يكون تاريخ ميلاد الامبراطورية البيزنطية نظراً لافتتاح القسطنطينية في ١١ مايو منه، والتي عدت عاصمة تلك الامبراطورية.

رابعاً: فُضِّل البعض عام ٣٩٥م على اعتبار أنه العام الذي قام فيه الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I بتقسيم الامبراطورية إلى قسمين شرقي حكمه ابنه أركاديوس Arcadius، وغربي، وحكمه ابنه هونوريوس Honorius<sup>(٢)</sup>.

خامساً: اتخذ فريق آخر من المؤرخين عام ٤٧٦م، بداية ذلك التاريخ على اعتبار إسقاط روما فيه على أيدي الجرمان بقيادة ادواكر Odoacer وانتهاء حكم الإمبراطور رومولوس أوجستيلوس Romulus Augustulus آخر امبراطور روماني، وبذلك انتهت الامبراطورية في الغرب- وعند أصحاب ذلك الرأي - بدأت الإمبراطورية الرومانية الشرقية أي البيزنطية.

سادساً: هناك من قرر أنه حتى عهد الامبراطور جستنيان الذي امتد عهده بين عامي ٥٢٧ إلى ٥٦٥م؛ لم يكن هناك دولة بيزنطية بالمعنى الشائع لتلك العبارة؛ إذ حاول استعادة القسم الغربي من الإمبراطورية من أيدي الجرمان، ولذلك؛ اعتبره ذلك الفريق آخر إمبراطور روماني، كما أوضح جوزيف نسييم يوسف<sup>(٣)</sup>.

= أَيْضاً هَذِهِ الدِّرَاسَةُ:

محمد السيد محمد عبد الغنى، نحت من تاريخ مصر تحت حكم الرومان، ط. الاسكندرية ١٩٩٩م، ص١٢٧ - ص١٤

١- وفي هذا المجال يقرر السير ستيفن رنسيان ما نصه:

"The year 330 is the best date to take as The Starting- point for Byzantine History"

Runciman, Byzantine Civilization, p. 11

٢- اعتقد محمد صلاح سالم؛ أن ذلك التقسيم حدث بعد مصرع الامبراطور جوليان وهو أمر بعيد عن التصواب. انظر: محمد صلاح سالم، القدس - الحق - التاريخ والمستقبل، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٥٣

٣- تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٨

سابقاً رأى فريق آخر ؛ أن بداية ذلك التاريخ عام ٥٦٥م؛ وهو عام وفاة الامبراطور السالف الذكر؛ حيث فشلت جهوده فى استعادة القسم المفقود من الامبراطورية . وكان على القسم الشرقى أن يتجه اتجاهًا هليليًا خاصًا به .

ثامناً : وهو اتجاه يقول بعام ٧١٧م ؛ وهو عام تولية الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى Leo III The Isaurian الحكم فى القسطنطينية وتصديه لحصار المسلمين لها حينذاك وكذلك ظهور الحلاف حول عبادة الأيقونات

تاسعاً : هناك قطاع من المؤرخين قرر أن عام ٨٠٠م، هو العام الذى يبدأ به التاريخ البيزنطى؛ ففى ذلك العام؛ تم تتويج شارلمان إمبراطوراً فى كنيسة القديس بطرس St. Peter فى روما، فمنذ تلك الحادثة- فى تقدير ذلك الفريق - ظهرت إمبراطوريتان واحدة فى الغرب وأخرى فى الشرق فى صورة الإمبراطورية البيزنطية.

ومن وجهة نظرى ؛ أرى أن عام ٣٣٠م ؛ وهو العام الذى شيدت فيه القسطنطينية العاصمة البيزنطية ، هو الأرجح لبداية التاريخ البيزنطى، حيث أن تلك المدينة كانت بمثابة القلب بالنسبة للإمبراطورية واستمرت الأخيرة قائمة طالما استمرت الحياة متدفقة فى ذلك القلب. وبالتالي ، فإن تأسيسها وافتتاحها فى العام المذكور لا يمثل حدثاً عادياً ؛ بل محورياً فى تاريخ تلك الإمبراطورية على نحو خاص ، وتاريخ العصور الوسطى بصفة عامة.

على أية حال ؛ فإن ذلك الجدل حول الميلاد البيزنطى غير خير تعبير عن الطبيعة الجدلية العامة لذلك التاريخ منذ خضراته الأولى.

أما الممات البيزنطى فقد اتفق عليه غالبية المؤرخين بأنه ٢٩ مايو ١٤٥٣م عندما فتحت على أيدى الأتراك العثمانيين بقيادة محمد الفاتح وكان حاكمها حينذاك قسطنطين الحادى عشر آخر الأباطرة البيزنطية.

جدير بالتنويه؛ على مدى تاريخ تلك الإمبراطورية كان شبح الموت يتهددها ، وفى مرات متعددة كانت على وشك السقوط إلا أنها قاومت ذلك بكل ما أوتيت من عزيمه وقوة وقدرة على البقاء وقد أفادت من إمكاناتها المتوافرة ؛ الجغرافية والعسكرية والاقتصادية.



وهكذا ! ندرك تماماً أن تاريخ بيزنطة ذاته مما هو إلا تاريخ تصارعها مع فكرة الموت<sup>(١)</sup> إلى أن حل بها في العام السالف الذكر كقضاء محتوم لا يمكن الفرار منه. مهما يكن من أمر: نبدأ في تناول عرضنا لمعالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية من خلال الأسرات الحاكمة ونبدأ بأسرتي قسطنطين وثيودوسيوس.

---

١- فكرة الحياة والموت للكليات الأوربية في العصور الوسطى سبق أن تناولها كل من برييه بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية، ونورمان كانتور بالنسبة لتاريخ أوروبا العصور الوسطى بصفة عامة . من ذلك مؤلفاتهما وهي:

**Brehier, Vie et mort de Byzance, Paris 1946 .**

**Cantpor , Medieval History birth and death of civilization, New York 1969 .**

وأتصور أن تلك الثانية جديرة بأن تطرح بصفة مستمرة نظراً لثورتها ولتعدد معالجاتها بين الحين

## أولاً : أسرتى قسطنطين وثيودوسيوس (٣٢٤-٥١٨ م) :

نتناول فى العرض التالى : أسرتى قسطنطين وثيودوسيوس ودورها فى التاريخ المبكر للإمبراطورية البيزنطية ، ويلاحظ أنهما يعدان وحدة تاريخية من خلال تواصل الأحداث التى وقت خلال عهديهما

أما فيما يتصل بأسرة قسطنطين : فقد حكم فيها عدد من الأباطرة فى صورة قسطنطين Constantine الذى يحلو للبعض تلقيبه بالكبير (٢٢٤-٣٣٧م) و قسطنطين الثانى Con-stantine II (٣٣٧-٣٤٠م) ، وقسنطازز Constance (٣٣٧-٣٥٠م) و قسطنطيوس Con-stantius (٣٣٧-٣٦١م) ، وجوليان المرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣م) وجوفيان Jovian (٣٦٣-٣٦٤م) ، وقالنز Valenz (٣٧٤-٣٧٨م) ، ويعد الامبراطور قسطنطين<sup>١١</sup> صاحب أكبر تأثير من بين أولئك الأباطرة جميعاً ليس فى تاريخ تلك الأسرة فقط، بل على مدى مراحل التاريخ البيزنطى بصفة عامة.

ومن الممكن إبراد أبرز أعمال ذلك الامبراطور على النحو التالى :

أولاً : الاعتراف بالمسيحية كأحدى الديانات القائمة فى الامبراطورية ، ودوره فى مجمع نيقية عام ٣١٥م.

ثانياً : تشييد مدينة القسطنطينية ، وإفتتاحها عام ٣٣٠م.

وفيما يتصل بالإلحاح التاريخى الأول: من الملاحظ أن السيد المسيح عليه السلام ولد أثناء عهد الإمبراطور أغسطس Augustus (ت ١٤م) فى بيت لحم واتجه إلى الدعوة للديانة الجديدة

١- قسطنطين الأول، هو فلأفيوس فاليريوس كونستانتينوس Flavius Valerius Constantinos، ابن كونستانتينوس وهيلينا ، وقد قام الإمبراطور دقلديانوس بالإشراف على تربيته فى نيقية، وعندما تنازل عن العرش عام ٣٠٥م شارك والده فى حكم القسم العربى، وعندما مات والده عام ٣٠٦م نادى به جنوده إمبراطوراً ، وفيما بعد قام بهزيمة ماكستينوس Maxintius فى معركة جسر ميلينيان بالقرب من روما عام ٣١٢م كما قام فى عام ٣٢٤م بهزيمة ليكينوس Lecinius فى تراقيا ، وقد توفى قريباً من نيقومديا فى ٢٢ مايو ٣٣٧م.

عنه أنظر:

Eusebius, Extrats from Eusebius life of Constantine, Trans. by John Bernard, P.P.T.S., vol I . London 1896 . Nicol, A Biographical dictionary , pp. 24-25 .

رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة ، ج٢ قسطنطين ، ط. القاهرة ١٩٩٩م.

ومجد في العهد الجديد صوراً متعددة لسيرة حياته ودعوته والأفكار التي أتى بها مع ملاحظة أن القديس بولس<sup>(١)</sup> St.Paul قام بدور بارز في مجال تنظيم المجتمعات المسيحية المبكرة ، وكذلك وضع أسس اللاهوت المسيحي ، وملاحظ الانتشار الواسع للمسيحية؛ جنباً إلى جنب بجوار العقائد الوثنية مثل ديانة سيبل Cybele في آسيا الصغرى، وديانة إيزيس<sup>(٢)</sup> Isis المصرية ، ومثرا Mithras الفارسي

جدير بالذكر؛ تمكن المسيحيون من تشكيل جالية في وقت مبكر خلال القرن الميلادي الأول، وبملاحظ أنها ظلت على مدى ثلاثة قرون؛ غير معترف بها من جانب الرومان

١- القديس بولس St. Paul : ولد في طرسوس Tarsus في كيليكية Cilicia بأسيا صغرى Asia Minor وقد عرف باسم سول Saul . ومن المعروف أنه ورت المواطنة الرومانية من والده اليهودي، وقد توفي في روما عام ٦٧م؛ وعين عبده يوافق ٢٩ يونيو . عنه أنظر:

Attwater, The Penguin dictionary of Saints, pp.266-278 .

أحمد زكي . إنزعوا فتاح بولس عن المسيح . ط. الرياض ١٩٩٥م، أحمد على عجيبية ، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ط. القاهرة: ٢٠٠٤م، ص٥٣-٦٠

٢- إيزيس Isis: معبودة مصرية قديمة لها تاريخ تمتد عبر القرون وأول إشارة إليها مجدها في نصوص الأهرامات التي ترجع إلى عام ٢٣٥٠ق.م. ومجدها هي وأختها نفتيس Nephthys؛ تلعب دوراً بارزاً في إعادة ميلاد الفرعون. وبملاحظ أنها كانت في الأصل مجسداً للعرش واعتبرت الأم الرمزية للفرعون. وبملاحظ أنها ظهرت في صورة التماثيل البرونزية وهي جالسة تقوم بإرضاع طفلها حيث قامت تبحث عن جسد زوجها أوزيريس الذي قتله ست واعتبر الأول إله الخير والثاني إله الشر، عنها أنظر: مانفرد لوركر ، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة . ت. صلاح الدين رمضان، مراجعة محمود ماهر، ط. القاهرة: ٢٠٠٠م، ص١٧ جورج بوزنر . معجم الحضارة المصرية القديمة، ت أمين سلامة، مراجعة سيد توفيق، ط. القاهرة: ٢٠٠٣م، ص٧٦ - ٧٧

E. W. W. R., Isis", ed. by Sernity young vol 1, New York 1999, pp. 487-488 .

٣- ميشراس Mithras: إله أرى الأصل عبد في فارس بوصفه إلهاً للمعدن، والاتفاقيات ، واعتبر حافظاً للحن . والنظام . وقد دخلت عبادته روما في القرن الأول للميلاد عنه أنظر محمد الصابر سالم . عبادة ميشراس في روما ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م، ص٦-٩٧

كذلك تعرض أتباعها للإضطهاد خاصة في عهد الإمبراطور نيرون (٥٤-٦٨م) ،  
 ووصل الأمر إلى الذروة في عهد الإمبراطور دقلديانوس (Deocletianus) (٢٨٤-٣١٣م)  
 حيث تعرف أنه أصدر خلال عامي ٣٠٣ ، ٣٠٤ م : أربعة مراسيم قضت بهدم الكنائس ،  
 وإيداع رجال الدين المسيحي السجن<sup>(١٢)</sup> ، وقد اشترط تقديمهم القرايين للألوهة الوثنية ؛ حتى  
 يتم إطلاق سراحهم ، ويلاحظ أن المسيحيين؛ اعتبروا كافة من قتلوا من جراء الإضطهاد  
 الروماني خلال تلك المرحلة من الشهداء وهكذا ؛ عرف ذلك العصر بعصر الشهداء ، ولاتغفل  
 هنا الإشارة ؛ إلى أن الكنيسة المصرية جعلت عام ٢٨٤م الذي اعتلى فيه الإمبراطور  
 دقلديانوس العرش؛ بداية لتقويمها ؛ مما عكس أهمية ومحورية ذلك العام<sup>(١٣)</sup> . بالنسبة لأقباط  
 مصر

سهما يكن من أمر؛ استمر الحال على هذا النحو إلى أن قام الامبراطور قسطنطين ،  
 وشريكه في الحكم جيتالوك ليكيثيوس بإصدار ما عرف بمرسوم ميلان Melan عام ٣١٣م<sup>(١٤)</sup> ،  
 ومن خلال نصوصه يمكن استنتاج الآتي :

١- عن الإمبراطور دقلديانوس انظر ما سبق ذكره عنه وأيضاً:

Diehl, History of the Byzantine Empire. Trans . by George B. Ives, Princeton 1925 , p. 3 .

Grant, The Collapse and Recovery of The Roman Empire, New York 1999, pp. 39-48 .

٢- عن ذلك انظر:

Jones, The Later Roman Empire 284-602 , vol . I, Baltimore 1986, pp. 71-76 .

٣- Kamil, Coptic Egypt .History and Guide. Cairo, 1990, p. 25 .

٤- تجدر الإشارة إلى أن المؤرخ الألماني أو. سيك O. Seek خرج بنظرية عام ١٨٩١م ترى أنه لا يوجد  
 هناك مرسوم يسمى مرسوم ميلان Edict of Melan؛ إذ أن المرسوم الوحيد هو ذلك الذي عرف بمرسوم  
 التسامح Edict of Tolerance الذي صدر من جانب جاليريوس Galerius عام ٣١١م. ولمدة طويلة فإن أغلب  
 الباحثين لم يتقبلوا ذلك التصور وفي عام ١٩١٣ م وبمناسبة مرور ١٦٠٠ عام على تلك الحادثة ظهرت  
 احتفالات في العديد من الأنظار المسيحية وظهرت كتابات متعددة حول ذلك الأمر، ويقرر فازيليف أن الوثيقة  
 التي صدرت في ميلانو في مارس ٣١٣ م من جانب قسطنطين وليكيثيوس لم يكن مرسومًا بل مجرد خطاب  
 إلى حكام مقاطعات آسيا الصغرى والشرق عمومًا شارحًا لهم كيفية التعامل مع المسيحيين وحالًا أدرك  
 الباحثون ذلك التصور ، عن ذلك أنظر

- ١- إن المسيحية ظلت أشبه شئ بحركة سرية منذ بدايتها حتى إعلان المرسوم المذكور
- ٢- لم يكن ما عرف بمرسوم ميلان أول مرسوم من نوعه يعبر عن التسامح تجاه المسيحيين بل سبقه ذلك المرسوم الذى حمل اسم كل من جالوريوس وليكينيوس . وهما من القيادات البارزة حينذاك ، مع ملاحظة أنه لم يعمل به<sup>(١)</sup>
- ٣- أقر ما عرف بمرسوم ميلان برد كافة الحقوق الدينية للمسيحيين الذين حرّموا منها، كذلك أقر بأن تعاد للكنيسة أماكن العبادة، والأراضى التى صدرت من المسيحيين دون إبطاء، مع الإقرار بدفع تعويض مالى كبير من الخزانة الإمبراطورية لأولئك الذين اشتروا من قبل أملاك الكنيسة<sup>(٢)</sup>.

وللتزاع ؛ فى أن ما عرف بمرسوم ميلان يعد تحولاً نوعياً له شأنه فى تاريخ تلك الديانة حيث نقلها من مرحلة الاضطهاد إلى مرحلة الاعتراف بها بين الأديان، والعقائد الموجودة فى ربوع الإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف.

على أية حال؛ ثار جدل واسع النطاق حول دوافع قسطنطين لإيقاف الإضطهاد بالمسيحية، وكذلك احتمالية إعتناقه شخصياً تلك الديانة أو إنعدام ذلك<sup>(٣)</sup>، وبصفة عامة؛ من الممكن القول بإدراكه مبكراً أن المسيحية حتماً سيكون لها الشأن الأكبر فى مستقبل الأيام. وأن كافة الجهود التى بذلتها الإمبراطورية الرومانية فى سبيل اضطهادها ذهبت أدراج الرياح لمنع

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 51-52 .

- أنظر أيضاً ممدوح درويش مصطفى . التاريخ الرومانى من أقدم العصور حتى بداية العصر الإمبراطورى، ط. الرياض ٢٠٠٤م، ص٣٦٧-٣٦٨
- ١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م، ص٣٨ .  
معالم تاريخ الإمبراطورية، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، ص٢٦
- ٢- وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص٤٦
- ٣- أفضل عرض باللغة العربية عن مسيحية قسطنطين لمجد لدى المؤرخ الراحل الكبير أ.د. رأفت عبد الحميد ، أنظر؛ رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ج٢، قسطنطين ، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص١٠١-١٤٠
- وهو أفضل مؤرخ عربى تخصص فى التاريخ الكنى للإمبراطورية البيزنطية وقدم فى هذا المجال ٤ أجزاء من كتابه الدولة والكنيسة . انظر القائمة البيبلوغرافية فى نهاية الكتاب.

إنتشارها، وإجبار المسيحيين على العدول عنها، ورأى الوسيلة الأفضل للاستقرار السياسي، وكذلك دعم النشاط الاقتصادي؛ أن يتم الاعتراف بها ضمن المنظومة الدينية القائمة فى الإمبراطورية الرومانية، ولا تغفل؛ أن ذلك السياسى المحنك؛ أدرك ضرورة مشاركة المسيحيين فى بناء الإمبراطورية، وذلك لن يتأتى إلا من خلال روح التسامح، وبند الاضطهاد الذى لم يقد الإمبراطورية بشئ بل شجع المسيحيين على التمسك بديانتهم، وسقط الكثيرون منهم ضحية له واعتبروا شهداء، حظوا بأكبر تقدير فى صفوف مقلدى تلك الديانة.

أما فيما يتصل بمسيحيته؛ فمن المتصور أنه كان رجلاً سياسياً، ولم يكن الدين يلعب دوراً بارزاً فى تفكيره بل مارس براعة لعبة توازن القوى Balance of Powers؛ فكان مسيحياً مع المسيحيين، ووثيقاً مع الوثنيين، ويقال أنه اعتنق المسيحية، وهو على فراش الموت، وإذا صحت تلك الرواية؛ فإنها تؤكد أنه طوال حياته لم يكن مزماً بها واعتنقها فى اللحظة الأخيرة!

من ناحية أخرى؛ يلاحظ أن ذلك الإمبراطور تدخل فى الخلاف الذى نشأ بين أريوس Arius، وهو أحد رجال الدين المصريين، وبين أثناسيوس Athanasius أسقف الاسكندرية، وقد نادى الأول بوحداية الله، وعارض فى فكرة مساواة الألقوم الأول والثانى فى نطاق الثالوث المقدس الذى يعتقد به المسيحيون.

وقد اتجه ذلك الإمبراطور إلى معالجة الموقف من خلال دافع سياسى فى صورة أن يظل السلام قائماً فى ربوع الإمبراطورية، ولذلك؛ عقد مجمعاً كنسياً فى مدينة نيقية<sup>(١)</sup> Nicea عام ٣١٥م شارك فيه (٣١٨) عضواً، وفيه تم تأييد أفكار اثناسيوس، وتكفير آراء أريوس الذى أمر الإمبراطور بنفيه

١- عن مجمع نيقية أنظر:

Diehl, History of The Byzantine Empire, p. 9

Jones, The later Roman Empire, p. 47 Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 44 .

السيد البار العربى، الدولة البيزنطية ٣٢٣-٨١٠م، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص ٢٨-٢٩، ميشيل جرجس، الكنيسة المصرية، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص ٧٠-٧١ صبرى أبو الخير سليم، تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٤٤-٤٥

ويلاحظ هنا؛ أن الخلاف حول طبيعة السيد المسيح، وتصارع البعض على الجانبين البشرى والإلهي - كما يتصور المسيحيون ذلك- مثل ركنًا ركينًا في تاريخ الفكر الكنسي، وقد استهلك طاقة الامبراطورية في جدل واسع النطاق . ولا أدل على ذلك من أن نفس الامبراطور قام فيما بعد بعقد مجمع آخر في صور<sup>(١١)</sup> Tyre وذلك في عام ٣٣٤م؛ أي قبل وفاته بنحو ثلاثة أعوام تم فيه إلغاء قرارات مجمع نيقية السالفة الذكر . وتم تأييد آراء أريوس Arius ، على نحو عكس أن عصر المؤسس البارز شهد بداية صراعات المجامع الكنسية حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام.

ويلاحظ هنا؛ أن موقف ذلك الامبراطور، وتدخله في أمور الكنيسة قد بدأ به ما عرف بالقبصرية البابوية Caesarpapism<sup>(١٢)</sup>؛ أي أنه إمبراطور، وأسقف معاً

ولتوضيح ذلك : تؤكد على أن الامبراطور قسطنطين ومن أتى بعده من الأباطرة - وعلى نحو خاص جستنيان<sup>(١٣)</sup>، (٥٢٧-٥٦٥م) - اعتقدوا أنهم أصحاب سلطة مزدوجة فباعتبارهم

= ويلاحظ هنا؛ أن ذلك المجمع أدى إلى صدور ما عرف بعقيدة الإيمان النيقى وتنص على أن الابن مسا للآب في الجوهر Homousius (الهوموسية) وأن الابن مولود غير مخلوق (كما يعتقد قطاع من المسيحيين) وأصبح هذا القانون هو الأساس الإيماني الأرثوذكسي إلى يومنا هذا على الرغم من التعديلات التي دخلت عليه بصور متعددة . عن ذلك انظر:

رأفت عبد الحميد ، «سوزومينوس Sozomenus المؤرخ الفزاري» . ص١٢١، حاشية (٢٦) . عبد الواحد داود الأشوري، الانجيل والصلب، قدم له وعلق عليه محمد علي سلامة، ط. القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٣٤

١- عنه أنظر: رأفت عبد الحميد . «السر البابوي بين النظرية والتطبيق» . ندوة التاريخ الإسلامي والوسط . (١٣) - تحرير قاسم عبد قاسم ورأفت عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص١٦٣

٢- عن مصطلح القسارية البابوية أنظر:

Vastliev , History of the Byzantine Empire, p. 148-150. pp. 257-258 .

رأفت عبد الحميد . السر البابوي بين النظرية والتطبيق . ص١٦٣

٣- جدير بالإشارة؛ أن جستنيان - الذي سنفضل الحديث عنه فيما بعد- قرر ما نصه : «حيث أن الامبراطورية Imperium، والكهانة Sacerdotium تتيمان من مصدر واحد، فليس هناك ما بهم الامبراطور في المقام الأول إلا خيرة الكنيسة وسمعتها» . عن ذلك أنظر: رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص١٦٣ وأيضاً

Vasthev, Op. cit . p. 148 .

رومان عدوا أنفسهم الورثة التاريخيين والشرعيين للأباطرة الرومان من الناحية السياسية ، ومن الناحية الدينية اعتبروا أنفسهم ورثة الرسل ، وقد أطلق المؤرخون على تلك السلطة المزدوجة ؛ مصطلح «القيصرية البابوية» السالف الذكر ، للدلالة على أن ما يمثله البابا فى الكنيسة الغربية ؛ يمثله الإمبراطورية فى الكنيسة الشرقية ، وهو ما شكل ظاهرة عرفت باسم اللاهوت السياسى Political Theology فى تاريخ الديانة المسيحية<sup>(١١)</sup>.

بصفة عامة؛ وضع ذلك الإمبراطور قاعدة اتبعتها الأباطرة الرومان المسيحيون ، أو الأباطرة البيزنطيون وهى رئاسة الإمبراطور للمجامع الدينية<sup>(١٢)</sup>.

جدير بالإشارة ؛ بعد تأسيس مدينة القسطنطينية بمثابة الإنجاز التاريخى البارز لذلك الإمبراطور وهى التى ستغدو بمثابة القلب البيزنطى. وقد فكر فى بداية الأمر ، فى إتخاذ عاصمة جديدة بدلاً من روما ، وقد راوده تفكيره فى إتخاذ مسقط رأسه نيش الواقعة فى شمالى البلقان، كذلك تصور فى مرحلة أخرى إمكانية إتخاذ مدينة سردىكا Sardica لذلك الغرض؛ وهى المعروفة باسم صوفيا Sophia<sup>(١٣)</sup>، فى نيقوميديا Nicomedia فى الطرف الشرقى من بحر مرمره كعاصمة له<sup>(١٤)</sup>، غير أن كافة تلك الاختيارات نحاها جانباً ، ومال تفكيره إلى إتخاذ العاصمة فى جهة الشرق حتى يتمكن من مراقبة تحركات كل من الفرس ، والعناصر الجرمانية<sup>(١٥)</sup>.

١- عرفان عبد الحميد فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها ، ط. عمان ٢٠٠٠م، ص٧٥ دراسة ممتازة لباحث يمتاز بالتحليل والعمق.

Nicol. A Biographical dictionary, p. 25

٢- شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ت. مصطفى حه بدر، ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص١٦

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢٨-٢٩

٤- شارلز أومان، المرجع السابق، ص١٦

٥- محمود سعيد عمران ، المرجع السابق، ص٢٩ ، وعن الجرمان بصفة عامة أنظر:

Tacitus, Tacitus on Britain and Germany, Trans. by H. Muttigly, The Penguin Book , London 1954 , pp. 101-140 , La Monte, The World of the Middle Ages, New York 1949 , pp. 36-50 .



وبالفعل كان ذلك الاختيار الأفضل مقارنة بغيره من الاختيارات السابقة وأكدت وقائع التاريخ صحتها .

وأخيراً ؛ توصل إلى موضوع جغرافى عبقرى فى صورة قرية بيزنتيوم Byzantium التى كان قد أسسها قائد يسمى بيزاس Byzace ومعه مجموعة من إغريق مدينة ميجارا Megara عام ٦٥٧ ق.م<sup>(١١)</sup> ضمن حركة الاستعمار الإغريقى الكبرى، وقد اتخذت شكل مثلث تحيط به المياه من ثلاثة جوانب فى صورة البسفور Bosphore، وبحر مرمرة Marmara Sea ، والقرن الذهبى Golden Horn.

= Wolfrani, History of the Goths. Trans. by Thomas J. Dunlop, Berkeley 1990, pp. 19-573

من أفضل الدراسات فى موضوعها أنظر:

Howarth, Attila king of the Huns , The Man and Myth, New York 1994 .

Wells, The Barbarian Speak how The Copnquered Peoples Shaped Roman Europe . Princeton 1999 .

Katz The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, New York, 1960 , p. 88-89

إبراهيم طرخان ، تاركيتوس والشعوب الجرمانية ، ط. القاهرة ١٩٥٩م.

على الضراوى ، ملحمة البطولة الجرمانية، ط القاهرة ١٩٧٢م. محمد محمد مرسى الشيخ، المسالك الجرمانية فى أوروبا فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٧٥م.

محمد شاكر محمود، الجرمان ، نظمهم وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الثالث الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٩٣م، ص١-ص١١، ص١٥-ص٢٣٥

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 57 -١

محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م، ص١٣، حاشية

(١٦)

وميجارا Megara: مدينة وقعت فى وسط شبه جزيرة اليونان بالقرب من خليج كورنثا، وفصل ميجارا عن كورنثاجيل جيرانيز Geraniens . كذلك فصلها عن أنبكا جبل كيرانا Kerata، وقد عرفت ميجارا سكانا منذ الفترة الموكبسية، وتعرضت فيما بعد للغزو الدورى، ويبدو أن الدوريين أطلقوا عليها اسم ميجارا نسبة إلى قصور البيجاريون، وهى على نبط معمارى خاص. واشتهر أهل ميجارا بالملاحة، وبالفعل صاروا من أوائل الإغريق الذين التحموا: إلى إنشاء المستوطنات خلال مركز الاستعمار الإغريقى الكبرى، وقد أقاموا =

جدير بالذكر ؛ أن العاصمة الجديدة وقعت على خط عرض ٤٣ ، وخط طول ٢٩ . وكان خليج البسفور ، وكذلك خليج الدردنيل بمثابة بوابتين للمدينة<sup>(١)</sup> التي حملت اسم مؤسسها فصار اسمها القسطنطينية Constantinople وقد أعطى لها ذلك الموقع الفريد إمكانية التحكم في حركة السفن القادمة من البحر الأسود والمتجهة إلى البحر المتوسط.

والأمر المؤكد ؛ أن القرن الذهبي مثل أهمية خاصة بالنسبة لتلك الامبراطورية الوليدة. فقبل مرور مياه البسفور في بحر مرمرة وجد هناك من الداخل إلى الشمال الغربي خليج كبير مقوس بلغ طوله سبعة أميال عرف بالقرن الذهبي. وكذلك وجد بين ذلك القرن وبحر مرمرة نتوء جبلي أشبه شئ بثلاث متساوي الساقين له رأس مستويه في مواجهة قارة آسيا ، وبالتالي؛ صار البحر بحميها من كافة الجهات باستثناء جهة واحدة<sup>(١)</sup>.

= مستوطنة ميجارا هيباليا Megara Hyblatia في صقلية تقريباً في عام ٧٢٨ ق.م ومستعمرة سليمبيا Selymbria على بحر مرمرة عام ٦٦٧ ق.م ، كذلك أقاموا مستعمرة بيزنطة على البسفور. وفيما بعد صار أهل ميجارا يتحكمون في تجارة البحر الأسود. عن ذلك انظر: عزت زكي حامد قادوس ، العملات اليونانية والهيلينية ، ط. الاسكندرية ١٠١ - ٢٠٠م، ص١١٩ - ١٢٠ ، محمد كامل عباد ، تاريخ اليونان. ط. دمشق ١٩٩٣م. ج١؛ ص١٩٩ ، فوزي مكاي، تاريخ العالم الاغريقي وحضارته من أقدم عصوره حتى عام ٣٣٢ ق.م. ط. القاهرة ، ١٩٩٩م. ص٨١ ، حاشية (١٣) ، حسن صبحي بكرى، الاغريق والرومان والشرق الاغريقي الروماني، ط. الرياض ١٩٨٥م، ص١٨

Faoulaub, " The Transformation of Athens in The Fifth century", in Boedeker & Raaflaub (eds.), Democracy , Empire and the Arts in the Fifth Century Athens, Cambridge , 1998 , p. 18

وعن حركة الاستعمار الاغريقي أنظر:

حسين عبد الحميد الأشرم، دراسات في تاريخ الاغريق وعلاقتهم بالوطن العربي، ط. بنى غازي ١٩٩٦.

ص٩٩

٢- محمد سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٢٩

٣- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٤٩

وفي هذا الشأن يذكر إسحاق بن الحسين ( ١٠٠ م / ٤ هـ) عن القسطنطينية ما نصه « لها ثلاثة أبواب وجوانب . جانباً إلى البحر . وجانب إلى البر بما يلي الروم . عن ذلك أنظر إسحاق بن الحسين ، أكام المرجان في ذكر المدن المشهورة في كل مكان ، إعتناء . فهدى سعد ، ط بيروت ١٩٨٨ . ص١١٦

فإذا لاحظنا أن ذلك الموقع «العبقري» قد أعطاها مناعة طبيعية تزايدت من خلال الدفاعات الصناعية التي شيدت بها بالإضافة إلى أهلها الذين دافعوا عنها دفاعاً متميزاً عندما ادلهمت الأخطار؛ أدركنا كيف أن تلك المدينة وقفت خاصة في العصرين المبكر والأوسط كقلعة حصينة تنظر بعين السخرية الساخرة تجاه كل من رام إسقاطها أو نجحت في ذلك على مدى عدة قرون باستثناء حادثتين تاريخيتين سوف يتم تفصيلهما في الصفحات التالية.

من زاوية أخرى؛ أدى ذلك الموقع الجغرافي الفذ إلى أن لعبت بيزنطة دوراً محورياً في تجارة عالمي البحر الأسود والمتوسط وتجارة الشرق والغرب وغنمت من وراء ذلك أموالاً ضائلة<sup>(١)</sup> وبالتالي؛ حققت ثراءً عريضاً اعترفت به المصادر اللاتينية الغربية فيما بعد<sup>(٢)</sup>، وصارت موضع حسد جيرانها، ودفعت - فيما بعد - ثمنًا فادحاً لذلك.

على أية حال؛ لا يفهم من القول السابق؛ أن التاريخ البيزنطي أسير المحتمة الجغرافية؛ إذ أن تلك الأخيرة لاقيمة لها دون الفعل الإنساني تفاعلاً معها، ومن المؤكد أن شعوب الإمبراطورية التي وصفت بالحيوية والنشاط الاقتصادي الزاخر؛ استثمرت ذلك الموقع الجغرافي لصالحها بوجه عام.

= وينبغي ألا يفهم من المزايا المتعددة لموقع القسطنطينية أنها كانت متكاملة العناصر، إذ أن أحوالها المناخية اتسمت بالحر الشديد في الصيف، والرياح الشمالية الباردة في الشتاء عبر البحر الأسود. عن ذلك أنظر: جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٤٩.

١- نورمان بيتز، الإمبراطورية البيزنطية، ت. حسين مؤنس ومحمود زايد، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ص ٧-٨.

وعن التجارة في الإمبراطورية البيزنطية أنظر

Runciman, Byzantine Civilization, pp 130-142

وسام عبد العزيز فرج، الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادي عشر، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٧٧-١٣٠.

٢- عن ثراء القسطنطينية أنظر شهادة تين من الغرب الأوربي:

Robert Clari, The Conquest of Constantinople, Trans. by E. u. Mc Neal, New York 1936, p 81, p 101

ويتجه بعض الباحثين الغربيين إلى تصوير دور قسطنطين في إختيار موقع العاصمة الجديدة على أنه بعكس «عبقرية» خاصة ، والأمر - فى تقديرى- لايعتدو أن يكون إحياءً لموقع جغرافى قديم، وحسن تقدير ، والعبقرية هنا هى فى الأصل عبقرية المكان فى المرتبة الأولى، ومن بعدها الخبرة الإنسانية حتى عصر قسطنطين .

مهما يكن من أمر : تم إفتتاح العاصمة الجديدة فى ١١ مايو عام ٣٣٠م<sup>(١)</sup>، وذلك بعد أن تم إنفاق الأموال الطائلة على تشييدها كى تتنافس روما التبير، وتعرف أن تشييدها استغرق المرحلة من عام ٣٢٤ إلى عام ٣٣٠م ؛ أى على مدى سبع سنوات إلى أن افتتحت فى اليوم المذكور فى احتفال امبراطورى مهيب<sup>(٢)</sup>.

على أبة حال ؛ احتوت العاصمة على مرافق مدنية ودينية متعددة فى عصر قسطنطين وإمتد عمرانها إلى درجة كبيرة فيما بعد عهده. وبصفة عامة يمكن إبراد أهم معالم القسطنطينية على النحو التالى :

---

= Villehardouin, The Conquest of Constantinople , in Joinville and Villehard ouin, Chronicles of the Crusades, Trans. by M.R.B. Shaw, Penguin Book, 1963 , pp. 58-49 .

ومن المسلمين أنظر: مجهول: حدود العالم من الشرق إلى الغرب، ت. عن الفارسية وتحقيق يوسف الهادى. ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٨٤

١- على الرغم من الاتفاق على أن افتتاح القسطنطينية حدث فى ١١ مايو ٣٣٠م ، إلا أن نوريش اعتقد أن ذلك حدث فى يوم الاثنين ١٢ مايو ٣٣٠م. وهو ما لايجد من بزيده . انظر رأيه Norwich, Byzantium , The decline and Fall. New York 2000, p. XXXIII .

أما الرأى الصحاح نجده لدى:

Runciman, Byzantine Civilization, p. 11

٢- عن ذلك هذه المقالة المهمة:

Emereau, " Notes Sur Les Origines et la fondation de Constantinople ", R.A.T., XXI, 1925 . pp. 1-25

وأبعثُ

Diehl, Byzantium. Greatnes and Decline. New Jersey 1957, pp. 94-111

اشتملت على القصر الإمبراطوري : وهو مركز المدينة ، ووقع في الجزء الجنوبي الشرقي .  
 - تم إقامة الهيلدروم Hippodrome أو ساحة السباق وطل على مرفاً القصر . واحتوى على مقصورة عرفت باسم الكاسيسما Kathisma ويطل من خلالها الامبراطور على الشعب عند مخاطبته له

- ابتداءً من مدخل القصر وساحة السباق إلى امتداد ميلين كان هناك الشارع المسمى « الشارع الأوسط » وهو متسع تحف به من جانبيه العقود (البواكي) وكان يمر من خلال سوقين أحدهما سوق قسطنطين الملاصق للقصر ، وفيما بعد : تم إقامة سوق ثيودوسيوس الذي فاقه في المساحة . وفتح في النهاية إلى شارعين رئيسيين كذلك وجد عدد من الكنائس وبكثافة عديدة ومن أشهرها كنيسة القديس سرجيوس ، والقديس باكوس .

- لانغفل للسمعة الجمالية التي وجدت في القسطنطينية، حيث أقيمت التماثيل ومن بينها تمثال لأفروديت . - إلهة الجمال عند الإغريق في حي زيجما الواقع على القرن الذهبي .  
 - احتوت المدينة على شوارع متسعة ، وأخرى ضيقة، وفيما بعد اشتملت على القصور الفخمة، والأكواخ الصغيرة، كذلك الحدائق الغناء .

- احيطت بسور قوى كان في عهد قسطنطين يمتد من القرن الذهبي إلى بحر مرمرية<sup>(١)</sup> .  
 ومع تعاقب القرون بعد عصر قسطنطين ازداد عمرانها، واحتوت على مظاهر للفخامة والعظمة حتى أن السانحين والرحالة الذين قدموا إليها اعجبوا بما شاهدوه فيها<sup>(٢)</sup>

Runciman, The Byzantine Civilization, p.

٢- عن أوصاف الرحالة والجغرافيين المسلمين - على سبيل المثال - للقسطنطينية أنظر ابن الفقيه . كتاب البلدان، تحقيق يوسف النهادي، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص ١٨٣ . ابن خردادبه، المسالك والممالك، ط القاهرة ١٩٦٦م، ص ١٠٩-١١٠ . ابن رسته، الأعلام النفيسة ، ط. لندن ١٨٩٢م، ص ١١٩-١٢٣ : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ط. بيروت ١٩٩٢ ، ص ١٧٧ : المقدسي ، أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم، ط. بيروت ب-٦ ، ص ١٤٥ ، القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ٦٠٤ : ليلي عبد الجواد، والقسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، الموزع المصري، العدد (٣) ، يناير ١٩٨٩م، ص ١٥١-٢٠٢، العدد (٤) ، ص ١٠٩-١٤٥ شمس الدين الكيلاني، صورة أوروبا عند العرب في العصر الوسيط، ط. دمشق ١٩٠٤م، ص : ٣-٣٠٦

ولانغفل هنا الإشارة : إلى أن قيام الإمبراطور قسطنطين بالانتقال إلى الشرق وتشييده  
 لنلك العاصمة جعلت بعض المتحمسين للبابوية يعتقدون أنه ابتلى بمرض الجذام ، ولم يشف إلا  
 بصلوات من البابا سلفستر الأول SiIvester I<sup>(١١)</sup> (٣١٤-٣٣٥م) ، ورددوا أن ذلك  
 الامبراطور كافأه بإصدار قانون يمنح البابا لبس التاج، واستعمال الصولجان كالأباطرة تماماً ،  
 وحتى لاتأثر السلطة البابوية بوجود الإمبراطور في روما! فركز في تركها للبابوية، وقد اشتهر  
 ذلك بما عرف بهبة قسطنطين Donation of Constantine، وهي هبة مزعومة ظلت ذات  
 تأثير طوال العصور الوسطى إلى أن فندها الباحث الايطالي لورانزو فاللا Loranzo Valla  
 عام ١٤٤٠م من خلال بحث تناولها بالدراسة والتحليل ، حيث قرر أن انتقال الإمبراطور  
 قسطنطين إلى الشرق لادخل له البتة بتلك الهبة المزيقة<sup>(١٢)</sup> ، وبالتالي سقطت تلك الهبة

= وعن الرحلة والرحالة الغربيين في الإمبراطورية البيزنطية أنظر هذه الدراسة الممتازة:

Ciggaar , western Travellers to Constantinople . The West and Byzantium 962-1204 : cultural and Political Relations, Leiden 1996, pp. 1-77 .

وأيضاً

Majeska (G.), Russian Travelers to Constantinople in The Fourteenth and Fifteenth Centuries, Washington 1984 .

وعن الوصف الطبوغرافي للقسطنطينية وعمرانها أنظر:

Janin, Constantinople byzantine : development urbain et repertoire Topographie , Paris, 1950 .

١- سلفستر الأول : بابا وقدس . تولى المنصب البابوي خلال المرحلة من ٣١ يناير ٣١٤ إلى ٣١ ديسمبر ٣١١م إلى ١٠ يناير ٣١٤م، عن ذلك انظر:

Kelly , Oxford dictionary of Popes , pp. 26-28 .

٢- عن هبة قسطنطين أنظر هارتمان وباراكلاف ، الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى ، ت. جوزيف نيسم يوسف ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص ٥٥

ميلاد المقرحى، تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨م، منشورات جامعة قار بونس، ط. بنغازي ١٩٩٦م،

الاذنوية بعد أن ظلت سبغاً مشرعاً لعدة قرون يسلمه أنصار البابوية ضد أنصار الإمبراطورية.

من ناحية أخرى ؛ نلاحظ عن ذلك الإمبراطور المؤسس روايات تاريخية صاحبها جانب أسطوري، وقام المؤرخ البيزنطي الأول يوساب القيساري Eusebius Caesarensis - كما وصفه البعض- بدور بارز في هذا المجال حيث اعتبره الحواري الثالث عشر للسيد المسيح - كما أسلفت الإشارة من قبل- ومن قبيل تلك التصورات الأسطورية؛ تلك الرواية الشائعة عندما رأى في ليلة من ليالى خريف عام ٣١٢م صليباً من النور مكتوب عليه «بهذا سوف تنصر»<sup>(١١)</sup>، وردد المؤرخون أن تلك الحادثة كانت سبباً في إتخاذ الصليب شعاراً ، ومن الجلى البين ؛ أن الروائع التاريخية لاتفسر بمثل تلك التصورات بل من خلال الدوافع السياسية وتناجها المتوقعة على المدى القصير والبعيد. خاصة بالنسبة لقيادة بارزة مثل قسطنطين

---

١- ترددت تلك الرواية كثيراً ، وتم الأخذ بها على اعتبار أنها صادرة من يوساب القيساري مؤرخ سيرة حياة قسطنطين، بينما علينا ألا نفعل أن ورودها لديه؛ عكس الطابع الدنيى الذى أضفاها على الإمبراطور، مع ملاحظة أن ما نسب إليه من قتله لزوجته الثانية، وابنه يتفان تلك الصيغة الدنيوية التى أراد إضافها ذلك المؤرخ على سيده .

عن ذلك أنظر: هارولد أبندن ساهيل، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى، ت عبد اللطيف أحمد على ومحمد عواد حسين، ط. القاهرة ١٩٥٤م، ص١٣ . عبد القادر يوسف ، الإمبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٦٦م، ص١٣

من جهة أخرى؛ وتعميقاً للفكرة السابقة؛ من الملاحظ أن زوجته الثانية فاستا Fausta؛ قامت بدور بارز فى الأمر على ابنه كريسوس Crispus من زوجته الأولى منيرفينا Minervina وقد اتهمت بأنه هام بها حباً ، ولذا قرر قسطنطين بالفعل إعدام ابنه فى بولا Pola عام ٣١١م فمات إما بالذبح أو بالسهم، ولجسا بعد عندما اكتشف براءة ابنه من ذلك الاتهام؛ ثم ندماً شديداً وشبه له تمثالاً ذهبياً نقش عليه عبارة تقول «إلى ولدى الذى أعدته بغير حق». أما فارستا ، فقد اتهمت أمه هيلينا انتقاماً من مقتل كريسوس بوجود علاقة مشبهة لها مع أحد العبيد فى الاسطبلات الإمبراطورية، وبالفعل ؛ تم قتلها عن طريق البخار المتصاعد الناتج عن غلى الماء.

عن ذلك انظر: إدوارد جيبون ، إنضمحلل الامبراطورية الرومانية وسقوطها ت. محمد على أبو ذرة، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ج١ ص ٣٨٠ - ٣٨١ : عليه الجزورى ، المرأة فى الحضارة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨٨م، ص١٩٨ - ٢٠٠

لقد تأثر بالرؤية اليوسابية المؤرخون في العصر الوسطى وامتد الأمر إلى العصر الحديث وداثماً يورد اسمه على أنه « قسطنطين الكبير » ، وانتقل الأمر إلى المؤرخين العرب بالضرورة ؛ والأمر لا يخلو من زاوية الدعاية التي تفيض بها مصادر تاريخ العصور الوسطى سواءً في الشرق البيزنطي أو في الغرب الأوربي على حد سواء .

كذلك لا تحفل أن المؤرخين الذين وقفوا في أسر « كاريزما » البطل المؤسس؛ نظروا إليه بإنتهاز؛ فبالغوا في مختلف سياساته ، وأنعكس ذلك بدوره على كتاباتهم التاريخية .

تبقى زاوية محورية عن عهد الامبراطور قسطنطين ، تركت أثراً كبيراً على التراث الروحي خلال العصور الوسطى؛ إذ أن أمه هيلينا Helena<sup>(١١)</sup> ، زارت مدينة بيت المقدس، ويقال أنها عثرت هناك على بعض الآثار المسيحية المبكرة . وقامت بتشيد كنيسة المهد في بيت لحم ، وكنيسة القيامة في بيت المقدس<sup>(١٢)</sup> اللتان صارتا أهم المزارات المسيحية في فلسطين طوال العصور الوسطى وحتى عصرنا الحالي.

١- عن دور القديسة هيلانة أنظر:

Eusebius, Extrait From Eusebius life of Constantine , Trans. by John Vernard , P. P. T.S., vol . I , London 1896, p. 11 .

Kuelzer, " Byzantine and Early Post Byzantine Pilgrimage to The Holy Land Travel, in Macrids, (ed.) Travel in Byzantine World Byzantine World , Bullington 2002, . 152-153 .

إسحق عبيد . قصة عشور القديسة هيلانة على خشبة الصلب أمطورة أم حقيقة . مجلة كلية الآداب . جامعة عين شمس . م (١٧) . عام ١٩٧٠م . ص ٥-٢١ . عليه الجزيري . المرأة في الحضارة البيزنطية . ص ١٢٩-١٣٤ . هنري كتي، القدس الشريف . ت. نور الدين كنانة . ط. عمان ١٩٨٩م . ص ٥٨ ، حاشية (٢) محمد مؤنس عوض ، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية . ط. القاهرة ١٩٩٥م . ص ٦٢ ، حاشية (٥٠)

٢- كنيسة القيامة Church of Resurrection بنتها هيلانة أم قسطنطين عام ٣٢٥م . عند الجلجثة ؛ وهو الموقع الذي يقال أنه عنده تم اكتشاف ما يعتقد أنه خشبة الصلب . ويلاحظ أن الفرس قاموا بإحراقها في عهد كسرى عام ٦١٤م وتمت إعادة بنائها على يدى الراهب مروستين عام ٦١٧م . وفيما بعد؛ عندما قدم الخليفة عمر بن الخطاب إليها عام ٦٣٦م . رفض الصلاة فيها حتى لا يحولها المسلمون إلى مسجد . وقد قام الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي عام ١٠٠٩م بتدميرها وإن عمل ابن الخليفة الظاهر على إعادة بنائها بعبارة



لقد دعمت هيلانة أمر الحج إلى فلسطين ، ومنذ القرن الرابع الميلادي ، تدفقت جموع غفيرة من الحجاج إلى هناك لزيارة تلك المواقع التي شهدت الذكريات المبكرة للمسيحية ، وفيما بعد ، صارت هيلانة تحمل لقب قديسة ، St. Helena .

بصفة عامة ؛ وصلت إلينا كتابات عدد كبير من الحجاج الأوربيين الذين زاروا تلك البقاع ، وسجلوا خواطرمهم ، ومشاعرهم حتى صار أدب<sup>(١١)</sup> الحج المسيحي ركنًا ركينًا من آداب العصور الوسطى ، وصار مصدرًا أساسيًا من مصادر دراسة تلك الحقبة التاريخية التي نشطت فيها الظاهرة الدينية .

مهما يكن من أمر ؛ خَلَفَ قسطنطين ، أبناؤه الثلاثة قسطنطين الثاني (٣٣٧-٣٤٠م) وقسطنطين (٣٣٧-٣٥٠م) وقسطنطينوس (٣٣٧-٣٦١م)<sup>(١٢)</sup> .

= عام ١٨٣٤م ، ولم يتم إصلاحها إلا عام ١٨٦٩م . باتفاق فرنسا وروسيا وإشراف الدولة العثمانية ؛ عن كنيسة القيامة أنظر :

Arculfus, The Pilgrimage of Arculfu in The Holy land , Trans . by Machpherson ,  
P.P.T.S., vol . III, London 1885 , p. 45 .

ناصر خسرو ، سفرنامه ، ت . يحيى الخشاب . ط . بيروت ١٩٨٣م . ص ٧٤-٧٦ ، الإدرسي . نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ط . بيروت ١٩٨٩م . ص ٣٥٨ ، فاروق عز الدين ، القدس تاريخيًا وجغرافيًا ، ط . القاهرة ١٩٨١م ، ص ٧٤-٧٥ ، عماد الدين خليل ، « فلسطين في الأدب الجغرافي العربي » ضمن كتاب « دراسات تاريخية » ، ط . بيروت ١٩٨٣م ، ص ١٣٩ ، رشدي الأشهب . المعالم الأثرية في فلسطين ط . القدس ٢٠٠٢م ، ص ٣٩ ، محمود سعيد عمران . « أركونف ورحلته إلى الشرق ، ندوة «تاريخ الإسلام والوسط ، م (٣) » محرر قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحسيد . ط . القاهرة ١٩٨٥م . ص ٣٣٢

وقد تصور زياد المدني أنها شيدت في عهد قسطنطين الرابع وهو رأى جانبه الصواب ، انظر زياد عبد العزيز المدني . مدينة القدس ، وجوارها خلال الفترة ١٢١٥م / ١٢٢٥هـ / ١٨٠٠-١٨٣٠م ط . عمان ١٩٩٦م ، ص ٢٩٦

٢- محمود سعيد عمران . الامبراطورية البيزنطية وحضارتها ، ط . بيروت ٢٠٠٢م ، ص ٣٩  
توفي قسطنطينوس وقسطنطين ، وهكذا ؛ إنفرد قسطنطين الثاني بالسلطة عام ٣٥١م ،

ليحكم الإمبراطورية عشر سنوات حتى موته عام ٣٦١م<sup>(١١)</sup>، وخلالها؛ تنامي الخطران الفارسي والجرماني من خلال ظهور قبائل الهون، وإن أمكن تحجيم ذلك الخطر مرحلياً من خلال الامبراطور جوليان .

على أية حال؛ بعد الامبراطور جوليان الملقب - من جانب أعدائه- بالمرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣م)<sup>(١٢)</sup>، من أهم الأباطرة في أسرة قسطنطين وخلال مدة حكمه

١- محمود سعيد عمران، الامبراطورية البيزنطية، ص٢١

٢- جوليان Julian هو فلطيرس كلادوبوس جوليانوس Flavius Claudius Julianus، وهو ابن أخى قسطنطين الأول، كما أنه ابن عم الإمبراطور قسطنطينوس Constantius وقد أطلقت عليه الكنييسة تعبير المرتد Apostate، وتولى في شهر يونيو عام ٣٦٣م. عنه أنظر Julian, Works, Trans. by W.C. Wright, 3 vols .. London 1913.

Gardiner, Julian Emperor and Philosopher and the last Struggle of Paganism against Christianity, London 1895 .

Ridley Julian the Apostate and the Rise of Christianity, London . 1937

Browning , The Empeor Julian , London , 1975 .

Bowersock , Julian the Apostate, London 1978 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society , California 1997, pp. 59-6 .

Jones, The Later Roman Empir, pp. 119-123 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 68-78 .

Ostrogorsky. History of the Byzantine State, pp. 46-47

Norwich , A short History of Byzantium . Penguin Book, London 1997 , pp. 25-26 .

Nicol. A Biographical dictionary , p. 65 .

رأفت عبد الحميد « مصرع جوليان الفيلسوف الإمبراطور » . ضمن كتاب لطوف دانية مهداة إلى ناصر الدين الأسد، تحرير عبد القادر الرباعي، ط عمان ١٩٩٧م، ج١، ص٤٨١- ص٥٣٣ . نورمان بينز . الإمبراطورية البيزنطية، ص٤١ . هارني بوتز، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط. القاهرة ١٩٩١م،

القصيرة اتجه إلى إحياء الوثنية من جديد، ويلاحظ تأثره بأفكار الفيلسوف ليبانيوس Libanius<sup>(١١)</sup>؛ الذي نادى بأفضلية الوثنية مقارنة بالمسيحية<sup>(١٢)</sup>. وقد اتجه إلى إصدار عدة قرارات من أجل إحيائها فأمر بإعادة فتح معابدها، وتقديم القرابين للألهة الوثنية وفي بداية الأمر، وقف موقفًا وسطًا بين الوثنية والمسيحية، غير أنه فيما بعد؛ إنحاز للأولى ضد الثانية؛ فعزل المسيحيين من المناصب العسكرية، وكذلك المدنية لتحجيم نفوذهم وحتى لا يمثلوا أية أخطار في مواجهة الإمبراطور، كذلك اتجه إلى إبعاد الصلبان، وصور السيد المسيح، والسيدة مريم العذراء عليهما السلام، وجعل بدلاً منهما الرموز الوثنية<sup>(١٣)</sup>.

والواقع أن سياسة جوليان كانت بمثابة الصخرة المؤقتة للوثنية؛ لأنه عملياً لم يكن من الممكن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، ولم يكن في الإمكان أن يتخلى المسيحيون عن المكاسب التي حققوها من خلال عهد الامبراطور قسطنطين. و انتهت تلك المرحلة المؤقتة التي لم يكتب لها الاستمرار بمقتله عام ٣٦٣م<sup>(١٤)</sup>.

جدير بالذكر؛ لم يجد الإمبراطور جوليان من المؤرخين الكنتسيين إلا العداوة الشديد، ولم يعملوا على إنصافه، وكالوا له الإتهامات على نحو ضاعت معه حقيقته

١- ليبانيوس، فيلسوف أنطاكي وثني رأى أن الآلهة الوثنية هي التي كانت من وراء صنع مجد روما، وقد تأثر به جوليان وقد اتهم المسيحيين صراحة بأنهم كانوا من وراء قتل ذلك الامبراطور، عنه رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص ٥٢٩

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص ٦٥

٣- عن ذلك أنظر:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 72-76.

٤- عن ذلك أنظر:

Baynes, "The death of Julian The Apostate in a Christian Legend", in Byzantine Studies and other Essays, Connecticut 1974, pp. 271-281

يلاحظ أن هناك من قرر أن ذلك الإمبراطور لم يمارس أي نوع من أنواع الإضطهاد التي مارسها من قبل الأباطرة الوثنيين ضد المسيحيين، وإنما إتبع نمطاً فكرياً اتفق مع تكوينه الفلسفي في مواجهة المسيحيين حتى أن القديس جيروم لقبه «الاضطهاد النبيل» عن ذلك أنظر:

رأفت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٨٨

على أية حال ؛ تولى من بعده الإمبراطور جوفيان Jovian ٣٦٣-٣٦٤م<sup>(١)</sup>، الذى لا يذكر له التاريخ سوى عقده هدنة مع الفرس بلغت مدتها ثلاثين عاماً، وكأنه تصور أن الالتزام بها سيستمر إلى ذلك العدد المبالغ فيه من الأعوام. وقد تنازل لهم عن مناطق فى بلاد ما بين النهرين وكذلك أرمينيا<sup>(٢)</sup>، ومن ناحية أخرى؛ نجد أنه عاد إلى رعاية المسيحية على حساب الوثنية، على عكس السياسة التى سار عليها سلفه جوليان من قبل.

يتفق كل من جوليان وجافيان ؛ فى قصر مدة الحكم وإن اختلفا فى السياسة تجاه الفرس؛ حيث حاربهم الأول، وهادنهم على نحو مذل الثانى، كذلك أيد الأول الوثنية وخالفه خلفه بتأييد المسيحية. بصفة عامة ؛ حكم الإمبراطورية خلال الأعوام الواقعة بين عامى ٣٦٤، ٣٧٨م الإمبراطور فالنز Valens<sup>(٣)</sup>، وفى عهده تنامى خطر عناصر القوط الشرقيين الذين

١- تولى جوليان المنصب الامبراطورى فى ٢٧ يونيو ٣٦٣م وتوفى فى ١٧ فبراير ٣٦٤م. ويلاحظ أنه اختلف عن جوليان فى بعض الجوانب منها المجاهة نحو الحمر والنساء. كما أن تعليمه كان محدوداً وبالتالي اختلف عن سابقه. ويلاحظ أن جافيان على الرغم من كونه مسيحياً إلا أنه تسامح مع معتقدات الوثنيين عنه أنظر:

O. D.B., vol 2, pp. 107, 1077. Nicol, ABiographical dictionary, p. 65.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 78.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 47.

Jones, The Later Roman Empire, p. 138. Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 62. O.D.B., vol 2, p. 1076-1077.

محمد سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص٣٢-٣٣؛ نعيم فرح، تاريخ بيزنطة الساسى، ط١. دمشق ١٩٠٤م. ص٥٨ تورمان بيتز، الإمبراطورية البيزنطية، ص٤١

-٢-

Ostrogorsky, Op.cit., p. 47.

٣- الإمبراطور فالنز Valens؛ ولد فى سيبيلاى Cibalae فى باتونيا Pannonia عام ٣٢٨م، وفسبا بعد؛ تولى المنصب الامبراطورى فى ٢٨ مارس ٣٦٤م، وكان ضابطاً فى الجيش فى عهده جوليان Julian، وجافيان Javian، وقد توفى بالقرب من أدريانوبل Adrianople فى ٩ أغسطس ٣٧٨م.

O.D.B., Vol. 3, p. 3149

عنه أنظر

Nicol, Op. cit. p. 134. Diehl, History of the Byzantine Empire. p. 7

تزايد عددهم وكانوا قد اعتنقوا المسيحية على المذهب الأريوسي وبحشوا عن موارد للضعام،  
وسمح لهم -مضطراً- بعبور نهر الدانوب، وكان ذلك من القرارات التاريخية القليلة التي  
اتخذها ودفع الإمبراطور ثمناً فادحاً في مقابلها

وقد أدى ذلك العبور : إلى استقرارهم داخل ربوع الإمبراطورية ، وقد قرر البعض اعتمادهم  
بنحو ٢٠٠ شخص وذلك دون حساب ذوبهم وعبيدهم<sup>(١)</sup>، دون إمكانية التأكد من مثل  
تلك الأرقام في عصر لم يشهد إحصاءات دقيقة وعندما اشتد بهم الجوع وقد يكون في الرقم  
مبالغة لكنه- على أية حال - لا يخلو من دلالة تاريخية ، وفيما بعد ازداد العدد بين  
الطرفين: على نحو أدى إلى وقوع معركة أدرنه في ٩ أغسطس من عام ٣٧٨م<sup>(٢)</sup>، التي أورد  
وقائعها المؤرخ أميانوس ماركليينوس Ammianus Marcellinus<sup>(٣)</sup>، وهي - بلاريب - من  
المعارك الحاسمة في التاريخ وقد نتج عنها عدة نتائج يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً تم إلحاق الهزيمة المروعة بقوات الإمبراطور فالنز، بل قُتل خلالها ثلثي جيشه. وكان  
القتل كذلك من نصيب الإمبراطور شخصياً

ثانياً من المقرر أن يصيبوا بهزيمة مروعة في تاريخهم مثل تلك الهزيمة في  
أدرنه منذ صراعهم مع القائد القرطاجي هانيبال<sup>(٤)</sup>.

١- إسحق عبيد، من أثارك إلى جستنيان ، دراسة في حويلات العصور المظلمة . ط. القاهرة ١٩٧٧م.

ص١٦

٢- عن معركة أدرنه أنظر:

Oman . A History of the art of war in the Middle Ages vol I, London 1927, p. 14-15

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 67

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية ، ص٣٢-٣٣ . رأفت عبد الحميد ، الإمبراطورية البيزنطية ،  
العنفدة والسياسة ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٢٤ . الدولة والكنيسة، ج ٤ ، ثيودوسيوس وأميريز، ط.  
القاهرة ١٩٨٣م، ص٤١-٤٢

حدير بالذكر؛ أن هناك من المؤرخين من تصور أن تلك المعركة فاصلة وتصلح لتكون بداية للعصور الوسطى  
الأوروبية

عن ذلك أنظر جوزيف نسيب يوسف ، دراسات في تاريخ العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م،  
ص ٢٠ . تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها ، ط. بيروت ١٩٨٧م، ص٢٧

٣- رأفت عبد الحميد ، المرجع السابق، ص١٢٣

٤- شارلز أومان ، المرجع السابق، ص٣٣

ثالثاً كانت النتيجة المباشرة لمعركة أدرنة أن إنحج القوط الشرقيون الذين انتشروا بخمر النصر إلى مهاجمة القسطنطينية ذاتها، إلا أن حصانتها، ومناعتها، وقفت حائلاً دون إخضاعهم لها، وهكذا؛ يمكن القول؛ أن أسوار تلك المدينة منعت القوط من استئثار إنتصارهم التاريخي وهو أمر تكرر مرات متعددة لأعداء آخرين على مدى عدة قرون تالية<sup>(١)</sup>.

رابعاً؛ يقرر البعض أن تلك المعركة كانت بمثابة فاتحة عهد جديد بين الجرمان والإمبراطورية؛ فمن قبل كانوا ينظرون إليها بالتقدير والاحترام خاصة مع وجود الفارق الحضاري الشاسع بينهم وبين الرومان، أما من بعد المعركة؛ زاد طموحهم إلى حد كبير، وورغوا في الإستفادة من حصاد الحضارة الرومانية<sup>(٢)</sup>.

خامساً؛ لا نغفل - في معرض عرضنا لنتائج تلك المعركة- الإشارة إلى أنها جاءت مقدمة لمرحلة محورية في القرن التالي فبعدها بأقل من مائة عام وبالتحديد عام ٤٧٦م؛ ستسقط روما القديمة Roma Antiqua حاضرة نهر التيبر على أيديهم، وستبقى روما الجديد Roma Nova أى القسطنطينية بعيدة عن ذلك المصير، لتقوم بدور العمق الاستراتيجي والعاصمة البديلة عن روما التي صارت خاضعة للسيادة الجرمانية.

على أية حال؛ من الممكن إدراك عدة أحداث رئيسية وضعت من خلال دراسة أسرة قسطنطين وتمثل في تأسيس العاصمة، والتسامح مع المسيحية، والارتداد القصير إلى الوثنية، ثم الهزيمة الفادحة في أدرنة.

أما أسرة ثيودوسيوس وهي مكتملة في أعمالها لأسرة قسطنطين؛ فقد حكمت خلال الأوام من ٣٧٩ إلى ٥١٨م، وبالتالي؛ امتد عهدها إلى قرن، وقرابة أربعة عقود من الزمان، وتوالى عهدها من خلال عدد من الأباطرة في صورة ثيودوسيوس Theodosius (٣٧٩-٣٩٥م)، وأركساديوس Arcadius (٣٩٥-٤٠٨م) وثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م)، ومرقيان Marcian (٤٥٠-٤٥٧م)، وليبر الأول الكبير Leo I (٤٥٧-٤٧٤م) لير الثاني Leo II (٤٧٤م) وزينون Zenon (٤٧٤-٤٩١م) واناستاسيوس Anastasius (٤٩١-٥١٨م).

١- سيتدعم ذلك خاصة بعد الدور الذي قام به الامبراطور ثيودوسيوس حيث عمل على اقامة اسرار مدعمة للأسوار الموجودة من قبل هو ما ستنفله في موضع تال

٢- رأقت عبد الحميد، الإمبراطورية البيزنطية، العقيدة والسياسة، ج ١، ص ١٣٠.

والواقع ؛ أن أهم أولئك الأباطرة من حكم خلال المرحلة الممتدة من ٣٧٩ إلى ٣٩٥م وكذلك من ٤٠٨ إلى ٤٥٠م فى صورة ثيودوسيوس الأول ، وثيودوسيوس الثانى ومن ثم سبتم تليط الضوء عليهما نظراً للإنجازات التاريخية التى حدثت خلال عهدهما

وفىما يتصل بالإمبراطور ثيودوسيوس الأول<sup>(١١)</sup>؛ نجد أنه ما قام بمواجهة تزايد خطر العناصر الجرمانية بأن عمل على استيعابهم فى الإمبراطورية ، ولذا عقد معاهدة مع عناصر الفوط وعلى أساسها ؛ صاروا معاهدين للإمبراطورية<sup>(١٢)</sup>، كذلك تم إعتبارها قوة احتياطية للجيش الرومانى ، ثم أعطاهم إقليم تراقيا ليتخفوه مسكناً لهم. ولأرب؛ فى أن كارثة معركة أدرنه كانت ماثلة أمام ناظره على نحو أكد له تزايد خطر العناصر الجرمانية وضرورة التعايش معها ؛ تجنباً لمزيد من الأخطار فى المستقبل.

من زاوية أخرى؛ اتجه ذلك الإمبراطور إلى تقسيم الإمبراطور بين ولديه أركاديوس Aradius الذى حصل على القسم الشرقى ، وهونوريوس Honorius الذى نال القسم الغربى<sup>(١٣)</sup>، وهكذا؛ فإنه بوفاته ثيودوسيوس الأول عام ٣٩٥م انفصل الشرق عن الغرب، وصار كل فى مسار تاريخ مختلف عن الآخر.

١- ثيودوسيوس الأول ؛ كان أسيانياً تفوق فى ساحات الرغى. وقد عينه الإمبراطور جراتيان Gratian عام ٣٧٩م بمثابة إمبراطور مشارك ، وقد حكم خلال المرحلة من العام المذكور حتى عام ٣٩٥م حيث توفى فى ميلان بايطاليا وتم نقل جثته إلى القسطنطينية عنه أنظر

Nicol, A Biographical dictionary . pp 124-125 .

Vasiliev, History of the Byzantine State, pp. 48-50 .

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٧١

حسين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٤١

دارنى ، أنطاكية فى عهد ثيودوسيوس الكبير ، ت. اليرت بطرس . ط . بيروت ١٩٦٨م.

٢- عن ذلك انظر

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 48

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 88 .

Ostrogorsk , Op. cit., p. 49

حسين ربيع ، المرجع السابق، ص. ٤٢

نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسي، ص. ٦٠

وفي عهد ثيودوسيوس ؛ حدث تطور حاسم فى تاريخ الديانة المسيحية عندما إتخذها الديانة الرسمية للإمبراطورية ؛ وبذلك تأكد لنا ؛ أن المسيحية مرت بثلاث مراحل على مدى أربعة قرون ؛ الأولى مرحلة الإضطهاد ، ثم مرحلة التسامح والاعتراف بها كديانة من الديانات الموجودة فى الإمبراطورية، ثم التحول إلى أن تكون الديانة الرسمية ، وقد صدر فى عهد ثيودوسيوس مرسوم إمبراطورى يحظر على معتقئ العقائد الوثنية أن يظهروا شعائهم الدينية ، وفرض عقوبات رادعة من أجل العمل على مقاومة الوثنية ومناصرة المسيحية<sup>(١)</sup> وبذلك قام بخطوة جديدة لم تكن لدى الإمبراطور قسطنطين من قبل .

من ناحية أخرى؛ إتجه إلى عقد مجمع كنسى عرف بمجمع القسطنطينية عام ٣٨١م<sup>(٢)</sup> ، وأعلن فيه بصورة نهائية عدم مشروعية الأريوسية وبالتالي حاربها فى أنحاء الإمبراطورية ، وهكذا ؛ يتأكد لنا؛ أن عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول يعد مكملاً ومتشابهاً مع عهد المؤسس البارز قسطنطين ، وعلى نحو خاص فى الناحية الدينية من خلال دعم المسيحية ، وكذلك عقد المجمع الكنسية لمناقشة الخلافات الدينية بين الفرق المسيحية المتصارعة .

أما عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى<sup>(٣)</sup> (٤٠٨ - ٤٥٠م)؛ فإن أهم ما حدث فيه يتمثل

١- عن إجماع، ثيودوسيوس الأول إلى إتخاذ المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية أنظر:

Angold , Byzantium The Bridge From Antiquity to the Middle Ages, London 2001, p.4

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 82

بارو ، الرومان، ت. عبد الرازق بسرى، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص١٩٢-١٩٣

٢- عنه :

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 9

٣- ثيودوسيوس الثانى؛ لم يكن قد تجاوز السابعة من عمره عندما توفى والده أركادايوس فى يناير عام

٤٠٨م فتولى الوصاية عليه انتيموس وزير والده، ومن بعد ذلك أخه بونقيريا ، وقد تزوج فيما بعد من اثيناس بودوكيا عام ٤٥٠م، عنه أنظر:

Diehl , History of The Byzantine Empire . p. 10 .

Osurogosky, History of the Byzantine State, p. 51, p. 55 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 66, p. 96 .

Nicol, A Biographical dictionary, pp. 126-126 .



فى الإسهام القانونى البارز ؛ حيث أصدر عام ٤٣٨م، مجموعة قانونية وهى التى عرفت باسم Codex Theodosianus<sup>(١)</sup> التى يراها الباحثون حدثاً مهماً فى تاريخ التشريع الرومانى فى مرحلة ما قبل جستينيان، قد دلت على ما حققته المسيحية من تأثير فى مجال التشريع ، وكذلك فى الحياة الاجتماعية<sup>(٢)</sup>.

جدبر بالذكر؛ احتوت تلك المجموعة على التشريعات القانونية التى صدرت منذ عهد الامبراطور قسطنطين حتى تلك التى أصدرها ثيودوسيوس ، ويلاحظ أنها كانت مصدرًا مهمًا من المصادر القانونية التى اعتمد عليها الإمبراطور جستينيان<sup>(٣)</sup> فى مرحلة تالية من التاريخ البيزنطى.

ولانفغل هنا ؛ أن تلك التشريعات صدرت خلال مرحلة الغزو الجرمانى لمناطق الغرب الأوروبى وبالتالى أثرت بصورة مباشرة أو غير مباشرة على التشريعات الجرمانية التالية مثل قوانين القوط ويلاحظ أن جميعها كما قرر أحد المزرخين البارزين إصطبغت بالصبغة المسيحية<sup>(٤)</sup>.

بصفة عامة؛ من الملاحظ أن الأباطرة البيزنطيين الذين اهتموا بالجانب القانونى، كانوا أكثر بقاءً فى التاريخ على المستوى الحضارى من أولئك الذين اهتموا فقط بعالمى الحرب والسياسة وتلك ملاحظة جديرة بالاهتمام فى دراسة التاريخ البيزنطى، مع عدم إغفال حقيقة محورية وهى أن هناك أباطرة قاتلوا اهتموا بالجانبين ؛ أى بالقانون والحرب والسياسة ، على نحو ضمن لهم المكانة الأكثر فعالية فى مسار ذلك التاريخ الحافل بالأحداث.

كذلك تم فى عهد ثيودوسيوس الثانى حدث مهم على الصعيد الحربى الاستراتيجى فى صورة إقامة أسوار جديدة للمقسطنطينية امتدت من بحر مرمرة حتى القرن الذهبى نحو ميلين غربى السور القديم الذى شيد من قبل وقد حدث ذلك عام ٤١٣م، بعد خمس سنوات فقط من تولى ذلك الإمبراطور العرش ؛ مما عكس إدراكه لأهمية تشييد ذلك السور خلال تلك المرحلة

١- حنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص.٥٠ ، حاشية (٧٠)

Vastiev ,p. 101

٢- نفسه . نفس الصفحة والحاشية.

٣- نفسه. نفس الصفحة والحاشية.

٤- نفسه. نفس الصفحة والحاشية (٧)

المبكرة من عهده . دَعُم الأمر من خلال إقامة أسوار بحرية عام ٤٣٩م<sup>(١)</sup>، اتصلت بالأسوار البرية السالفة الذكر، ولاررب ؛ فى أنها دعمت دفاعات القسطنطينية . وصارت فى مأمن من غزواتها على تعددهم، وقتهم ، وعلى مدى عدة قرون تالية.

واقع الأمر؛ من الممكن القول أن ثيودوسيوس الثانى بتلك الأعمال العمرانية الحربية الدفاعية ؛ ساهم بصورة كبيرة فى تدعيم القلب البيزنطى فظل ينبض بالحياة قرون تالية دون أن يسقط فى قبضة أعدائه، وذلك دون إغفال تأثير العوامل الأخرى بطبيعة الحال، كوجود الأباطرة الأقرباء، واستبسال البيزنطيين فى الدفاع عن عاصمتهم ونحو ذلك.

لاتغفل كذلك أنه خلال عهده حدث تطور مهم فى صورة صدور قرار تنظيم جامعة القسطنطينية عام ٤٢٥م التى كان لها دورها فى الحياة العلمية البيزنطية وهو قرار محوري أثر على تاريخ بيزنطة الحضارى لعدة قرون تالية

على أية حال ؛ فى عهد الإمبراطور زينون (٤٧٤-٤٩١م) حدث تطور على جانب كبير من الأهمية فى مسار الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى فى العصور الوسطى . فى صورة سقوط روما على أيدى الجرمان وذلك فى عام ٤٧٦هـ ، وقد تزعم الجرمان القائد ادواكر Odauacer، الزعيم الجرمانى لقبائل الهرول Heruls، والروجيين Rugians ولم يكن الإمبراطور الرومانى الأخير رومولوس أوجستيلوس Romulus Augustelus<sup>(٢)</sup>

١- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٧٢

ويلاحظ أن تلك الأسوار لم يكتمل تشييدها إلا حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى، ومنها سور ارتفاعه بلغ ١٢ متراً وتم تزويده بـ ٩٦ برج مراقبة، ومن ورائه وجد سور ثانى ارتفاعه ١٠ أمتار واحتوى هو الآخر على ٩٢ برجاً كما تم حفر خندق عميق تراوح عمقه بين ٥ ، ٧ أمتار. ومن بعد ذلك كان هناك سور ثالث.

عن تفصيل تشييد تلك الأسوار أنظر:

محمود سعيد عمران ، «محصنات مدينة القسطنطينية فى مواجهة الغزوات الخارجية»، بحث ألقى فى ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار ، وإتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ٦-٨ نوفمبر ١٩٩٣م.

Whitow, The Making of Byzantium 600 . 1025, Los Angeles 1996, p. 426 .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 125 .

٢- رومولوس أوجستيلوس تولى العرش الإمبراطورى خلال المرحلة من ٣١ أكتوبر ٤٧٥م إلى =

(٤٧٦-٤٧٥م) الذي يصلح لمواجهة الأحداث الخطيرة التي واجهت الإمبراطورية حينذاك، ومن المهم هنا الأخذ بذات التصور الذي قال به المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي Arnold Toynbee صاحب نظرية التحدي والاستجابة Challenge and Respons التي أوردتها في كتاب دراسة التاريخ Astudy of History عندما أدرك أن إدواكر ليس له الادعاء بأنه صاحب إسقاط روما ؛ لأنها سقطت من الداخل قبل الخارج بعد أن إنهار نظامها السياسى ومعه البناء الاقتصادى ، والاجتماعى، والإدارى.

جدير بالذكر؛ طلب ذلك القائد الجرمانى من الإمبراطور زينون الموافقة على وضعه السياسى الجديد فى الغرب الأوروبى لكن الإمبراطور البيزنطى لم يكن ليقبل ذلك؛ لإعتقاده بأن النظرية السياسية الرومانية لم تكن لتقبل سوى إمبراطور واحد لإمبراطورية واحدة.

لانغفل أن تلك النظرية؛ ستكلف بيزنطة ثمنًا باهظًا من الرجال، والأموال والوقت والمجهود على الرغم من أن أحداث التاريخ كانت تتغير من حولها، وإذا بها تصر على تبني تلك التصورات !! ولذلك لم تكن لتقبل باستمرار التغيير الذى حدث على أرض الغرب الأوروبى، ومن هنا ؛ كان تدخلها فى قلب قضايها دعمًا لتلك النظرية السالفة الذكر.

مههما يكن من أمر؛ فى عهد آخر إمبراطور من أباطرة أسرة ثيودوسيوس ؛ ونعنى به أناستاس (٤٩١-٥١٨م) حدث إنقلاب عسكرى من جانب أحد القادة هور جستين، وتمكن من خلاله من الوصول إلى العرش الإمبراطورى .

وجدير بالإشارة ؛ أن ذلك المشهد تكرر كثيراً فى التاريخ البيزنطى، فكلما ظهر فى الجيش البيزنطى قائد بارع رفعه إنتصاره العسكرى إلى عليين ؛ دفعه ذلك إلى التطلع إلى المنصب الإمبراطورى الرقيق الشأن، وفيما بعد؛ حكم الإمبراطورية قادة عسكرون «ديماجوجيون»

= ٤ سبتمبر ٤٧٦م . ومن المحتمل أنه توفى بعد عام ٧ ٥ أو ٥١١ م. وكان قد أعلن كأوجستس -Au- gustus من جانب والده أوريستس Orestes الذى عمل بمثابة السكرتير السابق لأثيلا Atiila .

عنه أنظر

O.D.B., vol. III, p.1812 . Vasiliev. History of the Byzantime Empire, p. 267

وعن سقوط الإمبراطورية الرومانية أنظر هذه الدراسة المتخصصة محمود الحورى باللغة العربية، رؤية فى سقوط الامبراطورية الرومانية . ط. القاهرة ١٩٩٣م.

وهى دراسة قيمة لم تنل اهتمامًا يليق بها من الباحثين

عملوا على إثارة مشاعر الجماهير من خلال الانتصارات العسكرية ، وهكذا ؛ ندرك أن الجيش البيزنطي كان قادته أحياناً على استعداد لدخول معترك السياسة ، ولم يكن لهم موهل لذلك سوى الحرب والتفوق فيها ودغدغة مشاعر الجماهير المتهبة بنتائجها المظفرة ومن أمثلة ذلك ما حدث خلال عهد الأسرة المقدونية حيث تولى أمرها بعض القادة العسكريين على نحو كشف عن دور المؤسسة العسكرية البيزنطية في صنع تاريخ تلك الإمبراطورية وبصورة عكست صعوبة الفضل أحياناً بين السياسة والحرب في ذلك التاريخ الحافل بالأحداث.

يبقى أن نذكر عن أسرة ثيودوسيوس أن الإمبراطور أناستاسيوس الأول (٤٩١-٥١٨م) عمل على تجديد أسرار القسطنطينية عام ٤٩٧م من أجل تأمينها في أعقاب هجوم الجرمان على البلقان عام ٤٩٣م<sup>(١)</sup> ؛ مما عكس أن أكثر من امبراطور شارك في ذلك

وعند المقارنة بين أسرة قسطنطين و ثيودوسيوس نجد أنهما تمثلان مرحلة تاريخية واحدة، ومتراصة، ولاريب في أن أسرة ثيودوسيوس تعد إمتداداً طبيعياً لأسرة قسطنطين ، فإذا كان الأخير شيد القسطنطينية وأوقف الاضطهاد الذي لحق بالمسيحية ، فإن ثيودوسيوس الأول جعلها الديانة الرسمية للإمبراطورية ، وقام ثيودوسيوس التالي بتدعيم حصانتها ، على نحو أكد التواصل بين الأستين.

كذلك لانغفل اهتمام المؤرخين القدامى ومن بعدهم المؤرخين المحدثين بـقسطنطين من خلال أعماله ؛ فاق اهتمامهم بالإمبراطور ثيودوسيوس الأول على الرغم من أن كلاهما من مزيى الأسرات البيزنطية الحاكمة، ولانغفل أيضاً؛ أن الأول أحيط بهالة من التقديس أما الثاني فلم يتوافق له ذلك.

من ناحية أخرى ؛ من الملاحظ أن أسرة ثيودوسيوس تميزت باهتمام إمبراطورها ثيودوسيوس الثاني بالجانب القانوني، كذلك هناك إصداره قراراً بتنظيم جامعة القسطنطينية؛ مما انعكس بدوره على النظم التعليمية البيزنطية فيما بعد؛ فإذا أضفنا إلى ذلك جميعه دعمه لدفاعات المدينة وهي التي ظلت العامل الأول في مواجهة أعدائها؛ أدركنا أهمية تلك الأسرة في التاريخ البيزنطي.

ذلك أمر أسترتى قسطنطين ، و ثيودوسيوس ودورهما في العصر البيزنطي المبكر؛ أما الصفحات التالية، فيتم فيها تناول أسرة جستينان.

١- وسام عبد العزيز فرج ، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص٤٣.

## ثانياً : أسرة جستنيان (٥١٨-٦١٠م)

نتناول في الصفحات التالية: بالعرض أبرز الأحداث التاريخية التي وقعت خلال عهد أسرة جستنيان : لتكوين رؤية موضوعية عن حجم الإنجاز التاريخي الذي تحقّق حينذاك ، وتقويمه بين الإيجابيات ، والسلبيات وذلك ضمن المسار العام للتاريخ البيزنطي .

لقد تولى العرش الإمبراطوري من تلك الأسرة ٦ أباطرة هم: جستين الأول Justin I (٥١٨-٥٢٧م) وجستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م) ، وجستين الثاني Justin II (٥٦٥-٥٧٨م) ، وتيسيريوس الأول Tiberius I (٥٧٨-٥٨٢م) ، وموريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م) ، وفوكاس Phocas (٦٠٢-٦١٠م) ، قد امتد عمر تلك الأسرة (٩٢) عاماً . على أبة حال ؛ تولى جستين حكم الإمبراطورية خلال الأعوام من ٥١٨ إلى ٥٢٧م وعاونه ابن أخته جستنيان الذي كان على مستوى أفضل من التعليم ، وبعد انقضاء حكم جستين تولى الأمر الأخير حتى عام ٥٦٥م<sup>(١)</sup> .

مهما يكن من أمر ؛ هناك عدة مشكلات تواجه الباحث عند التصدي لأعمال جستنيان على نحو خاص يمكن إجمالها في الآتي :

أولاً وجود مصادر تاريخية معلنة، وأخرى سرية عن عهده ومن أمثلة الأولى؛ ما ألفه بروكوبيوس Procopius وكذلك يوحنا الليدي John Lydus، ومن أمثلة النوع الثاني من المؤلفات ما ألفه بروكوبيوس نفسه تحت عنوان التاريخ السري، وهكذا؛ نجد روايات تاريخية متناقضة ومختلفة لمؤرخ واحد عن نفس الإمبراطور !!! .

١- عن عهد الإمبراطور جستنيان بصفة عامة أنظر

Procopius, Secret History, Trans. by Richard Atwater, Michigan 1961

Holmes, The Age of Justinian and Theodora , 2 vols., London 1912 .

Ure, Justinian and his age , London 1951

Moorhead . Justinian , London 19٥4 .

Browning, Justinian and Theodora, London 1987

Evans , The Age of Justinian, the circumstances of imperial Power, London 1996 .

است غنيم ، إمبراطورية جستنيان، ط. جدة ١٩٧٧م . محمد فتحي الشاعر، السيادة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي عصر جستنيان. رسالة دكتوراه . كلية الآداب- جامعة الزقازيق ١٩٨٥م.

ثانياً : ظهر في عهد جستنيان تأثير قوى الحواء البيزنطية في صورة زوجته الإمبراطورة ثيسودورا Theodora<sup>(١)</sup> التي - وفق ما أورده - بروكوبيوس كانت من أصول اجتماعية وضيفة، وعملت كراقصة وانحرفت وتزوجها الإمبراطور ، وتمتعت بإرادة قوية ، وذكاء حاد وبصفة عامة لا يمكن الفصل بين الإمبراطور وتأثير زوجته عليه حتى وفاتها عام ٥٤٨م. على امتداد ٢١ عاماً ؛ أي أكثر من نصف مدة حكمه ، ومن بعد ذلك العام المذكور حتى وفاته عام ٥٦٥م من الممكن القول بإطمئنان أن جستنيان حكم منفرداً بعد أن حطمه رحيلها على مدى ١٨ عاماً هي السنوات العجاف على مستواه الشخصي

بصفة عامة ؛ من الممكن إجمال أهم أحداث عصره على النحو التالي.

أولاً : ثورة النصر Nika عام ٥٣٢م.

ثانياً : حروبه ضد العناصر الجرمانية .

ثالثاً : النهضة القانونية والعمارة

رابعاً : السياسة الدينية.

خامساً : الكوارث الطبيعية. سادساً : الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في عهده.

١- ثيودور : زوجة جستنيان ، كانت في الأصل ابنة ساق في إحدى الحانات التي وجدت في الهبيدروم (ساحة السباق) وعاشت حياة ماجنة خلية ، وسافرت إلى ليبيا ، وكذلك مصر ، ومهدبها الاسكندرية، وقبل أنه كان لها ابن غير شرعي ، وعملت على إيواء الثائبات من بانعات الهوى البيزنطيات. وقد ماتت بمرض السرطان في ٢٨ يونيو عام ٥٤٨م، ويقال أن وفاتها أدت إلى أسوأ الأثر على نفسية جستنيان ، واقتقد القدرة على الابتكار كما قرر دونالد نيكول . عن ثيودورا بالنتفصيل أنظر:

Procopius . pp. 20-31

Evans , The Empress Theodora Partner of Justinian, Texas 2002. pp. 13-119

Nicol , ABiographical dictionary , p. 120

Hussey , The Byzantium World , New York 1961 . p. 21

Id., Theodora , Empress of Byzantium . Trans. by Samuel R. Rosenbaum, New York 1972, pp. 45-147

Diehl , History of the Byzantine Empire, p. 20-22 .

Evans, Procopius , New York 1972 , p. 128 .

حبيب جاماني. ثيودورا المثلة المتوجة ، ط. القاهرة ب-١

أيضاً بول ولسمان، ثيودورا ، جزان ، ط. بيروت ١٩٦٥م.

وفيما يتصل بالعنصر الأول؛ وجد في العاصمة البيزنطية حزبان سياسيان؛ حزب الزرق وحزب الخضراء ، وقد تنافسا ، كما أن الإدارة الإمبراطورية اشتدت في فرض الضرائب على المعاصرين . وفيما بعد ؛ اتحد الحزبان المذكوران للثورة ضد جستينيان وقامت أحداث شغب واسعة النطاق في العاصمة البيزنطية وتمكن الثوار الذين قدر عددهم بعشرات الآلاف من هزيمة قوات الإمبراطور .

وعندما اضطرت الأمور خلال أحداث إنديلاخ الثورة على مدى الأيام من ١١ - ١٩ يناير ٥٣٢م<sup>(١)</sup>؛ فكر الإمبراطور في أن يلوذ بالفرار ، إلا أن زوجته ثيودورا التي امتلكت إرادة قوية، ورغبة صادقة في قبول التحدي، قالت له عبارات حاسمة حازمة « ما من إنسان يأتي إلى هذه الدنيا إلا ومصيره الموت في النهاية. ومن يمارس السلطة لا يطبق الحياة في المنفى، فإذا أردت أن تنجو بنفسك أيها الامبراطور فليس ثمة ما يمنعك من ذلك ، وهاك البحر والسفن والأموال تريت قليلاً ، وسل نفسك ، ألا تندم على فرارك، ووصولك إلى ملاذ آمن فتود أن لو كنت آثرت الموت على النجاة بالهزيمة ؟ أمأ أنا فباقية هنا والحلة الملكية الأرجوانية هي عندي أجمل الأكفان »<sup>(٢)</sup>.

وقد كانت لتلك الكلمات التأثير البارز على الامبراطور الذي استمد منها طاقة للمقاومة، ومن المفترض أن ثيودورا نظراً لأصولها الاجتماعية الفقيرة كانت أقدر على التعامل مع تلك الثورة التي دامت ثمانية أيام عاصفة تعد من أصعب الأيام في حياة ذلك الامبراطور على مدى سنوات حكمه فيما بين ٥٢٧-٥٦٥م .!

على أية حال ؛ تمكن الإمبراطور من مواجهة تلك الأحداث العاصفة ، وساعده على ذلك؛ حدوث إنشقاق في صفوف الثوار، حيث استطاع رئيس الخصيمان ويدعى ناريسس من إستمالة زعماء حزب الزرق بالأموال ، ولذلك طالبوا أنصارهم بالتوقف عن المشاركة في تلك

١- نجيب فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص١٢٧ ، وعن ثورة النصر انظر:

Barker, Justinian and the Later Roman Empire, Wisconsin 1966, pp. 82-91

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 154-157

رأفت عبد الحميد ، « الثورة الشعبية في القسطنطينية ٥٣٢م. » ضمن كتابه بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص١٩٩-٢٤٩ . وهي الدراسة العربية المتخصصة عن الموضوع

٢- عن ذلك النص انظر: نجيب فرح . المرجع السابق، ص١٢٧

الأحداث<sup>(١)</sup>، كما لا بد من الإشارة ، إلى دور بارز للقائد بلزارايوس Belisarius<sup>(٢)</sup> الذي تمكن ومعه قواته من الفتك بقسوة بآلاف الثوار الذين دفعوا حياتهم ثمناً للشورة ونظر المؤرخون الرسميون إليهم على أنهم مجرد مشيرى شغب. على اعتبار أن التاريخ دوماً يكتبه المنتصر.

في نهاية المطاف؛ أصيبت ثورة النصر بالهزيمة؛ ومن بعدها شدد الإمبراطور قبضته على العاصمة من أجل تجنب تكرارها في المستقبل بعد أن لقتة درساً قاسياً

لاريب في أن الأيام العصيبة السالفة الذكر كان لها أثرها على الأعرام التالية من حكم جستنيان ، ويرى البعض أن هناك عدة نتائج نجمت عن ثورة النصر.

فقد أدى فشلها إلى انتصار الأوتوقراطية وتدعمت سلطة الإمبراطور بينما- من جهة أخرى- أصيبت الأحزاب السياسية بالشلل<sup>(٣)</sup>، كما أن 'لمن البيزنطية قد فقدت الحرية المدنية، والمنظمات البلدية التي كانت موجودة في مدن الامبراطورية الرومانية القديمة<sup>(٤)</sup>.

كذلك أكدت وقائع تلك الثورة أهمية دور الشعب البيزنطي الذي كان يشور أحياناً عندما يتعرض لضغط فتصادى زائد خارج عن قدرته على تحمله .

= وعن موقف ثيودورا من تلك الثورة أنظر:

Evans, " The Nika Rebellion and the Empress Theodora", B. vol . LIV , 1984 , pp. 380-387

١- نعيم فرح . تاريخ بيزنطة السياسي، ص١٣٦

٢- بليزاريوس : قائد عسكري خبير عمل في خدمة الإمبراطور جستنيان وهناك من يقرر أنه كان المخطط لأغلب المعارك التي مكنت ذلك الإمبراطور من استرداد عدد من الأقاليم من أيدي الجرمان، خلال المرحلة الأولى من حروب الاسترداد . ويلاحظ مواجهة لعدد من المصائب ، من ذلك انهامه بالخيانة، ولم ينقذه من ذلك سوى الإمبراطورة ثيودورا التي كانت صديقة لزوجته، ومن بعد وفاة ثيودورا انقلبت الأمور في غير صالحه، وتولى نارسيس قيادة الجيش وتقاعد بلزارايوس وإن تم استدعاؤه فيما بعد لقتال الهون عام ٥٥٩ م . على أبة حال ؛ توفي في مارس ٥٦٥م، وقد نسجت حوله عدة روايات من جانب البيزنطيين ، عنه أنظر:

Procopius , pp. 5-9

Nicol , Biographical dictionary, p. 19 . Diehl, History of the Byzantine Empire, p.20, p. 22 .

٣- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص١٣٢

٤- نفسه، ص١٣٢-١٣٣



أما التأثير الأكبر - فى تصورى - الذى أحدثته ثورة النصر عام ٥٣٢م، فقد تمثل فى السياسة الخارجية ، فمن أجل أن يصرف الإمبراطور الشعب البيزنطى عن المشكلات الداخلية وليوحده تحت شعار واحد وحلم جماعى يترسخ فى النفوس جميعها ؛ اتجه إلى إتباع سياسة توسعية على المستوى الخارجى ، مع ملاحظة أن جانباً من تلك السياسة وقع من قبل أحداث تلك الثورة اتجه إلى نفس الوجهة ، لكن ثورة النصر دعمت ذلك التصور بقوة.

من ناحية أخرى؛ أكدت وقائع الثورة أهمية دور الذى لعبه بلزارىوس فى إخادها، ولاريب فى محورية دوره بصفة عام خلال عهد الإمبراطور المذكور على الرغم من أن المؤرخين الرسميين ركزوا اهتمامهم على رأس السلطة ولم يعطوه التقدير الجدير به وشبهه دوره دور أسد الدين شيركوه فى عهد نور الدين محمود فى القرن ١٢م<sup>(١)</sup>.

أما حروب جستنيان ضد القبائل الجرمانية<sup>(٢)</sup> ؛ فقد اتسعت حباتها ؛ حيث استقرت عناصرهم فى عدة أقاليم، فالقوط الشرقيون استقروا فى إيطاليا، والقوط الغربيون فى أسبانيا<sup>(٣)</sup>، والفرنجية فى غالة (فرنسا) ، والأنجلو سكسون فى إنجلترا ، والوندال فى

١- نعم فرح، تاريخ بيزنطة السياسى . ص١٣٣

٢- عنه أنظر:

ابن الأثير، الكامل، ج ١١ ، ص١٢١

محمد مؤنس عوض . فى الصراع الإسلامى- الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ١١٤٦ - ١١٧٤ م. ط. القاهرة ١٩٩٨م. ص٨٩-٩٩ . أحمد الببلى ، حياة صلاح الدين الأيوبي، ط. القاهرة، ١٩٤٦م، ص٨٤ . حسن ابراهيم الفاطميين فى مصر ط. القاهرة، ١٩٣٢م. ص٣٠٣

٣- أود هنا توجيه نظر القارئ إلى عدم استعمال كلمة «البرابرة» فى وصف الجرمان ، ويلاحظ أن تلك الكلمة تنطلق من المركزية الأوربية ، وتحوى نوعاً واضحاً من التحيز . حقيقة أن الجرمان قاموا بمذابح وأعمال تخريب واسعة ؛ لكن ماذا عن الصليبيين الذين اتوا من بعدهم بعد قرنين وقاموا بمذابح أشد منهم ولم يوصفوا بالبرابرة !! أورد التأكيد على ازدواجية 'المصايير لدى المؤرخ الغربى انحدث فى نظرتة للفريقين الجرمانى والصليبي، وإنجازة للفريق الآخر ، وعن الوصف الأول انظر الفصل الذى خصصه نورمان كانتور تحت عنوان: "The age of Barbarian invasions"

نورمان كانتور ، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية . ت. قاسم عبده قاسم . ط. القاهرة ١٩٩٧م. ج١. ص١٤٥-١٨٢

شمالى أفريقيا<sup>(١١)</sup>، وكانت مواجهة كافة تلك القوى بالإضافة إلى الفرس؛ يعنى أن تتسع ميادين المعارك التى على بيزنطة أن تخوضها خاصة مع توزعها بين أوروبا، وأفريقيا، وآسيا أى يـقاع مختلفة من العالم القديم وهو أمر كان خارج إمكاناتها بطبيعة الحال. على أية حال؛ هناك عدة ملاحظات أساسية من الضرورة إبرادها عن صراع بيزنطة مع الجرمان وهى كالتى :

أولاً؛ لم يرد جستنيان أن تخلد اسمه القوانين والمنشآت المعمارية فقط، بل إنجه إلى ليكون حاكماً على روما حاضرة نهر التيبر، وبالتالي تخضع له روما القديمة، والجديدة معاً والأخيرة هى القسطنطينية على ضفاف البسفور، وقد دفعه إلى ذلك ثلاثة عناصر فى صورة تقاليد الحكم الأوتوقراطى الإمبراطورى؛ كذلك لانغلياً تقاليد البلاط البيزنطى الذى ساهم تقدس الإمبراطور، وجعله نائباً للسيد المسيح، ثم هنك الطموح غير المحدود الذى انصف به<sup>(١٢)</sup>.

ثانياً كانت حروب جستنيان ضد عناصر القوط الشرقيين فى إيطاليا<sup>(١٣)</sup>؛ وهى التى عرفت بالحروب القوطية مجهدة إلى حد كبير من الناحية العسكرية، وقد استمرت أمداً طويلاً، واحتاجت الإمبراطورية إلى ثلاثين عاماً - أى معظم سنوات حكم جستنيان البالغة ٣٨ عاماً؛

٥ - عن حروب جستنيان ضد القوط الغربيين فى أسبانيا أنظر:

Collins, Visigothic Spain 409-711, in Carr (ed.) Spin, A History, Oxford 2000, p.50 .

١ - عن حروبه ضد الوندال أنظر:

Procopius of Caesarea, the Vandal War, in Evans, Procopius, New York 19, pp.47-51 .

Procopius, The Vandalic War, Trans. by Dewing, Cambridge 1968.

أنظر أيضاً إسحق عبد . من ألارك إلى جستنيان، ص١٣٦-١٥٦ : محمود سعيد عمران . مملكة الوندال فى شمال أفريقيا . ط. الإسكندرية ١٩٨٥م. ص٥٧-١٦١ . نعم فرح . تاريخ بيزنطة السياسى. ص٩٢-٩٩

٢- نورمان كانتور. التاريخ الوسيط، ج. ١، ص ١٨٧

٣ - عن ذلك أنظر: Diehl. History of the Byzantine Empire. p. 24-25 .

Moorhead, Justinian, pp. 72-88 .

وعن حروبه فى إيطاليا انظر:

من أجل القضاء على مقاومتهم<sup>(١١)</sup>، وقد أدت إلى إنهك الإمبراطورية البيزنطية التي اضطرت إلى إعادة فرض الضرائب التي فرضت من قبل من جانب الإمبراطورية الرومانية، من ناحية أخرى؛ أثرت الحروب القوطية سلباً على إيطاليا حتى القرن العاشر الميلادي، وقد أدت - كما لاحظ نورمان كانتور Norman Cantor - إلى إنخفاض حاد للسكان في المدن الكبرى هناك مثل روما Rome ، و نابولي Napoli ، وميلانو Melano، وتحولت مدن البحر المتوسط الكبرى إلى مدن تتصف بالحرول<sup>(١٢)</sup> بعد أن أنهكتها الحرب وتدايعتها

ولانتزاع ؛ في أنه كان من الصعب بل من المستحيل؛ احتفاظ الإمبراطورية باقتصاد حرب لسنوات طويلة بدعم تلك المعارك الطاحنة ضد أعداء متعددين، وعلى دراية واسعة بغنون القتال، دون أن تتأثر سلبيا كافة قطاعاتها ، ولاتبالغ إذا ذكرنا أن الفرد البيزنطي العادي هو الذي دفع ثمن الطروح المدفوع لذلك الإمبراطور، وهو ما مجاهله عن عمد المؤرخون الرسيون.

ثالثاً: لانغفل ؛ أن حملات جستنيان كلفت الإمبراطورية زهرة شبابها ، وأموالها ووقتها وجهدها مع ملاحظة أنه لم يتمكن من استرجاع عدد من المناطق التي استمرت سيطرة الجرمان عليها مثل غالة ، وإنجلترا

على أية حال ؛ في كافة تلك العمليات العسكرية نلاحظ دوراً قيادياً بارزاً لاثنتين من القادة في صورة بليزاريوس ، ونارسيس غير أنه عتلمنا أخفقت مشروعاته الاستردادية ؛ تأكد للمؤرخ الموضوعي أنهما صارا ضحية تصورات ذلك الإمبراطور الواهم!

لانغفل - من ناحية أخرى- أن جستنيان إنجه إلى شراء السلام الشاحب المحفز مع الفرس بالذهب، لتجنب الوقوع بين شقى الرحى، أى بين عدو فارسى فى الشرق وجرمانى فى الغرب ويلاحظ فى هذا الشأن أن معاهدة عام ٥٣٢م التي عقدها مع الفرس أنهت ٣١ عاماً من العداء بين الجانبين<sup>(١٣)</sup>، كما يقرر أحد المؤرخين.

١- نورمان كانتور ، التاريخ الوسيط، ص. ١٩٠

٢- نفسه، نفس الصفحة

وتجد نفس فكرة المؤرخ المذكور لدى ما أورده بروينج أنظر:

Browning, The Byzantine Empire p. 221 .

٣- Scott, "Diplomacy in the Sixth century: The Evidence of John Malalas", =

كفي يتفرغ لحرب الآخرين ، غير أن فترات الهدن بين الجانبين أدت - من حيث لا يدري- إلى تقوية الفرس على نحو سيظهر فيما بعد .

على أية حال ؛ من بعد اللهث وراء وهم استعادة القسم الغربي من الإمبراطورية من أيدى الجرمان ، شهدت الأعوام الأخيرة من حكمه عودة السيادة الجرمانية إلى سابق عهدها ، وهكذا ، كان جستنيان أشبه شئ بمن يحاول إعادة عقارب الساعة إلى الوراء أو من يضرب بسيفه طواحين الهواء ، في يوم عاصف دون جدوى، وقد أضع جهود إمبراطورته جرياً وراء نظرية عتيقة أكدت القبائل الجرمانية عدم جنواها ، وصارت جثة هامة لآحراك فيها !.

على أية حال ؛ تأكد لنا أن العناصر الجرمانية متشارك في تكوين غربي أوروبا في العصور الوسطى بالإضافة إلى عنصرين أساسيين آخرين في صورة التراث الكلاسيكي اليوناني والروماني ، والمسيحية.

أما ما اتصل بالناحية القانونية، فقد عمل على جمع القانون الروماني، وأصدر ثلاثة مؤلفات قانونية في صورة Novellae Leges . Digesta ، Codex Justinianus ، وقد عُدَّ ذلك العمل من أكبر الأعمال شأنًا في ذلك العصر<sup>(١)</sup> ، وقد استغرق ذلك ١٤ عامًا من العمل

in Shepard and Franklin (eds.), Byzantine diplomacy, apers From the Twenty- Fourth = Spring Symposium of Byzantine Studies. by Society for The Promotion of Byzantine Studies, Hampshire 2003, p. 159

١- مجمع ذلك في صورة مجموعة القانون المدني، عنها أنظر

Corpus Juris Civilis, ed. T. Mommsen. p. kruger, R. Scholl, W. kroll, 3 vols., Berlin 1945-1963 .

Hussey, The Byzantine World , pp. 22-23

Diehl. History of the Byzantine Empire. p. 31

وعن جهود جستنيان القانونية أنظر:

Ure, Justinian and his age , pp. 139-167

اسمعت غنيم، إمبراطورية جستنيان، ص٧١-٧٧ ، السيد 'لياز العرينى، تاريخ أوروبا العصور الوسطى،

ط. بيروت ١٩٦٨م، ص١٣٩

المتراصل من جانب مجموعة من كبار رجال القانون<sup>(١١)</sup>، وقد أثر عمله الرائد على كافة المجهودات القانونية التالية التي تمت في العصور الوسطى بصفة عامة.

ولامراء . في أن إسهامه في المجال المذكور ضمن له المخلود في التاريخ البيزنطي، ومن مفارقات القدر؛ أن إنجازاته الحربية ضد الجرمان الباهظة التكاليف ذهبت سدى، وبقيت إسهاماته القانونية قائمة حتى يومنا هذا وهي التي لم تكلفه الأموال الباهظة التي دفع بها لآلة الحرب.

وإذا تمجنا إلى الناحية العمرانية في عهده . نجد أنه عنى بها عناية خاصة، إدراكاً منه أن البشر يمضون وتبقى الآثار التي شيدها شاهدة عليهم. تنطق بل وتصرخ بالتاريخ

وقد سعى إلى إصلاح ما هدمته ثورة النصر عام ٥٣٢م والإنجاز المعاري البارز الذي حقق شهرة واسعة النطاق. تمثل في كنيسة الحكمة الإلهية Hagia Sophia<sup>(١٢)</sup>، التي عُدَّت من

١- سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٨١م، ص ١١٩

٢- كنيسة أيا صوفيا Hagia Sophia : أقامها جستنيان من أجل تكون مركزاً دينياً بارزاً، وحتى يتم تخليد اسمه على مر العصور. وقد بدأ في بنائها عام ٥٣٢م، وافتتحت في ٢٧ ديسمبر ٥٣٧م، أي أن تشييدها استغرق نحو ست سنوات وأشرف على ذلك ايزيدور الملطي Isidore of Militus وانثيموس التريلى Anthemius of Tralles . وقت الاستعانة في سبيل تشييدها بأمر الصناع من كافة أنحاء الامبراطورية ويقال أن عددهم بلغ ألفاً ويلاحظ أن أعجب ما فيها قبتها الضخمة من الأعمدة . والأرض والأعمدة . والأقسام السفلى من الجدران تتكون من الرخام أما الجدران والسقف فتكونت من الفسيفساء الذهبية، ويطل النور على المصلين فيها عبر ٤ نافذة عند أسفل القبة، وكانت الأشعة تنعكس على الفسيفساء المقع، عنها أنظر:

Procopius, The Buildings, Trans. by H.B. Beaving ant G. Downey, London 1940, pp. 172-174 . Yücel , Hagia Sophia, Istanbul 1986 , pp. 3-44 .

Lethaby and Swainson , The Church of Sancta Sophia Constantinople. Astudy of Byzantine Building, London 1894, p. 21-297

Kleinbaues, white and Matthews, Hagia Sophia, Istanbul 2004, pp. 9-77

Mainstone , Hagia Sophia Architectue, Structure and liturgy of Justinian's Great church, Hungary 1997 , pp. 175-281

Nelson, Hagia Sophia 1850-1950, Holy wisdom, Modern Monument, chicago 2004, pp. 1-28 .

روائع المعمار والفن البيزنطي، ويلاحظ أنها شيدت على غط الطراز المعماري الذي وجد في أواخر عصر الإمبراطورية الرومانية؛ وهو طراز البازيليكيا Basilica<sup>(١١)</sup> الرومانية وهي تكشف لنا عن المستوى الرفيع الذي وصلت إليه العمارة في عهد جستنيان، ولانغفل أنها لاتزال قائمة حتى يومنا هذا بعد أن تحولت إلى مسجد فخم على إثر الفتح العثماني للقسطنطينية عام ١٤٥٣م.

كذلك يذكر عن عهد ذلك الإمبراطور؛ تشييد دير سانت كاترين St. Catherine<sup>(١٢)</sup> فسي جنوبي شبه جزيرة سيناء، بمصر ويلاحظ هنا؛ أن الموقع الجغرافي الفريد للدير المذكور حماه عبر القرون، وقد احتوى على مجموعة نادرة من الأيقونات Icons، وفيما بعد؛ عندما حدثت حركة مضادة لعبادة الأيقونات، والتي نتج عنها؛ إلحاق الضرر بها في مختلف الكنائس

Asimov, Constantinople The forgotten Empire, Boston 1970, p. 69 .

Grabar, Byzantine Architecture and art, C.M.H., vol V, p.310-317

است غيم . إمبراطورية جستنيان، ص ٦٧، أسد رستم، الروم، ج ١، ص ٢١٧

١- الطراز البازيليكيا Basilica- Shape؛ هو ذلك الطراز المعماري الذي انتشر في بناء الكنائس زمنًا طويلاً، واحتوى على صحن للكنيسة. وأجنحتها وسقفها القبة مع تطور تشييد القبة وكلمة بازيليك من الكلمة اليونانية Basilikos ومعناها «ملكي»، وهي في الأصل أطلقت على قصر الملك، عن ذلك أنظر: شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٣، حاشية (١)

٢- القديسة كاترين؛ هي كاترين السكندرية Catherine of Alexandria، شهيدة مسيحية، ولا تعرف تاريخاً محدداً لإستشهادها، وقد نسجت بشأنها أسطورة شهيرة ووفقاً للأسطورة يقال أن إمبراطوراً هو ماكستينوس Maxentius، أراد «الزواج بها نظراً لما عرفت به من جمال أخاذ، وقد رفضت كاترين التخلي عن ديانتها، ووفقاً لتلك الأسطورة ظهر لها السبد المسيح، وأن جسدها حمل عن طريق اللاتكة إلى جبل سيناء، ويلاحظ أن عيدها يوافق يوم ٢٥ نوفمبر. عنها أنظر:

Attwater, The Penguin dictionary of Saints, p. 210 .

حاتم الطحاوي « كرسنوفر كوريس يدعو فرد بناند وإيزابيلا لشن حملة صليبية والاسيلا، على القدس ١٥٠١م، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، مجسوة من الأبحاث مهداه إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عاماً، محرير حاتم الطحاوي، ط، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٩.

حاشية (٣٦)

والأديرة . وجدنا أن المجموعة التي إقتناها ذلك الدير ظلت في مأمن من التخريب ، وهناك من يقر أنها لاتقدر بشئ ، كذلك لانغفل اتراء مكتبته على مخطوطات ثمينه<sup>(١١)</sup> .

جدير بالإشارة هنا : أن رهبان ذلك الدير تمتعوا بحصافة سياسية لاتتنكر على نحو جنههم الاصطدام بالقرى السياسية المتعاقبة التي قدمت إلى مصر وعبرت شبه جزيرة سيناء بوابتها الشرقية على مدى قرون متعددة .

كذلك تم تشييد عدد من الأديرة الكرمية الفخمة التي تليق بمكانة الامبراطورية .

أما فيما يتصل بالسياسة الدينية لجسنتيان : فمن الملاحظ أن سياسته في ذلك المجال: وصفت بأنها ذات ميول غربية<sup>(١٢)</sup> شأنها في ذلك شأن سياسته الحربية ، وقد أراد إيجاد علاقات قوية مع البابوية في روما ، وهكذا : وجدناه يؤيد مذهب الطبيعيتين ، ولذلك حارب أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة أو المذهب المونوفيزيتي<sup>(١٣)</sup> ، غير أن الأخيرين وجدوا دعماً

١- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٨٦ وعن دير سانت كاترين أنظر:

جيمس بنتلي، اكتشاف الكتاب المقدس، قيامه المسيح في سيناء ، ت . آسيا محمد الطريحي ، ط .

القاهرة ١٩٩٥م ، ص ٥٩ - ٦٠

Weitzmann, The Monastery of Saint Catherine at Mount Sinai, The Icons, vol. I, Princeton 1976 .

وهي أفضل دراسة تناولت أيقونات دير سانت كاترين ، نعوم شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلاقات التجارية والحربي وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ إلى اليوم . ط . بيروت ١٩٩١م ، ص ٤٧٨ - ٥٠٣

الكتاب المذكور أول عمل عربي مفصل عن شبه جزيرة سيناء ، وبوابة مصر الشرقية وهناك دراسة أخرى جديره بالتقدير أنظر : أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء ، في العصور الوسطى ، ط . القاهرة ١٩٧٧م .

أنظر أيضاً عن محتويات مكتبة الدير المذكور: جوزيف نسيم يوسف ، المخطوطات العربية بدير القديسة كاترين في سيناء ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٦٨ / ١٩٦٩م ، ص ٩٥ - ١٣٩

٢- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٨٩

٣- اعتقد المونوفيزيتيين أن للسيد المسيح طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية ، ويسمى المذهب المونوفيزيتي من Monophysitism وأتباعه هم المناوذة Menophysites ، عن ذلك المذهب أنظر : شارلز أرماني ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١١ ، حاشية (١)

ومساندة من ثيودورا التي اعتنقت مذهبهم وتدرجياً صار جستنيان نفسه على نفس مذهبا بل وحارب أصحاب الطبيعتين<sup>(١)</sup>.

بصفة عامة؛ أخفق ذلك الامبراطور فى إيجاد توفيق بين أنصار المذهبين، ولاتفعل؛ أنه خلال تلك الأحداث ظهر دور بارز ليعقوب البرادعى الذى أدخل قوة جديدة على قوة المينوقيزيتيين، وصاروا يعرفون باليعاقبة<sup>(٢)</sup>.

وجدير بالإشارة؛ إتجاه ذلك الإمبراطور إلى إغلاق مدرسة أثينا الفلسفية ذات التاريخ المجيد فى خدمة الفكر الفلسفى الإنسانى وذلك عام ٥٢٩ م<sup>(٣)</sup>، وكذلك إتجه إلى إبعاد كل من أثيرت الشكوك حول عقيدته وينفى التقرير هنا؛ أن الفكر دوماً يواجه بالفكر، أما أسلوب الإغلاق فلم يكد بمثابة القرار الصائب من جانب ذلك الإمبراطور على الرغم من المبررات الدينية الماهرة التى يمكن أن يقدمها المؤرخون المدافعون عن سياسته.

أما فيما يتصل بمرقعه من اليهود، فالملاحظ أنه اصطدم بهم فى عدة مناطق، ولا تغفل هنا أنهم حاربوا بجوار عناصر الوندال، والقوط الشرقيين ضد محاولات البيزنطيين استرداد القسم الغربى من الإمبراطورية، كذلك هناك من يقرر اشتراكهم فى ثورة النصر Nika عام ٥٣٢م السالفة الذكر<sup>(٤)</sup>

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص. ٩٠.

٢- نفسه، نفس الصفحة. وعن سياسته الدينية انظر أيضاً: جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص. ٧٧.

٣- عن ذلك أنظر:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 150.

Ostrogorky, History of the Byzantine State, p. 77

O.D.B., vol. 2, p. 1040.

Vasiliev, Op. cit, p. 149-150.

وأيضاً

وعن علاقة اليهود بالإمبراطورية البيزنطية بصفة عامة أنظر: أحمد عامر، اليهود وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية حتى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى، التاريخ والمسقبل، عدد بتاير ٢٠٠٣م، ص. ١-٥٩.



كذلك لانغفل : أن عناصر السامرة Samaritans<sup>(١)</sup> الذين جعلوا مركزهم في نابلس ؛ وهم عنصر منشق عن اليهود . تكررت ؛ أحداث ثوراتهم ضد الإمبراطورية البيزنطية في عهد جستنيان ، ويذكر التاريخ لهم ثورتين الأولى وقعت عام ٥٢٩م ، بعد عامين من توليه العرش عام ٥٢٧م ، والثانية عام ٥٥٥م<sup>(٢)</sup> ، وقد تمكن الإمبراطور من القضاء عليهما

مهما يكن من أمر؛ وجد المؤرخون اليهود المحدثون في موقف ذلك الإمبراطور ومن أتى من بعده الأباطرة البيزنطيين<sup>(٣)</sup> تأصيلاً لما عرف لديهم من معاداة السامية وعقدة الاضطهاد وصوروا الأمر على أنهم دوماً ضحية حكاهم مقفلين أنهم تعاملوا بالربا من خلال الإقراض بغوائد باهظة<sup>(٤)</sup> ، كذلك كان لتوقعهم وانعزالهم في مناطق خاصة بهم أثره في إثارة الشكوك

١- السامرة : طائفة يهودية تركزت في نابلس Neapolis وقد انفسوا إلى تسعين أضحى عليه والكوشان ، والثاني «البوسان» ، ويلاحظ عدم اعترافهم بما جاء من بعد موسى عليه السلام من أنبياء بني إسرائيل ، وأطلقوا على أنفسهم تسمية المحافظين على أساس محافظتهم على العقائد اليهودية بدون أي تعديل . عن السامرة انظر : أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ، ص ٦١ ، كرد على . خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢١٦

أحمد فؤاد سيد ، الحكم الإسلامي لفلسطين في ظل دولة الخلافة الإسلامية ١٥هـ / ٤٩٢هـ ، ط . القاهرة ٢٠٠١م ، ص ٢١-٢١١

حسن ظاهرا ، الفكر الديني اليهودي ، ط . دمشق - بيت ، ص ٢٠٦

٢- عن ذلك انظر : John Malalas, The Chronicle , p.294 Sharf, Byzantine Jewry From Justinian to the fourth Crusade, New York 1971, pp.29-30, pp.44-45

وعن علاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية في عهد جستنيان انظر :

محمد عثمان عبد الجليل ، «السامريون في فلسطين وعلاقتهم بالدولة البيزنطية (٣٠٥-٦٣١م)» ، المزمع المصري ، العدد (٢٥) ، يناير ٢٠٠٥م ، ص ٨٧-٩٠

٣- يجدر الإشارة : إلى قرد اليهود عام ٥٧٨م بما فيه عناصر السامرة عام ٥٧٨م ، كذلك ساعدوا الفرس عند غزوه لفلسطين ٦١٤-٦١٧م ، وقد اتجه الإمبراطور هرقل إلى الفتك بعدد منهم . عن ذلك : O.D.B., vol . II , p. 1040 .

٤- عن ذلك انظر :

روبرت لويز ، ثورة العصور الوسطى التجارية ٩٥٠ - ١٩٩٧م ، ص ٨٤ ، محمود شاكر ، موسوعة تاريخ اليهود ، ط . عمان ٢٠٠٢م ، ص ٢٣٧

حولهم بما ساعد على تنامي العداء ضدهم في القارة الأوروبية عموماً في شرقها وكذلك غربها ، ولانفعل أنهم ميزو أنفسهم عن سائر بني البشر<sup>(١١)</sup>.

جدير بالذكر؛ لم يجد اليهود عموماً في الإمبراطورية البيزنطية ما وجدوه في المناطق التي أخضعها المسلمون لسيطرتهم بدءاً من القرن السابع الميلادي حيث نعموا في ديار الإسلام - بوجه عام- في العصور الوسطى بالأمان والأمان، ووصلوا إلي مناصب سياسية رفيعة كما في عهد الدولة الفاطمية في مصر، كذلك ؛ كان لهم نشاطهم البارز على الصعيد التجاري وأيضاً بالنسبة للناحية الطبية حيث برع منهم عدد من الأطباء ، ولم يواجهوا تطهيراً عرقياً أو إجباراً على التحول من يهوديتهم إلى الإسلام<sup>(١٢)</sup>. وعلى حين وجدنا حوليات يهودية Jewish Chronicles تفيض بالمحدث عن المذابح التي تعرض لها اليهود في أوروبا العصور

١- وقد أطلق اليهود على غيرهم كلمة جوي Joi ولها دلالة عنصرية، عن ذلك انظر:

ديفيد سوليفر، جغرافية الأديان ، ت. أحمد غسان سبانو، ط. دمشق ١٩٩٩م، ص١٤-١٥

٢- عن تسامح المسلمين بصفة عامة مع اليهود في العصور الوسطى أنظر: مأمون كبران ، اليهود في الشرق الأوسط الخروج الأخير من الجيتو الجديد، ط. عمان ١٩٩٦م، ص٢٠

برنار لازار ، مناهضة الصامية تاريخها وأسبابها ، ت. مازن شهستاني، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٦٤  
محمد بحر عبد المجيد، اليهود في الأندلس ، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص١١ - ص١٧٧؛ إسرائيل ولفسون ، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط. القاهرة ١٩٣٦م.

يحيى أحمد عبد الهادي أهل النعمة في العراق في العصر العباسي ، الفترة السلجوقية نموذجاً ٤٤٧-٥٩٠هـ / ١٠٥٥-١١٩٤م ، ط. اريد ٢٠٠٤م ، ص٥٨-٧٠ ، حسن الميسى ، أهل اللمة في الحضارة الإسلامية، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص١٣٢ ، فاطمة مصطفى عامر، تاريخ أهل النعمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ط. القاهرة ٢٠٠٠م ، ج١، ص٣٨٥-٣٨٦ ، عطية القوصي، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص١١ - ص١٧٥ ، سليم ششوع ، صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس، شفا عمرو- فلسطين، ١٩٩٠م ، ولتر فيشيل ، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسة للدرول الإسلامي العباسية - الفاطمية - الإلخانية ، ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ٢٠٠٥م، ص١٥ - ص١٥٥

Goitein , " Saladin and The Jews";, H.U.C.A., vol. XXVII, 1956, pp. 305-326 .

Awad, " Highlights on the Medical contribution of Musa Ibn Maimun (1135-1204 A. 525-602 A.H) . during the Ayybid Rule in Egypt, " M. E.R.J., vol . 12 , March 2003, pp. 1-20 .  
Lewis, "Maimondes, Lionheart and Saladin", E.I ., vol . VII . Jerusalem 1964 , pp. 70-75 .

الوسطى<sup>(١١)</sup>، لم نجد نظيراً لها عند عناصرهم التي عاشت جنباً إلى جنب بحرار المسلمين وشاركت في صنع الحضارة الإسلامية في تلك الحقبة التاريخية من ناحية أخرى.

وكامتداد لسياسته الدينية، إتجه جستنيان إلى اتباع سياسة تنصيرية من خلال إدراكه لأهمية توسيع نفوذ كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية<sup>(١٢)</sup>، ولذلك أرسل بالبعثات التبشيرية إلى مناطق مختلفة مثل سواحل البحر الأسود القريبة وكذلك إلى الحبشة البعيدة<sup>(١٣)</sup>، وغيرها

١- عن ذلك انظر: The Chronicle of Salomon bar Simson, in Eidelberg (ed.) The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of the First and Second Crusades, Wisconsin 1977, 15-72 The Narrative of the Old Persecution or Mainz Anonymous, in Eidelberg (ed.) The Jews and The Crusades, pp. 95-115.

زينب عبد الجيد عبد القوى، اليهود في إنجلترا العصور الوسطى ١٠٦٦-١٢٢٩م، ط. القاهرة: ١٩٦٦، ص٦٤، حاشية (١)

اسرائيل شاحك، التاريخ اليهودي، ت. صالح على سوادح، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص١٠١  
وهو الزحيلي، الإسلام وغير المسلمين، ط. دمشق ١٩٩٨م، ص١٨٠، حيث يعرض لحقوق أهل الذمة في الإسلام

٢- كلمة أرثوذكسية Orthodoxy: هي كلمة يونانية الأصل مركبة من لفظين هما أرثوس، وتعني سليم أو قويم، وزوكسا، وتعني عقيدة، فيكون معناها المعتقد القويم. ويشتمل مصطلح الارثوذكسية على الكنائس الشرقية غير الخلقونية وهي التي رفضت قرارات مجمع خلقدونية عام ٤٥١م، وتضم الكنيسة الأرمنية والسريانية (كنيسة البعاقبة) في سوريا، والهند، والكنيسة القبطية في مصر وكذلك في إثيوبيا. والكنائس الشرقية الخلقونية وتضم الكنائس الأربع القديمة في القسطنطينية، والاسكندرية، وأنطاكية وبيت المقدس. عنها أنظر هذه الدراسة المهمة:

سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية احتساعية، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٤٧-٤٨: مدوح الزوي، الموسوعة العربية الميسرة الأديان، المذاهب المعتقدات المصطلحات الدينية، ط. دمشق، ب-ت ص٣٨٥، سعد السعدى، معجم الشرق الأوسط، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص٣٤٩-٣٥٠

٣- عن ذلك أنظر: موسى، ميلاد العصور الوسطى، ت. عبد العزيز توفيق جاويد، ومراجعة السيد الباز العرينى، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص٢٠١ - ٢٠٢

من المناطق، ويلاحظ هنا؛ أن هناك عدة دوافع دفعت إلى إتباع تلك السياسة؛ فلارباب أنه أراد إعادة المجد الإمبراطوري من جديد تحت مظلة المسيحية الأرثوذكسية وتحقيق مكاسب اقتصادية من خلال فتح أسواق تجارية جديدة من خلال معتنقى تلك الديانة، كذلك إيجاد قوى مسيحية مجاورة يمكن أن تكون بمثابة «حزام أمن». يدعم الإمبراطورية في مواجهة أعدائها في الحاضر، وكذلك المستقبل.

بصفة عامة؛ يعد ذلك الإمبراطور من أوائل الأباطرة البيزنطيين الذين جعلوا التنصير جزءاً من العمل السياسي. وعلى نهجه سار من بعده عدد من الأباطرة البيزنطيين.

وإلى جانب ما سبق من أحداث سياسية، وإنجازات قانونية وعمرانية، واجهت الإمبراطورية البيزنطية خلال عهد جستينيان بعض الكوارث الطبيعية مثل الأمراض الوبائية الفتاكة، وكذلك حدوث هزات زلزالية عنيفة ولم يكن من اليسير مواجهة مثل تلك الكوارث التي - من الطبيعي - أن حكومة ذلك الإمبراطور لم تكن لتتوقعها، وأضادت أعباءً ثقيلة إلى الأعباء الأصلية التي كانت تعاني منها

وفيما يتصل بالأمراض الوبائية نلاحظ انتشار الطاعون Plague في عصره<sup>(١١)</sup>، وقد هاجم الإمبراطورية خلال الأعوام الممتدة بين عامي ٥٤١م. و٥٤٤م ولارباب في أن ذلك الامتداد على مدى عدة أعوام أكد أن الأمر اتسع نطاقه الزمني وبالتالي امتد خطره على شعوب الإمبراطورية، وتعرف أن الوباء بدأ - كما قرر البعض - من مصر<sup>(١٢)</sup> ثم امتد إلى مقاطعات

= وعن التنصير بصفة عامة أنظر: علي بن ابراهيم النسله، التنصير في المراجع العربية دراسة ووصف وراقى للمطبع، ط. الرياض، ٢٠٠٣م، ص ٩ - ص ١٥٣

Evagrius Scholasticus, The Ecclesiastical History, Trans: by Michael Whitby, Liv- ١ erpool 2000, pp. 229-232 .

أيضاً هذه المقالة المتخصصة 'ممتازة':

Allen, " The Justinianic Plague", B., 49 . 1979, pp. 5-20

Treadgold, Aconcise History of Byzantium , New York 2001, pp. 62-63 .

Angold, Byzantium, p. 25 .

والطاعون ؛ منه نوعان الطاعون القلدي ، والطاعون الرنوي، والأخير بوصف. بأنه الأشد والأخطر. ويختلف عن الطاعون القلدي في أن العدوى في الطاعون القلدي تنتقل عن طريق البراغيت التي تحملها =

أخرى فى أنحاء الامبراطورية وقد وصف بأنه الطاعون الجسنتيانى The Justinianic Plague نسبة إلى الإمبراطور المعاصر له ، ويلاحظ : أن عدداً من المؤرخين البيزنطيين أشاروا إليه مثل بروكوبيوس Procopius<sup>(١١)</sup>، ويوحنا الإنسوس John of Ephesus، وأفيجاريوس Eph- egarius ومن خلال ما أوردوه أمكن الإطلاع على حجم الكارثة التى أصابت الإمبراطورية حينذاك.

ويلاحظ أن عدد من فتك بهم الطاعون بلغ ٥.٠٠٠ يومياً وفق ما قرره البعض<sup>(١٢)</sup>، وقد عجز الأطباء عن مواجهته أمام استفحال خطره على نحو هدد البنية السكانية، والأنشطة

---

= الفران ، والمزدان، أما الرنوى فتنقل عدواه عن طريق الهواء الفاسد، والأول أعراضه تظهر من خلال ظهور أورام وبثور فى أنحاء مختلفة من الجسم، أما الثانى: فأعراضه تتمثل فى أن المريض يعض دماً بعد أن يصاب بالفشيان، ويبدأ فى القي، عن ذلك أنظر:

ابراهيم خميس . «الأوبئة والأمراض التى نشبت بين الصليبيين فى الشرق الأدنى الإسلامى وأثرها ١٠٩٨-١٢٩١م / ٤٩١ - ٦٩٠هـ»، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ المصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد، وابراهيم خميس، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٧٦-٧٨

وانظر هذه الأطروحة العلمية غير المنشورة :

Conrad (L.), The Plagne in Early Medieval Near East, unpublished ph.D. diss, in Near East-ern Studies. Princeton University 1981 .

Evans, Procopius, p. 26 .

-١-

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية ، ص٧٩ ، وخلال تلك الأحداث تعطلت جميع الأعمال العادية فى القسطنطينية وصار السرقة خالياً إلا عن يحملون جثث الموتى، وفى كثير من البيوت لم تنق نفس واحدة على نيب الحياة وقد اضطرت الحكومة البيزنطية إلى اتخاذ إجراءات خاصة بدفن الجثث المجهولة ، عن ذلك انظر

شارلز أومان، الامبراطورية البيزنطية، ص٧٩

أيضا اسد رستم . الروم . ج١٠ ، ص١٧٣

٢- شارلز أومان ، المرجع السابق، ص٧٩

الاقتصادية للإمبراطورية، كذلك كان لذلك الأمر أثره النفسى فقد تجمع الناس فى الكنائس على اعتبار تصورهم أنها يمكن أن توفر لهم الحماية نظراً لطابعها الدينى، ولاتفعل أن العصور الوسطى بصفة عامة، سواءً فى الشرق البيزنطى أو الغرب الأوروبى اتسمت بتعاطف الظاهرة الدينية التى تكشفت بصراحة وضاحة خلال أحداث الكوارث الطبيعية على نحو خاص.

وكما هو متوقع فى مثل تلك الأحداث رأى المعاصرون أن ذلك الطاعون إنما حدث كعقاب إلهى نظراً للأثام التى ارتكبت<sup>(١١)</sup>، وكانت فداحة الحسائر - حيث نعلم أن هناك أسرات بيزنطية فقدت أغلب أفرادها<sup>(١٢)</sup> - كان ذلك أثره فى تعميق الاتجاه إلى الجانب الدينى كملاذ من الكارثة الروائية الفتاكة.

جدير بالذكر : أن هناك حادثتين بارزتين فى التاريخ البيزنطى بصفة عامة لانتشار الطاعون : الأولى تلك التى حدثت فى عهد جستنيان والثانية فى صورة الفناء الكبير The Black Death الذى وقع فيما بين عامى ١٣٤١ ، ١٣٤٩ م. وهو ما سيتم تناوله فى موضعه من هذه الدراسة.

بصفة عامة: يدل حدوث الطاعون الجسديانى على تأثير الأمراض الروائية الفتاكة على التاريخ البيزنطى وهو عنصر خارج عن حدود القدرات البشرية على مواجهته حينذاك ، ومن الممكن القول أن ذلك الطاعون كان أشد تأثيراً من أى عامل آخر فى اضعاف الامبراطورية البيزنطية على النحو الذى يلاحظه الباحثون فى النصف الثانى من القرن السادس م<sup>(١٣)</sup>

من ناحية أخرى؛ حدثت فى خلال حكم ذلك الامبراطور هزات زلزالية مدمرة<sup>(١٤)</sup>، ويلاحظ وقوعها فيما قبل عصره ؛ إذ شهد عام ٥٢٥ م؛ أى قبل عامين فقط من توليه الحكم

١- Angold, Byzantium, p. 26 .

-١

Ibid, p.26

-٢

٣- شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية، ص٧٩. وقد قرر أن ذلك الطاعون لم يحدث من قبل منذ ثلاثمائة عام من خلال حجم تأثيره، أنظر، ص٧٩، ومنطقى أن ذلك يعكس بشاعة تأثيره، وفتكه بالكثيرين.

٤- الزلازل Earthquakes: عبارة عن هزات سريعة متلاحقة وقصيرة المدى تصيب القشرة الأرضية خلال فترات متقطعة نتيجة للاضطرابات الباطنية ومحدث كنتيجة لحركات القشرة الأرضية . ويعقبها احتكاك=

عام ٥٢٧م بعضها ، كذلك عاودت الزلازل نشاطها ، ويمكن القول أنه خلال المرحلة بين عامي ٥٢٦م ، ٥٥٧م<sup>(١١)</sup> وقعت ٩ هزات زلزالية<sup>(١٢)</sup> وهى مدة زمنية تقدر بـ ٣١ عاماً من إجمالى مدة حكم جستنيان الواقعة بين عامي ٥٢٧ . ٥٦٥م ، أى ٣٨ عاماً ، وكل ذلك يعنى أن تلك الظاهرة الطبيعية المدمرة تكرر وقوعها على مدى أعوام حكمه ، على نحو لا يستطيع المؤرخ تجاهل أحداثها وتأثيراتها على الصعيد الداخلى ، مع ملاحظة أن الوضع الداخلى والخارجى يمثان وجهى عملة واحدة

على أبة حال ؛ حدثت تلك الزلازل تأثيرها المدمر على الأبنية فى العاصمة البيزنطية على نحو استدعى القيام بإعادة بنائها أو ترميمها ، وتعرف أنه فى يوم ١٤ ديسمبر ٥٥٧م - على

= الأقسام الصخرية التى يتكون منها الغلاف الخارجى . وتبدأ الموجات الزلزالية فى العادة فى صورة هزات خفيفة أو أولية تتزايد قوة حتى تصل إلى سطح الأرض الخارجى ، وهناك عدة أنواع من الزلازل مثل البلوتونية Plutanic Earthquakes ، ويكون مركزها فى العادة فى الأعماق البعيدة من باطن الأرض ، ثم الزلازل التكتونية Tectonic Earthquakes وتحدث فجأة فى المناطق التى توجد بها إنكسارات فى القشرة الأرضية ، أما النوع الثالث ، فينشئ فى الزلازل البركانية Volcanic Earthquakes ، وتحدث كنتيجة للهزات الناجمة عن النشاط البركانى ، عن الزلازل بصفة عامة أنظر:

Skinner, Physical Geology, New York 1974, p. 329, Stiegeler, Dictionary of earth Sciences, London 1976, p.95 .

محمد على المغربى ، الهزات الزلزالية ، ط. القاهرة ١٩٥٨م ، ص٩ ، فردريك بو، البراكين والزلازل ، ت. الدمرداش سرحان ، ط. القاهرة ١٩٨٩م ، ص٩٨ ، على عبد العظيم نعيم ، الحركات الحديثة للقشرة الأرضية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م ، ص٦ ، حسن أبو العينين ، كوكب الأرض ظواهر التضاريسية الكبرى ، ط. بيروت ١٩٧٩م ، ص٢٣٦ ، محمد صفى الدين ، جيمور فولوجية قشرة الأرض ، ط. بيروت ١٩٧١م ، ص٣٥-٣٥١ ، صلاح الدين بحيرى ، أشكال الأرض ، ط. دمشق ١٩٧٨ م ، ص٢٢ ، محمد منولى ، وجه الأرض ، ط. القاهرة ١٩٧٧م ، ص٦٦ ، محمد مؤنس عوض ، الزلازل فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٦م ، ص٥٥ - ٦٢ ، هدى الويسى ، الزلازل فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣ ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة أسيوط ، عام ٢٠٠٧م ، ص١٥-١٦

Agathias, The Histories, Trans. by O.J.D. Freedo , New York 1975 . p. 128 .

Evans, Procopius, p.26 .

سبيل المثال- ؛ حدثت هزة زلزالية عنيفة تركت آثارها على كنيسة أيا صوفيا<sup>(١١)</sup>.

جدير بالذكر؛ تعرضت الإمبراطورية البيزنطية على مدى تاريخها لعدد من الهزات الزلزالية التي اختلفت قوتها وتوزيعاتها، على مدى أعوام ٣٤٢م، ٤٥٤م، ٥٢٦م، ٥٥٧م، ٧٤٠م، ٨٨٦م، ٨٦٩م، ٩٨٩م، ١٠٦٤م، ١٢٩٦م، ١٣٤٦<sup>(١٢)</sup>؛ أى خلال المرحلة الواقعة . بين القرنين الرابع، والرابع عشر الميلاديين، ولاتفعل هنا آسيا الصغرى كانت مرتعاً لمثل تلك الهزات الزلزالية بالإضافة إلى قربها من منطقة جبال زاغروس التي امتلكت نفس الصفة ولم تكن الزلازل قاصرة على تلك الإمبراطورية فحسب ؛ بل أحدثت تأثيرها على المناطق المجاورة أحياناً مثل بلاد الشام وما وراءها كمصر . وبالتالي غدت جزءاً من نطاق جغرافى أكبر.

على أية حال ؛ تركت مثل تلك الزلازل تأثيراتها السلبية على البنية المعمارية والسكانية والنشاط الاقتصادى عموماً

أما فيما يتصل بالجانبيين الاقتصادى ، والاجتماعى ؛ فقد حدث خلال عهد ذلك الامبراطور حدث اقتصادى محورى؛ إذ توصل البيزنطيون إلى سر الحرير<sup>(١٣)</sup> الطبيعى من خلال دود القز،

Evans, Procopius, p.26 .

-١

-٢ عن ذلك انظر:

Downey, " Eantrhankes, at Constantinople and Vicinity (324-1453) ", S., vol. XXX, 1955 , pp. 596-600 .

وتعد أفضل ما كتب عن الزلازل فى التاريخ البيزنطى.

O.D.B., vol. 1 , pp. 629-670 .

أيضاً:

٣- فيما يتصل بالحرير ؛ من المقرر أن مصدر دودة القز أو دودة الحرير كان فى جبال آسام فى شمالى الهند، وفى بلاد البنغال ، إلا أنه فى شمالى الصين تعلم الإنسان لأول مرة فى تاريخه كيفية القيام بنسج خيوط الحرير من الشرقة ، وتم ذلك فى حوض نهر تاريم فيما عرف باسم تركستان الصينية، وفيما بعد ظهر إلى الوجود طريق الحرير Silk Rods وقد بدأ من الصين، واخترق ما عرف ببنغوليا وحوض نهر تاريم وجمرات أفغانستان وبلاد فارس حتى يصل إلى بلاد الرافدين ثم إلى بلاد الشام ، وهناك تفرع إلى آسيا الصغرى ، ومنها إلى أوروبا، أو من الساحل الشامى إلى أوروبا ؛ ويلاحظ أن الجيولوجى والرحالة الألمانى فرديناند فون ريشتنهوفن Ferdinand von Richthoffen (١٨٣٣-١٩٠٥م) قام عام ١٨٦٠م برحلته فى الشرق وعاد أدراجه إلى ألمانيا عام ١٨٧٢م وأطلق على الطريق المذكور تعبير « طريق الحرير » انظر: محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيين فى العصور الوسطى ص٩٣



وقد اختلف في كيفية حدوث ذلك. إذ رأى البعض؛ أن عدداً من البيزنطيين ذهبوا إلى الصين، وتكثروا من جلب دود القز، وأوراق التوت، أو أن أميرة صينية أحببت شاباً، وخانت بلادها وأنشأت أمر الحرير الذي كان حينذاك سرّاً صينياً قومياً لا يعرفه إلا الصينيون وحدهم، وعندما عرفت ببيزنتة ذلك الأمر؛ دخلت في دائرة استخراج الحرير على نطاق متسع على نحو خاص في القسطنطينية وبيروت، وصور، وأنطاكية، وبلاد اليونان خاصة طيبة.

ولانغفل؛ أن بيزنطة جنت من وراء ذلك أرباحاً طائلة مع ملاحظة أن أركان التجارة في العصور الوسطى - بوجه عام - تمثلت في الحرير Silk، والذهب Gold، والرقيق Slaves، والتوابل Spices، مع عدم اغفال بقى السلع الأخرى، ضمن المنظومة التجارية بطبيعة الحال، وساعد الامبراطورية على التفوق التجاري موقعها الفريد بين آسيا وأوروبا وفي مواجهة أفريقيا

أما من الناحية الاجتماعية؛ فقد شهد عصر جستنيان محاولات للإصلاح الاجتماعي قامت بها زوجته ثيودورا التي عملت على مواجهة ظاهرة الدعارة Prostitution<sup>(١٧)</sup>، التي

---

= هابد تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى. ت. أحمد محمد رضا، ط. القاهرة ١٩٨٥، ج ١ ص ٨. موريس لومبار "الاسلام في مجده الأول، ت. إسماعيل العربي، ط. الدار البيضاء، ١٩٩٠م، ص ٢٧١-٢٧٢، ص ٢٧٢، مجدى غنيم، الحرير، ط. القاهرة ١٩٩٣م، عبد الرحمن سامى، القول الحق في بيروت ودمشق، ط. بيروت ١٩٨١م، ص ١٠٢، على أبو عساف، طريق الحرير والطرق التجارية: الأقدم، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة (١٢)، العددان ٣٩، ٤٠، كانون الأول ١٩٩١، ص ٧٢-٨٢؛ عند الرحم حسيدة، بين ابن بطوطة وماركوبولو، العدد المذكور، ص ٨٣-٩٥، محمد حرب قرزات، حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين والشام، العدد المذكور، ص ٩٦-١١٨ نعمان محمود جبران، محارلات الغول السيطرة على طريق الحرير أسباب ونتائج، العدد المذكور ص ١٣٨-١٥٥

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 168 -١

وعن الحرير في بيزنطة بوجه عام، انظر: Lopez, "Silk Industry in The Byzantine Empire", S., vol. XX, 1945, pp. 1-42.

Maniatis, Organization, Market Structure and Mosus Operandi of The Private Silk industry in 10 Thh century Byzantium", D.O.P., 53, 1999, pp. 203-334.

- وحدت الدعارة في أنحاء الإمبراطورية البيزنطية على مدى تاريخها وغدت على نحو منظم ووجدت مظاهرها في الحمائم والمسارح وساحات، والحانات، ويلاحظ أن القوانين حرمت استغلال الفتيات

انتشرت في أنحاء العاصمة البيزنطية ، ولانفعل أنه وفقاً لما قرره بروكوبيوس فإن ثيودورا ؛ وصفت بممارسة الدعارة . ولذلك كانت أكثر استعداداً للتعاطف مع بائعات الهوى ، وهكذا؛ اتجهت إلى معارضة التائبين منهن للإشهاد عن ذلك الطريق الضال، وأقامت مراكز وبيوتاً للإصلاح ، كذلك شيدت دير ميتانويا Metanoia: لا يواء أولئك التائبين<sup>(١١)</sup>، ووفق ما قرره بروكوبيوس فقد عملت على رعاية ٥٠ عاهرة من خلال الإيواء في مثل ذلك الدير<sup>(١٢)</sup>.

ولا يفهم من العبارات السابقة أن زوجة جستينان تمكنت نهائياً من معالجة مشكلة الدعارة ، بل أنها استمرت فيما بعد على مدى التاريخ البيزنطي، وبصفة عامة ؛ فإن ذلك بعكس الدور الإصلاحي الاجتماعي الذي قامت به ثيودورا على نحو ضمن لها مكانة بارزة في ذلك العصر وأكد أهمية دورها في الامبراطورية جنباً إلى جنب مع جستينان

على أبة حال ؛ توفي أن جستينان عام ٥٦٥م ؛ عقب حياة حافلة بالأحداث على كافة المستويات ، تاركاً المؤرخين في جدل واسع بشأن تقويم إنجازات عهده بين مؤيد إلى حد بعيد، ومعارض على نفس الدرجة على نحو لم يشأ لأي إمبراطور بيزنطي آخر خلال العصر

---

= القاصرات في أعمال الدعارة ، ولجد أ جستينان في المتجددات أقر رفضه ذلك الأمر تماماً . كما رقت نفس الموقف الكنيسة، ومع ذلك عملت الفتيات الفقيرات كمومسات Prostitutes مع ملاحظة أن منهن من تاب وانصف بالقداسة ، وهو أمر نجده في سيرة بلاجين العاهرة Pelagin The Harlot ، ومريم المصرية Mary of Egypt ، وهن في ذلك سرن على ذات الخطى التي سارت عليها من قبل مريم المجدلية -Mary of Mag- ، وعلى أبة حال ؛ وصلت المومسات أحياناً إلى القصر الإمبراطوري؛ كما حدث في عهد الإمبراطور أندرونسيكوس I Andronrus (١١٨٣-١١٨٥م) الذي اتجه إلى التسربته عن نفسه من خلال المومسات والمحظيات ، عن الدعارة في الإمبراطورية البيزنطية أنظر:

Procopius , Secret History , p. 84 .

Life of St. Mary of Egypt , Trans. by Maria Kouli , in Talbot (ed.) Holy Women Byzantium Ten esnt'a lives in English Translation. Washington 1996, pp. 65-93 .

O.D.B., vol III, p. 1741

Evans, The Empress Theodora Partner of Justinian, pp. 32-34 .

-١

O.D.B, vol III, p. 1741

Procopius, Op. cit .. p. 84 .

-٢

البيزنطي المبكر، والأوسط، والمتأخر، ودوما مبالغة أو اعتساف في الأحكام على نحو يؤكد لنا أن جستنيان عاش في التاريخ البيزنطي بفضل الجدل الذي أثير بشأن جدوى سياساته وأعماله أكثر مما عاش بفضل أعماله الحربية التي تؤكد اخفاقها حتى من قبيل وفاته، وبصفة عامة، وبغض النظر على أجه الاختلاف حول تقييمه فالأمر المؤكد أنه من أبرز الأباطرة البيزنطيين. ونأتى الآن إلى زاوية محورية، وهي محاولة تقويم لعهد ذلك الإمبراطور.

والواقع أن هناك من قرر عنه ما نصه: «أن جستنيان أتم كثيراً من الأعمال فجعل العالم وأمهه بأدق مجموعة من القوانين، وأصبحت فتوحاته الحضارة الرومانية في الغرب، كما أنقذت سلطوته الدينية، والعلمانية التي قدم بتطبيقها خلفاء الشرقيين من الإذلال في حادثة كانوسا، ولكن كان من نتيجة ذلك درسان عظيمان، إذ وضع أنه لا يمكن التوفيق بين الشرق والغرب، وأن المالية السليسة، والمنظمة هي أساس الحكومة الناجحة، وتجاهل جستنيان هذه القواعد سبب للإمبراطورية خسارة لاتعوض بها أثرها واضعاً عقب موته مباشرة»<sup>١١</sup>.

والواقع أن الرأي المذكور يعكس لنا وجود جوانب إيجابية لاتنكر، وكذلك سلبية كبيرة دفع الشعب البيزنطي ثمنها فادحاً نتيجة لها، ولاتفعل أن «الدرسين» المذكورين كان من الممكن تجنبهما في حالة الاحتكام إلى العقل وعدم اللهث وراء أفكار وتصورات أكل عليها الدهر وشرب خاص بإعادة مجد روما المنهار، واقعياً تحت سناك خيل القبائل الجرمانية الغازية والمستقرة بالفعل.

- جوزيف نسيم يوسف . تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٨٨

وحادثة كانوسا Canossa التي أشار إليها مؤرخ المذكور عبارة عن ذهاب الإمبراطور الألماني هنري الرابع Henry IV إلى البابا هرمجوري السابع Georgory VII في كانوسا Canossa في مقاطعة توسكانيا Tus-cany بايطاليا لتقديم الاعتذار له وبالتالي يرفع عنه الحرمان الكنسى Excommunication الذي فرض عليه وقد مكث الإمبراطور ثلاثة أيام أمام أبواب القنعة الموجودة هناك وفي يناير ١٠٧٧م . ثم فتح البابا أبواب القلعة وخرج لديه، فقبل الإمبراطور قدميه واعتذر له وعلى ذلك ؛ قبل البابا اعتذاره وتم رفع الحرمان الكنسى عن ذلك انظر:

Tout, The Empire and the Papacy . 918-1273. London 1914 , pp. 13-132

Rand, Founders of the Middle Ages, New York 1975 . p. 77

ويقرر مؤرخ آخر ما نصه : « فلعل جستنيان يبدو من أكثر الشخصيات إثارة للحيرة . فبينما الإمبراطورية أشد ما تكون حاجة إلى سياسة حازمة لتجنيبها شر الفرس ، والصقالبه والآفار ، والبيلغار ، تجده يولع بمشروعات غريبة ربما لم تكن الدولة فى أى حاجة إلى إنقامها ، بل جلبت عليها الكوارث المروعة واستنزفت كثيراً من طاقاتها ، ومواردها ولم تؤد فى النهاية إلا إلى اختطافها <sup>(١١)</sup> .

وفى موضع آخر يقرر ذات المؤرخ « توفى جستنيان سنة ٥٦٥ م عن ثلاثة وثمانين عاماً وترك الإمبراطورية أفقر مما كانت حين تولاه وأشد ما تكون قرناً من التدهور ، والإنهيار ، وأقل رومانية مما كانت عليه ، بل إن إيطاليا التى أجهد نفسه فى انتزاعها من القوط الشرقيين ما لبث أن وقعت فريسة سهلة فى أيدي اللمبارديين ، وقويت فيها شوكة البابوية ، وترنحت فيها دعائم السيطرة البيزنطية لتؤكد الفشل الذريع لسياسة هذا الإمبراطور العسكرية ، والدينية فى إيطاليا قلب العالم الرومانى ومركز الثقل فيه <sup>(١٢)</sup> .

وفى تصورى ؛ أن ذلك الرأى يعكس - بواقعية - نتائج سياسة ذلك الامبراطور الذى وصفه البعض بالعظمة دون إبراز دوره بما له وما عليه .

ومن ناحية أخرى ؛ نجد أن المؤرخين الأوربيين الذين وقعوا فى أسر كارزما Charisma جستنيان رأوا فيه إمبراطوراً متفرداً ؛ ولذلك وجدت مؤلفات تتناول عصر « جستنيان » أو « جستيان » العظيم بينما يؤكد الواقع التاريخى أنه لم يكن يمثل ذلك التصور إن تأكد لنا أننا أمام إمبراطور مخفق حاول أن يقاوم قوة غرست جذورها فى التربة الأوروبية على مدى خمسة قرون كاملة خاصة بعد أن نجحت فى إسقاط روما عام ٤٧٦م ، وبالتالي فذلك الجانب الدعائى هو نتاج المركزية الأوربية دون أن نجد سنداً من الواقع التاريخى الحرى على الأقل .

لقد أفلس جستنيان خزائن الإمبراطورية ، وترك خلفائه مشكلات مزمنة . كما يبدد طاقات أبناء الإمبراطورية جريئاً وراء سراب لا طائل من ورائه فهل بعد هذا يوصف بأنه إمبراطور عظيم؟ إنها رؤية المؤرخين الأوربيين الذين حاولوا! إيجاد نموذج أورسى قروسطى للبطلنة ووقع اختيارهم على ذلك الامبراطور !!

١ - محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٦٤

٢ - نفسه، ص ٦٥

ومع ذلك ؛ من الإنصاف الرأى بأن إنجازاته القانونية والمعمارية شهدت نجاحاً بارزاً ، ومن الملفت للإنتباه ؛ أن العلبات العسكرية التى أجهت الإمبراطورية ذهبت هباءً منثوراً . أما الجانب المعمارى؛ فلايزال منه ما بقى على الرغم من تعاقب القرون ، وكنيسة أبا صوفيا تنطق بفصاحة بالتاريخ الذى يرجع إلى عصره

من الملاحظ أن جستنيان استجاب لرؤية البيزنطيين الذين توهموا أن من الممكن استعادة القسم الغربى من الإمبراطورية، وأنههروا بانتصارات جيوش الامبراطور خاصة في المرحلة المبكرة، دون أن يدرك أنها انتصارات مؤقتة ولن تستمر ، وفي تقديرى ؛ أنه فى حالة قيام جستنيان بالإفناق على الجوانب الاقتصادية ، والعمرانية فى داخل الامبراطورية لمحقق نجاحاً أكثر دوماً بدلاً من إفناق الأموال الطائلة على آلة الحرب، وبالتالي، يحق لى وفق سياسته نحو الغرب بعدم الواقعية ونسر النظر

وهناك من المؤرخين من اعتاد إطلاق اسمه على عصر بأكمله فيسمونه عصر جستنيان<sup>(١)</sup>، ولايملك الباحث أمام ذلك التصور؛ إلا أن يقرر أن مثل تلك الرؤية تتسم بالإنبهار بشخصية جستنيان<sup>(٢)</sup>، وإنجازاته ولايوجد مخرج من مثل تلك التصورات إلا من خلال الرؤية

١- أوضاع مثال دال على ذلك كتاب إبور

Ure . Justinian and his age London 1951

فهو يطلق اسم جستنيان على عصر بأكمله وكأنه كان إمبراطوراً ناجحاً نجاحاً غير مسبوق .

٢- نجد مثلاً دالاً على ذلك فى صورة ما أورده المؤرخة أ.د. است غنيم عن جستنيان حيث ذكرت ما نصه . من أن عهد جستنيان قد بدأ بداية طيبة بشرت بالأمال المزدهرة ، ثم سار وهو مكمل بالأعمال الرائعة والمجهود المنخلة من أجل النهوض بالإمبراطورية وتسيورها مكانة رفيسة سامية . ثم انتهى هذا العهد وهو محاط بحر من اللوم، والسخط الشديدين على إمبراطور هو فى الحقيقتن عمالقة التاريخ الأوروبى . ويكفى وصف المؤرخ المعاصر أجاتيوس الذى قال عن جستنيان إنه أول من دل بأقواله وأفعاله دون حسم أباطرة الدولة الرومانية أنه إمبراطور . أنظر:

است غنيم، إمبراطورية جستنيان ، ص٨٩ ، وفى تصورى أن العبارة المذكورة تعكس انبهار المؤلفه بالامبراطور المكثور، والعلمفه المذكوره غير وارده على المستوى السياسى والحربى ، أما قول المؤرخ 'جاتيوس فقد تردد على ألسنة مورخين آخرين معاصرين لأبضرة بيزنطيين آخرين وهو لايفرج من دائرة الدعابة=

الموضوعية التي توضع الإيجابيات والسلبيات مهما يكن من أمر؛ على الرغم من رحيله عام ٥٦٥م، إلا أن المرحلة الواقعة من العام المذكور حتى عام ٦١٠م وحتى من بعد ذلك كانت تعبر خير تعبير عن أخطائه ترك إمبراطورية مجهدة، ومنهكة، وخزائنها خاوية وتكالب عليها الأعداء من كل حذب وصوب، وينطبق ذلك على عهود كل من جستين الثاني (٥٦٥-٥٧٨م)، وتيبيريوس (٥٧٨-٥٨٢م)، وموريس (٥٨٢-٦٠٢م) وفوكاس (٦٠٢-٦١٠م)؛ وهم أوائل ضحايا جستينيان! وبالتالي يتأكد لنا أن عصره لا يفهم دون المرحلة التالية له التي دفعت الثمن فادحاً

وزاد من اضطراب الأمور في الإمبراطورية البيزنطية؛ عودة الصراع بين حزبي الزرق واليخضر السالفي الذكر، كما مجدّد الصراع البيزنطي- الفارسي، وقد استغل الفرس تلك الأحداث؛ لتحقيق مكاسب عسكرية، وسياسية بارزة في مرحلة ما بعد جستينيان حيث مثل لهم ذلك الوضع فرصة ذهبية كان عليهم احتيالها، والأمر المؤكّد مجاحهم في ذلك المجال وهكذا؛ مجدّدت أحداث الحرب خلال المرحلة من ٥٧٢ إلى ٥٩١م لتشمل قسمًا من عهد الإمبراطور جستينيان الثاني، وكذلك تيبيريوس<sup>(١)</sup> ثم جانبًا من عهد الإمبراطور موريس؛ مما عكس أن بيزنطة واجهت عدواً شرساً مصرّاً على هدفه ولم يكن من الممكن إلحاق الهزيمة به في يسر وسهولة.

---

= السياسة الواضحة، ومن المهم الإشارة إلى أن رأى مؤرخ معاصر واحد لا يلزمنا لأننا نجد عكس ما قاله في لدى بروكويوس المؤرخ المعاصر.

١- عن هزين الإمبراطورين أنظر:

Stein, Studien Zur Geschichte der byzantinischen Reiches Vornehmlich Unter den Kaisern Justinus II und Tiberius, Stuttgart 1919

وهي أشمل وأفضل دراسة في موضوعها

Jones, The Later Roman Empire, p.302-309.

وأنظر أيضاً هذه الرسالة:

ناصر عبد الحميد زيدان، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطورين جستين الثاني وتيبيريوس ٥٦٥-٥٨٢م.

رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م

على أية حال ، من الممكن التنصر بأن خلفاء جستنيان وضعوا في ظروف اقتصادية وعسكرية وسياسية قاسية أكبر من قدراتهم ، ومن الخطأ البين ؛ تصور أنهم كانوا يملكون قراراتهم في المجالات المذكورة بحرية ؛ لأنهم كانوا يحكمون إمبراطورية منهكة كان يحكمها واقعيًا جستنيان من قبره بغضل سياساته!!!

مهما يكن من أمر ؛ في مقدورنا القول بأن الإمبراطور موريس<sup>(١)</sup> يعد أكثر الأباطرة الذين حكموا من بعد جستنيان كفاءة من الناحيتين العسكرية والسياسية ويلاحظ ؛ أنه وضع نصب عينيه ضرورة استمرار السيادة البيزنطية على كل من آسيا الصغرى ، وكذلك البلقان. وفي سبيل ذلك ؛ طرقت أبواب الدبلوماسية فعقد مع الفرس إتفاقاً عام ٥٩٢م بعد عشر سنوات من توليه السلطة ، وبموجبه تم الاتفاق على أن يتم ضم أرمينيا ، وقسم من شمالي بلاد ما بين النهرين Mesopotamia للإمبراطورية البيزنطية وفي المقابل ؛ كان على الأخيرة أن تقدم فدية سنوية للفرس، ومن الملاحظ هنا ؛ أن الاتفاق المذكور كان من شأنه سيطرة بيزنطة على مناطق استراتيجية في مواجهة الفرس، كذلك إنقضا الأنفاس لمواجهة الظروف الداخلية السيئة التي مثلت تحدياً حقيقياً في وجه ذلك الإمبراطور

والواقع ؛ أن قبول الإمبراطور موريس للإتفاق المذكور ، وهو الرجل العسكري لا يخلو من دلالة ، وهو رغبته في تجنب الاستمرار في الصدام مع الفرس، وإدراكه أن ذلك يعد أفضل الحل للثورة التي يمكن الإقدام عليها وسط الظروف الراهنة التي عاشها.

مهما يكن من أمر ؛ هدد خطر آخر الإمبراطورية في صورة هجمات عناصر السلاف، والأفار الذين تقدموا في مناطق تراقيا ، ومقدونيا. وبالفعل تقدم الإمبراطور بقواته لصد الخطر إنقاد عبر نهر الدانوب وتمكن بعد عشر أعوام من الاتفاق السالف الذكر من تحقيق انتصار له من شأنه هناك إلا أن تمرداً حدث في صفوف جنوده، أدى إلى قتله وظهر في الساحة قائد آخر هو فوكاس Phocas الذي صار إمبراطوراً ، وذلك في عام ٦٠٢م.

١- عن ذلك الإمبراطور أنظر:

وقفاً ، محمد ، الإمبراطور موريس رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام

ومن الجلى البين : أن الإمبراطور موريس على الرغم من جهود الحربية والدبلوماسية فى مواجهة القوى المعادية للإمبراطورية فى جبهتين مختلفتين سواء فى الشرق مع الفرس أو عبر نهر الدانوب مع السلاف ، والآثار؛ إلا أنه لم يجد لدى أغلب المؤرخين إلا أقل القليل من الاهتمام ، بل ركزوا الأمر على الإمبراطور جستنيان، وعند مقارنة الإمبراطور موريس بغيره من خلفاء جستنيان يتضح بجلاء أنه أكثرهم نشاطاً ، وواجه ظروفًا قاسية وحاول جاهداً مواجهة الأعداء ومن أكثرهم ولم ينل (ما يستحقه من المؤرخين إلا ما ندر على نحو يجعلنا نعتبره من الأباطرة المظلومين فى التاريخ البيزنطى المبكر.

مهما يكن من أمر؛ انتهز الفرس الفرصة السانحة ، وأرادوا تحقيق انتصارات على الإمبراطورية المضطربة الأوضاع واستطاعوا بالفعل التوغل فى مناطق بلاد الشام، ومصر وآسيا الصغرى بل أمكنهم الوصول إلى مدينة خلقدونية ، ولأن خزائن الإمبراطورية كانت من قبل عامرة ، وصارت الآن خاوية؛ لم يكن فى الإمكان شراء السلام الشاحب الحنزر معهم هذه المرة

وهكذا ؛ من الممكن القول- دونما مبالغة - أن تأثير هجرة جستنيان امتد حتى عهد الأسرة التالية وخاصة عهد مؤسسها واعنى به الإمبراطور هرقل إن لم يكن فيما بعد ذلك دون إمكانية تحديد النتائج البعيدة المدى لتلك المرحلة التاريخية على نحو خاص من مراحل التاريخ البيزنطى الجديد.

ذلك أمر جستنيان وأحداث عصره الصاخبة وتقديمه بين المؤيدين والمعارضين أما إذا تجهنا صوب عرض موجز لأهم الأعلام الذين ظهروا خلال القرن السادس الميلادى فنذكر عدد من المؤرخين والجغرافيين فى صورة بروكوبيوس<sup>(١)</sup>، ويوحنا سالالاس<sup>(٢)</sup>، ثم هناك قسوزما الملاح<sup>(٣)</sup>.

أما فى مجال الأب ؛ نذكر الشاعر رومانوس المرتل، ويعد أفضل الشعراء فى عهد جستنيان وهناك من يقرر اقتصار أعماله على الاحتفالات الدينية<sup>(٤)</sup>.

١- عنه أنظر: المدخل الجيولوجرافى.

٢- عنه أنظر: المدخل الجيولوجرافى.

٣- عنه أنظر: المدخل الجيولوجرافى.

٤- أمد رستم، الروم ، ج ١ ، ص ٢١٦ ، وأنظر أيضاً المدخل الجيولوجرافى.



كذلك هناك شاعر آخر فى صورة بولس السليدى أى الصامت<sup>(١)</sup>، الذى خص كنيسة الحكمة الإلهية Hagian Sophia بقصيدتين تعد من مصادر تاريخ تلك التحفة المعمارية الباقية.

وعند عقد مقارنة وجيزة بين أسرة جستينيان والأسرتين السابقتين فى صورة قسطنطين وثيودوسيوس، نلاحظ أن أسرة جستينيان حكمت ٩٢ عاماً، وبالتالي؛ فاقت زمنياً أسرة قسطنطين التى امتد حكمها إلى ٧٢ عاماً وهى فى نفس الحين أقصر عهداً من أسرة ثيودوسيوس التى امتد عصرها إلى ١٣٩ عاماً

ومع ذلك؛ من الأهمية بمكان هنا الإقرار، بأن الوجود فى التاريخ ليس وجوداً زمنياً، بل من خلال الفعالية التاريخية ذاتها، ومن خلال ذلك؛ ندرك أن الأسرة الأولى امتازت بوقف الاضطهاد الذى حل بالمسيحية، وتشبيد العاصمة البيزنطية والثانية امتازت باتخاذ المسيحية ديانة رسمية والاهتمام بالقانون، أما الثالثة فقد أنجزت إسهامات قانونية ومعمارية ناجحة ونجحية عسكرية فاشلة!

ولانغفل أن أسرة جستينيان أثارت جدلاً لم تشره الأسرتين السابقتين عليها

من جهة أخرى؛ تشترك الأسرات الثلاث فى أن هناك دوراً للمرأة بصورة أو بأخرى وتأثيراً على امبراطور بارز من الأباطرة، مثال ذلك تأثير هيلانه أم قسطنطين على ابنها، وكذلك تأثير إيناس يودوكيا زوجة ثيودوسيوس الثانى عليه وكان مطيعاً لها، ثم أثر ثيودورا على زوجها جستينيان، ومن الجلى البين؛ أن الأخيرة كانت أكثرهن قدرة على التأثير على مسار الأحداث، كما تمتعت بصفات أهلنها عن سابقتها من خلال أن لفظاً أثير حول سلوكياتها من خلال ما أورده بروكوبيوس، كما أن هلينيا تحولت إلى قديسة وهو ما لم يتأت للشخصيتين التاليتين. ولامراء؛ فى أن ذلك يؤكد دور المرأة فى توجيه السياسة البيزنطية منذ ذلك العهد المبكر. ذلك أمر أسرة جستينيان؛ أما الأسرة الهرقلية وهى التالية لها فتعرض لمعامل عصرها على مدى الصفحات التالية.

١- أسد رستم، المرجع السابق، ص ٢١٦. عندما تمت شخصياً بزيارة تركيا، وشاهدت تلك الكنيسة التى سارت مسجداً أدركت بالفعل استحسانها لمثل تلك العقائد ويكفى ارتفاع قمتها بذلك المقدار الشاهن.

### ثالثاً : الأسرة الهرقلية ( ٦١٠ - ٧١٧م )

نتعرض فى هذا القسم من الكتاب لعهد الأسرة الهرقلية التى حكمت الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة من ٦١٠ إلى ٧١٧ م ؛ أى ما زاد على قرن من الزمان

تتماز الأسرة الهرقلية بكثرة عدد أباطرتها الذين تولوا الحكم فيها على نحو فاق الأسرات السابقة عليها فى صورة أسرات قسطنطين ، وثيودوروس ، وأسرة جستينيان وأباطرة الأسرة الهرقلية هم: هرقل Heraclius (٦١٠-٦٤١م) قسطنطين الثالث Constantine III (٦٤١-٦٤٢م) وقنسطانز الثانى Constance II (٦٤٢-٦٦٨م) ، و قسطنطين الرابع - Constatine IV (٦٦٨-٦٨٥م) ، وجستينيان الثانى Justinian II (٦٨٥-٦٩٥م) وليونتيوس Leontius (٦٩٥-٦٩٨م) ، وتيبيريوس الثانى Tiberius II (٦٩٨-٧٠٥م) وجستينيان الثانى Justinian II (٧٠٥-٧١١م) ، وفيليبجكوس Philippicus (٧١١-٧١٣م) ، اناسناس الثانى Justinian II (٧١٣-٧١٥م) ، وثيودوسيوس الثالث Theodosius III (٧١٥-٧١٧م)

ومن الملاحظ ؛ أن تلك الأسرة احتوت أباطرة حكمتها مدة طويلة نسبياً كما فى حالة كل من الإمبراطور هرقل ، وقنسطانز الثانى ، و قسطنطين الرابع، وهناك من لم يتجاوز حكمه عام أو عامين فقط مثل ثيودوسيوس الثالث ؛ مما عكس الضعف السياسى ، وعدم الاستقرار خاصة خلال المرحلة الأخيرة من عهد تلك الأسرة

على أية حال ؛ الأمر المؤكد أن أهم إمبراطور خلال حكم تلك الأسرة هو الإمبراطور هرقل<sup>(١)</sup> المؤسس البارز الذى كان إنشأ لحاكم قرطاجة ، وقدم إلى القسطنطينية ، وقام بإنتقال أوصله إلى سدة الحكم عام ٦١٠م فى ظروف تاريخية معقدة وعصيبة خاصة على جبهة الصراع البيزنطى - الفارسى.

١- عن الإمبراطور هرقل أنظر

Reinink and Stolte (eds.) The Reign of Heraclius (616-641), Crisis and Confrontation, Paris, 2002 .

ويحتوى على (١٣) بحث من الأبحاث التى ألفت فى ورشة العمل التى عقدت فى جامعة جرونينجن خلال المدة من ١٩ إلى ٢١ أبريل ٢٠٠١م.

Kaegi, Heraclius Emperor of Byzantium, Cambridge 2003 .

ومن الممكن إجمال أهم أعماله على النحو التالي:

أولاً : مواجهة الخطر الفارسي.

ثانياً المشكلة الدينية .

ثالثاً: الصراع البيزنطي- العربي.

وفيما يتصل بالخطر الفارسي؛ يلاحظ أن الفرس في عهد خسرو الثاني Khosroes II (591-628م) تمكنوا من تحقيق نجاحات غير مسبوقه على حساب بيزنطة وقد أسقطوا عددا من مدن بلاد الشام ، بل تمكنوا من دخول بيت المقدس وذلك عام 615م بعد خمس سنوات فقط من تولية الإمبراطور هرقل أمر الإمبراطورية البيزنطية . وقد تم الاستيلاء على ما يعتقد المسيحيون أنه صليب الصليبوت . كذلك تم مهاجمة كنيسة القيامة، واشتعلت النيران فيها، ويعني ذلك كله؛ أن الرموز الدينية المسيحية الكبرى صارت نهباً في أيدي الفرس، بل وصل الأمر إلى حد أنهم استولوا على مصر عام 617م كذلك وأصلوا توسعاتهم إلى آسيا الصغرى Asia Minor ، ويلغوا خريسبوليس Chrysopolis وكانت الأخيرة بمثابة آخر منطقة أمكن للفرس أن يتوسعوا فيها على حساب السيادة السياسية البيزنطية حينذاك ، ويلاحظ أن آسيا الصغرى خلال تلك الأحداث العصبية مثلت درعاً واقياً قام بحماية القلب البيزنطي واستهلك جزئياً طاقات الفرس.

ونظرا للرابطة الجغرافية والتاريخية الأزلية بين بلاد الشام ومصر (الشامصر) ، اتجه الفرس إلى الأخيرة وتمكنوا من الاستيلاء عليها عام 619م، وفي كل مكان حلوا فيه نشروا الدمار والحراب<sup>(١)</sup>.

= وهي أحدث وأفضل دراسة بالإنجليزية وأنظر أيضاً

Haldon . Byzantium in The Seventh Century , the Transformation of a culture, Cambridge 1997 . pp. 41-53 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp.41-42 .

لبلى عبد الجواد ، الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين ، ط. القاهرة ١٩٨٥م.

وهي أفضل دراسة أكاديمية متخصصة بالعربية في موضوعها

١- ثيودريش، وصف الأماكن المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني ثيودريش القرن الثاني عشر :ليبلاي=



جدير بالذكر ؛ صاحب حروب هرقل ضد الفرس استخدام اشارات دينية مثل الصليان ، وصور السيدة مريم العذراء عليها السلام وهي تحمل المسيح عليه السلام طفلاً ؛ من أجل إثارة حماس الجنود ، ومع ذلك ؛ لا يمكن إعتبار ما قام به نوعاً من الحروب الصليبية ، Crusades ، كما تصور المؤرخ الصليبي البارز وليام الصوري William of Tyre ؛ إذ أنها قامت من الغرب الأوربي ، ولم تندلع من الإمبراطورية البيزنطية كما أنها نتاج أخريات القرن الحادي عشر الميلادي وليس القرن السابع الميلادي ، وفيما بعد ؛ حاول بعض المؤرخين تكرار نفس التصور بالنسبة لحروب شارلمان Carolus Magnus ضد المسلمين في الأندلس ، عندما اتجه ؛ إلى حصار سرقسطة<sup>(١)</sup> عام ٧٧٨م ، غير أن ذلك يعد تحميلاً للأمور أكثر مما

#### ١- عن فكرة الحرب المقدسة لدى العالمين المسيحي والإسلامي أنظر

Canard, " la guerre Sainte dans le monde Islamique et dans le monde Chretien" R. AF. T. LXXIX, 1956, pp. 605-623 .

Brundage, " Holy war and The Medieval Lawyers ", in, Brundage (ed.), the Holy war. Ohio State 1977, pp. 99-139 .

Saunders, " The Gusades as a holy war ", in Brundage (ed.) The Crusades, Motives and achievements, Boston 1964 .

قاسم عبده قاسم ، الخلفية الأيدولوجية للحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، ص ١٤-٢٠ ، حان فلوري ، الحرب المقدسة ، الجهاد والحرب الصليبية ، ت. غسان مابسر ومراجعة جلال شحاته ، ط. دمشق ١٩٩٤م ، ص ١٧٣ ، ويلاحظ أن المؤلف متعصب ضد الاسلام ، بوجه عام

٢- سرقسطة ؛ Zaragoza ، مدينة كبيرة وقعت في شمال شرقي الأندلس ، وامتازت بوجود خمسة أنهار بها في صورة أنهار إبرو ، وجلي ، ثلومه ، ورويه ، وقتشش ، ويلاحظ ؛ أن اسمها القديم هو Sulduba . وعندما قام الرومان بإحتلال أسبانيا ؛ أسس الامبراطور أغسطس Augustus مستعمرة بها أسماها Caesarea Auguste ثم تم تحويل الاسم خلال عهد القوط إلى Caesaragusta وصار خلال الحكم العربي سرقسطة ، وقد قام طارق بن زياد بفتحها عام ٧١٢م ، واستمر الحكم العربي بها إلى أن تمكن الأسيبان من إعادة السيطرة عليها في عام ١١١٨م من خلال ما أطلقوا عليه «حرب الاسترداد» Reconquista عن سرقسطة أنظر :

ياقوت ، معجم البلدان ، ط. بيروت ب-ت ، ج٣ ، ص ٢١٢-٢١٤ ، يوسف أحمد ياسين ، بلدان الأندلس في أعمال بالقوت المحسوس الجغرافية (٥٧٤-٦٢٦هـ / ١١٧٨-١٢٢٦م) ، ط. أبوظبي ، مركز زايد للتراث ٢٠٠١م ، ص ٣٣٤ ، حاشية (١) . عبد السلام الترماني ، أزمنة التاريخ الاسلامي ، ج ١/٢ ، ط. الكويت ١٩٨٢م ، ص ١٥٣

تحتمل ؛ فلا صليبيات قبل عام ١٠٩٥ م عندما قام البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٩-١٠٩٩م) بالدعوة إليها تحديداً في ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م في مجمع كليرمونت Clermont فرنسا كما سنفضله فيما بعد .

والأمر المؤكد ؛ أن هرقل يعد بالفعل الإمبراطور المنقلد للإمبراطورية البيزنطية خلال تلك الظروف العصيبة التي مرت بها ويعد دوره في هذا المجال، أكثر أهمية من دور الامبراطور جستنيان خاصة أن الأخير في عهده لم تكن الامبراطورية مهددة بمثل تلك الدرجة التي كانت عليها في عهد الامبراطور هرقل.

من المؤكد أن المؤرخين الذين درسوا عهد ذلك الامبراطور ؛ لم يعطوه حقه الجدير به نظراً لهزيمته فيما بعد على أيدي المسلمين غير أن الإنصاف التاريخي يجعلنا نقرر أنه من وجهة نظر بيزنطية كان من أكفأ الأباطرة البيزنطيين ونجاحه في مواجهة الفرس خير دليل على ذلك.

على أية حال ؛ يوصف هرقل «بالامبراطور التعيس» ؛ إذ لم يهنأ بانتصاره على الفرس، فقد ظهر أمامه خطر داهم في صورة العرب الذين اعتنقوا الإسلام ، وصاروا قوة لا يستهان بها، وقد أثبت قدرتها الفذة على تغيير التاريخ في العصور الوسطى بصورة غير مسبوقه وخلال عقود قليلة !!!.

ومن الممكن أن تلقى نظرة عابرة على بدايات نمو تلك القوة التي لم يحصم لها البيزنطيون حساباً ؛ فقد ولد النبي محمد بن عبد الله عليه أشرف الصلاة وأزكى السلام في مكة المكرمة ٣٠ أغسطس عام ٥٧٠م من أسرة من أشرافها وفيما بعد عمل بالرعي، والتجارة ووصف بالصادق الأمين ، وعند بلوغه الأربعين عاماً جاءه الوحي من الله تبارك وتعالى وهو يتعبد في

= وعن حملة شارلمان عليها عام ٧٧٨م انظر:

مجهول. أخبار مجسوعة في فتح الأندلس وذكر أمراتها رحمهم الله والحروب الواقعة فيها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط . بيروت ١٩٨٩م، ص١٠٣ حيث يقول: « طبع شارل في مدينة سرقسطة من أجل ذلك، فخرج حتى حل بها، فقاتله أهلها، ودفعوه أشد الدفع فرجع إلى بلده»، إسماعيل نوري ربيعي، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٦٢، صالح السعدون، العلاقات الخارجية للأندلس في عهد الامارة، ط. الرياض ب-ت، ص٩٨-٩٩، منى حسن محمود، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجية ٩٢-٦٠٦هـ / ٧١٤-٨١٥م، ط القاهرة ١٩٨٦م، ص١٨٠-١٨١ص

غار حراء . وكان نزول القرآن الكريم الذي يعد معجزة إلهية حبة منذ ذلك الحين، وإلى قيام الساعة . وفى يوم حدده بعض المؤرخين بأنه ١٨ بوليه ٦٢٢م قام النبي عليه الصلاة والسلام بالهجرة من مكة المكرمة إلى يثرب التي غدت تحمل اسم المدينة المنورة . وقد واصل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، وتمكن من فتح مكة

يلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بإرسال سفراء إلى حكام الدول المجاورة<sup>(١)</sup> ومنهم الدولة البيزنطية من أجل إبلاغهم برسالة الإسلام الذي هو فى الحقيقة دين عالمي لكافة البشر صالح لكل زمان ومكان ، فأحسن البعض استقبال سفراءه وأساء البعض الآخر إليهم . وكان الامبراطور هرقل من أولئك الذين أرسل لهم نبي الاسلام رسالة للإبلاغ بالدين الجديد

جدير بالذكر ؛ حدثت معركة مؤتة بين المسلمين والبيزنطيين<sup>(٢)</sup> عام (٦٢٩م) انتصر فيها الآخرون . واستشهد فيها ثلاثة من قادة المسلمين فى صورة زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة، وتمكن خالد بن الوليد من الإنسحاب بباقي القوات الإسلامية .

١- عن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل أنظر: أحمد فزاد سيد، الدعوة الإسلامية فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين- بلاغ الدعوة ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص٥٢٧-٥٧٨ . وأرد الإشادة بالمعهد العلمى البارز فى أطروحة الدكتوراه التى أعدها المؤرخ البارز الراحل د. أحمد فزاد سيد أنظر أيضاً لبللى عبد الجواد، الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور هرقل، ص٣٣٨ - ٣٤٠، ص. ٣٤٠، محمد لقمان الأعظمى، السيرة النبوية، ط. جدة ب-ت . ص٢٣٨-٢٥٨

وعن الرسائل التى أرسلها النبي (ص) بصفة عامة إلى الأباطرة والملوك أنظر:

محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط. بيروت ١٩٦٩م، ص١٠٥-١٠٨ . عبد الجبار السامرائى ، «الرسائل التى بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة» . الفيلصل . العدد (٥٥) . (٢) عن معركة مؤتة أنظر:

٢- عن معركة مؤتة أنظر:

ابن سعد ، الطبقات الكبرى . ط. بيروت ١٩٥٨م، ج٢، ص١٢٨ . ابراهيم بيضون . «حملة مؤتة مقارنة للمشروع السياسى الأول للدولة الإسلامية فى بلاد الشام» . حسن كتاب تاريخ بلاد الشام، إشكالية الموقع والدرج فى العصور الاسلامي، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص٩٩-١٢٥ . عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم، فى عصر النبوة دراسة فى جذور الصراع وتطوره بين المسلمين والبيزنطيين حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص٨٧-١٢١ . شكرى فيصل، حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول، ط. بيروت ١٩٧٤، ص٢٦-٢٧، ابراهيم المدوى، الإمبراطورية البيزنطية، والدولة الإسلامية، ط. القاهرة ١٩٥١، ص٢٦-٢٧

ومن الجلى البين ؛ أن الامبراطورية البيزنطية التى كانت قد خرجت من صراعها مع الفرس بانتصار باذن ، استخفت بقوة المسلمين وتصورت أنهم يقومون بمجرد مناوشات حدودية محدودة الشأن ولم يتصور البيزنطيون البتة أن يصل بهم الأمر إلى حد إلحاق هزائم مروعة بأباطرة القسطنطينية الكبار الذين انتشوا بخر الانتصار على الفرس منذ قليل.

ومن المهم هنا الإقرار ؛ بأن حركة الفتوحات العربية الكبرى لم يكن دافعها الناحية الاقتصادية كما توهم قطاع من المؤرخين الماركسيين وكذلك المستشرقين ، بل إبلاغ رسالة الإسلام؛ وهى رسالة عالمية ، وتخخير الشعوب بين أن تعتنقه أم لا دون أى إكراه فى سبيل اعتناق الدين الجديد، حيث قال تعالى فى كتابه العزيز « لا إكراه فى الدين »<sup>(١)</sup>. ولا ريب ؛ أن الإسلام إمتاز بوضوح الرؤية الدينية ولم يكن فيه ذلك الجدل الدنى الذى لايتتهى بشأن طبيعة السيد المسيح عليه السلام. على نحو سيؤدى إلى إقبال الكثيرين نحو اعتناقه باعتراف المنصفين من المستشرقين<sup>(٢)</sup>، لانغفل هنا الإشارة إلى أن الإمبراطور هرقل توجه إلى محاولة تسوية الصراع الدائر بين أصحاب الطبيعة الواحدة والطبعيتين بأن أوجد مذهباً توفيقياً جديداً عبارة عن مذهب المشيئة الواحدة أو المونوثوليبنى Monothelism<sup>(٣)</sup>. من خلال مرسوم صدر عام ٦٣٨م، غير أنه أخفق فى إقناع الطرفين به، وقد حاولت بيزنطة فرضه على رعاباها كما

١- أحمد الشريف ، دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة فى القرنين الأول والثانى للهجرة ، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص١٦٧-١٨٠ حيث يتناول دوافع تلك الحركة وأفضل دراسة بالعربية تفند أكلوية انتشار الإسلام بحد السيف التى كثيراً ما ردها قطاع من الباحثين القريبين أنظر: نبيل لوقا بباوى، انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص٢٤-١٨٤  
والمؤلف القبطى منصف للإسلام وحاصل على عدة درجات للدكتوراه

٢- عن ذلك أنظر: Arnold, The Spreed of Islam in the World , A History of Peaceful Preaching, India 2001

ويلاحظ أن الكتاب المذكور له ترجمة عربية أنظر:

توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ت. حسن ابراهيم وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحرولى ، ط. القاهرة ١٩٤٧م.

٣- عن ذلك المذهب أنظر:

شارلز أومان، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ت. مصطفى طه بدر ، ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص١٣٥=



حدث في بلاد الشام ومصر، دون جدوى ، وفي الأخيرة - على سبيل المثال - عارض الأقباط بشدة سياسة هرقل الدينية في بيثة عرفت بتدنيها الفطرى منذ أقدم الأزمان، وقد فر رأس الكنيسة القبطية بنسامين Benjamin إلى الصحراء بحقيقته هرباً من جراء الجور البيزنطى<sup>(١)</sup> الذى لاحق كل من لايعتق المذهب الرسمى للإمبراطورية .

يضاف إلى ذلك؛ كانت السياسة البيزنطية الجائرة على المستوى الاقتصادى القائمة على فرض الضرائب واستنزاف ثروات الولايات الشرقية خاصة القمح كما فى حالة مصر<sup>(٢)</sup>؛ كان ذلك أثره فى اشتعال نيران السخط، والتمرد فى نفوس سكان تلك الولايات وهكذا ؛ قدم البيزنطيون بأخطائهم الفادحة فرصة ذهبية للفاتحين العرب ليتفوقوا عليهم، ويحققوا انتصاراتهم فى وقت قياسى غير مسبوق ومن قبل ذلك كله الجوانب الايجابية المتعددة التى احتواها الإسلام نفسه كدين سماوى خاتم.

= حاشية (١) ، السيد الباز العرنى، الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص١١٧ ، عبد القادر اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٦٦م، ص٩٧-٩٨ ، أسد رستم ، الروم، ط. بيروت ١٩٥٥م، ج ١ ، ص٢٣٠ ، زكية رشدى ، تاريخ الأدب السريانى، مجلة كلية الآداب - جامعة عين شمس م (١٧) ، عام ١٩٧٣م، ص٣٦٤ ، محمد مؤنس عوض ، «أضواء على تاريخ موارنة لبنان عصر الحروب الصليبية» ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، مجموعة أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم، بمناسبة بلوغه الستين، تحرير حاتم الطحاوى، ط القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٨٩ ، حسين العودات، العرب النصارى، ط. دمشق ، ١٩٩٢م، ص٥٤

Angold . Byzantium the Bridge from Antiquity to the Middle , Ags, p. 166 .

١- عنه أنظر فايز نجيب اسكندر ، «بنسامين الأول البطريرك الثامن والثلاثون بين نهاية العصر البيزنطى وبداية الفتح الإسلامى لمصر ٦٢٣-٦٦٢م ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٣-٣٦ عزيز سورمال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ت. اسحق عبيد، ط. القاهرة ٢٠٠٥م، ص٩٨

٢- بلاط أن الإمبراطورية الرومانية من قبل كانت ترى أن القمح المصرى على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لها ، وهناك من يقرر أنه فى حالة سزال أى امبراطور رومانى عن العلاقة الوثيقة التى تربط مصر بالإمبراطورية الرومانية لأجاب من فوره القمح والنقود ، وقبما بعد : كان على مصر تقديم ما تراوح بين ٨ ، ٩ مليون أردب من القمح ؛ مما عكس أهمية الدور الاقتصادى الذى لعبته بالنسبة لتلك الامبراطورية ومن بعدها البيزنطية ، أنظر:

ومن الأهمية بمكان هنا الإشادة بمقال «تاريخي» خطه أ.د. اسحق عبيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة عين شمس بعنوان «شمس العرب تسطع على أرض النيل»<sup>(١)</sup> أقر فيه بأن ذلك الفتح جاء بمثابة إنقاذ لمصر، وأهلها الأقباط حينذاك من الإضطهاد البيزنطي، فكانت شهادة حق من مؤرخ بارز رداً على إدعاءات واقتراعات لا تتقف على قدميها.

على أية حال؛ تمكن المسلمون بقيادة عميقري الحرب خالد بن الوليد- الذي لم يهزم طوال حياته في أية معركة حربية على نحو فريد لا نجد له نظير على الأقل في حقبة العصور الوسطى والذي لقيه نبي الاسلام مبكراً بسيف الله المسلول، وأكدت وقائع التاريخ صدق ذلك الرفض - تمكن من قيادة المسلمين في انتصار تاريخي فذ في صورة معركة اليرموك في ٢٢ أغسطس من عام ٦٣٦م<sup>(٢)</sup> وتفوق الفرسان المسلمون خيفى الحركة الذين برعوا في حرب الصحراء، على القوات البيزنطية الثقيلة البطيئة الحركة، وكان الانتصار الإسلامي فيها حاسماً، وتعد أول

---

= رأفت عبد الحميد وطازق منصور، مصر في العصر البيزنطي ٢٨٤-٦٤١م، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٣-٥، وأفت عبد الحميد، «مصر والعرش البيزنطي»، ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم رؤوف عباس، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص٧٧-٧٩

١- عن ذلك انظر: اسحق عبيد، «شمس العرب تسطع على أرض النيل»، ضمن كتاب أثر الاسلام في مصر وأثر مصر في الحياة العربية الاسلامية، اشراف أ.د. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ١٩٩٩م  
Theophanse, p. 38.

٢- عن معركة اليرموك انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ط. بيروت ١٩٥٨م، ص١٣٦

ابن الأثير، الكامل، ط. بيروت 1994م، ج٢، ص٦٩-٧٢

Nicol, Yarmuk ad 636 The Muslim conquest of Syria, Oxford 1994, pp. 46-86.

Kaegi, Byzantium and the Early Islamic Conquests, Cambridge 2000, pp. 112-146.

Whitow, The Making of Byzantium 600-1025, Los Angeles 1996, p. 86, p. 89

وبلاحظ أن المؤرخ شارل ديل وصفها بأنها كارثة «اليرموك» "The disaster of Yermuk" - انظر:

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 43.

علاء الدين حسين مكى، فن الحرب عند العرب دراسة في الفتححات الكبرى في العصر الراشدي، ط. بغداد، ١٩٩٩م، ص٢٤٨-٣١٨ وهي دراسة تحليلية ذات طابع عسكري أعدها خبير عسكري عراقي؛ حازم عبد القادر الراوي، الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي في صدر الاسلام، ط. بغداد ١٩٩٨م،

مواجهة حربية كبيرة بين المسلمين ، والبيزنطيين ، وفيها تأكدت مقولة المفكر التونسي الكبير ابن خلدون أن البدو « أقدر على التغلب وانتزاع ما فى أيدي سواهم من الأمم »<sup>(١١)</sup> . وجددير بالذكر أن الفيلد مارشال مونتجومرى القائد البريطانى الذى انتصر فى معركة العلمين على قوات المحور خلال الحرب العالمية الثانية ألف كتابا بعنوان : A History of Warfare ، أى الحرب عبر التاريخ وفيه أشاد بإنجاز الجيش المسلم بقيادة خالد بن الوليد القائد الفذ<sup>(١٢)</sup> .

بصفة عامة ؛ حسمت تلك المعركة أمر السيادة السياسية على بلاد الشام لصالح المسلمين ، ولاربي ؛ فى أنها بالإضافة إلى معركة القادسية ضد الفرس قد أحدثت واقعا جيوبولوتيكيا جديدا أثر بدوره فى تغيير النظام العالمى حينذاك ؛ إذ انحسرت الدولة البيزنطية غربا ، وجاء ذلك إبداناً لها فيما بعد فى حركة تاريخية بطيئة بين القرنين ٧ ، ١٥م ، كذلك جعلت تلك المعركة المسلمين يقتربون من الساحل الشرقى للبحر المتوسط ملتقى الحضارات ، والسياسات فى العصور الوسطى .

على أية حال ؛ نسب المؤرخون المسلمون وغيرهم وداعا رمزياً للإمبراطور البيزنطى هرقل لبلاد الشام إذ قال : *Valc Syria et Ulumatum* ؛ أى « الوداع يا سورية وداعا ؛

= ويلاحظ أن من عوامل الانتصار فى تلك المعركة براعة المسلمين من خلال خفة الحركة وخبرتهم فى التحرك حركات تقدم وانسحاب واستداره وكذلك قطع خطوط المواصلات والتموين للبيزنطيين ولم يكن من الممكن لجيوش البيزنطيين الثقيلة التفوق عليهم انظر : جلوب ، المتراجات العربية الكبرى ، ت . خبرى حصاد ط . بيروت ب- ت ، ص ١٤٢

١- المقدمة تصحيح وفهرسة أبو عبدالله السعيد المنده ، ط . بيروت ٢٠٠٥م ، ص ١٣٣

الأمر المؤكد ؛ أن ابن خلدون من عابرة الإسلام فى العصور الوسطى . ويمتاز بالأصالة الفكرية ، وقد تأثر بفكره فى نظرية العدرات ، كما أشاد به المؤرخ البريطانى آرثولد توينسى مدح التحدى والاستجابة .

الفيلد مارشال مونتجومرى . الحرب عبر التاريخ ، ت . عبدالله النمر ، ط . القاهرة ١٩٧٣ ، ج ١ . يقول ذلك القائد البريطانى المحنك « فى عام ٦٣٦ حشد الامبراطور البيزنطى هرقل جيشا جيشا مكونا من خمسين ألفا ليقااتل به العرب ، وكان جيشهم نصف عدد الجيش البيزنطى وبقيادة خالد بن الوليد والتقى الجيشان عند اليرموك ، وأسفرت المعركة على هزيمة الجيش البيزنطى وتشتت صفوفه ولاقوا حتفهم على أيدي أهل الصحراء .. »

نهائياً»<sup>(١)</sup> على نحو عكس مدى إحساسه بالكارثة التي حلت بالدولة البيزنطية من جراء التوسعات العربية الحافظة ، والناجحة .

وفيما بعد؛ تمكن المسلمون من إخضاع مدن بلاد الشام الكبرى بما فيها بيت المقدس التي دخلها الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٧م<sup>(٢)</sup>، دخولاً سلمياً متحضراً وأعطى أهلها الأمان على عقائدهم ، وأرواحهم ، وممتلكاتهم . ورفض الصلاة في كنيسة القيامة حتى لا يحولها المسلمون إلى مسجد فقدم درساً تاريخياً في التسامح والسلام منذ القرن السابع الميلادي، ويستكرر من بعد ذلك بعدة قرون عندما دخلها السلطان صلاح الدين الأيوبي محرراً في عام ١١٨٧م، وما ذلك إلا التعبير الحى الصادق عن أخلاق الإسلام النبيلة ودما شبهة تعصب.

جدير بالذكر؛ إنجبه المسلمون بقيادة عمرو بن العاص إلى فتح مصر، وكانت مهياً لاستقبال الفاتحين الجدد، ويحدثنا مؤرخ قبلي معاصر للفتح العربي وهو يوحنا النقيوسى أن العرب وجدوا المساعدة من أقباط مصر<sup>(٣)</sup> الذين رحبوا بهم وقدموا لهم المأوى والامدادات والأهم سلاح

١- الأزدى : فتح الشام ، تحقيق عبد المنعم عامر، ط. القاهرة - ١٩٧٠م، ص٢٣٦

الطبرى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل . ط. القاهرة ١٩٦٧م، ج ٣ . ص ٦٠٣

لبلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية ، ص ٣٨٠ ، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية ، ط.

القاهرة ١٩٩٦م، ص١٢٢

وعن الصراع البيزنطى - العربى حينذاك أنظر: Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. -99

٢- عن دخول عمر بن الخطاب بيت المقدس أنظر: ابراهيم جابر ، قضية القدس ومستقبلها فى القرن الحادى والعشرين دراسات (٢١) مركز دراسات الشرق الأيسط عمان ٢٠٠٢م، ص ٢٢ . الأزدى ، المصدر السابق، ص٢٥٩ ، عبد الباسط التكرورى، موسوعة الخلفاء الراشدين . ط. عمان ٢٠٠٣م، ص١٢٧ محمود السيد ، الفتوحات الإسلامية . ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص٤٦- ٤٥ . حمدى شاهين ، الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٢٠٤ - ٢٠٨ ، فاروق عمر فوزى، محسن محمد حسن ، الوسيط فى تاريخ فلسطين فى العصر الإسلامى الوسيط، ط. رام الله، ١٩٩٨م، ص٤٧

٣- ابن عبد الحكم ، فتح مصر، المغرب ، ج ١ ، تحقيق عبد المنعم عامر، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ٨٦ . يقول ما نصه : «فيقال أن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرى أعواناً» =

المعلومات للتخلص من الإضطهاد البيزنطي، وبالفعل؛ تم للمسلمين فتح مصر عام ٦٤٢م في عهد قسطنطين الثالث، وكان ذلك كله دليلاً وضّاحاً على أن المقاطعتين المهتمتين ببلاد الشام، ومصر صارتا خارج نطاق السيادة البيزنطية، ولاشك أن ذلك حرم بيزنطة من القمح الذي كانت تقدمه مصر لها كإمتداد لعلاقتها السابقة بالإمبراطورية الرومانية، ولكن من ناحية أخرى؛ أدى ذلك إلى إيقال المشكلات الدينية من خلال معارضة بلاد الشام، ومصر لمذهب المشيئة الواحدة الذي حاول الامبراطور هرقل فرضه هناك دون جدوى، وبصفة عامة؛ فإن الأمر المؤكد فداحة خسائر بيزنطة مقارنة بتلك الزاوية الإيجابية المحدودة.

= وعن تلك الأحداث أنظر:

John Bishop of Nikou , Trans . From Ethiopian by Zotenberg, Paris 1883, English Trans. by R.M Charles 1916 .

وهناك ترجمة عربية قام بها عمر صابر عبد الجليل، انظر يوحنا القيقوسى، تاريخ مصر ليوحنا القيقوسى، ت. عمر صابر، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١٩٢ وما بعدها أيضاً:  
Amelinean, "La conquete de L' Egypte par les Arabes," R.H., T. CXIX , 1915 , pp. 273-310 .

١- يقول مفكر قبطي قدير ما نصه «على مدى ستة قرون كاملة تعرض المصريون للاضطهاد الشرس» .  
ويقصد بذلك اضطهاد البيزنطيين لهم انظر:

ولم سليمان قلادة، «العلاقات الاسلامية - المسيحية في الواقع المصرى». ضمن كتاب العلاقات الاسلامية المسيحية قرأتات التاريخ والحاضر والمستقبل، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط بيروت ١٩٩٤م، ص ٥٦؛ أحمد عبد الرازق، تاريخ مصر وآثارها الإسلامية من الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ١٤- ٩ ص ١٥

Arnold, The Spreed of Islam in The World p. 102 .

-٢-

ويقرر ذلك المؤرخ البريطانى عن تسامح الفاتحين العرب، ما نصه

" Muhammadan Conquest brought a freedom of religious life such as They had not enjoyed for acentury"

Arnold Ibid p. 102 .

والاعتراض على عبارته فى كلمة «محمدي» والمفروض أن تكون «الإسلام» بدلاً منها . فالإسلام ليس دين محمد بل دين الله جل سبحانه وتعالى ومحمد عليه الصلاة والسلام رسول الله جل شأنه المصطفى والمختار من جانه لإبلاغ رسالة الاسلام العالمية.

لانغفل هنا زاوية لها أهميتها ضمن الحديث عن الفتح العربى لمصر. إذ أتتهم فريق من الباحثين الغربيين العرب بأنهم قاموا بإحراق مكتبة الاسكندرية التى كانت تحوى تراثاً انسانياً ضخماً ومن الممكن الرد على تلك الفكرة من خلال النقاط المحددة التالية

أولاً : إن مكتبة الاسكندرية قد أصابها الحريق مرتين الأولى عام ٤٨ ق.م إثر حريق أسطول يوليوس قيصر Julius Cacer, والثانية خلال عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧١-٣٩٥ م) وذلك فى عام ٣٩١ م ؛ أى من قبل مقدم الفاتحين العرب بعدة قرون.

ثانياً : من الملاحظ أن رواية إحراق المكتبة المذكورة لا يزيدا أحد من المؤرخين المعاصرين مثل أوتيتا ، الذى قدم تفصيلات مسهبة عن الفتح العربى لمصر، كذلك لم نجد أثرًا للحديث عنها لدى المؤرخين الآخرين مثل اليعقوبى ، والبلاذرى ، وابن عبد الحكم، والطبرى، والكندى، وكذلك لدى المؤرخين المتأخرين مثل المقرئى (ت ١٤٤١م) شيخ مؤرخى مصر الإسلامية ، وأبى المحاسن (ت ١٤٦٩م) والسيوطى (ت ١٥٠٥م)

ثالثاً : هناك من يقرر أن المؤرخ أوراسيوس Orasius قرر أنه وجد رفوف المكتبة خالية من الكتب وذلك عندما قام بزيارة مدينة الاسكندرية فى أوائل القرن الخامس الميلادى، مما عكس عدم وجود تلك المكتبة من قبل مقدم الفاتحين العرب، واستيلائهم على الاسكندرية .

خامساً : من المفترض فى حالة بقاء تلك المكتبة إلى الفتح العربى؛ لم يكن هناك ما يمنع من نقلها إلى العاصمة البيزنطية القسطنطينية على أيدى البيزنطيين خاصة أن عمرو بن العاص قرر فى الصلح الذى عقده معهم ؛ أن من حقهم أن ينقلوا ما يستطيعون حمله، وهناك من أوضح أنه كان بإمكانهم حينذاك نقل عدة مكتبات لا مكتبة واحدة<sup>(١١)</sup>.

١- عن الرد على اقتراحات إحراق مكتبة الاسكندرية أنظر:

ألفريد بلتر ، فتح العرب لمصر ص٢٤٨- ص٣٧٠، حيث يقدم أفضل عرض عن الموضوع بصورة مفصلة ، حسن ابراهيم ، تاريخ الإسلام، السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ط. بيروت ٢٠٠١م، ص١٩٧ - ص٢٠١

محمد عبد النعم ، الاسكندرية ، المكتبة الاكاديمية فى العالم القديم، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص١١٨ - ص١١٩

ابراهيم عبد الفتاح التنارى، فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية، ط. طنطا ٢٠٠٢ . ص١٣١- ص١٣٦

سادساً : لانغفل ؛ أن قطاعاً من الباحثين الغربيين، حرصوا الحرص أجمعه على أن يضعوا الإسلام، والمسلمين دوماً في قصص الاتهام حتى ينفقوا وقتهم وجهدهم في الرد على الافتراءات وتفنيدھا، ويكفي أن نرد عليهم بأن المسلمين في العصور الوسطى كانوا من أكبر الأمم اهتماماً بالكتب تأليفاً ، وترجمة ، ونسخاً على نحو لم نجد له لدى أية أمة أخرى باعتراف المنصفين من المستشرقين الذين اعترفوا بتلك الحقيقة الراسخة القدم، ومجد ذلك واضحاً في مؤلفاتهم ذاتها

سابعاً : يقرر البعض نشوء تلك التهمة التي تم إلصاقها بالعرب الفاجحين في الأصل في بلاد الشام في أعقاب فترة حاسمة من تاريخ الحروب الصليبية، ومن المرجح أن السبب المباشر لإثارتها ؛ التنظية على ما ارتكبه الصليبيون في طرابلس الشام عندما اقتحموها عام ١١٠٩م ، وأرتكبوا بها مذبحه ودمسروا دار العلم هناك وهي التي احتسرت على كنوز المعرفة<sup>(١)</sup>، ناهيك عن الاستيلاء على تلك المكتبة التي قام بجمعها الفارس والشاعر أسامه بن منقذ والتي تركت حادثة فقدانها أثراً نفسياً سيئاً لديه وضمت أربعة آلاف من الكتب النادرة.

ويقرر العلامة الراحل أ.د. السيد عبد العزيز سالم، أن الصليبيين قاموا باختلاق القصة المزعومة السابقة التي أوردها ابن القفطي؛ كي تكون سابقة على ما حدث في طرابلس الشام. وقد شاعت تلك القصة، ومن المفترض أن والد ابن القفطي عمل في حياته في خدمة صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام حينما انتشرت روايتها فتناقلها والده ، وقام بترويجها؛ نظراً لارتباطه بالسلطان الأيوبي الذي كان له دور بارز في «تفريق وبيع بقايا المكتبة الفاطمية ، وكأننا أراد بترويجه لهذه القصة أن يزيل ما تعرض له صلاح الدين من انتقادات»<sup>(٢)</sup> بسبب ذلك الموقف .

١- السيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ط الاسكندرية ١٩٩٧م، ص١٩٤، حاشية (٢)

وقد اعتمد عرضه على: مصطفى العبادي، مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ص١٤٣ وعن تلك الادار أنظر: عمر عبد السلام تدمري، «دار العلم في طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجري»، مجلة عالم الفكر، م (١٢) ج (٣) الكويت ١٩٨١م، ص٨٧-٩١٨

٢- السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق، ص١٩٤- حاشية (٢) .

وفى تقديري ؛ أن الرأي المذكور على جانب من الأهمية والقيمة، ومع ذلك يظل يمثل احتمالاً من الاحتمالات، دون أن يقلل ذلك من معارضتنا للرواية المذكورة.  
وهكذا ؛ يتأكد لنا أن رواية إحراق مكتبة الاسكندرية؛ فرية لاتقف على قدميها أمام النقد التاريخي الموضوعي.

على أية حال ؛ كانت طموحات المسلمين قوية؛ لإبلاغ الدعوة الإسلامية فى كافة البقاع ، وقد انطلقوا من مصر غرباً لإخضاع الشمال الأفريقى، ولأرب؛ فى أنهم مثلوا عدواً لم تألفه بيزنطة على مدى تاريخها المديد؛ حيث واجهها برأ ، وبحراً من خلال الصراع على الأطراف، وكذلك القلب من بعد ذلك، وقدر لهم إسقاطها فى نهاية المطاف عام ١٤٥٣م؛ مما عكس أهمية دورهم فى صنع تاريخ تلك الإمبراطورية على مدى المرحلة الواقعة فيما بين القرنين السابع والخامس عشر الميلاديين.

مهما يكن من أمر؛ من الملاحظ أن الأسرة الهرقلية حدث خلال حكمها حدثان محوريان يمكن إجمالهما على النحو التالى

أولاً ؛ إنجاء الإمبراطورية إلى إقامة نظام دفاعى عرف بنظام الشيمات Themes<sup>(١)</sup> أو الألوية ، وقد قدمت الإدارة الإمبراطورية قطعاً من الأرض الزراعية للجنود فى صورة منح يمنح التصرف فيها شريطة أن يقوم الجندى بتقديم الخدمة الحربية فى جند هذه المنطقة أو الشيم وتقرر أن يتم توريث تلك الخدمة الحربية، كذلك توريث الأرض.

= بصفة عامة بعد ذلك الموقف بالفعل خطأ تاريخياً وقع فيه ذلك السلطان الأيوبي البارز ، ومع ذلك ندرك أن سيره يرجع إلى معاداته للفكر الشيعى الإسماعيلى غير أن ذلك البرر لاينفى عنه مسئولية تبديد تلك الثروة العلمية الكبرى.

١- عن نظام الشيمات البيزنطى انظر:

Brooks, "Arabic Lists of the Byzantine Themes", J.H.S., vol . XXI. 1901, pp. 67-77

Cheira, la lutte entre Arabes et Byzantines: la Conquete et l'Organisation des Frontieres au VII et VIII siecles, Alexandrie 1947

Kaegi, Byzantium and The early Islamic Conquests , Cambridge 2000, pp. 279-28 .

Hussey , The Byzantine World , p. 2 .

Bridge , " The History " , in Daniel (ed.). The Byzantines. London 1962 , pp. 47-50 .



على أي حال ؛ كان هناك قائد على رأس كل ثيم سعى الاستراتيجوس strategos<sup>(١١)</sup>. ويفر البعض؛ أنه في أخريات عهد الامبراطور هرقل ظهرت ملامح أربع ثيمات يمكن إجمالها كالآتي:

١- ثيم الأناضول Anatolikoi ، من الكلمة اليونانية Anatoli؛ وتعنى الشرق، وقد تكون - كما قرر البعض- من الفرق الحربية البيزنطية التي كانت موجودة من قبل في بلاد الشام ، وأنسحبت من هناك عقب التوسع العربي<sup>(١٢)</sup>.

٢- الثيم الأرميني Armeniakoi؛ ويلاحظ أنه ارتبط بمنطقة شمال شرقى آسيا الصغرى على الحدود الأرمينية وقد تألف من الفرق الحربية التي كانت متمركزة في منطقة أرمينية البيزنطية، ثم إنسحبت بعد فتح العرب للشام ثم مهاجرتهم لأرمينيا<sup>(١٣)</sup>.

---

= السيد الباز العريش، أجناد الروم، ط. القاهرة ١٩٥٦م، فتحي عثمان، الحدود الإسلامي البيزنطية، ج ١، ص ١٠٤، ص ١١٣، وسام عبد العزيز فرج ، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٩-٢٠٢

١- الاستراتيجوس: هو قائد الإقليم الإدارى والعسكرى وله جند خاص به يمثلون الحرس الشخصى ، ويعد نائباً للإمبراطور فى إقليمه ويتحمل مسئولى الأمن والإدارة ، وفى حال كون الثيم على جانب كبير من الأهمية يتم وصف حاكمه عندئذ بالدوق بدلاً من الاستراتيجوس، عن ذلك انظر:  
فايز مجيب أسكلندر، أسرة برنيوس ودورها فى تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ط. القاهر ١٩٨٧م، ص ١٧ .  
حاشية (١٦)

Haldon, Byzantium in the Seventh Century, p. 62 , p. 72 , p. 82 .

Browninge, The Byzantine Empire, p. 48 , p. 50 .

٢- Bosworth , " The Byzantine Defence System in Asia Minor and the First Arab incursions", Proceedings of the Second Symposium on the History of Bilad al . Sham during the early Islamic Period up to 40 A.H / A D. 640, the fourth international conference . ed by N. A. Bakhit vol. I . Amman 1987 , p. 122 .

ابراهيم العدوى ، «قوانين الإصلاح الزراعى فى الامبراطورية البيزنطية» ، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، العددان (٤٠٣) يونيو ١٩٧٣م، ص ١٥٦

وسام عبد العزيز فرج ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ . حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٧٥

Theophanes, p. 151

-٣

وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص ٢٠٠-٢٠١ . حسنين ربيع، المرجع السابق، ص ٧٥

٣- التيم البحرى ؛ الذى سُمى فيما بعد فى القرن الثامن الميلادى كيبيروت Cibraiot فى الشاطئ الجنوبي لمنطقة آسيا الصغرى، وكذلك الجزر المجاورة لها<sup>(١١)</sup>.

٤- تيم الأوبسقيك Opsikon فى آسيا الصغرى فى إقليم بثنيا بالقرب من العاصمة البيزنطية وقام بالدفاع عنها من جهة الشرق<sup>(١٢)</sup>.

وبصفة عامة؛ إقتصرت نظام الثيمات خلال النصف الثانى من القرن السابع الميلادى على منطقة آسيا الصغرى ، ومن المرجح؛ أنه لم يمتد إلى شبه جزيرة البلقان حينذاك ، بل تم ذلك فى مرحلة تالية يرى البعض أنها تحدد بالنصف الثانى من القرن التاسع الميلادى<sup>(١٣)</sup>؛ مما عكس نموه وتطوره كنظام دفاعى بيزنطى فعّال .

ثانياً : اتخذت بيزنطة خلال عهد تلك الأسرة إجراءات دلت على الوجهة الشرقية لها، فصارت اللغة اليونانية بمثابة اللغة الرسمية للدولة ، بل إن الإمبراطور البيزنطى نفسه

١- حنين ربيع، دراسات فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٧٦  
Bosworth. The Byzantine defence., p. 122 .

٢- نفسه، ص٢٠١

Ibid, p. 122, O.D.B., vol . III, p. 1528-1529

جدير بالإشارة ؛ تطورت الثيمات فيما بعد وتزايد عددها من ذلك مثلاً أنه خلال عهد الامبراطور قسطنطين السابع (٩١٣-٩٥٩م) من الأسرة المقدونية وجدتا فى شرقى أورسا، عدة ثيمات فى صورة

١- تيم كفالونيا ٢- تيم نيقوبوليس

٣- تيم البليونيز ٤- تيم دراكيوم

٥- تيم ميلادس ٦- تيم سالونيك

٧- تيم سترغون ٨- تيم مقدونيا

٩- تيم تراقية.

عن ذلك أنظر الخريطة الخاصة بالثيمات حينذاك فى القسم الخاص بالخرائط.

٣- وسام عبد العزيز فرج . دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٨

صار اسمه بازيلوس Basilus<sup>(١)</sup>؛ الذى يعنى « ملك » باليونانية وذلك بدلاص من ألقاب رومانية سابقة مثل إمبراطور Imperator ، وقبصر Caesar ، ولذا ؛ وجد من المؤرخين من اعتبر تلك المرحلة بمثابة نهاية الفترة الرومانية ، وبداية البيزنطية نظراً للتغيرات العسكرية والحضارية التى حدثت حينذاك .

هكذا؛ كان تاريخ الأسرة الهركلية إنتصاراً ضد الفرس، وهزيمة فادحة أمام العرب، وبالتالي نرى التناقض فى داخل الأسرة الواحدة، بل فى عهد الإمبراطور الواحد كما فى حالة الامبراطور هرقل.

ومن المهم هنا الإشارة إلى أن عهد ذلك الامبراطور يعد بمثابة مرحلة فاصلة فى التاريخ البيزنطى؛ إذ نتيجة للفتوحات الإسلامية ، اتخذت الإمبراطورية البيزنطية بصفة نهائية شكلها الذى عرفت به فى العصور الوسطى، وفيما عدا آسيا الصغرى وضواحي العاصمة؛ فقد نقلت رقعة الأراضى البيزنطية بالإضافة إلى تلك الثروات المتبقية على الساحل الشمالى لمحوض البحر المتوسط، وتوضح الصورة أكثر عندما تشير إلى أنه خلال القرن السابع استلمت مراكزها الاسبانية لعناصر القوط الغربيين بينما وقع الجزء الشمالى الغربى من أفريقيا تحت السيادة الإسلامية<sup>(٢)</sup>، وبذلك يحق لنا القول أن القرن السابع الميلادى - خاصة عهد هرقل - شهد تقديم « التنازلات الجغرافية الكبرى فى التاريخ البيزنطى ، ووفق ما قرره مؤرخ بارز ذكر ما نصه « لقد ولت الآن أيام روما الجديدة - باعتبارها قوة برية عظمى »<sup>(٣)</sup>، ويلاحظ أن المساحات التى تنازلت عنها الامبراطورية مرغمة تعد من أكبر ما تنازلت عنه على مدى تاريخها من القرن السابع حتى القرن الخامس عشر م مما عكس أهمية محورية تلك الأحداث الحاسمة فى ذلك القرن.

١- من الملاحظ أنه فى عهد تلك الأسرة؛ ظهر للمرة الأولى « تعبير الباسيلوس المؤمن بالله . وهى بالإنجليزية "Basileus faithful in God" وهى تعبير استعمل من جانب كافة الأباطرة البيزنطيين . وصارت اليونانية هى الرسمية كما ذكرت . وقد جعل ذلك المؤرخ شارل دبل يقر ما نصه " In the Seventh Century the Empire became Hellenizes".

Diehl . History of the Byzantine Empire, p. 48

أنظر

٢- جوزيف نسيم يوسف . تاريخ الدولة البيزنطية ص ١١٥

٣- نفسه . نفس الصفحة.

من الملاحظ عند تقييم للأسرة الهرقلية، وإجيازاتها؛ نجد أنها أنهكت بالصراع مع الفرس، ومن بعد ذلك ؛ وحتى بعد انتصارها عليهم لم يحسن البيزنطيون تقدير حجم قوة المسلمين وعندما التقى الطرفان فى ساحات المعارك ؛ كان الانتصار حليف أصحاب الدين الجديد على الرغم من التفوق العددي والتسليحي البيزنطى ، ولامراء البيزنطى فى أن القوة الروحية التى أعطاهما الدين الختامى للعرب الفاتحين كانت من وراء إنتصارهم على البيزنطيين بالإضافة إلى إنهاك دولتهم بعد صراعها مع الفرس. ثم كانت المشكلة الدينية والصراع اللاهوتى من عوامل إخفاق بيزنطة وهكذا ؛ جاء الفاتحون العرب إلى مناطق تفتح ذراعها لهم مرجبة بهم !!

ويشار هنا تساؤل ؛ هل كان الإمبراطور هرقل إمبراطوراً ناجحاً أم فاشلاً ؛ والواقع أن الصفتين معاً تتوافران فيه ؛ فقد نجح مع الفرس. واخفق مع المسلمين ومع ذلك ؛ من الملاحظ أنه وورث تركة مشقة، وواجه عدواً لم يكن من الممكن هزيمته فى صورة المسلمين الذين تشبهُوا بروح الجهاد والخلافة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية ، وفى تقديرى أن أى حاكم آخر لبيزنطة لم يكن من الممكن أن يحقق انتصاراً عليهم من خلال فهم حقيقى لطبيعة المرحلة وليس من خلال دعائية مجبوجة للمسلمين .

يبقى أن نذكر ؛ أن المؤرخ البلجيكي هنرى بيرين فى كتابه محمد وشارلمان ، اعتقد أن الفاتحين العرب يتحملون مسئولية إنبهار وحدة البحر المتوسط القديمة The ancient Unity of the Mediterranean and أنهم فرضوا احتكاراً على بعض السلع التجارية<sup>(١)</sup> على نحو أدى إلى عدم وصولها إلى الغرب الأوروبى، وظلت تلك النظرية تجد من يؤيدها إلى أن ظهر من عارضها من الباحثين الأوروبيين أنفسهم، وقد أكدوا أن الوحدة المزعومة لعالم البحر المتوسط

١- عن تصورات ذلك المؤرخ انظر:

Pirenne , Mohammed and Charlemagne . London 2001, pp. 147-185

Economic and Social History of Medieval Europe, London 1972 . p. 2, Medieval Cities,

Their iginis and The revival of Trade. Princeton 1929. p. 23-31

أيضاً هذه الدراسة

Hodges and whitehouse . Mohammed Charlemagne and the Origins of Europe, Archaeology and the Pirenne thesis, New York 1983

إنهارت من قبل الفتح العربى بعدة قرون<sup>(١١)</sup> ، وأن ذلك الفتح لم يؤد إلى إنهيارها كذلك فإن العرب لم يمارسوا سياسة الاحتكار التجارى بل مارستها ببيزنطه ذاتها التى رأت أن ذلك خير وسيلة لمواجهة الغرب الأوروبى، وبصفة عامة، فالأمر المؤكد أن البحر المتوسط بعد أن كان يطلق عليه الرومان من قبل بحرنا Mare Nostrum صار بالتدرج بحيرة عربية<sup>(١٢)</sup>.

ولانغفل هنا : الإشارة إلى أن من الباحثين الأوروبيين من سار وراء أمة فكرة جديدة تهاجم المسلمين وتشيع فى نفوسهم عداوات تاريخية ضد الإسلام وأهله دون أدنى قدر من الموضوعية، وبالتالي مارسوا «الحروب الصليبية» على صفحات مؤلفاتهم .

من ناحية أخرى ؛ من غير المنطقى أن يتحول المسلمون دوماً إلى أن يكونوا فى قفص الاتهام الغربى لهم على نحو مستمر إذ أن ذلك أبعد ما يكون من الكتابة التاريخية الواعية، ويلاحظ أن ذلك صار نوعاً من «نوابت» الكتابة التاريخية الغربية عنهم إلا فى القليل النادر.

مهما يكن من أمر ؛ توالى على حكم الإمبراطورية البيزنطية من بعد وفاة الإمبراطور المؤسس البارز هرقل<sup>(١٣)</sup> عدد من الأباطرة وقد حكموا خلال المرحلة الممتدة بين عامى ٦٤١م،

١- من أهم الآراء المعارضة له انظر على الفصراوى، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربى الوسيط، ط. القاهرة: ١٩٧٧م، ص ٢٨٧-٣٠٥ ، حيث يقدم المؤرخ المذكور أفضل عرض باللغة العربية عن النظرية ومعارضتها بالاعتماد على المراجع الإنجليزية والفرنسية والألمانية المتخصصة.

عادل زبتون ، «ملاحظات على أطروحة هنرى بيرين من خلال كتاب محمد وشارلمان» ، ضمن الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية (السنار) قسه التاريخ ، كلية الآداب- جامعة الكويت عام ١٩٩٣- ١٢٩٤م ، ص ٦٥-٨٩

حسين مؤنس، تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ١١٨-١٣٥

وأفضل دراسة احتوت على الردود على قضية برين نجدها لدى:

Havighurst , The Pirenne Thesis : analysis Criticism and Revision , Boston 1958 .

٢- توفى الإمبراطور هرقل فى ١١ فبراير ٦٤١م ، وفى تصورى - كنوع من الاقتراب من نفسية قادة التاريخ البيزنطى- أن أصعب أعوام عصره تمثلت خلال المرحلة من ٢٢ أغسطس ٦٣٦م، وهو يوم معركة =

٧١٧م ، لكنهم لم يصلوا إلى حجم التأثير الذي حدث خلال عهد هرقل المنتصر ثم المهزوم ! ومن الملفت للانتباه : أن أعوام حكمه التي لم تتجاوز (٣١) عاماً ، فاقت في أهميتها مدة حكمهم مجتمعين وهي التي بلغت (٧٦) عاماً ، ولاريب في أن تاريخ الأسرة الهرقلية يكشف بجلاء عن استحواذ تأثير الإمبراطور المؤسس على غيره من الأباطرة إيجاباً وسلباً

بصفة عامة : من الملاحظ أن أهم أحداث مرحلة ما بعد هرقل تتمثل في نجاح المسلمين في السيطرة على مصر، ثم إحتلالهم لجزيرة قبرص Cyprus ذات الموقع الاستراتيجي في مواجهة الساحل الشامي وذلك عام ٦٤٩م. وفي العام التالي ٦٥٠م إحتلوا جزيرة أرواد<sup>(٢١)</sup>.

وفي عام ٦٥٤م: أخضعوا جزيرة رودس Rhodes ومن بعد ذلك ، وفي العام التالي مباشرة أي عام ٦٥٥م: حققوا انتصاراً بحرياً مبكراً، وملفناً للإنتباه في صورة معركة ذات الصواري<sup>(٢٢)</sup>، التي سميت بذلك ؛ نظراً لكثرة عدد السفن المشاركة فيها؛ وهو أمر يشير

---

= اليرموك حتى وفاته في اليوم المذكور حيث إقتصره على الأرجح الشعور بالهزيمة بعد الانتصار الساحق الذي حققه المسلمون فيها ، أنظر تحديد يوم وفاته لدى: نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص١٥٤

ويقرر دونالد نيكرول أنه مات مريضاً ويانسا Nicol , ABiographical dictionary , p. 49

١- عن المرحلة التالية لعهد الامبراطور هرقل ثم نهاية الأسرة الهرقلية أنظر :

Theophanes, pp. 40-83 .

Diehl , History of the Byzantine Empire, p. 51 .

٢- قرر هاري نورديليدوف في تعليقه على نص ثيوفانيس أن أرواد هي مدينة ساحلية في فينيقيا أي لبنان. وهو قول جانبه الصواب لأن أرواد جزيرة في مقابل الساحل السوري . وليست مدينة ساحلية ، كما أن ياقوت الحموي أخطأ عندما تصور أنها بالقرب من القسطنطينية . من ذلك انظر:

Theophanes, p. 43, note (101)

ياقوت ، معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص١٠٦، ص١٣٤ وعن استيلاء المسلمين عليها انظر:

شحادة على الناطور، تاريخ صدر الاسلام وفجره، ط. عمان ٢٠٠١م، ص٢٦٩

وعن سيطرتهم على جزر البحر المتوسط بصفة عامة مثل قبرص وارواد وغيرها انظر بالتفصيل: ابراهيم

طرخان ، المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٦م ، ص٧٩-٨٧

٣- عن معركة ذات الصواري أنظر

الإعجاب أيضاً من جراء هزيمة الإمبراطورية البيزنطية ذات الصيت الواسع النطاق في المجال البحري على الرغم من أن المسلمين كانوا حديثي عهد بذلك المجال الحربي ومن قبل كانت معاركهم مع تلك الامبراطورية تتخذ الشكل البري، ومع ذلك يلاحظ أن تلك المعركة لم يتمكن المسلمون من استثمارها عسكرياً وسياسياً : نظراً لحدوث ما عرف بالفتنة الكبرى في أعقاب مصرع الخليفة عثمان بن عفان عام ٦٥٦م<sup>(١)</sup>.

على أية حال من الملاحظ أن طموحات المسلمين خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام كانت واسعة : إذ أننا نجدهم من بعد ذلك يتطلعون إلى إسقاط العاصمة البيزنطية، وهكذا: حاصروها عام ٦٦٩م ، وذلك خلال عهد الامبراطور قسطنطين الرابع، وأثناء خلافة الخليفة معاوية بن أبي سفيان مرتين<sup>(٢)</sup> ويلاحظ: أن تلك العملية العسكرية شارك فيها أحد الصحابة

---

= الكندي، ولاة مصر، ط. بيروت ١٩٥٩م، ص٣٦-٣٧ ، المسعودي، التنبيه والاشراف ، ط. بيروت ١٩٦٨م، ص١٣٥ ، الذهبي، الغير في خبر من غير، تحقيق أبوهاجر محمد العيد، ط. بيروت ١٩٨٥م، ج١، ص٢٥. تاريخ الإسلام ووليقات المشاهير والأعلام ، عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص٤٢٠. أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارة في البحر المتوسط ٥٠٠-١١٠٠. ت. أحمد عيسى، ط. القاهرة ١٩٦٠م. ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص٩١-٩٢ ، أنور عبد العظيم، الملاحاة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عام المعرفة، ط. الكويت ١٩٧٩م، ص٩٢-٩٣. السيد الباز العريش، الدولة البيزنطية، ص١٢٦، محمد ثابت توفيق، ذات الصواري، ط. الرياض ٢٠٠١م، ص٥-٤٣. زينب بيرجلكلي ، ذات الصواري، ط. الشارقة ٢٠٠٦م، ابراهيم العدوي، الدولة الأموية والبيزنطيون، ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص٩٨ ، عليه الجنزوري ، هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ١٩٩٩م ، ص٥١-٦٠ ، سعد زغلول عبد الحميد، «الاسكتورية قاعدة عسكرية في القرن الأول من تاريخها العربي وموقعة الصواري» ، ندوة سواحل مصر عبر العصور سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص١٣٤-١٣٥ ، على محمد الصلابي ، الشرف والتسليم بحركة الفتح الإسلامي، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص١٩٩ - ٢٠٠.

Fahmy, Muslim Sea Power in the Eastern Mediterranean from the Seventh to the Tenth Century A.D., Cairo 1966 , pp. 85-89 .

Bosworth , " Byzantium and the Arabs: War and Peace between Two Civilizations",

J.O.A.S. 3-4 , ATThens 1991 - 1992 , p. 2.

١- محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٩٦

٢- عن حصار القسطنطينية في عهد معاوية بن أبي سفيان أنظر

وهو أبو أيوب الأنصاري الذي كان طاعناً في السن في صحبة قائد الحملة يزيد بن معاوية كنوع من التبرك ولكن أدركته المنية، ودفن هناك<sup>(١)</sup>.

على أية حال ؛ فشلت تلك الحملة نظراً لحصانة القسطنطينية<sup>(٢)</sup> وعدم امتلاك المسلمين خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخهم الفترة اللازمة لتحقيق مثل ذلك الهدف الاستراتيجي

Theophanes, The Chronicle of Theophanes, An English Translation of anni mundi = 60-95- 6305 (A.D. 602-813), with introduction and notes by Harry Turtledove, Pennsylvania 1982, p. 45 .

Michael le Syrien, Chronique , T. p. 455 .

الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ، ص ٢٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل، ج ٣ ، ص ٤٥٩ ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٦٠٦ ، صيف الله بطبنة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، ط. عمان ١٩٩٧م. ص ٢٥٢- ٢٥٤ ، على محمد الصلابي، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتناعبات الإنهيار، ط. الشارقة ٢٠٠٦م، ج ١ ص ٣٨٠-٣٩٢ ، نبيه عاقل، تاريخ خلافة بني أمية ، ج ١ ، دمشق ١٩٧٥ م ، ص ٨٦-٨٧ ، عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي (٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١-٧٥٠م) ، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص ٢٤٩-٢٥٣

Bosworth , Byzantium and the Arabs, p. 2.

١- مجدر الإشارة ؛ تم اكتشاف قبر ذلك الصحابي - كما يقال- عام ١٤٥٨م أي بعد خمس سنوات فقط من الفتح العثماني للقسطنطينية عام ١٤٥٣م عن ذلك انظر:

ألفونس ماريا شيندر، «قبر الصحابة في القسطنطينية»، ضمن كتاب المنتخب من دراسات المستشرقين ت. صلاح الدين المنجد، ط. القاهرة ١٩٥٥م، ج ١ ، ص ١٥٣-١٥٩

وقد امتدحه الشاعر التركي أسعد أفندي بأبيات رائعة قال فيها

شهد المشاهد جاهدًا ومجاهدًا      وسكابدًا بحروبه ما كابدا

حتى أتى بصلابة ومهابة      في آخر الفزوات هذا المشهدا

قد مات مبطونًا غريبًا غاربيًا      ففدا شهيدًا قبل أن يستشهدا

أنظر: على محمد الصلابي، الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي ، ص ٣٨٨

Lewis . Naval Power and Trade in the Mediterranean A.D. 5000- 1100, Princeton -٢ 1951 , p. 61



العسير المنال حينذاك ، ومع ذلك ، فإن تلك المحاولة على الرغم من عدم توفيقها ، فإنها تثبت لنا إتساع دائرة الطموحات الإسلامية خلال تلك المرحلة ، وإن استمرت محاولاتهم كما حدث عام ٧١٧م ، ١٤٥٣م إلى أن قدر لهم في نهاية المطاف فتحها في العام الأخير.

أما بالنسبة لأبرز الأعلام في عهد الأسرة الهرقلية فنذكر منهم: المؤرخ يوحنا الأنطاكي الذي ألف كتاباً تناول فيه الأحداث منذ آدم حتى آخر أيام فوكاس عام ٦١٠م<sup>(١)</sup>.

وهناك أيضاً المؤرخ المجهول لمحلبة الفصح المعروفة باسم Chronicon Paschale<sup>(٢)</sup>.

أما في مجال اللاهوت نذكر يوحنا الدمشقي<sup>(٣)</sup> (٦٧٦-٧٦٠م) وهناك من يقرر أن أفضل أعماله كتابه «ينبوع المعرفة» الذي عرض فيه للعقيدة المسيحية متأثراً بالمنطق الأرسطي.

كذلك لانغفل الراهب موشخوس Meschos<sup>(٤)</sup> (يوكراتاس) (ت ٦١٩م) والذي أقام في دير القديس ثيودوسيوس St. Theodosius بالقرب من بيت المقدس ، وقد تصادق مع

١- عنه أنظر: أسد رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ٢٨٤

٢- عنه أنظر: المدخل الجيولوجي .

٣- عنه أنظر أسد رستم، المرجع السابق ، ص ٣٤١-٣٤٢ . البكسي جورافسكي ، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ط دمشق سنة ٢٠٠٠م ، ص ٦٨ ، حاشية (١) . تجدر الإشارة إلى أن يوحنا الدمشقي شارك في المناظرات التي كانت تعقد للمقارنة بين المسيحية والإسلام وكل طرف كانت له وجهات نظر المرافعة عن ديانته بطبيعة الحال ، وامتدت رحلة السجال الديني من القرن السابع الميلادي فصاعداً وشارك فيها المسلمون بمزلفات من أمثلتها

المباحظ (ق-٩) الرد على النصارى . الفزالي (ت ١١١١م) الرد الجميل في بيان الهبة المسيح بصريح الانجيل لمحقق . محمد عبد القادر الشرفاوي . ط. القاهرة ١٩٨٦م . ط. القاهرة ب-ت . الخزرجي القرطبي (ت ١١٨٦م) بين الإسلام والمسيحية . تحقيق محمد شامه . ط القاهرة ١٩٧٣م ، الامام القرطبي (ت ١٢٧٢م) الإعلام ، بتحقيق حجازي السقا . ط. القاهرة ، ١٩٨٠م ، الفرافى (ت ١٢٨٥م) الأجرية الفاخرة . القاهرة ، د . ت . المحطوب السكندري (ت ١٣٠٠م) ، دولة الوندانية في الرد على الحملة النصرانية ، تحقيق خليل الحاج . ط. القاهرة ١٩٨١م ، البرصيري ، منظومة الامام البرصيري في الرد على النصارى واليهود . ط القاهرة (ت ١٣٤٩م) هداية الحباري في أجربة اليهود والنصارى . ط. القاهرة ب-ت

٤- عنه أنظر Nicol, A Biographical Dictionary, p.93 .

John Moschos, The Spiritual Meadow (Pratum Spirituale), trans. by John Wortley . Kalamazoo . Michigan 1992 , pp. XVI - XVII.

سفرونينوس بطريك المدينة المقدسة وتنقل بين مصر وقبرص وروما ، واشتهر بكتابه المرجح  
Pratum Spirituale, The Spiritnal Meadow الروحى

سهما يكن من أمر؛ ذلك عرض عن الأسرة الهرقلية ، وقد ظهر بجلاء من خلاله كيف أن  
الإمبراطورية البيزنطية شهدت تغيرات جذرية فى مختلف المجالات السياسية ، والمحربية ،  
والثقافية<sup>(١)</sup>؛ على نحو كشف عن أن عصر تلك الأسرة شكل مرحلة فارقة فى التاريخ  
البيزنطى .

أما إذا قارنا بين تلك الأسرة والأسرات السابقة عليها ، من الممكن أن نجد تشابهاً بينها  
وبين أسرة جستنيان ؛ إذ أن القرن السادس شهد انفصال المقاطعات الغربية من خلال تنامى  
القوة الجرمانية . أما القرن التالى وهو القرن السابع فقد شهد اقتطاعاً لعدد من المقاطعات  
من خلال الضغط العسكرى العربى والقياس مع الفارق بطبيعة الحال . وبوجه عام يتأكد لنا من  
خلال دراسة الأسرة الهرقلية أن الخطر قدم من الشرق فى صورة الفرس والعرب مع ملاحظة أن  
جهة الشرق ستظل تمثل الخطر الأكبر المستمر لبيزنطية حتى اللحظة الأخيرة من تاريخها دون  
أن تتمكن من إيجاد حل لها

ولاتفعل كذلك؛ أن كلاً من الإمبراطورين ، جستنيان وهرقل قاما بحركة استرداد ضد  
الجرمان والفرس ، غير أن جهدهما فى ذلك المجال ذهب أدراج الرياح ، وأن اختلف كلاً منها فى  
جهد الصراع كما أوضحت .

ومع ذلك ، فالأمر المؤكد أن سياسة جستنيان من خلال شراء السلامة مع الفرس بالذهب  
ليستفرغ للصراع مع الجرمان جعلت قوتهم تنامى على نحو جعل الأمر شاقاً أمام هرقل فيما  
بعد عندما اتجه إلى محاربتهم ، واسترداد ما أخضعوه من مقاطعات الإمبراطورية . ذلك أمر  
الأسرة الهرقلية ؛ أما الأسرة الآيسورية؛ فنتناولها فى الصفحات التالية .

١ - عن تلك التغيرات بعفة عامة : أنظر :

Haldon, Byzatium in the Seventh Century . The Transformation of a culture, Cambridge  
1997

من أفضل الدراسات فى مجالها .

غانسة سعد أبو الجدايل ، الامراطورية البيزنطية فى القرن السابع الميلادى / الأول النهجرى . دراسة فى  
التفسيرات والنظريات ، الرياض ١٤١٥ هـ ، ص ١٦٩-٤٤٣ وهى دراسة علمية مفيدة أعدتها باحثة سعودية  
وتخصصت فى قرن واحد من قرون التاريخ البيزنطى الممتدة ووفقت فى دراسته بحكم اقتصارها على مدة تعد  
بشأنه ١ / ١١ من التاريخ البيزنطى ومن هنا تكون الإضافة العلمية المحققة

## رابعاً : الأسرة الأيسورية (٧١٧-٨٢٠م) :

نتناول في الصفحات التالية : عهد الأسرة الأيسورية التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة من ٧١٧ إلى ٨٢٠م؛ أى ما زاد على قرن من الزمان

تولى الحكم في تلك الأسرة تسعة أباطرة ، فى صورة ليو الثالث الأيسورى Leo III The Isaurian (٧١٧- ٧٤١م) ، وقسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١-٧٧٥م) ، وليو الرابع Leo IV (٧٧٥- ٧٨٠م) ، وقسطنطين السادس Constantine VI (٧٨٠-٧٩٧م) ، والإمبراطورة إيريني Irene (٧٩٧- ٨٠٢م) ثم هناك خلفاء الأيسوريين وهم : نقفور الأول Nicephorus I (٨٠٢-٨١١م) وستوراكيوس Stauracius (٨١١م) ، وميخائيل الأول وانجساب Michael I Rangab (٨١١-٨١٣م) ، وليو الخامس Leo V (٨١٣-٨٢٠م) ؛ وبصفة عامة ستركز الحديث على أبرز الأباطرة.

على أية حال: فإن الامبراطور المؤسس ليو الثالث، قدم من منطقة ايسوريا Isauria نسي جنوب شرقى آسيا الصغرى ، ووصل إلى المنصب الإمبراطورى من خلال مؤامرة ، على نحو يؤكد لنا مقولة المؤرخ البريطانى إدوارد جيون Edward Gibbon السالفة الذكر من قبل ؛ وهكذا : يندر أن نجد أسرة بيزنطية حاكمة دون مؤامرات هنا أو هناك خاصة فى نهاية عهد كل أسرة تقريباً على نحو صار معه الأمر كطابع تقليدى يميز للتاريخ البيزنطى، وبصورة لانجدها بنفس الدرجة فى تاريخ الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى.

بصفة عامة: من الممكن القول: بأن أهم أعمال الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى يمكن إجمالها على النحو التالى:

أولاً : مواجهة الحصار الإسلامى للعاصمة البيزنطية ٧١٧-٧١٨م

ثانياً : التشريعات القانونية

ثالثاً : الحركة اللايقونية<sup>(١)</sup>.

١- ليو الثالث الأيسورى: مؤسس الأسرة الأيسورية وقد حكم خلال المرحلة من ٧١٧ إلى ٧٤١م. ومن المحتمل أنه قدم من شمالي بلاد الشام. وقد وصف بأنه عمل قانداً أو استراتيجوس لثيم الأناضول Antioch. وقد أعلنه جنوده كإمبراطور بدلاً من نيوديسيوس الثالث. وفى ٢٥ مارس عام ٧١٧م تم تنويجه كإمبراطور فى القسطنطينية ، وبعد ذلك بستة أشهر ، واجه أمر الحصار الذى فرضه المسلمين على العاصمة البيزنطية ، وقد توفى فى يونيو ٧٤١م. عنه أنظر

ولاريب ، في أن تلك الأعمال ضمنت لمؤسس الأسرة الأيسورية مكانة بارزة في التاريخ البيزنطي.

وفيما يتصل بالأمر الأول ؛ من الملاحظ أن المسلمين في عهد الدولة الأموية اتجهوا إلى حصار القسطنطينية وذلك في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك وبالتحديد في المرحلة بين عامي ٧١٧-٧١٨م<sup>(١١)</sup>، وقد بذلوا في تحقيق هدفهم مجهودات مضيئة ؛ إلا أنهم عجزوا عن فتحها ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل يمكن إيجازها كالآتي:

Browning, The Byzantine Empire, pp. 53-56 .

Nicol, A Biographical dictionary, pp. 72-73 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State . pp. 138-147

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 194 . p.230 , pp. 252-253 .

Hussey, The Byzantine World , p. 28-31

Norwich, Short History of Byzantium, pp. 110-113 .

وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، ط . الاسكندرية ١٩٨١م.

والدراسة الأخيرة أفضل دراسة عربية في موضوعها

١- عن تفاصيل حملة المسلمين ضد القسطنطينيين عام ٧١٧-٧١٨م أنظر:

Theophanes, The Chronicle of Theophanes . p. 88

ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ، تحقيق مصطفى نجيب نوز وحكمت نوار ، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص ٢٠١-٢٠٢ . الطبرى، تاريخ الرسل والملوك ، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ج ٦، ص ٥٣٠-٥٣١ . ابن العسرى، تاريخ مختصر الدول ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ١١٤ . وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، ص ١٢١-١٧٥ . يناس أحمد السيد عاس، صراع القوى في البحر المتوسط بين البيزنطيين والعرب في الفترة من ٢٥-٢٣٢٢ هـ / ٦٤٥-٨٤٦ . رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد دراسات البحر المتوسط . جامعة الاسكندرية عام ٢٠٠٥م، ص ١٢٠-١٢٩ . عمر عبد السلام تدمرى . لبنان من الفتح الاسلامى حتى سقوط الدولة الأموية ١٣-١٣٢٢ هـ / ٦٣٤-٧٥٠ . ط. القاهرة ١٩٧٩م، ج ١ . ص ٢٤٤-٢٤٩ . فتحى عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ٨٦-٩٥

Brooks, " The Campaigne of 716- 718 from Arabic sources", J. H. S., T. XIX , 1899, pp.

19-31 . Lewis . Naval Powers and Trade . pp. 66-67

Hussey . The Byzantine World , p. 28

أولاً: المناعة الطبيعية والصناعية للقسطنطينية بحيث لم يكن من الممكن للأسطول الإسلامي تحقيق نجاحات فعلية في مواجهتها ، كذلك لانغفل أمر دفاع البيزنطيين عن عاصمتهم.

ثانياً: نجاح البيزنطيين من خلال عمليات التجسس المختلفة في معرفة استعدادات الأميرين نحو حصار مدينتهم ، ولذلك تجهزوا من أجل حصار أموي طويل ، وعملوا على تخزين السلع التموينية؛ مما عكس أهمية سلاح المعلومات ، في ذلك العصر وفي كل عصر في واقع الأمر.

ثالثاً : استخدام البيزنطيين لسلاح فتاك في صورة النار الاغريقية Grock Fire<sup>(١)</sup> التي اخترعها مهندس يدعى كاليينكوس Kallinikos ، وقد فتكت بعدد كبير من قطع الأسطول الأموي وكانت من العوامل الفعالة والمؤثرة في حسم الصراع لصالح البيزنطيين .

رابعاً : كان شتاء ٧١٧-٧١٨ م قاسياً لم يألغه المسلمون، وخلالها نزلت من السماء كرات الثلج<sup>(٢)</sup>، وهكذا ؛ فإن البيئة الجغرافية الأوربية لم تكن ملائمة لهم، ولانغفل أنه في العصور القديمة ، والوسطى بصفة عامة ؛ كانت الجغرافيا توجه التاريخ، ثم أن التاريخ ذات ما هو إلا صراعاً على الجغرافيا بأبعادها المختلفة مع عدم إغفال دور الإنسان نفسه كفاعل تاريخي بطبيعة الحال.

١- عن النار الاغريقية أنظر:

Theophanes, p. 52 , note (114) .

Enan , Decisive moments in the History of Islam , New Delhi 2001, pp. 109-126

سعاد ماهر ، البحرية في عصر الاسلامية ، ص٢٢٣ - ٢٣٤ . وسام عبد العزيز فرج ، النار الاغريقية طبعة تركيبها وأثرها في نشاط المسلمين البحري . ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري ط . القاهرة ٢٠٠٤م ، ص١٤٣ ، ص١٥٦ طارق منصور ، النار الاغريقية - قراءة جديدة في ضوء المصادر البيزنطية والإسلامية . حولية التاريخ الإسلامي والوسط ، م (٤) ، عام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ م ، ص١١٥ - ص١٥٩ طارق منصور ومحاسن الرقاد ، النفط استخداماته وتطوره عند المسلمين ٦٤ - ٩٢٣ هـ / ٦٨٤ - ١٥١٧ م ، ط القاهرة ٢٠٠٦م ، ص١٢ - ص١٧

عن الظروف المناخية القاسية في شتاء ذلك العام، أنظر:

خامساً الأمر المؤكد ؛ أن وصول ليو الثالث الأيسوري للمنصب الإمبراطوري مثل نقطة تحول مهمة من خلال قيادته للإمبراطورية البيزنطية خلال تلك الظروف العصيبة، وقد اتجه إلى التحالف مع عناصر الخنز<sup>(١١)</sup>، والبلغار كي يدعم قوته في مواجهة المسلمين، وهو أسلوب بيزنطي معتاد، وتكرر مرات مختلفة على مدى التاريخ .

على أية حال ؛ هناك من المؤرخين الأوروبيين من أصابتهم عقدة «الإسلاموفوبيا» دون أي مبرر، وقد نظروا للإمبراطور المذكور على أنه المخلص لشرقي أوروبا مما وصفوه بأنه الخطر الإسلامي واهتموا بإبراز دوره في التصدي للأسطول الإسلامي أكثر من إبرازهم لأية أدوار

= شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٦

وأرد أن أورد ما ذكره ذلك المؤرخ حيث قال «كان نزول الجليد لا ينقطع أبداً مدة اثني عشر أسبوعاً واستطاع ليو أن يفخر مثل القيصر نفولا بأن ديسمبر . ويناير وفبراير كانوا أعظم فوائده لأن تلك الشهور أهلكت الجند المسلمين بشكل مخيف، ولم يستطع المسلمون الذين يرتدون الملابس الخفيفة أن يقاوموا الجمر وماتوا كالذباب من الدسطاريا، والبرد».

ولا أحتاج -في الواقع- إلى التعليق على ذلك المؤرخ الشعب الذي ألف كتابه وقت أن كانت بريطانيا تلقب نفسها بالعظمى فانعكس ذلك على استعلاية كتابته التاريخية

١- عن العلاقات البيزنطية مع الخنز بصفة عامة أنظر:

Noonan, " Byzantium and The Khazars aspecial relationship ? " in Shepard (J.) and Franklin (S.) , eds . Byzantine Diplomary , Papers from the twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies Cambridge 1990, Hampshire 2003, pp. 109-132 .

محمد محمد مرسى الشيخ، «الخنز وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية» ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، العدد (٤) عام ١٩٨٠م، ص٣٤٨- ص٣٧٧

وعن العلاقات بين تلك الإمبراطورية في عهد ليو الثالث الأيسوري، والخنز أنظر: محمد عبد الشافي المغربي، مملكة الخنز اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين، ص١٠٦- ص١١١

وعن الخنز بصفة عامة انظر الدمشقي، نخبة الدرر في عجائب البر والبحر تحقيق مهنر، ط. لبيز ١٩٢٣م، ص٢٦٣ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدعان، ط. بيروت ١٩٨٧م، ص١٦٩- ص١٧٢

دتلوب، تاريخ جهود الخنز، ت. سهيل زكار، ط. دمشق ١٩٩٠م وأيضاً بارتولد الترك، في آسيا الوسطى، ت أحمد السعيد سليمان، ط. القاهرة، ١٩٥٨م، ص٦٣- ص٦٤

تاريخية أخرى له وقد تشابه موقفهم ذلك مع موقف أولئك المؤرخين الذين هلّوا لهزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء، أوتور Tours أو بواتييه Poitiers التي جرت وقائعها - بعد ذلك بأعوام قليلة بفرنسا- بين والي الأندلس عبد الرحمن الفائقى، وقواته، وبين ملك الفرنجة شارل مارتل عام ٧٣٢م<sup>(١١)</sup>، وحاولوا الربط بين إنكسار المسلمين أمام القلب البيزنطى المنيع عام ٧١٧م، والهزيمة من جانب الفرنجة في فرنسا ويمكن الرد على ذلك من خلال ما قاله المؤرخ الفرنسى المنصف جوستاف لويون عندما قرر أن أسوأ يوم فى تاريخ أوروبا عندما هزم المسلمون فى تلك المعركة ؛ لأنه كان على أوروبا الإنتظار عدة قرون، من أجل أن تلتقى بالمسلمين وتتأثر بحضارتهم<sup>(١٢)</sup> من خلال الحروب الصليبية ، فكانت شهادته المنصفة كلمة حق كالتور وسط دباجير الظلام.

١- عن معركة بلاط الشهداء، أنظر: ابن الأثير ، الكامل، ج. ٥، ص ٦٤ ؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤ ،

ص ١١٤

أيضاً مونتجومى وات، فى تاريخ اسبانيا الإسلامية (مع فصل فى الأدب بقلم بيير كاكبه، ت محمد رضا المصرى، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ٣١- ٣٩ ، على حسين الشطشاط ، تاريخ الإسلام فى الأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٧١- ٧٥  
Fouracre, The Age of Charles Martel, Essex 2000, p. 148-149 .

صحى عبد الحميد . معارك العرب الحاسمة . ط. بيروت ١٩٨٣م. ص ١٧٣- ١٨٤ ، عبد الفتاح الغنيمى، معركة بلاط الشهداء، فى التاريخ الاسلامى والأوروبى، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٥١- ١٠٩

وقا . عبدالله الزروع، جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجرى . ط القاهرة . ب-ت. ص ١٠٨- ١٣٩ حيث تقدم تناولاً مفصلاً للمعركة المذكورة ، خليل السامرائى . وعبد الواحد ذنون طه، وناطق صالح. تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ص ٥٨- ٦٠ ، حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص ٣٢٧- ٣٣٠ ، منى حسن محسود ، المسلمون فى الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة ٩٢- ١٠٦٠ هـ / ٧١٤- ٨١٥م، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٤٩- ١٥٠ . نور الدين خاطر، تاريخ العصر الوسطى فى أوروبا، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص ٨٨

ومن المهم هنا الإشارة أن المسلمين فى أعقاب تلك المعركة، عملوا على استرداد مراكزهم السابقة، وقد استفروا بفرنسا مرتين من الزمان ، ومن المعروف أن حاكم مرسلبه سلم لهم مقاطعة بروقانس فى عام ٧٣٧م ، واستولوا على الأزل، ودخلوا مقاطعة سان نرويز عام ٨٨٩م، واستمر وجودهم فى بروقانس حتى ختام القرن عن ذلك انظر جوستاف لويون، حضارة العرب، ت. عادل زعبيتر، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٣١٦

٢- المرجع السابق ، ص ٣١٧

وهكذا ؛ يتضح لنا أن مثل تلك الأحداث تكشف لنا عن الجوانب النفسية العدوانية لدى الغرب الأوروبي أكثر من أى شئ آخر، وقد ردد أحد كبار المؤرخين العرب فى مجال الدراسات البيزنطية عبارة هذا نصها « مع فشل هذه الحملة تبدأ عظمة ليو كرجل وقف ضد الزحف الإسلامى إلى أوروبا، حتى أنه يقال ، أنه لولا ليو الأيسورى لانتشر الإسلام فى أوروبا كما تنتشر النار فى البرارى<sup>(١)</sup>؛ وهى عبارة من الممكن قبولها - فقط- فى حالة إيراد عبارة « من وجهة نظر بيزنطية ، ويلاحظ أنه الآن، ينتشر الإسلام فى أوروبا من خلال قدراته الذاتية كدين يملك القدرة على الحوار مع الأديان الأخرى، والأمر المؤكد أن الإسلام قويا<sup>(٢)</sup> أو الرعب من الإسلام ، وهم غريبى إنعكس على معالجات قطاع من المؤرخين الأوروبيين للعلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى دون مبرر منطقى، وما زال يتزعزع حالياً فى ظل الوضع الدولى المتأزم الراهن !

= يقول جوستاف لوبون « ولكن لنفرض جدلاً أن التصارى عجزوا عن دحر العرب ، وأن العرب وجدوا جرسامى فرنسا غير بارد، ولا ماطر كجور أسبانيا فطابت لهم الإقامة العائمة به، فإذا كان يصبب أوروبا ! كان نصيب أوروبا النصرانية المتسيرة مثل ما أصاب أسبانيا من الحضارة الزاهرة تحت راية النى العربى ، وكان لا يحدث فى أوروبا التى تكون قد هذبت ما حدث فيها من الكباثر كالحروب الدينية ، وملحة سان بارثلمى، ومظالم محاكم التفتيش وكل ما يعرفه المسلمون من الوقائع التى ضرت أوروبا بالدماء عدة قرون»، ص ٣١٧

١- محمود سعيد عمران . معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٩٨

٢- عن ذلك أحيل القارئ إلى هذه الدراسة المتأزة التى أعدها باحث أمريكى معاصر:

جون ل. إسبوزيتو، التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

وتعد أفضل دراسة كتبها باحث غربى عن ظاهرة الإسلاموفوبيا أو الرعب من الإسلام ، ومجد لها عرضاً مفيداً لدى:

حاتم الطحاوى ، «جون ل. إسبوزيتو، التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ؟ ترجمة / قاسم عبده قاسم ،

٢٠٠١ ، ٤٢١

J. Esposito, The Islamic Threat Myth or Reality, Oxford 1999

حولية التاريخ الإسلامى والوسطى، م (٣)، عام ٢٠٠٣م، ص ٢٩٧-٣٠١، أيضاً:

إبراهيم نافع ، جنون «الحظر الأخضر» وحملة تشويه الإسلام ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١٦٧-

ص ١٨٣



مهما يكن من أمر؛ فالملحوظ أن هناك مراجعة أخرى حدثت بين قوات ذلك الامبراطور والمسلمين في معركة الكروتيون Acronion عام ٧٤٠م وهي التي هزم فيها الآخرون واستشهد فيها عبدالله البطل<sup>(١)</sup>.

أما الزاوية الثانية الخاصة بالجانب القانوني؛ فيلاحظ تجاه ليو الثالث الأيسوري إلى الاهتمام بالناحية التشريعية وقد ارتبط اسمه بمجموعة قانونية عرفت باسم الاكلوجا Eclo-ga<sup>(٢)</sup> أو المختارات القانونية التي صدرت عام ٧٢٦م، وقد دفعته عدة دوافع نحو اصدارها؛ إذ أن قوانين الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) وضعت باللاتينية، وأراد ليو الثالث أن يضع قوانينه باليونانية، بعد أن تقلصت مساحة الإمبراطورية نتيجة لتوسعات المسلمين، والسلطان، وقدت أغلب المقاطعات الشرقية كذلك فإن احتياطات الإمبراطورية البيزنطية الاقتصادية والاجتماعية تطورت على مدى المرحلة الواقعة فيما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين، ولذلك احتاجت إلى قوانين تتفق مع ذلك التطور<sup>(٣)</sup>.

وقد وقعت الاكلوجا في (١٨) فصلاً احتوت على جوانب متعددة في القانون المدني<sup>(٤)</sup>، منها ما اتصل بالزواج، والميراث، والودائع والامانات، وتوزيع المغانم، وغيرها.

١- عن ذلك انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ١٩٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ط بيروت ١٩٩٨م، ج ٩، ص ٣٨٤-٣٨٧

وعن عبدالله البطل انظر:

رشاد محمد خميس، سيرة سيد بطال غازي في القصة الشعبي التركي وأثر الصراع الإسلامي البيزنطي فيها، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٨م، السيد الباز العربي الدولة البيزنطية، ص ١٦٧، محمد فتحى عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ٢٨٣-٢٨٤

٢- عن الاكلوجا انظر:

Spulber, L' Eclogue des Isauriens, Texte, Traduction, et Histoire, Ceruanti 1929

Hussey, The Byzantine World, p. 30, p. 43, p.132 .

Browning The Byzantine Empire, p. 53 .

Vasiliev, Histoy of the Byzantine Empire, pp.242-244 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 134, p. 141

Nicol, A Biographical dictionary, p.73 .

والمدخل الجبلوغرافى

٣- نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص ١٣٥

٤- تكررت الاكلوجا من ١٨ فصلاً موزعة كالآتى

جدير بالذكر ؛ على الرغم من استفادة الاكلوجا من قوانين جستنيان ، إلا أنها اختلفت عنها فى بعض الجوانب، بل كانت متقدمة عنها- وهو أمر متوقع- وقد فرضت عقوبات مرحة على الجرائم التى تشابه ويرتكبها الأمراء أو العامة ، بينما كانت العقوبات فى قوانين جستنيان تفرض وفق الوضع والمكانة الاجتماعية للشخص الذى قام بارتكاب الجريمة<sup>(١١)</sup>.

وقد تأثرت الاكلوجا بالأعراف والعادات الشرقية أكثر من قوانين القرن السادس م، ومجد فيها احتراماً أكبر لعقد الزواج، وكذلك حقوق الزوجه، والأبناء ، وقد ظهر فيها التأثير المسيحى أكثر من ذى قبل<sup>(١٢)</sup>.

كما أن هناك القانون الزراعى *Leges rusticae* ويتكون من ٨٥ مادة قانونية

ولاتفعل كذلك ؛ صدور القانون البحرى *Lege navales* ، والهدف منه تنظيم التجارة البحرية، وقد احتوى على سجل للعادات ، وكذلك التقاليد التى تم مراعاتها فى أمور الملاحة البيزنطية .

أما القانون العسكرى *Leges Militares*<sup>(١٣)</sup>؛ فيلاحظ أنه تناول على نحو أساسى العقوبات التى كانت تفرض على الجنود عندما أقدموا على ارتكاب الجرائم مثل التمرد ، أو الفرار، ونحوها ، ومنطقي تصور أن مثل ذلك القانون هدف إلى فرض الإنضباط فى الجيش البيزنطى ليتمكن من تحقيق الأهداف المناطة به

= المخطوطة ٢- عقد الزواج بين المسيحيين ٣- جهاز العروس وصادقها ٤- هدايا العروس ٥- الوصية والأشخاص الذين يحق لهم الوصية ٦- الإرث والورثة ٧- اليتامى والوصاية عليهم. ٨- تحرير العبيد والاستعباد ٩- البيع والشراء بموجب عقد مكتوب أو التعمد الشفهي والعرايين التى تم دفعها ١٠- الديون والقروض ١- الرذائع والأمانات ١٢- الضمان والتأمين ١٣- الإيجار والاستئجار ١٤- الشهره المقبولة شهادتهم وغير المقبولين ١٥- انقابات السلع ١٦- أملاك الجند، ١٧- العقوبات على ارتكاب الجرائم، ١٨- توزيع غنائم الحرب.

عن ذلك انظر نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية، ص١٣٦- ١٣٧

١- نفسه ، ص١٣٧

٢- نفسه ، نفس الصفحة ، عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١١٩

٣- نعيم فرح ، المرجع السابق، ص١٤١- ١٤٢ ، عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص١١٨-

وهكذا ؛ صارت القوانين التي صدرت في عهد الامبراطور ليو الثالث الأيسوري وسيلة من أجل تدعيم السلطة الامبراطورية من ناحية ، وكذلك إخضاع شعوب الامبراطورية لسلطة قانونية واحدة تتفق مع الاحتياجات المتطورة لشعوبها ولاشك في أن القانون كان عنصراً فاعلاً من وراء استمراره تلك الامبراطور أحد عشر قرناً من الزمان مع عدم اغفال أهمية العوامل الأخرى بطبيعة الحال.

أما فيما يتصل بالحركة اللاأيقونية؛ فمن الملاحظ أن التدبير العاطفي للشعب البيزنطي دفعه إلى التعلق الزائد بصور القديسين أو الأيقونات Icons<sup>(١)</sup> فتم تقديسها ، وهناك من يقرر أنه منذ القرن الثامن الميلادي؛ حدثت مبالغة في التعلق بالأيقونات وتقديسها وصارت تلك الصور في الكنائس ، والأديرة وكذلك في كافة المنشآت المدنية الخاصة ، العامة ، وصار الناس يسجدون أمامها تقديساً لها<sup>(٢)</sup>!

على أية حال؛ كان ليو الثالث الأيسوري من إيسوريا Isauria بأسيا الصغرى Asia Minor من منطقة لم تكن تمارس فيها عبادة الأيقونات وبالتالي ؛ أراد تخليص الإمبراطورية مما اعتقد أنه «البدعة» التي عارضها عدد من كبار آباء الكنيسة من قبل .

كذلك ؛ لانفعل التأثير الإسلامي ، فالمسلمون كانوا ينظرون باستهجان لقبام البيزنطيين بالسجود أمام صور القديسين كما أن الخليفة يزيد بن عبد الملك (٧٢٠-٧٢٤) أزال الأيقونات الموجودة ، وقيل إن ذلك كان يذافع من تأثير أحد اليهود<sup>(٣)</sup> . وهكذا ؛ فبان العلاقات بين

١- كلمة أيقونة Icon مشتقة من الفعل Eiko في اليونانية ومعناه، يشبه أو يماثل ، والاسم Eikon يعنى صورة أو صورة مقدسة، ويسمى محطم الصور ايكونوكلاست Iconoclast ، ومعارضة عبادة الأيقونات تسمى ايكونوكلاسم Iconoclasm . عن ذلك أنظر: إبراهيم طرخان ، الحركة اللا أيقونية في الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٥٦م، ص٦

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٢٩

٣- عن ذلك أنظر " The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II A.D. 721 " Vasiliev, D.O.P., Nos. 9-10, Massachastes 1956, pp. 24-47

سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص١٢٩ . سبده كاشف ، مصر في عصر الولاة ، ط. القاهرة ب-٢ ، ص١٢١ ، قاسم عبده قاسم ، أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص٢٤ ، حسان حلاق، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي الحياة المالية والاقتصادية والادارية ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص٥٨ ويصنفه عامة: أفضل دراسة بالعربية عن التأثيرات المتبادلة بين الحائنين العرب والبيزنطى هي: فتحي عثمان، الحدود الإسلامية بين الاحتكاك الحرى والاتصال الحضارى، ٣ أجزاء ، ط. القاهرة ١٩٦٦م.

الطرفين لم تكن كلها ذات طابع حربى عدائى . بل امتد الأمر للجوانب الدينية، ومن المفترض حدوث حوار أو جدال دينى بين المجانبيين .

من جهة أخرى؛ أراد ذلك الامبراطور الحد من نفوذ رجال الكنيسة ، وكذلك الحصول على دعم النساطرة، واليعاقبة. وبالتالي ؛ يمكن القول أن هناك عدة دوافع وراء تلك التغييرات على المستوى الدينى فى عهد ليو الثالث الأيسورى كما أن هناك عدة نتائج على الصعيد الدولى نجحت عن تلك السياسة كما سيتضح لنا.

مهما يكن من أمر؛ تم عقد مجلس شارك فيه عدد من الأساقفة عام ٧٢٦ م<sup>(١)</sup> بعد تسع سنوات من توليه الحكم- وتم فيه الإقرار بإزالة كافة الصور والتماثيل ذات الطابع الدينى من

= وهى فى الأصل أطروحة دكتوراه من كلية الآداب- جامعة القاهرة؛ إشراف الراحل أ.د. حسين مزن بنعنوان التغيير الشامية والجزرية إلى عهد المتوكل العباس

ومن المهم هنا الإقرار أنه بعد أربعين عاماً على صدورهما يصعب وجود دراسة مماثلة لها باللغة العربية. دون اغفال أنها ألفت - بطبيعة الحال- بإسكانات السنينيات . ولا يعد ذلك نقداً لها

١- عن الحركة اللاأيقونية بصفة عامة أنظر:

Theophanes, pp. 93-94

Brubaker and Haldon , Byzantium in the Iconoclast Era ( ca 680-850) : The Sources, An annotated Survey, B. B. O. M., Birmingham 2001 .

Bryer and Herrin, Iconoclasm, Birmingham 1977 .

Martin, A History of the Iconoclastic Controversy, London 1978

Hussey, The Byzantine World , pp. 30-32 .

Angold, Byzantium , pp. 70-95 .

ابراهيم طرخان . الحركة اللاأيقونية فى الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٥٦م.

وعن الحركة اللاأيقونية فى عهد ليو الثالث الأيسورى انظر

Gero, Byzantine Iconoclasm during the Reign of Leo III , with Particular attention to the Oriental Sources, Louvain 1999

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 57-61 .

حسین ربيع . دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية . ص ١٠٨- ص ١١٥ . شارلز أومان. الإمبراطورية

البيزنطية، ص ١٤٩- ص ١٥٣ . جوزيف نسيب يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢٣- ص ١٣٣

الكنائس ، كما تم تحريم تصوير السيد المسيح والسيدة مريم العذراء عليهما السلام وأدى ذلك؛ إلى اندلاع معارضة شديدة من جانب الرهبان وصغار رجال الدين ، إلا أن الامبراطور تمكن من إخضاعهم . وتطور الأمر عندما وقف البطريرك البيزنطي حينذاك ضد الإمبراطور فقام الأخير بعزله عام ٧٣٠م، ولاريب في أنه أدرك أن مثل تلك الحركة التي رآها ضرورية من وجهة نظره لإصلاح المعتقد الديني في الامبراطورية ، محتاج إلى قبضة حديدية من أجل تنفيذها ومتبعتها

ويلاحظ أن معارضة البطريرك للإمبراطور مثلت حالة من الحالات النادرة في التاريخ البيزنطي .

جدير بالإشارة؛ أن الأحداث التي وقعت في بيزنطة لم تكن ذات بعد محلي محدود ، بل امتد تأثيرها خارج حدود الإمبراطورية وهنا مكنم خطورتها ، فلم يكن في الإمكان أن تقف البابوية في روما مكتوفة اليدين حيال ما يحدث في الفسطنطينية ، وهكذا ؛ قام البابا جريجوري الثاني Gregory II (٧١٥ - ٧٣١م) بعقد مجلس ديني من أساقفة الغرب الأوروبي، وأصدر قراراً يعتبر ما قام به ، أولئك الذين يحاربون الأيقونات هرطقة<sup>(١١)</sup> ، وامتد الأمر في عهد البابا التالي؛ وهو جريجوري الثالث Gregory III<sup>(١٢)</sup> (٧٣١ - ٧٤١م) الذي عمل على إزلال اللعنة على كل من يؤيد مهظلي الأيقونات<sup>(١٣)</sup>؛ مما عكس إتخاذة خطوة أقوى أبعد من السابقة التي اتخذها سلفه

= محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٠١ - ص ١٠٢ ، محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١١٨ - ص ١٢٧ ، وسام عبد العزيز فرج، دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٧١ - ص ١٧٩

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢٥

وجريجوري الثاني؛ بابا وقديس ، ولد في روما عام ٦٦٩م من أسرة ثرية، وقد تولى المنصب البابوي من ١٩ مايو ٧١٥ إلى ١١ فبراير ٧٣١م، ويلاحظ أن يوم عبده يوافق ١١ فبراير، عنه أنظر Kelly Oxford Dictionary of Popes, Oxford 1996 , p. 86-87

٢- جريجوري الثالث، بابا وقديس تولى منصبه خلال المرحلة من ٨ مارس ٧٣١م إلى ٢٨ نوفمبر ٧٤١م ، ووصف بأنه كان رهباناً فصيحاً ، وتتمثل أهمية دوره في معاصرته المرحلة الصراع على الأيقونات عنه أنظر Ibid, p. 88-89

Diehl, History of The Byzantine Empire, p. 59

لاتفعل هنا ؛ أن أحداث التاريخ كانت تتلاحق خلال القرن الثامن الميلادي وفيما بعد على نحو زاد من التباعد بين كنيستي القسطنطينية وروما من خلال قطيعة قوشبوس في القرن التاسع الميلادي ومن بعدها القرن الحادي عشر الميلادي عندما حدث الالتحاق الأعظم بينهما خاصة عام ١٠٥٤م فكانت نهاية رحلة طويلة وشاقة من الشكوك، والتناقض، والعداء، المتبادل المتراكم والمتوالى عبر القرون . الأمر الذي ستوضحه الصفحات التالية.

مهسا يكن من أمر: توفي ليو الثالث الأيسوري عام ٧٤١م ، وذلك بعد أن أحدث تأثيراً مهماً في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية سياسياً، وعقائدياً على الصعيد الداخلي والخارجي.

ومن بعده : تولى العرض البيزنطي ابنه قسطنطين الخامس<sup>(١)</sup> الذي حكم خلال المرحلة من ٧٤١ إلى ٧٧٥م وبعد عهده مكملاً ، و متمماً لعهد والده من قبل، ويمكن إبراز أهم معالم التاريخ البيزنطي في عهده على النحو التالي:

أولاً : سياسة تجاه عبادة الأيقونات .

ثانياً : الصراع مع المسلمين .

ثالثاً : مواجهة اللمبارديين والبلغار

جدير بالذكر ، أن قسطنطين الخامس حكم مدة زمنية أكثر إمتداداً من تلك التي حكمها والده ، إذ امتدت ٣٤ عاماً ، على حين حكم ليو الثالث ٢٤ عاماً فقط، وقد أعانه ذلك على مواصلة سياسته على نطاق زمني أكبر وإن كانت في معالمها العامة مكملة للعهد السابق

١- عن الإمبراطور قسطنطين الخامس أنظر:

Theophanes, p. 125 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 234 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 147-155 .

Norwich , A Short History of Byzantium. pp. 113-115 .

Angold, Byzantium, p. 77-78 . pp. 78-84 .

Hussey, The Byzantine World, p. 28, p. 29, p. 31

Diehl, History of the Byzantine Empire. pp. 53-55

وفيما يتصل بمواجهة عبادة الأيقونات ، أثبت الإمبراطور أنه أكثر تشدداً من والده ، ولذلك خطى خطوات أبعد في عدائها ، وقد قام بعقد مجمع ديني عام ٧٥٤م حضره (٢٣٨) من الأساقفة في مدينة هيريا Hieria بالقرب من القسطنطينية<sup>(١)</sup> ، وقد أبدوا العقيدة اللاأيقونية ، وتقرر أن من يعارض السياسة العامة للإمبراطورية تجاه تلك القضية سوف يتعرض للعقاب وفق القانون ، وبذلك يتضح لنا حرص ذلك الإمبراطور على الحصول على الشرعية الدينية قبل تنفيذ سياسته ويقدم ذلك نموذجاً على أن الدين كان في خدمة السياسة حينذاك .

هكذا ؛ تمكن قسطنطين الخامس من الحصول على دعم ذلك المجمع الديني لسياسته العدائية تجاه عبادة الأيقونات ، ومن الممكن القول أن عهده ظهر فيه الإرتباط الوثيق بين السياستين الداخلية ، والخارجية فظالما أن الإمبراطورية كان يهددها الخطر الخارجي - كالبulgار على سبيل المثال- لم يكن الإمبراطور في مقدوره التوسع في سياسته اللاأيقونية ، ولذلك ؛ فإنه عندما تمكن من توقيع إتفاق للمصلح مع عناصر البulgار عام ٧٦٥م ؛ إتجه من بعد ذلك لفرض سياسته بمسوة ، وعنف وتمثل عدوه الرئيسي في صورة عناصر الرهبان الذين تمسكوا بعبادتها وقد اتخذ ضدهم عدة إجراءات ، إذ أنه إتجه إلى تسميل عيون الرهبان المعارضين<sup>(٢)</sup> ، ويلاحظ أن ذلك الأسلوب العقابي البشع يعد نمطاً تقليدياً في التاريخ البيزنطي على نحو يجعل الموزخ المنصف يشعر بمدى الوحشية ، والرغبة الغير سوية في الإنتقام ، وقد وصل ذلك الأسلوب إلى أشجع مراحل على يد الإمبراطور باسل الثاني في عهد الأسرة المقدونية كما سيتضح لنا فيما بعد مما دل على تواصله تاريخياً من بعد ذلك ، كما أمر الإمبراطور بقطع

#### ١- عن ذلك أنظر

Angold . Byzantium p. 79-80 .

Norwich , A Short History of Byzantium , p. 113 .

Talbot (ed..) Byzantine defenders of Images Eight Saints Lives in English Translation  
Dambarton Oaks , Washington 1998 , p. X .

٢- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٢٨

Diehl , History of the Byzantine Empire , p. 60 .

Talbot (ed.) , Byzantine defenders of Images , p. X .

ألسنة وأنوف معارضيه . كذلك إنجه إلى إيداعهم فى السجن أو إبعادهم من خلال النفى ،  
والتشريد<sup>(١)</sup> .

وهكذا ؛ كشفت لنا سياسة ذلك الإمبراطور تجاه الرهبان الذين اعتقدوا فى عبادة الأيقونات ؛ عن رغبته فى عقاب معارضيه كأنهم أعداء حقيقيين للإمبراطورية البيزنطية وليسوا من أبنائها المخالفين فى معتقداتهم اتجاه الامبراطور ويمكن وصف السنوات العشر الواقعة بين عامى ٧٦٥م ، ٧٧٥م بأنها سنوات الحرب الأهلية الدينية العنيفة بين السلطة الحاكمة ، والرهبان مما عكس طول مدة الصراع ، والأمر المؤكد ؛ أن ليو الثالث الأيسورى كان أقل عنفاً تجاه معارضيه إذا ما قورن بالقسرة البالغة التى اتبعها ابنه من بعده ومن المفترض أنه فى حالة استمرار حربه ضد ما اتبع تلك السياسة ضد أولئك الرهبان .

من الملفت للإنتباه أن من المؤرخين الأوروبيين المحدثين من إنبهروا بالأباطرة اللأيقونيين ، وصورهم على أنهم دعاة إصلاحيين ، وتم التفاوض على وسائل التنكيل ، والاضطهاد والتعذيب البشعة التى أثبتت أن الإمبراطورية عاشت وحينذاك مرحلة بالغة العنف من تاريخها ، وسرف تدفع الامبراطورية الشمن فادحاً فى صورة اتساع الهوة بينها وبين الغرب الأوربى .

١- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٧٨

ولانغفل أنه خلال تلك الأحداث ؛ قتل بعض الرهبان مثل القديس ستيفن الصغير St. Stephen The Younger ، وكان قد ولد فى العاصمة البيزنطية فى عام ٧١٥م . وعندما حدثت الصراعات حول الأيقونات خلال عهد قسطنطين الخامس ، دافع عن عبادتها . وقد تم قتله عام ٧٦٥م . ويقال أن الإمبراطور المذكور لم يشأ قتله وبذلك تتشابه تلك الحادثة مع حادثة تالية وقعت فى عهد الملك الإنجليزي هنرى الثانى Henry II (١١٥٤-١١٨٩م) عندما قتل أتباعه توماس بكت St. Thomas Beket رئيس أساقفة كنتربرى Canter-bury ويلاحظ أن عبد القديس ستيفن الصغير يقابل يوم ٢٨ نوفمبر ، عنه انظر :

سفر أعمال الرسل ، الإصحاحين (٧ ، ٨)

Life of St. Stephen The Younger, Trans. by Alice - Mary Talbot, in Talbot (ed.), Byzantine defenders of Images, pp. 9-12 .

John of Wurzburg, Decription of The Holy Land , Trans . by A. Stewart , P.P T.S., vol XII, London 1892, p. 40.

Attwater, The Penguin dictionary of Saints , pp. 313-34

Diehl , History of The Byzantine Empire. p. 60



تجدر الإشارة؛ وجدت عبادة الأيقونات أنصاراً لها ودافعوا عنها أحياناً حتى الموت، وقد حفظ التاريخ لنا ضمن المصادر الجغرافية سير عدد منهم في صورة القديس ثيودوسيا القسطنطينية Theodosia of Constantinople، والقديس ستيغن الصغير St. Stephen The Younger، والقديسة أنتوسا المنتينونية St. Anthousa of antineon، والقديسة انتوسا ابنة الامبراطور قسطنطين الخامس St. Anthousa daughter of Constantine V، وهي تعكس حركات المعارضة ضد سياسة الأباطرة اللايقونيين خلال المرحلة ٧٢٦ إلى ٧٨٧م<sup>(١١)</sup>. أما المرحلة التالية هي الممتدة من ٨١٥ إلى ٨٤٣ م، لمدينا سير حياة عدد من المعارضين في صورة البطريرك نقفور الأول بطريرك القسطنطينية Patriarch Nicephoros I، وحياة القديسين ديقيد وسيمون وجورج لسبوس St. S. David, Symeon and George of Lesbos والقديس ابونيكوس St. Icaunnikos، والقديسة الامبراطورة ثيودورا St. Theo-dora The Empress<sup>(١٢)</sup>.

جدير بالإشارة؛ أن البابوية في روما في عهد قسطنطين الخامس بحثت عن حليف في الغرب الأوربي من خلاله تتمكن من تحقيق أهدافها وتوجه من خلاله ضرائبها المتلاحقة تجاه الأباطرة اللايقونيين، إذ أن هجمات اللومباردين في إقليم رافنا بإيطاليا؛ جعلت البابوية تتجه صوب دولة الفرنجة، وتترك الإمبراطور البيزنطي، وظهر خلال تلك الأحداث ما عرف بهبة بين<sup>(١٣)</sup> Pepin The Donation والتي بمقتضاها تردد أن الملك الفرنجي بين القيصير Pepin The

١- عن تلك السير التي تعد مصدراً أساسياً عن تلك المرحلة أنظر:

Talbot (ed.), Byzantine defenders of Images pp.1 -21 .

وكذلك المدخل الجغرافي

Ihid, pp. 25- 382 . -٢

٣- هبة بين Pepin's Donation تنسب إلى بين القيصير الذي عد آخر وزراء المبروفنجيين، وأول ملوك الأسرة الكارولنجية. وقد قرر في أواسط القرن ٨ الميلادي الاستيلاء على التاج المبروفنجي سياسياً ودبلوماسياً وليس عن طريق القوة. وقد أرسل إلى البابوية في روما بعثة يعرض عليها تساؤل عما إذا كان التاج الفرنجي يظل على رأس من هو بلا قوة، وأن يكون على رأس من يبدئه القوة الفعلية حتى لو لم يكن يحمل لقب الملك، ويقرر جوزيف نسم بوسف أن البابا زكيا (٧٤١-٧٥٢م) وصف بالحكمة وأدرك أن من =

Short (٧٥١-٧٦٨م) منح البابا هبة بمقتضاها أعطاه الحق في حكم روما، ورافنا، وكان البابا حتى ذلك الحين يمارس سلطاته في روما من خلال النفوذ البيزنطي، وهكذا؛ دفع الأباطرة اللأيقونيون ثمن سياستهم على حساب النفوذ البيزنطي في إيطاليا

أما السياسة البيزنطية تجاه المسلمين؛ فقد حرص قسطنطين الخامس على تحقيق عدد من الانتصارات في مناطق الحدود البيزنطية - العربية حتى بظور الجهد الجريء الدفاعي الذي حققه والده ليو الثالث، وحقق وقوف الشعب البيزنطي وراء امبراطورهم المنتصر ضد أعداء الامبراطورية منذ عهد الإمبراطور هرقل،

على أية حال؛ حدثت تطورات تاريخية حاسمة إذ سقطت الخلافة الأموية عام ٧٥٠م وقامت في أعقابها الخلافة العباسية، واستغل الإمبراطور توفيق العباسيين عن محاربة بيزنطة لتحقيق بعض الانتصارات. يلاحظ استغلاله لإضطراب أوضاع الأمويين قبل سقوطهم حيث استرلى على مرعش عام ٧٤٦م وقام بترحيل سكانها، ومن بعد ذلك بعد سقوط دولتهم تقدم في صراعه معهم وفي عام ٧٥٢-٧٥٣م توجه إلى إخضاع ملطية، وبصفة عامة؛ نلاحظ تبدل الأدوار، فقد تحول المسلمون حينذاك من الهجوم في عهد الدولة الأموية حتى صاروا في موقف الدفاع، أما الدولة البيزنطية؛ فقد تحولت من الدفاع في عهد ليو الثالث إلى الهجوم في عهد ابنه قسطنطين الخامس<sup>(١)</sup>، وبمعكس ذلك الارتباط الوثيق بين الأوضاع الداخلية في الدولة الإسلامية ونجاح البيزنطيين في تحقيق مكاسب استراتيجية.

= الأفضل مالماته واكتسابه إلى جانبه وأجابه إلى صفه، وهكذا؛ قام بنقل التاج من آخر الملوك الميروفنجيين؛ وهو شيلدريك الثالث عام ٧٥١م، وهو العام الذي يعده المؤرخون بداية عهد الأسرة الكارولنجية ويلاحظ أنه في عام ٧٥٤م، قدم البابا ستيفن الذي توفي من بعد البابا المذكور - قدم إلى غاله حيث توج بين ملكاً على الفرنجة ولائغفل أنه في عام ٧٥٤م، أنزل ذلك الملك الهزيم باللسباردين، ووهب بين البابوية إلى جانب كيانها الروحي كالة إيطاليا كي تتسع ملكاً لها، عن هبة بن أنظر

Angold, Byzantium, p. 102.

هارقان وباراكلانف. الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى، ص ١٤١، حاشية (٢)

١- من المهم هنا الإشارة بهذه المقالة:

Brooks, " Byzantium and Arabs in The Time of The Early Abbasids", E.H.R., vol XV, 1900, pp. 728-747

أما فيما يتصل بمواجهة اللمبارديين ؛ من الملاحظ أنهم عملوا على توجيه هجماتهم ضد النفوذ البيزنطي في إيطاليا، وفي عام ٧٥١م حققوا إنجازاً كبيراً على حساب بيزنطة من خلال السيطرة على رافنا<sup>(١)</sup> Ravenna، وفيما بعد ؛ حدث صدام بين الملك بين القصير السالف الذكر ، واللمبارديين ، وتمكن من هزيمتهم، ولم يكن يفعل ذلك للصالح البيزنطي، بل من أجل مصلحته العليا بطبيعة الحال . وحاول الإمبراطور قسطنطين الخامس جاهداً مقاومة النفوذ البابوي، وكذلك نفوذ ملك الفرنجة بين دون جدوى ، وتأكد بالفعل أن النفوذ البيزنطي ينحصر عن إيطاليا وذلك مع ملاحظة استمراره في كل من القسم الشمالي الشرقي في البندقية Ven-ice ، وكذلك في القسم الجنوبي .

وهكذا ، تأكد إخفاق ذلك الإمبراطور في التعامل مع اللمبارديين ، ومن المؤكد أن سياسته تجاه أنصار عبادة الأيقونات عجلت بارتقا، البابوية في أحضان بين القصير ، وبالتالي دفعت بيزنطة الثمن في ضياع قسم من أملكها في إيطاليا

أما فيما يتصل بسياسة تجاه البلغار<sup>(٢)</sup> الذين شكلوا خطراً داهماً على الإمبراطورية ؛ نجد أنه اصطدم معهم في عدة حملات خلال الأعوام من ٧٥٩ إلى ٧٧٥م . ويلاحظ أنه تمكن

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٩

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 174-176 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 151

٢- وجع البلغار إلى أصل تركي ، وقد استقروا في بداية الأمر في المنطقة الواقعة شمال البحر الأسود وبحر قزوين ، وهناك خضعوا لسيطرة عناصر الأتار ، وقد ضعفت تلك العناصر بعد فشل حصارها للقسطنطينية عام ٦٢٦م . وهنا ثار البلغار عليهم ، وأبدت الإدارة البيزنطية موقفهم ضد الأتار . وفيما بعد نتيجة لضغط عناصر الحزب اضطر البلغار إلى الانحياز غرباً حتى وصلوا عا ٦٧٠م إلى دلتا نهر الدانوب، عن ذلك أنظر:

وصام عبد العزيز فرج، السلاف (الصقالبة) في شبه جزيرة البلقان، ص١٨٨-١٨٩

وعن البلغار وعلاقتهم بيزنطة بهم أنظر:

Thephanes, p. 12 .

Stephenson, Byzantium's Balkan Frontier, A Political Study of the Northern Balkan 900-1204 . Cambridge 2000 .

من الإنتصار عليهم عام ٧٦٣م<sup>(١)</sup>، وتجددت إنتصاراته عندما تمكن من هزيمتهم فى عام ٧٧٣م، أى بعد عشرة أعوام من الانتصار السابق.

هكذا ؛ كانت جبهة البلغار موفقة النتائج بالنسبة لبيزنطة وإن مات الإمبراطور خلال إحدى المعارك معهم عام ٧٧٥م. وبذلك اتضح لنا أنه أخفق مع اللمباردين ، ونجح مع البلغار مع عدم إغفال أن الصراع البيزنطى - البلغارى؛ لم ينته عند ذلك الحد ؛ بل استمر فى عهد أباطرة بيزنطة فيما بعد خاصة فى عهد الإمبراطور باسل الثانى ٩٧٦-١٠٢٥م.

من بعد عهد قسطنطين الخامس؛ تولى الحكم عدد من الأباطرة مثل ليو الرابع . وقسطنطين السادس ، وإيرينى ، ونقفور الأول، وستوراكبوس . وميخائيل الأول، وليو الخامس الأرمينى؛ ومع ذلك ؛ فمن المهم تسليط الضوء على عدد منهم ليس لكفائهم ، بل لوجود أحداث مميزة كشف فيها التاريخ البيزنطى عن بعض خصائصه التى قد لاتتضح فى يسر، وسهولة لدى عهد أباطرة بيزنطيين سابقين آخرين

وبالنسبة لليو الرابع؛ الذى حكم خمس سنوات من ٧٧٥ إلى ٧٨٠م، نلاحظ أنه لم يكن له شأن بارز فى التاريخ البيزنطى، ومن بعده حكمت الإمبراطورة إيرينى<sup>(٢)</sup> باعتبارها وصية على

= هى أفضل دراسة فى الموضوع المذكور من خلال المعالجة العلمية وكذلك المصادر والمراجع المتعددة . وهى أحدث ما كتب عن العلاقات بين الجانبين بالإنجليزية.

هانى عبد الهادى الشبير، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى ٦٨١-١٠٨١م رسالة دكتوراه . كلية الآداب ، جامعة طنطا عام ١٩٩٩م، وهى أطروحة من تأليف لباحث متمكن  
١- عن صراع قسطنطين الخامس مع البلغار أنظر:

Theophans, p. 13 .

Norwich, Short History of Byzantium . p. 11 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , p. 10-11

Dichl, History of the Byzantine Empire, pp. 55-56 .

محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية . ص١٠٦- ص١٠٨

٢- عن الإمبراطورة إيرين ومعنى اسمها «السلام» أنظر:

Theophanes , pp. 155-157

ابنتها قسطنطين السادس، وإمتد حكمها من ٧٨٠-٨٠٢م ومن أهم ملامح عهدها إتجاهها إلى إعادة عبادة الأيقونات<sup>(١١)</sup>، وبالتالي عارضت تماماً سياسة ليو الثالث، وقسطنطين الخامس، كذلك المجهت إلى عقد صلح مهين مع الخلافة العباسية عام ٧٨٣م<sup>(١٢)</sup>، حيث عاصرها الخليفة الذائع الصيت هارون الرشيد؛ وذلك كى تتفرغ لقضايا الداخل البيزنطى خاصة أنه لم يكن لها قبل بمواجهة ذلك الخليفة الذى بلغت الدولة العباسية فى عهده مرحلة من أقوى مراحل تاريخها.

= عليه الجنزورى، الإمبراطورة إيرين، ط. القاهرة ١٩٨٦م.

Angold, Byzantium, p.84, p. 86.

Herrin, Women in purple Rulers of Medieval Byzantium, Princeton 2001, p. 51-129

حيث خصصت المزرعة الأمريكية جوديت هيرن الفصل الثانى من كتابها للحديث المنفصل عن الإمبراطورة إيرينى، وقد دافعت عنها دفاعاً مجيداً خاصة من خلال المحصر سنوات الأخيرة فى حكمها

من ناحية أخرى؛ لا يمكن دراسة عهد إيرينى دون إدراك دور مهم لأحد الحصبان، وهو شئوراكبوس-Strau raktios الذى وصف بأنه مستشار الإمبراطورة واحتل مكانة بارزة وتولى مهمة كل شئ؛ كما وصفه ثيوفانس، ويلاحظ أنه شارك فى الصراع مع العرب، كذلك حارب ضد السلاف فى بلاد اليونان حتى ألبلبونيز عام ٧٨٣م، واحتفل بانتصاره فى القسطنطينية فى يناير ٧٨٤م، وفى عام ٧٨٦، عاون الإمبراطورة المذكورة فى مواجهة أعداء عبادة الأيقونات، وقد توفى فى ٣ يونيو ٨٠٠م، عنه أنظر:

O.D.B., vol. 3, p. 1945.

ولانغفل أن الحصبان لعبوا دوراً بارزاً فى العصر البيزنطى الأوسط عن ذلك أنظر

Ringrose "Eunuchs as Cultural Mediators", in Walter E. Kaegi (ed.) B.F., vol XXIII Amsterdam 1996, pp. 75-93, vol. XXIII.

١- نبيه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ط. دمشق ١٩٦٩م، ص ١٦٤

٢- عن علاقات الإمبراطورة إيرين بالحليفة هارون الرشيد ودور الأخير فى مواجهة بيزنطة أنظر: إبراهيم أبوب، التاريخ العباسى السياسى والحضارى، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص ٥٤

وديع فتحى، العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى، ص ٣٢٦، حيث يقدم عرضاً ممتازاً، أيضاً: محمود الحورى، الوصباردين فى التاريخ والحضارة، ٥٦٨-٧٧٤م، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٦١

Bsnworth . Byzantium and the Syrian Frontier in the Early Abbasid Period , Bilad al- Sham

جدير بالذكر ؛ أرادت إيرين الإستحواذ على السلطة على حساب ابنها ، وكثيراً ما تأمرت عليه ، بعد أن تجردت من مشاعر الأمومة ، ووصل بها الأمر إلى حد قيامها بعد تنازلها عن العرش له عام ٧٩٠ بمواصلة مؤامراتها ، وقام أنصارها بالقبض عليه ، ومن خلال أوامرها قاموا بتسميل عينيه<sup>(١)</sup> يوم ١٥ أغسطس ٧٩٧م ، فى واقعة فريدة فى التاريخ البيزنطى .

إن المؤرخين الأوويين الذين انبهروا بأباطرة بيزنطة لم يقفوا طويلاً أمام ذلك المشهد الأسود الفريد فى مسأويته حيث تجردت إيرينى من كافة المشاعر الإنسانية وافترض عدم استوائها نفسياً دون إمكانية دعم ذلك من نصوص مصدرية أو مرجعية ، إلا أن الواقعة التاريخية يصنعها المزمدة تدل بجلاء على ترجيح ذلك الاحتمال ، ولا تغفل هنا القول بأن التاريخ أحياناً القير أسوياء من الناحية النفسية<sup>(٢)</sup> .

على أية حال: فتلك المرأة المتسلطة حصلت على لقب إمبراطور وظلت فى السلطة بعد أن جعلت مكانة بيزنطة الأدبية فى الحضيض ولذا؛ لم يكن غريباً أن أقدم البابا ليو الثالث<sup>(٣)</sup> Leo III (٧٩٥-٨١٦م) على تويج شارلمان Carus Magnus فى ليلة عيد الميلاد من

---

= during the Abbasid Period ( 132- SA.H/ SA.P. 750 - 491 A.H. ( A.p. 1059) Proceedings of the Fifth international conference on the History of Bilad Al- Sham ed. by M. Albakhit . Amman 1991) , p. 59-60.

١- عن صراع الإمبراطورة إيرين مع ابنها وتسميل عينيه أنظر:

Norwich , A Short History of Byzantium . p. 117-118 .

Bosworth , Byzantium and the Syrian Frontier, p. 59 .

وديع فتحي ، العلاقات السياسية بين بيزنط والشرق الأدنى الإسلامى ٧٤١- ٨٢٠م . ط الاسكندرية ١٩٩٠م ، ص ٢٦٩ .

٢- عن ذلك أنظر

زهيرة البيلي ، التاريخ يصنع المرض ، ط . القاهرة ١٩٨٥م . وتقصد الزلفة فى المقام الأول المرض النفسى .

٣- ليو الثالث ؛ بابا وقديس ، تولى المنصب البابوى فى ٧٦ ديسمبر ٧٩٥م حتى ١٢ يونيو ٨١٦م ، وهو من أصل روماني من جنوى إيطاليا ، وقد عمل راهباً ، وفيما بعد كروبنالاً وينسب إليه أمر تويج شارلمان فى ليلة عيد الميلاد من عام ٨٠٠م ، وعرفت عنه كفاءةه الإدارية ، ويلاحظ أن عهده يوافق يوم ١٢ يونيو . عنه أنظر

عام ٨٠٠م<sup>(١١)</sup>، وذلك بعد أن أثبت براعته في محاربة اللومبارديين ، ووفر الحماية للبابوية ، وقد أرادت الأخيرة خلق قوة سياسية كبيرة في الغرب الأوروبي تواجه البيزنطة ، وبالتالي؛ صارت هناك قوتان سياسيتان كبيرتان متنافستان تحاولان مخاطبة ود البابوية ؛ في القسطنطينية وأخن Aachen (اكس لاشابيل Aix La Chapelle عاصمة شارلمان

لانغفل أن تلك الحادثة ، عدت حادثة محورية في تاريخ العصور الوسطى الأوروبية على نحو جعل بعض المؤرخين يتصورون أن ميلاد تلك العصور يمكن أن يبدأ منذ عام ٨٠٠م، وإن كان ذلك رأى مستبعد على أية حال؛ لعدم منطقيته نظراً لتأخره الزمني مع عدم إغفال مركزية الحادثة ذاتها كحادثة تاريخية لها شأنها في تاريخ الغرب الأوروبي في العصور الوسطى، وكذلك في علاقاته مع الشرق البيزنطي.

لقد ساعدت الإمبراطورة إيريني- دون أن تدرى- ساعدت البابوية في توجيه صدمة قوية لبيزنطة ، لقد كان هناك الضعف السياسي، ثم السقوط الأدبي، ومن قبل كانت هناك سياسة الأباطرة اللأيقونيين . وأدى ذلك كله ؛ إلى أن توافرت الظروف التاريخية الملائمة لتتويج شارلمان خاصة أن الأخير أثبت كفايته الحربية. ومهارته السياسية ، بالإضافة إلى زاوية التنصير التي سار عليها مثلما حدث من خلال تنصيره لعناصر السكون. واستخدامه الفسوة البالغة في سبيل تحقيق ذلك إلى حد قيامه بمذبحة مروعة في فردان Verden<sup>(١٢)</sup> عام ٧٨٢م،

---

= Kelly . Oxford dictionary of Poper pp. 97-99 .

١- عن تتويج شارلمان أنظر:

Einhard, Vita Caroli Magni, Trans. by Lewis Thorpe in Two Lives of Charlemagne by Einhard and Notker the Strammerer, Penguin Book London 1969, pp. 80-81

Theophanes, p. 157 .

Bocher, Charlemagne, Trans. by David S. Balchrach , London 2003, pp. 7-17 .

دينز. شارلمان . ت. السيد الباز العريضي . ط القاهرة ١٩٥٩م . ص ١٧٢-١٨٧

٢- عن موقف شارلمان من السكون: أنظر:

Notker the Strammerer, in Two Lives of Charlemagne , Trans.

By Lewis Thorpe, Penguin Book, London 1969, p. 136-137

وهي التي قتل فيها ٤٥٠٠ شخص منهم، وهكذا؛ توافرت لديه كافة الشروط اللازمة؛ من أجل تحالف البابوية معه، مع إدراك أن البابوية دائماً ما تحالفت مع الأقوى على مدى تاريخها خلال حقبة العصور الوسطى.

على أية حال؛ كان تتويج شارلمان بمثابة صدمة كبيرة للأباطرة البيزنطيين كما قرر البعض، وقد رفضت بيزنطة في أول الأمر؛ الاعتراف بذلك التطور السياسي المحوري الذي حدث في روما، وظلت ترفض الأمر طوال نحو ١٢ عاماً، إلى أن اضطرت للاعتراف؛ بالأمر الواقع *Ipsso Facto*، ويلاحظ؛ أن شارلمان - وهو أول امبراطور مسيحي لاتنجري في عروقه الدم الروماني، أو اليوناني إذ أنه بربري الأصل فرنجي المنبت<sup>(١)</sup> نفسه كان حريصاً الحرص أجمعه على أن تعترف الإمبراطورية البيزنطية به.

على أية حال؛ إنجيه شارلمان عام ٨١٠ م. أي بعد عشر سنوات على تتويجه إلى أن يطلب من ابنه بين Pepin احتلال فينيسيا Venice<sup>(٢)</sup> (البندقية) في شمال شرقى، إيطاليا، وكانت خاضعة لسيطرة بيزنطة والهدف من ذلك كان جلياً؛ إذ أراد الضغط عليها من خلال دور تلك المدينة ذات الأهمية الاقتصادية التجارية في العلاقات بين الشرق البيزنطي والغرب الأوربي حينذاك وقد حدث إسقاطها في عهد الإمبراطور نقفور في وقت واجه فيه البلغار في البلقان والمسلمين في آسيا الصغرى وقد دخل نقفور في مفاوضات مع شارلمان؛ من أجل الإنسحاب

= وعن مذبحة فردان أنظر:

Becher, Charlemagne, p. 67

سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج ١، ط. القاهرة ١٩٨٨م، ص ٢٠٢. محمد مرسى الشيخ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م، ص ٢٥٦

وهناك من يقرر ما نصه «كان من نتيجة حروب شارلمان التي استمرت من ٧٧٢ حتى ٨٠٤ فناء جيل بأكملها، ولم يمت إلا بعد أن أكره عدداً كبيراً من السكسون مع أسرهم على ترك سكسونيا والإستقرار في الأقاليم الفرنجية» عن ذلك أنظر:

رأفت عبد الحميد، «الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب في العصور الوسطى»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسطى، م (٢)، عام ١٩٨٣م، ص ٩٨، حاشية (٢٧)

١- نعيم فرح، تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٩٥م.

٢- نفسه، ص ٦٣



من تلك المدينة المحيومة، وتم إرسال وفد إلى آخن Achen من أجل عقد صلح مع الإمبراطور الجديد وتم التوصل إلى إتفاق يقر بأن يتم الإنسحاب من تلك المدينة الإيطالية ، وأن تعترف ببيزنطة بإمبراطورية شارلمان ، ولاتفعل ، أن تقفور قتل عام ٨١١م، وفى العام التالي ٨١٢م؛ وافق الإمبراطور ميخائيل الأول على الإتفاق السابق<sup>(١)</sup>.

على أية حال؛ تأكد لنا أن شارلمان تمكن من إدارة التنافس بين القسطنطينية، وآخن بعدها، واستطاع أن يفرض على الإمبراطورية البيزنطية القبول بالأمر الواقع الجديد فى الغرب الأوروبى من خلال الضغط العسكرى.

على أية حال ؛ كانت بيزنطة الخاسرة الأولى من وراء أحداث عام ٨٠٠م ، حيث تغيرت خريطة القوى السياسية فى الغرب الأوربي؛ الأمر الذى إنعكس تأثيره بالضرورة على شرقى القارة

هكذا ؛ يمكن القول أن الإمبراطورية إيرين وسلوكياتها أدت إلى خلق الأجراء، المساعدة على ماحدث فى العام المذكور دون إغفال عوامل أخرى خاصة بتوازنات القوى فى السياسة الدولية حينذاك، من خلال التنافس التقليدى بين الغرب الأوربي والشرق البيزنطى على الصدارة.

مهما يكن من أمر ؛ بالنسبة لتلك الإمبراطورة ؛ كان للقدر كلمته، فمشلما غدرت بابنها غدر بها أحد كبار رجال دولتها وهو تقفور الذى عمل وزيراً للمالية !!

وقد تمكن من تدبير إنقلاب ضدها عام ٨٠٢م<sup>(٢)</sup>، وتم نقيها من بعد ذلك، وماتت فى العام التالي تاركة وراءها ذكرى امرأة قاسية فتنت بالمنصب الإمبراطورى البراق المطلق السلطات.

مهما يكن من أمر ؛ تولى أمر الإمبراطورية خلال المرحلة الممتدة بين عامي ٨٠٢ . ٨٢٠م عدد من الأباطرة الشانويين- وما أكشهرهم فى التاريخ البيزنطى المديد - وقد أطلق عليهم الموزخون تعبير « خلفاء الأيسوريين »، ولعل أهم ما يذكر عنهم الإمبراطور تقفور الذى امتد حكمه من ٨٠٢ إلى ٨١١م<sup>(٣)</sup>، وأهم ما حدث فى عهده صراعه مع هارون الرشيد

١- نعيم فرح ، تاريخ أوروبا السياسى، ص ٦٤

Theophanes, p. 158 .

٢- عن ذلك أنظر:

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 67

Theophanes, pp. 158-163 .

٣- عن الامبراطور تقفور أنظر:

(٧٨٦-٨٠٩م) الذي رفض أن يدفع له الفدية التي دفعها له صاغرة من قبل إيرين؛ فأرسل له ذلك الخليفة رسالة طبقت شهرتها الأفاق وحرصت المصادر التاريخية العربية على إيرادها ؛ تعبيراً عن قوة العباسيين في عصرهم الذهبي، وإذلالهم للبيزنطيين ، وكنوع من الدعاية السياسية القوية (١١) ، وأرسل إليه جيشاً كبيراً يحمل الثقل السياسي للخلافة العباسية حينذاك، حيث تمكن من اختراق الدفاعات البيزنطية في آسيا الصغرى عام ٨٠٣ ، ٨٠٤م وتم إجبار ذلك الإمبراطور الواهم على دفع تلك الفدية التي لم يكن هارون الرشيد يحتاجها في

Niavis, The Reign of the Byzantine Emperor Nicephorus I (802-811) , Athens 1987

وتأتى أهميتها من خلال تخصصها في أعوام قليلة من التاريخ البيزنطي الجديد.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 166-177

Norwich, A Short History of Byzantium, p. 123 .

ودفع فتحى عبدالله ، العلاقة بين الدولة والكنيسة في عصر نقفور الأول (٨٠٢-٨١١م) الموزخ المصرى، العدد (٢٨) ، يناير ٢٠٠٥م، ص١٠٧ - ١٦٠ . عمر كمال توليخ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٣٩ ، حنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٣٢-١٣٣

١- نص الرسالة : «من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراء دون أن تسمعه والسلام».

عنها أنظر : الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل ، ط. القاهرة ، ج٨ ص٣٠٧-٣٠٨ ، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ط. القاهرة، ج٦ ، ص٤٥٧ ، يوسف العشي، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ط . دمشق ١٩٩٨م، ص٨١ ، إبراهيم العدوى ، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ، ط . القاهرة ١٩٥١م، ص٩٧ ، حنين ربيع، المرجع السابق، ص١٣٩

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 425 . وعن علاقات نقفور الأول مع هارون الرشيد أنظر:

محمد عبد الحفيظ المناصير ، الجيش في العصر العباسي الأول، ١٣٢-٢٢٢ هـ . ط. عمان ٢٠٠٠م، ص٤٠٥-٤١٦

حيث يقدم عرضاً مهماً لموقف هارون الرشيد من نقفور وكذلك، إيرين ودور الجيش العباسي في فرض الإرادة السياسية للعباسيين.

أيضاً: فاروق عمر فوزى، العباسيون الأوائل، ١٣٢-٣٤٧ هـ / ٧٤٩-٨١١ م. الدولة - المعارضة، ط. عمان، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٦٠٩-٦١٢

الأصل نظراً للشراء العريض لدولته . بل أنه إتخذها أداة ضغط . وإذلال لبيزنتة لا أكثر . كما تم تبادل الأسرى بين الجانبين عام ٨٠٥ م ؛ مما عكس أهمية الدبلوماسية في العلاقات بين الطرفين .

وهناك قضية على جانب كبير من الأهمية . فقد زعم أحد الباحثين الغربيين أن هناك حلفاً حدث بين هارون الرشيد في بغداد وشارلمان في آخن<sup>(١١)</sup> على أساس أن يحارب الأول البيزنطيين أعداء شارلمان وفي المقابل يقوم الأخير مهاجمة الأمويين في الأندلس وهم أعداء العباسيين . ويستدل على ذلك بالسفارات المتبادلة بين الجانبين ومهاجمة هارون الرشيد لبيزنتة وحملة شارلمان على سرقسطة عام ٧٧٨م .

إلا أن ذلك التصور لا يمكن قبوله لعدة اعتبارات<sup>(١٢)</sup> :

أولاً : لم يرد في أي مصدر تاريخي عربي ذكر لذلك التحالف المزعوم . وبالنسبة لمصادر تاريخ دولة الفرنجة ؛ لا نجد في ما ألفه إينهارد Einhard تحت عنوان Vita Caroli Magni وكذلك الحوليات المكبة Royal Chronicles ما يدل على ذلك صراحة ، ومعنى ذلك ؛ أن التصور المذكور لا يستند إلى أساس مصدري صريح لدى أحد الطرفين ، والتاريخ بصفة عامة لا يكتب إلا اعتماداً على النصوص الصريحة الواضحة التي لا تحتل تأويلات يلعب الحيال فيها دوراً أساسياً كما في حالة تلك الواقعة

Buckler , Haruml Rashid and Charles The Great, Massachussets 1931

٢- من أهم الدراسات بالعربية عن الموضوع المذكور أنظر :

مجيد خدوري، الصلات الدبلوماسية بين الرشيد وشارلمان، ط. بغداد ١٩٣٩م.

سليمان الرحبلى، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة في عهدى الخليفة هارون الرشيد والاميراطور شارلمان ، ط. الرياض ب-ت ص٢٥-٦٤

وهي دراسة مهمة على الرغم من طابع الاختصار الذى يلقب عليها

عبد الجبار الجومرد ، هارون الرشيد ، حقائق عن عهده وخلاته، ط. بيروت ١٩٩٩م، ص٣١٢-٣١٦

عبد العزيز الدورى، العصر العباسى الأول، دراسة فى التاريخ السياسى والإدارى والمالى، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص١١٨-١١٩

عبد المتعم ماجد، انعصر العباسى الأول أو القرن الذهبى فى تاريخ الخلفاء العباسيين التاريخ السياسى، ط. القاهرة ١٩٧٣م، ص٢٦٩

ثانياً : السفارات التي تم تبادلها بين الجانبين كان هدفها دبلوماسياً في المقام الأول ، والمرجع أن الخليفة العباسي السالف الذكر : أراد فتح أسواق جديدة للمنتجات العباسية الراقية في قلب أوروبا ، وكان المدخل الطبيعي لذلك يتمثل في الدولة الكارولنجية

ثالثاً : إن الهدف من وراء فكرة التحالف الموهوم أن يتم إظهار هارون الرشيد بمظهر الخليفة الذي يحركه إمبراطور أروبي ، وهو أمر مغلوط لأن من أساسيات عمل الخليفة المسلم مجاهدة الكفار ، وهو ما قام به ذلك الخليفة فعلاً تجاه بيزنطة

رابعاً لا تغفل أن كلاً من شارلمان وهارون الرشيد أحبطا بروايات مغلوطة وهو أمر نجده لدى الأول من خلال أسطورة حج شارلمان ، والثاني ما نجده في « ألف ليلة وليلة » التي عملت على تشويه سيرته وإظهاره بمظهر اللاهي العايب على الرغم من أنه كان مجاهداً ، وأول من حج من الخلفاء ، مثابياً ، ويلاحظ أن نكبه للبرامكة جعلت الفرس يسيئون إليه على نحو اتضح في ذلك العمل الأدبي السالف الذكر ، وهكذا ؛ فإن المغالطة في تاريخ هارون الرشيد أمر قديم حديث.

خلاصة القول: حارب هارون الرشيد بيزنطة كامتداد لسياسة الخلفاء الراشدين والأمويين من قبل في مواجهة تلك الإمبراطورية.

على أية حال ؛ يبقى أن نذكر عن الإمبراطور نقفور أنه حارب البلغار غير أنهم تمكنوا من هزيمته، بل قتلوه عام ٨١١م، وعملت جمجمته كوعاء لاحتساء الخمر من جانب خان البلغار<sup>(١١)</sup> الذي احتفل بانتصاره على البيزنطيين بتلك الصورة الشديدة القسوة ، مع ملاحظة ؛ أنه انتقام فردي لاجماعي ، وهو يخالف ما ستقوم به بيزنطة فيما بعد ضد البلغار على نحو خاص في عهد الأسرة المقدونية وهو ما سوف يتم التعرض له في الصفحات التالية

مههما يكن من أمر؛ كان الإمبراطور ليو الخامس الذي حكم من ٨١٣ إلى ٨٢٠م، آخر خلفاء الأيسوريين ، وفي العام الأخير؛ تكرر المشهد الرئيسي في التاريخ البيزنطي؛ ونعني به مؤامرة يقودها أحد كبار القادة العسكريين، أو ممن كانوا موضع ثقة الإمبراطور، وهكذا ؛ قام ميخائيل العموري ، وهو من أولئك القادة - بمؤامرة أدت إلى القضاء على ليو الخامس<sup>(١٢)</sup>؛

١- نعم فرح ، تاريخ أوروبا السياسي، ص ٦٤

Leo V ؛ وبالتالي الأسرة الأيسورية، وكان مجاحه في ذلك له أثره في إعلان ميلاد أسرة حاكمة جديدة لتلك الإمبراطورية.

والواقع ؛ أن نظرة متأنية لأباطرة الأسرة الأيسورية تكشف لنا عن أهمية دور الامبراطور المؤسس ليو الثالث ومن بعده ابنه قسطنطين الخامس ، أما الأباطرة الآخرين، فغالبًا ما كان دورهم محدودًا وليس من اليسير إعتبارهم من أصحاب الإنجازات البارزة في مسار تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.

وعند مقارنة الأسرة الأيسورية بأسرة جستنيان ؛ نجد بعض أوجه التشابه ، وأخرى للاختلاف؛ ويكفى أن نذكر الجانب القانوني لدى الأسترتين خاصة جستنيان كما أن كلا منهما أثار جدلاً الأول بحرب الاسترداد والثاني بمقاومته لعبادة الأيقونات . ومع ذلك ؛ فإن ليو الثالث كان أكثر نجاحًا من الناحية العسكرية - ذات الطابع الدفاعي في المقام الأول خاصة تجاه المسلمين في حالة مقارنته بالأول

من ناحية أخرى؛ من الصعب أن يكتب تاريخ الإمبراطورية البيزنطية في عهد كل من الأسترتين المذكورتين دون العلاقة المتصارعة مع الغرب الأوربي وإن كان الاختلاف الجوهرى بينهما أن أسرة جستنيان قامت بحرب استرداد طويلة ومجهدة حيال الغرب ؛ لاستعادته من أيدى الجرمان، أما الأسرة الأيسورية فيلاحظ أن سياستها تجاه الغرب لم تكن ذات بعد حربي واضح المعالم ، بل تم تنحية ذلك التوجه خاصة مع ظهور قوة عسكرية . وسياسية لها شأنها في صورة الدولة الكارولنجية خاصة بعد عام ٨٠٠م ولارب ؛ في أن شارلمان وصف بالحنكة السياسية مقارنة بالأباطرة الأيسوريين حينذاك.

ذلك عرض عن الأسرة الأيسورية؛ أما الصفحات التالية فتتناول الأسرة العمورية.

---

= حستين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٣٥ . نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسي ،

## خاصاً : الأسرة العمورية (٨٢٠-٨٦٧م) :

نتعرض في الصفحات التالية لدور الأسرة العمورية في التاريخ البيزنطي. كذلك يتم المقارنة بينها وبين الأسرات البيزنطية السابقة عليها

جدير بالإشارة : تولى حكم الأسرة العمورية ثلاثة من الأباطرة في صورة ميخائيل الثاني Michael II (٨٢٠-٨٢٩م) وثيوفيلوس Theophilus (٨٢٩-٨٤٢م) وميخائيل الثالث السكير Michael III The Drunkard (٨٤٢-٨٦٧م) ويلاحظ عن تلك الأسرة على نحو خاص : أن المؤسس حكم عشر سنوات فقط، ونعني به ميخائيل الثاني، أما ميخائيل الثالث؛ فقد استمر حكمه ربع قرن من الزمان ؛ أي أكثر من نصف مدة حكم الأسرة المذكورة التي امتد حكمها على مدى ٤٧ عاماً وتعد من أقصر الأسرات البيزنطية الحاكمة وإن وجدت أسرة أخرى تالفة حكمت مدة زمنية أقصر في القرن ١٢م، وأوائل القرن ١٣م في صورة أسرة أنجيلوس التي حكمت (١٩ عاماً) وهي التي سيتم تناولها فيما بعد .

أما فيما يتصل بالإمبراطور المؤسس ميخائيل الثاني<sup>(١)</sup> ٨٢٠-٨٢٩م: فيمكن إبراز أهم أحداث عصره على النحو التالي:

١- ميخائيل الثاني العموري : إمبراطور بيزنطي حكم خلال المرحلة بين عامي ٨٢٠-٨٢٩م وقد ولد من أبوين من أسرة متواضعة في فريجيا Phrugia . وفيما بعد التحق بالجيش البيزنطي ورافق الإمبراطور ليو الخامس . وقد ألقى القبض عليه بتهمة الخيانة وفيما بعد دبر مؤامرة للتخلص من ذلك الإمبراطور وبالفعل تم تنويجه بدلاً منه . وقد مات ميخائيل الثاني العموري في أكتوبر عام ٨٢٩م وحكم من بعده ثيوفيلوس وهو ابنه من زوجته تيلا Thecla . عنه أنظر :

Nicol, A Biographical dictionary . p. 87.

O.D.B., vol . 2, p. 1363 .

Browning, The Byzantine Empire . p. 64 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, op. 433-436 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 285-286 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 180-183 .

Dichl, History of the Byzantine Empire. p. 65, p. 67

أولاً قمع حركات المعارضة الداخلية خاصة ثورة توماس الصقلي.

ثانياً الصراع مع المسلمين بشأن جزيرتي كريت Crete ، وصقلية Sicily

وفيما يتصل بالعنصر الأول؛ تعرضت الإمبراطورية البيزنطية في عهده لثورة عارمة من جانب توماس الصقلي ، وهو نائر على الإمبراطور كان مؤيداً لعبادة الأيقونات ، وقد عارض سياسة الإمبراطورية في مجال 'الضرائب التي أثقلت كاهل السكان في آسيا الصغرى، ولاغفل؛ أن الإمبراطورية قامت بنقل أعداد كبيرة من الصقالبة إلى آسيا كنوع من التحريك الديموغرافي خدمة لمصالحها الأمنية العليا حتى يسهل عليها إخضاعهم فيما بعد وهو أمر اتبعته بيزنطة تسيماً خلال الثورات العنيفة من جانب أمم وأعراق مختلفة.

تمثلت أهمية تلك الثورة من خلال كثرة المؤيدين لها. وكذلك من خلال أن الخليفة العباسي المأمون (٨١٣-٨٣٣م) ؛ قام بتقديم المساعدات العسكرية لتوماس الصقلي ليدعمه ضد الإمبراطور البيزنطي<sup>(١)</sup>، كنوع من الضغط العسكري والسياسي على الأخير. بل إن قسماً من الأسطول البيزنطي ذاته إنضم إلى جانبه ؛ مما عكس اتساع حركته وقدرتها على اكتساب مؤيدين تقليديين ضد الجالس على العرش البيزنطي سواء في داخل بيزنطة أو في خارجها، بل وصل الأمر به أن تم تنصيب توماس الصقلي إمبراطوراً من جانب بطريق أنطاكية وتمكن من محاصرة القسطنطينية براً، وبحراً في عام ٨٢١م، ولكن مجهوداته في ذلك المجال لم تكفل بالنجاح ، وذلك لعدة أسباب يمكن إجمالها في الآتي :

١- عن حركة توماس الصقلي أنظر:

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 274-275 .

Ostrogsky , History of the Byzantine State, p. 181-182 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 87

محمد عثمان عبد الجليل ، ثورة توماس الصقلي في الإمبراطورية البيزنطية (٨٢١- ٨٢٣م) / ٢٠٥-٢٠٧هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٢م

فازيليف ، العرب والروم، ص٢٨- ٥١ ، حيث يقدم عرضاً متوازناً نعيم لرح ، تاريخ بيزنطة السياسي، ص٢٣١- ٢٣٤ ، حنين زبيح ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ص١٤٠- ١٤٢ نادية حسني سفر ، السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول دراسة تحليلية لعهد الخليفة الراتب بالله، ط. مكة المكرمة ١٩٨٥م. ص٨٣- ٨٤ ، الدراسة المذكورة له أحد فيها تحليلاً بالمعنى الأكاديمي للكلمة ، ويغلب عليها المنهج السردى الوصفي

أولاً : إستماتة الإمبراطور ميخائيل الثاني العموري؛ فى الدفاع عن العاصمة البيزنطية ضد تلك الثورة العنيفة ، وأيده فى ذلك ابنه ثيوفيلوس، ولارب ؛ فى أن قطاعات واسعة من الشعب البيزنطى وقفت مزيدة لها ضد ذلك الثائر ، وقد استمر الحصار عدة شهور دون جدوى لعبت فيه - مرة أخرى- حصانة العاصمة الدور الفعال

ثانياً : جلب تحالف توماس الصقلبي مع المأمون العباسى تأثيراً سلبياً عليه ؛ إذ انصرف عنه الكثيرون نظراً لتعاونه مع المسلمين الذين مثلوا العدو التقليدى لبيزنطه .

تجدر الإشارة ؛ تمكن الامبراطور ميخائيل الثاني العمورى من القضاء على حركة توماس الصقلبي عام ٨٢٣م وذلك بعد أن أجهدت الإمبراطورية البيزنطية، وبالتالي تمكن من توطيد أركان حكمه بعد أن أفشل التحالف العباسى مع ذلك المتصرد

أما فيما يتصل بالمواجهة مع المسلمين فى شأن جزيرتى كريت وصقلية ؛ نلاحظ أن الصراع بين الجانبين انتقل من جبهة الحدود البرية بينهما فى آسيا الصغرى ليشمل جزر البحر المتوسط، ويلاحظ أن المسلمين أرادوا إلى جانب زاوية الجهاد وضع أيديهم على مثل تلك الجزر التى تمر بها خطوط التجارة العالمية بين الشرق والغرب عبر البحر المتوسط كذلك أرادوا جعلها نقطة إنطلاق إلى مناطق أبعد من أملاك الدولة البيزنطية فى الأدرياتيك والبلقان

وفيسا يتصل بجزيرة كريت؛ يلاحظ أن ثورة نشبت فى قرطبه بالأندلس ضد الأمير الأموى الحكم الأول الذى عرف فيما بعد بالحكم الرضى<sup>(١)</sup> (٧٩٦-٨٢٢م) وعندما أخفقت؛ عاقب الشوار بأن أمر بطردهم من الأندلس ، فأتجهوا صوب مصر ومجديداً الاسكندرية، واستولوا عليها، واستغلوا فى ذلك الحرب الأهلية التى جرت بين الأمين والمأمون ابنى هارون الرشيد فى بغداد وعندما توطدت الأمور للمأمون؛ عمل على التخلص منهم بأن طلب منهم مغادرة المدينة

١- عن ذلك أنظر:

مجهول ، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، ص١١٨- ١١٩ ، محمد أبو الفضل ، قضاة ثوار فى الأندلس ، نودة التاريخ الإسلامى والوسط ، م (٣) ، عام ١٩٨٥م ، ص٢٦٧-٢٦٨

محمد خالد المومنى ، الفقهاء ، وثورة أهل الرضى فى الأندلس (١٨٠-٢٠٦ هـ / ٧٩٦-٨٢١م) رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - الجامعة الأردنية عمان ١٩٩٥م.



وبالفعل اتجهوا صوب جزيرة كريت وتمكنوا من إخضاعها عام ٨٢٧م بقيادة أبي حفص عمر بن عيسى البلوطي<sup>(١١)</sup>، وبذلك أمكن إخضاع جزيرة أخرى من جزر البحر المتوسط للسيادة الإسلامية وحرمت بيزنطة من نقطة ارتكاز عسكري دفاعية وهجومية بالإضافة إلى أهميتها في طرق التجارة كما أسلفت القول، واستمر الوجود الإسلامي فيها إلى أن تمكنت بيزنطة من استردادها خلال القرن العاشر الميلادي خلال عهد الأسرة المقدونية أما صقلية Sicily؛ ذات الموقع الاستراتيجي المتميز في جنوبي شبه الجزيرة الإيطالية وفي مقابل تونس، فقد حدث فيها صراع بين اثنين من القادة البيزنطيين في صورة قائد الأسطول البيزنطي . ويدعى يوفيميوس Euphemius . وقسطنطين Constantine<sup>(١٢)</sup> الذي كان واليا من جانب الامبراطور على صقلية وعلى إثر ذلك ؛ طلب الأول مساعدة المسلمين في صورة دولة الأغالبة<sup>(١٣)</sup> التي

١- عن ذلك انظر

أسمت غنيم . الدولة البيزنطية وكريت الإسلامية، ص٣١-٩٢ ، ابراهيم العدوي، «تاريخ المسلمين والبيزنطيين في القرن التاسع الميلادي» المجلة التاريخية المصرية ، م (٣) العدد (٢) أكتوبر ١٩٥٠م، ص٥٣-٦٨ فازيليف ، العرب والروم، ص٥٨-٦١  
Brooks, " The Arab occupation of Crete ", A.H.R., vol . XXVIII, 1913, pp. 431-443

محمد الهشري والسيد أبو الفتح وعلى اسماعيل موسى، انتشار الإسلام في أوروبا . ط. الرياض

١٩٩٧م، ص١٨٨

٢- ولي الإمبراطور ميخائيل الثاني على صقلية رجلاً يدعى قسطنطين وقد دب نزاع بينه وبين قائد الأسطول البيزنطي أيوفيميوس Euphemius وكان قد سبق له الإغارة على شمالي أفريقيا عدة مرات . وذكر البعض أن أيوفيميوس أحب راحة اسمها هومونيزا Homoniza وتزوجها كرهاً عنها فعاقبه الامبراطور عن ذلك بأن طلب من واليه جدد أنفه ؛ فتمرد عليه وقام باحتلال سرلسطة . وتمكن من هزيمة قسطنطين وأسره ثم أعدمه عن ذلك انظر: محمود اسماعيل . الأغالبة ١٨٤-٢٩٦هـ سياستهم الحارجية . ط. القاهرة ٢٠٠٠م، عزيز أحمد . تاريخ صقلية الإسلامية . ت أمين توفيق الطيبى . ص١٤٨-١٤٩ . ط. بيروت ١٩٨٠م، ص١٣ . تركي مسير العتبي، الحياة الاقتصادية والانتصافية في صقلية الإسلامية، ط. الرياض ١٩٨٧م، ص١٢ . ميكيلي أماري . تاريخ مسلمي صقلية ت. محب سعد ابراهيم، م ١ . ط. فلورنسا ٢٠٠٣م، ص٣٠٩ . وأورد الإضاءة بالجهد البارز الذي بذله المترجم المصري البارز في مجال اللغة الإيطالية أ.د. محب سعد ابراهيم بكلية الألسن جامعة عين شمس

٣- عن دولة الأغالبة انظر:-

أقامها الخليفة هارون الرشيد كى تكون بمثابة دولة حاجزة Buffer State بين الأملاك العباسية فى بلاد المغرب ودول الخوارج الصفرية والإباضية هناك.

الأمر المؤكد أن هناك عدة دوافع دفعت بالمسلمين للتدخل فى ذلك الصراع البيزنطى، إذ أن الموقع السالف الذكر لتلك الجزيرة من شأنه تدعيم أقدامهم فى القارة الأوروبية من طرفها الجنوبى، بعد أن تمكنوا من دخولها من غربها فى صورة شبه الجزيرة الأيبيرية من قبل وعجزوا عن دخولها من بوابتها الشرقية فى صورة القسطنطينية كذلك لانغفل رغبة المسلمين الصادقة فى الجهاد وإبلاغ رسالة الإسلام إلى تلك المنطقة، ولانغفل أنهم أدركوا كذلك أن إخضاع صقلية من شأنه تأمين وجودهم فى المغرب الأدنى على الأقل، وكذلك اتخاذها قاعدة إنطلاق لما هو أبعد من مناطق السيادة البيزنطية وفرض سيطرة المسلمين عليها خاصة فى مجال الأدرياتيكى.

مهما يكن من أمر؛ قامت حملة بقيادة أسد بن الفرات واستطاع المسلمون فى نهاية المطاف إخضاع صقلية عام ٨٣١م<sup>(١)</sup> محققين بذلك إنتصاراً بارزاً على الدولة البيزنطية، ومن المهم هنا إدراك، أن الصراع بينهم وبين تلك الأخيرة على جزر البحر المتوسط مثل قبرص ورودس وكريت ومالطة وصقلية لاينفصل البتة عن الصراع فى بلاد الشام ومصر من قبل فى عهد الأسرة الهرقلية لأن تلك الجزر بدون إخضاعها لسيادتهم لظلت مراكز هجوم بيزنطى ضد المناطق التى سيطروا عليها فى السواحل الشرقية والجنوبية من البحر المتوسط.

= ابن وردان، تاريخ الأغالبية، محقق محمد زينهم، ط. القاهرة ١٩٨٨م. محمد الطالى، الدولة الأغالبية ٢٩٦-١٨٤ / ٩٥٩-٨٠٠، التاريخ السياسى، ت. المنجى الصادى، ط. بيروت ١٩٨٥م.

وتعد الدراسة المذكورة أوفى وأشمل دراسة بالعربية عن الدولة الأغالبية اعتمدت على المصادر والمراجع المتعددة ووقعت فى (٨٥٥) صفحة من القطع المتوسط، وحدير بالذكر أن قائمة المصادر والمراجع امتدت لتشمل الصفحات من ص٧٦٥- إلى ص٧٨٧ وامتازت بالتحليل والنقاش، ناهيك عن سلاسة العرض، واعتمد فى تأليفها الموزح التونسي البارز على مؤلفات بالعربية والانجليزية والفرنسية؛ والألمانية، وفى النهاية فإن الكتاب المذكور، بلا أدنى شك، يعد مفخرة لجهود المؤرخين التونسيين المحدثين.

١- عن ذلك انظر: ابن عذارى، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب تحقيق كولان وليقى بروئسسال، ط. بيروت ١٩٤٨م، ص١٠٢- ١٠٦، إحسان عباس، العرب فى صقلية، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص٣٢-٣٩، فازيليف، العرب والروم، ص٦٢-٨٤

تجدر الإشارة ؛ أن المسلمين ظلوا فى جزيرة صقلية إلى أن قدم إليهم النورمان وتمكنوا من إخضاعها عام ١٠٩١م وقد تمكنوا بالفعل من هزيمة المسلمين عسكرياً وسياسياً إلا أن التأثير الذى تركه المسلمون فى تلك الجزيرة يكشف على نحو واضح أنهم تفوقوا عليهم حضارياً ، وهو أمر اعترف به المنصفون من المستشرقين الإيطاليين<sup>(١١)</sup> مثل أمارى Amari ، وجابريلى Gabrieli ، وغيرها

ومن الأهمية هنا الاقرار بحقيقة أولية ، وهى أن صقلية وجنوبى إيطاليا ، ومن قبل الأندلس ، ومن بعد بلاد الشام عصر الحروب الصليبية غدت بمثابة المعابر الثلاثة للحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى إلى أوروبا ، وهى حضارة توصف بأنها عالية المنبع عالمية المصب تتلمذت على أيدي أعلامها أوروبا

وهكذا شهد عصر ميخائيل الثانى العمورى تمكنه من القضاء على حركة توماس الصقلية ، وكذلك افتقاد الامبراطورية لكل من جزيرتى كريت وصقلية؛ وبالتالي صارت هناك عدة جزر تحت سيادتهم السياسية وهى قبرص ، وأرواد ، ورودى ، وكريت ، وصقلية ، مع ملاحظة أن الجزيرة الأخيرة احتلت أهمية استراتيجية خاصة نظراً لموقعها الجغرافى المتميز مقارنة بالجزر الأربعة الأولى ، مع ملاحظة أن القضية ليس مرقع جغرافى متميز بل أستغلاله من جانب المسلمين لتحقيق مكاسب عسكرية وسياسية. من بعد ذلك ؛ تولى العرش البيزنطى الإمبراطور ثيوفيلوس Theophilos (٨٢٩-٨٤٢م) وخلال عهده ثار ضده ثائر يدعى بابك الحرصى ، ووجدت الامبراطورية البيزنطية ممثلة فى ثيوفيلوس الفرصة سانحة للتدخل لدعمه ودأ على سياسة الخليفة المأمون عندما وقف إلى جانب توماس الصقلية ، كما ذكرت من

#### ١- عن الاستشراق الإيطالى بصفة عامة أنظر

- نجيب العقبى، المستشرقون ، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ج١، ص٤٠٥-٤٦٧ كارولين جولر . مستشرقو المدرسة الإيطالية ت رانيا قرداحى . ط. دمشق ٢٠٠٥م، ص٢٥-١٧١  
يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والاستشراق فى أوروبا حتى بداية القرن العشرين  
ت- عمر لطفى العالم، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ص٤٥-٨٩  
ميشيل جعنا، الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا ، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص٨٣-١٠٧ أنور الزناتى. زيارة جديدة للاستشراق ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص٢٦٤-٢٦٥

قبل ، وقد سمح ذلك الامبراطور بإيواء نحو ١٥٠٠٠ من اتباع بابك في داخل مناطق الامبراطورية واستنكهم في مناطق الحدود مع المسلمين ، مما عكس أن تغيرات ديموغرافية حدثت حينذاك من جراء الصراع العباسي - البيزنطي.

من ناحية أخرى؛ عمل ثيوفيلوس على استغلال الموقف لصالحه فبادر بمهاجمة بعض المدن الحدودية مثل زبطرة Zapetra التي استولى عليها عام ٨٣٧م، ومن التصور أنه كان يريد اختبار قوة المعتصم ورد فعله خاصة أن دخول البيزنطيين لزبطرة صاحبه عمليات وحشية مثل تسميل العيون، وجذع الأثرف والسبي وغيرها

لم يكن من الممكن للمعتصم أن يقف مكتوف اليدين أمام ما حدث . وقد بادر بإرسال قائده البارغ الأفشين إلى البيزنطيين وبالفعل تمكن من إلحاق الهزيمة بهم في معركة دازيمون Dazimon في ٢٢ يوليو ٨٣٨م وتمكن على أثره من دخول أنقرة Ankara ، ومن بعد ذلك بادر بالهجوم على عمورية Amorium التي منها قدمت الأسرة البيزنطية الحاكمة ، وتمكن من الاستيلاء عليها، وبالتالي وجه لظمة قوية لهيبة الامبراطورية ، ومع ذلك ؛ فالأمر المؤكد أن

---

١- ثيوفيلوس العموري، هو الامبراطور الثاني من أفراد الأسرة العمورية . وقد أظهر ميلاً نحو العلم وقد تلقى تعليمه على يدي العالم بروحا السابع الجراماتيكي . وبصفة عامة ؛ يوصف بأنه من أولئك الذين عملوا على إحياء نهضة علمية في الإمبراطورية البيزنطية، وقد توفي عام ٨٤٢م. عنه أنظر:

Nicol , A Biographical Dictionary , p. 128-129 .

محمد محمد مرسى الشيخ ، سياسة الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس تجاه الخلافة العباسية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض ، العدد (١٣) ، عام ١٩٧٩م.

٢- عن حركة بابك الحرمي أنظر:

مغلطاي، مختصر تاريخ الخلفاء ، بتحقيق أسيا كليان على البارح ، ط القاهرة ١-٧-٢٠٠١م، ص١١٩، عبد المنعم ماجد ، العصر العباسي الأول، ص٣٩٩-٤٠٦ ، محمد السيد الركيل، العصر الذهبي للدولة العباسية دراسة وصفية وتحليلية لتلك الدولة، ط. دمشق ١٩٩٨م، ص٤٢٩-٤٣٢

٣- محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٦٦

٤- نفسه، ص١٧٧

٥- عن فتح عمورية أنظر: =

ذلك الخليفة العباسي لم يكن يضع القلب البيزنطي في تصوراته الحربية ؛ إذ أراد فقط القيام بعمل عسكري ضد بيزنطة لإشعار إمبراطورها بأن العباسيين ما وهنوا وأن في مقدورهم الضغط الحربي والسياسي على أباطرة القسطنطينية ، والمنطق التاريخي بدعونا إلى التصور أن محنة الأمويين السابقة عام ٧١٧-٧١٨م كانت لاتزال ماثلة لدى العباسيين ، ولم يكن في الإمكان تكرار الأمر جريئاً وراء شعارات جوفاء لاطائل من ورائها ؛ مما يجعلنا نصف ذلك الخليفة بالحكمة في مواجهاته لبيزنطة .

أما آخر أباطرة الأسرة العمورية فهو ميخائيل الثالث الملقب بالسكير<sup>(١)</sup> الذي حكم من عام ٨٤ إلى ٨٦م ، وقد تولت الوصاية عليه أمه ثيودورا وأهم أحداث عصره حدوث تبادل

محمد محمد مرسي الشيخ . تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٥٩- ١٦٧ ، أبوتام ، ديوان أبوتام ، ط. بيروت ب-ت ، ص ١٥ ، فازيليف ، العرب والروم ، ص ١٣٠- ١٥٣  
ومما يذكر في هذا الصدد ؛ أن الشاعر البارز أبوتام نظم قصيدة من عيون الشعر العربي مجد فيها ذلك الفتح وقال فيها

السيف أصدق أنباء من الكتب	في حده الحد بين الحد واللعب
بيض الصفائح لا سord الصحائف في	متوتهنن جلاء الشك والريب
والعلم نور شهب الأمصاح لامعة	بين الحميين لا في السبعة الشهب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت	عنك التي حفلاً معسولة الحلب

أبوتام ، ديوان أبوتام ، ط. بيروت ب-ت ، ص ١٥

١- ميخائيل الثالث السكير ؛ مات والده في يناير عام ٨٤٢م ، وكان في الثانية من عمره فقامت أمه ثيودورا بأمر الوصاية عليه وعازنها مجلس على رأسه عشيقها الوزير ثيوكتيستوس Theoktistos ولم يستطع ميخائيل حتى عام ٨٨٦م تكبيد سلطته الإمبراطورية ويزاولها حتى تمكن من التخلص من ثيوكتيستوس وجعل بدلاً منه بردس ، وبعد العام المذكور بمثابة البداية الفعلية لعهد ميخائيل الثالث. ويقرر دونالد نيكول أن وصفه بالسكير ليس مرضعياً ، وربما مارس سلوك الشباب العابت اللاهي غير أنه في عهده بدأت طلائع النهضة التي شهدتها الأسرة المقدونية ، وقد توفي في سبتمبر عام ٨٦٧م ، عنه أنظر

Nicol. A Biographical dictionary , p. 87-88

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society , pp. 450-455

O.D.B., vol . II , p. 1364 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 272 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 187 , pp. 197-206 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp. 70 - 71

للأسرى مع المسلمين عام ٨٤٥م<sup>(١)</sup>؛ مما عكس إدراك الطرفين لأهمية الدبلوماسية من أجل تقليل حدة الصراع الحربي والسياسي بين القسطنطينية وسامراء مؤقّتاً

يبقى أن نشير إلى حادثة محورية في تاريخ الأسرة العمورية، وفي تاريخ العلاقات البيزنطية - اللاتينية في صورة- النزاع بين أسقف القسطنطينية فوشيسوس<sup>(٢)</sup> Photius (٨٥٨-٩٦٧م) أسقف وكنيسة روما على بعض الجوانب العقائدية، وكذلك التنافس التقليدي بين الكنيستين، وقد عقد فوشيسوس، مجلساً كنسياً عام ٨٦٧م، أعلن فيه اختلاعه عن كنيسة روما<sup>(٣)</sup> ولذلك لم يجد إلا اللعنات من المصادر التاريخية اللاتينية المعاصرة.

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٣١

٢- انتهى فوشيسوس إلى إحدى الأسرات البيزنطية الأرستقراطية، وقد نال نصيباً وافراً من مختلف العلوم والمعارف إلى حد أن وصف بأنه كان أشبه بمنازة معارف، وقد عين عام ٨٥٨م بطريركاً خلفاً لأغناطيوس وفيما بعد ترتب على تغير الأباطرة عام ٨٦٧م؛ أن تم خلع فوشيسوس. ولكن أعاده باسل الأول إلى منصبه، ثم عقد مجمعاً في العاصمة البيزنطية، عام ٨٧٦م وصدور قرار بنفيه عام ٨٩٣م، ومن المعروف أن فوشيسوس كتب مقالاً بعنوان De Spiritu Mystagogia، هاجم فيه ما أسماه بانحراف قانون الإيمان عند اللاتين بسبب إضافة كلمته Filioque «الروح القدس المنشق من الابن أيضاً» كما يعتقد فريق من المسيحيين وقد اعتقد أن تلك الإضافة تعد إنحرافاً عما اتفق عليه آباء الكنيسة الأوائل، ويلاحظ أن الكنيسة الأرثوذكسية تعدّه قدسياً. عنه وعن مؤلفاته أنظر:

Photius, The Homilies of Photius Patriarch of Constantinople, Trans. by Cyril Mango, D.O.S., 3 Cambridge 1958.

Nicol, A Biographical dictionary, p. 106-107.

وعنه أنظر دراسة هرجنروتر الموسعة:

Hergenrother, Photius Patriarch von Konstantinopel, Seine Leben, Seine Schriften und das griechische Schisma, 3 vols, Regensburg 1867 - 1869.

وإسحق عبيد، روما وبيزنطة، ص ١١

أسد رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ط. بيروت ١٩٨٨م، ج ٢، ص ١٢٨-١٣٠.

٣- وعن طبعة فوشيسوس بصفة عامة أنظر:

Dvornik, The Photian Schism, History and Legend Cambridge 1948

عبد الرحمن عبد الغنى، «فوشيسوس والطبعة بين كنيستي روما والقسطنطينية في القرن التاسع الميلادي»، عالم الفكر، العدد (٣) أكتوبر - ديسمبر ١٩٨٦م، ص ٢٠٥-٢٣٤

لانغفل هنا؛ الإشارة إلى أن العلاقات بين كنيسة القسطنطينية وروما مرت بقطعتين الأولى قطعة فوشيسوس السالفة الذكر، ثم الإنشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م، وعلى أرضية القطعتين المذكورتين؛ حدثت كارثة عام ١٢٠٤م ويلاحظ أن كافة محاولات التوفيق بين الكنيستين ذهبت أدراج الرياح وتحمل الطرفان المسئولية في ذلك المجال، مع عدم إغفال سطوة وسيطرة كنيسة روما التي لم تكن لتقبل إلا خضوع الكنيسة الأرثوذكسية لهيمنتها على اعتبار أن القديس بطرس St. Peter<sup>(١١)</sup> رأس الحواريين هو الذي أسسها.

وهناك حدث مهم كان له أثره على مسار التاريخ البيزنطي فيما بعد في صورة مهاجمة الروس للقسطنطينية وسلبها، ونهبها، وذلك في عام ٨٦٠م، وقد اغتصموا فرصة وجود الإمبراطور ميخائيل الثالث خارج العاصمة وقاموا بمهاجمتها، وأدى ذلك إلى 'الفتك بالكثيرين من البيزنطيين'<sup>(١٢)</sup>.

١- القديس بطرس St. Peter؛ رأس الحواريين. كان في الأصل صياداً للسمك في بحيرة طبرية التي عرفت ببحر الجليل، وبعد أخا للقديس أنترو St. Antrow، وفي الأصل دعى سمعان بن يونه، غير أن السيد المسيح عليه السلام أطلق عليه اللقب الأرامي Kapha الذي يعنى Petrus أو الصخرة Rock وهو ما عرف به. ويعطى العهد الجديد للقديس بطرس مكانة بارزة من بين الحواريين، ويتضح ذلك بجملا من خلال مطالعة نصوص إنجيل متى. إذ أن السيد المسيح عليه السلام يقول مخاطباً بطرس «أنا أقول لك أيضاً أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات». وقد تمت الاستفادة من تلك العبارات إلى حد كبير من أجل دعم مكانة كنيسة روما، وتفرقتها على غيرها من الكنائس، عن ذلك انظر:

منى، الإصحاح (١٦)، ص ١٨-٢٠

إسحق عبيد، الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص ١٧٢-١٧٣  
شارل جنينبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ت. عبد الملهم محمود، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٦٧. بول بوبار، الفاتكان عاصمتها الكنكلكة في العالم، ت. انطوان الهاشم، ج. ١، بيروت ١٩٩٦م، ص ١٤  
Attwater . The Penguin dictionary of Saints, p. 273-274

٢- عن ذلك أنظر: Photius . The Homilies, Trans. by Cyril Mango, Harvard 1958 , pp. 82- 95 .

Jenkins, The Supposed Russian attack on Constantinople in 907 ", S., 1949 , pp. 403-409

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p . 202-203

Vasiliev . History of the Byzantine Empire, p. 277- 278

جدير بالإشارة ؛ أن الإمبراطورية البيزنطية بصفة عام عندما كانت لاتتمكن من مواجهة عدو أوربي قريب من حدودها الجغرافية على الصعيد العسكري؛ عندئذ كان عليها التفكير في وسيلة أكثر نجاحاً واستمرارية وتؤكد على مدى القرون في صورة التنصير ، وبالتالي يتم تحويل الأعداء المجاورين إلى حلفاء يربطهم معاً رباط الدين وبالتالي المصالح المشتركة على كافة المستويات مع عدم إغفال أهمية الجانب الديني في عالم العصور الوسطى؛ حيث تعاطف شأن الظاهرة الدينية .

وهكذا ؛ اتجهت بيزنطة إلى السعى إلى تنصير العناصر السلافية في مورافيا ، ويتطلب الأمر تسليط الأضواء على دولتهم لإدراك حجم الإنجاز البيزنطي هناك .

جدير بالإشارة ؛ شهد القرن التاسع الميلادي نشوء دولة للسلاف الغربيين التي اشتملت على تشيكيا ، وسلوفاكيا ، ومورافيا<sup>(١)</sup> ، وكذلك بعض المناطق السلافية المجاورة ، وأطلق على تلك الدولة اسم «الدولة المارافية العظمى» ، وقد شهدت ازدهاراً خلال عهد أميرها روستيسلاف Rastislav (٨٤٦-٨٧٠م) وما يذكر عنه تصارعه مع الألمان؛ من أجل الحفاظ على استقلالية دولته<sup>(٢)</sup> ، ويلاحظ أن السلاف الغربيين انصفوا بالوثنية ووجد الملوك الألمان الفرصة سانحة من أجل تنصيرهم ويصبحوا بالتالي تابعين للكنيسة الألمانية الكاثوليكية التابعة بدورها للكنيسة روما<sup>(٣)</sup> .

---

= طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي ٩٤٥-١٠٥٤ م ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٣ ، محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٣٢

١- مورافيا Moravia، وتسمى أيضاً Great Megale . وهي دولة شهيرة في بانونيا في وقت مبكر من القرن التاسع م. ووصلت إلى ذروة توسعها ونفوذها في عهد الأمير راستيسلاف Rastislav وسجاتوبلوك Svjatopluk . وقد اكتشفت علماً الأثار بقايا كنائس تعود إلى القرن التاسع الميلادي وبعضها ذات طراز معماري بيزنطي، وقد كان الموارفيون وثنيين إلى أن اعتنقوا المسيحية فيما بعد في القرن التاسع م.

عنها أنظر: Constantine Porphyrogenius, De Administrando Imperio, p. 181 .  
O.D.B., vol II, p. 1409 .

٢- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص٢٢٥

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , p. 203 .

٣- نعيم فرح ، المرجع السابق، ص٢٢٥



مهما يكن من أمر ؛ هناك من يقرر : أن روستيسلاف سعى إلى مواجهة المخططات الألمانية بالاتجاه إلى تأسيس كنيسة سلاقيه مورافية تتمتع بالاستقلال عن الكنيسة الألمانية الكاثوليكية<sup>(١١)</sup>، واتجه بصره صوب الإمبراطورية البيزنطية ، وطالبها بأن ترسل إلى بلاده منصرين يعرفون اللغة السلافية ، وقد هدف من وراء ذلك أن يجد في المستقبل الدعم البيزنطي في مواجهة الألمان وكذلك البلغار الذين ناصبوه العدا ، بالإضافة إلى دعم العلاقات التجارية بين حكام مورافيا ، والقسطنطينية . ولذلك بادر بإرسال سفارة دبلوماسية إلى العاصمة البيزنطية عام ٨٦٣م<sup>(١٢)</sup> ، ومن بعدها ؛ بادرت الامبراطورية بإرسال بعثة تنصيرية يرأسها قسطنطين الحكيم Constantine The Philosopher الذي لقب فيما بعد كيريلوس وكذلك ميشوذبوس<sup>(١٣)</sup> ، وتم ترجمة الانجيل من اليونانية إلى السلافية في خطوة كشفت عن حرص بيزنطة على توسيع نطاق الارثوذكسية وأن الأمر لم يكن يتم بصورة عشوائية ، بل من خلال تخطيط علمي دقيق ، كما تم ترجمة بعض الكتب والصلوات الدينية إلى السلافية<sup>(١٤)</sup> .

وفي تقديري؛ أن اتجاه السلاف الغربيين صوب بيزنطة قد لقي قبولاً من الامبراطورية البيزنطية التي احتاجت إلى حليف قوى جدير يرتبط بها برباط وثيق ، ويمكنها من أن تجد دعماً في المستقبل عندما تتعرض لخطر من جانب الروس وغيرهم من القوى المناوئة لها سياسياً ، ومن الممكن القول ؛ أن عهد الأسرة العمورية شهد تنصير السلاف الغربيين ، ومن بعد ذلك ؛ في عهد الأسرة المقدونية سيتم تنصير الروس على نحو مثل نجاحات متعددة للإمبراطورية

١- نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسي ، ص ٢٢٥

٢- نفسه ، ص ٢٢٦

أنظر أيضاً: محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٣٢

٣- عن ذلك أنظر:

(Ostrogorsky, History of the Byzantine State , p. 202-203

Diehl, History of Byzantine Empire, p. 69 .

وسام عبد العزيز فرج ، السلاف Slavs في شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد

سيادتها ، ص ١٧٦

٤- نعيم فرح، المرجع السابق، ص ٢٢٦

٥- وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص ١٧٧

البيزنطية ، ومثل الأمر؛ ضربات متلاحقة في مواجهة كنيسة روما الكاثوليكية التي كانت تنظر نظرة عداوة لأية توسعات أرثوذكسية على حساب سيادتها الكاثوليكية

مهما يكن من أمر؛ إذ نحينا جانباً كافة الأحداث السالف الذكر؛ نجد أن الحيانة كانت لها القدر العلى في تحديد مصير الأسرة العمورية ؛ إذ قام قائد عسكري يدعى بازل بقتل الامبراطور ميخائيل الثالث عام ٨٦٧م ليؤسس أسرة جديدة هي التي عرفت في التاريخ باسم الأسرة المقدونية ، وذلك يدل على أن تاريخ تلك الأسرة بدأ بالحيانة وانتهى بها «وتلك مفارقة تحتاج إلى التأمل .

ذلك أمر الأسرة العمورية ، تاريخ قصير شهد الصراع العنيف مع توماس الصقلي ، واقتتاد الامبراطورية جزيرتي كريت ، وصقلية، والهجوم الروسي الدموي على القسطنطينية التي لم يتمكن المسلمون من اقتحامها من قبل عام ٧١٧م ، ولكن تم اختراقه بعد ذلك من جانب الروس بقرن ونصف ، كما حدث عام ٨٦٧م والسياسة التنصيرية تجاه السلاف الغربيين ، ثم النهاية التقليدية الغالبة لعدد وافر من الأسرات البيزنطية من خلال الحيانة أو الغدر دون تحامل على التاريخ البيزنطي الذي يعد متحفاً حياً لكافة الطابع والغرائز البشرية بإيجابياتها وسلبياتها مثل أية حقبة تاريخية أخرى.

والواقع ؛ أن الأسرة العمورية تقع في موقع متوسط فيما بين أسرتين حاکمتين كبيرتين في صورة الأسرة الأيسورية من ناحية والأسرة المقدونية الأيسورية من ناحية أخرى .

وإذا حاولنا المقارنة بين الأسرة العمورية والهرقلية يتضح لنا من خلالها ؛ أن الامبراطورية في عهد الأسرة الأولى فقدت أقاليم مهمة كانت تابعة لها في صورة بلاد الشام ومصر مع ملاحظة أن الإقليم الأول كان يعنى لها- إلى جانب أهمية الاقتصادية- أهمية خاصة دينية من خلال وجود الأماكن المقدسة المسيحية فيه وارتباط الحج بها ، أما في عهد الأسرة العمورية؛ فالملاحظ أن الإمبراطورية فقدت مناطق ليست لها الصفة الدينية في صورة جزيرتي كريت، وصقلية، وإن امتلكت أهمية استراتيجية عسكرية ووقعت على خطوط التجارة في عالم البحر المتوسط.

ولانغفل أنها ستتمكن فيما بعد من إستعادة الجزيرتين المذكورتين خلال حكم الأسرة المقدونية أما الاقليمية المذكورتين فقد ظلا تحت السيادة الاسلامية ولم تتمكن الإمبراطورية البتة من إعادة عقارب الساعة إلى الوراء ، باستعادتهما .

أما إذا ما قارنا بين الأسترتين العمورية والأيسورية ؛ نجد أن الأولى تولى الحكم فيها ثلاثة أباطرة، أما الثانية فقد احتوت على خمسة أباطرة وإذا أضفنا خلفاءهم صاروا تسعة ومع ذلك؛ لا نجد من بين الأباطرة العموريين من يصل إلى دور الامبراطور ليو الثالث الأيسورى عسكرياً وقانونياً وذلك من وجهة النظر البيزنطية بطبيعة الحال، كذلك نلاحظ أن قوة المسلمين فى بداية عهد الأيسوريين جعلتهم يتهددون القلب البيزنطى، أما فى عهد العموريين فقد صاروا يتهددون الأطراف الجزرية فقط نظراً لتغير الظروف السياسية والاستراتيجية لدى كل من الخلافتين الأموية والعباسية .

من جهة أخرى ؛ لم يحدث فى عهد الأسرة الأيسورية حركة مضادة ومعارضة فى حجم حركة توماس الصقلي خاصة أنها دعمت من جانب الخلافة الاسلامية ، مع ملاحظة أن المعارضة تمثلت فى عناصر مزيدى عبادة الأيقونات أى فى صورة غير عسكرية كما فى حالة المتمرد المذكور.

ولانغفل كذلك؛ أن الأسرة العمورية لم نجد فيها اهتماماً بالجانب القانونى؛ وهو أمر لاحظناه بجلاء فى عهد ليو الثالث الأيسورى

من زاوية أخرى؛ هناك عناصر إتفاق بين الأسترتين المذكورتين، إذ إن كلا منها واجه عدواً بارزاً فى صورة المسلمين مع اختلاف درجة فعالياته ، كذلك نلاحظ أن العداء مع الغرب الأوروبى سار خطوات واسعة فى عهديهما من خلال النزاع على عبادة الأيقونات ، ثم قطيعة قوشبوس ، ويلاحظ أن الهوة أخذت فى الاتساع التدريجى بين الجانبين منذ ذلك الحين.

بصفة عامة؛ تعد الأسرة العمورية بمثابة الجسر بين أسترتين بارزتين فى العصر البيزنطى الأوسط فى صورة الأسرة الأيسورية ومن بعدها المقدونية

ذلك عرض عن الأسرة العمورية ؛ أما الصفحات التالية فتتناول الأسرة المقدونية

## سادساً : الأسرة المقدونية (٨٦٧-١٠٥٧م)

تناول الصفحات التالية بالعرض : عهد الأسرة المقدونية التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية على مدى مرحلة زمنية طويلة امتدت من النصف الثاني من القرن التاسع إلى ما زاد على منتصف القرن الحادى عشر الميلاديين: أى ما فاق قرنين من الزمان .

لقد حكم فى تلك الأسرة عدد كبير من الأباطرة فى صورة : باسل الأول Basil I (٨٦٧-٨٨٦م) ، وليو السادس (الحكيم) Leo VI the philosopher (٨٨٦-٩١٢م) الكسندر Alexander (٩١٢-٩١٣م) ، قسطنطين السابع بورفيروجيتس Constantine VII Porpherogenitus (٩١٣-٩٥٩م) ، رومانوس الثانى Romanus II (٩٥٩-٩١٢م) ، ونقفور فوقاس Nicephor Phocas (٩٦٣-٩٦٩م) ، يوحنا الأول تزيمسكس John I Izi-misks (٩٦٩-٩٧٦م) ، باسل الثانى (قصاب البلغار) Basil II Bulgaroctonos (٩٧٦-٩٧٦م) ، قسطنطين الثامن Constantine VIII (١٠٢٥-١٠٢٨م) ، زوى Zoe (٩٧٦-١٠٢٨م) ، وقد شاركها فى الحكم أزواجها رومانوس الثالث Romanus III (١٠٢٨-١٠٣٤م) ، أرجيوس Michael IV الباقلاجونى (١٠٣٤-١٠٤١م) ، ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١-١٠٤٢م) ، قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤م) ، ثم ثيودورا Theodora (١٠٥٤-١٠٥٦م) ، ميخائيل السادس Micael VI (١٠٥٦-١٠٥٧م) .

وهكذا يتضح لنا بجلاء : أن تلك الأسرة البيزنطية الحاكمة إتسمت بالإتساع الزمانى. وكذلك تعدد الأباطرة فيها، وإن أمكننا القول- دونما مبالغة- أن أبرز أباطرتها هم باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وليو السادس (٨٨٦-٩١٢م) ، ومرحلة القادة العسكرية (٩٦٣-٩٧٦م) وباسل الثانى (٩٧٦-١٠٢٥م) ، وسوف أتمرض لأهم أحداث عصرهم نظراً لدرهم المحورى فى تاريخ الدولة البيزنطية حينذاك.

وليسما يتصل بالإمبراطور باسل الأول<sup>(١)</sup> : من الممكن القول بأن من أهم أعماله الآتى:

---

١- باسل الأول ، ولد عام ٨٢٦م إنحدر من أسرة أرمينية غير أنها استقرت فى مقدونيا ولذا عرفت بالأسرة المقدونية . ولم يحقق تقدراً من التعليم، وتمكن بفضل ذكائه من الوصول إلى بلاط الإمبراطور ميخائيل الثالث آخر أباطرة الأسرة العمورية ، وقد تولى خلال حادث للصيد فى أغسطس عام ٨٨٦م . =

أولاً : مواجهة حركة التوسع الإسلامى فى الأدرىاتيك .

ثانياً : مواجهة حركة البوليسيين .

ثالثاً : الإسهام القانونى .

وفىما يتصل بالعصر الأول : من الملاحظ أن منطقة الأدرىاتيك شهدت نشاطاً واضحاً للبحرية الإسلامية إنطلاقاً من جنوبى إيطاليا . وهكذا : نجد أن المسلمين تمكنوا من مهاجمة بوردوا Budua ، كذلك حاصروا راجوزة Ragusa - فى الضفة الشرقية من الأدرىاتيكى ؛ وذلك عام ٨٦٧م . واستنجدت الأخيرة بالقسطنطينية التى قدمت إليها العون البحرى الذى تمكن من رفع الحصار عنها من جانب المسلمين بعد أن استمر شهوراً طويلة .

ويلاحظ أن المسلمين . على الرغم من اضطرارهم إلى رفع الحصار عن راجوزة إلا أنهم بعد ذلك بثلاث سنوات وتحديداً عام ٨٧٠م ، حققوا إنتصاراً جديداً فى البحر المتوسط هذه المرة بإخضاعهم جزيرة مالطة Malta وتأكد لنا أن مرحلة الصراع على جزر البحر المتوسط لم تتوقف بعد ، وبذلك أثبتوا قدرتهم على تجاوز الهزيمة إلى الانتصار (٢) .

= عن الإمبراطور باسل الأول أنظر :

Pesellus, Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia of Michael psellus, Trans. by Sewter, penguin Book, London 1966, p. 63.

Vogot , Basile Ier empereur de Byzance (867-836) et la Civilisation Byzantine á la fin du IXe Siecle, Paris 1908 .

وأيضاً

Ostrogorsky , History of the Byzantine State. p. 207-214

Nicol, A Brographical dictionary. p. 16-17

Angold. Byzantium , p. 135 , 136 .

Norwich. Ashort History of Byzantium , p. 148-149 . p. 156 .

أمد رستم، الروم، ج ٢ ، ص ٣-١٣

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٣٩

٢- عن الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين حينذاك أنظر :

وديع فتحي عبدالله، بيزنطة ومسلمو إيطاليا وصقلية فى عهد باسيل الأول المقدونى (٨٦٧-٨٨٦م /

٢٥٢-٢٧٣هـ) . ط . الاسكندرية ١٩٩٣م . ص ٧-٨٢

جدير بالإشارة ؛ اتجه الباحثون الأوربيون إلى تصوير نشاط المسلمين البحري في البحر المتوسط على أنه من قبيل القرصنة التي هدفت إلى السلب والنهب وبعث الاضطراب والفوضى في الأملاك البيزنطية على حين كان الأمر جهادا بحريا مشروعا طالما أن حالة الحرب بين المسلمين والبيزنطيين لم تنته، ولا ينكر المؤرخ المنصف أن المسلمين كانوا رسل حضارة ولم يكونوا رسل تدمير وتخريب كما توهم ذلك القطاع المتعصب من الباحثين الأوربيين، الذين ترصدوا للمسلمين ، وصوروا في المقابل البيزنطيين على أنهم رسل الاخاء والمحبة وعضوا الطرف عن جوانب الصراع الدموي الداخلي وكذلك في علاقات بيزنطة مع العالم الخارجي.

على أية حال ؛ من الممكن القول أن الدولة البيزنطية في عهد باسل الأول حاولت إيقاف المد البحري الإسلامي قدر استطاعتها ، ولكن ذلك لم يغير شيئا في الموقف ، حيث تحول البحر المتوسط<sup>(١١)</sup> الذي كان بحيرة رومانية من قبل عندما أطلق عليه الرومان تعبير «بحرنا» Marc Nostrum<sup>(١٢)</sup> ؛ تحول إلى أن يكون بحيرة عربية ، وهكذا صارت المواجهة بين الطرفين مواجهة

= منى البرى. العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والمسلمين فى صقلية ، وجنوب إيطاليا زمن الأسرة الفلوقية ٢٧٣-٤٣٢ هـ / ٨٨٦-١٠٤٠م، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م، ص٥٣-٦٢

١- مجدد الإشارة ؛ إلى أن البحر المتوسط تبلغ مساحته ٢.٥ مليون كم .م ، ومتوسط عمق مياهه ١.٥ كم. ، ويبلغ طول شواطئه ٤٦.٠٠٠ كم. منها ١٩.٠٠٠ كم. محتل شواطئ الجزر المنتشرة به مثل غيرها، وكريت ، ورودىس ، ومالطة، وغيرها . وقد أسماه المصريون القدماء، «الأخضر العظيم» أما الفينيقيين فقد أسموه «الأزرق الواسع» ، ومن المقرر أن الكاتب الرومانى كايوس يوليوس سوليوس -Caius Julius Solinus هو أول من أطلق عليه تعبير البحر المتوسط على اعتنار أنه بتوسط قارات العالم القديم، أفريقيا وآسيا وأوروبا ، ونظرا لأصهنت سعت كافة قوى العصور القديمة والوسطى لاخضاعها لسيطرتها، عن البحر المتوسط بصفة عامة أنظر:

بىرى الجوهري ، جغرافية البحر المتوسط ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، فرنان بروديل، البحر المتوسط المجال والتاريخ، ت. يوسف شلب الشام. ط. حصص ٢٠٠١م، (دراسة مركزية ومحاثة)

Siegfried , The Mediterranean, Trans. by Doris Hemming London 1948, pp. 49-65 .

Horde and Parcell, The Corrupting Sea , Astudy of Mediterranean History, Oxford 2001

بعد دراسة موسعة عن البحر المتوسط عن مختلف جوانبه الجغرافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية

٢- أطلق الرومان عليه لكبير بحرنا Marc Nostrum أو البحر الأعظم Marc Magnum أو البحر =

شهدتها أمواج ذلك البحر، انحسرت المواجهات البرية على أرض آسيا الصغرى ؛ مما عكس كفاءة المسلمين وقدرتهم على أن يكونوا نداءً حربيًا للقوة العسكرية البيزنطية في صور متعددة على مدى المرحلة الواقعة بين القرنين السابع والتاسع الميلاديين .

أما فيما يتصل بحركة البولسيين Paulicians<sup>(١١)</sup>، فهي حركة دينية من أصل أرمني عارضت الكنيسة البيزنطية ونظرت إليها الأخيرة على أنها حركة مهرطقة.

---

= الداخلي Mare interium .

عن ذلك انظر

جوفري ريكان، بحرنا البحر المتوسط ، ضمن كتاب البحر والتاريخ تحديات الطبيعة واستجابات البشر، تحرير آ. رابيس، ت. عاطف أحمد، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت أبريل ٢٠٠٥م، ص ٢١  
١- عن الحركة البولسية أنظر:

Gibbon , The decline and Fall of the Roman Empire, vol . III, New York 1995, p. 1925 .

Dagron, Emperor and Priest, The Imperial offire in Byzantium, trans . by J.Birell, Cambridge 2003 , p. 194 , p. 224 , p. 232 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 303 .

Browning , The Byzantine Empire, p. 66, p. 76-77, p. 96 .

Treodgold, History, p. 450-451 .

O.D.B., vol. 3, p. 1606 .

هاني عبد الهادي الشير ، «البالعة في آسيا الصغرى في ضوء مصنف بطرس العسقلی» ، الموزخ المصري، العدد (٢٤) ، يناير ٢٠٠١م، ص ٤٥-٨٨

فتحى عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢ ، ص ٢٢١-٢٢٢ . نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية ، ص ٢١٤-٢١٧ ويكاد يكون الموزخ العربي الوحيد الذي فصل الحديث عنهم في كتاب يتناول ملامح الحضارة البيزنطية بصفة عامة.

وسام عبد العزيز فرج، دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٥٩

شارلز أومان، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٦٧، حاشية (١) . محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٤١

وهناك من يقرر أن مبتكرها هو بولس السيمساطى Paul of Samosata الذى عمل أسقفاً لأنطاكية خلال المرحلة من ٢٦٠ إلى ٢٦٨ م ، وقد أنكر ألوهية السيد المسيح عليه السلام، ونظر إليه على أنه مجرد مخلوق صالح ورفض تماماً فكرة تأليهه<sup>(١١)</sup>.

ويلاحظ أن بطرس الصقلى Peter of Sicily يقرر إعتقاد البولسيين فى تعاليمهم على رسائل بولس الرسول تلميذ السيد المسيح.

من ناحية أخرى: من المقرر أن البولسية التفت مع أفكار الفرس الدينية خاصة الحركة المانوية<sup>(١٢)</sup> نسبة إلى مانى، والتي آمنت بدورها بالصراع بين النور والظلام، أو الخير، والشر، وأطلقت على إله النور أهورامزدا ، وإله الشر أهرمن .

ويلاحظ أن البولسيين رفضوا تقديس الصليب، والأيقونات، ولم يعترفوا بأسرار الكنيسة<sup>(١٣)</sup>

١- نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص٢١٤ ، سعد رستم، التوحيد فى الأناجيل الأربعة وفى رسائل القديسين بولس ويوحنا، ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص٢٥

٢- المانوية ، تنسب إلى مانى ابن فاتك الحكيم الذى ظهر فى عهد شاپور بن أردشير الذى تولى الحكم فى فارس عام ٢٤٢م، وقد ولد فى عام ٢١٥م أو ٢١٦م ، وهناك من يذكر أن تعاليمه مزجت بين المسيحية والزرادشتية ، واعتقد بفكرة الحلول التى آمن بها الهندو. عنه أنظر: عبد الرزاق محمد أسود، موسوعة الأديان والمذاهب ، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ج١، ص٤٤، ص٤٧ ، آرثر كريستنسن ، إيران فى عهد الساسانيين، ت. يحيى الحشاش ، مراجعة عبد الوهاب عزام ط١ . القاهرة ١٩٩٨م، ص١٦٩-١٩٥ ، مفيد رائف محمود العابد، معالم تاريخ العولة الساسانية عصر الأكاسرة ٢٢٦-٦٥١ م. ط. دمشق ١٩٩٩م ديمترى غوتاس ، الفكر اليونانى والثقافة العربية حركة الترجمة اليونانية العربية فى بغداد والمجتمع العباسى المبكر القرن الثانى - الرابع القرن الثامن - القرن العاشر . ت. نقولا زيادة ، مركز دراسات الوحدة العربية للترجمة العربية للنجمة ، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص١٢٤-١٢٥

٣- نعيم فرح ، المرجع السابق، ص٢١٤

ومن المقرر أن أسرار الكنيسة السبعة هى: العماد، المبرون، القربان المقدس، الكهانة ، التكفير، مسحة المرض، الزواج، ويلاحظ أنه تم إيرادها فى الاعترافات الأرثوذكسية التى صدرت فى القرن ١٧م ودأ على حركة الإصلاح الدينى ، عن ذلك أنظر:

سعد رستم ، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم، دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٥١

حسن الباش ، العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ، ط. دمشق ٢٠٠١م، ص١٩٣-١٩٧



وكان لهم أدبهم الخاص بهم وتصوراتهم حيال الكتاب المقدس<sup>(١١)</sup>.

وبصفة عامة ؛ يلاحظ أن التاريخ المبكر للبولسيين يكتنفه الغموض وموضع خلاف وجدل بين الباحثين. وعلى العكس من ذلك، نجد أن تاريخهم المتأخر منذ تأسيس دولتهم حتى القضاء عليهم من جانب الإمبراطور باسل الأول في القرن التاسع الميلادي ، وهجرة الكثير منهم إلى بلاد الشام، وجنوب إيطاليا، والبلقان، حيث كانوا لا يزالون هناك حتى عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م) ؛ كل ذلك يعد معروفًا بصورة واضحة<sup>(١٢)</sup>، إذا ما قورن بنشاطهم

مهما يكن من أمر ؛ تزايد نشاط البولسيين وحصلوا على دعم كبير من جانب الولايات البيزنطية الشرقية، ونجد أنهم حملوا السلاح<sup>(١٣)</sup> ومثلوا خطرًا يهدد الإمبراطورية ، وقد أدت مقارمة الأخيرة لهم منذ وفاة الإمبراطور تففور الأول عام ٨١١م ؛ إلى اتجاها الكثيرين منهم إلى الاتصال بالمسلمين بل وهاجروا إلى بلاد الشام، وهناك من يقرر أنهم تعاونوا معهم ضد حكام القسطنطينية<sup>(١٤)</sup>.

وبصفة عامة؛ من المقرر أن خطر البولسيين هدد المقاطعات الشرقية للإمبراطورية خلال المرحلة الواقعة بين عامي ٨٤٣ ، ٨٧٩م<sup>(١٥)</sup>، وقد كانت لهم ، دولتهم المستقلة في تفريك (حاليًا Divrigi) غربى أرمينيا وقد جعلوها بمثابة عاصمة لهم<sup>(١٦)</sup>.

١- عن ذلك انظر: Hamilton , "Wisdom from the East: The Reception among the Cathars of Eastern Dualist Texts ", in Billar (ed.) Heresy and literacy , 1000-1530 . Cambridge 1994 , p. 38 .

O.D.B., vol 3, p. 1606 . -٢

Browning , The Byzantine Empire , p. 66 . -٣

Ibid, p. 66 . -٤

O.D.B., vol . 3, p. 1606 .

Browning, op. cit..p. 96 . -٦

وقد تزايد شأنهم تحت قيادة رجل يدعى كاريباس Karbeas<sup>(١١)</sup>، ومن بعد ذلك ؛ تولى قيادة البولسيين قائد آخر هو كريسوخيروس Chrysocheirus<sup>(١٢)</sup>، وقد تعاونوا عسكرياً مع المسلمين الذين التقت مصالحهم السياسية معهم من أجل إضعاف الامبراطورية البيزنطية ووصلت إغاراتهم إلى نيقية Nicea بل إنهم نهبوا إفسوس Ephesus في ٨٦٩-٨٧٠م<sup>(١٣)</sup>.

على أية حال ؛ اشتد خطر البولسيين في عهد الإمبراطور باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وقد أرسل إليهم سفارة على رأسها بطرس الصقلي خلال المرحلة بين عامي ٨٦٩ - ٨٧٠م، وقد قدم لنا وصفاً مسهباً لتلك السفارة التي وصل بها إلى مدينة تفريك<sup>(١٤)</sup>، وبصفة عامة ، بعد عامين من تلك السفارة وتحديداً في عام ٨٧٢م تمكن الإمبراطور من خلال دور عسكري بارز لشقيق زوجته كريستوفر Christophe وقائد قرائد الشرق من تحقيق الانتصار الحاسم عليهم ، وخرّب عاصمتهم وكذلك عدة قلاع أخرى وقتل زعيمهم كريسوخيروس<sup>(١٥)</sup>.

بصفة عامة ؛ يمكن للباحث الخروج بعدة دلالات من خلال صراع باسل الأول مع حركة البولسيين.

فيلاحظ أن تلك الحركة لها جانبها الاقتصادي إذ عبرت عن حركات المعارضة ضد العلاقات الإقطاعية ، وكذلك الفوارق بين الطبقات في آسيا الصغرى<sup>(١٦)</sup> وكذلك سلطة الكنيسة البيزنطية وعقائدها وهي تعد جزءاً لا يتجزأ من حركات المعارضة الدينية سواءً في الشرق البيزنطي أو في الغرب الأوربي مثل ما قام به الكتاريين<sup>(١٧)</sup> في جنوبي فرنسا في

١- O.D.B., vol 3, p. 1606 .

٢- O.D.B ., vol. 3 , p. 1606 .

٣- Ibid, p. 1606 .

٤- أورد تفاصيل ذلك في كتابه تاريخ البولسيين: نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية ، ص٢١٤

٥- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٤١

٦- نعيم فرح، المرجع السابق ، ص٢١٥

٧- عن الكتاريين أنظر:

أخريات القرن ١٢م ، وهناك من يقرر أنه خلال عصر الحروب الصليبية انتشرت أفكار البولسيين من خلال التجارة إلى إيطاليا<sup>(١)</sup> وفرنسا ؛ مما عكس قوة تأثيرها فيما بعد عصر باسل الأول.

من زاوية أخرى ، ندرک أن القضاء على نشاطهم دعم الرضية السياسية لذلك الإمبراطور الذى تمكن بعد جهد جهيد من فرض السيادة الإمبراطورية على مناطقهم ، كذلك تمكنت بيزنطة من خلال تلك الأحداث من إيقاف تحالف المسلمين مع البولسيين باعتبارهم قوة معارضة ، ولذلك لاتتعجب من إدراكنا أنه خلال العام التالى مباشرة للقضاء عليهم عام ٨٧٢م ، أمكن لبيزنطة إخضاع سبساط Samosta ، Samsat ، مما دعم وضع الإمبراطورية العسكرية فى مواجهة عدوها التقليدى فى صورة المسلمين .

أما بالنسبة للإسهام القانونى ؛ فيلاحظ أن عهد باسل الأول شهد ظهور القانون اليسر وهو Procheiron<sup>(١)</sup> الذى كان الهدف منه أن تكون مواد القانونية ميسرة لعامة المعاصرين وهو عبارة عن مختارات مأخوذة من القوانين السائدة حينذاك ، وكذلك مجموعة قانونية شاملة هى

Rainier Sacconi , in Peters (ed.), Heresy and Authority, pp. 125-132 .

Colish, Medieval Foundations of the Western intellectual Tradition 400-1400, London 1998 . p. 250-251 .

Sumpton The Albigenian Crusade, London 1988, pp. 43-60 .

Cowdrey , " The Carthusians and Their Contemporary World : The Evidence of the Twelfth - century Bishops , Vitae", in The Crusades and latin Monasticism , 11 th centuries, Great yarmouth 1999 , pp. 26-43 .

والمؤرخ المذكور من أفضل من كتب عن الكنتاريين.

Hamilton, The Cathares and the Seven Churches of Asia , in Howard and Johstone (eds.) Byzantium and The West (850-1200), Amsterdam 1988 , p. 295-296

la Due . The Chair of Saint Peter , A History of the Papacy , New York 1999, p. 114, p. 127 . p. 146 .

اسحق عبيد ، محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها ، ط. القاهرة ١٩٧٨م ، شارلز أومان ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٦٧ ، حاشية (٧)

١- شارلز أومان ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص ١٦٧ ، حاشية (١)

١- عنه أنظر محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٤٣

التي عرفت باسم الإباناجوج Epanagoge<sup>(٢٢)</sup> وتعنى المقدمة Introduction . ووفقاً لما ورد في افتتاحيتها نعرف أنها كانت بمثابة مقدمة للأجزاء الأربعين لمجموعة قانونية قديمة عرفت بعنوان:

Collectio Librorum Juris Graeco Romani Ineditorum.<sup>(٢٣)</sup>

جدير بالذكر : احتوت الإباناجوج في القسم الأول منها على فصول على جانب كبير من الأهمية عن السلطة الإمبراطورية، وكذلك سلطة البطريرك وغيرها من الوظائف المدنية والكنسية الأخرى على نحو يعين في تقديم صورة واضحة للغاية عن مؤسسات الدولة والمجتمع في الامبراطورية البيزنطية، وكذلك العلاقات بين الكنيسة والدولة<sup>(٢٤)</sup>.

ولانغفل في معرض الحديث عن جهود الامبراطور باسل القانونية الاشارة إلى أن الاباناجوج كانت تمثل نوعاً من إعادة القانون المسر ولكن مع 'تعديلات المهمة وكذلك اعادة التنظيم'<sup>(٢٥)</sup>، نجد الاستفادة من المجهود القانوني الذي بذل في عهد الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري من قبل، مما عكس التواصل والاستمرارية بين أدوار الأباطرة البيزنطيين في ذلك المجال.

وهكذا ؛ يتضح لنا على نحو جلي أن من الأباطرة البيزنطيين المقدونيين من أدرك - عن حق- أهمية القانون في توحيد شعوب الامبراطورية البيزنطية . وفي تدعيم السلطة الإمبراطورية .

مهما يكن من أمر ، نختتم الحديث عن مؤسس الأسرة المقدونية بمحتة الشخصية ، إذ أن باسل تعرض لوفاة ابنه في أخريات سنوات حكمه ، على نحو أحدث أثراً نفسياً سيئاً<sup>(٢٦)</sup> عليه فافترسه الحزن الشديد، وقد وضع الموت حداً لذلك عام ٨٨٦م.

#### ١- عن الاباناجوج أنظر

Vasiliev , History of The Byzantine Empire , pp. 341-342

Ostrogorsky. History of the Byzantine State. p. 192, p. 213 .

Vasiliev, Op. cit., p. 341 , note (110) .

-٢-

Vasiliev , Op. cit., p. 341 .

-٣-

٤- محمود سعيد عمران. معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٤٤

٥- نفسه ، ص ١٤٥

وجدير بالإشارة ؛ أن الباحث فى التاريخ البيزنطى فى حاجة ماسة إلى معرفة أثر الزوايا النفسية لدى كبار الأباطرة على صنع القرار السياسى وبالتالى على تاريخ الشعب البيزنطى ذاته، غير أنه أمام صمت المصادر ليس فى الإمكان تجلية تلك الناحية التى لاتزال غامضة على الرغم من أهميتها الخاصة .

أما الامبراطور ليو السادس Leo II (الملقب بالحكيم)<sup>(١١)</sup> الذى حكم فيما بين عامى ٨٨٦م، ٩١٢م، فيمكن إجمال أهم أعماله من خلال الأتى:

أولاً : الإسهام القانونى.

ثانياً : سياسته تجاه البلغار.

ثالثاً : المواجهة مع المسلمين .

رابعاً : زيجاته المتعددة بحثاً عن وريث للعرش.

وفىما يتصل بالعنصر الأول؛ من الملاحظ إصدار الأوامر الامبراطورية Basilica فى عصر ذلك الإمبراطور، وقد تكونت من ٦٠ فصلاً ويلاحظ أنها اعتمدت على قوانين جستنيان ، ومن المهم هنا الإقرار بدور بارز لأحد رجال القانون فى بيزنطة فى صورة سيمباتيوس -Symba-tius<sup>(١٢)</sup> الذى كثيراً ما يذكر اسمه وجهده وينسب الأمر برمته للإمبراطور ليو السادس، وهى زاوية تعددت فى مواقف مختلفة من التاريخ البيزنطى.

على أية حال : فإن تلك المجموعة القانونية كان لها أثرها الرضاح من حيث أن فاق استعمالها استعمال المجموعة القانونية التى تنسب للإمبراطور جستنيان ، ومع ذلك ؛ فمن المهم هنا الإقرار بأن النشاط القانونى البيزنطى فى عهد ليو السادس شمل ما يعرف بالمتجددات التى اعتمدت اعتماداً كبيراً على متجددات جستنيان السالفة الذكر.

١- ليو السادس Leo VI : إمبراطور بالاشتراك من ٦ يناير ٨٧٠م وإمبراطور من ٣٠ يوليو ٨٨٦ إلى ٩١٢م، ولد فى القسطنطينية فى ١٩ سبتمبر عام ٨٦٦م ، وهو الابن الثانى للإمبراطور باسل الأول ، وقد لقب بالحكيم وكان مستشاره الكبار هم : زووزيس Zuouzes، والحصى ساموناس Samonas، والحصى قسطنطين Constantine، وقد توفى ليو السادس فى ١١ مايو عام ٩١٢م عنه أنظر بالتفصيل ؛ Tougher, The Reign of Leo VI (886-912), Politics, and People, Leiden 1997 .

وهى دراسة مفصلة وموسعة عنه من خلال أوثق المصادر والمراجع.

O.D.B., vol .2, pp. 1210-1211

Nicol, A Biographical dictionary. p. 74 .

٢- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية . ص١٤٦

أما ما اتصل بالموقف البيزنطي من البلغار<sup>(١)</sup>؛ نجد توتر العلاقات البيزنطية- البلغارية ؛ وذلك بسبب إتهام بيزنطة إلى إتباع أسلوب الاحتكار في تجارة بلغاريا على نحو أضر بمصالح الأخيرة ، وحدث صدام عسكري من خلاله هاجم البلغار أراضي بيزنطة عام ٨٩٤م، فلجأت إلى التحالف مع الما جيبار الذين قاموا بمهاجمة المناطق الشمالية من بلغاريا ، وتمكنوا من تحقيق إنتصارات هناك ، وبالتالي ؛ أكدت بيزنطة قدرتها على إيجاد حلفاء أقرباء ، يقدمون لها المساعدة العسكرية عندما تضيق بها السبل ، وفي الوقت المناسب ، ويلاحظ أن البلغار تحالفوا في مواجهة ذلك الأمر، مع البجنان الذين تمكنوا بالتعاون معهم من هزيمة الما جيبار عام ٨٩٦م، واضطرت بيزنطة لمواجهة البلغار بعد أن قوى شأنهم بالتحالف المذكور، وهزمت على أيديهم واضطرت إلى مصالحتهم وبالفعل دفعت لهم فدية سنوية ؛ مما عكس أن الصراع مع البلغار لم يكن في صالح الامبراطورية البيزنطية خلال تلك المرحلة.

أما بالنسبة للصراع مع المسلمين ؛ فيلاحظ أنهم واصلوا بحماس هجماتهم ضد أملاك الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور ليو السادس ، ويقر أحد المؤرخين العرب البارزين في حفل الدراسات البيزنطية « ... على فترات متقطعة نهب العرب وخرّبوا أرخبيل ، وساحل شبه جزيرة المورة Morea ، وThessaly ، وفي عام ٩٠٢م، دمّرت مدينة ديمترياس Demetriass الغنية على ساحل تساليا »<sup>(٢)</sup>.

ولست في حاجة إلى معارضة ذلك الرأي الذي يعكس بجلاء المركزية الأوربية ، ومرة أخرى. فإن ما قام به المسلمون ضد بيزنطة حينذاك جهاد مشروع طالما أن حالة الحرب كانت قائمة بين الطرفين ، ولانغفل أن البيزنطيين اتبعوا نفس الأسلوب في صراعهم مع المسلمين وليس من الموضوعية بمكان تبني وجهة نظر غريبة على هذه الصورة.

١- عن صراع ليو السادس مع البلغار أنظر:

Constantine Porphyrogenitus , De Administrando Imperio, p. 253

Runciman, A History of The First Bulgarian Empire, London 1930. pp. 145-146

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , pp. 231-239 .

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٦٢-١٦٤

حسّنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٥٨

٢- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطور البيزنطية ، ص١٥٢

وينبغي أن نتذكر جيداً إنه في عالم الحرب حينذاك ؛ كافة أشكالها متوقفة والهدف منها أصلاً كسر إرادة الخصم وإجباره على تقديم تنازلات سياسية.

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ دور بارز لقيادتين ممن اعتنقوا الإسلام من البيزنطيين وعملوا على جهاد الإمبراطورية البيزنطية ، ومن أمثلتهم ليو الطرابلسي Leo of Tripolis<sup>(١١)</sup> ، ودمسيان الصوري Damian of Tyre<sup>(١٢)</sup> . ولذلك تطلب الأمر ؛ تسليط الضوء عليهما لما لهما من أهمية خاصة خلال تلك المرحلة المؤثرة من مراحل العلاقات الإسلامية- البيزنطية.

على أية حال ؛ هناك من يقرر أن ليو الطرابلسي ؛ قد ولد من أبوين مسيحيين في مدينة أتاليا Atalia الواقعة على الساحل الجنوبي من آسيا الصغرى وفيما بعد؛ تم أسرهم من جانب المسلمين ، ويعتقد أنه جن به إلى طرابلس حاضرة شمالي لبنان بين عامي ٨٦٣ ، ٨٦٦م، ثم تلقى فنون القتال البحري وصار خبيراً بها حتى أنه لقب «بأبي الحرب» ؛ على نحو عكس أهمية دوره . وبالتالي إنطباق ذلك الوصف عليه

بصفة عامة؛ نعرف أن ليو الطرابلسي قام بمهاجمة مناطق تابعة للدولة البيزنطية ، وذلك بعد أن اعتنق الإسلام وهو لا يزال صغيراً كما قرر البعض، ومن المناطق التي عمل على مهاجمتها أتاليا.

١- عن ليو الطرابلسي انظر:

Gregoire. " Le Commuiauque arabe sur la prise de thessalonique 904" B.Z., 82 , 1989 . pp. 373-378

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 305-306 .

نعب فوج- تاريخ بيزنطة السياسي . ص٢٤٨

عمر عبد السلام تدمري، لبنان من قبل الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدية ١٣٢-١٣٥٨هـ / ٧٥٠-٩٦٩م. ط. طرابلس ١٩٩٢م. ص٨١-٨٦

وأوجه بالشكر العميق للمؤرخ اللبناني الكبير أ.د. عمر عبد السلام تدمري الذي أفادني بتناقضاته العلمية الثرية معه في يناير ٢٠٠٦م بإمارة الشارقة خلال زيارته لها

٢- عن دميان الصوري أنظر

عمر عبد السلام تدمري، المرجع السابق، ص٢٨-٩٤ . مدينة صور في كتابات المؤرخين والرحالة من الفتح الإسلامي حتى التحرير من الصليبيين» . ضمن كتاب صور من العهد الفنيقي إلى القرن العشرين، منتدى صور الثقافي ١٥-١٦ حزيران ١٩٩٧م. ط. صور ١٩٩٧م. ص١٣٥ . والمؤرخ المذكور بعد أول من سلب الصنوبر على دميان الصوري.

جدير بالذكر ؛ يعد الدور البارز الذي قام به ليو الطرابلسي ؛ المشاركة في الاستيلاء على مدينة سالونيك Thessalonica التي تمكن المسلمون من إخضاعها في أوائل القرن العاشر الميلادى، وتحديدًا عام ٩٠٤م ، ويعد ذلك مكسبًا بارزًا للمسلمين على حساب البيزنطيين ؛ إذ أن سالونيك عدت حينذاك إحدى الحواضر البيزنطية البارزة<sup>(١)</sup>، ولا ريب في أنها عدت في الدرجة الثانية بعد القسطنطينية من المراكز الصناعية والتجارية بل والفكرية كما يقرر البعض<sup>(٢)</sup>.

أما القائد الثانى فهو دميان الصورى ؛ وقد ولد هو الآخر من أبوين مسيحيين ، وتم أسرهِ خلال إحدى المعارك مع المسلمين، وقد تم نقله إلى مدينة صور؛ ولذلك عرف بدميان الصورى<sup>(٣)</sup>، وفيما بعد قام بدور بارز في جهاد البيزنطيين، وهناك من يقرر أن عام ٨٩٥م: عد بداية ظهور ذلك القائد على مسرح الأحداث حينذاك.

ويلاحظ أن دميان الصورى اكتسب خبرة عريضة بأساليب البيزنطيين الحربية، ونعرف أنه تولى أمر نشر طرسوس ؛ مما عكس أهمية ذلك المنصب الذي تولاه على الأرجح من خلال كفاءته الحربية التي برزت في ميادين القتال .

١- عن سقوط سالونيك في يد ليو الطرابلس أنظر:

Ostrogorsky, History of The Byzantine State, p. 228 .

محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص١٨٢

٢- نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية ، ص٢٣٧

ولانغفل هنا الإشارة إلى أن سالونيك ، إزداد عدده سكانها زيادة كبيرة مع بداية القرن العاشر م حيث عدت ملجأ لساكن الجزر والسهول التي تعرضت لهجمات المسلمين خاصة أنها تمتعت بأسوار متينة فصار من الصعب الاستيلاء عليها ، ويلاحظ أنها تمتعت بمكانة تجارية من خلال وقوعها على الطريق التجارى الرومانى القديم المعروف باسم Via Egnatia الذى أوصلها بشواطئ الادرياتيكى فى الغرب والقسطنطينية فى جهة الشرق كذلك تعرف اشتهارها بمعدن الحديد ، والنحاس ، والقصدير ، وصناعات الزجاج ، والصوف ، والكتان، والسفن والأسلحة وكل ذلك يوضع لنا أهمية المجاز المسلمين عام ٩٠٤م.

عن ذلك أنظر: O.D.B., vol. 3, p. 2071 - 2072 .

نعيم فرح، المرجع السابق، ص٢٣٧

٣- عمر عبد السلام تدمرى، مدينة صور ، ص١٣٥



جدير بالإشارة : عمل المؤرخون الغربيون على مهاجمة ليو الطرابلسي، ودميان الصوري، وتم تصويرهما على أنهما مرتدين<sup>(١١)</sup>، ولم يبرزاً حقيقة الدور الجهادي النعال الذي قاما به ، إلى أن قام المؤرخ اللبناني البارز عمر عبد السلام تدمري بتسليط الضوء على ذلك الدور لكل منهما بصورة غير مسبوقة .

بصفة عامة؛ يدل أمر هذين القائدين على قدرة الإسلام على الانتشار في قلوب البيزنطيين بل وتحولهم إلى الجهاد ضد تلك الإمبراطورية التي ناصبت المسلمين العدا .

نترك الآن الصراع بين بيزنطة والمسلمين، ونتجه إلى ناحية أخرى مغايرة في صورة زواج الامبراطور البيزنطي ليو السادس وجدير بالإشارة : أن ذلك الامبراطور تزوج أربع زيجات - سعيًا إلى وريث للحكم- ويمكن إجمالها على النحو التالي :

أولاً : تزوج من إحدى قريباته تدعى ثيوفانو Theophano<sup>(١٢)</sup> عام ٨٨٥م. وأنجبت له طفلة ؛ وقد ماتت الأخيرة، ومن بعدها أمها<sup>(١٣)</sup>.

١- Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 78 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 228 .

٢- عن قضية زواج الإمبراطور ليو السادس أنظر

Tougher, The Reign of Leo VI , pp. 133-163 .

Garland , Byzantine Empresses Woman and Power in Byzantium, A. D. 527-1204 , London 1999, pp. 109-124 .

حيث خصص المؤلف في دراسته المنازعة فعلاً مستقلاً عن ذلك الموضوع

أما أفضل دراسة بالعربية فهي تلك التي قام بها وسام عبد العزيز فرج . أنظر: وسام عبد العزيز فرج ، الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس (٨٨٦-٩١٢)، ط. الاسكندرية ١٩٩١م، وقد عاد ونشرها في كتابه الحديث بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري . ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص٦٥-١٤٢

وعن ذلك الأمر أنظر

عليه المنزوي ، المرأة في الحضارة البيزنطية ، ص١٩٣-١٩٤

محسود سعيد عمران . معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية. ص١٥٧-١٥٨

٣- عليه المنزوي . المرجع السابق، ص١٩٣

ثانياً : دخل في علاقة مع زوى Zoe ابنة الوزير ستليانوس<sup>(١١)</sup> زوتزس - Stylianus Zaut- zes وعندما أراد إضفاء صفة الشرعية عليه عام ٨٩٨م؛ اعترض بطريرق القسطنطينية حينذاك . إلا أن كاهن البلاط الإمبراطوري؛ وافق على الأمر. وتوفيت زوى في العام التالي؛ أى عام ٨٩٩م. بعد إنجابها لطفلة .

ثالثاً كمر الامبراطور مرة الثالثة في صورة يودوكيا بايانا Eudocia Baiana. عام ٩٠٠م وأنجبت له طفلاً هو باسل Basil إلا أنها ماتت ومن بعدها توفى الابن عام ٩٠١م .

رابعا أقام الامبراطور علاقة مع محظية هي زوى كاربونسينا Zoe Carbonsina التى حققت له حلمه الذى تحرق شوقاً إليه حيث إنجبت له عام ٩٠٥م ابناً سيبتولى العرش الإمبراطورى تحت إسم قسطنطين السابع بورفيروجنتيس<sup>(١٢)</sup> - Constantine VII Porphyro- genitus. وعندما أراد أن يجعل ذلك الزواج رسمياً اعترض عليه البطريرك نيقولا مستيكوس<sup>(١٣)</sup> Nicolas Mysticus . وحدثت أزمة عنيفة بين الإمبراطور ، والبطريرك - وهى من

١- عليه المنزورى ، المرأة فى الحضارة البيزنطية. ص١٩٣

٢- قسطنطين السابع بورفيروجنتيس Constantine VII Porphyrogenitus . هو الابن الوحيد للإمبراطور ليو السادس Leo VI من زوجته زوى كاربونسينا Zoe Carbonsino . ويلاحظ أن كلمة بورفيروجنتيس تعنى المولود فى العباة الأرجوانية أو الذهبية واشتق من الكلمة Porphyro: وتعنى ذهب أو أرجوانى. أما كلمة genetus فتعنى مولود والمقصود بها التعبير أن ذلك الإمبراطور وصل إلى العرش بشرعية كاملة، ولم يكن من مفتصبيه . ومن المقرر أنه - كما قرر دونالد نيكول- على مدى ٢٤ عاماً حكم فى ظل حميه رومانوس . ولكن عندما مات الأخير عام ٩١٤م تولى الحكم منفرداً . عنه أنظر:

Constantine Porphyrogenitus , De Administrando Imperio, Trans . by P.S.H. Jenkins, Dumbarton Oaks Center, Washington 1967 . pp. 7- 79 . Toynbee, Constantine Poophyrogenitus and his World, London 1973 .

Nicol, A Biographical Dictionary . p. 27 Little and Coulson. The Shorter Oxford English Dictionary on historiul Principles, vol II, Oxford 1950, p. 1546 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 75-76 . Vasiliev, History of the Byzantine State, p. 246 - 251

عبد القادر يوسف، الامبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص١٣٨

محمد منسى عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص٢٣١ . حاشية (٣٩)

٢- نيقولا مستيكوس. هو بطريرك القسطنطينية خلال المرحلة من ٩٠١-٩٠٧م. ٩١٢-٩٢٥ . وقد وصف بأنه كان من أصل إيطالي. وتأثر بأفكار فوشبوس، عنه أنظر: محمد سعيد عمران، نيقولا مستيكوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالقوى الإسلامية من خلال مراسلاته، ط. بيروت ب-ت. أحمد عبد الكريم =

الأحداث النادرة في التاريخ البيزنطي إنتهت بأن وافق البطريق على تعمييد الطفل وتعهيد الإمبراطور ليو السادس بأن يطرد زوى كاربونينا من القصر.

على أية حال ؛ تم تعمييد الطفل فى كنيسة أيا صوفيا الشهيرة وتم طرد أمه، إلا أن ليو السادس سرعان ما أعادها بعد أن تزوجها على يدي الأسقف توماس ، بل وتوجها كامبراطورة، ومنحها لقب أوغسطس Augusta مما أدى إلى تجدد الصراع بين الامبراطور ونيقولا مستيكوس الذى اتجه الامبراطور إلى عزله

بصفة عامة؛ اتجه ليو السادس إلى تنويج ابنه امبراطوراً عام ٩١١م وقد صار للإمبراطورية ثلاثة باطرة هم ليو السادس ، وأخوه الكسندر ، ثم قسطنطين السابع، وعلى إثر وفاة ليو عام ٩١٢م؛ تولى الكسندر الوصاية على قسطنطين السابع ؛ نظراً لصغر سنه

والواقع أن نظرة متأنية إلى ليو السادس على المستوى الشخصى نجد أنه تصارع مع الزمن والموت معاً فى ثنائية تثير التأمل. فقد كان فى سباق محموم مع الزمن ؛ ليتحقق أمله فى وجود وريث للعرش؛ إلا أن الموت كان يلاحقه من خلال رحيل من تزوج ، ومع ذلك واصل السعى دون هراة - فى سبيل تحقيق هدفه . ويمكن القول أن حياته تصلح لتكرين صورة مصغرة من تاريخ الامبراطورية البيزنطية ذاتها التى تصارعت مع الموت مرات عديدة إلى أن نال منها فى نهاية المطاف .

ويلاحظ أنه حقق طموحاته فى تلك الزاوية قبل وفاته بأعوام قليلة أى بسبع سنوات فقط. وبذلك أمكن أن يطمئن لوجود وريث يرث العرش الامبراطورى بعد أن تراوحت نفسية أبيه بين الأمل واليأس وقلقه ألم الانتظار لأعوام عديدة.

تلى أية حال ؛ تولى العرش البيزنطى الكسندر Alexander مدة قصيرة ٩١٢-٩١٣م، وفى أعوام الأخير ؛ توفى . ومن بعد ذلك . تمكن القائد البحرى رومانوس الأول ليكابيتوس Romanus I Lecapenus<sup>(١)</sup> . من الوصول إلى العرش عام ٩١٩م ، وذلك بعد أن تولى

= سليمان . رسالة البطريك نيقولا مستيكوس إلى العباسى . المجلة التاريخية المصرية . ( ٢٨ ) . ( ٢٩ ) . ١٩٨١ - ١٩٨٢م .

١ - رومانوس الأول ليكابيتوس ؛ هو الابن الوحيد لأحد الفلاحين الأرمن من لاكابه فى شرقى الأناضول Anatolia . وقد شغل منصب قائد الأسطول البيزنطى . أو ما أطلق عليه درونجاريوس Drongarios . ومن المعروف أن ذلك الإمبراطور عرف عنه الدعا . والصر فى التعامل مع خصومه السياسيين ويوصف بأنه الامبراطور الذى هاجم عناصر ملاك الأراضى الذين تزايدت قوتهم فى الامبراطورية البيزنطية بعد قيامهم بشرا . أراضى سفار المزارعين

مجلس وصاية الرصاية على قسطنطين السابع خلال المرحلة الواقعة بين عامي ٩١٣ إلى ٩١٩م.

يلاحظ ١ أن رومانوس ليكابينوس يعد إمتداداً طبيعياً لظاهرة القادة العسكريين الذين أنحسهم الجيش أو الأسطول البيزنطيين ، وتمكنوا من خلال كفاءتهم الحربية وكذلك طمرحهم الطاغى من الوصول إلى المنصب الإمبراطورى الذى صار هدفاً لكل من رأى فى نفسه قدرة على التآمر للوصول إليه .

على أبة حال ١ عمل رومانوس ليكابينوس جاهداً على إضفاء طابع الشرعية على حكمه ، فزوج قسطنطين السابع من ابنته عام ٩١٩م ، كذلك تزوج من الإمبراطورة زوى وذلك بعد وفاة زوجته ، ويلاحظ أن ابنه سيميون ، وقسطنطين ، تآمرا عليه للاستحواذ على المنصب الإمبراطورى ، ومن بعد تلك المأساة الشخصية إنتقطع إلى سلك الرهبنة كحل هروبى ، ومات عام ٩٤٨م ، بعد معاناة نفسية لاتنكر .

مهما يكن من أمر؛ ألقى قسطنطين السابع القبض على الابنين العاقين ، وتولى العرش خلال المرحلة من ٩٤٥ إلى ٩٥٩م وقد دخل فى صراع مرير مع البلغار خاصة مع وجود زعيم قرى قادهم ضد الامبراطورية هو سيمون Simeon<sup>(١)</sup> وبعد وفاته عام ٩٢٧م؛ قاد الأمر بدلاً من ابنه بطرس خلال المرحلة الطويلة المستدة من ٩٢٧م إلى ٩٦٩م ، قد اتجه إلى مهادنة الإمبراطورية البيزنطية<sup>(٢)</sup> ، وقد أفاد ذلك الإمبراطورية فى التقاط الأنفاس بعد صراع مرير مع البلغار أجهد جيشها وميزانيتها على نحو كبير .

عن رومانوس ليكابينوس انظر:

= Runciman , The Emperor Romanus Lecapenus and his Reign, Cambridge 1963

O.D.B., vol . 3 , p. 1806 .

Nicol, A Biographical dictionary , pp. 72-73 , Head, Imperial Byzantine Portraits , A verbal and graphic Gallery , New York 1982 , pp. 81-82 .

Vasiliev, History of the byzantine Empire, p. 187

Treadgold , A History of the Byzantine State and Society, pp. 476-486 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 234-247

١- عنه أنظر : حسين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية . ص١٥٨

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 318-319 .

أما فيما يتصل بالصراع البيزنطي مع المسلمين : فيلاحظ بروز قيادة فعّالة لدى الأخيرين في صورة سيف الدولة الحمداني<sup>(١)</sup> (٩٤٤-٩٦٧م) ، وهو الذي قام بدور بارز في جهاد البيزنطيين ؛ بعد أن ضعفت الخلافة العباسية ، ولم تعد تستطيع القيام بدورها في التصدي لهم على خلاف ما قامت به من قبل في العصر العباسي الأول ٧٥٠-٨٥٠م ، بل إن البيزنطيين حسنوا علاقاتهم معها ومع الاخشيديين في مصر<sup>(٢)</sup> ، لقد تمكن سيف الدولة الحمداني من تحقيق عدد من الإنتصارات ضد البيزنطيين عام ٩٣٨م حيث تمكن من هزيمة القوات البيزنطية أمام حصن زياد في منطقة أعالي الفرات . وكانت بقيادة حنا كوركواس John Kourkouas<sup>(٣)</sup> ، كذلك تمكن من التوسع في عدد من المناطق الأرمينية ، وتم إجبار عدد كبير من الأمراء هناك على الخضوع له . كما أنه في عام ٩٤٠م هاجم منطقة

١- يلاحظ أن سيف الدولة الحمداني ، جعل من حلب مركزاً ثقافياً وحضارياً إلى جانب كونها مركزاً للجهاد ضد البيزنطيين وبكى للتدليل على ذلك أن بلاطه قصد التنبيه وأبو الفرج الاصفهاني والفارابي ، وعن جهاده للروم أنظر :

مسكويه ، مجارب الأمم ، ط. القاهرة - بـت ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

المتنبي ، ديوان المتنبي ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، ط. بيروت ١٩٨٠م ، ج ٤ ، ص ٩٤ - ص ١٠٨

Canard , Sayf Aldaula, Alger 1934

Id, Histoire de la dynastie de Hamadanides, de Jazira et de Syrie, T.I, Paris 1953 .

وتعد دراستا كثار رائدة في مجال تاريخ الحمدانيين على الرغم من صدورهما في النصف الأول من القرن الماضي ، مع عدم إغفال أن صاحبها مستشرق فرنسي .

أيضاً مصطفى الشكعة ، سيف الدولة الحمداني مملكة السيف ودولة الألقام ، ط. القاهرة ١١٧-١٢٢ ، وهي دراسة مهمة على الرغم من أن مؤلفها إهتمامه الأصلي بتاريخ الأدب ، أيضاً أحد اساعيل على ، تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢-٤٦٣ هـ / ٧٤٩-١٠٧٠م ، ودراسة سياسية واجتماعية ، ط. دمشق ١٩٨٣م ، ص ١٠٤-١١٠

٢- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٦

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, op. cit, p. 245

٣- حنا كوركواس ؛ يعد من رجال القرن العاشر الميلادي ، وقد تدرج من مجرد جندي أرميني حتى وصل إلى درجة رفيعة في صورة رئيس الحرس الامبراطوري ، ثم صار دومستيك Domestic أو قائد الجيوش =

كولونيا Colonea<sup>(١١)</sup>، وبعد عامين فقط من تلك الأحداث وقعت معركة بغراس، ومرعش عام ٩٤٢م. وتمكن فيها من هزيمة البيزنطيين.

على أية حال؛ لم تقف الإمبراطورية البيزنطية مكتوفة الأيدي أمام هجمات ذلك القائد المسلم. وهكذا؛ قامت بتوجيه قواتها عام ٩٤٣م في منطقة الجزيرة الفراتية وتمكنت من الاستيلاء على مارتيروبوليس، وأن، ودارا، ونصيبين<sup>(١٢)</sup>، وذلك تحت قيادة القائد السالف الذكر<sup>(١٣)</sup>، وقد أطمعته إنتصاراته في أن يتوجه بالتوجه إلى الرها Edessa عام ٩٤٤م على نحو جعلها بمثابة قمة انتصاراته في تلك المرحلة. وكانت في قبضة المسلمين عام ٦٤١م. ويلاحظ أنها مثلت مكانة دينية خاصة مع وجود التديبل المقدس The Sacred Mandilon الخاص بالسيد المسيح<sup>(١٤)</sup> كما يعتقد المسيحيون في كنيستها

---

= الشرقية ضد المسلمين في عهد الامبراطور رومانوس الأول ليكابينوس Romanus I Lakapenos. ويقرر دونالدنيكول عنه أنه تولى أمر الدفاع عن العاصمة البيزنطية في مواجهة الروس عام ٩٤١م. وقد وصفه زسيمان بأنه أعظم جندي أنجبته بيزنطة لعدة أجيال. كذلك حارب المسلمين في الجبهة الشرقية. وعندما أسقط الامبراطور المذكور عن عرشه عام ٩٤٤م تبدلت الأمور بالنسبة لحناكروكواس فصار في ظلال النسيان بعد أن جرد من مناصبه. عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, pp. 70-71. Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 245.

Norwich, Short History of Byzantium, p. 177

Runciman, Romanus Lecapenus, p. 146-150.

حستين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية. ص ١٥٧ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية. ص ١٨٧

Ostrogorsky, Op. cit., p. 245. -١

Ostrogorsky, Op. cit., p. 245. -٢

أيضاً محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص ١٨٧

Ostrogorsky, Op. cit., p. 245. -٣

Norwich, Op. cit., p. 177.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 306.

Nicol, Op. cit., p. 71 -٤

ولايعنى ذلك بالطبع ؛ تصور أن سيف الدولة الحمداني لم يرد على تلك التوسعات البيزنطية ؛ إذ دارت الحرب بينه وبين البيزنطيين سجلاً وتراوحت بين الانتصار والهزيمة. حدثت معركة حصن برزويه عام ٩٤٧م ، وفى عام ٩٥٠م ، توغل فى مناطق البيزنطيين وصعب عليه أمر العودة ومنى بالهزيمة ولارهب فى أن الطبيعة الجبلية، والظروف المناخية القاسية حالت دون تحقيق الإنتصار مع عدم اغفال فعاليات الجيش البيزنطى بطبيعة الحال .

تجدر الإشارة إلى أن ذلك القائد لم توقعه الهزيمة المذكورة عن مواصلة الجهاد، بل استمر يواجه البيزنطيين روح وثابه فقام بغزوتين عام ٩٥٣م وفى العامين التاليين واصل تقدمه بل تمكن من الانتصار فى معركة الحدث وامتدحه أبو الطيب بقصيدة رائعة قال فى مطلعها

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتى على قدر الكسرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغارها

وتصغر فى عين العظيم العظام<sup>(١)</sup>

جدير بالذكر ؛ حرص المؤرخون الأوروبيون الذين تحمسوا للتاريخ البيزنطى على تصور سيف الدولة الحمداني على أنه أحد اللصوص الذين هاجموا بيزنطة، وتصوروا أن كافة عملياته العسكرية لم يكن لها من هدف سوى السلب والنهب<sup>(٢)</sup> والعودة بالفنائم ، والأسلاب ، وفى المقابل ؛ أظهروا الحصلات العسكرية البيزنطية حينذاك على أنها بمثابة محاولة لإعادة الأمن لمناطق الجزيرة الفراتية ، وبالتالي نسوا أو تناسوا أن ذلك القائد كان من كبار قادة الجهاد الإسلامى فى ذلك العصر، وقد أبلى بلاءً حسناً فى مواجهة العدوان البيزنطى على أملاك المسلمين حينذاك

بوجه عام؛ لم يجد ذلك القائد المسلم من ينصفه إلا بعض أبيات رائعة لعبقري الشعر العربى أبو الطيب المتنبى هي- بلارب- درة ديوانه ، وكذلك القليل من الباحثين من لم يتأثر بالرؤية المركزية الأوروبية

١- عن جهاد سيف الدولة ضد البيزنطيين أنظر:

مسكويه ، تجارب الأمم، ج٢، ص١٨٠، مصطفى الشكعة ، سيف الدولة الحمداني، ص١١٧-١٣٢

٢- على سبيل المثال أنظر:

Schlumberger, Un Empereur Byzantine au Dixieme Siecle, Nicephor Phocas phocas. Paris 1890 . p. 227 .

من بعد ذلك : تولى حكم الإمبراطورية البيزنطية الإمبراطور رومانوس الثاني<sup>(١١)</sup> ٩٥٩-٩٦٣م، الذي حقق لإمبراطوريته إنجازاً في صورة استرداد كريت Crete من السيادة الإسلامية ، وذلك عام ٩٦٦م<sup>(١٢)</sup>؛ بعد أن ضعفت أحوال المسلمين السياسية بصفة عامة، وهكذا؛ فإن نجاح البيزنطيين في إسترداد تلك الجزيرة لم يكن ليتم دون ضعفهم ، ويقر أحد كبار المؤرخين العرب ما نصه « ترتب على سقوط الجزيرة : عودة الأمن إلى بحر إيجه بعد أن تعرض لفترة طويلة لحمالات المسلمين ، وعادت كريت مركزاً تجارياً بيزنطياً هاماً في حوض البحر المتوسط»<sup>(١٣)</sup>، الواقع : أن ذلك الرأي يمكن توقعه مؤرخ غربي؛ أما أن يصدر من مؤرخ عربي فهو أمر يدعو للدهشة ولا يمكن الموافقة عليه وقد تقبل العبارة في حالة الإشارة إلى أن ذلك من وجه النظر البيزنطية ومرة أخرى ؛ ما قام به المسلمون في بحر إيجه جهاد بحري مشروع ، من خلال استمرار حالة الحرب بينهم وبين بيزنطة.

على أية حال ؛ من الملاحظ أن عهد الأسرة المقدونية احتوى على ما يعرف بمرحلة القادة العسكريين وتعنى عهد الامبراطورين: نقفور فوكاس<sup>(١٤)</sup> (٩٦٣-٩٦٩م)، ويوحنا تزميسكس

١- رومانوس الثاني بن قسطنطين السابع ؛ من المقرر أنه عندما توفى أبوه كان قد بلغ الحادية والعشرين من عمره في نوفمبر عام ٩٥٩م. ويقرر دونالد نيكول إتصافه بالعريفة ، والعبث، ومع ذلك وجد حوله عدد من كبار رجال السياسة والحرب على نحو أفاد الإمبراطورية البيزنطية، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, p. 112 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. vol . I, p. 302 .

Ostrogorsky. History of the Byzantine State, p. 251-252 .

٢- أفضل دراسة بالعربية عن كريت والصراع الإسلامي- البيزنطي عليها ، أعدتها أ.د. اسمت غنبي أنظر: أسمت غنبي، الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، وعن استرداد بيزنطة لها أنظر: ص٢٣٧-٢٧٦ وهي في الأصل أطروحة علمية من كلية الآداب- جامعة الاسكندرية

٣- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٨

٤- نقفور فوكاس ولد من أسرة من الأسر العسكرية العريقة في آسيا الصغرى ويلاحظ أنه عمل في خدمة الامبراطورين بازل الأول ولبو السادس وأبوه برداس فوكاس عمل كقائد عام في عهد قسطنطين السادس، عنه أنظر

ابن العديم، زبدة الخلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ط.دمشق ١٩٥١م، ج.١، ص٢٩ وما

بمدها. =



(٦٦٩-٩٧٦م)، وقد حققت الامبراطورية البيزنطية خلال حكمهما عدداً من الانتصارات على المسلمين؛ نظراً لضعفهم، وكذلك كفاءة القوة العسكرية البيزنطية التي توافرت لها خبرة عريضة في مواجهة المسلمين في ساحات المعارك، ولاتغفل إنتهاز بيزنطة لوضع المسلمين السياسي المتدهور من أجل خلق واقع جيوبوليتكى على الأرض لصالحها. ومن الممكن ملاحظة أن صراع تقفور فوكاس ضد المسلمين مر بثلاث مراحل أساسية هي كالآتي:

المرحلة الأولى: وتقع بين عامي ٩٦٣، ٩٦٥م. وقد تركزت حروبه خلالها في إقليم كيليكيا Cilicia في آسيا الصغرى Asia Minor؛ من أجل التمهيد للقوات البيزنطية للتوغل في بلاد الشام. وقد انتهت تلك المرحلة باخضاعه أدنه Adana، والمصيصة، وطرسوس، وقد اعتبرت من أهم المراكز الحربية

المرحلة الثانية: وهي فيما بين عامي ٩٦٦م، ٩٦٧م وفيها دخل مناطق دارا، ونصيبين في أعالي الفرات، ويقال أنه خلال ذلك إضطر سيف الدولة الحمداني إلى التراجع إلى شيرز، ولم يواصل تقفور فوكاس حملاته، وعاد أدراجه إلى مناطقه الأصلية عام ٩٦٧م؛ للحصول على الإمدادات اللازمة بالإضافة إلى أن أوضاع الإمبراطورية الداخلية استدعت عودته<sup>(١)</sup>.

---

Schlumberger , Un Empereur Byzantin au Dixieme Siecle Nicephor Phocas Paris = 1890 .

دراسة مهمة مع علم إغفال أن مؤلفها كتبها بإمكانات أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومع ذلك؛ فإلى الآن لابد من الإفادة منها بعد مرور (١١٦) عاماً على صدورها

عبد كمال توفيق. الإمبراطور تقفور فوكاس واسترجاع الأراضي المفقدة، ط. الاسكندرية ١٩٥٩م.

Nicol. A Biographical dictionary , p. 96-97 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , p. 252-260 .

Vasiliev. History of the Byzantine Empire, p. 302 , p. 403 .

Norwich. A short History of Byzantium , p. 181 , p. 184 - 185 .

نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص٢٥٨-٢٦١؛ حصتين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،

ص١٥٧

١- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٦٦

ويلاحظ أنه خلال تلك المرحلة تم طرق بوابة الدبلوماسية ، ولذلك اتجهت بيزنطة إلى أن تتناول الأسرى مع المسلمين ومنهم الشاعر أبو فراس الحمداني بعد أن مكث أربعة أعوام في أسر البيزنطيين مرت عليه كالدهر<sup>(١١)</sup> . عام ٩٦٦م . ومن المتصور أن الاتجاه إلى الدبلوماسية يعكس عدم قدرتها على الحسم العسكري في صراعها مع المسلمين

أما المرحلة الثالثة : فقد تمثلت في وقائع عام ٩٦٨م . وفيها تمكنت من دخول معرة النعمان ، وشيزر وحماه ، وحمص وأظهرت بيزنطة تعصبها الأعمى ضد الاسلام بإحراق المساجد .

والأمر المؤكد : أن أهم نجاح محقق من جانب بيزنطة ضد المسلمين خلال تلك المرحلة تمثل في نجاح إثنين من القادة البيزنطيين في دخول أنطاكية<sup>(١٢)</sup> Antioch درة شمالى بلاد الشام عام ٩٦٩م . ومن بعد ذلك : ظلت في قبضة البيزنطيين لما زاد على قرن من الزمان وبالتحديد ١١٥ عاماً إلى أن قام المسلمون بإستردادها عام ١٠٨٤ على أيدي الأتراك السلجوقية إلى أن استولى عليها الصليبيون خلال أحداث الحملة الأولى عام ١٠٩٨م .

من جهة أخرى : تمكن ذلك الإمبراطور البيزنطى من دخول مدينة حلب<sup>(١٣)</sup> ، وفرض على أهلها شروطاً قاسية ، كذلك بلغ به الأمر حداً جعله يرسل رسالة تهديد فى صورة قسيده شعريه<sup>(١٤)</sup> ، للخليفة العباسى المطيع لله (٩٤٦-١٠٢٧هـ) نظمها له أحد كتابه على نحو دلت على أن الشعر - ديوان العرب - دخل فى معترك الصراع البيزنطى - العربى حينذاك وهو أمر

= ونجد عرضاً مهماً لصراع البيزنطيين وسيف الدولة الحمداني لدى: ابن العديم . زبدة الحلب . ج ١ ص ١١١ - ص ١٥٢ وأهمية ابن العديم تكمن فى أنه خصص كتابه لتناول شمالى بلاد الشام خاصة حلب من ابكر الأزمنة حتى القرن الثالث عشر الميلادى .

١- محسود سعيد عمران . معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية . ص ٢٠٩

٢- عن استيلاء تقفور فوكاس على أنطاكية أنظر :

ابن العديم . زبدة الحلب . ج ١ . ص ١٦٢-١٦٣

وسميه « تقفور بن الفعاس » . أيضاً أحمد مختار العسافى فى التاريخ العباسى والفاطى . ط . بيروت

ب-ت ص ٣٢٩

٣- Canard, Histoire de la dynastie de Hamdanides de Jazira et de Syrie , Paris 1953, p. 814-815 .

٤- عنها أنظر ابن كثير . البداية والنهاية . ط . القاهرة . ب-ت . ج ١١ . ص ٢٤٤-٢٤٧ =

ما كان يفعله ذلك الإمبراطور إلا من خلال مرحلة الضعف الشديد التي مرت بها الخلافة العباسية حينذاك .

ومن الأهمية بمكان الإقرار بدوافع التوسع البيزنطي خلال القرن العاشر الميلادي، إذ يقرر أحد كبار مؤرخي الدراسات البيزنطية ، أن قيام الإمبراطورية بالتوسع فى الأقاليم الشرقية على حساب المسلمين مثل عملاً قامت به طبقة الأقباط Dynatoi<sup>(١١)</sup>، وهو تعبير أطلقه البيزنطيون على الطبقة العسكرية الأرستقراطية ، والتي خرج منها كل من نقفور فوكاس ، ويوحنا تزميسكس ، وقد إنجبه أبناء تلك الطبقة إلى الشرق للحصول على الأرض<sup>(١٢)</sup>، خاصة أن ذلك الاتجاه صار مأموناً من أجل الاستثمار ، ولانفعل أن السبب فى الاستثمار فى الاقطاعات الزراعية، رجع إلى أنها مثلت المجال الوحيد المتاح نظراً لكون مجالات الصناعة والتجارة عدت من المجالات المقيدة<sup>(١٣)</sup>.

وهناك عدة ملاحظات تعليقاً على حملات نقفور فوكاس يمكن إيرادها على النحو الآتى:

أولاً : حاول بعض الباحثين الأوروبيين<sup>(١٤)</sup>، وأيدهم فى ذلك بعض الباحثين العرب<sup>(١٥)</sup> القول

= وقد أوردت عدداً من أبياتها فى الملاحز

١- وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٩٢

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- نفسه، نفس الصفحة.

وبعد أ.د. وسام عبد العزيز فرج أول باحث عربى حرص على إبراد الدوافع الاقتصادية التي كانت من وراء توسع الإمبراطورية البيزنطية خلال تلك المرحلة.

٤- أنظر على سبيل المثال :

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 403 .

٥- من أمثلتهم عمر كمال توفيق، الإمبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الأراضى المقتسة، ط. الاسكندرية ١٩٥٩م.

أيضاً محمد صالح منصور، أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية ، منشورات جامعة قاربونس، ط. بنى غازى ١٩٩٦م، ص١٤٦

بأن حملات ذلك الإمبراطور البيزنطي تمثل نوعاً من الحروب الصليبية ، والواقع التاريخي عكس ذلك تماماً ؛ إذ لا صليبيات قبل عام ١٠٩٥م، كما أسلفت الإشارة من قبل ويمكن وصف الأمر بتعبير ما قبل الصليبيات Pre- Crusades عليها، ومن الممكن القول؛ أن تلك الحملات البيزنطية ما هي إلا محاولات عسكرية ؛ من أجل زيادة النفوذ الإمبراطوري في تلك المنطقة المجاورة لها دون أن تكون هناك « أيدولوجية » معينة خاصة بالحروب المقدسة Bellum Sacrum, The Holy War خاصة أن الكنيسة البيزنطية لم تكن تفضل تلك الفكرة.

ولاتفعل ؛ أن عدداً من الباحثين الأوربيين تأثروا بأقوال الإمبراطور نقفور فوكاس عندما خاطب الجماهير الغفيرة المحتشدة في ساحة السباق أو الهيدرودروم Hippodrome موضحاً لهم أنه يريد الوصول إلى بيت المقدس، لتحريرها من قبضة المسلمين، وقد تصوروا نتيجة لذلك أن الأمر يندرج تحت مسمى الحروب الصليبية Crusades, Croisades<sup>(٣)</sup>، وبالتالي ؛ حُملوا الأمر أكثر مما يحتمل ، كذلك حاولوا إيجاد أصول تاريخية لتلك الظاهرة التاريخية المحورية والفعالة في عالم العصور الوسطى.

---

= حيث يذكر « إعتبر بعض الباحثين هذه المحاولات إرهابات للحروب الصليبية »، أنظر نفس الصفحة أيضاً؛ صابر دياب حيث يشير إلى ما نصه : « نقرر بشئ من الثقة أن عصر الحروب الصليبية إنما يرجع إلى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وليس إلى تلك الصيحة الرعنا، التى نطق بها البابا أوربان الثانى فى مجمع كليمونت سنة ١٠٩١، أواخر القرن الخامس الهجرى)

صابر دياب ، المسلمون، وجهادهم ضد الروم فى أرمينية والشغور الجزرية، والشامية خلال القرن الرابع الهجرى، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص٣٩

ويلاحظ أن المجمع المذكور عقد فى ١٠٩٥م، وليس ١٠٩١م، كما تصور المؤرخ الفاضل.

٣- عن بيلوجرانبا تاريخ الحروب الصليبية أنظر:

Atiya, The Crusade , Historiography and Bibliography , London 1962 .

Mayer , Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzüge , Hannover 1960.

إن الرؤية الموضوعية تدعونا إلى تصور : أن ذلك الإمبراطور البيزنطي أطلق تلك الشعارات كنوع من الدعاية السياسية؛ من أجل إثارة الجماهير وليضمن تأييدها لتوسعاته العسكرية . ولم تحتوى الشعارات الدينية على أى « مشروع » بوصف بأنه مشروع صليبي متكامل على شاكلة ما ظهر فى الغرب الأوروبى فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى فيما بعد .

ثالثا : لم يكن نجاح نففور فوكاس فى كافة الأحداث السابقة نوعاً من الإنتصارات البيزنطية « الحارقة » التى تعبر عن قدرة بارزة على تغيير الواقع الجيوبولوتيكى فى بلاد الشام ، فالملاحظ أن بقاءه فى تلك المناطق لم يستمر طويلاً بالنسبة للإمبراطورية ، والعبرة فى التاريخ عمومًا ليس بالاستيلاء على المواقع بل البقاء فيها لأمد طويل وكذلك تقديم رسالة حضارية لأبناء تلك المواقع وهو أمر ينتفى تماماً فى حالة الامبراطور المغامر المذكور .

رابعاً كان ضعف المسلمين فى العصر العباسى الثانى له دوره البارز فى نجاح أعدائهم التاريخيين البيزنطيين فى تحقيق تلك الانتصارات خاصة ، أن العلاقات بين الطرفين كانت لصالح المسلمين بصورة تامة منذ ثلاثة قرون مضت .

وعلىنا ألا نتبع كل ما ورد فى المصادر البيزنطية المعاصرة بشأن توسعات نففور فوكاس إذ أنها تعاملت مع تلك الأحداث بنوع سافر من الدعاية الدينية والسياسة ، وطابع المبالغة بصفة

---

= Mayer, Literaturbericht über die Geschichte der krenzzüge: Veröffentlicht ungem 1958 - 1967 . Historische Zeitschrift 3 1969 , pp. 641-731 . Mayer and Mclellan , Select Bibliography of the Crusades, in Setton (ed.) A History of the Crusades , vol VI Wisconsin, 1989 .

نسطنطين زريق ، « ما ساهم به المؤرخون العرب فى المائة سنة الأخيرة فى دراسة التاريخ العرسى عن فترة الحروب الصليبية » مجلة الأبحاث الجامعة الامريكية بيروت السنة (٢) ج٢ ، يونيو ١٩٥٩م ، وهو مؤرخ زائد بعد أول من كتب فى بيلوجرافيا الحروب الصليبية ، محمد مؤنس عوض ، « بيلوجرافيا الحروب الصليبية - المرجع العربية والمعربة ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسطى ، م (٣) عام ١٩٨٥م ، ص ٣٩٤ - ٤٣٣ ، فصول بيلوجرافية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٩٩م . ويجد القارئ آلاف العناوين عن الحروب الصليبية قدر المجهود المتواضع

عامه، على الرغم من أن الأمر كان أيسر من ذلك؛ فالفراغ السياسي الذي عانت منه المنطقة مهمد لذلك الإمبراطور النجاح، وبعبارة أخرى ساعد المسلمون بضعفهم ذلك الإمبراطور - دون أن يدروا على الانتصار البيزنطي!.

خامساً لا تغفل أن من الباحثين الغربيين من إعتبر عهد الأسرة المقدونية بمثابة العصر الذهبي في تاريخ الدولة البيزنطية، وكان من أسباب تلك التسمية لديهم؛ إلى جانب التفوق في المجالات الحضارية المتعددة النجاحات العسكرية التي بالقوا بشأنه من جانب تقفور فوكاس - ومن بعده يوحنا ترميسكس - ومن الممكن تقديم ملاحظة أساسية هنا وهي أن أباطرة العصر الذهبي The Golden Age المذكور أباطرة غلبت عليهم الروح العسكرية المتعصبة، وصنعوا مجدهم الحربي على جماجم آلاف القتلى.

مهما يكن من أمر؛ تولى بعد تقفور فوكاس الإمبراطور يوحنا ترميسكس (٩٦٩-٩٧٦م) ويلاحظ هنا؛ تكرار المشهد الرئيسي في القصر الامبراطوري على نحو أكثر خسة؛ إذ أن تقفور كان قد تزوج من ثيوفانوا Theophano<sup>(١)</sup>، وقد تأمرت الأخيرة على زوجها للإرتباط بعشيقها ليوحنا ترميسكس، وبالفعل تم تدبير مؤامرة أعدتها الزوجة الخائنة، وذبح تقفور عام ٩٦٩م في غرفة نومه!

١- الإمبراطورة ثيوفانو Theophano، زوجة رومانوس الثاني ثم تقفور فوكاس، ومن بعده حنا ترميسكس وصفت بالجمال، والطموح، والدهاء، وهناك من يقرر أنه عرف عنها الانحلال الخلفي، وقد لفت جمالها الإمبراطور رومانوس الثاني الذي عرف عنه ضعف الشخصية فأتخذها زوجة، ومن بعده تزوجها تقفور، وقيل أنها لم تكدر ترغب في الزواج منه، وتقرر المؤرحة القديرة، أ. د. عليه الجزوري؛ أن زواجها من تقفور أثار دهشة المعاصرين؛ نظراً لما عرف عنه من زهد - كما ردد ابيسنظيون - خاصة ما عرف عنها من أخلاق متحلة، وقد سجل نقش على قبره يقول: إن ذلك الإمبراطور تمكن من هزيمة كل شيء إلا المرأة، وعلى أية حال، لم يستمر ذلك الزواج إذ تأمرت ثيوفانو مع عشيقها يوحنا ترميسكس لقتل زوجها، عنها أنظر

Nicol, ABiographical dictionary, p. 127-128 .

Vasiliev, History of The Byzantine Empire, p. 302, p. 335 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 251, p. 260 .

عليه الجزوري، المرأة في الحضارة البيزنطية، ص ١٩٦-١٩٧، محمود سعيد عمران؛ معالم تاريخ

الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٩

وهكذا ؛ يتأكد لنا أن شهوة السلطة ، والرغبة فى المجد السياسى ، دفعت الكثيرين إلى الوصول إلى المنصب الإمبراطورى بالدماء ، والحيانة ، وتلك صفة لا يمكن أن ينكرها مؤرخ منصف تعامل مع ذلك المنصب الذى أغرى الكثيرين بالتجرد من المشاعر الإنسانية من أجل السعى إليه ، وبذلك قدمت لنا بيزنطة صوراً بالغة السوء فى المجال المذكور

على أية حال ؛ ليس هناك فى عهد يوحنا ترميسكس من أحداث جديرة بالتسجيل إلا صراعه مع المسلمين ، ويلاحظ أنه - من جهة أخرى- دخل فى صراع مع الروس حققت فيها بيزنطة نجاحاً<sup>(١)</sup> مع ملاحظة أن حسم الأمر سيكون لبيزنطة فى علاقتها مع الروس من خلال التنصير وليس القوة العسكرية فيما بعد .

أما العلاقات مع المسلمين ؛ فيلاحظ أن عهد يوحنا ترميسكس (المعروف فى المصادر العربية باسم ابن شقيق<sup>(٢)</sup> بعد إمتداداً ووضاحاً لعهد سلفه نقفور قوكاس ، وقد أغراه ضعف الخلافة العباسية ، وظهور القاطمين الشيعة والصراع القائم بين القوتين المتنافستين سياسياً ومذهبياً - أغراه ذلك على التوسع على حساب المسلمين وقد هدف - فيما هدف- إلى إعادة الأملاك التى كانت للإمبراطورية البيزنطية منذ ثلاثة قرون خلت ، كذلك بتكوين مجد عسكري بارز بدعم ، وضعيته السياسية داخل ربوع الإمبراطورية البيزنطية ، ولانغفل ، ورغبته فى إكمال النشاط العسكري الذى قام به سلفه<sup>(٣)</sup> .

كذلك لانغفل الأهمية الاقتصادية - خاصة التجارية - لمنطقة شمالى بلاد الشام ولا نرتاب فى أنها أغرته فى القوم بقواته إليها<sup>(٤)</sup> .

١- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٦٨-١٦٩

٢- أنظر على سبيل المثال: ابن العديم: زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٦

٣- ومع ذلك ؛ فمما يخالف الحقيقة التاريخية ما تصوره أ.د. أحمد مختار العبادى حيث ذكر أن غارات ذلك الإمبراطور البيزنطى وصلت إلى أراضى بيت المقدس وبغداد ، وقال ما نصه « يوحنا الأول الشيشن (ترميسكس) الذى بلغت غاراته أراضى بيت المقدس وبغداد » ولا يوجد فى المصادر التاريخية ما يؤكد مثل ذلك التمرير المبالغ فيه تماماً ، أنظر إشارة

أحمد مختار العبادى ، فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ط. بيروت ب-ت ، ص ٣٢٩ ، ص ٩٠ ، فى التاريخ العباسى والأندلسى ، ط. بيروت ب-ت ، ص ٩٠

٤- عن الأهمية التجارية لتلك المنطقة أنظر : شيخ الرهوة ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، تحقيق مهسن ، ط. بطرسبرج ١٨٣٥م ، ص ٢ ، ٢ ، الغزى ، نهر الذهب فى تاريخ حلب ، ط. حلب ١٩٤٢ ، ص ١٦ ، ص ١٤٥ ، هايد ، تاريخ التجارة ، ص ١٨٠ ، أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٠٧

وقد تمكن الإمبراطور البيزنطي المذكور من الإستيلاء على حمص ، وكذلك بعلبك، وفرض على دمشق ؛ ضرورة أن تدفع له فدية مالية، وتعرف عنه قيامه بعدة حملات على إقليم الجزيرة في شمالي العراق لبطس السيادة البيزنطية هناك واستولى خلال ذلك على آمد، وميافارقين، ونصيبين؛ وذلك عام ٩٧٤م<sup>(١)</sup>.

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ عقده حلفاً دفاعياً مع الملك أشوط الثالث الأرميني Ashot III ، الذى حكم خلال المرحلة الممتدة بين عامى ٩٥٢ ، ٩٧٧م<sup>(٢)</sup> ليواصل أعماله الحربية فى إقليم الجزيرة بعد العودة إلى بيزنطة غير أن الحليف الأرميني باء مسعاه بالفشل المبين .

على أية حال؛ حرص المؤرخون الأوربيون على التركيز على البعد الدينى فى حملات يوحنا تزميسكس<sup>(٣)</sup> وأبرزوا رغبته فى تحرير القدس من السيادة الإسلامية، وبذلك ؛ خلطوا بين القدرة الفعلية على تحقيق ذلك والبقاء باستمرار هناك ، وبين عنصر الدعاية السياسية الذى تفيض به المصادر التاريخية البيزنطية ولاريب فى أن نوعية مثل ذلك الامبراطور استهوت الكثيرين منهم لأسباب لاتخفى على أحد.

١- مجددر الإشارة إلى أن العلماء والفقهاء لم يترددوا فى إثارة الحساس للجهاد ضد البيزنطيين حينذاك ، وتذكر فى هذا الشأن ؛ ابن نباته (ت ٩٨٥م) ، وهو أبريحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباته الفارفى من أهل ميافارقين وقد التقى فى حلب بالمتنى فى خدمة سيف الدولة، وارتبط بالخطب الحماسية وقد أحدثت أثراً كبيراً فى نفوس معاصريه ، عنه أنظر، ديوان ابن نباته ، ط. بيروت ١٣١١هـ

الذهبي، دول الإسلام ، ج ١ ، ص. ٢٣٠، عبد اللطيف حمزه ، أدب الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٤٩م، ص. ٢١٤ ، آدم متنز، المضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ت. عبد الهادى أبوربدة ، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ج ٢ ، ص. ٩٤ . عمر كمال توفيق، مقدمات "عهدوان الصليبي، ص. ١٧٢ ، محمد مزنس محوض ، عصر الحروب الصليبية بعوث ومقالات ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص. ٦٦، حاشية (١٤٠)

Hillenbrand , The Crusades, Islamic Perspectives, Illinois 1999, p. 101 .

وهى دراسة ممتازة غير أنها رؤية أوروبية على أية حال

٢- محمدر سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص. ٢٠٥ . طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجى، ج ١ ، البيزنطيون والعالم الإسلامى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص. ٢١٩ ، ص. ٢٣٠

٣- من أمثلة ذلك المؤرخ ، أنظر مقاله

Walker , " The Crusade of John Tzimisres in The Light of New Arabic Evidence" B., vol . XLVII. 1477. pp. 301-327



وصرة أخرى ؛ من المهم الإقرار بأن العبرة فى التاريخ بالبقاء فى المواقع التى تم السيطرة عليها ؛ وهو أمر لم يحدث فى الغامرات العسكرية لذلك الإمبراطور البيزنطى التى إتسمت بالتسرع وعدم الاستمرارية .

على أية حال ؛ توفى يرحنا ترمسكس المذكور عام ٩٧٦م؛ ليتولى من بعده أحد أشهر أباطرة الدولة البيزنطية ألا وهو باسل الثانى ٩٧٦-١٠٢٥م<sup>(١)</sup> .

جدير بالإشارة ؛ أن أغلب المؤرخين الأوربيين الذين تخصصوا فى حقل الدراسات البيزنطية واهتموا على أعمال ذلك الإمبراطور الذى وصفوه بأنه آخر الأباطرة البيزنطيين الكبار ، واعتبروا وفاته عام ١٠٢٥ م ، بمثابة نهاية العصر الذهبى للأسرة المقدونية<sup>(٢)</sup> ، وبالتالي علينا تسليط الضوء على أعماله والحكم عليها بموضوعية .

١- باسل الثانى ؛ إمبراطور بيزنطى حكم خلال المرحلة بين عامى ٩٧٦ ، ١٠٢٥م ويعد من أبرز الأباطرة فى عهد الأسرة المقدونية . وقد تولى فى العام الأخير عن عمر بلغ الثامن والسبعين عاماً ويلاحظ أنه لم يتزوج ، عنه أنظر:

Pscillus , *Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia* , pp. 27-49 .

Gibbon , *The History of the decline and Fall* , vol . III , p. 1939- 1942 Nicol , *A Biographical dictionary* , pp. 17-18 .

Farag , *Byzantium and its Muslim Neighbours during The Reign of Basol II* , 96-1025 , ph. D., University of Birmingham 1979 .

تعد أفضل دراسة بالإنجليزية كتبها مؤرخ عربى بارز فى مجال الدراسات البيزنطية صاحب مكانة دولية مرموقة ، أنظر: وسام عبد العزيز فرج ، «الإمبراطور باسل الثانى سفاخ اللغز» (٩٧٦-١٠٢٥م) : العوامل التى أثرت على السياسة فى عصره ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسطى ، م (١) ، عام ١٩٨٢م ، ص١٦٩-٢٠٢ ، وهى أفضل دراسة عربية مركزة عن ذلك الإمبراطور .

وسام عبد العزيز فرج ، «قوانين الملكية الزراعية فى الامبراطورية البيزنطية فى القرن العاشر الميلادى: دراسة تحليلية» ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسطى ، م (٢) ، ط: القاهرة ١٩٨٣م ، ص٢٢٨-٢٢٦ ، والبحث الأخير من أمته ما كتب هذا المؤرخ لذى تدبر له الدراسات البيزنطية فى مصر بالكثير .

أنظر عنه أيضاً عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٦٩ - ١٧٨ ، أسد رستم ، الروم ، ج٢ ، ص٤٩-٦٠ ، حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٥٨-١٦٠ ، است غنيم ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص١٢٢

يلاحظ أن أبرز ما قام به باسل الثاني بموضوعية يمكن ملاحظته على النحو الآتى:  
أولاً: تنصير الروس.

ثانياً : العلاقات مع الفاطميين فى مصر والشام.  
ثالثاً الصراع مع البلغار والتنكيل القاسى بهم.

جدير بالإشارة : أن الإمبراطورية دخلت فى صراع مرير مع الروس. وقد لاحظنا كيف أنهم هاجموا من قبل عام ٨٦٠م العاصمة البيزنطية وأعملوا فيها التخريب والقتل؛ على نحو أبرزته المصادر التاريخية ، ولكن فيما بعد تحسنت العلاقات بين الطرفين وأخذت بعداً سياسياً ودينياً آخر فى عهد باسل الثانى.

لانتفعل ؛ أن العرش البيزنطى تعرض لمحنة كبيرة فى عهد باسل الثانى، وإذ أنه لم يوفق فى صراعه المبرك مع البلغار ، وثار ضده اثنان من القيادات البيزنطية فى صورة برداس فوكاس Berdas Phocas ، وبرداس سكليروس Berdas Sklero ، وأعلن الأخير نفسه إمبراطوراً خاصة أنه كان يمت بصلة القرابة لتقفور فوكاس ؛ إذ كان عمّاً له . وقد حدث اتفاق بين القائدين على أساس أن ينال برداس فوكاس القسم الأوروبى من الامبراطورية بما فيه العاصمة، ويحصل برداس سكليروس على القسم الآسيوى . غير أن الخلاف دب بينهما، وألقى برداس فوكاس القبض على منافسه وصار مطالباً بالعرش الامبراطورى<sup>(١)</sup> وتأزم الوضع العسكرى للإمبراطور باسل الثانى ويحث عن حليف فى تلك الظروف العصيبة فتمثل فى

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٢١٧ . أنظر أيضاً طاروق منصور ، الروس والمنجنيق الدولى ٩٤٥ - ١٠٥٤ م. ص٩٥

وعن العلاقات بين الروس والإمبراطورية البيزنطية فى عهد الأسرة المقدونية بصفة عامة أنظر هذه الدراسة المفصلة والعميقة: عليه الجزيرى، العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية ، ط. القاهرة ١٩٨٩م.

وهى أفضل دراسة بالعربية فى موضوعها، وتناز بالتحليل والعمق من مؤرخة قديرة فى حقل الدراسات البيزنطية والصليبية.

٢- Obolensky , The Byzantine commonwealth Eastern Europe 500-1453 . washington - 1971, p. 255

الأمير الروسي فلاديمير Vladimir<sup>(١١)</sup> (٩٨٠-١٠١٥ م) - فيما بعد القديس فلاديمير - وبالفعل أرسل له فرقة عسكرية من ٦ آلاف مقاتل لدعم الإمبراطور الشرعي على نحو أدى إلى هزيمة برداس فوكاس عام ٩٨٩م في معركة ابيدوس<sup>(١٢)</sup> Abydos وفي مقابل ذلك : قدم الامبراطور باسل الثاني وعداً بالغ القيمة للأمير الروسي بأن يزوجه من أخته الأميرة أنا Anna شريطة أن يعتنق المسيحية<sup>(١٣)</sup> . وكذلك يفرضها على شعبه.

Treadgold , A History of the Byzantine State and Society, p. 517

= أيضًا

Vasiliev, History of th Byzantine Empire, p. 332, 347

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , p. 269 .

١- فلاديمير أو القديس فلاديمير St. Vladimir : هو فلاديمير الأول بن سفياتوسلاف . ولد عام ٩٥٥م . وتولى امارة كييف عام ٩٨٠م تقريباً . وفي عام ٩٦٩م؛ صاراً أميراً على نوفجورد Novgord وذلك بمساعدة خاله دوبرينيا . وقد أقام خطاً دفاعياً لمواجهة قبائل الجناك على نهر ديسنا . وسرليو . وغيرهما . وهناك من يقرر أن عهد فلاديمير شهد نهوضاً لدولة كييف . وارتبط بتقوية الحكم في الداخل . وحملات خارجية للفوز . على أية حال ؛ توفي فلاديمير عام ١٠١٥م وتم منحه لقب قديس . عنه أنظر :

Psellus, Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia , p. 201 . Attwater , Penguin Dictionary of Saints , London 1977, p. 338-339 .

مجهول ، قصة حملة الأمير أيفغور ، ت. خميس فوج . ط. موسكو ١٩٨٩م ، ص ١٤٧ . وهو مصدر روسي مهم .

ول ديورات. قصة الحضارة، ج ١٤ ، ت. محمد بدران . ط. القاهرة ١٩٧٥م . ص ١٩٩

Obolensky The Byzantium Commonwealth, p. 255

٢- عن اعتناق فلاديمير المسيحية انظر:

Mcendorff and paynes, " The Byzantine inheritance in Russia", in Paynes and Moss, Byzantium , An Introduction to East Roman civilization , Oxford 1952 , p. 371- 372 , Rybarov, Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 , p. 51, Browning, The Byzantine Empire, New York 1980, p. 90 .

Rybarov, Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 , p. 51, Browning, The Byzantine Empire, New York 1980, p. 90 .

على أية حال ؛ بعد زوال الخطر ؛ ماطل الامبراطور فى تنفيذ الاتفاق، وأمام ذلك الموقف البيزنطى قام فلاديمير كتوع من الضغط العسكرى، والسياسى بالاستيلاء على ميناء خرسون Cherson<sup>(١)</sup> الاستراتيجية والحجوى على البحر الأسود ، وفيما بعد ؛ وافق الإمبراطور على أمر المصاهرة مع الروس ، فى واحدة من أهم أحداث الزواج السياسى Political Marriage فى شرقى أوروبا فى العصور الوسطى .

من ناحية أخرى ؛ عمل باسل الثانى على تزويج إحدى قريباته وهى ماريا أرجيروبولينا Maria Argyropoulaina من ابن دوق البندقية عام ١٠٠٤م، كما أنه زوج ابنة أخته زوى Zoc إلى اوتو الثالث ملك ألمانيا<sup>(٢)</sup> .

جدير بالذكر ؛ أن أمر الزيجات السياسية استمرت من بعد ذلك بين الروس والامبراطورية البيزنطية، ولا أدل على ذلك؛ من أن فزيفولد ابن باروسلاف قد تزوج من ماريا ابنة الإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤م) وذلك فى عام ١٠٤٦م ومن بعد ذلك ؛ نجد أن دوق روسيا إيفان الثالث فاسيليفتش Ivan III Vasi- lievich (١٤٦٢-١٥٠٥م) تزوج من صوفى باليولوغوس Sophie Paleologue ابنه شقيق قسطنطين الحادى عشر Constantine XI (١٤٢٨-١٤٥٢م)<sup>(٣)</sup> . على نحو أكد أن زواج

= Brehier, Vie et Mort de Byzance , Paris 1946 , p. 222, 2000, p. 34 . Ziegler, History of Russia, London 1999, p. 12 .

لبلى عبد الجواد ، تاريخ الروس من خلال المصادر العربية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م، ص ٥٥ ، بريس رواستيناخ ، تعميد كييف ، مجلة رسالة اليونسكو ، العدد التذكارى بمناسبة مرور ألف عام على تعميد كييف، رقم (٣٢٥) يونيو ١٩٨٨م، ص ٤-٨، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩ - ٢٠٠٢م ، ص ٢٨

كوبستوف دوسون، تكوين أوروبا ، ت. مصطفى زيادة وسعيد عاشور، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص ٢١٦

١- عنها Constantine Prophyrogenitus, De Administrando imperio, p. 259

٢- Nicol, A Biographical dictionary, p. 18 .

٣- عن ذلك أنظر: عليه الجنزورى ، العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية ٨٦٧-١٠٥٦م، ص ١٧٥، فايز مجيب اسكندر، مصر فى كتابات المهجاج الروس فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م، ص ٥-٦

فلاذبير من أنا شقيقة باسل الثانى كان مقدمة لحالات أخرى من الزواج السياسى بين الجانبين والملاحظ أن تحول روسيا إلى النصرانية ؛ قد تم بصورة تدريجية فقد بدأ بالفئات العليا من المجتمع الروسى، ثم انتشر ببطء بين العناصر الأدنى، ولايفهم من ذلك أن العناصر الوثنية لم تظهر مقاومة؛ إذ لاذت بالفرار إلى الأدغال ، والغابات<sup>(١)</sup> . وظلت أشكال الوثنية قائمة لعدة قرون تالية ، ولكن من خلال الكنائس والأديرة صارت روسيا تحتل مكانها ضمن المراكز الروحية المسيحية فى ذلك العصر<sup>(٢)</sup> .

على أية حال؛ لتحويل روسيا إلى المسيحية ؛ تم بناء العديد من الكنائس فى كافة أنحاء البلاد فى عهد فلاذبير ، وقد قرر أن يتم إقامة الكنائس فى ذات الأماكن التى شهدت من قبل تشييد المعابد الوثنية، كذلك تم تشييد الأديرة ليس فقط فى كييف Kiev بل حتى فى مناطق الغابات دعماً للدين الجديدة ، وليتوحد الرهبان مع الطبيعة - كما يتصورون- كذلك أقيمت فى عهده- المدارس التى حرصت الفئات العليا على إلحاق أبنائها فيها ، ومثلت الأساس الذى قامت عليه المدارس الكنسية التى هدفت إلى تخريج عناصر تعمل بالسلوك الكنسى فيما بعد<sup>(٣)</sup> .

مهما يكن من أمر؛ تطور الأمر من بعد ذلك على نحو جعل الروس يحجون إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين ويسجلون خواطر رحلاتهم إلى هناك كجزء من أدب الحج الأوروبى فى العصور الوسطى، ومن أمثلتهم فى القرن الثانى عشرم؛ Daniel دانيال<sup>(٤)</sup> .

-١- Pares, A History of Russia, London 1962 , p. 52 .

-٢- Harcave, Russia, A History, London , Russia, A History, London 1954, p. 14 .

ولاختفل أنه فيما بعد؛ عمل الروس على نشر المسيحية عبر سببريا إلى الاسكا عن ذلك أنظر: حنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٦١

-٣- Wren, Acourse of Russian History, New York 1958 , p. 52 .

-٤- أنظر رحلته

Daniel, Pilgrimage of The Russian Abbot Danic in The Holy Land, Trans. by Wilson .  
P.P.TS., vol . IV , London 1895 .

والترجمة العربية التى قام بها سعيد البشاوى :

دانيال الروسى، رحلة الحاج الروسى دانيال الراهب فى الأراضى المقدسة،ت سعيد البشاوى، ط. عثمان ١٩٩٢م، وعن ذلك الرحالة ورحلته أنظر:

والأميرة أيوفروزين Euphrosine<sup>(١١)</sup>، وغيرهما

ولانتزاع ، فى أن الروس كانوا بمثابة الميدان البكر لبيزنطة فى سياستها التنصيرية حينذاك. وما حققته هناك مَثَلٌ إنتصاراً بارزاً على كنيستها المنافسة لها ؛ روما، ومن الممكن القول- دون مبالغة أن بيزنطة فى عهد باسل الثانى الثانى توسعت جغرافياً خارج حدودها ولم يكن ذلك عن طريق الجيوش ، ولكن بالتنصير وبالتوسع العقائدى والثقافى.

بصفة عامة؛ نلاحظ أن الدبلوماسية البيزنطية<sup>(١٢)</sup>، وضعت من بين أهدافها الكبرى ؛ السعى إلى تنصير الشعوب المجاورة التى من الممكن أن تشكل خطراً داهماً على الامبراطورية، ولاربيب؛ فى أن خيراتها التاريخية فى ذلك المجال كان لها دورها. فمن قبل لاحظنا أن عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م) ؛ أى منذ القرن السادس الميلادى شهد نشاطاً تنصيرياً خلال الصراع مع الدولة الساسانية، ومنذ ذلك الحين إمتد النشاط التنصيرى، ونجد فى القرن التاسع الميلادى إجهاداً نحو تنصير مورافيا Moravia كما أسلفت الإشارة من قبل.

يوغوليوسكى. «رحلة الصانع الروسى دانيال الراهب فى الأراضى المقدسة، فى أول عهد الصليبيين»، مجلة المشرق . العدد (١٩) . السنة (٢٤) عام ١٩٢٦م، ص٦٤٩-٦٤٤ ، نقولا زيادة ، رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٦م، ص٨٢-٨٣ ، محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيين فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ص٧٣- ١٠٠ .

١- أنظر رحلتها Euphrosine, " Peleringe on Palestine ", Trans. by De khitrowo. R.(L).L., T. III. Année 1895 .

محمد مؤنس عوض . المرجع السابق، ص١٤٤-١٥٥

٢- عن الدبلوماسية البيزنطية أنظر:

Shepard and Franklin (eds.) Byzantine Diplomacy , Papers From TheTwenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies, Publication , N. 1, Hampshire 2003.

ويحتوى الكتاب المذكور على ٢١ بحثاً عن الدبلوماسية البيزنطية. ومن أفضلها Haldon, " Blood and ink, Some Observations on Byzantine attitudes Towards Warfare and diplomacy. pp. 281-294 .

وأنظر أيضاً رأفت عبد الحميد. بيزنطة الدين والفكر والسياسة. ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص١٠٣-١٤١ حيث خصص العالم الراحل فضلاً مستقلاً عن الدبلوماسية البيزنطية.

جدير بالذكر ، مثل ذلك الجانب سياسة عامة للإمبراطورية البيزنطية لم تكن لتتغير بتغيير الأباطرة . وقد أدركت أن من عناصر استمرارها ، وبقيتها وسط عالم شديد الاضطراب والتصارع نظراً لاختلاف الأمم ، والأعراق ، والأديان ، والمصالح والأهداف أن تتجه نحو التنصير ، ولاتنفل وجود دوافع سياسية واقتصادية لاتنكر ، ولاتنكر أنه خلف القوة العسكرية وجدت التجارة والتنصير ، وحتى عندما كانت هناك العلاقات السلمية لم تتخلل بيزنطة عن التنصير لتحقيق مكاسب متعددة جنتها من ورائه .

وهكذا: كان تنصير الروس نقطة تحول مهمة ومحورية في العلاقات البيزنطية الروسية: خاصة أنها حينذاك توافرت لديها خبرة خاصة بذلك المجال؛ فمع التغير الجديد لن يكون الروس بمثابة أعداء يهددون القسطنطينية مثلما حدث عام ٨٦٠م، بل إنهم عندئذ صاروا تابعين دينياً، ومذهبياً للإمبراطورية البيزنطية على نحو جعلهم بمثابة عمق استراتيجي بحسب له حساب له لصالح تلك الإمبراطورية

يبقى أن نذكر هنا : أن كافة الكيانات السياسية البارزة في العصور الوسطى سواءً في الغرب الأوروبي ، أو في شرقي أوروبا وآسيا الصغرى كما في حالة بيزنطة ، وحتى في مملكة بيت المقدس اللاتينية Latin kingdom of Jerusalem في بلاد الشام فيما بعد على مدى القسرتين ١٢ ، ١٣م<sup>(١)</sup> وضعت نصب عينيها القيام بالتنصير؛ دعماً لوضعها السياسي ولتحقيق أهداف متعددة من خلال مظلة نشر المسيحية سواءً كانت كاثوليكية تابعة لكنيسة روما أو أرثوذكسية تابعة لكنيسة القسطنطينية ، خاصة المكاسب الاقتصادية لاسيما التجارية.

ووصفة عامة: مهما اختلفت التوجهات السياسية للكيانات السياسية في أوروبا العصور الوسطى فقد اتفقت في زاوية التنصير بصورة ملفتة للانتباه ، وحقيقة الأمر؛ أن التنصير كان الدافع الظاهري الذي استترت من ورائه عدة دوافع أخرى اقتصادية وسياسية لا يمكن إنكارها وبعبارة أخرى؛ كان التنصير بمثابة الغطاء الذي وجدت من ورائه دوافع أخرى على جانب كبير من الأهمية والمخاطرة.

١- عن التنصير في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية في القرنين ١٢ ، ١٣م. انظر: أسامة بن منقذ ، الاعتراف ، تحقيق فيليب حتى ، ط. بيروت ١٩٨١م ، ص١٦٨ ، ابن جبير ، الرحلة ، ط. بيروت ١٩٨٤م ، ص٢٨١

Baldwin "Mission to the east in The Thirteenth and Fourteenth Centuries" in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol V, Philadelphia 1985, pp. 432-518 .

Kedar , Crusade and Mission, European Approaches to the Muslims, Princeton 1988 .

وتبقى هنا زاوية أخيرة فيما يتصل بالعلاقات البيزنطية - الروسية فى عهد باسل الثانى؛ فالملاحظ أن التأثير لم يكن بيزنطياً فقط مثلما قد يتبادر للأذهان ، بل أن الروس تركوا تأثيرهم هم أيضاً فى الإمبراطورية البيزنطية لاسيما من الناحية العسكرية ، وكما لاحظ المؤرخ ديمترى أوبولينسكى إذ أن العناصر التى أرسلها فلاديمير إلى القسطنطينية بعد أن انتهت من تأدية مهمتها الحربية لصالح الإمبراطور الشرعى ظل عدد منهم فى العاصمة البيزنطية ووجد منهم أعضاء فى الحرس الفرنجيينى Varangian Guard؛ الذى مثل الحرس الشخصى للإمبراطور الذى تولى مهمة الدفاع عن القصر، وشارك فى جيوش الإمبراطورية البيزنطية<sup>(١)</sup>، وهكذا؛ فإن الكفاءة الحربية لتلك العناصر الروسية ضمنت لها دورها حينذاك وفيما بعد.

وفيما يتصل بالصراع بين بيزنطة والفاطميين فى مصر والشام ؛ يلاحظ أن امتداد نفوذ الفاطميين من المغرب إلى مصر ، ثم بلاد الشام جعلهم فى مواجهة الإمبراطورية البيزنطية، وقد عاصر الإمبراطور باسل الثانى إثنين من الخلفاء الفاطميين هما؛ العزيز بالله (٩٧٥-٩٩٦م) والحاكم بأمر الله (٩٩٦-١٠١١م) .

وبصفة عامة ؛ إنجبه العزيز بالله إلى أن تكون بلاد الشام خاضعة لسيطرته من خلال رغبته فى نشر المذهب الشيعى الإسماعلى هناك، ولكى يكون مجاوراً للخلافة العباسية السنية العدو الرئيسى للفاطميين الشيعة. وقد إصطدم مع الحمدانيين فى حلب على نحو سمع بزيادة هجمات البيزنطيين هناك ، وانجبه الحمدانيون فيما بعد إلى مهادنة الفاطميين ، وبالفعل إنجبه سعيد الدولة الحمدانى (٩٩١-١٠٠١م) إلى الاعتراف بالتبعية للخليفة الفاطمى العزيز بالله.

= وهى دراسة تعد أفضل ما كتب بالإنجليزية فى موضوعها.

محمد مؤنس عرض ، الاسلام والسبحة بين الاعتناق والارتداد عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب الحروب الصليبية السبابة - ائب- العقيدة ، ط. القاهرة: ٢٠٠١م، ص٩١-١١٧

ويقوم حالب الطالب البنى النابه / محمد المقدم بإعداد رسالته للدكتوراه عن نفس الموضوع من كلية الآداب- جامعة المنصورة.

١- وفى هذا المجال يقول ذلك المؤرخ ما نصه:

"These Russian mercenaries , There mission completel continued to play arole in Byzantine history : Some of them at least remained in Constantinople and became members of the Varangian Guard, The Emperor's Personal bodyguard who defeudet the Palace and where Sometimes enrolled in the field armies of Byzantium"

Obolensky , The Byzantine Commonwealth , p. 255-256 .



إنجھ الخليفة المذكور إلى محاربة البيزنطية وأعد جيشاً كبيراً لذلك غير أن المنية لاحتته عام ٩٩٦م، فتولى من بعده الحاكم بأمر الله الذي واصل سياسة والده حبال البيزنطيين ، وقد حدث في عام ٩٩٧؛ أي العام التالي مباشرة لتولية الحاكم السلطة. أن قامت في مدينة صور حركة تمرد بقيادة بُحَّار سُمِّيَ علاقه<sup>(١)</sup>، الذي أعلن استقلاله وقد قام باسل بتقديم العون له نكابة في الفاطميين، وقد أرسل إليه الحاكم بأمر الله جيشاً بقيادة ابن الصمصامة استطاع حصار صور Tyre- التي اشتهرت بمناعتها وحصانتها على مر عصور التاريخ<sup>(٢)</sup> - وحوصرت برأ وبحركاً وتم إلقاء القبض على ذلك المتمرّد وأرسل إلى مصر، وتابع الجيش الفاطمي تقدمه في بلاد الشام، من أجل محاربة البيزنطيين ، وبالفعل إصطدم بهم عند أفامية، وتمكن من الإنتصار عليهم ، بل تمّت مطاردتهم حتى أنطاكية.

حفزت هزيمة الفاطميين للجيش البيزنطي باسل الثاني ليخرج على رأس قواته ليعيد هيبة البيزنطيين وقام بالإغارة على المنطقة الممتدة من أنطاكية إلى بيروت<sup>(٣)</sup>، وهكذا اصطدم

١- عن الحاكم بأمر الله أنظر: القرزي، إتعاظ الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. تحقيق محمد حلمي أحمد، ط. القاهرة ب-ت، ج ٢، ص ٣- ١٢٣

محمد عبدالله عنان. الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية. ط. القاهرة ١٩٢٧م؛ عبد النعم ماجد، الحاكم بأمر الله الخليفة المشتري عليه. ط. القاهرة ١٩٥٩م، عارف تامر، الموسوعة التاريخية للخلفاء، الفاطميين ، الحاكم بأمر الله. ط. بيروت ١٩٨٠م. أحمد كامل محمود. الحاكم بأمر الله وعصره. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

٢- عن ذلك أنظر: جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية. ط. القاهرة ١٩٩٥م. ص ٣٧٢

٣- عن حصانة مدينة صور التي عرفت بها منذ عهد الاسكندر الأكبر أنظر: ابن حوقل ، صورة الأرض، تحقيق دي جوهه، ط. لندن ١٩٦٧م، ص ١٧٤ ، ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٧- ٢٧٨ ، باقوت ، المشترك وضعاً والمفترق صفحاً ، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٨٦ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ط. بيروت ب-ت ، ص ٧٥  
سر الحتم عشان، مدينة صور في القرنين ١٢ ، ١٣م رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، ص ٤ ، ص ٧، محسن محمد حسين، «مستولية صلاح الدين في فشل حصار صور» ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، م (٧) ، العدد (٢٦) ، الكويت ١٩٨٧م، ص ٣٢

٤- عن حملات باسل الثاني على بلاد الشام أنظر

بالفاطميين في طرابلس في عام ٩٩٩م، إلا أنه خسر المعركة ، واضطر إلى رفع الحصار عنها، وعاد أدراجها إلى أنطاكية.

على أية حال ؛ ظهر إجماع لدى الفاطميين يدعو إلى تجنب إتساع الصدام مع بيزنطة، بل والدخول معها في علاقات سلمية باستفيد منها الطرفان، وهكذا ؛ عقدت هدنة بين الجانبين عام ١٠٠١م مدتها عشر سنوات، وتعهدت بيزنطة من خلال باسل الثاني بتقديم المحبوب الذي تحتاجها مصر الفاطمية، مع ملاحظة أن مرحلة الهدنة لم تكتمل نظراً لعودة العلاقات للتوتر بينهما<sup>(١١)</sup>.

أما الصراع مع البلغار<sup>(١٢)</sup>؛ فقد حقق فيه ذلك الإمبراطور إنتصاراً بارزاً في آخر المطاف، ومنحه لقبه الديموي الذي اشتهر به ، وهو قصاب البلغار Bulgaroctonus، فقد فصل فيه المؤرخون الأمر ، على نحو لا يدعو إلى تقديم المزيد من التفاصيل بشأنه ، ومع ذلك؛ من الممكن تقديم أهم الملامح العامة عن الصراع البيزنطي- البلغاري حينذاك من خلال النقاط التالية:

أولاً ؛ اعتبر القيصر صموئيل Samuel<sup>(١٣)</sup> (٩٧٦-١٠١٤م) من أبرز القيادات البلغارية،

= ابن تقي بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٤ ، ص١٢١ ، السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ط. الاسكندرية ، ٢٠٠١م، ص٥٦-٥٧ ، محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا، ومصر وبلاد الشام، ط. بيروت ٢٠٠١م، ص٢٤٨، حسن ابراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٣، ص٢٤٥ ، عمر عبد السلام تدمري، لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بين الصليبين ٣٥٨-٥١٨هـ / ٩٦٩-١١٢٤م، ط. طرابلس ١٩٩٤م، ص٣٧-٤٥

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 311

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 273

١- محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز ، ص٢٩٧

٢- عن تفاصيل صراع باسل الثاني مع البلغار أنظر:

Gibbon, The History of the decline and fall , vol . III, p. 1939-1942

Ostrogorsky . Op. cit, p. 268 .

Stephenson, The Legend of Basil The Bulgar Slayer, Cambridge 2003, pp. 32-48 .

Ostrogorsky , p. 268 , note (1).

٣- عنه أنظر

حيث يناقش أصول ملكة صمويل واختلاف الباحثين بشأنها، أيضاً؛ اسمت غنيم ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٣٣

وبعده البعض من أكبر حكام ما عرف بالدولة البلغارية الأولى. وقد تمكن من إعادة تكوين بلغاريا ، وحرر مناطقها الواقعة على نهر الدانوب ، بل لمجح في غزو مقدونيا ، وتسابيا ، بل وصل به الأمر إلى أن وصل إلى شبه جزيرة البليونييز ، وقد ساعده على تحقيق مثل تلك الانتصارات الغير المسبوقة عدم استقرار الأوضاع للإمبراطور باسل الثاني فى بدايات عهده ، بالإضافة إلى كفاءة قواته من الناحية العسكرية وخبرتها السابقة فى مواجهة البيزنطيين.

ثانياً : تعرض الإمبراطور باسل الثاني للهزيمة من جانب الزعيم البلغارى عندما تمكن من مهاجمة قواته عند ممر تراجان أو ما عرف باسم Tragan's Gates فى البلغار ؛ وذلك فى أغسطس عام ٩٨٦م ومن بعدها تمكن صمويل من مد حدوده من البحر الأسود إلى الأدرياتيكي<sup>(١١)</sup>.

ومن المؤكد أنها كانت هزيمة كبيرة بكافة المقاييس، ومن المرجح أنها تركت أثراً نفسياً بالغا على الإمبراطور وولدت لديه رغبة قوية نحو الشار من البلغار، وقد تعاطت تلك الرغبة مع توالى الأعوام.

ويلاحظ أنه لم يتمكن من الرد عليها إلا بعد أن أنفق ثلاثة عقود تقريباً ، حرص فيها على تكوين «قاعدة معلومات» وفيرة عن عدوه اللدود وكذلك إعداد جيش قوى على نحو يمكنه من الانتصار فى مواجهة ذلك العدو العتييد الممتد النفوذ من نهر الدانوب شمالاً إلى البحر الأدرياتيكي، وبحر إيجه Aegean Sea جنوباً.

على أية حال ؛ أمام صمت المصادر ليس فى مقدور الباحث أن يبرز التفسير النفسى لسياسات ذلك الإمبراطور حيال عناصر البلغار ، غير أن الأمر بظل فى دائرة الترجيح دون التأكيد التام. ولاتفعل؛ أن المصاعب التى واجهته فى سنوات حكمه الأولى، وكذلك أحداث التمرد التى واجهها كل ذلك من المحتمل أنه ولّد لديه نوعاً من الشراسة والعنف

ثالثاً : تمكن باسل الثاني من الرد على الهزيمة السابقة من خلال إنتصاره الحاسم فى ممر يسمى كيمبالونجو Kimbalongou فى يوليو عام ١٠١٤م<sup>(١٢)</sup>، وقد نتج عن تلك المعركة

Ostrogorsky, History of The Byzantine State, p. 275. -٢

حسين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٥٨. عمر كمال توفيق. تاريخ الدولة البيزنطية . ص١٧٠ . أند رستم . الروم، ج٢، ص٥٨

وقوع عدد كبير من البلغار بين قتيل، وأسير، ويقال أن الأسرى بلغوا ١٤.٠٠٠ أسير، وقد أظهر الإمبراطور- الذي حركته - على الأرجح- الهزيمة والرغبة في الشأ منذ ٢٨ عاماً- وحشية بالغة عندما قام بتسميل أعينهم، وجعل على رأس كل مائة رجل أعور يقودهم ومنطقي أنه هدف من وراء ذلك إشباع رغبته في الانتقام، ثم جعل أولئك الأسرى لايصلحون للحرب ضد بيزنطة في المستقبل وكذلك توجه ضربة نفسية موجّهة لعناصر البلغار ليتجنبوا محاربة الامبراطورية البيزنطية مرة أخرى، وقد أرسل أولئك الأسرى إلى القيصر المهزوم صموئيل ومن هنا؛ تولدت التسمية الشهيرة «قصاب البلغار» السالفة الذكر، ويلاحظ أن القيصر البلغاري التعميس؛ لم يلبث أن توفي بعد تلك الحادثة الشبعة كمدًا وحسرة<sup>(١١)</sup>.

من الملاحظ أن المؤرخين الأوربيين الذين استهوتهم الأعمال الحربية، واهنوا على ذلك الإمبراطور وتصوروا أنه من أعظم الأباطرة البيزنطيين، وسار على مسيرتهم المؤرخون العرب فرددوا ذات العبارات، والأفكار دونما معارضة تذكر! بل وصل الأمر إلى أن أورد أحد كبار المؤرخين العرب ممن دَرَسُوا عصر ذلك الإمبراطور عبارات تفيض بالاعجاب به<sup>(١٢)</sup>، وأنصروا أن باسل الثاني كشف عن عنصرية غير مسبوقه في تعامله مع الأسرى البلغار؛ على نحو يتندر أن نجد له نظيراً في القرون الوسطى قاطبة، ومن الغريب؛ أن أولئك المؤرخين الغربيين، ومن أيدهم من المؤرخين العرب لم يهاجموا ذلك الإمبراطور الذي قام بسلوك بربري كشف عن طابع يميز في «السادية» أو حب تعذيب الآخرين، ولايستطيع المؤرخ المنصف إلا الإقرار بما في مسلكه من عنف ووحشية غير مسبوقه.

Gibbon, The History of the decline Fall fall, vol . III, p. 1942

-١

Stephenson, Byzantium's Balkan Frontier , Apollitical Study of the Northern Balkan, p. 72 .

Runciman , A History of the First Bulgarian Empire , London 1930 , p. 240 .

Crampton, A concise History of Bulgaria, Cambridge 1997, pp. 21-22

٢- وسام عبد العزيز فرج ، «الإمبراطور باسل الثاني (سفاح البلغار ١١٧٦-١٠٢٥) يقول ما نصه «والجدير بالذكر أن الإمبراطور باسل الثاني اقترب بحكمه- أكثر من كل أباطرة بيزنطة - إلى تحقيق المثل الإمبراطوري الأعلى، والمتمثل في سمو لاشئ له، وسلطان بلاحدود . فقد كان القائد جيشه، ورأس الإدارة المدنية والكنسية على حد سوا . ويفضل نشاطه حققت الإمبراطورية امتداداً إقليمياً وإزدهاراً اقتصادياً لم يتحقق من قبل ولا من بعده . أنظر: «الامبراطور باسل الثاني (سفاح البلغار ٩٧٦-١٠٢٥)» . ص١٦٩

لقد أكد ذلك الموقف على حقيقة محورية، وهي أن العنف والقسوة، والتنكيل بالخصوم، والتآمر بصوره المتعددة؛ جزء رئيسى فى التاريخ البيزنطى لا يمكن إنكاره، وإن اختلفت أسماء وأشكال الأباطرة وكذلك الضحايا.

ومن المهم هنا عقد مقارنة عامة بين توسعات ذلك الإمبراطور البيزنطى، ومعاملته للأسرى البلغار، ومعاملة المسلمين فى العصور الوسطى لأسراهم وقد أثبتوا - بما لا يدع مجالاً للشك - محضهم، ولم يرد فى المصادر التاريخية، مثل تلك العمليات البشعة من التعذيب الجماعى مثلما حدث مع الأسرى البلغار.

هكذا؛ خسرت الإمبراطورية على المستوى الإنسانى بذلك السلوك، على الرغم من أنها ربحت على الصعيد الحربى والسياسى؛ إذ تمكنت من القضاء على المملكة البلغارية الأولى عام ١٠١٨م<sup>(١)</sup> - بعد أن تمكن باسل الثانى من دخول اوخريدا Ochrida عاصمتها - التى ناصبتها العداة زمناً طويلاً، وبذلك امتدت رقعتها من نهر الدانوب إلى البحر الأدرياتيكي، وصولاً إلى جنوب شبه جزيرة البليونييز.

مهما يكن من أمر؛ توفى باسل الثانى عام ١٠٢٥م بعد تاريخ عامر بالأحداث السياسية والحربية المخضبة بالدماء والتعذيب.

١- درسها بالتفصيل ونسيان فى دراسته التالية:

Runciman, A History of the First Bulgarian Empire, London 1930.

وعن المملكة البلغارية الأولى انظر أيضاً

هانى عبد الهادى البشير لعلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى ٦٨١ - ٨١٠م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٣م

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 112-114, p. 226-227, p. 231-236.

Ibid, p. 358-360.

وعن الدولة الثانية انظر:

وأنظر عن دخول باسل الثانى العاصمة البلغارية: لى عبد الجواد، «أضواء جديدة على تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطى ١٠١٨-١٠٩٧م»، مجلة الموزخ المصرى، العدد (١٤)، يناير ١٩٩٥م،

يبقى أن نذكر عن الإمبراطور باسل الثاني حرصه على تحجيم دور كبار الملاك الأثرياء في الأقاليم؛ وهم الذين أطلق عليهم تعبير Dynatoi، وفي هذا الصدد؛ يقر مؤرخ بارز بارز للتاريخ البيزنطي أن استقرار المجتمع البيزنطي اعتمد على جماعات الفلاحين الأحرار في صورة صغار المزارعين؛ وهم الذين تعاملوا بصورة مباشرة مع الحكومة المركزية، وقد اعتمدت قوة بيضة العسكرية، والمالية عليهم خاصة أنهم دفعوا الضرائب للحكومة المركزية بالتضامن، كذلك أدوا الخدمة العسكرية من خلال خدمتهم في الشيقات للدفاع عن أقاليم الإمبراطورية البيزنطية<sup>(١١)</sup>. غير أنه في القرن العاشر الميلادي تعرضت طبقة صغار المزارعين لطعم الأثرياء، مما دفع الأباطرة البيزنطيين إلى القيام بدورهم من أجل حمايتهم، وهناك ثلاثة عوامل أدت إلى تعرض الطبقة المذكورة لذلك الموقف في صورة سياسة التوسع العسكري صوب الشرق وقد صاحبه توجه الأثرياء إلى شراء المزيد من الأراضي<sup>(١٢)</sup>. ثم هناك المجاعة التي لحقت بالإمبراطورية البيزنطية عامي ٩٢٧م، ٩٢٨م، حيث ارتفعت نسبة الوفيات، كذلك اتجه فقراء الفلاحين إلى بيع أراضيهم للأثرياء واشتراها الأخيرون بأسعار زهيدة<sup>(١٣)</sup>. أما العنصر الثالث فيتمثل في سياسة الإمبراطور ليبر السادس (٨٨٦-٩١٢م) التشريعية التي كانت في صالح الأثرياء<sup>(١٤)</sup>.

أما بالنسبة لباسل الثاني؛ فقد اتجه إلى تحجيم دور الطبقة العليا التي تأمر عليه من قبل، وهكذا؛ وجدناه في أعوام ٩٨٨م، ٩٩٦م؛ سعى إلى تحقيق ذلك الهدف، وجدير بالذكر في أوائل القرن الحادي عشر أصدر مرسوماً قرر فيه أن الأغنياء عليهم وحدهم تحمل المسؤولية

١- وسام عبد العزيز فرج، قوانين الملكية الزراعية في الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٠١

وبلاحظ أن نفس المقالة المذكورة؛ أصدرها المؤلف ضمن كتابه: بيضة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ولكن تحت عنوان نشرعات الملكية الزراعية في الدولة البيزنطية في القرن العاشر الميلادي، ص ٤٥-٧٦

٢- وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص ٣٠٣ ويقر دونالد نيكول ما نصه: «عمل على تحجيم الأرستقراطية من ملك الأراضي وفرض حماية على صغار الفلاحين الذين كانوا عنصرًا حيويًا للغاية بالنسبة لوجود الجيش» أنظر: Nicol, A Biographical dictionary, p. 18.

٣- وسام عبد العزيز فرج، قوانين الملكية الزراعية، ص ٣٠٤

٤- نفسه، ص ٣٠٥

الجماعية نحو دفع الضرائب التي يتم تقديرها في كل منطقة من المناطق<sup>(١)</sup>، وتم إعفاء الفقراء من دفعها في المستقبل . وإن لاحظ البعض أن التنفيذ الفعلي لذلك لم يتم واقعياً حيث حدث تواطؤ بين كبار الملاك ، والقضاء وجباة الضرائب؛ لعدم تنفيذ إنجاء ذلك الإمبراطور<sup>(٢)</sup>.

وواقع الأمر ؛ يذكر لباسل الثاني حرصه على تحجيم قوة تلك العناصر للحفاظ على مكاسب الامبراطورية البيزنطية حينذاك من خطر كبار الملاك الأثرياء .

بصفة عامة؛ تعد المرحلة الواقعة بين عامي ١٠٢٥ م ، ١٠٥٧ م ؛ مرحلة قلقة على المستوى السياسي، ولاربع ؛ أن رحيل باسل الثاني عن الساحة البيزنطية قد ترك فراغاً سياسياً لا يمكن إنكاره بغض النظر عن أوجه النقد التي سبق إيرادها من قبل

بصفة عامة؛ ومن بين عدد من الأباطرة الذين خلفوه ؛ من الممكن إتخاذ الإمبراطور قسطنطين التاسع<sup>(٣)</sup> مونوماخوس Constantiue IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤ م) كأحد أهم الأباطرة في مرحلة ما بعد باسل الثاني.

١- وسام عبد العزيز فرج ، قوانين الملكية الزراعية ، ص٣٣٣

٢- نفسه، ص٣٣٤

٣- قسطنطين التاسع مونوماخوس تولى العرش البيزنطي كنتيجة لزوجته من زوى عام ١٠٤٢م. ويقرر دونالد نيكول عنه أنه عرف عنه الإسراف في اللهبو وشاركته زوى ذات الأمر على نحو أدى إلى الإفلاس وإلحاق الأضرار بالمخزنة الإمبراطورية ، وقد توفي في يناير عام ١٠٥٥م، عنه أنظر:

Pneflus, Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia, pp. 165-260 .

Hussey , The Byzantine World, p. 47 , p. 48 .

Norwich, A Short History of Byzantium , p. 226-228 , p. 230-232 . Nicol, A Biographical dictionary, p. 28 . Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 315 , p. 355 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , pp. 294-298 .

Diehl History of the Byzantine Empire, p. 76 , p. 97

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٣٦-٣٣٧

شارلز أوسان، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٢-١٩٤ ، محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٩٦-٣٠٠

لقد حدث في عهد ذلك الإمبراطور حدثان على جانب كبير من الأهمية أولهما في مجال التعليم البيزنطي والثاني خاص بالعلاقات مع الغرب اللاتيني ويتمثلان في:

أولاً : إعادة تنظيم جامعة القسطنطينية عام ٤٥٠ م.

ثانياً : الإنشقاق الأعظم The Great Schism بين كنيسة القسطنطينية وروما عام ١٠٥٤ م.

وفيما يتعلق بالعنصر الأول : من المقرر أن قرار تنظيمها كان قد صدر من قبل في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني؛ وذلك عام ٤٢٥ م، وفيما بعد؛ في القرن التاسع الميلادي، إنجبه الإمبراطور ميخائيل الثالث (السكرير) (٨٤٢-٨٦٧ م) إلى الاهتمام بها من خلال خاله برداس فعمل على تنظيمها مرة أخرى<sup>(١)</sup> بعد أن توالى عليها القرون، وبصفة عامة؛ غدت الجامعة المذكورة : مركزاً رفيعاً من مراكز العلم البيزنطي غير أن الإهتمام بالجانب العسكري في عهده كل من الأباطرة نقفور فوكاس، ويوحنا تريمكس، وكذلك باسل الثاني؛ جاء على حساب الناحية العلمية التي توارت أمام ارتفاع صوت آلة الحرب مقارنة بالورق، والمداد على الرغم من خلودهما مقارنة بالأولى المدمرة<sup>(٢)</sup>

على أية حال ؛ إنجبه الإمبراطور قسطنطين التاسع إلى العناية بالجامعة المذكورة<sup>(٣)</sup>، ويقال أنها احتوت على كليتين في مجالات القانون، والفلسفة ، وكذلك الدراسات الانسانية .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 198 .

-١

Hussey , The Byzantine World, p. 147

-٢

Ostrogorsky, op. cit., p. 290 .

نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص ٢٥٧

أما عن الجامعات في الغرب لأوروبا في العصور الوسطى من أجل عقد المقارنة التاريخية أنظر:

Rashdall, The Universities of Europe in the Middle Ages, Oxford 1936 .

دراسة رائدة لا يمكن الاستغناء عنها

جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى . ط. الاسكندرية ١٩٨١ م.

ياسر عبد المعبود ، جامعة باريس ودورها في النهضة الفكرية بأوروبا في العصر الوسيط، رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٢ م. وأود الإشادة بهذه الدراسة حيث تتناز بالمجهود العلمي البارز. من جانب صاحبها الباحث الواعد

زينب عبد القوي ، « جامعة اكسفورد في العصور الوسطى »، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، م (٣) ، عام ٢٠٠٣ م، ص ٢١-٧٤ . سها إبراهيم منصور، جامعة اكسفورد نشأتها وتطورها ، رسالة ماجستير ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤ م. دراسة مهمة ومتميزة.



وبما يذكر ؛ أن تلك الجامعة تم فيها تدريس ما عرف بالقنون السبعة الحرة التي عرفت باسم *Septhen arts liberales* ، والتي ضمت النحو ، والبلاغة ، والمنطق الجدلي ، والحساب ، والهندسة ، والفلك ، والموسيقى<sup>(١)</sup> .

من ناحية أخرى؛ قامت الدولة البيزنطية بتخصيص رواتب وملابس رسمية ، وكذلك مساكن لأساتذة الجامعة<sup>(٢)</sup> ، مما عكس وجود تنظيم دقيق لكافة جوانب النشاط العلمي داخل تلك المؤسسة التعليمية العليا .

على أية حال ؛ التحج ذلك الإمبراطور السالف الذكر؛ نحو استخدام كبار علماء عصره، ومن أمثلتهم يوحنا إكسيفيلينوس *John Xiphilinus* ، وميخائيل بسللوس *Michael Psellos*<sup>(٣)</sup> وغيرهما ، وقد ترك علماء تلك الجامعة تراثاً دالاً على المستوى التعليمي الرفيع الذي شهدته بيزنطة حينذاك .

ومع ذلك ؛ من المهم الإقرار بأنه في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي فيما بعد وفي أعقاب عام ١٢٠٤م قلبت النظم التعليمية، البيزنطية رأساً على عقب وكانت جامعة القسطنطينية من المؤسسات التعليمية التي تأثرت بذلك الحدث الجلل .

أما الحدث الثاني المحوري الذي حدث خلال حكم قسطنطين التاسع؛ فقد تمثل في الانفصال الذي حدث بين كنيسة القسطنطينية وروما عام ١٠٥٤م .

وهناك من يقرر ؛ أن البطريرك البيزنطي حينذاك وهو ميخائيل كيرولاريوس *Michael Cerularius*<sup>(٤)</sup> (١٠٤٣-١٠٥٨م) سعى إلى أن يكون صاحب نفوذ بارز شأنه في ذلك شأن بابا روما ، وقد اختار عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع للقيام بحركته الانفصالية .

١- نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص٢٥٧

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- رأفت عبد الحميد ، الإمبراطورية البيزنطية، العقيدة والسياسة، ص٣١٢

وعن ميخائيل بسللوس أنظر المدخل الجيولوجرافي.

٤- ميخائيل كيرولاريوس *Michael Keroullarios* ، تولي بطريركية القسطنطينية ، وفيما بعد ؛ صار في سلك الرهبنة وشارك في المؤامرة ضد الإمبراطور ميخائيل الرابع ويلاحظ أن قسطنطين التاسع كان =

على أية حال ؛ أعلن البطريرك أن البابوية<sup>(١)</sup> ممثلة في ليو التاسع Leo IX ( ١٠٤٩ - ١٠٥٤ م ) صارت أداة تم تسخيرها في أيدي النورمان وأنها تبذل جهودها من أجل إبعاد السيادة البيزنطية عن جنوبي إيطاليا من خلال تأييدها للأطماع النورمانية<sup>(٢)</sup>.

وقد رأى أن خير ضمان للإمبراطورية البيزنطية أن تكون كنيستها منفصلة ومستقلة بشئونها. ويلاحظ أنه أرسل في عام ١٠٥٣م إلى أساقفته خطاباً شن فيه هجوماً على البابوية في روما. وقد اعتبر هذا الأمر بمثابة إعلان « حرب » على الأخيرة. خاصة أن البابا القائم حينذاك هو ليو التاسع كان من أشد أنصار دعم نفوذ البابوية . وقد أرسل رسالة بقر فيها بأفضلية كنيسة روما وأحققتها في السيادة على الكنيسة الشرقية. إلا أن المنية أدركته عام ١٠٥٤م. وخلال مرحلة خلو المنصب البابوي ، تمكن ميخائيل كيرولايوس من استمالة الإمبراطور البيزنطي. وبالفعل ؛ تم الإعلان رسمياً في كنيسة أبا صوفيا في مايو ١٠٥٤م عن أن كنيسة القسطنطينية صارت كنيسة مستقلة عن كنيسة روما<sup>(٣)</sup>.

= مشاركا له فيها. وقد اختاره ليكون بطريركا على القسطنطينية . واشتهر بجده مع الكاردينال هيرت Humbert الرسول البابوي عام ١٠٥٤ م. وأسفر ذلك الجدل عن حدث ما عرف بالانشقاق الأعظم. ويقرر دونالد نيكول أن ميخائيل كيرولايوس لم يكن باللاهوتي البارع. ولم يكن أيضاً بالعالم الذي يشار له بالبنان. عنه أنظر:

Runciman, The Eastern Schism . A study of The Papacy and The Eastern Churches during The XI and XII centuries, Oxford 1956 . pp. 28-54 .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 91

أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٣٠٣

١- ليو التاسع Leo IX : بابا وقديس ، تولى المنصب البابوي خلال المرحلة من ١٢ فبراير ١٠٤٩ إلى ١٩ أبريل ١٠٥٤م. وكان ابناً للكونت هيو الاشمي Hugh of Egisheim . وقام بدور بارز في إصلاح الكنيسة وتطهيرها من السيمنية أو بيع المناصب الدينية. عنه أنظر:

Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 147-148 .

Altwater, The Penguin dictionary of Saints, p. 217- 218 .

٢- هارتمان وباراكلاف. الدولة والإمبراطورية ، ص ٢١٧ ، حاشية (٢)

٣- نفسه، نفس الصفحة والحاشية

جدير بالإشارة : مثل ذلك الأمر الذي اشتهر لدى المؤرخين «بالإنشقاق الأعظم» The Great Schism (١٥ يوليو ١٠٥٤م)؛ مرحلة على جانب كبير من الخطورة في العلاقات بين الشرق البيزنطي، والغرب اللاتيني. وقد ساعد ذلك على إنتهاء الحكم البيزنطي في إيطاليا، كذلك اتسعت الهوة بين الطرفين ظلت قائمة حتى سقوط العاصمة البيزنطية القسطنطينية عام ١٢٠٤م وفيما بعد ذلك ؛ ولاتفعل أن الأجيال المتعاقبة لدى كل كيان تشرت الكراهية ورضعت منذ نعومة أظفارها حليب العداء المتبادل، ومن الآن فصاعداً ؛ يمكن القول أن كل طرف صار يكن للطرف الآخر قدراً كبيراً من العداء، والكراهية، وكان كل تصرف يحدث يتم تغليفه بقدر كبير من الشك، والإرتياب على نحو يمكن أن يجعل المؤرخ المنصف يصف العلاقات بين الجانبين بأنها «علاقة مسممة» مؤهلة للانفجار في أية لحظة ؛ وقد دفع البيزنطيون ثمناً فادحاً لما حدث عام ١٠٥٤م فيما بعد

من ناحية أخرى؛ من الملاحظ أن عصر الأسرة المقدونية- على نحو خاص- شهد نهضة حضارية في مختلف المجالات على نحو دفع بالمؤرخين إلى إعتبراره «العصر الذهبي

١- عن الإنشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م أنظر:

Brehier, La Schism Oriental du XIe Siecle Paris 1899.

دراسة أساسية على الرغم من أنها نتاج أواخر القرن التاسع عشر

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 107 , Ware, The Orthodox Church, Penguin Book, London 1997 , p. 58 - 59 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 282 .

إسحق عبيد، روما وبيزنطة ، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص٢١-٢٦ص

عادل زيشون، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٨٠ ، ص٣٣٥ ، ص٣٥٥ : جيهان عبد المقصود فتحي، السنوات الأخيرة للأسرة المقدونية ١٠٢٥-١٠٥٦م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس ، عام ٢٠٠٢م، ص٩٢-١١٦ ، أسد رستم، الزوم، ج٢، ص٧١-٧٦ص

عمر كمال تولىق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٨٥-١٨٦ ، حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة

البيزنطية، ص١٦٤ - ١٦٥ نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص٦٥

للإمبراطورية البيزنطية، ويلاحظ هنا؛ أن تقدم الاقتصاد البيزنطى، والنجاح فى فتح أسواق تجارية جديدة، كل ذلك؛ دُرَّ على ميزانية تلك الدولة أموالاً طائلة مكنتها من الإنفاق بسخاء على كافة المظاهر المعاصرة التى شيدت . وكذلك رعاية الآداب والفنون التى ازدهرت حينذاك. ويمكن إبراد أهم تلك الإنجازات - على نحو موجز- على النحو التالى:

أولاً : ازدهرت العلوم، والفنون فى عصر تلك الأسرة، وإذا اتخذنا «التاريخ» Historia نموذجاً على سبيل المثال، نجد ظهور عدد من كبار المؤرخين فى صورة ميخائيل بسلوس Mi-chael Psellus . وليو الشماس<sup>(١)</sup> Leo The Deacon .

كذلك لانغفل؛ أن الكتابة التاريخية حظيت باهتمام الأباطرة حينذاك . ولذا نجد أن الامبراطور قسطنطين السابع بورفيريوجنيتس Constantine Porphyrogenitus يقوم بتأليف عدة مؤلفات مثل كتاب عن الشغور . وآخر عن المراسيم ، وكتاب ثالث عن الإدارة الإمبراطورية<sup>(٢)</sup> وهى مصادر على جانب كبير من الأهمية وتعكس جوانب متعددة من تاريخ تلك الأسرة وعلاقات بيزنطة الخارجية.

ثانياً : فيما يتصل بإزدهار الأدب البيزنطى؛ يكفى أن نشير هنا إلى ظهور ملحمة بيزنطية شهيرة فى صورة ملحمة ديجنيس اكرتيس Diogenis Akritis<sup>(٣)</sup> التى تكونت من خلال الإمتزاج الثقافى على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، وقد وصفتها المؤرخة القديرة جوان هسى J. Hussey بقولها « أشعلت خيال الأجيال التالية، ودفعت الماويل الشعبية عند الصقالية ، واليونان على حد السواء، حتى إذا كانت العصور الوسطى المتأخرة، ظهرت القصائد الرومانسية الطويلة فى اللغة الوطنية متأثرة بالفروسية الاقريقية، والتواتر الملحمى اليونانى»<sup>(٤)</sup>، بينما وصفنا مؤرخ آخر بأنها تضارع أنشودة رولان La Chanson de Roland

١- عنه أنظر المدخل الجبلوغرافى.

٢- عنه أنظر: المدخل الجبلوغرافى

٣- عن ملحمة ديجنيس اكرتيس Diogenis Akritis: أنظر المدخل الجبلوغرافى

٤- Hussey , The Byzantine World, p. 152 .

جدير بالذكر ؛ من خلال الاحتكاك بين المسلمين والبيزنطيين على الحدود ؛ ظهرت سيرة الأميرة ذات الهمة، عنها أنظر: نبيلة ابراهيم . سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة ط. القاهرة ١٩٩٤م.

التي تناولت حملة شارلمان على الأندلس عام ٧٧٨م، ومصراع رولان وهو أحد قادة جيشه ومعهم عدد من الجنود من جراء هجوم عناصر اليباسك أثناء الانسحاب عبر جبال البرانس خاصة عبر رونشغال . مع ملاحظة أن أشودرة رولان كانت أكثر شهرة من الملحمة البيزنطية المذكورة خاصة أنها استمرت في أعماق العقل الأوربي حتى إندلاع الحروب الصليبية أواخر القرن ١١م. رابعاً ازدهرت العمارة والفنون في عهد تلك الأسرة . وتم تشييد عدد من الكنائس - التي اعتقد البيزنطيون أنها ستبقى ما بقي الأيمان في تصورهم- على شاكلة كنيسة أيا صوفيا (القرن ٦م) التي صارت بمثابة النموذج الأعلى في تشييد الكنائس على المستوى البيزنطي وحتى خارج أنحاء الإمبراطورية<sup>(١٢)</sup>. كذلك كثرت أعمال الفسيفساء التي حققت شهرة عالمية ونفس الأمر بالنسبة للموزايكو<sup>(١٣)</sup>، والمصنوعات العاجية؛ على نحو عكس رقى الأعمال الفنية في ذلك العصر، وأكد على حقيقة مهمة وهي أن ذلك الرقى إنعكس إيجابياً على التجارة الخارجية حيث طافت المنتجات الفنية البيزنطية الراقية مختلف الأسواق العالمية سفيرة لبلادها وحققت مكانة تجارية مرموقة، وصارت موضع ثقة المستهلكين.

بصفة عامة؛ رحل أباطرة الأسرة المقدونية وبقيت لدينا كتابات مؤرخي ذلك العصر وبعض العمانر والتحف الفنية الشاهدة على المستوى الحضاري الذي بلغته بيزنطة حينذاك فالبشر يمضون وبقى آثارهم شاهدة عليهم وتنطق بل تصرخ بالتاريخ على أية حال ؛ وصل إلى السلطنة قسطنطين دو كاس ليزسس أسرة بيزنطية حاكمة جديدة ضمن الرحلة الطويلة الشاقة لذلك التاريخ !

عمر كمال توفيق . تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٨٠ . وعن أشودرة رولان أنظر:

The Song of Roland , Trans. by Sayers, Penguin Book, London 1977 .

جوزيف نسيب يوسف . «أشودرة رولان قيمتها التاريخية وما أثير حولها من جدل ونقاش» . ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب . ص ٢٧٥ . وهي الدراسة الوحيدة المتخصصة باللغة العربية.

قاسم عبده قاسم . «الشعر والتاريخ» . دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية . المجلة التاريخ المصرية . م (٢٨) ، (٢٩) . عا ١٩٨١ - ١٩٨٢ . ص ٧٨

ويلاحظ أن الترجمة العربية للأشودرة توجد لدى: سهيل زكار . الموسوعة الشامية . ط. دمشق ١٩٩٣م.

ج ٩ - ص ١٨٧

عنها أنظر ما سبق إبراد الحديث عن أسرة جستنيان.

٣- عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ١٨١

وعند مقارنة الأسرة المقدونية بالأسرات البيزنطية السابقة؛ نجد أنها تفوقت على ما سبقها من أسرات من خلال طول المدة الزمنية التي حكمت خلالها حيث امتد عهدها- كما أسلفت إلى ما زاد على قرنين من الزمان. كذلك نلاحظ تعدد الأباطرة فيها بصورة فاقت ما لدى كل أسرة من الأسرات السابقة.

من جهة أخرى تفوقت الأسرة المقدونية في أمر توسعاتها العسكرية - وإن كانت مؤقتة أحياناً خاصة في الجبهة مع المسلمين، كذلك نلاحظ ظهور أباطرة كبار فيها مثل؛ باسل الثانى وهو أمر افتقدته الأسرة العمورية على سبيل المثال.

ولاتفعل كذلك؛ أن الإنجازات الحضارية وخاصة العلمية في عهد تلك الأسرة على نحو خاص؛ جعل البعض من المؤرخين يعتبر عهدها بمثابة العصر الذهبى للإمبراطورية البيزنطية<sup>(١)</sup> خاصة المرحلة الممتدة من ٨٦٧م إلى ١٠٢٥م كما أسلفت الإشارة من قبل ، مع عدم إغفال أن التوسعات العسكرية خلالها دعم لديهم مثل ذلك التصور.

كذلك من الأمور الملفتة للإنتباه ؛ أن الأسرة المقدونية تتشابه مع الأسرة العمورية من خلال أن كلاً منهما شهد مرحلة من مراحل التباعد الكنسى بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى، ففى خلال حكم الأسرة العمورية حدثت قطيعة فوشيسوس فى عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث ، أما فى أثناء حكم الأسرة المقدونية فقد وقعت أحداث ما عرف بالإنشقاق الأعظم فى عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع وإن كنا نلاحظ أن الإنشقاق الأخير فاق فى آثاره البعيدة القطيعة الأولى وإن جاء ليؤكددها ويعبر بحقق عن تأزم العلاقة بين الكنيستين الشرقية والغربية.

وهكذا ؛ وجدت عدة أوجه للمقارنة بين الأسرة المقدونية وغيرها من الأسرات البيزنطية السابقة .

١- أنظر على سبيل المثال:

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٤٢

وفى تصورى ؛ أن يطلق على مرحلة معينة من مراحل التاريخ البيزنطى بأنها العصر الذهبى؛ فذلك يحوى قوليه واضحة ، إذ أن كل أسرة من الأسرات الحاكمة كانت لها فترات قوة وفترات ضعف ، ومثل ذلك التصور يجعلنا نتصور أن الأسرات السابقة. والثالثة لم تنعم بإسهامات بارزة فى ذلك التاريخ المتد ما زاد على ١١ قرناً من الزمان. وبالتالي ليس من المنطقى أن نطلق ذلك الوصف على ما زاد قليلاً على قرن ونصف فقط من الزمان

## سابعاً : أسرتى دوکاس وآل کومنين (١٠٥٧-١١٨٥م)

تتجه الصفحات التالية إلى عرض ملامح عهد أسرتى دوکاس، وآل کومنين على مدى المرحلة الممتدة من ١٠٥٧ إلى ١١٨٥م؛ لرصد التطورات المحورية التى حلت بالامبراطورية البيزنطية خلال مدة حكم تلك الأسرتين

لقد امتدت تلك المرحلة نحو ١٢٨ عاماً ، وحکم خلالها عدد من الأباطرة هم: إسحق الأول کومنين Issac I Comnenus (١٠٥٧-١٠٥٩م) ، وقسطنطين العاشر دوکاس-Constans Romanus IV Diogenes (١٠٥٩-١٠٦٧م) ، ورومانوس الرابع ديوجينيس- Romanus IV Diogenes (١٠٦٧-١٠٧١م) ، وميخائيل السابع دوکاس Micael VII Doukas (١٠٧١-١٠٧٨م) ، ونقفور الثالث بوتانياتس Nicephor III Botaniates (١٠٧٨-١٠٧٨م) ، والكيسوس الأول کومنين Alexius I Comnenus (١٠٨١-١١١٨م) ، ويوحنا الثانى کومنين John II Comnenus (١١١٨-١١٤٣م) ، ومانويل الأول کومنين Alexius II Comnenus (١١٤٣-١١٨٠م) ، وأندرونيكوس الأول کومنين Andronicus I Comnenus (١١٨٣-١١٨٥م)

وليس الهدف من عرضنا الحالى التعرض لكل إمبراطور بيزنطى بالتفصيل ، بل تقديم ملامح عامة عن أهم أحداث ذلك العصر

وهكذا؛ يظهر لنا ضرورة التحدث عن قوتين خارجيتين قدر لهما القيام بتأثير مركزى فى التاريخ البيزنطى فى صورة الأتراك السلاجقة ، والنورمان.

جدير بالإشارة؛ أن السلاجقة - فى الأصل - عناصر من القبائل التركية أقامت فى منطقة التركستان ، وبلاد ما وراء النهر، ويلاحظ : أن مؤسسها يدعى سلجوق بن دقان<sup>(١)</sup>، وقد

١- الحسينى، أخبار الدولة السلجوقية ، تحقيق عباس إقبال ، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص٢- ص٣

وعن أصل السلاجقة أنظر:

El- Azhari, The Saljuks of Syria during the Crusades, 493-549 A.H. / 1070-1154 A. D., Berlin 1997 , pp. 26-77

Cahen. Pre- Ottoman Turkey ageneral Survey of the matercy and Spritual Culture . 1011-1330, Trans. by J.J. Jones - Williams, New York 1968 .

اعتنقوا الإسلام، وصاروا من أشد الميزدين له ، ومن كبار زعمائهم طغرل بك الذي تمكن من دخول بغداد عام ١٠٥٥م ونجح في إنهاء حكم البرهيين هناك الذين كانوا من الشيعة بينما كان السلاجقة ومن بعد طغرل بك؛ تولى أمرهم ألب أرسلان (١٠٦٥-١٠٧٢م) وفي عهده حدث الاصطدام العنيف مع الإمبراطورية البيزنطية التي حكمها حينذاك الامبراطور رومانوس الرابع ديوجينيس<sup>(١)</sup> في صورة معركة مانزكرت الحاسمة عام ١٠٧١م، وقد وقعت مانزكرت في شمالي بحيرة فان عند جنوب شرقي البحر الأسود

جدير بالذكر ؛ أن العام المذكور حدث فيه تلك المعركة الشهيرة بين جيش بيزنطي ضخم قدره البعض - من قبيل المبالغة - بـ ٣٠٠.٠٠٠ من الفرسان، والمشاة ، أما القوات السلجوقية؛ فقدر البعض عددها بـ ١٥٠.٠٠٠؛ وهي أرقام من العسير الأخذ بها . نظراً لضخامة الرقم الأول، ومحدودية الرقم الثاني مقارنة به ، وعدم وجود إحصاءات محددة

---

= منى محمد بدر محمد، أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٧- ١٨ ، محمد سهيل طغرش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص٧٦- ٧٧ ، أحمد كمال الدين حلس، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ط. الكويت ١٩٨٦م، ص٢١ - ٢٣ ، أمين فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، ط. الرياض ١٩٩٨م، ص١٨.

١- رومانوس الرابع ديوجينيس ؛ تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ١٠٦٨م، ويلاحظ أنه بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين العاشر ؛ أغرى البعض أرملة أهدوكوكيا مكرمبول ليشا بالزواج من أحد القادة العسكريين وهو الذي تولى العرش البيزنطي بالاسم المذكور، ويصفه دونالد نيكول بأنه كان قائداً محتكراً ، إلا أنه حكم خلال مرحلة تدهور للإمبراطورية البيزنطية. وفي أعقاب هزيمته في مانزكرت عام ١٠٧١م ، تم تسليم عينيه وأرسل إلى المنفى حيث مات عام ١٠٧١م ، وتولى الحكم من بعده الإمبراطور ميخائيل السابع . عن رومانوس الرابع أنظر:

Psellus, Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia, pp. 350-366 . O.D.B., vol 3, p. 1807 .

Nicol, Biographical dictionary, p. 113 .

Vasiliev , Histoory of the Byzantine Empire, p. 352-353 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 304, p. 320 .



حينذاك ، كذلك فإن المصادر العربية حرصت- بصفة عامة- على المبالغة في أرقام القوات المعادية وتقليل عدد قوات السلاجقة لإظهار عظم شأن النصر الذي حدث على الرغم من قلة عدد الطرف الإسلامي، وإن لاحظنا- بصفة عامة- أن هناك فارقاً واضحاً في عدد قوات السلاجقة مقارنة بأعدادهم دون إمكانية تحديد الأمر في صورة رقمية واضحة للإعتبار المشار إليه .

على أية حال؛ جرت معركة مانزكرت الحاسمة في يوم ١٦ أغسطس ١٠٧١م<sup>(١)</sup> . وهناك من

#### ١- عن معركة مانزكرت أنظر:

- ابن القلتاسي، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، ط. بيروت ١٩٠٨م، ص٤٠- ص٤٤ . البيهقي، العراضة في الحكاية السلجوقية ، ت. عبد المنعم محمود ، ط. بغداد ١٩٧٩م، ص٤٧ .  
Psellus , Chronographia , in Ashour and Rabie, Fifty documents in Medieval History , Cairo 1971, pp. 58-60 .  
Cahen, " la Campagne de Mantzikert d'apres des Sources musulmaus " , B., vol . IX, p. 934 , pp. 613-642, Id . " The Turkish Invasion", in Setton, A History of the Crusades, vol . I, pp. 148-149 .  
Charanis, "The Byzantine Empire in the eleventh Century " , in Setton, A History of the Crusades, vol I, pp. 19-192 .  
Friendly , The dreadful Day: The Battle of Manzikert 1071 , London , 1981 .  
France, Victory in the East , A military History of the First Crusade, Cambridge 1996, pp. 152-153 .  
Holt, The Crusader States and Their Neighbours, London 2004 , p. 11

فايز نجيب إسكندر ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملازكرد (١٠٧١-٤٦٣هـ) في مصنف نغفور برينيبوس دراسة مقارنة للمصادر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص٧- ص١٠ ، أسست غنيم ، معركة مانزكرت في ضوء وثائق بسيلوس ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عدد عام ١٩٨١م، شاكرو مصطفى، « دخول الترك الغز إلى الشام ضمن كتاب مؤتمر تاريخ بلاد الشام. ط. عمان ١٩٧٤م، ص٣٥٨- ص٣٥٩ ، أرشيد يوسف ، سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين ٤٣٥- ٥٧٠هـ. ط. الرياض ١٩٨٨م، ص٥١- ص٥٤ ، سهيل زكار ، المدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية. ط. دمشق ١٩٨١م، ص١٤٥- ص١٥١ . سعيد عاشور ، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى. ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص٤٤ ، لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ت. بشير فرنسيس وكوركيس عواد. ط. بغداد ١٩٥٤م، ص١٧٢ ، روبرتس ، موجز تاريخ العالم، ت. فارس قطان، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٣٤٥ . وتصور خطأ حدوث المعركة عام ١٠٧٢م.

يقرر أن عناصر الاحتياط البيزنطية كان على رأسها قائد يدعى أندرونيكوس ابن يوحنا دو كاس الذي وصف بأنه من أشهر من عادوا الإمبراطور رومانوس الرابع، وقد أشاع لدى القوات البيزنطية نبأ هزيمتها على نحو أدى إلى بعث الاضطراب فيها<sup>(١١)</sup>؛ مما انعكس سلباً على مصير المعركة، كذلك لانغفل حماسة السلاجقة للقتال، وتأجج روح الجهاد في نفوسهم على نحو كان له الأثر الأكبر في الانتصار على البيزنطيين.

وأخيراً؛ تحقق الانتصار السلجوقي الحاسم، وسقط الجيش البيزنطي الضخم بين قتييل وجريح، وأسير. ووقع الإمبراطور نفسه في الأسر على نحو مهين، ونادر التكرار في التاريخ البيزنطي، وهو يذكرنا بموقف حدث بعد ذلك بـ ١١٦ عاماً عندما أسر الملك الصليبي جي لوزينيان في حطين ١١٨٧م. وكذلك فيما بعد ذلك بقرابة ١٨٠ عاماً؛ عندما أسر الملك الفرنسي لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦-١٢٧٠م) بعد هزيمته في المنصورة عام ١٢٥٠م<sup>(١٢)</sup>. حيث شهدت تلك البقعة إذلال فرنسا في العصور الوسطى على أرض النيل المخالد

على أبة حال؛ من الملاحظ أن القائد المسلم المتحضر ألب أرسلان أحسن معاملة أسيريه البارز. وأود هنا أن أقدم نصاً مصدرين من جانب المؤرخ البيزنطي ميخائيل بسلوس Mi-chael Psellus واصفاً تلك اللحظة التاريخية الفاصلة حيث قال: «إن قائد جيش السلاجقة بدلاً من أن يصيبه الغرور، وببالغ في مظاهر السعادة نظراً لوقوع الإمبراطور الروماني أسيراً غلب عليه التواضع واحتفل بنصره بصورة غير متوقعة في اعتدالها، فقد واسى الإمبراطور

١- محمود سعيد عمران . معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٤٨

٢- عن ذلك أنظر:

Jean de Joinville, The life of St. Louis, in Chronicles of The Crusades, Trans. by M. R.B. Shaw, Penguin Book, London 1976 . p. 259

جوزيف نسيم يوسف، هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل، ط. القاهرة ب-ت، ص ١١٦، العدوان الصليبي على مصر، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م، ص ٢٨٥، حسن حسنى، الشرق الأوسط بين شقى الرمح، ط. القاهرة ١٩٤٩م، ص ١٠٩، محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، ط. القاهرة ١٩٦٦م، ص ١٠٩.

والدراسة الأخيرة من أفضل ما كتب المؤرخ الراحل البارز، وبعد أربعة عقود من صدورهما لا نجد نظيراً لها بالعربية في موضوعها

الواقع في الأسر، بل دعاه إلى مشاركته الطعام، وعامله كضيف يليق به التكرم، وخصص له مجموعة تتولى حراسته، بل فك أغلال بعض رفقائه، وأخيراً؛ قام قائد السلاجقة بتحرير رومانوس ذاته، وعقد معه معاهدة صداقة وأخذ منه إيماناً بالولاء، وقد أطلق سراحه سامحاً له بالرجوع إلى بلاده<sup>(١١)</sup>.

والطور السابقة؛ شهادة بيزنطية لاتقبل الشك، لأن شهادة الأعداء لها شأنها البارز في كل عصر خاصة خلال العصور الوسطى، حيث ترك العداء الديني والسياسي آثاره البارزة على الكتابة التاريخية حينذاك، وهي تعكس الكفاءة العسكرية والرقى الحضارى الذي تمتع به ذلك القائد المسلم البارز، وأهمية ذلك السلوك؛ أنه حدث في عصور اشتهرت بالتنكيل بالأعداء.

ومن المهم هنا؛ عقد مقارنة بين ذلك السلوك المتحضر من جانب ألْب أرسلان، والسلوك المتبرير الذي اقترفه من قبل الإمبراطور باسل الثاني من قبل مع اسراء البلغار، وهو الامبراطور ندى هلل له الباحثون الغربيون من خلال زاوية تعصبية تعجب بكل قيادة قوية تتفك الدماء!! وفي تقديرى؛ أن القائد السلجوقى- دوغما مبالغة أو شيفرنية جرفاء- يتفوق على ذلك الامبراطور البيزنطى في مجالى الحرب والتسامح معاً<sup>(١٢)</sup>، ومع ذلك لم ينل أدنى تقدير من مؤرخى الدراسات البيزنطية الغربيين ومنهم من هم أصحاب المعايير المزدوجة، ولم تكن له نهمه سوى أنه يدين بالإسلام!!!

على أية حال، نتج عن معركة مانزكوت نتائج بالغة الأهمية على مسار التاريخ البيزنطى من القرن الحادى عشر حتى القرن الخامس عشر الميلادى دوغما مبالغة، ويمكن إجمالها على النحو التالى:

-١- Psellus, Chronographia, in Ashour and Rabie, p. 60.

وأنظر أيضاً ترجمة مهمة لدى: سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى. ط. القاهرة ١٩٨١م. ص ٢٢٣ وقد أفدت من الترجمة المذكورة ونجد نص وصف بسلوس للمعركة لدى:

Hollister, Medieval Europe A Short Source Book, U.S.A. 1992, pp. 38-40.

-٢- بصفة عامة؛ تعامل المسلمون مع أسراهم معاملة أفضل من غيرهم سرا- من البيزنطيين أو الصليبيين وذلك دون الوقوع فى مأذق التعصب أو الشيفرنية، ومن الممكن الرجوع لإحدى الدراسات المهمة الفريدة فى هذا الشأن، أنظر: فاطمة الشناوى، معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين فى بلاد الشام ومصر ١١٣٧-١٢٩١م / ٥٣١-٦٩١هـ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٧م.

والواقع أن المرحلة المذكورة هى امتداد طبيعى للمرحلة السلجوقية المبكرة

أولاً أدت المعركة المذكورة إلى فتح آسيا الصغرى Asia Minor أمام النفوذ السلجوقي، وهناك من يقرر أنه إذا كانت معركة اليرموك عام ٦٣٦م قد حسمت مصير بلاد الشام وخضوعها للمسلمين، فإن معركة مانزكرت قررت- هي الأخرى- مصير آسيا الصغرى لهم<sup>(١)</sup>، وهكذا؛ عدت نقطة تحول أساسية في تاريخ السلاجقة؛ إذ ظهروا بمظهر المجاهدين الذين أنزلوا الهزيمة النكراء بالبيزنطيين، وهم بمثابة العدو التقليدي للمسلمين من قبل ظهور الصليبيين في أخرى القرن الحادي عشر الميلادي، ولأرب، في أن السلاجقة من الآن فصاعداً؛ صاروا عنصراً فاعلاً ومؤثراً في موازين القوى الدولية في ذلك العصر. ولا تغفل هنا، الإشارة إلى أنه بعد سبع سنوات من المعركة المذكورة؛ استولى السلاجقة على درة شمالي بلاد الشام، وأعطى بها أنطاكية عام ١٠٧٨م.

ثانياً؛ لا تغفل أنه نتج عن تلك المعركة؛ تقلص أملاك الإمبراطورية البيزنطية في أرمينية، وآسيا الصغرى، ولم يعد لها سوى بعض المناطق المعزولة الواقعة على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، ولم يعد لها القدرة على استعادة ما فقدته<sup>(٢)</sup> وعلى نحو خاص بعد أن وجه السلطان ألب أرسلان ابن عمه سليمان بن قتلش نحو الاستيلاء على سهول وسط آسيا الصغرى وبلاد الشام والجزيرة الفراتية دون أن يواجهوا أية قوة عسكرية توقف توسعهم. من ناحية أخرى؛ انتشرت في أعقاب تلك المعركة داخل الامبراطورية البيزنطية الحروب الأهلية وتدهورت أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية على نحو يجعلنا نقرر أن مانزكرت جاءت لتكشف الوضع المتردى الذي وصلت إليه تلك الامبراطورية، ولا تغفل أن رعاياها من الأرمن عملوا على إنشاء إمارات مستقلة لهم في المنطقة كما قرر البعض<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً؛ افتقدت الامبراطورية البيزنطية من جراء تلك الهزيمة الفادحة المناطق التي كانت قد هابتها عناصر المرتزقة، وهي عناصر أساسية للجيش البيزنطي<sup>(٤)</sup>، ولم تعد تستطيع تعويض

١- حنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٩٠.

٢- محمود محمد الرويضي ومحمد نايف العمارة، «معركة ملازكرد، جانب من العلاقات السلجوقية البيزنطية»، الكرك الأردن، ٤ - ٢٠٠٤م، ص ١٨.

٣- محمود الرويضي ومحمد نايف العمارة؛ معركة مانزكرت، ص ١٩.

٤- حنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٩١.

وعن الجيش البيزنطي أنظر طارق منصور، الجيش في الامبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الزقازيق فرع بنها عام ١٩٩٤م، وزبيدة عطا، المقاتل البيزنطي، ط. ليبيا، ١٩٨٢م.

ذلك النقص في الإمداد البشري وإن اتجهت من بعد عام ١٠٧١م إلى محاولة الاستفادة من قدرات عناصر الاسكندنافيين، والأجلوسكسون، غير أن ذلك بالنسبة لها حلاً جزئياً لم يكن ليعيد لها وضعها فيما قبل معركة كارثة مانزكرت التي حلت بها.

رابعاً لا ننكر أن تلك المعركة وتداعياتها المستقبلية قد أدت إلى حرمان الإمبراطورية البيزنطية من الأنهار العديدة التي توافرت بكثرة وغزارة في آسيا الصغرى، ولا تتشكك في أن آسيا الصغرى مثلت أهمية خاصة فيما يتصل بالأمن المائي البيزنطي، وإذا كانت الإمبراطورية قد فقدت في القرن السابع النبل، والعاصي، وقسم من نهر الفرات بالإضافة إلى الأنهار اللبنانية<sup>(١)</sup> فإنها الآن وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر فقدت السيادة السياسية على أنهار أخرى في آسيا الصغرى على نحو كان له تأثيره السلبي المؤكد عليها

ولا تغفل كذلك: أن الطرق التجارية المارة بتلك المنطقة، قد خضعت لسيطرة قوة عسكرية وسياسية جديدة ستجيب الأموال الطائلة من وراء ذلك الوضع الجديد على حساب خزانة الامبراطورية البيزنطية بطبيعة الحال.

خامساً: جدير بالذكر: قامت دويلات تركمانية مستقلة فيما بعد عامي ١٠٧١م، ١٠٨٧م، تحت قيادة زعماء من الأتراك في أنحاء مختلفة من آسيا الصغرى، ويلاحظ أن الحضارة الإسلامية بدأت تحدث تأثيرها في تلك المناطق التي كانت من قبل متأثرة بالحضارة البيزنطية<sup>(٢)</sup>، ولا تغفل أن عمليات تترك الأناضول هذه استغرقت زمناً طويلاً ويقال أنها اكتملت من الوسط إلى السواحل خلال القرنين ١٣، ١٤م<sup>(٣)</sup>، وفي تقديري أن ذلك كان أخطر ما نتج عن تلك المعركة الحاسمة.

١- مثل: اللبثاني، الزيداني، المصاني، الأولى، أسطوان، الجز، البارد، ابراهيم، الكلب، بيروت، أبر على، عرقة، الدامور، الزهراني، أنظر سامر مخيسر وخالد حجازي، أزمة الماء في المنطقة العربية الحفان والبائل المكنة، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت ١٩٩٦م، ص٣٦-٣٧ ونجد خريطة تلك الأنهار في ص٣٦

٢- عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص٥٨، دولة السلاجقة، ط. القاهرة ١٩٧٥م، ص٥٢

٣- عن موضوع تترك آسيا الصغرى بعد مانزكرت أنظر: Brice, "The Turkish Colonization of Anatolia", B.J.R.L., vol XXXVIII, 1955- 1956, pp. 18-44 .

Vryonis, The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the eleventh Through the fifteenth Century . Berkeley, los Angeles 1971

سادساً : أحدثت تلك المعركة تغييراً سياسياً مهماً، فى الإمبراطورية المجرية فى شرقها العسكرى ؛ حيث تم إقصاء الإمبراطور المهزوم، ووصل إلى السلطة إمبراطور آخر عقدت عليه بيزنطة الآمال العريضة؛ وهو ميخائيل السابع Michael VII Docas ، وهو أمر يؤكد لنا أن الانتصار فى ساحة المعارك ؛ كان يؤدى - أحياناً- إلى تمكين القائد المنتصر من اعتلاء العرش، والعكس صحيح تماماً ، وهو ما نجده على نحو وضّاح فى أعقاب مانزكرت حيث كانت بمثابة إعلان نهاية رومانوس الرابع سياسياً .

سابعاً : لاتنقل ؛ أن ذلك الانتصار السلجوقى البارز، أكد عجز بيزنطة عن القيام بدورها الذى قامت به على مدى أربعة قرون (من القرن السابع حتى القرن الحادى عشر م) ، وهو الخاص بحماية المسيحية الشرقية من هجمات المسلمين ، وكذلك فى حراسة الباب الشرقى لقارة أوروبا من غزو الآسيريين<sup>(١)</sup>، وهناك تصور قائم يفيد بأنه عقب تلك المعركة ، بدأت بيزنطة فى الاستغاثة بالغرب الأوروبى على نحو أدى فيما بعد إلى حدوث الحروب الصليبية Crusades, Croisades, Kreuzzuge

أما بالنسبة للقوة الثانية المؤثرة فى التاريخ البيزنطى حينذاك فهى فى صورة النورمان؛ الذين لعبوا دوراً بارزاً فى تاريخ أوروبا العصور الوسطى على مدى القرن الحادى عشر الميلادى على نحو خاص ، فيلاحظ أن زعماءهم من أسرة هوتفيل Hauteville تمكنوا فى نفس العام أى ١٠٧٦م من الاستيلاء على بارى Bari بجنوب إيطاليا<sup>(٢)</sup>، وكانت حينذاك آخر الأملاك البيزنطية هناك، وقد حدث ذلك التطور الاستراتيجى بقيادة الزعيم النورمانى روبرت

وهى أهم دراسة فى موضوعها. وأيضاً: عثمان توران. الأناضول فى عهد السلجقة والإمارات التركمانية. ت. على عمده الفاقدى، ط. الرياض ١٤١٨هـ، ص٤، حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص١٩٣

١- سعيد عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص٤٤

٢- عن التوسع النورمانى فى أملاك الدولة البيزنطية حينذاك أنظر: Holmes (ed.), The Oxford History of Italy, Oxford 1997 , p. 48 .

وعن سقوط بارى أنظر:

Brook, A History of Europe 911 to 1198, London 1938 , p. 223

نبيلة مقامى، العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان فى جنوب ايطاليا وصلبة من ١٠١٥ - ١١٩٧م، رسالة دكتوراه - غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٩م، ص٥٦ =

جويسكارد Robert Guiscard<sup>(١)</sup> وبدعم من البابوية التي كانت تناصب الإمبراطورية البيزنطية العداء، المستمر خاصة بعد الانشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م السالف الذكر.

وهكذا؛ يتأكد لنا أن الإمبراطورية التي كانت من قبل في عهد أباطرتها المؤسسين الكبار تسيطر على مناطق عديدة؛ تعرضت مكانتها السياسية إلى هزة عنيفة بعد هزيمتها في مانزكرت، وسقوط باري في عام واحد، دون أن تتمكن من مواجهة زحف الأتراك السلاجقة من الشرق، والنورمان في الغرب

على أية حال؛ من الملاحظ أن الحدث المحوري في تاريخ بيزنطة والغرب الأوربي في أخريات القرن الحادي عشر الميلادي تمثل في اندلاع الحرب العالمية في العصور الوسطى ونعني بها الحروب الصليبية؛ تلك الظاهرة التاريخية ذات التأثير الكاسح في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في تلك العصور.

والواقع توجد هناك عدة تعريفات لها؛ منها أنها تلك الحملات العسكرية التي شنها الغرب الأوربي في أخريات القرن ١١م مستترًا بالدين، والرغبة في السيطرة على الأماكن

= سميرة بونس، النورمان والدولة البيزنطية في القرن الحادي عشر الميلادي، ط. القاهرة ١٩٩٥. ص ٧٩، سيد الناصري، الروم والشرق العربي، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ٣٧٣، جمعه الجندي، حكم النورمان في صقلية ٤٨٤-٥٨٦هـ / ١٠٩١-١١٩٤م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٠م، ص ٤٤.

١- روبرت جويسكارد Robert Guiscard (١٠١٥-١٠٨٥م) زعيم نورمانى، وكلمة جويسكارد تعنى «الدهامة». خلف أخاه كدوق لآبوليا Apulia عام ١٠٥٧م. وفي عام ١٠٧١م أخضع باري Bari؛ آخر المراكز البيزنطية في الغرب. وحاول أن يكون سيداً على الإمبراطورية البيزنطية بأن دافع عن قسطنطين دوكاس ابن ميخائيل السابع خاصة بعد زواج قسطنطين هذا من ابنة روبرت جويسكارد. وقد تمكن من هزيمة الإمبراطور الكسبوس كومنين. واحتل كورفو ودررازو عام ١٠٨٢م، وزحف على القسطنطينية إلا أنه اضطر للعودة إلى إيطاليا لمعاونة البابا جرجورى السابع ضد عفوه الإمبراطور هنرى الرابع بعد أن ترك قيادة قواته وابنه بوهيمند وقد توفي روبرت جويسكارد عام ١٠٨٥م. عنه أنظر:

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by Sewter Penguin Book, London 1982, p. 53.

(O.D.B., vol 3, p. 1799).

Chiball, The Normans, Oxford 2000, p. 77-78, p. 118-119.

Van Houts, The Normans in Europe, Manchester 2000, p. 243.

المقدسة المسيحية في فلسطين بينما أخفى من وراء ذلك عدة دوافع سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية لا يمكن إنكار تأثيرها البارز حينذاك ، كذلك هناك من اعتقد أنها السياسة الخارجية للبابوية The foreign Policy of the Papacy<sup>(١١)</sup> ، أو أنها حركة الاستعمار الأوربي في العصور الوسطى ، The European Colonialism in the Middle Ages<sup>(١٢)</sup> ، مع ملاحظة أن الرأي الأخير يفهم - من جانبي - على اعتبار أن «الاستعمار» يعنى «الاستدمار» ، والنهب المنظم لثروات المسلمين وتحويلها إلى الغرب الأوربي .

كذلك هناك من اعتقد أنها جزء من المسألة الشرقية<sup>(١٣)</sup> The Eastern question وفيما يتصل بدوافع تلك الحركة التاريخية ؛ هناك الدافع الديني وورغبة الغرب الأوربي في إخضاع المناطق التي ارتبطت بذكرات المسيحية المبكرة في فلسطين<sup>(١٤)</sup> - كما اسلفت الإشارة- ويلاحظ أن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله قد أمر بهدم كنيسة القيامة بيت المقدس عام ١٠٠٩م<sup>(١٥)</sup> ، وقد أحدث ذلك أثرًا عظيمًا في الغرب الأوربي مع ملاحظة أنه تم إعادة بنائها؛ إذ قام الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثالث Romanus III ( ١٠٢٨-١٠٣٢ م ، بالإتفاق مع الدولة الفاطمية من بعد عهد الحاكم ؛ من أجل إعادة بنائها ، وبالفعل قام الإمبراطور قسطنطين IX Constantine IX (١٠٤٢ - ١٠٥٥ م) بإرسال عماله للمشاركة في عمليات

---

Barker , The Crusades, London 1949 . p. 3 .

٢- عن ذلك انظر: Praver, The Latin kingdom of Jerusalem , European Colonialism in the Middle Ages , London 1979 .

Marriot , The Eastern question, Oxford 1958 , p. 1 .

Riant , " Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades" A.O.L., T.I, An- -٤ n°c 1880 , p. 2 .

٥- عن ذلك انظر:

Canard , " La destruction de l'Eglise de la resurrection par le Calife Hakim et l'Histoire de la descente du Fen Sacre" , B. XXXV . Anée 1965, pp. 16-43 .

أيضاً إشارة فازيليف للتحديد الزمني المذكور:

Vasitiev, History of the Byzantine Empire. p. 311 .



البناء، ويلاحظ أن حركة الحج المسيحي استمرت عبر الثغور الواقعة على الحدود بين مناطق المسلمين والبيزنطيين<sup>(١١)</sup>؛ مما عكس أن الحادثة السالفة الذكر تعد استثناءً وسط الطابع التسامح العام للمسلمين تجاه تلك الأماكن المقدسة للمسيحيين ومن المهم هنا الإقرار؛ بأن سياسة الحاكم بأمر الله- وهو الذي عرف بتناقض سياساته- تعد استثناء تاريخياً في سياسة المسلمين المتسامحة بصفة عامة تجاه أهل الخدمة ولا يمكن اتخاذ سياسة ذلك الخليفة الفاطمي في أساسات للعلاقة بين الإسلام ورعاياه من غير معتقبه<sup>(١٢)</sup>.

وقد أقر مؤرخون أوروبيون محدثون ومن أمثلتهم ، هانز أ. ماير Hans E. Mary بعدم حدوث ما يوصف باضطهاد ديني ضد المسيحيين الشرقيين أو الحجاج الأوروبيين فيما قبل

Runciman, " The Pilgrimage to Palestine before 1095", in Seton (ed.) A History of -١  
the Crusades, vol . Pennsylvania 1969, p. 74 .

محمد مؤنس عوض . الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، ص٢٢

وانظر أيضاً هذه الدراسة المهمة التي تجرى عدداً من الرحلات التي قام بها الحجاج الأوروبيون إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين وقت ترجمتها إلى الإنجليزية  
Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before the Crusades, London, 1977 .

٢- عن الحاكم بأمر الله وسياسته تجاه أهل الذمة أنظر : ابن الأثير ، الكامل، ج٧، ص٢٤٠ . ابن حناد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق النهامي نقره وعبد الحليم عويس، ط. القاهرة ١٤٠٦هـ، ص٩٩-١٠٠ . المقرئزي ، إنعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي ، ط. القاهرة ١٩٩١م، ج٢، ص٩٤

Vatikiotis, " Al- Hakim Bi- Amrillah : The God - king Idea realised", I.C., vol . XXIX , No . I , January 1955, pp. 6-10 .

عبد النعم ماجد، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص٩٩-١٠٠ . ظهور خلافة الفاطميين وسيطرتها في مصر، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص٣٥٧-٣٦٠ ، محمد على القطب ، الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ ، ط. صيدا ٢٠٠٢م، ص٥٨-٦٣ ، إبراهيم أيوب، التاريخ الفاطمي السياسي، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص١٠٩-١١٠ . تروتون، أهل الذمة في الإسلام، ت. حسن حشيش، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص٥٦-٥٧ ، علي حسني الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص١٧٥ ، دافيد صويل مرجليوث ، القاهرة وبيت المقدس، دمشق ، ت . خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سيانو، ط. دمشق ٢٠٠٠م، ص٤٥

إندلاع أتون الحروب الصليبية<sup>(١)</sup>؛ مما دلّ على أن كافة ما قيل عن ذلك ما هو إلا جزءاً لا يتجزأ من الدعاية Propaganda للمشروع الصليبي التي لم تكن قائمة على سند من الواقع التاريخي مع عدم اغفال أن الصراع الفاطمي- السلجوقي - فيما بعد جعل طريق الحج المسيحي ليس في السياق السابق<sup>(٢)</sup>. أما الدافع السياسي؛ فيلاحظ أن ملوك وأمرأ أوروبا حينذاك أرادوا دعم نفوذهم السياسي في أملاكهم من خلال الاشتراك في تلك الحروب<sup>(٣)</sup> ضد الشرق الإسلامي وبالتالي؛ فالحروب الصليبية تعبر عن التنافس السياسي بين الدول الأوروبية مثل فرنسا، وإنجلترا، وألمانيا والمدن الإيطالية مثل جنوة وبيزا والبندقية كذلك لانفغل أن البابوية- على الرغم من أنها في الأصل مؤسسة دينية- إلا أنها مارست السياسة من رأسها إلى أخمص قدميها من خلال مشروع الصليبيات رغبة في تحقيق مصالحها الخاصة بإحكام قبضتها على ملوك الغرب الأوربي وكذلك إخضاع الكنيسة الشرقية لسيطرة الكنيسة الكاثوليكية الأم في روما<sup>(٤)</sup>.

Mayer, The Crusades, Trans. by John Gillingham, Oxford 1987, p.6.

-١

وعن الباعث الديني بصفة عامة أنظر: عبدالله الريبي، «الدوافع الدينية للحركة الصليبية» ضمن ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية، اتحاد المؤرخين العرب، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٧٩ - ص ١٢٢  
محمد صابر منصور، أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، ط. بنى غازى، ١٩٩٦م.  
٢- عن ذلك انظر سليمان الخرابشة، الصراع الفاطمي- السلجوقي في بلاد الشام ٤٤٧- ٥٦٦ هـ / ١٠٥٥- ١١٧٠م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٠م، ص ٢٠٩- ٣١٧ص

٣- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٠

٤- نفسه، ج ١، ص ٢٤- ٣٧

وعن دور المدن التجارية الإيطالية في الحروب الصليبية أنظر:

Byrne, " Genoese Trade with Syria in The Twelfth Century ", A.H.R., vol. XXV, 1919-1920, pp. 191-219 .

شارل دهل، البندقية جمهورية أرستقراطية، ت. أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر، ط. القاهرة ١٩٤٨م، عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. دمشق، ١٩٨٠م، مصطفى الكنانى، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي ١١٧١- ١٢٩١م / ٥٦٧- ٦٩٠ هـ .

وفيما يتصل بالدافع الاقتصادي؛ نلاحظ أهميته الخاصة؛ حيث أرادت أوروبا القضاء على دور المسلمين كوسطاء تجاريين بين الشرق والغرب، وهكذا رغبت المدن التجارية الإيطالية التي شاركت في ذلك المشروع العدواني على الشرق - رغبت في المال وكان البنادقة- على سبيل المثال- يقولون «نحن تجار أولاً ثم مسيحيون من بعد ذلك»؛ مما عكس طبيعتهم البرجوازية المتأصلة، من زاوية أخرى؛ أرادت البندقية القضاء على منافسة بيزنطة التجارية، وهو أمر تحقق لها في أوائل القرن ١٣م كما ستوضحه الصفحات التالية.

أما من الناحية الاجتماعية؛ نجد أن الحروب الصليبية هي إفراز صادق للنظام الإقطاعي حيث احتوى على الفرسان أو الذين يحاربون، ورجال الكنيسة أي الذين يتعيّدون، ثم الأتقان وهم الذين يزرعون، وعانى الأخيرون من سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ولذلك؛ إندفخوا للمشاركة في الصليبيات لتحسين أوضاعهم المعيشية المتردية. ولارغب في أنهم دفعوا الثمن فادحاً من خلال اشتراكهم في أتونها<sup>(١)</sup>.

على أية حال؛ قامت الحروب الصليبية من الغرب الأوربي، ومن كنيسة روما حيث أن تلك الحروب توصف بأنها فعلة كنيسة Action d'Eglise وقد أرادت تلك الكنيسة الأم إخضاع كنيسة القسطنطينية المارقة بأية وسيلة لسيطرته.

---

= ط. الاسكندرية ١٩٨١م، عفاف صرة، العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة ١١٠٠ إلى ٩٤٠٠. ط. القاهرة ١٩٨٣م. أحمد عبدالله، التجارة في الساحل الشامي في القرنين ١٢ و١٣م، رسالة ماجستير غير منشورة. دراسة أكاديمية قيسة بالعربية عن الجانب التجاري عصر الحروب الصليبية وقد أشرفت عليها بالاشتراك مع أ.د. أحمد رمضان، سببر نعينع، «العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية، ومصر والشام في القرنين ١١ - ١٢ الميلاديين في ضوء الوثائق التاريخية، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خبيص، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٣٢٨-٣٧١

٢- عن النظام الإقطاعي في الغرب الأوربي في العصور الوسطى أنظر:

Coulton (ed.) Feudalism in History, Princeton 1956.

كويلاند وفينوجرادوف، الإقطاع في العصور الوسطى بغرب أوروبا، ت. محمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة ١٩٤٥م، إسحق عبيد، الفرسان والأتقان في مجتمع الإقطاع، ط. مبنى غازي ١٩٧٥م.  
وعن الباعث الاجتماعي للحروب الصليبية أنظر:-

جدير بالذكر ؛ فكر البابا جريجورى السابع Gregory VII<sup>(١١)</sup> (١٠٧٣-١٠٨٥-١٠م) فى الدعوة إلى الحروب الصليبية ، ويلاحظ أن دوره كان بارزاً فى التمهيد لقيامها وهناك من يقرر أنه قام بجهود واضح فى إحداث تغيرات جوهرية تجاه الموقف المسيحى من حمل السلاح وبالتالي يوصف بأنه مهد السبيل لقيام المشروع الصليبي ولا تغفل أنه عمل على جذب العناصر المحاربة، وحاول إكتسابها إلى صف خدمة الكنيسة<sup>(١٢)</sup>

ومع ذلك ؛ فمن المقرر أن صراع ذلك البابا مع الإمبراطور الألماني هنرى الرابع Henry IV (١٠٥٦-١١٠٥م) أعاقه عن تنفيذ مشروعه فى شن الحروب الصليبية<sup>(١٣)</sup> تاركاً ذلك الأمر لمن أتى من بعده من البابوات .

---

= قاسم عبده قاسم والواقع الاجتماعية فى الحركة الصليبية .، ندوة التاريخ الإسلامى والوسطى ، م (٢) . ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص١٨٩-٢٤٣

١- جريجورى السابع؛ بابا ، وقديس تولى المنصب البابوى خلال المرحلة المتنته من ٢٢ أبريل ١٠٧٣م إلى ١٥ مايو ١٠٨٥م خلفاً للبابا هونوريوس الثانى الذى تولى المنصب البابوى من ٢٨ أكتوبر ١٠٦٦ إلى ٣١ مايو ١٠٧٣م ، وقد آمن جريجورى السابع بسيادة البابوية المطلقة على الامبراطورية. وتنسب له الأوامر البابوية Dictatus Papae التى تعكس ذلك ، عنه أنظر:

Kelly , Oxford dictionary of Popes, pp. 154-156 . Ulmann , History of Political Thought .

The Middle Ages, London 1978, pp. 106-107 , pp. 112-113 .

Keen , The Pelican History of Medieval Europe, London 1976, pp. 77-80 .

ومن المهم هنا النظر إلى ذلك البابا على أنه افراز لأوضاع الغرب الأوروبى حينذاك وعن تلك الأوضاع انظر: عادل زيتون، تاريخ العصور الوسطى الأوربية، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص١٦٠

٢- عن دور البابا جريجورى السابع فى خدمة فكرة الحرب الصليبية . أنظر:

Cowdrey , " Pope Gregory VII and The Bearing of Arms, " in Kedar , Riley - Smith and Hierstand (eds.) , Monjoie Studies in Crusade Histry in Honour of Hans Eberhard Mayer. Aldershot 1997 , pp. 21-35 .

ويعد كودرى من أهم من تخصص فى دراسة ذلك البابا . وتمتاز كتاباته بالعمق والتحليل لمواقف البابوية حينذاك .

٣- عن الصراع بين جريجورى السابع وهنرى الرابع أنظر: =

على أية حال؛ وصل إلى المنصب البابوي البابا أوربان الثاني Urbanus II<sup>(١١)</sup> (١٠٨٩-١٠٩٩م) الذي تخرج مثل سابقيه من دير كلوني Cluny بفرنسا ، واتجه إلى دعم النفوذ البابوي ، وقد عقد مجمعاً كنسياً في بياكنزا Piacenza بإيطاليا من أجل الدعوة إلى المشروع الصليبي. غير أنه لم يوفق وفكر في عقد مجمع آخر في وطنه فرنسا وبالتحديد في كليرمونت Clermont وفي ذلك المجمع أشعل البابا نيران الحرب العالمية في العصور الوسطى من خلال الدعوة إلى المشروع الصليبي ، وبصفة عامة ؛ لا يمكن أن تقبل ما ذهب إليه المؤرخ الأمريكي مايكل هارت عندما تصور أن ذلك البابا من العظماء المائة الذين صنعوا التاريخ فالعظماء التاريخيين يصنعون التاريخ من خلال روح التسامح لا التعصب وسفك الدماء<sup>(١٢)</sup>.

تجدد الإشارة ؛ ألقى البابا أوربان الثاني في يوم ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م، خطاباً في المجمع المذكور<sup>(١٣)</sup> لم يستغرق إلغاؤه إلا وقتاً قصيراً دعا فيها إلى الذهاب إلى الشرق لتخليص

La due , The Chair of Saint peter, A History of the Papacy , p. 100-101 .

سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى ، ص٣٥٢-٣٥٧ ، نعيم فرح ، تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى ، ص٢٠٩ ، هارتمان وماراكلات ، الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ص٥٠

١- البابا أوربان الثاني؛ ولد في شاتيون سيرمارين Chatillon - Sur- Marine ، وقد تولى المنصب البابوي من ١٢ مارس ١٠٨٨ إلى ٢٩ يوليو ١٠٩٩م. وذلك خلفاً للبابا فيكتور الثالث Victor III الذي تولى المنصب المذكور من ١٠٨٦ إلى ١٠٨٧م عنه أنظر:

Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 158-160 . Cowdrey, " Pope Urban II and the Idea of Crusade .. S. M., 36 , 1995, pp. 721 -742 .

محسود الرويضي ، « قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام ومحور زمن الحروب الصليبية . مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة النجف العدد (٤١) ، يوليو ٢٠٠١

٢- مايكل هارت، الأوائل المائة، ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سياتو، ط. دمشق (١٩٨٠) .

ص٥٦٨

٣- عن خطاب البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت أنظر:

Fulcher of Chartres, A History of The Expedition to Jerusalem, Trans. by Rita Rian, Tennessee 1967 , pp. 62-65

الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين من قبضة السلاجقة ، وإدعى أنهم قتلوا المسيحيين الشرقيين، وذكر أن دماهم المرافقة تنادى وتستصرخ الفرنجية ؛ من أجل نجدهم، وكل ذلك جاء محض افتراء تام- وقدم البابا إغراءات اقتصادية . من أجل ضمان نجاحه واكتساب ذكر قاعدة مزیده له ، كذلك تعرض لمدينة القدس باعتبارها هدف رحلة الحج المسيحي، وتحدث عنها باعتبارها الجنة الأرضية التي شهدت ذكريات المسيحية في عهد البابا.

وقال صراحة للحاضرين « اذهبوا إلى أرض كنعان التي تفيض لبنا وعسلأ » كذلك قدم الغفران الكنسي للمشاركين في المشروع المرتقب ، وفور انتهاء البابا من خطابه ؛ صالح الحاضرون صيحة واحدة هي " Deus Vult " : أى « الله يريد ذلك » ، وكانت صيحة المسيحية في حربها ضد الإسلام ، ومن المرجح أن ذلك المجمع كان أشبه شئ بمسرحية مديرة من جانب البابا والحضور على نحو أدى إلى مثل تلك الاستجابة الفورية الجماعية ونجاح المجمع المذكور بعد فشل مجمع بياكتزا السالف الذكر على أية حال؛ قامت الحملة الشعبية أو ما عرف بحملة

---

Robert The Monk , in Peters (ed.), *The First Crusade , The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials*, Philadelphia (1971) , pp. 1-4 .

Guilbert of Nogent , in peters, pp. 6-10 .

جوزيف نسيم يوسف ، الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية ، ١١٦١ عام ١٩٦٩م، ص١٩٨ - ٢٠٥

Munro , "The Speech of Pope Urbanus II at Clermont " , A.H.R., vol III. 1905, pp. 2310 242 .

وهى لاتزال أهم مقالة حتى الآن عن الموضوع المذكور

Asbridge, *The First Crusade , A New History , Roots of Conflict between Christianity and Islam*, Oxford 2004, pp. 32-36 .

والواقع أن المؤلف لايقدم « تاريخا » جديدا كما يدل على ذلك العنوان الذى يغلب عليه الطابع الدعائى بما يتعارض مع قواعد الكتابة التاريخية الملزمة

الفلاحين التي غلب عليها الإندلاع العاطفي ، وعدم الدراية بالقوة السلجوقية ، وظهر فيها دور بارز لرجل يدعى بطرس الناسك<sup>(١١)</sup>. ويلاحظ أن أولئك الفلاحين إندفعوا من الغرب الأوربي إلى بيزنطة ووصلوا إلى القسطنطينية وذلك في عهد الإمبراطور الكيسوس كومنين Alexius Comnenus (١٠٨٠-١١١٨م)<sup>(١٢)</sup>. ومن المهم إدراك أن بيزنطة عندما طلبت مساعدة الغرب الأوربي كانت تريد عناصر عسكرية محترفة من المرتزقة ، ولم يمكن بدر في خد قادتها البتة أن يصل إليها الآلاف من الفلاحين الذين لا يفقهوا شيئاً في فن القتال ضد السلاجقة الذين كانوا فرساناً أشداء ، باعتراف المصادر الصليبية ذاتها. وقد أوردت المؤرخة البيزنطية أنا كومنيننا Anna Comnena<sup>(١٣)</sup> وصفا لعناصر الحملة الشعبية فكشفت لنا عن انضمام اللصوص ، وقطاع الطرق والمجرمين في صفوفها ، وهؤلاء هم الذين وصفتهم الحوليات الصليبية بأنهم جند المسيح !!

وقد طالبوا الإمبراطور الكيسوس كومنين بالسماح لهم بعبور البسفور ؛ ليصلوا إلى آسيا الصغرى ويحاربوا السلاجقة ، وعندما رفض محذراً لهم من خطورة عدوهم ، وبراغته العسكرية ؛ قاموا بسلب، ونهب الأملاك الإمبراطورية؛ ولذلك اضطر إلي السماح لهم بالعبور، وعندما عبروا إلى هناك تلقفتهم سيوف السلاجقة، وأجهزت على عدد كبير منهم، ويلاحظ أن الغرب الأوربي اعتقد أن السبب الرئيسي لفشل الحملة الشعبية<sup>(١٤)</sup> يتمثل في

١- عنه أنظر دراسة هينماير القديمة والجديدة في آن واحد

Hagemeyer, Peter der Ermit, Leipzig 1879

٢- عنه أنظر: عبد الغنى محمود عبد العاطي، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الكيسوس كومنين ، ط. القاهرة ١٩٨٣.

٣- Anna Comnena, The Alexiud Trans. by Sewter Penguin Book, London , 1979

وأنظر الترجمة العربية الرائعة التي قام بها حسن حبشي. أنا كومنيننا ، الكياد ، ت. حسن حبشي ، المشروع القومي للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.

عن الحملة الشعبية، وفشلها أنظر:

Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana in R.H. C., T.V, Paris 1879, p. 284-289 .

Hagemeyer, Peter der Ermit, Leipzig 1879. Runciman, A History of The Crusades, vol . 1, p. 121-133 .

بيزنطة دون إدراك أن عناصر تلك الحملة لم تكن تصلح للقتال ، لكن ميرات الكراهية والشك كان دائماً يظهر على السطح لكي يفسر كافة السياسات البيزنطية من خلال تصورات خاصة بالغرب الأوربي وضد مصلحة بيزنطة بطبيعية الحال، ولاريب في أن مرحلة الحروب الصليبية شكلت المرحلة التي تصادمت فيها القوتان الصليبية والبيزنطية .

نتج عن إخفاق الحملة الشعبية ؛ أن قام الغرب الأوربي بتكوين حملة من الأمراء البارزين لكي يقاتلوا السلاجقة، وبالفعل شارك فيها كل من بوهيمند Bohemond<sup>(٢١)</sup> ابن روبرت جوريسكاره Rober Guiscard<sup>(٢٢)</sup> الزعيم النورمانى ، وتانكره Tancred وريموند كونت تولوز Raymond of Toulouse<sup>(٢٣)</sup> وجودفرى دى بويون Godfrey de Bouillon<sup>(٢٤)</sup> ، وشقيقه بلدوين، كذلك كان هناك المندوب البابوى أدهيمار Adhimar، وعندما وصلت حملة الأمراء إلى بيزنطة؛ تجددت الشكوك بين الطرفين ، وأراد الإمبراطور الكسيوس كومنين أن يقسم له أفرادها بين الولاة، والطاعة فقبل البعض ، ورفض البعض الآخر، واتجه إلى أن

---

جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، ص١٤١-١٧٠

يقوم حالياً تلميذى محمود كامل محمد العبد بكلية الآداب- جامعة أسبوط بإعداد أطروحته للماجستير عن الحملة الشعبية ، تحت ، اشرافى بالاشتراك مع د. عز العرب محمد

٢- عنه أنظر: Fulcher of Chartres, 28-29 .

٣- عنه أنظر " Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch . Amsterdam 1970 . pp. 9-51 .

٤- عنه أنظر " Nicholson, Tancred : A study of his Career and Work in Their relation to the Latin States in Syria and Palestine . Chicago 1940 , pp. 20-102 .

٥- عنه أنظر William of Tyre, vol . I , p. 139 , Hill . Raymond IV Count of Toulouse , Syracuse 1902 .

٦- عنه انظر: William of Tyre, vol . I , p.

سرور عبد المنعم، «جودفرى بويون حاكماً للكيان الصليبي في الشام» مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط.

عدد (١٤) مارس عام ٢٠٠٤م، ص٢٢٩-٢٧٩



يحفظ حقوق الإمبراطورية من خلال عقد إتفاقية القسطنطينية مع الصليبيين عام ١٠٩٧ م<sup>(١)</sup>. وكان أهم ما ورد في تلك المعاهدة تعهد الصليبيين بأن يردوا للإمبراطورية المناطق التي كانت تابعة لها ثم استولى عليها السلاجقة وفي المقابل، تقوم بيزنطة بتقديم المؤن؛ والإمدادات، والمرشدين، والأدلاء؛ لمساعدة الصليبيين على تحقيق هدفهم المعلن بالوصول إلى الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين

جدير بالإشارة؛ تمكن فرسان الحملة المنظمة من استعادة نيقية Nigea التي عادت إلى

١- عن إتفاقية القسطنطينية :

William of Tyre, vol. I, p. 130. Matthieu d'Edesse, Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136) avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusque a 1162, ed. M.E. Dulquier, Paris 1858, p. 214 .

Lillie . Byzantium and the Crusader States ( 1096-1204), Trans. by J.C., Oxford 1993, p. 23 .

فتحية النراوى. «حياة الامبراطور الكيوس كومتين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في القرن ١٢م». المجلة التاريخية المصرية، م (٢٧) عام ١٩٨١م، ص٤٧-٤٨  
عبد الغنى عبد العاطى، السياسة الشرقية، ص٢٩٣

جوزيف نسيب يونسف، العرب والروم واللاتين، ص٢٢٢-٢٢٣

ومع ذلك؛ من المهم ألا ننقل أن تلك المعاهدة نسختها معاهدة عقدت بين بيزنطة وبوهيمند خا، ١١٠٨م ونبها اعتر الأخير نفسه فصلاً تابعاً لالكيوس كومتين وكذلك ولى عهده من بعده، عن تلك المعاهدة أنظر:

Anna Comnena, p. 354 - 355

Finly. History of Greece, Oxford 1877, vol III, pp. 122-123 .

Yewalde. Bohemond, pp. 127-130 .

٢- عن سقوط نيقية أنظر:

بطرس تودبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت. حسين عطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م، ص١١١

الامبراطورية البيزنطية، ثم تمت هزيمة السلاجقة في معركة ضورليوم عام<sup>(١١)</sup> ١٠٩٧م بعد أن ضعفت الدولة السلجوقية في أعقاب وفاة ملكشاه آخر السلاطين الكبار عام ١٠٩٢م.

على أية حال ؛ تمكن الصليبيون من تحقيق عدد من الانتصارات على المسلمين من خلال قوتهم الفنية . وكذلك الصراع السلجوقي- الفاطمي بالإضافة إلى الاستفادة من الخلافات الطائفية في بلاد الشام حيث استفادوا من دعم عناصر الموارنة في لبنان وغيرهم ؛ وتمكنوا من تكوين عدة كيانات سياسية في صورة إمارة الرها Edessa<sup>(١٢)</sup>.

Raymond d'Aguilers, *Historia Francorum* , Trans. by John Hill and Laurita Hill, -١ Philadelphia 1968, p. 27-28 .

مجهول ، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس . ت. حسن حبشي ، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص٣٨-٤٢ .  
٢- الرها؛ مدينة باللميم الجزيرة وقعت فيما بين الموصل وشمالى وبلاد الشام ما بين مرعش وشيخ ، واعتبرت ذات مكانة خاصة لدى المسيحيين نظراً لوجود المندبل الذى يقال أن السيد المسيح إستعمله ولذلك حظيت باهتمام الرحالة الأوربيين الذين زاروها ، وأشاروا إليها فى مؤلفاتهم كذلك عنى بإيراد أمرها الجغرافيين المسلمين، عنها أنظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٧٦-٢٧٧، ابن شاهين . زبد كشف المالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بول راقيس ، ط. باريس ١٨٩٧م، ص٥١ . الحسبى، الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٥م، ص٢٧٣

Eucherius, *Description of Jerusalem*, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol . III, London , 1892 . p. 19 .

Silvia of Aquitana, *Pilgrimage to the Holy Places* , pp. 34-35 .

Segal, *Edessa, The Blessed City*, Oxford 1970 .

يوسف بغدادى ، والرها المشرق، السنة (٨) . العدد (٤) . بيروت ١٩٠٥م، ص٣١ . شاكراً أبوبدر، الحروب الصليبية ، والأسرة الزنكية، ط. بيروت، بحت ، ص١٤٧

وعن إمارة الرها أنظر: عليه الجنزورى، إمارة الرها الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٨٦م. دراسة رائدة عن تاريخ تلك الإمارة لمؤرخة قديرة ، محمود الرويضى، إمارة الرها الصليبية ، ط. مؤتة ٢٠٠٢م. دراسة مهمة، أيضاً: هنادى السيد محسود ملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد بلدوين الأول ٤٩٤-٥١٢هـ / ١١١٨-١١١٠م. رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م. (بحث اشراقى وأ.د. أحمد رمضان) . ص٢٠-٢٢

وإمارة أنطاكية<sup>(١)</sup> وملكة بيت المقدس وذلك بعد أن دخل الغزاه المدينة المقدسة فى يوم الجمعة ١٥ يوليو ١٠٩٩م<sup>(٢)</sup>، حيث أحدثوا بها مذبحه مروعة راح ضحيتها عشرات الآلاف

١- مدينة شمالي بلاد الشام وهى حاضرة نهر العاصى- وتقع على بعد نحو ٣٠٠ كم تقريباً. إلى الغرب من حلب . استولى عليها المسلمون عام ٦٣٥م على يدى أهر عبيده بن الجراح ، ومن بعد ذلك سيطر عليها البيزنطيون واستعادها السلاجقة ، عنها انظر بالقوت معجم البلدان ، ج١، ص٢١٣-٢١٦

أحمد وصفى زكريا ، جولة أثرية فى بعض البلاد الشامية ط. دمشق ١٩٨٤م، ص٩٦-١١٤ . وعن تلك الإمارة الصليبية أنظر: Cahen, La Syrie du nord a` Lepoque des Croisades, Paris 1940 .

وهى أفضل دراسة عنها حتى الآن. أنظر أيضاً: حسين عطية ، إمارة أنطاكية الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٨١م، إمارة انطاكية والمسلمون، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م. كمال أمين محمد حسب الله، إمارة أنطاكية الصليبية ١٠٩٨-١٢٦٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٩٠م، وهى دراسة مهمة تناولت تلك الإمارة الصليبية من التأسيس حتى السقوط.

٢- عن تلك المذبحة انظر:

Anonymous, The deeds of The Franks and other Pilgrims to Jerusalem, Trans. by R.Hill, London 1962 , p. 51 , Fulcher of Chartres, p. 122 .

Hagenmeyer, " Chronologie de la Premuere Croisade", R.O.L., T.VII, Anée 1899, p. 477-479

ابن الفلاسى ، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٧ . ابن ميسر، منتخبات من تاريخ مصر P.H.C., Hist. Or., t.III, p. 463 . ابن كثير، الاجتهاد فى طلب الجهاد ، ط. القاهرة ١٣٤٧هـ. ص١٩ ، السيوطى، تاريخ الخلفاء، ط. القاهرة ١٩٦٩م. ، ص٤٢٧ ، البانعى، مرأة الجنان وعبرة اليقظان، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ . ج٣، ص١٥٤ ، ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ. ج٩، ص١٠٨ . زنيسمان ، المسيحيون العرب فى فلسطين ط. اسكس ١٩٦٨م، ص١٤ ، ميخائيل اسكندر القدس عبر التاريخ ، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص٥٧-٥٨ ، سعيد عاشور ، أضواء جديدة على الحروب الصليبية. ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص١٠ ، مصطفى الحيارى، القدس زمن الفاطميين والغرناجه، ط. عمان ١٩٩٤م، ص٤٤ ، شوقى شعث ، القدس العربية الإسلامية الماضى، الحاضر المستقبل، ط. الشارقة ٢٠٠١م، ص٣٩-٤٠

Goitem , " Contemporary Letters on the Capture of Jerusalem by The Crusaders", J.J.S., vol IX , 1952 . pp. 162-177

من المسلمين، وفيما بعد أقاموا إمارة في طرابلس بشمالى لبنان<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ هنا : أن الوجود الصليبي في بلاد الشام جعل الإمبراطورية البيزنطية أمام عدة اختيارات صعبة بل ومتناقضة في آن واحد، فهي تكره الصليبيين ولا تثق فيهم خاصة من خلال «التراث» العدائى المتراكم السالف الذكر، وفي ذات الحين : تحتسى بذلك العدو الذى ليس من صداقته بد لمواجهة الخطر السلجوقى. ومن ناحية أخرى؛ لا تريد أن يقضى الصليبيون على القوى الإسلامية المحلية البارزة حتى لا تواجه بيزنطة بعد ذلك الخطر الصليبي منفردة، وهكذا؛ لعبت تلك الإمبراطورية ذات المخبرة العريضة في التعامل مع الأعداد ، وما أكثرهم ، والأصدقاء ، وما أقلهم؛ لعبة توازن القوى Balance of Powers ، وهى لعبة خطيرة خاصة أنها تأكدت فيما بعد من أنها استعانت بلص غريبى لمساعدتها في التعامل مع الأتراك السلاجقة؛ ولا تغفل هنا؛ الإشارة إلى أن تلك الإمبراطورية دفعت ثمنها فادحاً خاصة مع تزايد الأطماع اللاتينية فيها

على أية حال ؛ كان القرن الثانى عشر تجربة مريرة في أمر العلاقات البيزنطية - الصليبية وشكل ميراثاً مريراً للعداء بين الطرفين .

بصفة عامة ت: توفى الكسيوس كومتين عام ١١١٨م، بعد أن قام بدور بارز في التاريخ البيزنطى ومن خلال استخدامه لأقصى وسائل الدبلوماسية والحيلة والحذر في التعامل مع الصليبيين، وتمكن من استغلال الضعف الذى حل بالسلاجقة عقب وفاة زعيمهم قلع أرسلان وشن هجوماً عليهم عام ١١١٦م<sup>(٢)</sup>، وهكذا ، عندما توفى كانت الإمبراطورية تسبطر على

١- عنها أنظر: Richard , la comte de Tripolis sous la Dynastie Toulousaine , Paris, 1945 .

عبد العزيز عبدالدايم، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م : نهى الجهرى بإعداد أطروحتها للماجستير عن إمارة طرابلس في القرن ١٣م ، رسالة ماجستير غير منشورة عام ٢٠٠٧م، فيليب حتى لبنان في التاريخ، ت. انيس فريجه ، ونقولا زباد ، ط. بيروت ١٩٥٩م، ص١٨٨  
أنيس فريجه ، اسما، المدن والقرى اللبنانية ، وتفسير معانيها : الجامعة الأمريكية بيروت ط. ١٩٥٦م .  
ص٢٠٧ ، حكمت بك شريف ، تاريخ طرابلس ، الشام من أقدم أزمانها محققين منى حداد بكن، وصارى عيسى خورى ، ط. طرابلس ١٩٨٧م، ص١١-٢٤

٢- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٩٢ . وعن الكسيوس كومتين أنظر بالتفصيل: =

الأناضول ، وطرابزون ، والساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، وكذلك ساحل البحر الأسود، ودل ذلك ؛ على قدرته على محاولة إعادة بعض الأملاك البيزنطية التي فقدت من قبل . وعلى الرغم من ذلك؛ إلا أن المسار العام للتاريخ البيزنطى لم يعد إلى الصعود الذى وجدناه فى مراحل سابقة . ويمكن اعتبار عهد آل كومنين بصفة عام بأنه «صحرة» مؤقته من بعدها كان ينتظر ببيزنطة حدث جليل ؛ كما سيتضح من عرضنا التالى (١١).

من بعد الكيسوس كومنين ؛ تولى العرش حنا كومنين<sup>(٢١)</sup> John Comnenus خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١١٤٣م، وقد حاول جاهداً إرجاع بعض المناطق التى فقدتها الإمبراطورية منذ

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by E.R.A.Sewter, Penguin Book, London 1979 =

عبد العنى محمود عبد العاطى ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الكيسوس كومنين، ط. القاهرة ١٩٨٣م، وهى أفضل دراسة عربية فى موضوعها . فتحية النبراوى، «حياة الإمبراطور الكيسوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى القرن الثانى عشر الميلادى». المجلة التاريخية المصرية، م (٢٧) عام ١٩٨١م.

أمال حامد غانم زيان، الإمبراطور الكيسوس كومنين والحملة الصليبية الأولى فى ضوء كتاب الكيساد رساله ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ٢٠٠٥م.

ولا يخلو كتاب عن المهروب الصليبية أو التاريخ البيزنطى بصفة عامة، إلا ويتناوله بصورة أو بأخرى.

١- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٩٢

٢- حنا كومنين ؛ هو الابن الأكبر للإمبراطور الكيسوس كومنين وقد حكم خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١١٤٣ وقد توفى خلال حادثة صيد فى أبريل من العام المذكور، عنه أنظر:

حنا كومنين بالتفصيل أنظر:

Kinnaos , Deeds of John and Manuel Comnenus , Trans. by Charles M. Brand, Colombia 1976 . pp. 13-31

Nicol. A Biographical dictionary . p. 55 .

Hussey , The Byzantine World , pp. 60-62 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, vol. II, p. 375- 376 .

Ostrogorsky . History of the Byzantine State, pp. 333-337

عبد الحفيظ محمد على ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عصر حنا كومنين ١١١٨-

١١٤٣م. رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٨١م، ص٧٣-٧٩ =

زمن بعيد ١ غير أنه لم ينجح في حل المشكلة الأنطاكية المزمته ؛ مما عكس أن هناك حدوداً محددة كانت تواجه آفاق السياسة البيزنطية ولم يكن من الممكن البتة أن تتجح بيزنطة في عهده وكذلك عهد سلفه من محققين «الحلم الانطاكي» البعيد المنال والذي كان أشبه شئ بالسراب ١

ومع ذلك يذكر لنا كومتين حصافته السياسية وعدم إندفاعه ووجود مستشارين أفاده في صنع قراراته السياسية<sup>(١)</sup>.

ومن بعده ؛ تولى العرش الإمبراطوري مانويل كومتين الذي حكم خلال المرحلة من ١١٤٣ ولّى ١١٨٠ م<sup>(٢)</sup> في فترة من أخطر الفترات في التاريخ البيزنطي والعلاقات بين الشرق والغرب عصر الصليبيات.

---

١- وتعد الدراسة الأكاديمية الوحيدة باللغة العربية المتخصصة عن ذلك الإمبراطور البيزنطي. وقد أجاد فيها مؤرخها الراحل .

١- محمد محمد مرسى الشيخ . تاريخ الإمبراطورية البيزنطية. ص٣٤٦- ص٣٤٧

٢- مانويل كومتين ؛ هو مانويل كومتينوس الذي عرف بالأول وتولى العرش البيزنطي خلال المرحلة من ١١٤٣ إلى ١١٨٠ وبعد الابن الرابع لبوحن الثاني كومتينوس الذي قام باختياره كولي للعهد عام ١١٤٣ م . ويلاحظ أن أمه هغارية الأصل . عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary , pp. 78-79 .

وأفضل . وأشمل دراسة عن ذلك الإمبراطور هي تلك التي أعدها بول ماجدولينو Paul Magdalino بعنوان إمبراطورية مانويل كومتين ١١٤٣- ١١٨٠ وصدرت من جانب جامعة كامبردج عام ١٩٩٧ م. أنظر:

Magdalino , The Empire of Manuel I Comnenos 1143 - 1180 , Cambridge 1997

وقد ولعت في ٥٥٧ صفحة اعتماداً على غزارة بلبوغرافية مصدرية ومرجعية غير مسبوقه وقدرة على التحليل والعرض من جانب أستاذ حقيقي خبير في الدراسات البيزنطية . وهذه هي المرة الأولى على ما أعلم التي يخصص فيها مؤرخ أوروبي دراسة يمثل هذا التسوس والشمول عن ٣٧ عاماً فقط من عمر التاريخ البيزنطي المديد البالغ أكثر من ١١ قرناً كما أسلفت مراراً من قبل . وليس معنى ذلك الاتفاق التام مع كل ما ورد فيه بشأن تقويم ذلك الامبراطور البيزنطي أنظر أيضاً

Vasiliev History of the Byzantine Empire, p. 417-418 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 337-350

ويلاحظ أن سياسته الشرقية، والغربية؛ ارتبطتا معاً ارتباطاً وثيقاً؛ فنجد أنه واكب مشروعاته في تدعيم السيادة البيزنطية في الشرق اللاتيني؛ تدهور وضّاح في نفوذه في الغرب؛ إذ ثارت البندقية ضده ، وقد باء مشروعه مع البابوية في توحيد الكنيستين الشرقية، والغربية بالإخفاق<sup>(١١)</sup>؛ إذ أن البابا لم يكن ليقبل أن يكون مجرد بطريرك بيزنطى في روما<sup>(١٢)</sup>.

وقد شغل مانويل كومنين اهتمامه بمشاكل الغرب عن مواجهة صراعات الشرق، وهناك من يقرر من أنه خلال منتصف القرن الثاني عشر كان يحتاج فقط إلى حشد قواته لكي يقضى على سلطة قانونية السلجوقية غير أنه ابتعد عن ذلك بسبب طموحاته المتعلقة بالسياسة الغربية<sup>(١٣)</sup>. وكذلك استخفافه بالخطر السلجوقى خلال تلك المرحلة.

ويأخذ البعض على ذلك الإمبراطور : إتباعه سياسة دفاعية لمدة طويلة ، إذ أنه خلال الأعوام الواقعة بين عامى ١١٦٤ ، ١١٧٥ م ؛ أى على مدى أحد عشر عاماً كاملة.ألزم نفسه بإتباع تلك السياسة ، وانجحه إلى تحصيل تخومه، وعندما أدرك الخطر متأخراً؛ إنجحه إلى إتباع سياسة هجومية غير أن ذلك جاء بعد فوات الأوان، وكان ذلك من عوامل الهزيمة القادحة المنكرة ، والفضيحة، التى لقبها على يدى قلعج أرسلان السلجوقى فى موقعة مرياكيفالون Myrioccephalon<sup>(١٤)</sup> فى ١٧ سبتمبر ١١٧٦ م ، والتى شهدها الامبراطور نفسه بأنها مثل معركة مانزكورت التى وقعت فى ١٦ أغسطس ١٠٧١م، وقد أدت معركة مرياكيفالون إلى عدد من النتائج يمكن إجمالها على النحو التالى:

١- عمر كمال توليت، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٩٨

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- نفسه، ص ١٩٤

٤- وقعت مرياكيفالون Myrioccephalon فى منطقة فريجيا Phrygia فى أسب الصغرى Asia Minor إلى الشرق من كوما Choma ويلاحظ أن كلمة مرياكيفالون ذاتها تعنى ألف رأس وما يذكر أن الآلاف من البيزنطيين هلكوا فى ذلك الموقع أكثر من مرة !

وعن تلك المعركة انظر

أولاً : قضت على هيبة بيزنطة، ومكانتها السياسية والعسكرية التي كانت سلاحها الأول في مواجهة منافسها في الغرب الأوربي وكذلك الصليبيين في الشرق اللاتيني.

ثانياً: أدت تلك المعركة إلى القضاء على أي أمل بيزنطي في استعادة آسيا الصغرى من قبضة السلاجقة القوية؛ على نحو يجعلنا نقرر أن كيغاليون مكلمة لمانزكرت .

ثالثاً : أعتبرت المعركة المذكورة إنتصاراً كبيراً للإمبراطورية الغربية وللفردريك باربا روسا (١١٥٢-١١٩٠م) نفسه الذي توهم ذلك الإمبراطور البيزنطي أنه ند له. ولكن على الرغم من كل ما حل بالإمبراطورية؛ إلا أن قيادتها السياسية لجأت إلى الانتقام من الإمبراطور

Nicetas Choniates, O'city of Byzantium, Annales of Niketas Choniates, Trans. by = Harry Magoulias, Trans. by Harry Magoulias, Wayne State University, Detroit 1984 , pp. 101-107 .

Michael Le Syrien , Chronque, T. III, p. 371 .

O.D.B., vol . 2 , p. 1449 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 428- 429

Hussey , The Byzantine World, p. 66 .

Nicol, A Biographical dictionary' , p. 79

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 649 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 119 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , p. 347 .

على عوده الفامدى ، «معركة مرياكيفالون ١١٧٦م» . مجلة كلية الشريعة - جامعة أم القرى- مكة المكرمة، العدد (١) . العام الأول عام ١٤٠٩هـ، ص١٢٣-١٥٠ . شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص٢١١ . محمد عبد الشافي المغربي، آسيا الصغرى في العصور الوسطى دراسة في التاريخ السياسي والحضارى (القرن ١١-١٣) . ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م، ص٢٢-٢٢١ ص٢٢١ محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية . ص٢٧٢-٢٧٣ . أسد رستب. الروم، ج٢، ص١٥٧-١٥٨ . جوزيف نسيم بروسف، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٢٨ . على صالح الفحيد، الفاشتمديون وجهادهم في بلاد الأناضول . ط. الاسكندرية، ١٩٩٤م، ص٢٢٣، حاشية (١) . محمد زكى نجيب، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنين ١٠٨١-١١٨٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٨٨م، ص١٨٤



الامبراطور الألماني، وذلك من خلال تشجيع القوى الثائرة ضده في إيطاليا وامدادها بالأموال . واستمر ذلك الأمر قائماً حتى وفاة مانويل كومنين عام ١١٨٠م<sup>(١١)</sup>.

ولانتغل، أن ذلك الامبراطور توافرت لديه اهتمامات كبيرة بالسياسة الغربية ، ويلاحظ أن تلك الاهتمامات شغلته عن سياسته الشرقية التي اتبع فيها الجانب الدفاعي كما أسلفت ، ولانتغل أن عجزه عن التوازن بين السياستين الشرقية والغربية كان خطأ القتال الذي وقع فيه بسبب ضعفه السياسة.

جدير بالإشارة : حاول الإمبراطور المذكور حل «العقدة المستحكمة» في العلاقات البيزنطية - الصليبية ممثلة في المشكلة الأنطاكية ، والواقع ؛ أنه كان أضعف من أن يجد لها حلاً ؛ وعلى الرغم من استخدامه كافة الوسائل السياسية، والدبلوماسية إلا أن ذلك لم يمكنه من تجاوزها

لقد ألزم مانويل كومنين أمير أنطاكية ريموند دي بواتيه Raymond de Poitiers (١١٣٦-١١٤٩م) على الحضور إلى القسطنطينية ، وقدم اعتذاره للإمبراطور بل إنه اعتبر نفسه فضلاً تآمراً له عام ١١٤٥م، ومن بعد ذلك؛ وفي عام ١١٥٨م؛ قام ذلك الإمبراطور بغزو كيليكيا Cilicia في آسيا الصغرى . وعامل أمير أنطاكية رينو دي شاتيون Renauld de Chatillon (١١٥٣-١١٦٢م) على نحو قاس وألزمه بالخضوع له<sup>(١٢)</sup> ، ويلاحظ هنا؛ أن انتصاره في كيليكيا رجع إلى فرار توروس الأرميني Thoros of Armenia<sup>(١٣)</sup> وعندما علم رينودي شاتيون بتلك التطورات اتجه إلى تقديم الاعتذار للإمبراطور شراً لمسامته ، وتوج

١- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة السزنطية . ص٢٣٨

William of Tyre, vol. II, p. 276 .

-٢

Schlumberger, Renauld de Chatillon Prince d' Antioch au Temps des Croisades, Paris 1933 , p. 102 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 125 .

٣- محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي - الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص١٩٢

ورينودي شاتيون؛ فارس فرنسي قدم إلى بلاد الشام خلال أحداث الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧-١١٤٩ برفقة الملك لويس السابع، وقد تزوج من الأرملة كونستانس أميرة أنطاكية عام ١١٥٣م. وقد وقع في أسر المسلمين سبعة عشر عام ، وتزوج ستيغاني دي مبل في نوفمبر عام ١١٧٧م ، وقد أخضع قلعة الكرك=

مانويل كومنين مكاسبه السياسية بأن دخل مدينة أنطاكية عام ١١٥٩م<sup>(١)</sup> في مركب مهيب،

= لسيطرته وبالتالي اعترض طريقه دمشق - القاهرة . وأعد حملته على الأماكن المقدسة الإسلامية عام ١١٨٢م. ولكن تم إجهاضها . وقد قتل صلاح الدين الأيوبي أرناط في ٤ يوليو ١١٨٧م في معركة حطين الحاسمة. عنه أنظر:

Ernoul , *Chronique d' Ernoul Bernard le Tresorier* , ed., Mas Laterie , Paris, 1971 , p. 69-70

أبن منكلى ، الأحكام الملوكية والضوابط النسوية في فن القتال في البحر ، بتحقيق عبد العزيز عبد الدائم ، رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م. ص ٨٥-٨٦ ، حسين ربيع ، والبحر الأحمر في العصر الأيوبي ، نودة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، إشراف أحمد عزت عبد الكريم. ط. القاهرة ١٩٨٠م. ص ١٠٨-١١١ ، عائشة بنت عبد الله، البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م. ص ٤١-٤٤ . حسن عبد الوهاب ، مصر وأمن البحر الأحمر في عصر الحروب الصليبية « ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م. ص ٢٠٣-٢٠٤ ، عبد النعم ماجد ، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية، ط. القاهرة ١٩٩٧م. ص ٧٤، يوسف درويش غوانفه إسارة الكرك الأيوبي، ط. عمان ١٩٨٢م. ص ١٢٧-١٣٦ ، عبد الرحمن زكي ومحمود عيسى، الحروب بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٧م. ص ٣٢ ، جميل حرب محمود، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ط. جدة ١٩٨٥م. ص ٦٨-٧٥ ، محمود رزق محمود ، العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى معركة حطين ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس .

Hamilton, " The Elephant of Christ , Reynald of The Crusades, 900-1300 , in *Monastic Reform Catharism and The Crusades, 900-1300*. London 1979, pp. 90-103

Hamilton, *The Leper King and his hepirs* , Baldwin IV and the Crusader Kingdom of Jerusalem Id, Cambridge 2000, p. 178-1179 . Friednan, *Encounter between Enemies, Captivity and Ransom in the latin kingdom of Jerusalem*, Leiden 2002 , pp. 85-86 .

سعيد البيشاوي، الأراضي الزراعية ومنتجاتها في الخليل في العصر الفرنجي ٤٩٢-٥٨٣ هـ / ١٠٩٩-١١٨٧م. ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تحرير محمد مؤنس عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٦٦ حاشية (١٨)

Kinnamus, p. 142-143 .

-١

Chalandon, *Jean II Comnenes et Manuel I Comnene*, T. II, Paris 1912 , p. 451-452

ومعه كافة الأشعرة الإمبراطورية ومن خلفه الملك الصليبي بلدوين الثالث Baldwin Renauld de Chatillon III (١١٤٤-١١٦٣م)، وريثي شاتيون ، وقد تصور العلامة فازيليف Vasiliev ؛ أن دخول مانويل أنطاكية بعد انتصاره بارزاً للسياسة البيزنطية وجاء نتاجاً لما زاد على الستين عاماً من الجهد البارز في ذلك النطاق<sup>(١١)</sup> ، وإن كنت أتصور أنه انتصار «شكلي» يرضى طموحه كإمبراطور دون أن ينتج عنه أية نتائج سياسية حقيقية لصالح بيزنطة على الأرض .

من ناحية أخرى؛ يوجد في كنيسة الميلاد ببيت لحم نقش يرد فيه اسم مانويل كومتين جنباً إلى جنب مع اسم الملك الصليبي عسوري الأول<sup>(١٢)</sup> Amaury I (١١٦٣-١١٧٤م) بمناسبة أحداث تجديدات بها شاركت بيزنطة فيها ، وقد وقع الخلاف بين المؤرخين في تحليل دلالات ذلك النقش ، وهل يعنى أن الإمبراطورية البيزنطية كانت لها سيادتها على الكيان الصليبي . والمرجح أن النقش المذكور دلّ على رغبة بيزنطة في رعاية الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين حيث اتجهت إلى ترميم تلك الكنيسة ، والأمر المؤكد ؛ أن ذلك الموقف من جانب تلك الإمبراطورية استفادت منه في الدعاية السياسية لها إذ أنها تصورت وجود سيادة لها على الوجود الصليبي شرقي البحر المتوسط Levant؛ غير أنه من الناحية العملية لم يكن هناك تأثير حقيقي بيزنطي من الناحية السياسية على الصليبيين، وفي حالة حدوث ذلك لملت المشكلة الأنطاكية الأمر الذي لم يحدث .

---

Hussey , " The Later Maccedonians, The Comneni and The Angeli " , C.M.H., vol V, = p. 234 .

Baldwin , " The Latin States under" . Baldwin III and Amarie I 1143-1174 in Setton (ed.), II, Pennsylvania 1958, p. 544

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 80 .

Corpus Inscriptonum Graecorum , vol . IV , p. 339 .

٢- عنه أنظر

وقد شاهد النقش المذكور الرحالة اليوناني يوحنا فوكاس . عن ذلك أنظر:

Joannes Phocas, Abrief Description of the Holy land , Trans. by A. Stewart, P.P. T.S, vol V , London 1896 , p. 19

واقع الأمر ؛ أن الصليبيين كانوا أكثر دهاءً من الإمبراطور مانويل كومنين، فقد جعلوه يتروم أنه صاحب سيادة سياسية عليهم<sup>(١١)</sup>، لكن واقعياً لم يكن له تأثير عملي ملموس على نحو يؤكد عكس إدعاءات الإمبراطورية بأنها نالت مكاسب جديدة على الصعيد السياسي سواءً في أنطاكية أو في قلب مملكة بيت المقدس اللاتينية مثلما توحى بذلك بعض الكتابات المصدرية البيزنطية وكذلك المراجع المتحازة لذلك الامبراطور

وقد تصور البعض؛ أن مانويل كومنين حقق إنجازات تاريخية كبرى وبالتالي ؛ لم ينسبوا إليه أية سلبيات وذلك بعد أن وقعوا في أسر الإعجاب المفرط به وكانوا بذلك ضحية كاريزما القائد، ولرد على ذلك الاتهام نورد الآتى:

أولاً: جاءت هزيمة مرياكيفالون السالفة الذكر، وعلى ذلك النحو المهين من جانب الأتراك السلاجقة، وكأنها تقترب من أن تكون بمثابة «الاحتفال الثوى بكارثة مانزكوت»<sup>(١٢)</sup>، مسح استثناء ستة أعوام فقط على الهزيمة الأولى- وقد جاء الإنتصار السلجوقي على بيزنطة في أحد المعرات الجبلية بأسيا الصغرى؛ ليقضى على ما بقى للجيش البيزنطى من هيبة وهى تذكرنا بهزيمة باسل الثانى فى محر جبلى على أبدى البلغار من قبل .

١- من المهم الرجوع إلى ذلك المقال الممتاز القديم الجديد الذى أعده جون لامونت :

La Monte, " To what extent was The Byzantine Empire The Suzerian of the Latin Crusading State, " B., vol . 1923, pp. 253-264 .

٢- ويقر المؤرخ البارز برنارد هاملتون Bernanrd Hamilton فى معرض تناوله لمعركة مرياكيفالون أنها كانت ضربة لمكانة وهيبة مانويل كومنين أكثر من كونها موجبة إلى قوته العسكرية ولانفعل أن قلع أرسلان لم يكسب مناطق جديدة على الأرض. دون أن ينكر ذلك المؤرخ أنها كانت هزيمة كبيرة على نحو جعلها تشبه معركة مانزكوت ، وقد قرر أن بيزنطة كانت لديها القوة فى صورة أسطرها الذى عمل مانويل كومنين على إعادة بنائه، وكانت بيزنطة بمثابة القوة القادرة على دعم الشرق اللاتينى فى مواجهة المسلمين ولهى تقديرى إن ذلك الرأى جانبه الصواب ، فلو لم تكن ذات تأثير عسكرى كبير لما شهت بكارثة مانزكوت ، وهو أمر أقره ذلك الامبراطور شخصياً والمؤرخ برنارد هاملتون نفسه . وأنصوّر أن هبة مانول وهيبة الجيش البيزنطى تأثرت تأثراً كبيراً بأحداث مرياكيفالون بغض النظر عن جزئية اكتساب قلع أرسلان لأراض جديدة أم لا ، ولاحتفل أن تثبيت الوضع القائم لصالح السلاجقة بعد مكسباً عسكرياً . وسبباً بكل المغاييس وهو ما أغفله المؤرخ المذكور . أنظر رأيه :-

لقد نظر الغرب الأروبي إلى الامبراطورية البيزنطية من بعد تلك الحادثة نظرة الاستهانة والإزدراء أكثر من ذي قبل؛ إذ أن هيبة ، ومكانة الإمبراطورية البيزنطية صارت موضع شك كبير ، بل ولم يعد هناك من يتصور أن المجالس على ضفاف البسفور يمكن أن ينادى بالسيادة العالمية التي لم تكن سوى في مخيلته فقط دون أن يملك سندا من الواقع خاصة بعد أحداث كارثة ١١٧٦ م ، ويلاحظ أنه خلال القرن ١٢م ؛ نجد أن الإمبراطور فردريك بارباروسا خليفة أثر مرياكيفالون؛ كتب بازدراء لما تويل كومتين رسالة يخاطبه فيها بأنه ملك اليونان، وأنه ومملكته يعدان جزءاً لا يتجزأ من إمبراطوريته الرومانية<sup>(١)</sup>.

جدير بالإشارة أن الهزائم العسكرية، والإخفاق السياسي صاحب ذلك الإمبراطور عدة مرات وكى لا يتصور البعض أن مرياكيفالون بمشابهة الهزيمة المتفردة في تاريخه ؛ نود الإشارة إلى موقعين يعكسان تأصل «مفهوم» الهزيمة في سلوك ماتويل كومتين على النحو التالي:

١- يكفى الإشارة إلى معركة حارم التي وقعت عام ١١٦٤م<sup>(٢)</sup>، التي حدثت بين التحالف البيزنطي- الصليبي- الأرميني ضد نور الدين محمود مؤسس الدولة النورية

Hamilton, " Manuel I Comnenus and Baldwin IV of Jerusalem" in Chrysostomides (ed.)  
Kathegetria, Essays Presented to Jean Hussey for her 80 th birthday, Cambridge 1988, p.  
361

١- محمد سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١١

٢- وقعت حارم ضمن إمارة أنطاكية الصليبية ، وهي حالياً ضمن محافظة أدلب عنها أنظر : محمود سعيد عمران ، الساسة الشرقية، ص ١٨٥ ، فتحى عثمان ، المدود الإسلامية- البيزنطية ، ج ١، ص ٢٣١

وعن معركة حارم أنظر

عبدالله بن سعيد الغامدى ، مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود، جامعة أم القرى. سلسلة بحوث الدراسات التاريخية ، مكة المكرمة ١٤١٤ هـ ، ص ٤٨

Anonymous Syriac Chronicle , p. 303 .

William of Tyre , vol . II, p. 306-308 .

Jacques de Vitry , History of Jerusalem , Trans . by A. Stewart, P.P.T.S., vol XI . London  
1896 . p. 94 .

(١١٤٦-١١٧٤م) وقد قاد القوات البيزنطية القائد قسطنطين كارلومان Constantine Car- Ioman ، وخلال أحداثها هزمت قوات التحالف وتم الفتح بعدد وأفر من القوات البيزنطية بفضل دور بارز لقوات الموصل . ولذا؛ استحق البيزنطيون الذين شاركوا فيها وقدموا كممثلين عن إمبراطورهم؛ سحرية الصليبيين اللاذعة ١

٢- تحالف مانويل كومنين مع الملك الصليبي عموري Amaury (١١٦٣-١١٧٤م) لغزو مصر . وقد حركت الامبراطور البيزنطي أوهاهم أن أرض الكنانة كانت يوماً ما من أصلاك بيزنطة قبل مقدم الفتح العربى لها فى القرن السابع الميلادى ، وقد قام صلاح الدين الأيوبي بتحسين بليس ، والقاهرة . والاسكندرية، وهاجم الحلف المشترك دمياط عام ١١٦٩م<sup>(١)</sup>، على نحو أدى إلى فشل ذلك التحالف .

كل ذلك يدل على أن أعوام ١١٦٤م، ١١٦٩م، ١١٧٦م علامات مميزة فى تاريخ حياة إمبراطور بيزنطى فاشل إلا أن عام ١١٧٦م عكس هزيمة بارزة لمكانة بيزنطة ذاتها حتى عند الغرب الأوسى .

= ابن الأثير . التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل . تحقيق عبد القادر طلبات . ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص١٢٤ ، ابن عساكر ، ترجمة محمود بن زكى . تحقيق نيكيتا البسيف . مجلة الدراسات الشرقية م (٢٥) عام ١٩٧٢م B.E.O., T.XXV, Année 1972, ص١٢٨ ، العباد الأصفهاني . البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان . تحقيق كلود كاهن مجلة الدراسات الشرقية عدد عامى ١٩٣٧ - ١٩٣٨م . ابن واصل . مفرج الكروب فى أخبار بنى أبوب . تحقيق جمال الدين الشبال . ط. القاهرة من ١٩٥٣م . ص١٤٣ ، ابن العباد الحنطلى . شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . ط. القاهرة ١٣٥١هـ . ج ٤ . ص١٨٦ . العدوى . الزيارات . تحقيق صلاح الدين المنجد . ط. دمشق ١٩٥٦ م . ص ٤٠ . محمود سعيد عمران . «معركة حارم ١١٦٤م . قصة التحالف البيزنطى الصليبي الأرمينى ضد نور الدين» . مجلة المورخ العربى . العدد (٨) عام ١٩٧٧م . ص ٩٠ - ١١٢ . السياسة الشرقية . ص ٢٨٥ . عليه ديب تيريزى . المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود . ط. صيدا ، ٢٠٠٣م . ص١١٦-١١٧

Cahen, la Syria du nord , p. 204

حيث يصفها بكارثة حارم "La desastre de Harim"

١- محمود سعيد عمران . معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية . ص٢١٧- ص٢٣٤

حيث يقدم مجلبلاً ممتازاً اعتماداً على مقاله القيمة عن معركة حارم

ومع ذلك ؛ لاتتضح لنا الصورة كاملة إلا من خلال سياسة الامتيازات التجارية التي بالغ في تقديمها مانويل كومنين للبتادقة، على نحو خاص ثم عاد وقام بالغائها، فيلاحظ أنه أصدر مرسوماً عام ١١٤٨م ؛ جدد فيه الامتيازات التي كان قد منحها الكيسوس كومنين من قبل عام ١٠٨٢م<sup>(١١)</sup>، وقد أقر ذلك المرسوم على حق البتادقة في مد حدود حيزهم الخاص بهم في العاصمة البيزنطية، كما أن الإمبراطور قرر كذلك إعفاؤهم من الجمارك في جزيرتي قبرص، وكريت التي لم يشملها مرسوم عام ١٠٨٢م<sup>(١٢)</sup>.

جدير بالذكر؛ أن سياسة الامتيازات التجارية للتجار الإيطاليين التي سار عليها ذلك الإمبراطور كان لها أسوأ الأثر على بيزنطة واقتصادها ويقرر البعض ما نصه : « لاريب في أن الامتيازات التي منحت للتجار الإيطاليين، وبصفة خاصة للبتادقة ، قد ألحقت أبلغ الأضرار، وأخطرها في بيزنطة واقتصادها . وأدت إلى منافسات غير شريفة بين هؤلاء التجار الإيطاليين عبر الإمبراطورية، وخلقت الحقد، والحسد في نفوس البيزنطيين الذين نظروا إلى هؤلاء الأجانب وهم ينهبون ثرواتهم، وسيطرون على أسواق إمبراطوريتهم، واقتصادها بقوة السيف»<sup>(١٣)</sup>.

من بعد ذلك ؛ قام الإمبراطور في ١٢ مارس ١١٧١م، باعتقال البتادقة ومصادرة أملاكهم على نحو مثل نكبة حقيقية بالنسبة لهم<sup>(١٤)</sup>، ومن بعد وفاته عام ١١٨٠م، قامت ثورة عنيفة

١- عن تلك المعاهدة بين الكيسوس كومنين والبتادقة انظر:

Anna Comnena , pp. 146-147

Gadolin, "Alexios I Comnenus and The Venetians Trade Privileges: A New interpretation", B. 50 , 1980 , pp. 439-445

Adelson, Medieval Commerce , NewYork 1962 , p. 160

عادل زينون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب، ص٣٣٦ ، حاشية (٣)

٢- عادل زينون ، المرجع السابق، ص٦٧ . وأنظر أيضاً هذه المقالة المهمة

Danstrup, " Manuel's Coup against Genoa and Venice in the light of Byzantine Commercial Policy" C.M., T.X, 1949, pp. 195-219 .

٣- عادل زينون ، المرجع السابق ، ص٦٨

٤- هايد ، تاريخ التجارة ، ص٢٢٧

ضد اللاتين تفجرت عام ١١٨٢م<sup>(١)</sup> وتم فيها مهاجمة المني البندقى وقتل بهم رجالاً ونساءً وأطفالاً بعد أن ظهرت إلى السطح الأحقاد القديمة ولا تغفل هنا أن ميراث الكراوية المتبادل ، وأحداث العام الأخير سيكون رد البنادقة عليها مثلاً فى ما حدث فى العاصمة البيزنطية أوائل القرن الثالث عشر الميلادى .

هكذا : كان الأمر مع مانويل كومنين الذى لاريب فى تحمله أكثر من غيره نتائج ذلك، ومن الجلى البين عدم إدراكه لتنامى الخطر السلجوقى إذ تحرك متأخراً بعد أن اختلت كفة ميزان القوى لصالح المسلمين بطبيعة الحال، وهكذا؛ صار متردداً بين سياسته الغربية والشرقية، وعندما توجه إلى الشرق، كانت مرياكيفالون بمثابة الدرس القاسى للإمبراطور الذى تأخر طويلاً وأراد أن يقوم بدور أكبر بمراحل من حجمه التاريخى ! وذلك بموضوعية دون التأثر بالرؤية البندقية المعادية له

ومن الأمور ذات الدلالة ؛ أنه بعد (٢٨) عاماً فقط من تلك الهزيمة؛ كانت القوات الصليبية من الغرب الأوروبى تعيس فساداً فى القسطنطينية<sup>(٢)</sup> وتحتلها لأول مرة فى تاريخها وذلك عام ١٢٠٤م . بعد أن تزايدت الأطماع اللاتينية فيها ، وجاءت المعركة المذكورة تعبيراً عن الضعف الداخلى الذى لم يدرك الامبراطور المذكور حقيقته .

ثانياً : تصور البعض أنه كان محقاً عندما تصور أمر «السيادة العالمية» ، واعتبروا ذلك تقليداً بيزنطياً امتد عبر القرون ، والواقع أن ذلك التصور كان أشبه بمحاولة إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، فقد رأينا من خلال العرض السابق، كيف أن بيزنطة فقدت أملاكها تدريجياً فى إيطاليا، وفى عام ١٠٧١م أى قبل تولي مانويل كومنين العرش البيزنطى بنحو ٧٠ عاماً - فقدت بارى Bari، آخر أملاكها فى :غرب على أيدي النورمان، وهم قرة

١- عن أحداث المني البندقى أنظر:

حاتم الطحاوى، بيزنطة والمدن الإيطالية ١٠٨١ - ١٢٠٦، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٠٦، وأرد الإشادة بهذه الدراسة العميقة المركزة من جانب باحث يملك كالة مقومات النجاح فى مجال التاريخ البيزنطى.

أنظر أيضاً : محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٦٥

Kaplan, " le Sac de Constantinople". H., T.LXVI, Année 1982, p. 114

٢- عن تفاصيل ذلك أنظر أحداث أسرة أنجيليوس



لايستهان بها في معتبرك السياسة الدولية حينذاك، وتصور مانويل، أنه ند لأباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة مثل فردريك بارباروسا<sup>(١)</sup> Frederick Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م) وكان ذلك قصر نظر واضح تماماً؛ فالسيادة العالمية لم يكن من الممكن أن يسعى إليها إمبراطور بيزنطي واقفي يفهم وقائع التاريخ ويتعلم منها.

ثالثاً: يتحمل ذلك الإمبراطور نصيباً كبيراً في كارثة عام ١٢٠٤م على بيزنطة مع عدم اغفال العوامل الأخرى - فقد أعطى امتيازات كبيرة للبنادقة ووجه إمبراطوريته نحو وجهة غربية، بل هو نفسه كانت أمه هنغارية، وزوجاته نفسها من القرب في صورة برتا أخت زوجة كونراد ملك ألمانيا، ومن بعدها ماري الأنطاكية<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال ميوله الغربية؛ قدم إلى الإمبراطورية الكثيرين من الغربيين، على نحو أدى إلى تعميق كراهية البيزنطيين لهم وبصورة أدت إلى الصدام بين الجانيين الذي جر نتائج وخيمة على بيزنطة.

---

١- عن فردريك بارباروسا أنظر:

Otto of Freising, *The Deeds of Frederick Barossa*, Trans. by Charles Christopher Mircrow, Toronto 1966.

Otto of St. Blasion, *The Third Crusade 1187-1190*, from *The Chronicle of Otto of St. Blasion*, in Thatcher, *Source Book of Medieval History*, New York 1902, pp. 529-553.

Munz, *Frederick Barbarossa: A study in Medieval Politics*, London 1969.

حامد زيان، فردريك بارباروسا والحملة الصليبية الثالثة ط. القاهرة ١٩٧٧م، كمال الدسوقي، تاريخ ألمانيا، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص ٣٩

٢- ماري الأنطاكية Mary of Antioch، هي ابنة ريموند دي برانيسيه Roymond de Poitiers وكونستانس Constance، وقد تزوجت مانويل كومنين بعد وفاة زوجته الأولى عام ١١٥٩م، وتم الزواج في ديسمبر عام ١١٦١م، ويلاحظ أنها كانت أختاً ليهيوند الثالث أمير أنطاكية Bohemond III (١١٦٣-١٢٠١م) عنها أنظر:

Garland, *Byzantine Empresses Woman and Power in Byzantium*, A.D. 527-1204, pp. 199-209.

Hill, *Imperial Woman in Byzantium 1025-1204: Power, Patronage and Ideology*, London 1999, pp. 201-204.

رابعاً : وجد من المؤرخين الغربيين من انبهر بذلك الإمبراطور فالمؤرخة البريطانية القديرة جوان هسى J. Hussey فى كتابها المرجز القيم العالم البيزنطى *The Byzantine World* أورد عنه ما نصه «وخلال تلك الظروف انتقل التاج البيزنطى إلى مانويل الابن الرابع ليوحنا، ومثله فى ذلك مثل بطل الملحمة البيزنطية ديجينيس اكريتاس Digenis Akriitis سيد البر الذى يعود فى أصله إلى شعبين كان مانويل كومنينوس ينتمى لعالمين . وليس من حق الخيال أن يتصور تناقضاً كبيراً مع أباطرة الأسرة السالفة مثل جوستنيان أو قسطنطين السابع بورفير وجنتيوس، فقد كان مانويل حاكماً متألّفاً ، جندياً ، ودبلوماسياً ، ورجل دولة»<sup>(١١)</sup>.

والواقع أن رأى السالف على الرغم من علو شأن صاحبه فى حقل الدراسات البيزنطية إلا أنه يكشف بجلاء عن الانبهار بشخص الإمبراطور، ومن الممكن تشبيهه بجستنيان - فقط- من خلال أنهما الاثنان سارا وراحم السيادة العالمية التى ولت وأدبرت غير أن جستنيان يتفوق عليه : نظراً لإسهامه القانونى السالف الذكر والذى عاش من بعد وفاته ؛ وهو أمر افتقده مانويل كومنين .

ومن الملفت للإنتباه ؛ أن نفس المؤرخة؛ بعد أن أظهرت ولعها ، وإفتنانها بذلك الإمبراطور إلى حد أوصلها إلى تشبيهه بأبطال الملاحم البيزنطية !!! وهو تشبيه إنفعالى عاطفى يتنافى مع الموضوعية التاريخية والواجبة ثم عادت وناقضت نفسها فى موضع آخر من كتابها وقالت ما نصه : «إن فى سياسة مانويل الشئ الكثير من التقليدية، ومع ذلك ؛ فقد كانت لها بعض الملامح غير العادية التى أثارت كوامن الطموح المتدفع؛ البعيد عن الحكمة، وخاصة فيما يتصل بمشروعاته نحو إيطاليا. ولكن يبدو أن الظروف التى أحاطت به لم تترك له مجالاً للاختبار. بل فرضت عليه ما ظهر جلياً فى سياسته صوب الغرب»<sup>(١٢)</sup>.

Hussey, *The Byzantine World*, p. 62 .

تقول ما نصه "It was in such circumstances That the Byzantine Crown passed to John's Fourth son Manuel . like The hero of The Byzantine epic, Digenis Akrites, The marcher Lord of double race, Manuel Comnenus was of Two World , No Greater Contrast could be imagined to the Emperors of earlier dynasties , a Justinian or a Constantine VII Parphyrogenitus. Manuel was a brilliant ruler, Soldier and diplomat and Statesman " .

ومن الجلى البين: محاولة تلك المؤرخة تجميل عصر مانويل كومنين ، وإتجهت إلى محاولة البحث عن الذرائع والمجج الواهية التي تبرر سياساته الخرقاء ، ووجدتها فى ذلك «الحل» السهل المبسر فى صورة «الظروف» ، وهو أمر يتناقض مع ألف باء المنهج التاريخى الذى يدرك أن الإنسان كفاعل تاريخى مسئول عن تصرفاته ويشارك عملياً فى صنع الظروف المحيطة به ومن الممكن رفض «الظروف» إذا كانت بمثابة الشجب الذى تُعلق عليه الأخطاء الغائلة .

وهكذا: لم تستطع جوان هسى إقناعنا بعكس تصورنا ولاريب أن الامبراطور المذكور امتاز بفشلين مسغاً فى الغرب والشرق على شاكلة الملك الفرنسى لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦-١٢٧٠م) الذى أخفق فى حملته على مصر عام ١٢٥٠م. ومن بعدها على تونس عام ١٢٧٠م. ويتفق الاثنان فى عدم الاستفادة من دروس التاريخ !

خامساً : من الخطأ البين - فى تقديرى- دراسة ذلك الامبراطور والتوقف عند عام ١١٨٠. بل الاجدى الامتداد إلى عام ١٢٠٤م إذ أن قرابة الربع قرن من الزمان التالى على مدة حكمه هى الكفيلة بأن تحكم عليه الحكم الموضوعى الموضوعية ، وبدون ذلك لا يمكن رصد وقائع مرحلة ما قبل السقوط الأول فى التاريخ البيزنطى.

على أية حال ! هناك رأى تقويمى مهم أوردته بنصه لما له من دلالة خاصة حيث رأى البعض : «توفى مانويل سنة ١١٨٠م بعد أن تسبب فى ضياع هبة بيزنطة وهيبة الأسرة الكومنينية التى أخذت فى طريق الزوال بعد ذلك بسنوات قليلة، خاصة بعد أن أدت حروب مانويل الكثيرة إلى زيادة نفوذ الإقطاعيين حتى أصبحوا دوليات داخل الدولة، وأضعفوا السلطة المركزية فى الوقت الذى ترددت فيه الأحوال الاقتصادية لكثرة الضرائب لتمويل الحروب

---

" In Manuel's Policy There was much That was Traditional , it is certain more unusu- = al Features which have given rise to the Charge of rashness and unwise ambitions particularly in connenction with his Italian designs it was not entirly choice that directed the appar- ent western emphasis of Manuel's Policy . it was essential to Find Some modus vivendi With The Western Power"

Hussey, The Byzantine World , p. 63 .

بالإضافة إلى أن ما لجأ إليه مانويل من طرد التجار البنادقة ، دون ترتيب سابق ؛ أحدث هزة اقتصادية فى السوق التجارية ، وأدى بالتالى إلى إنهيار مفاجئ فى الاقتصاد البيزنطى<sup>(١)</sup> .

ويعكس الرأى السابق خطورة سياسات ذلك الامبراطور والنتائج السيئة التى ترتبت عليها على نحو أثر على تاريخ إمبراطورية بأكملها ويقرر أ.د. عمر كمال توفيق تعليقا على سياسات نفس الإمبراطور ما نصه : « إن طموح مانويل عاد بنتائج وبيلة على الإمبراطورية ، فإن هذا الإمبراطور قد ورّط الإمبراطورية فى مشاكل مع أوروبا الغربية بإصراره على تحقيق أحلامه هناك، ولم ينتبه للخطر الذى يحيق بالإمبراطورية. وقد أثار مانويل مخاوف اللاتين عندما أنضب موارد الإمبراطورية، وأن الكراهية والحقد الذين أثارهما بتصرفاته ، وجشع العناصر الغربية التى سمح له بالإزدياد؛ كانت أمور تنذر بنتائج سيئة عندما يتولى زمام الدولة حكام ضعاف »<sup>(٢)</sup>.

أما أ.د. اسحق عبيد؛ فقد قرر عن سياسة مانويل كومنن ما نصه « كانت جماهير الشعب تن من وطأة الفقر الذى عم بسبب مشروعات عمانويل الباهظة الفاشلة فى غرب أوروبا. ونظر أهل العاصمة من حولهم ليروا جاليات البنادقة والبيزيين والمجنوبين تعيش فى رفاهية زائدة »<sup>(٣)</sup> والتعليق على هذا القول الموضوعى تماما ؛ أن سياسات ذلك الامبراطور جاءت على حساب شعبه الذى كان ضحيته الأولى

وترى مؤرخة بارزة عن عهد مانويل كومنن وعواقب سياسته ما نصه : « كان متأثرا إلى حد بعيد بأسلوب الفروسية الغربية، وقد أحب العادات الغربية، وأدخلها فى تقاليد البلاط البيزنطى كما أنه تزوج من أميرتين غريبتين هما بريت الألمانية، ومارى الفرنسية الأمر الذى أضفى على قصره مظهرا غريبا وجعله يختلف عما كان عليه الحال زمن أسلافه ... وقد أدى هذا الاتجاه نحو الغرب ؛ إلى إنفتاح حدود الإمبراطورية البيزنطية أمام اللاتين الغربيين الذين

١- محمد محمد مرسى الشيخ . تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٣٧٤

٢- تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٢٠٥

٣- روما وبيزنطة، ص٢٧٩

تدفقوا إليها وزادت أعدادهم داخل العاصمة ، وقد تقلد عدد كبير منهم بعض المناصب العليا في الدولة، مما أدى إلى قلق ، وتذمر العناصر البيزنطية داخل الإمبراطورية<sup>(١١)</sup> .

وهكذا ؛ يتضح لنا من ذلك الرأي أن التذمر الذي حدث داخل أرجاء الإمبراطورية البيزنطية سيؤدى حتماً إلى الانفجار وهو ما وقع بالفعل بعد انتهاء عصر مانويل كومنين، ولا ريب أن مشكلة ذلك الإمبراطور تتمثل في سياسة التغريب Westernization التي سار عليها باندفاع دون روية أو إدراك للعواقب التي ستنتج عنها

أما المؤرخ أ.د. جوزيف نسيم يوسف فقد قرر تعليقاً على سياسات ذلك الإمبراطور ما نصه : « لكن فكرة مانويل في إحياء الإمبراطورية القديمة لم تكن في الواقع إلا حلمًا من أحلام الماضي البعيد، إذ لم يؤد التراضى بينه وبين البابا الكاثوليكي إلى شيء مما كان يأمله ، كذلك لم تؤد المساعدات المادية التي قدمها مانويل إلى المدن الإيطالية في نضالها ضد الإمبراطور الألماني شيئًا ، والدليل على ذلك ؛ الصلح الذي تم بينه وبين البابا إسكندر الثالث، والإمبراطور فردريك بارباروسا سنة ١١٧٧م، الذي عرف بصلح البندقية ... وكان الإتفاق بين عاهلي المسيحية في الغرب لطمه أصابت آمال بيزنطة في الصميم»<sup>(١٢)</sup>.

ويدل الرأي السالف الذكر؛ على أن «أحلام» ذلك الامبراطور لم تتسم بالواقعية ، ثم أن مجهوداته في التحالف مع البابوية ضد فردريك بارباروسا ذهبت أدراج الرياح عام ١١٧٧م بالإتفاق المذكور، وذلك في العالم التالي مباشرة لفضيحة مرياكيفالون ١١٧٦م ، وهكذا توالت عليه الإخفاقات العسكرية والسياسية من كل حذب وصرى ، وبصورة متعددة ومتنوعة ينذر تكرارها في التاريخ البيزنطى على الأقل في العصر الأوسط منه على نحو يجعل الباحث يتساءل ما هو المجال الذى نتج فيه ذلك الامبراطور ١١٢ ومن الممكن القول أنه يتشابه مع الملك الإنجليزي يوحنا (١١٩٩ - ١٢١٦م) الذى وصف بأنه دخل التاريخ بسبب أخطائه<sup>(١٣)</sup>.

١- أست غنيم. تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٤٦

٢- تاريخ الدولة البيزنطية . ص٢٣٣

٣- سعيد عاشور . أوروبا العصور الوسطى. ط. القاهرة ١٩٨١م، ص٤٧٤- ص٤٧٧

والملك يوحنا؛ هو ابن هنرى الثانى Henry II ولد حكم يوحنا خلال المرحلة من ١١٩٩ إلى ١٢١٦م

أما العلامة دونالد نيكول Donald Nicol ؛ فقد رأى فى ذلك الإمبراطور أنه : «أخطأ فى تقدير قوة خصومه ... وقد خرج فى عام ١١٧٦م على رأس جيشه غير أنه هزم هزيمة فادحة فى مواجهة الأتراك فى مرياكيفالون غير أنه لم يلبث أن مات بعد أربعة أعوام فى سبتمبر عام ١١٨٠م»<sup>(١١)</sup>.

وفى موضع آخر يقرر ما نصه «أما صورته فى مخيلة شعبه فهو أنه بالغ فى ميله للاتين واتجه فى هذا الشأن إلى مدى أبعد مما كان ينبغى عليه» .

كذلك أقر ذلك المؤرخ البارز صراحة عن مانويل كومنين ما نصه «ترك مانويل من ورائه تركة من الشنآن والتعصب العرقى الذى سريعاً ما تفجر على نحو عنيف وقد شارك قريبه اندرونيكوى كومنينوس على زيادته» .

والفقرة الأخيرة- على نحو خاص - تكشف لنا عن مسئولية ذلك الإمبراطور فى الأحداث الصاخبة التى وقعت فيما بعد رحيله .

أما المؤرخ هايد Hcyd ؛ فيقرر عن سياسته مانويل كومنين تجاه البنادقة ما نصه : «إن منظر الثروات الضخمة التى جمعها بنادقة القسطنطينية قد أثارت جشعه ، إذ أنه كان فى حاجة إلى الكثير من المال ليواصل الحروب التى تورط فيها والإنفاق على أساليب الرشوة التى كان يستخدمها بسخاء ، وضروب البذخ التى يمارسها ، ورغم الأعباء التى كان يشغل بها كاهل رعيته ، فإن خزانة الدولة لم تكن كافية للوفاء بمطالبه»<sup>(١٢)</sup>.

---

= وكان أخًا لريتشارد قلب الأسد Richard Lion hearted ( ١٠٨٨ - ١٠٩٩م ) . وفى عهده ترد عليه النبلاء على نحو أدى إلى الانفاق المعروف بالعهد الأعظم Magna Charta . عام ١٢١٥م ، ويصفه عامه لم يوصف ذلك الملك بالخبيرة السياسية ، وقد توفى عام ١٢١٦م . عنه أنظر :

جيسس . الماجنا كارتا (العهد الأعظم) . ت. مصطفى طه . ط. القاهرة ١٩٦٥م . سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى . ص ٤٧٤ . عبد القادر اليوسف ، العصور الوسطى الأوربية ، ط. صيدا ١٩٦٧م . ص ١٨٤-١٨٥ ، إساعيل نوري الربيعى ، تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، ط. عمان ، ٢٠٠٢م ، ص ١١١

وفى موضع آخر يقول ما نصه « حين أكمل استعداداته أصدر أمره بالقبض على كل البنادقة ومصادرة أسلحتهم ، واحتجاز سفنهم وكان ذلك فى ١٢ من مارس عام ١١٧١ ، ومن القسطنطينية وحدها راح ١٠٠٠ من البنادقة ضحية هذا الاعتداء<sup>(١١)</sup> »

وأخر شهادة تقويمية لعهد ذلك الإمبراطور نقدمها من خلال المؤرخ شارلز أومان Charles Oman صاحب الدراسة الشهيرة عن فن الحرب فى العصور الوسطى<sup>(١٢)</sup> ، وبالتالى من المقرر أنه على معرفة بأقدار الرجال جيداً خلال تلك العصور خاصة أولئك الذين قادوا الجيوش . وخاضوا المعارك ، وفى عرضه عن الإمبراطور مانويل كومنيني نجده يقرر ما نصه « خلف جون الطيب على العرش ابنه مانويل ، وقد اجتمعت فيه عناصر القوة والضعف لتكون سبباً فى تسديد ضربة قاتلة إلى الإمبراطورية . وكان مانويل مجرد فارس متجول أحب القتال لذاته . وسمع لعاطفة الحماس والمخاطرة أن تكون رائدها الوحيد وكان عهده كله سلسلة طويلة من المحروب يدخلها ويخرج منها طائشاً »<sup>(١٣)</sup> .

وفى موضع آخر يذكر عنه ما نصه : « لم يكن سوى سياسى خامل » . كما قرر « كانت الغلظة » ، الأساسية فى حروب مانويل أنها دبرت مع إغفال الاعتبارات المالية إغفالاً يكاد يكون تاماً ، فقد أصر على إشعال الحرب بعد الحرب ومملكته سائرة نحو الإفلاس ببطء . ودخلها كان ينقص نقصاً مستمراً كما أنه كرّس كل بيزة Bezzant كان يستطيع استخلاصها من رعاياه لإغاثة الجيش وحده . فاختلت الإدارة المدنية اختلالاً شديداً وفسدت إدارة العدل وتهدمت الطرق والجسور وأهملت المرافق والموانئ<sup>(١٤)</sup> .

وأنصوّر أن تلك الشهادات التاريخية لكوكبة من كبار المؤرخين من الشرق والغرب من ذوى الخبرة الأكاديمية البارزة كافية لوضع الإمبراطور مانويل كومنيني فى حجه الحقيقي دون مبالغة .

١ - هاید ، تاريخ التجارة ، ص ٢٢٧

من المهم هنا عدم إتهام هاید وغيره من كبار المؤرخين الأوربيين الذين هاجموا مانويل كومنيني بالاعتماد على وجهة النظر البندقية . فالأمر يتجاوز تلك الزاوية على نحو مؤكد . ومن غير المنطقي تصور أن كافة أولئك المؤرخين وهم كبار الباحثين على المستوى الدولى والعربى فى حقل الدراسات البيزنطية وقروا أسرى الرؤية التاريخية البندقية كما يتصور البعض !!!

٢ - أنظر : Oman , A History of the art of War in the Middle Ages , 2 vols . London 1924

٣ - شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٧٠٩

٤ - نفسه ، ص ٣١٠

مهما يكن من أمر؛ كانت الامبراطورية البيزنطية فى أعقاب عهد الإمبراطور مانويل كومنين فى حاجة ماسة لأن تنعم بالأمن والاستقرار وتطلب الأمر، وجود رجل قوى حازم يملك القدرة على قيادة تلك الإمبراطورية بعد الحكم «الكارثى» لمانويل كومنين، غير أن الأحداث أتت بعكس ذلك؛ إذ خلف ذلك الإمبراطور ابنًا صغيرًا فى صورة الكيسوس الثانى، ونظرًا لصغره، تولت الوصاية عليه أمه ماري الأنطاكية خلال المرحلة من ١١٨٠ إلى ١١٨٢م وصارت صاحبة الكلمة العليا فى إدارة دفة أمور الامبراطور<sup>(١)</sup> دون أن تملك الكفاية السياسية المؤهلة لذلك، وهكذا صار مصير تلك الإمبراطورية فى قبضة امرأة<sup>(٢)</sup>.

ويذكر التاريخ لتلك المرأة أنها كانت تلهث وراء المظاهر الحادعة، دون أن تدرك أن حب الظهور يقضم الظهر بل أطلقت العنان لقلبها كى يهوى ويعشق الكيسوس ابن أخ مانويل دون الالتفات إلى الخطر المحدق بالإمبراطورية، ولاريب فى أن غرامياتها، وكونها أجنبية كل ذلك جعل البيزنطيين ينظرون إليها نظرة عدا<sup>(٣)</sup>، كانت متصلة فى نفوسهم ضد كل من هو غير بيزنطى، ومن بعد ذلك تمكن أندرونيكوس الأول ابن عم مانويل من انتزاع المنصب الامبراطورى من الكيسوس الثانى وأمه عام ١١٨٣<sup>(٤)</sup>، وكان متقدمًا فى السن ولم يستطع القيام بدور بارز فى حكم الإمبراطورية.

ذلك أمر السياسة وجدلها المعارك وغبارها ومع ذلك؛ فمن الإنصاف أن نذكر أن هناك بعض الإنجازات الحضارية لأسرة كومنين فى التاريخ البيزنطى<sup>(٥)</sup> ويمكن ملاحظتها من خلال المظاهر الآتية.

١- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٣٨. أيضًا: أسمت غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٦ - ص١٤٧

٢- جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص٢٣٩

٣- أندرونيكوس الأول؛ كان قريبًا للإمبراطور مانويل الأول وعندما مات مانويل عام ١١٨٠م كان أندرونيكوس فى الستين من عمره بينما ترك مانويل ولده الصغير الكيسوس الثانى تحت وصاية أمه ماريه الأنطاكية، وفيما بعد فى عام ١١٨٢م؛ اتجه إلى القسطنطينية على رأس قواته ونصب نفسه فى الوصاية على الصبي ووضع التاج على رأسه فى عام ١١٨٣م. وتمكن من قتل الكيسوس الثانى وكذلك أمه. ويلاحظ أنه حكم خلال المرحلة من ١١٨٣ إلى ١١٨٥م عنه أنظر

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 377-379.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 350-356.

Nicol, A Biographical dictionary, p. 7

حستين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٣٢-٢٣٣

٤- عن الجانب الحضارى فى تاريخ أسرة آل كومنين أنظر:



أولاً : ظهر خلال عهد تلك الأسرة عدد من المؤرخين ومن أمثلتهم أئنا كومنينيا إبنة الامبراطور الكيسيرس كومنين وهي المؤرخة الوحيدة وسط الغالبية الساحقة من المؤرخين البيزنطيين الذكور التي ألقت كتابها الشهير الكسياد Alexiad<sup>(١١)</sup> ، وقد تناولت فيه أحداث عهد والدها ، والأوضاع الداخلية ، والعلاقات الخارجية حينذاك على مدى المرحلة من ١٠٨٠ إلى ١١١٨م ، ويعد الكتاب المذكور مصدراً تاريخياً لاغنى عنه لمن يتصدى بالكتابة عن تلك المرحلة . ويلاحظ ، أن المؤرخة المذكورة إنبهرت برأدها ، وقدمت لنا رؤية منحازة له من خلال افتتاحها بكاريزما ذلك الامبراطور الذي كان بالنسبة لها أباً وامبراطوراً في نفس الحين مما ضاعف المشكلة لديها ولدى الباحثين أنفسهم.

ولاتفعل كذلك ظهور مؤرخين آخرين حينذاك مثل: نيكثاس خونياتس - Nicetas Choniates<sup>(١٢)</sup> ، ويوستاش السالونيكى Eustathius of The ssalonica<sup>(١٣)</sup> من كبار المؤرخين البيزنطيين.

ثانياً : اهتم آل كومنين بالجانب المعماري سواءً في صورة الأديرة أو القصور ، حيث شيّدوا عدة أديرة مشتل دير باتموس Patmos الذي شيّده القديس كريستو دولوس

= أبحاث المؤتمر الدولي العشرين للدراسات البيزنطية الذي عقد في ولاية ميتشجان بالولايات المتحدة الأمريكية في ٢١ سبتمبر عام ١٩٩٤م . وشارك في تحرير أعماله أنا ماري وكار Annemarie Weyl Carr ، وبربارا هيل Barbard Hill ، وشارلز م. براند Charles M. Brand ، وتاليا جوما بترسون Thalín Gouma ، و Peterson ، وسارولنا أ. تاكاس Sarolta A. Takacs وعنوانه : Komnenian Culture ، ونجد بعض أعمال ذلك المؤتمر البالغة (١٠) دراسات منشورة في مجلة (B.F.) في العدد (١٣١) ، والصادر في أمستردام بهولندا عام ١٩٩٦م . عن ذلك أنظر :

Car, Hill, Brand, Peterson and Takacs (eds.) "Komnenian Culture" at the 20 th Annual Byzantine Studies Conference , An Arbor, Michigan, on 21 Septembre 1994. (in B.F., vol ١٠ - XXIII. Amsterdam 1996) .

١- عنها أنظر : المدخل الجيولوجرافي .

٢- عنه أنظر: نفس المدخل .

٣- عنه أنظر نفس المدخل .

Christodulus<sup>(١١)</sup> في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين، كذلك تم تشييد دير بانتو كراتور Pantocrator<sup>(١٢)</sup> في عهد الإمبراطور يوحنا كومنين .

ولاتفغل كذلك تشييد القصور ومن أمثلتها ، قصر بلنشيرنس Blencheres الذي وقع على رأس القرن اللهي وقد وصف بالفخامة والأبهة<sup>(١٣)</sup>، ولدنا وصف له من جانب الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي Benjamin of Tudela<sup>(١٤)</sup> الذي زار العاصمة البيزنطية في النصف الثاني من القرن ١٢ م، حيث ذكر ما نصه «فيه الأساطير والحيطان الموشاة بالتبر الخالص والنقوش البديعة التي تصور المعارك القديمة والمحروب التي خاضها هذا الملك، وفي القصر عرش من خالص الذهب مفصص بالحجار الكريمة يتدلى من أعلاه بما يحاذي هامة الرأس تاج من ذهب معلق بسلاسل من ذهب، مرصع بالمجوهر النادرة الثمينة ، ولمع هذه الجواهر ينير القاعة في الفسق ، فيغنيها عن نور المصابيح ، وهناك عدا هذا من التحف ما يقصر عن تفصيله اللسان»<sup>(١٥)</sup>؛ والعبارة الأخيرة تحوى إيجازاً يفتى عن التفاصيل

ولاريب ؛ في أن ذلك الوصف القوي الدلالة والمرجز في ذات الحين، يكشف لنا بما لا يدع مجالاً للارتياب عن مدى الثراء الذي كانت عليه تلك الأديرة، فلما عجب إذا ما أدركنا أنه خلال أحداث عام ١٢٠٤م؛ تعرضت لعمليات سلب ونهب ولاريب في أن سالبها أدركوا مدى ما عليه من ثراء عريض.

وبعد ؛ فذلك عرض عن أسرة آل كومنين، وأحداث عصرها سياسياً والإنجازات الحضارية في عصرها، أما الصفحات التالية فتعرض لأسرة أنجيليوس .

١- عمر كمال توفيق . تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٠٣

٢- نفسه . نفس الصفحة وعن الأديرة انظر: عبد العزيز محمد عبد العزيز، المرأة البيزنطية، ص٢٠٢

٣- عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ٢٠٣

٤- عنه أنظر: المدخل الجبلوغرافي.

٥- بنيامين التطيلي . الرحلة . دراسة وتقديم عبد الرحمن الشيخ، المجمع الشقافي بأبوظي . ط.

٦- ٢٠٠٦م، ص٢٢١-٢٢٢

وبعفة عامة عن الفن البيزنطي وهو أمر متصل بالعمارة اتصالاً وثيقاً أنظر

Vikan, " Byzantine Art ", in Aygeliki Laiou and Maguire (eds.) Byzantium Aword Civilization, Dumberton Oaks Research Library, Washington 1992, pp. 81-118 .

Hussey, The Byzantine World, pp. 156-165

### ثامناً : أسرة أنجيلوس والاحتلال اللاتيني (١١٨٥ - ١٢٦١م)

نتعرض فى الصفحات التالية، لأسرة أنجيلوس التى تولت حكم الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١١٨٥ ، ١٢٠٤م ثم الاحتلال اللاتينى لها حتى عام ١٢٦١م

وقد تولى الحكم عدد من الأباطرة هم إسحق الثانى . Issac II . (١١٨٥-١١٩٥م) ، والكيسوس الثالث Alexius III (١١٩٥-١٢٠٣م) ، وإسحق الثانى بعد أن عادوا واشترك مع ابنه الكيسوس الرابع Alexius IV (١٢٠٣-١٢٠٤م) ، ثم الكيسوس الرابع Alexius IV (١٢٠٤م) وأخيراً الكيسوس الخامس Alexius V (١٢٠٤م)

مهما يكن من أمر؛ لا يمكن فهم عهد هذه الأسرة على نحو خاص دون إدراك طبيعة العلاقات المتصارعة بين بيزنطة والغرب الأوروبى من خلال تجرية الحروب الصليبية على نحو خاص مع عدم إغفال تراث العداة السابق بين الجانبين، وهو أمر لاحظناه منذ عهد الأسرة الأيسورية حتى أسرة أنجيلوس ذاتها .

والواقع أن الحروب الصليبية جعلت بيزنطة وجهاً لوجه مع الغرب الأوروبى على أرض بلاد الشام القريبة منها . وفيما بعد على الأرض البيزنطية ذاتها ؛

ولانغفل ؛ أن خلال أحداث الحملة الصليبية الثانية<sup>(١)</sup> ١١٤٧-١١٤٩م . وهى التى شارك فيها الملك الفرنسى لويس السابع Louis VII (١١٣٧-١١٨٠م) والإمبراطور الألمانى

١- عن الحملة الصليبية الثانية أنظر :

Bernard of Clairvaux, The Letters of St. Bernard of Clairvaux , Trans. by Bruno Scott James, institute, of Cistercian Studies, Western Michigan University 1998, p. 274, p. 288 .  
William of Tyre, vol . II, pp. 163-194 .  
The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle , ed. and Trans. by A.S. Tritton and Hamilton Gibb, J.R.A.S., vol 92 , 1933, pp. 298-299 .  
Odo of Deul , De Profectione Ludovici VII in Orientem, ed. V. Giuyerrick Berry, New York 1948, pp. 7-143 .

ابن القلاسى ، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٩٨-٣٠٠

كونراد الثالث Conard III ( ١١٣٨-١١٥٢م) وذلك بعد أن تمكن المسلمون عام ١١٤٤م بقيادة الأتابك عماد الدين زنكى من إخضاع إمارة الرها Edessa الصليبية لسيطرتهم<sup>(١١)</sup> . وقد اتضح خلالها مدى ما كنه الغرب الأوربي لبيزنطة بل تؤكد له أن تلك الإمبراطورية تناصبه العداء من خلال ائتلاف المصالح السياسية بطبيعة الحال.

---

Berry, " The Second Crusade", In Setton (ed.), A History of the Crusades, vol. I, pp. = 463-512 .

قتيبة الشهاوى ، صود دمشق أمام الحملات الصليبية، ط. دمشق ١٩٩٨م. عبد السلام زيدان ، الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧-١١٤٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة جنوب الوادى عام ٢٠٠٢م، وهى أطروحة متميزة ، نعيمة محمد إبراهيم، آسيا الصغرى والحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب جامعة القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٧٤ - ٢٠٦، جبرار ديجورج ، دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية، ت. محمد رفعت عواد، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص١٥٠

وأيضاً هذا الكتاب

Philips and Hoch (eds.), The Second Crusade, Scope and Consequences, Manchester 2001

والكتاب المذكور يحتوى على (١٠) دراسات عن الحملة الصليبية الثانية، وهى فى الأصل أبحاث أقيمت فى المؤتمر الدولى للعصور الوسطى الذى عقد فى جامعة ليدز Leeds بالمملكة فى ١٤ يوليو ١٩٩٨م بمناسبة مرور ٨٥٠ عاماً على الهجوم الصليبي على مدينة دمشق فى ١١ يوليو ١١٤٨م . ويلاحظ أن تلك الذكرى مرت على الباحثين العرب دون الانتباه إليها للأسف الشديد . وهكذا ؛ يهتم الغرب الأوربي بحديث تاريخى وقع على أرضنا ونحن عنه غافلون!

١- عن استرداد المسلمين للرها أنظر: ابن العديم . بغية الطلب فى تاريخ حلب - القسم الخاص بتراجع السلاجقة ، محقق على سومر، الجمعية التاريخية التركية، ط. انقره ١٩٨٩م، ص٢٧٢

ابن الفلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٧٩ ، Michael le Syrien, Chronique, T.III, p. 260-262 .

عليه الجنزورى ، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ص٣١٦-٣١٧

Gibb, " Zengi and The Fall of Edessa", in Setton, ed. A History of the Crusades , vol . I.

Pennsylvancin 1952 , p. 461 .

وفى الحملة الصليبية الثالثة ١١٨٩-١١٩٢م؛ التى حدثت بعد أن تمكن المسلمون بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس بعد معركة حطين الحاسمة فى ٤ يوليو ١١٨٧م<sup>(١)</sup>. وخلالها : تحالفت الإمبراطورية البيزنطية مع ذلك السلطان الأيوبي المجاهد لمواجهة الحملة الألمانية بقيادة فردريك بارباروسا Frederick Barbarossa (ذو اللحية الحمراء)، ويلاحظ أن العداء بين الجانبين بلغ حد الصدام المسلح بين القوات الألمانية، والبيزنطية، نظراً لموقف بيزنطة المعادى له، وللمشروع الصليبي برمته<sup>(٢)</sup>، وفكر ذلك الامبراطور فى مهاجمة العاصمة البيزنطية غير أنه فيما بعد : غرق فى نهر سالف Saleph من أنهار كيليكيا Cilicia فى آسيا الصغرى Asia Minor ، فتأجل مشروع غزو القسطنطينية إلى حين .

ولدينا وثيقة أوردتها المؤرخ بها . الدين بن شداد مؤرخ سيرة صلاح الدين الأيوبي: تكشف لنا عن التحالف الذى نجح ذلك السلطان بدهاء فى إقامته مع إسحق الثانى إنجيلوس<sup>(٣)</sup>

---

١- عن معركة حطين أنظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية والمعاصر اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيبان، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص٧٥-٧٩، العماد الأصفهاني ، الفتح القسى فى الفتح القسى. تحقيق محمد صبيح ، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص٨١

Richaard, " La Bataille de Hattin , Saladin defeat l'Occident , H., T.XLVII, Année 1982 , pp. 104-111 , fuller, Decisive battles of Western Europe and their Influences History ; London 1954 p. 427 .

٢- وعن العلاقات بين فردريك بارباروسا وبيزنطة أنظر: Brand, Byzantium Confronts The West 1180-1204 , Cambrige 1968 , pp. 176-188 .

قاسم عبده قاسم وعلى السيد، الأيوبيين والمالكيه التاريخ السياسى والعسكرى. ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٦١

٣- ابن شداد ، المصدر السابق، ص١٣٢-١٣٣ . وعن علاقة صلاح الدين الأيوبي ببيزنطة خلال الصليبية الثالثة أنظر :

Brand , " Byzantium and Saladin 1185-1192, opponents of the Third Crusade" S. vol XXXVII, 1962 , pp. 167-181

على نحو مكث من إعاقه تقدم القوات الألمانية وتزويده بالمعلومات - وهى أخطر سلاح - من أجل متابعة تقدمها ، مما عكس حنكة مؤسس الدولة الأيوبية الذى تمكن على العزف على وتر الصراعات البيزنطية - اللاتينية لتحقيق مصالح دولته العليا على نحو يخدم قضية الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين بوجه عام ، وبالتالى استطاع أن يخطر خطوة للأمام متقدمة على السياسة التى اتبعها من قبل نور الدين محمود عندما حاول تجميع بيزنطة - قدر الامكان- على نحو اتضح فى الاتفاق الموقع معها عام ١١٥٩م فى عهد مانويل كومنين .

من زاوية أخرى؛ خلال أحداث تلك الحملة الصليبية ذاتها، تمكن ملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد Richard Lionhearted<sup>(١)</sup> (١١٨٩-١١٩٩م) من الاستيلاء على جزيرة قبرص

زبيده عطا ، الشرق الاسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص٨٧-١٠٠ .  
 محمد أحمد محمد، فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط. الرياض ٢٠٠٤م ص٦٠ . ابراهيم سعيد فهمي.  
 وحى دولوزينيان وصلاح الدين الأيوبي بين الحرب والسلام، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى  
 كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، محرر على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط.  
 الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٣٨٣ . حاشية (٢) ، حسن عبد الوهاب، معالم التاريخ البيزنطى السياسى  
 والحضارى، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص٣٠٢

١- عن ريتشارد قلب الأسد أنظر:

= Geoffrey of Vinsauf, *Crusade of Richard Coeur de Lion*, in *Chronicles of The Crusades*, London , 1908 .

Ambrose, *The Crusade of Richard Heart of Lion*, Trans. by Hubert, New York 1943 .

Anonymous *Chronicle of the Third Crusade*, A Translation of I Tenerarium Peregrinorum of Gesta Regis Recard, Trans. by Helen Nicholson, London 1994 .

Richard of Devizes, *Crusade of Richard Cour de Lion*, in *Chronicles of the Crusades*, London 1908 .

Richard, *The Crusades 1071-1921*, Trans. by Jean Birrell, Cambridge 1999, pp. 218-220 .

Cyprus عام ١١٩١ م<sup>(١١)</sup>، وكانت من قبل تابعة للأملاك البيزنطية ؛ على نحو كشف عن حجم المطامع اللاتينية في أملاك تلك الإمبراطورية وكأنها خطوات مرحلية يشخفها الغرب الأوروى بدأت من الأطراف إلى أن يتمكن فى نهاية المطاف من الإنتقراض على القلب البيزنطى.

على أية حال؛ ارتبطت الحملة الصليبية الرابعة بالبأيا أنوس الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦م) . ويلاحظ هنا، أنه لم يكن يهدف إلا إلى توحيد الكنائس الشرقية وخاصة كنيسة القسطنطينية وإخضاعها لسيطرة كنيسة روما، يلاحظ أن قلة من القيادات الأوروبية استجابت له فى صورة ثيوت كونت شامبنى Thibault of Champagne ثم بلدوين الفلاندرى Baldwin of Flanders وغيرها

وجدير بالذكر ؛ أن الشخصية ذات الدور الفعال فى أحداث الصليبية الرابعة تمتث فى السياسى الداهية المخضرم الدوج هنرى داندلو Henry Dandelo<sup>(١٢)</sup> دوق البندقية Venice وكان يحركه نأر شخصى جامع ضد الإمبراطورية البيزنطية بعد أن فقد بصره من جراء الحلاف مع البيزنطيين من قبل -

---

= نظير حسان سعداوى ، تاريخ المجلنرا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص٩٢-٩٣ زينب عبد القوى، الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة من ١١٨٩-١٢٩١ ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص١٢٢-١٢٧ ، محمد دسوقى محمد حسن، العلاقات السياسية الفرنسية الإنجليزية وأثره على الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب الإسلاميين ١١٣٧- / ١٢٢٣ ٥٣١-٥٢٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية فرع دمنهور عام ٢٠٠١م، ص١٨٤-٢١٦

١- Edubury, The kingdom of Cyprus and The Crusades, 1191-1374, Cambridge 1981. p. 7

عاطف مرقص، تبرص والحروب الصليبية فى القرنين ١٢ ، ١٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩١م، ص٩٧ ، جيمس رستون (الابن) ، مقاتلون فى سبيل الله صلاح الدين الأيوبى وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة. ت. رضوان السيد، ط. الرياض ٢٠٠٢م، ص٢١٥-٢١٦

٢- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٥٠

على أية حال ؛ توفي ثيوت كونت شامبني عام ١٢٠١م، فتولى الأمر من بعده بونيفاس المونترفرتي Boniface Of Montferrat<sup>(١١)</sup>، ووصلت الحملة إلى البندقية ، ولم يتمكن الصليبيون من دفع المبلغ الذي طلبه من البنادقة من أجل إستغلال سفنهم لنقل المشاركين فى الحملة إلى هدفها ، وقد تم الاتفاق على نصيحة داندلو ومقتضاها أن يتم تأجيل دفع المال حتى يساعد الصليبيون البنادقة على إسترداد مدينة زارا Zara الهنغارية فى دلماشيا (من قبل بوغوسلافيا) التى كانت مركزاً تجارياً كبيراً، وكانت تخص المجر التى دخلت فى صراع مرير مع البندقية ليس فى نطاق الأديراتيك فقط؛ بل أيضاً خارجه ، وقد حوصرت من جانب الصليبيين ودمرت<sup>(١٢)</sup>، وتم نقل أهلها عام ١٢٠٢م. مما عكس أن تلك الحملة الصليبية صارت تستهدف مدناً مسيحية .

بصفة عامة؛ يقال أن هدف تلك الحملة الصليبية كان صرب مصر ، إلا أن سفراء البندقية عقدوا إتفاقية فى عهد السلطان العادل أبويكر الأيوبي عام ١٢٠٢م<sup>(١٣)</sup> ، بمقتضاها منحهم

١- عنه وعن انتخابه أنظر:

Villeharduin, The Conquest of Constanionople , in Chronicles of the Crusades , Trans. by M.R.B. Shaw, Penguin Book, London 1963 , p. 38 .

queller, The Fourth Crusade, The Conquest of Constntinople 1201-1204 , Leicerted 1978 , pp. 19-35 .

Nicol, Byzantium and Venice , Astudy in Diplomatic and Cultural relations, Cambridge 1995 , p. 129 .

Norwich Byzantium, The decline and Fall, pp. 168-170 .

Villehardouin, Op. cit., pp. 46-49 .

٢-

ويلاحظ أن مدينة زارا بعد تلك الأحداث ؛ لم يبق فيها حجر يساند حجراً آخر ، أنظر:

إسحق عبيد ، روما وبيزنطة، ص٢٢٥-٢٢٦

٣- فايد حماد عاشور ، العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامى فى العصر الأيوبي، ط.

الاسكندرية ١٩٨٠م، ص١٨٠ . وعن العادل انظر: محمود الحوريرى، العادل الأيوبي صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية، ط. القاهرة ١٩٨٠م.



السلطان عدداً من الفنادق في الاسكندرية بالإضافة إلى بعض الامتيازات التجارية ، وأمام الإغراء المادى؛ سال لعاب البنادقة وتعهدوا بعدم توجيه أية حملة صليبية صوب مصر .

ولانغفل هنا؛ الإشارة إلى أن البندقية نعتت على بيزنطة قيام الإمبراطور الكيسوس الثالث Alexius III بحرماتها من عدة امتيازات تجارية، وفى المقابل؛ قام بتقديم امتيازات للبيزانة الذين نافسوا البنادقة منافسة شديدة<sup>(١١)</sup> ، وكان البنادقة يتحرقون شوقاً للشأر من بيزنطة مقابل ما حدث عام ١١٨٢م عندما تم إحراق الحى البندقى فى القسطنطينية<sup>(١٢)</sup>، كما أسلفت الذكر من قبل .

على أية حال ؛ قدم البيزنطيون بصراعمهم الأحقق على العرش الامبراطورى الفرصة الذهبية للبنادقة للشأر منهم وكان ذلك بمثابة الخطأ الفتاك الذى وقعوا فيه ، وكان الكيسوس الثالث قد تولى العرش باحدى الطرق المعتادة ، والتقليدية فى التاريخ البيزنطى؛ أى القيام بالثورة على أخيه إسحق الثانى، وزج به وبابنه الكيسوس الرابع فى غياهب السجن إلا أن الأخير فر من سجنه وطلب مساعدة الغرب الأوروبى لإعادته إلى العرش. والتخلص من الكيسوس الثالث وتعهد بأن يدفع للصليبيين المبلغ الذى كان ديناً للبنادقة للأخيرين واستغل الدوق داندلو كل ذلك ، وتوجه الصليبيون إلى العاصمة البيزنطية، وبالفعل تمكنوا من دخولها عام ١٢٠٣م. واسترد إسحق الثانى أنجيلوس العرش وتم تنصيب ابنه الكيسوس الرابع مساعداً للإمبراطور، ويلاحظ أن الكيسوس الرابع<sup>(١٣)</sup> هذا لم يتمكن من الايفاء بالوعد وتقديم الأموال المطلوبة للبنادقة؛ مما أدى إلى تأزم الموقف.

١- حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٥٣

عن ذلك أنظر:

حاتم الطحاوى ، بيزنطة والمدن الإيطالية ، ص١٠٦ . عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص٢٠٧

Kaplan, Le Sac de Vonstantinople, p. 114

أنظر أيضاً عن البنادقة والحى البندقى فى العاصمة البيزنطية فى أواخر القرن ١٢.

Brown, " The Venetians and Venetian quarter in Constantiuople in Close of the Twelfth Century " , J.H.S., vol . XL , 1920. pp. 68-88 .

٢- الكيسوس الرابع حكم خلال الفترة ما بين ١٢٠٣ - ١٢٠٤م وهر ابن الامبراطور اسحق الثانى الذى =

جدير بالذكر؛ قامت ثورة في العاصمة البيزنطية أطاحت بإسحاق الثاني ، والكيسوس الرابع وقتلا بعد أن اهتمتهما الجماهير الغاضبة بالخيانية، ومالأة أعداء الإمبراطورية وتولى العرش الكيسوس الخامس Alexius V الذى وقف موقفاً مضاداً من الصليبيين وأبد الاتجاه الشعبى الكاره لهم، وأمام ذلك التطور ، وأمام ذلك التطور : إنجحه الصليبيون إلى إسقاط القسطنطينية فى ١٣ أبريل عام ١٢٠٤م<sup>(١)</sup>.

= أودع السجن بعد الإثقال الذى قاده عمه الكيسوس الثالث عام ١٠٩٥م، وقد مات مشنوقاً عام ١٢٠٤م ، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary , p. 3-4 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 440, p. 449 .

Ostrogorsky , History of The Byzantine State, p. 368-370 .

Diehl , History of the Byzantine Empire, pp. 135-136 .

١- عن سقوط القسطنطينية أنظر:

Robert Clari, The Conquest of Constantinople , Trans. by E. H. Mc Neel, New York 1936 .

Villeharduin, The Conquest of Constantinople , in Joinville and Villeharduin, Chronicles of the Crusades , Trans. by M.R.B.. Shaw, Penguin Book 1963 .

وأنظر الترجمة العربية من جانب العلامة حسن حبشى : نظرا لتعليقاته الثرية عن ذلك أنظر: المدخل الجغرافي .

The Register of Innocent III, in Contemporary Sources for The fourth crusade , ed. by Alfred J. Andrea and Brette E. Whalen. Leiden 2000, pp. 7-176 .

The Anonymous of Soissons . in Contemporary Sources, pp. 223-238 .

Count Hugh of Saint pol's Report to the West , in Contemporary Sources, pp. 177-202 .

Ralph of Coggeshall, Chronicle, in Contemporary Sources . pp. 277-290 .

Alberic of Trois Fontaines, Chronicle . in Contemporary Sources , pp. 291-310 .

Anonymous , The Devastatio Constantinopolitana, in Contemporary Sources , pp. 205-222 .

Bartlett, An Ungodly war , The Sack of Constantinople and the Fourth Crusade, Gloucestershire 2000, pp. 142-152 .

على أية حال؛ لا بد لنا من التوقف هنا؛ من أجل رصد سلوك الصليبيين في العاصمة الإمبراطورية التي ظلت منذ عام ٣٣٠ إلى ١٢٠٤م تتعالى على غزاتها، وتتفاخر بحصانتها الطبيعية، والصناعية التي غدت مضرب الأمثال، ويلاحظ هنا؛ أنها احتوت على تحف ونفائس رائعة<sup>(١١)</sup> كانت تليق بالفعل بعاصمة إمبراطورية عتيبة، وعريقة، ولاشك في أنها حينذاك كانت بمثابة متحف ضخم للتحف الفنية عابر للقرون، خاصة أنها كانت ذات ثقل بارز في التجارة الدولية في نطاق البحر الأسود، والبحر المتوسط، والعلاقات التجارية فيما بين آسيا، وأوروبا، وأفريقيا، ويمكن إيجاز سلوك الصليبيين على النحو التالي:

أولاً: تعرضت المدينة إلى السلب والنهب بصورة لم يحدث على مدى تاريخها، حتى أن الجياد الأربعة التي كانت تزين ميدان السباق في العاصمة البيزنطية قام الدوق هنري داندلو بحملها إلى البندقية<sup>(١٢)</sup> وهي موجودة إلى يومنا هذا تزين واجهة كاتدرائية القديس مارك St. Mark في البندقية، دليلاً على واحدة من أكبر عمليات السلب، والنهب على مدى العصور الوسطى، ولانغفل هنا الإشارة إلى أن عدة تحف، ونفائس بيزنطية بيعت في أسواق حلب ودمشق، وبغداد، والقاهرة، مما عكس ضخامة الغنيمة كذلك وأرباح اللصوص الذين استولوا عليها وباعوها في أسواق مدن كبرى خارج بيزنطة.

١- شارلز أومان، الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٢٥-٢٢٦

وعن أحداث الصليبية الرابعة بصفة عامة أنظر:

Gunther of Paris, in Allen and Ant (eds.) The Crusades Areader, Toronto 2003, pp. 236-238.

محمد مجدى حسن عبد الفتاح، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية ١٢٠٤م/ ٦٠٠هـ، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة المنيا ١٩٨٨م.

Harris, Byzantium and the Crusades, London 2003, pp 145-162.

٢- حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٥٧

Mayer, The Crusades, p. 191

أنظر أيضاً

كذلك تم نهب قبور الأباطرة البيزنطيين المدفونين في القسطنطينية، وقام الصليبيون بسرقة ما فيها من مذهبات وجواهر، أنظر: عمام محمد شبارو، السلاطين في الشرق العربي، معالم دورهم السياسي والحضارى، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ١٧٦

ثانياً: قتل عدد من البيزنطيين، كما تم إغتصاب الراهبات في الأديرة<sup>(١١)</sup>؛ مما عكس أن الصليبيين مجردوا من أمة مشاعر إنسانية، على نحو جعلهم يفعلون ذلك مع المنقطعات للعبادة من الفتيات البيزنطيات المسيحيات !!!

ثالثاً: أحضر الغزاة الذين لعبت الحمر برؤوسهم إحدى العاهرات كي ترقص أمام مذبح كنيسة أيا صوفيا التي عدت مفخرة العمارة والفن البيزنطي والتي شيدت منذ ما زاد على ستة قرون، وقامت بإنشاد الأغاني البذيئة، وجلست على العرش البطريركي<sup>(١٢)</sup>، وقام الغزاة باحتساء الخمر، إحتفالاً بسقوط مدينة قسطنطين فلاعجب، والأمر كذلك؛ أن قام المؤرخ المعاصر نيكيتاس خونياتس Nicetas Choniates الذي شاهد تلك الأحداث المروعة ورؤية عينية ولم يكن يصدق ما يحدث أمام ناظرية من بشاعته قام برثاء القسطنطينية قائلاً

«أيتها المدينة! يا حديث العالم، يا منار الأرض، يا حامية الكنائس، يا سيدة الإيمان! يا قلعة العلم! لقد جمرعتي كأس غضب الله حتى الثمالة!، ولقد حاق بك أتون أكثر بشاعة من ذلك الذي أصاب قديماً المدن الخمس<sup>(١٣)</sup>، وهكذا جاءت عبارات ذلك المؤرخ المؤثرة لتدل على أنه وهو يكتبها كان يرثى نفسه أولاً قبل أن يرثى مدينته الأثيرة إلى نفسه!! ولانغفل هنا الإشارة إلى استمرار ذلك السلوك نفسه المتبربر ثلاثة أيام<sup>(١٤)</sup>، وقد تمسى

١- محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٦٧

٢- إسحق عبيد، روما وبيزنطة، ص ٢٤٣ وعن نهب و سلب الصليبيين للقسطنطينية أنظر: برنادين كلى، فتح القسطنطينية، ت. شكري محمود نديم، ط. بغداد ١٩٦٢م، ص ٦١

٣- Nicetas Choniates, p. 314 .

Ebeid, " Was Pope Innocent III an accomplice in the diversion of the Fourth Crusade 1204 ", E.H.R., vol XV , Cairo 1969, p. 19 .

وقد أفدت من الأسلوب الأدبي الراقى للأستاذ الدكتور إسحق عبيد.

Madden, Aconcise History of the Crusades, London 1999, p. 104 .

محمد مؤنس عوض، سنبدها في عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٥٢

٢- قاسم عبيد قاسم، ماهية الحروب الصليبية، الأيديولوجية، الدوافع، النتائج، ط. الكويت،

١٩٩٢م، ص ١٤٨

ذلك المؤرخ أن تسقط مدينته على أيدي المسلمين وليس على أيدي برايرة الغرب الأوربي<sup>(١١)</sup> ؛ نظراً لأنهم ما كانوا يفعلوا بها ما فعله اللاتين ؛ مما عكس إدراكه الكامل للفارق الحضارى بين الجانيين .

واقع الأمر ؛ من الممكن المقارنة بين غزو القسطنطينية عام ١٢٠٤م وحادثة محورية سابقة عليها فى صورة غزو بيت المقدس على أيدي الصليبيين أيضاً عام ١٠٩٩م، فيلاحظ ؛ أن العام الأخير شهد مذبحه مروعة للمسلمين فى المدينة المقدسة اعترفت بها المصادر الصليبية ذاتها مثل مؤرخ الجستا Gesta المجهول ، وفوشيه الشارتري Fulcher of Chartres ، ولجيم الصورى William of Tyre<sup>(١٢)</sup> نفسه وقد بلغ عدد القتلى عشرات الآلاف وإن لم يصاحب تلك الأحداث الدموية عمليات سلب ونهب كبير ، نظراً لفقرك تلك المدينة بصفة عامة، أما فى عام ١٢٠٤م، فالهدف لم يكن مدينة مقدسة بل عاصمة إمبراطورية، وصاحب غزوها سلب ونهب واسع النطاق، نظراً لثرائها العريض، كما أن الفارق الجوهرى بين عامى ١٠٩٩م، ١٢٠٤م، أن العام الأول هاجم فيه الصليبيون مدينة إسلامية أما العام الثانى فقد هاجموا فيه مدينة مسيحية<sup>(١٣)</sup> ؛ مما عكس أن المشروع الصليبي أشبه بأخطبوط بأذرع متعددة يهدف إلى تحقيق مطامعه دون اعتبارات دينية . وتتفق الحادثنان من خلال تعبيرهما عن البرج الدموى القبيح للحركة الصليبية ذات الطابع المتعصب حتى مع أبناء المسيحية ذاتها

١- حسنين ربيع . دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٥٦ ، أست غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٥٨

وعن استيلاء الصليبيين عن العاصمة البيزنطية أنظر:

لبلى عبد الجواد، السياسة الخارجية للإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ١٢٠٤-١٢٦١م، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٨٠م، ص٢٢-٢٤، وهى دراسة غلبة فريدة لمؤرخة قديرة

٢- أنظر ما سبق ذكره من قبل.

٣- عن أصول وتطور الحملات الصليبية ضد المسيحيين أنظر هذه الدراسة المتخصصة

Housely . " Crusades against Christians: Their Origin and Early development 1000-1216 ". Crusade and Settlement ed. by Peter W. Edbury, Cardiff 1982, pp. 17-36 .

ويلاحظ أن المؤرخ البارز نورمان هاوسلى تخصص فى أمر الصليبيات التأخرة.

مهما يكن من أمر؛ تم إقامة حكم لاتيني في القسطنطينية وتم انتخاب بلدوين الفلاندري إمبراطوراً، كذلك تم تنصيب بطريرك جديد في صورة توماس موروسيني - Thomas Morosi<sup>(١)</sup>، أما الفئتان؛ فقد تم تقسيمها على كبار المشاركين في تلك الأحداث، وعلى ذلك حصل بلدوين الفلاندري على جنوبي تراقيا، وخمسة أثمان العاصمة البيزنطية، وبعض جزر بحر ايجه مثل ساموس، وخيوس، ولسبوس، أما قائد الحملة يوتيفاس؛ فقد نال سالونيك، ونجد أن نصيب الأسد حصلت عليه البندقية، ولا أدل على ذلك من استعراض حجم المناطق التي سيطرت عليها، وهي كالآتي:

- ١- ابيروس، واكارنانيا، وإيتوليا، مع مدن دورازو وارتا، وغيرها<sup>(٢)</sup>.
- ٢- الجزر الأيونية، وعلى نحو خاص كورفو، وكيفالونيا، وسانت مور، وزانتى.
- ٣- البليونيز في صورة مدن بتراس، وكالفرتا، واستروفا، ومودون، ولاكيدومنيا<sup>(٣)</sup>.

١- حستين ريج، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٥٧- ٢٥٨

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢١١

أنظر وصفه لدى: ليلى عبد الجواد، «الباوية والإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية (١٢٠٤-١٢٦٦م)»، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تكريماً للأستاذ الدكتور / إسحق عبيد، محرر محمد مزنس عرض، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٤٣، حاشية (٢٠)

٢- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج ١، ص ٢٧٧، حيث يقدم تفصيلات مهمة عن توزيع المغامم والأسلاب البيزنطية، وأنظر كذلك الملحق الخاص بما سيطرت عليه البندقية

٣- عن ذلك بالتفصيل أنظر هذه الدراسة المتميزة.

Lock, The Franks in the Aegean, 1204-1500. London 1995, pp. 35-66, pp. 68-104 .

ويلاحظ اعتماد هذه الدراسة القيمة على حولية المورة The Chronicle of Morea. عنها أنظر المدخل البليوغرافي.

وفي هذا الشأن أنظر:

Longnon , " The Frankish in Greece ( 1204- 1311) , in Setton (ed.) A History of the Crusades, vol . II, Wisconson 1989 , pp. 235- 274 .

Topping , " The Morea 1374-1470", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol . II, m Wisconson 1989, pp. 141-166 .

٤- جزر جنوبى وغربى بحر ايجيه، ومنها ناكسس وأندروس وجزيرة بويهه، خاصة مدينتى اوربوس وكاربيستوس

٥- مجموعة من المدن متراسة على طول الشاطئ الأوروبى لمضيق الدردنيل، وبحر مرمره أهمها جاليبولى، ورودستو، وهيراقليا.

٦- بعض مدن داخل تراقيا أكبرها أندرونيل بالإضافة إلى جزيرة كريت (١١).

ويقرر العلامة هايد Heyd فى دراسته القديمة الجديدة عن تاريخ التجارة فى العصور الوسطى ؛ أن أغلب تلك المناطق كانت خصبة وتصل إليها السفن على نحو ميسر، وكلها على نحو تقريبي ، وقعت على الطريق البحرى الكبير الذى يصل البندقية بالقسطنطينية.

وقد يتساءل البعض عن موقف البابوية من كافة تلك الأحداث ، وفى الواقع أنها متشعبة فى أنوسنت الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦م) كانت تدرك إدراكًا يقينًا أن الصليبية الرابعة استهدفت الهجوم على القسطنطينية كما أنه تواطأ فى إدانة اتجاه الصليبيين نحو مدينة زارا Zara الهنغارية العاصمة البيزنطية ، وبذلك يكون قد سمح لقادة تلك الحملة الصليبية بالاتجاه قدمًا فى مخططاتهم العدوانية (١٢).

= مدوح مغازى ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى إمارة الليرة الصليبية فى عهد أسرة فيلباردوين ١٢٠٥-١٣١٠م. رسالة غير منشورة، كلية الآداب - جامعة طنطا، عام ٢٠٠م.

١- هايد، تاريخ التجارة، ص ٢٧٨

٢- أفضل دراسة كشفت القبا عن تواطؤ البابوية فى أحداث الصليبية الرابعة أعدها أ.د. اسحق عبيد . انظر روما وبيزنطة . ط. القاهرة ١٩٧٠م وأيضًا:

Ebeid, " Was Pope Innocent III an accomplice in The diversion of the Fourth Crusade 1204" E.H.R., vol XV , 1969, pp. 2-19 .

إنوسنت الثالث، هو البابا الذى تولى منصبه خلال المرحلة من ٨ يناير ١١٩٨م إلى ١٦ يوليو ١٢١٦م خلفًا للبابا كلستين الثالث Cletin III (١١٩١-١١٩٨م) ، وهو فى الأصل من لوتاريو Lotario، ولد حوالى عام ١١٦٠م ودرس اللاهوت فى باريس والقانون الكنسى فى بولونيا ، وصار كردينالاً عام ١١٩٠م. وقد ألف عدة مؤلفات ، وأظهر مهارة إدارية ، ومن أعماله الدعوة إلى شن حملة صليبية ضد العناصر الأليجنسية فى جنوبى فرنسا. كما يذكر له عقده لجمع كنسى فى نوفمبر عام ١٢١٥م وهو ما عرف بجمع=

من ناحية أخرى؛ من الممكن إدراك كارثة ما حدث للعاصمة البيزنطية عام ١٢٠٤م؛ إذا ما قارناه بما حدث لبغداد فيما بعد بأربعة وخمسين عاماً وتحديداً عام ١٢٥٨م، في نفس القرن الثالث عشر على أيدي المغول<sup>(١)</sup>؛ إذ أن السلوك المتبربر هو نفسه وإن اختلفت وجوه القاتنين به. إذ الأمر المؤكد أن ما حدث في المدينتين والأول عاصمة إمبراطورية عريقة، والثانية عاصمة الخلافة العباسية التي عُدت مدينة عالمية إزدهر فيها العلم، والتجارة وقد دفعت

= اللاتيران الرابع The Fourth Lateran Council وهناك من يقرر أنه من أكبر المنجاع في أوربا العصور الوسطى، عن البابا انوسنت الثالث انظر بالتفصيل

Roger of Wendover, The Chronicle of Roger of Wendover, in Peters, Christian Society and the Crusades 1198-1229, Sources in Translation including The Capture of Damietta by Oliver of Padenborn, Pennsylvania 1971, pp. 37-40.

Binns, Innocent III, London 1931, Luchaire, Innocent III, 6 vols., Paris 1905- 1908.

وهي أشمل وأوسع دراسة بالفرنسية في موضوعها

Roscher, Papst Innocenz III und die Kreuzzuge, Göttingen 1969, Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 186-188.

١- عن ذلك أنظر:

ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٤٨-٥٣، بيبيرس الدردارى، زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة تحقيق زبيدة عطا، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ج ٩، ص ٦٤-٦٧، ابن أبيك الدردارى، الدرر الذكبية فى الدولة التركية، تحقيق أولرخ هارمان، ط. القاهرة ١٩٧١م، ص ٣٤-٣٧، ابن الوردى، نعمة المختصر فى أخبار البشر، ط. النجف ١٩٦٩م، ج ٢، ص ٢٧-٢٨، السيد الساز العرينى، المغول، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٢١٦-٢٨٠، نواز عبد المعطى الصبياد، المغول فى التاريخ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص ٢٤٩-٢٨٦، مصطفى طه بدر، محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٥٦-١٨٦، محمد نصر مهنا، الإسلام فى آسيا من الفزوى المغولى دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، ص ٣١-٣٥، أحمد مختار العبادى، قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ١٤٧-١٤٩، سيد أمير على، مختصر تاريخ العرب، ت. عفيفى البلبلكى، ط. بيروت ١٩٩٠م، ص ٣٤٦



الكتب، والتحف والنقائس - وهي ميراث حضارى لا يقدر بشمن وملك للإنسانية جمعاء الشمن فادحاً فى كل من العاصمتين الأوروبية والآسيوية. والفاوق الزمنى بينهما لا يتجاوز ٥٤ عاماً فقط من عمر الزمان، وبالتالي يكون القرن المذكور . قد شهد أكبر حادثتى سلب ونهب ، وتدمير فى تاريخ كل من البيزنطيين والعباسيين الذين كثيراً ما تصارعوا فى حروب متعددة خاصة خلال العصر العباسى الأول والآن انفقروا فى المصير المأساوى الواحد ! وتلك من مفارقات التاريخ التى تدعو المرء للتأمل بإمعان .

ويقرر رنسيماى - وهو الذى وصف الحروب الصليبية بأنها آخر الغزوات المتبريرة Last of the Barbarian Invasions<sup>(١)</sup> وما كانت تلك العبارة الغريبة الصادرة من مؤرخ بيطانى مسيحي إلا تعقيباً على الصليبية الرابعة- يقرر تعقيباً على آثار تلك الصليبية : « من العسير علينا المبالغة فى الأثر الذى أحدثه نهب القسطنطينية فى الحضارة الأوربية، فإن كنوز المدينة، والكتب، والآثار الفنية التى احتفظ بها منذ دهور سحيقة قد بددت جميعاً، ودمر معظمها . ثم إن الإمبراطورية تلك الحصن العظيم المنيع لعالم المسيحية قد قصمت كدولة كما أن تنظيمها الشديد المركزية دمر وقضى عليه، واضطرت الولايات، والمقاطعات إلى التحول عن الدولة؛ لتنفذ نفسها، وكانت ثمرة جريمة الصليبيين تهديد السبيل، وتسهيل الأمر أمام الفتح العثمانى<sup>(٢)</sup>، وهكذا ؛ أوجز ذلك المؤرخ حجة الدراسات البيزنطية فأوعى ! ومن المفترض أنه لو لم يكن مؤرخاً بيزنطياً ما أدرك فداحة ما حدث ، وما وصف الصليبيين ذلك الوصف والتاريخى الذى لم نسمعه من مؤرخ غربى مسيحي آخر

#### ١- Runciman , A History of the Crusades, vol . I, The Prefare . -

جدير بالذكر أن العلامة أ.د. إسحق عبيد وصف الحركة الصليبية وصفاً ذكر ما نصه «قتل الحروب الصليبية نقطة سوداء، فى تاريخ العلاقات بين الغرب الأوروبى المسيحى والشرق الإسلامى فى العصور الوسطى . فلقد هاجم مفلسر الفلاح الإقطاعية . وقطاع الطرق وأرباب السجن، والقتلة، بل ونقر من بنات الهوى من كل مجرح أوروبا الاقترحية شعوب الشرق الأذى الأمتين للنهب، والسلب، والتدمير، والقتل وذلك بتحريض من البابا أوربان الثانى سنة ١٠٩٥م. أنظر:

ريون استانبولى، مفاتيح أورشليم القدس، حلطان صليبيتان على مصر (١٢٠٠-١٢٥٠) . ت عاينة الباجورى، مراجعة وتقديم إسحق عبيد، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص٩ . من مقدمة المراجع والمقدم.

وهي شهادة موضوعية تذكر لذلك المؤرخ الكبير

تأنى الآن إلى زاوية مشيرة للجدل في صورة مسئولية توجه الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية .

والواقع أنه وفقاً لما قرره مؤرخ متخصص في العلاقات اللاتينية البيزنطية فإنه حتى عام ١٨٦٠م: إعتقد كثير من المؤرخين في صحته أورده المؤرخ فيلهاردوين الذي ذكر أن «إنحرف» الحملة إلى القسطنطينية كان من قبيل المصادفة ، وهكذا ؛ لم يشر إلى أية خطة متعمدة في هذا الشأن. غير أنه في عام ١٨٦١م ، إنهم المؤرخ ماس لاتير Mass- Laterie البندقية بعقدتها لإتفاق سرى مع الأيوبيين مما جعلها تضغط على الصليبيين لتوجيه مسار الحملة صوب العاصمة البيزنطية<sup>(١)</sup>، ومن بعد ذلك أقر المؤرخ الألماني كارل هوف Karl hoph بأن الإتفاق المذكور وقع بالفعل وحده زمنياً بيوم ١٣ مايو عام ١٢٠٢م<sup>(٢)</sup>.

مهما يكن من أمر: قام المؤرخ الفرنسي هانوتو Hanotaur في عام ١٨٨٧م ؛ برفض ما ذهب إليه المؤرخان السابقان ولم يؤيد فكرة الإتفاق السرى، بل رأى أن البندقية تصرفت خلال الأحداث من خلال مصلحتها الاقتصادية العليا التي كانت تقتضى إسقاط تلك العاصمة المنافسة<sup>(٣)</sup>

وفيما بعد من خلال أطروحة الدكتوراه التي أعدها أ.د. إسحق عبيد بإشراف المؤرخ الإنجليزي الشهير برنارد هاملتون Bernard Hamilton من جامعة نوتنجهام Nuttingham عن العلاقة بين روما وبيزنطة من قضيعة فوشيدس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين ١٢٠٤م<sup>(٤)</sup>، تأكد للدارسين أن تحول مسار الحملة الرابعة لم يكن من خلال الصدفة ، بل نتج

١- عادل زيتون، العلاقات السياسية والكتيبة ، ص ٣٠١

وقد أيد ذلك الاتجاه كل من جمال الدين الشبال ومحمود الحويرى أنظر: جمال الدين الشبال ، تاريخ مصر الإسلامية، ج١ ، العصران الأيوبي والملوكي، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م، ص٩٩

محمود الحويرى، العادل الأيوبي، ص٨٣

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- نفسه، ص٣٠١- ص٣٠٢

٤- ناقش الرسالة المذكورة كل من المؤرخين السارزين السير شيفن ونسيبان Sir Steven Runcima وجوان هسي Joan Hussy . ووصفت بأنها مصححة Corrective لتصورات المؤرخين السابقين عليها

عن خطة مسبقة مدبرة<sup>(١)</sup>، كما أن البابا أنوسنت الثالث يحتل جانباً من المسئولية، وفي إحدى رسائله إلى رئيس أساقفة مدينة تور Tours ذكر البابا مبلغ سعادته بإذلال كنيسة القسطنطينية والقضاء على عجرفة البيزنطيين، ويعلق ذلك المؤرخ قائلاً: « على ضوء الوثائق سالفة الذكر: يتضح موقف البابا أنوسنت الثالث تجاه غزو القسطنطينية دون لبس أو غموض، وليس من باب الصدفة أن نجد كثيراً من المعاني التي وردت في هذه الرسائل مطابقة تماماً لما كان البابا ذاته قد كتب إلى السلطات البيزنطية في عام ١١٩٨م حينما كان يهددها باتخاذ إجراءات عنيفة لإخضاع كنيسة القسطنطينية المنشقة ».

من جهة أخرى، لا تغفل أن أحداث التاريخ تحدث من خلال دوافع متعددة وجزئية المصادفة ليس من الممكن تصورها في حالة تلك الحملة، وفي تقديري أنه في حالة افتراض المصادفة - وهو أمر مرفوض أصلاً، ما تم تنفيذ مخططات البابوية يمثل ذلك الاحكام. ويعلق البعض على ذلك بقوله « مجتحت القوى الإيطالية في حل المسألة البيزنطية عن طريق احتلالها بعد محاولات تمتد أكثر من قرن إلى الوراء ، محاولات بدأها روبرت جوسكارد عام ١٠٨١-١٠٨٥م وابنه بوهيمند عام ١١٠٧-١١٠٨م وروجر الثاني عام ١١٤٧-١١٥٠م ووليام الثاني عام ١١٨٥م<sup>(٢)</sup> . من الممكن التقرير بأن مسئولية سقوط العاصمة البيزنطية موزعة بين البيزنطيين أنفسهم والبابا أنوسنت الثالث، والبنادقة ، وقد يتصور البعض أن البيزنطيين هم الضحية في كافة تلك الأحداث التي وقعت على أرض إمبراطوريتهم غير أن الواقع التاريخي يؤكد أن بيزنطة سقطت من الداخل قبل أن تسقط من الخارج وهي في ذلك ، تتشابه مع روما التي سقطت على أيدي الجرمان من قبل القسطنطينية ، بما زاد على السبعة قرون وتحديدًا عام ٤٧٦م<sup>(٣)</sup> ، ولا تغفل أن الصراع على المنصب الإمبراطوري الذي سمح بالتدخل الأجنبي :

١- وفي ذلك يقول ما نصه : «إن الغزو الصليبي لبيزنطة سنة ١٢٠٤ لم يكن وليد «إنحراف» أو «صدفة» كما يذهب الكتيرون، ولذا كان لزاماً على الكاتب الرجوع إلى جذور المشكلة من عام ٨٦٩م. عام القطيعة الدينية بين روما القديمة وروما الجديدة، ولذلك لتقصي الحقائق الكافية وراء هذا الصراع الذي إنتهى بسقوط مدينة قسطنطين العظيم سنة ١٢٠٤ في أيدي جنود البابا أنوسنت الثالث، أنظر: إسحق عبدي. روما وبيزنطة، التمهيد.

٢- عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٢٠٠.

٣- أنظر ما تم إبراده من قبل.

مثل فرصة ذهبية أمام الغرب الأوربي أحسن استغلالها ؛ من أجل توجيه ضربة قاضية لبيزنطة . ثم أن الضعف العام لتلك الإمبراطورية شجع أعداها على الإقتضاض عليها في غير هواده .

إن الإمبراطورية التي استعدت الغرب الأوربي من أجل مواجهة الأتراك السلاجقة في النصف الثاني من القرن الحادى عشر ، دفعت الثمن قادحاً من حريتها في أوائل القرن الثالث عشر م . وبذلك تأكد للقاضى والدانى أن تلك الإمبراطورية التى لعبت بمهارة فائقة - ولعدة قرون خلت- لعبة توازن القوى ، واستطاعت عبور كافة الأزمات التى واجهتها ، إلا أنها الآن تقع فى مأزق مواجهة العدو الذى استعانت به يوماً ، وتلك مفارقة ساخرة فى التاريخ البيزنطى يندر أن نجد لها مثيلاً فى العصور الوسطى!

ومن الملفت للإتباه ؛ أن أطماع الغرب الأوربي فى بيزنطة كانت واضحة للعيان على مدى القرن ١٢م ، غير أن البيزنطيين لم يتحدوا من أجل مواجهة تلك الأطماع السافرة .

ولانفعل كذلك؛ أن عصر الأباطرة الكبار قد ولى وأدبر ، ولم يعد فى جعبة بيزنطة أباطرة علي شاكلة هرقل ، وليو الثالث الأيسورى ، وباسل الثانى، والآن ؛ لم يكن لدى تلك الامبراطورية إلا أباطرة صغار والأحداث كبارا وبعبارة أخرى لقد عمق الرحم البيزنطى حينذاك عن إنجاب إمبراطور يواجه كافة تلك العواصف والأثواء التى أقسمت على اقتلاع بيزنطة من جذورها

وهكذا ؛ أدت أحداث تلك الحملة الصليبية إلى تغيير جذرى فى خريطة توزيعات الجغرافيا السياسية لشرقى أوروبا إلى درجة غير مسبوقة . وإذا كانت بيزنطة قد نجحت من قبل من مصير روما فى القرن الخامس الميلادى ، ولم يسقطها عندئذ الجرمان إلا أن حفدة أولئك الجرمان نجحوا فى ذلك الأمر بعد ما زاد على السبعة قرون !!!

جدير بالإشارة؛ أن أحداث عام ١٢٠٤م ؛ أدت إلى التمهيد- بصورة أو بأخرى - لحدوث الإنهيار البيزنطى النهائى على أيدي الأتراك العثمانيين ١٤٥٣م<sup>(١)</sup> فى عهد قسطنطين الحادى عشر (١٤٤٩-١٤٥٣م) على نحو سيتم تفصيله فيما بعد .

١- اعتقد المؤرخ سيدنى بيستر من لبل؛ أن المرحلة الواقعة من القرن الحادى عشر الميلادى ، وعلى نحو خاص عام ١٠٥٧م إلى القرن الخامس عشر الميلادى وبالتحديد ١٤٥٣م مثلت أربعة قرون من الضعف =

ذلك أمر كارثة عام ١٢٠٤م ؛ وهي بالتأكيد حدث محوري ليس في تاريخ بيزنطة فقط ، بل في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى بصفة عامة ، ولاتفعل ؛ أن العدوان الصليبي الذي كان يضع نصب عينيه المسلمين إنحرف الآن عنهم ، وإتجه إلى وجهة مفارقة ، كذلك فإن تلك الحملة جعلت الكثيرين من الصليبيين في بلاد الشام يقدمون إلى الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، بحثاً عن غنائم لهم على نحو أضعف الكيان الصليبي هناك <sup>(١١)</sup> ، وبصورة أفادت- بالضرورة- المسلمين ، ولا ريب في أن ذلك كله مثل نوعاً من إنتحار الصليبيات ، ولذا لم يكن غريباً أن اعتبر البعض تلك الحملة الصليبية الرابعة قد جاءت لتندف بإخفاق المشروع الصليبي برمته <sup>(١٢)</sup> ، مع ملاحظة أن النذر الأولى الدالة على فشل ذلك المشروع بدأت منذ بداية الدعوة له من خلال كونه مشروعاً متعصباً يرفض الحواريين الحضارات وقائم على سفك الدماء ، دون تقديم أية رسالة حضارية للآخرين.

---

= والتدهور البيزنطي إلى أن تم إسقاطها على أيدي الأتراك العثمانيين ، ومعنى ذلك أن يرجعه إلى ما قبل عام ١٢٠٤م ، انظر قوله:

“ The last four centuries of the empire's existence , from 1057 to 1453 , was a period of gradual decadence in power , Enemies from both east and west cut her provinces way one by one until The great capital , Constantinople , was finally overwhelmed by the Ottoman Turks”

أنظر رأيه

Painter, A History of the Middle Ages 284-1500, New York 1954, p. 35 .

ومع رجاعة ذلك التصور إلا أن عام ١٢٠٤م وما حدث فيه يظل نقطة تحول فارقة في التاريخ البيزنطي وعن بعدها تزايدت ظاهرة الضعف البيزنطي إلى أن حست عام ١٤٥٣م.

١- سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

٢- نفسه ، نفس الصفحة.

ويقرر رينيه جروسيه René Grousset تعليقاً على سقوط القسطنطينية عام ١٢٠٤ ما نصه « سبب مضاراً خطيرة لسورية الفرنجية ، فقد حرما من تعزيزات لم يكن بالإمكان الاستغناء عنها ، كما أدت بعثرته لقوى الفرنجية في الأرض المقدسة ، حتى أن يجوز لنا أن نقول بأن قيام هذه الإمبراطورية اللاتينية قد أفضى إلى تجميد الحياة في سورية الفرنجية» .

= عن ذلك أنظر :

على أية حال؛ هناك من يعتقد أن كثيراً من المؤرخين لا يعترفون بالفترة البيزنطية فيما بعد حكم اللاتين ، وأن عام ١٢٠٤م ، يمثل نهاية لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية حيث سقطت على أيدي اللاتين<sup>(١)</sup>.

وواقع الأمر ؛ أن أهمية التاريخ البيزنطي- في أحد جوانبه بطبيعة الحال- القدرة على الاستمرار على الرغم من الكوارث، والمحن التي واجهت تلك الإمبراطورية ، وهكذا ؛ فإن المرحلة الواقعة من ١٢٠٤ إلى ١٤٥٣م على الرغم من العنف الذي شابها ؛ إلا أنها جزء لا يتجزأ من مسار التاريخ البيزنطي وهي بالتالي تحتل مكانة بارزة فيه وليس في الإمكان إسقاطها تحت أي مبرر وإذا وجد هناك من المؤرخين من توقعوا بدراساتهم عن عام ١٢٠٤م مثل نورمان بينز Norman Paynes - على سبيل المثال- فإن ذلك لا يلزمنا بالضرورة ، والعصر الذي كان يكتب فيه ذلك المؤرخ الرائد كانت التصورات تجاه ذلك التاريخ ليست بنفس الاتساع المتوافر حالياً مع الأخذ في الاعتبار الزخم المعرفي الكبير الحادث حالياً وانعكس بالضرورة على دراسته .

تلك ملامح عهد أسرة أنجيلوس التي حكمت الإمبراطورية المتناقضة التاريخ بين صفحات القوة وصفحات السقوط إلى الحضيض ، لقد استمر عهد تلك الأسرة ١٩ عاماً فقط ولاريب في أنها قصيرة في تاريخ إمبراطورية امتد بها العمر إلى نحو ١١٢٣ عاماً غير أنها تعد

= رينيه جروسيه، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ت. أحمد أبيش، ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص ٨١  
ويقر أمين معلوف ما نصه « بدلاً من أن توطد حملة القسطنطينية المجنونة دعائم المنشآت الفرنجية في بلاد الشام ؛ فقد أصابها هضرة قاصمة».

أنظر: أمين معلوف ، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ت. عفيف دمشقية، ط. بيروت ١٩٩٣م، ص ٢٧٧

١- محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٩٠  
وقد أنهى كتابه عند عام ١٢٠٤م، ولم يواصل عرض أحداث التاريخ البيزنطي المتعددة من ذلك العام حتى ١٤٥٣م . واتخذ نفس التعليق الذي ذهب إليه من قبل نورمان بينز ، ومع تقديري لمجهود ذلك المؤرخ البارز فإنني أختلف معه في الرأي

وعن نفس تلك الزاوية أنظر جوزيف نيسم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٤٧

فاصلة، وفارقة في التاريخ البيزنطي. خاصة المرحلة التالية عليها على نحو يجعلنا لانبالغ إذ ذكرنا أنه فيما قبل عام ١٢٠٤م كان التاريخ البيزنطي له نمط محدد أما بعد العام المذكور فنلاحظ تغيراً جوهرياً واضحاً ظهر فيه حيث بدأ العد التنازلي البطني لذلك الكيان الذي صارع الزمن لقرون طويلة .

والواقع ؛ أن تقدير المسؤولية التاريخية عن تلك الأحداث يجعلنا نركز تصوراتنا على ثلاثة أباطرة فقط هم إسحق الثاني ، والكسيوس الثالث ، والكسيوس الرابع ، ومع ذلك ، فمن الإنصاف التقرير بأن تاريخ تلك الأسرة بغض النظر عن مواقف أباطرتها من مسار الأحداث السياسية وما عرفوا به من ضحالة الخبرة السياسية في التعامل مع الغرب الأوربي المتنمر بالامبراطورية أثر فيها إمبراطور سابق كان بوجه تاريخ تلك الأسرة ، وما حكم أباطرتها إلا الحصاد الحقيقي لسياساته في صورة مانويل كومنين ، وهكذا؛ فعند الحكم التاريخي على أسرة أنجيلوس من الأهمية بكان ؛ إدراك أنها أسرة جاءت في ظروف بالغة التعقيد ، وكانت مقدمات الانفجار في العلاقات البيزنطية - اللاتينية قد وجدت من قبل توليها السلطة ؛

منطقي أن السطور السابقة لا يفهم منها إبعاد المسؤولية عن أولئك الأباطرة وصراعات العرش البيزنطي في عهدهم ، بل أنهم يتحملون جانباً مهماً منها .

ومع ذلك ؛ فإن تلك الامبراطورية المتصارعة مع الزمن أبت إلا أن تواصل الاستمرار ، فيلاحظ قيام عدة إمارات بيزنطية منها ما عمل على استعادة القسطنطينية أو القلب السليب، ففي طرابيزون قامت إمارة انتسبت إلى آل كومنين، وقد مدت نفوذها ليشمل الشريط الساحلي للبحر الأسود من هرقلية إلى القوقاز<sup>(١)</sup>، وفيما بعد امتد عمر تلك الإدارة حتى عام ١٤٦١م؛ أي حتى بعد السقوط النهائي لبيزنطة عام ١٤٥٣م.

١- عن إمبراطورية طرابيزون أنظر بالتفصيل

Michael Panaretos , *Chronicle of the Empire of Trebizond* , ed. O. Lampsides , Athens 1958 .

Vasiliev. " The Foundation of The Empire of Trebizond (1204- 1222) " , S., vol . XI, 1936 , pp. 3-37

Id , *The Empire of Trebizond in History and literature*, " B. , vol . XV, 1940- 1941 , pp. 316-326 .

Ostrogorsky . *History of the Byzantine State*, p. 378 .

أما في ابيروس Epirus فقد أقام ميخائيل الأول كومنينوس دوкас - Michael I Komnenos Ducas (١٢٠٤-١٢١٥م) إمارة امتدت من ليبيا إلى دورازو<sup>(١١)</sup> وفي نيقية Nicea استطاع تيودور لاسكاريس Theodore Lascaris صهر الكيسوس الثالث أن يجمع عدداً من أفراد الطبقة الأرستقراطية ، وتوج كإمبراطور للرومان عام ١٢٠٨م<sup>(١٢)</sup> . دون إغفال كيانات بيزنطية صغيرة في رودس وقيلادلفيا

هنا . بركات. التاريخ السياسي لإمبراطورية طرابزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى سقوطها ١٤٦١م، رسالة مجتهد غير منشورة . كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٨م .

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢١١ - ص ٢١٢

Ostrogorsky , p. 452

١- عن إمبراطورية ابيروس أنظر

Nicol, A Biographical dictionary , p. 92 .

عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ٢١٢

وميخائيل الأول كمينتوس دوкас كان قد فر إلى شمال شرقي بلاد اليونان بعد الغزو اللاتيني للقسطنطينية عام ١٢٠٤م وهناك في جبال بندوس Pindos صار قائداً لمقاطعات ابروس Epiros واکارانتيا Akamania وقام بحماية تلك المناطق من جيوش الصليبيين. وقد تمكن من مد أملاكه إلى تساليا Thessaly في الشرق وحتى دورازو Durazzo وجزيرة كورفو Corfu في الشمال. وقد توفى عام ١٢١٥م تاركاً الأمر من بعده لتيودور كومنينوس دوкас Theodore Komnenos Doukas

Nicol, op. cit., p. 92

عنه أنظر:

٢- عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ٢١٢

Dichtl , History of the Byzantine Empire, p. 143 .

أيضاً

وتيودور لاسكاريس؛ هو إمبراطور نيقية خلال المرحلة من ١٢٠٨ إلى ١٢٢٢م، وكان قد ولد عام ١١٧٥م، تقريباً وتزوج من أنا Anna ابنة الإمبراطور الكيسوس الثالث أنجيلوس وفي عام ١٢٠٨م توجه البطريرك ميخائيل الرابع كإمبراطور وتمكن من أن يقسم إمبراطورية ذات اقتصاد قوى وجهاز إداري ودفاعي متسلسل على نحو كان له دوره في إعادة الحكومة البيزنطية إلى القسطنطينية . وبما يذكر له هزيمته للسلاجقة عام ١٢١١م، كذلك إرغامه إمبراطور القسطنطينية اللاتيني هنري أوف فلانموز على احترام حدود ووحدة إمبراطورية نيقية ، وقد توفى عام ١٢٢٢ دون أن يترك من يرثه، عنه أنظر : - Nicol , Op. cit., pp. 121- 122 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 507-508

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, pp. 378-385 .



ويكشف ذلك عن تحول الكيان الامبراطوري الكبير إلى شذرات متناثرة مؤقتة إلى أن تعود إلى حضن القلب السليب .

من ناحية أخرى؛ تكونت- كما أسلفت الإشارة من قبل- إمبراطورية لاتينية في القسطنطينية وقد قامت على أصول إقطاعية<sup>(١)</sup>، وعاشت في ظل التصارع الداخلي وكذلك مع جيرانها ، وبصفة عامة؛ حدث التصارع بين الإمبراطور، والأمراء التابعين له الذين تطلعوها إلى زيادة نفوذهم على حساب سلطاته ، وسال لعاب الجميع من أجل نهب ثروات بيزنطة التي كانت بمثابة عروس وقعت في قبضة من يريدون اغتصابها جماعياً !!

ويجدر بنا ؛ أن نلقى نظرة موجزة على أوضاع تلك الإمبراطورية اللاتينية الاستثنائية في التاريخ البيزنطي، ويلاحظ أن بلدين أوف فلاندرز الذي حكم من ١٢٠٤-١٢٠٥ م . وهو أول الأباطرة كان قليل الكفاءة ، ولم يزد عن أن يكون بمشابه الأول بين أقرانه Primus enter Paris<sup>(٢)</sup> وقد قتل في عام ١٢٠٥م في صدام وقع بينه وبين البلغار ومن بعد رحيله تولى الحكم شقيقه هنري (١٢٠٥-١٢١٦م)<sup>(٣)</sup>.

١- عن ذلك بالتفصيل أنظر:

عبد الحافظ البناء، النظام الإقطاعي في المملكة اللاتينية في القسطنطينية ١٢٠٤-١٢٦١، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الزقازيق عام ١٩٩٤م، وهي الدراسة الأكاديمية العربية الوحيدة في الموضوع المذكور.

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢١٣

وعن بلدين أوف فلاندرز أنظر:

Wolff . " Baldwin of Flanders and Hainaut first Latin Emperor of Constantinople his life, death and resurrection", S., vol XXVII, 1952 , pp. 281 - 322 .

Lock, The Franks in Aegean, pp. 43-45 .

Ruicman, Byzantine Civilization , p. 46 .

-٣-

Diehl . History of the Byzantine Empire, p. 142 .

عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص٢١٥

وقد سعى جاهداً إلى استمالة البيزنطيين إلا أن غالبيتهم اتجهت صوب امبراطورية نيقية بقيادة تيودور لاسكاريس بحثاً عن الحرية التي تاقَت إليها نفوسهم بعد كارثة الاحتلال اللاتيني. ومات عام ١٢١٦م<sup>(١١)</sup>

بعد أن فشل في إيجاد أدنى قدر من التعايش بين البيزنطيين والغزاة اللاتين. وخلفه على العرش أخته يولند Yolande وزوجها بطرس دي كورتناي Peter de Courtenay غير أن القتل كان مصيره قبل الوصول إلى القسطنطينية عام ١٢١٧م<sup>(١٢)</sup>. وقامت يولند بحكم البلاد على مدى المرحلة من ١٢١٧م إلى ١٢١٩م<sup>(١٣)</sup>. وتنازلت من بعد ذلك لابنتها روبرت التي تم خلعها نظراً لمحدودية خبرته السياسية<sup>(١٤)</sup> عام ١٢٢٨م. ومن بعده : تولى الحكم بلديون الثاني تحت وصاية حنا أوف برين ملك مملكة عكا الصليبية John of Birene (١٢٢٨-١٢٣٧م)<sup>(١٥)</sup>. ثم تولى الحكم منفرداً خلال المرحلة من ١٢٤٠ إلى ١٢٦١م.

١- Dicht , History of the Byzantine Empire. p. 143 .

٢- Runciman. Byzantine Civilization, p. 47

٣- يولند Yolande؛ أميرة لاتينية للقسطنطينية خلال المرحلة من ١٢١٧م إلى ١٢١٩م. وهي أخت بلديون الفلاندرزي Baldwin of Flanders. وهنري أوف هينوت Henry of Hinault. وبعد زوجها بطرس كورتناي Peter of Courtenay : حكمت الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية. وأثبتت أنها حاكسة قوية. وقد زوجت اثنين من بناتها زيجات تحالف الأولى : وهي أجنيس Agnes التي تزوجها حودفري الثاني فلنهارديون Geoffrey II Villehardouin ، والثانية : وهي ماري Marie التي تزوجت تيودور الأول لاسكاريس Theodore I Laskaris . وقد أثارت وفاتها مسألة خلافتها إلى أن تولى من بعدها ابنها الأكبر روبرت أوف كورتناي ثم من بعد: 'ابنها الأصغر بلديون الثاني'. عنها أنظر

Norwich . Byzantium. The decline and Fall, pp. 191-193 .

O.D.B., vol III, p. 2215 .

Ostrogorsky. History of the Byzantine State, p. 282. p. 284 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 519- p. 520

Runciman. Op. cit ., p. 47

٥- حنا أوف برين هو ملكة مسيحية بيت المقدس خلال المرحلة ما بين عامي ١٢١٠م. ١٢٢٥م وامبراطور

وهكذا : نلاحظ أن تلك الإمبراطورية لم يتول حكمها من يوصف بالحنكة السياسية أو الخبرة التي تمكنه من توطيد أركانها ولانزعاع في أنها منذ يومها الأول عجزت عن تحقيق الأمن والاستقرار لها وللبيزنطيين الذين نظروا إليها نظرة عدائية وقاوموها بكل وسيلة ممكنة

بصفة عامة : لم تعمر تلك الإمبراطورية طويلاً بل تعد أقصر إمبراطورية شهدتها العصور الوسطى، إذ لم يتجاوز عمرها المرحلة من ١٢٠٤م إلى ١٢٦١م<sup>(١)</sup>. من الممكن إدراك العوامل التي وقفت لتضع نهاية لذلك الجنين المشوه الذي خرج إلى الدنيا سفايحاً في صورة الإمبراطورية اللاتينية المذكورة من خلال الآتي

أولاً كان الأمراء اللاتين وكذلك البنادقة - وهم الذين اشتركوا في الصليبية الرابعة لتحقيق مصالحهم الشخصية - أقل نفعاً لتلك الإمبراطورية ، وقد حدث التناحر، والتصارع بين الإمبراطور، والأمراء، التابعين؛ على نحو أضعف ذلك الكيان السياسي الهش والدخيل على الأرض البيزنطية ، وبذلك ؛ وجدت عوامل الإنهيار الداخلي قبل العوامل الخارجية ، وتفاعلت تلك العوامل معاً في توافق مشير للدهشة ؛ من أجل الإجهاد عليها بعد مرور ٥٧ عاماً فقط من ميلادها

ثانياً من الملاحظ أن تلك الإمبراطورية ؛ لم تتمكن من صنع أية جسور للتفاهم ، والتواصل ، والتعايش مع البيزنطيين الذين صارت كارثة عام ١٢٠٤م حية في عقولهم،

= القسطنطينية فيما بين عامي ١٢٢٨م ، ١٣٤٧م. وقد تلقى تاج ملكة عكا عندما تزوج ماري دي مونتفرت Montferrat عام ٢١٠م وفقده عام ١٢٢٥م عندما تزوجت ابنته إيزابيلا Isabella فردريك الثاني Frederick II ويلاحظ أن هنا دي برين بشنهر في تاريخ الحروب الصليبية بقيادة الحملة على مصر بالاشتراك مع المنسوب البابوي بلاجيوس وهي التي عرفت بالحملة الخامسة، عنه انظر Oliver of Paderborn . The Capture of Damietta. Trans. by Joseph J. Cavigan in Peters, Christian Society and the Crusades 1198-1229 . Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderborn, Pennsylvania 1971 . p. note (3)

محمود سعيد عمران . الحملة الصليبية الخامسة ، ط. الاسكندرية ١٩٧٨م.

١- من المقيد الإشارة إلى أن من المؤرخين المسلمين من أشار إلى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين . ومن أمثلتهم ابن الفرات ؛ حيث أشار إلى أن البيزنطيين استردوا عاصمتهم عام ٦٦٠هـ وهي تقابل عام ١٢٦١م. ما نضه . لم نزل في أمدى الفرغنج إلى سنة ستمائة وستين فاستعادها الروم . عن ذلك انظر ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات . م ١٥١ ج ١ ، تحقيق حسين محمد السماع ، ط. البصرة . ب-ت . ص ١٧

متأججة في نفوسهم<sup>(١١)</sup>، وكذلك تمكن اللاتين بسلوكتهم المتبرير؛ من كسب عداة البيزنطيين منذ اللحظة الأولى التي احتلوا فيها العاصمة الإمبراطورية، - وهم بشبهون في ذلك موقف الصليبيين عندما قفموا إلى بلاد الشام وسياستهم تجاه المسلمين وجاءت أحداث العداة والكراهية القديمة عبر قرون سابقة لتدعم العداة تجاه اللاتين .

ثالثاً كانت محنة الاحتلال اللاتيني بمثابة الفرصة الذهبية لبعث الروح البيزنطية من جديد !! وإذا كانت عوامل الاختلاف الطائفي، والعرقى، والسياسى فرقت مرات ومرات بين البيزنطيين من قبل؛ فإن كارثة الاحتلال المرير عادت لتجمعهم من جديد، ومن ثم بدأ التنافس بين الإمارات المتعددة؛ من أجل تحقيق الهدف الرئيسى؛ وهو استرداد القسطنطينية التى لم تعد حينذاك مجرد عاصمة فقط بل رمزاً تاريخياً وسياسياً بالغ التأثير فى البيزنطيين الذين تحرقوا شوقاً من أجل تخليصها من الاستعمار اللاتينى البغيض إلى نفوسهم

رابعاً لا ننكر أن القائمين على الإمبراطورية اللاتينية ارتكبوا أخطاء سياسية قاتلة أفادت- دون أن يدروا- البيزنطيين، فلاحظ أنهم لم يتحالفوا مع البلغار وعلى رأسهم قبصرهم جوهانيزا Johannaiza،<sup>(١٢)</sup> وهكذا؛ وجدنا أن إمبراطورية نيقية البيزنطية تتحالف مع البلغار ضد المحتل اللاتينى، على نحو أكسبها قوة على قوتها؛ وبالتالي حققت مكاسب سياسية كبيرة من وراء ذلك ضد الإمبراطورية اللاتينية الوليدة.

مهما يكن من أمر؛ تأكد للباحثين أن إمبراطورية نيقية على نحو خاص كان لها دورها فى استعادة القلب البيزنطى كى يتدفق بالحياة من جديد.

١- وفى هذا الشأن يقرر المؤرخ نورمان هاوسلى ما نصه

"The Sack of Constantinople by the Crusaders and Venetians has been neither forgotten nor Forgiven by the Greek World"

عن ذلك أنظر:

Housley, The Crusaders, London 2002, p. 79 .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ 'الدولة البيزنطية'، ص ٢١٤

لقد قام تيودور الثاني لاسكاروس بدور بارز في دعم قوة البيزنطيين خلال المرحلة من ١٢٥٤م إلى ١٢٥٨م<sup>(١١)</sup>، على حين كان اللاتين يمرون بمرحلة من الضعف المبكر لم يكن لهم من الممكن الخروج منها.

على أن أكبر الشخصيات البيزنطية البارزة حينذاك - بلاتزاج- يتمثل في ميخائيل الثامن باليولوغوس Michael VIII Palaeologus الذي حكم خلال المرحلة من ١٢٥٩ إلى ١٢٨٢م<sup>(١٢)</sup>، وبعد صراع مرير مع قوى متعددة؛ لاح من جديد الأمل الذي تصارع من أجله. وكان قد تولى حكم الإمبراطورية اللاتينية بلدين الثاني ١٢٢٨-١٢٦١م الذي طالت مدة حكمه. ولم يكن يستطيع مواجهة المشكلات المتعددة التي أحاطت بإمبراطوريته التي عاشت وسط نفاق بيزنطي عدائي ينتظر لحظة سقوطها التاريخية، وقد طلب مساعدة الغرب الأوربي

جدير بالذكر؛ كان وضع تلك الإمبراطورية يشبه في ملامحه العامة مع وجود قوارق بطبيعة الحال وضع مملكة بيت المقدس الصليبية التي عاشت وسط محيط إسلامي ينافسها

عنه أنظر حنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٨٤

Nicol, A Biographical dictionary, p. 122.

ميخائيل الثامن باليولوغوس Michael VIII Palaeologos، تولى المنصب الإمبراطوري خلال المرحلة ما بين عامين ١٢٦١م إلى ١٢٨٢م، وقد ولد عام ١٢٢٥م، ويلاحظ توليه الرضاعة على الطفل بوخنا الرابع لاسكاروس. وكان قد تمكن من أن يحصل لقب إمبراطور للإمبراطورية العائدة من ١٢٥٩م إلى ١٢٦١م. وفي العام الأخير تولا، في القسطنطينية ذاتها عنه أنظر:

Nicol, Op. cit., pp. 89-90.

Chapman, Michael Palaeologus Restaurateur de L'empire byzantine (1261-1282), Paris 1926

Greatkoplou, Emperor Michael Palaeologus and the west 1258-1282, Cambridge, 1959

أيضاً إسحق عبيد، الدولة البيزنطية في عصر آل باليولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢م، منشورات جامعة بنى

نغازي، ط١، بيروت ب-ت

لبلى عبد الجواد - علاقة الدولة البيزنطية بسلطة المماليك البحرية ٦٥٩-٧٨٤م / ١٢٦١-١٢٨٢م، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة العدد (٤٦١) (٤٧) عام ١٩٨٦م، ص ٥٧-١٣١ أسست غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٦٨-١٧٠

العداء المستمر وكانت بالفعل مملكة فى نظر المسلمين غير شرعية ، كذلك استمر وجودها بمثابة عبء على الغرب الأوروبى الذى إتجهت إليه دوماً للحصول على حاجتها المتزايدة للصلال والرجال ، أما الامبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية فقد نظر إليها البيزنطيون أيضاً على أنها غير شرعية هى الأخرى ومع ذلك ينبغى أن نذكر أن هناك فوارق واضحة بين الكيانين، ويكفى أن الكيان الصليبي عمر نحو مائتى عام فى بلاد الشام؛ أى ما زاد على أربعة أضعاف المدة التى عمرتها الإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ، كذلك لانغفل ؛ أن الكيان الصليبي ذاته كان كياناً آسيوياً من الناحية الجغرافية مرتبطاً بالقارة الأوربية من خلال اتصال الصليبيين بالوطن الأم للحركة الصليبية فى أوروبا عبر البحر المتوسط ، أما الإمبراطورية اللاتينية فكانت كياناً أوروبياً خالصاً ، وإن تركت تأثيرها على الكيان الصليبي كما اسلفت الذكر من قبل .

على أية حال ؛ يعد عام ١٢٦١م عامًا فارقًا فى تاريخ البيزنطيين بصفة عامة ، وكذلك فى تاريخ ميخائيل باليولوغوس على نحو خاص ، وقد تمكن من خلال جهد جهيد من إخضاع كافة المناطق التى سيطر عليها اللاتين خارج أسوار القسطنطينية ، وقد أدرك بشاق بصره ، عدم قدرته على مواجهة البنادقة إلا من خلال أعدائهم التقليديين وهم فى صورة الجنجيين، وقد عقد معهم حلفاً من خلال معاهدة نيمفايوم Nymphacium عام ١٢٦١م وعرض عليهم نفس امتيازات البنادقة السابقة ، ولاريب فى أن ذلك العرض كان سخياً وأسأل لعابهم ووافق الجنجيون أمام بريق الذهب البيزنطى الذى طالما خلب لبهم

وفى يوم ٢٥ يوليو من عام ١٢٦١م ؛ عندما رحل الأسطول البندقى من القرن الذهبى، وجه أحد قادة ميخائيل باليولوغوس ضربته بأن قامت قواته بدخول القسطنطينية<sup>(١٢)</sup> وكان الفرار من

١- عمر كمال ترفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص. ٢٢.

وعن المعاهدة المذكورة أنظر

فايز نجيب اسكندر، دراسة لإتفاقية مجازية بين إمبراطورية طربيزون والسندقية سنة ١٣٦٤م، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، ص ٨

٢- عمر كمال ترفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص. ٢٢.

جانب الحكومة اللاتينية الدخيلة أكبر دليل وضاح دال على العجز عن مواجهة رد الفعل البيزنطي المحتمل . وفى الشهر التالى ؛ وبالتحديد فى ١٥ أغسطس من ذات العام دخل ميخائيل بالبولوغوس<sup>(١)</sup> القسطنطينية منتصراً وتم تنويجه فى كنيسة أبيصوفيا Hagia Sophia بعد أن ظلت فى قبضة اللاتين نحو ٥٧ عاماً هى من أصعب الأعوام فى تاريخ بيزنطة بصفة عامة.

ولا مرأى فى أن يوم ١٥ أغسطس ١٢٦٦م<sup>(٢)</sup> يعد يوماً محورياً فى التاريخ البيزنطي؛ لأنه دلالة وضاحة على قدرة تلك الإمبراطورية على مقاومة أعدائها ، والتجدد رغم تكالب الأعداء ، والمحن التى عصفت بها

ومع ذلك ؛ من المهم الحفر من توهم أن تلك القيادة البيزنطية بمفردها تمكنت من تحقيق ذلك الإنجاز التاريخي إذ أن مئات الآلاف من البيزنطيين الذين لانعرف اسماهم شاركوا فى صنع ذلك اليوم التاريخي ، وهناك بصفة مستمرة الحفر من نسبة الإنجازات الكبرى لافراد وابعاد الشعوب عنها ، وعندئذ تصدق العبارة القائلة : «إن التاريخ تصنعه الشعوب وينسبه المؤرخون للحكام» .

بلا حظ أن من المؤرخين الأوربيين ؛ ممن نظروا إلى دور ميخائيل بالبولوغوس على أنه البطل «الأسطوري» المنقذ الذى أرسلته الأقدار ليقوم بذلك الدور التاريخي ، وسط مصاعب ، ومشاق جمة غير مسبوقه فى التاريخ البيزنطي<sup>(٣)</sup>.

٢- نفسه ، نفس الصفحة.

٣- أنظر على سبيل المثال:

Chapman , Michal Paleologue restaurateur de l'empire byzantin (1261-1282). Paris, 1926 .

وأرد أن ألفت إنباء الفارئ إلى المقدمة القيمة التى وضعها أ.د. اسحق عبيد لكتابه عن الدولة البيزنطية فى عصر بالبولوغوس ١٢٦٦-١٢٨٢ . ط. بيروت . ب-ت ، ص ٩ ، ص ١٢ حيث انكر الدور الفردى فقط فى توجيه التاريخ وأشار إلى دور العوامل الداخلية وفعاليتها وتعاونها مع القيادة الفردية.

ومع تقديري لذلك التصور جزئياً من خلال دور ذلك الفائدة الغذى الذى قام بدوره فى وقت إحتاجت فيه بيزنطة له احتياجاً ماساً وكان بالفعل رجل الساعة . إلا أن الكيان اللاتينى ذاته كان قد دب فيه الضعف خاصة أنه كان كياناً أشبه بجزيرة منعزلة تحيطها أمواج العداء، والكراهية وبالتالي لايملك مقومات وجوده الأصلية . وبدون ذلك العنصر وهو عنصر حاسم بلارب- ما كان من الممكن لميخائيل بالولوغوس أن يقود البيزنطيين نحو تحقيق ذلك الإنجاز التاريخى فى ١٥ أغسطس ١٢٦١م، وبالتالي ؛ نقرر أن العوامل الداخلية والخارجية نعاونت معاً بالإضافة إلى أن الشعب البيزنطى تحت قيادته صنع معه ذلك اليوم بإنجازاته قيادته الواعية، دون أن يفهم من تلك العبارات أى تقليل من دوره ومكانته فى التاريخ البيزنطى فى عصره المتأخر

ويعد ؛ فتلك كانت ملامح المرحلة العاصفة والعصيبة من التاريخ البيزنطى التى امتد بين عامى ١٢٠٤م، ١٢٦١م، وهى بلارب مرحلة تعد 'استثنائية لاظهير لها على ما زاد على (١١) قرناً من عمر الزمان؛ فالإمبراطورية التى من قبل استعمرت غيرها صارت هى نفسها مستعمرة ومن جانب أعداء كانت تكن لهم الاحتقار والكراهية؛ وهكذا؛ دفع البيزنطيين الثمن من حريتهم نتيجة للصراع الاحمق على المنصب الإمبراطورى، ناهيك عن «غياب الوعى بالتاريخ» ، حيث لم يدرك رجال السياسة حينذاك أن الاستعانة بالغرب لن تكون فى صالح أحد الأطراف المتنازعة بل سينشب مغالبه فى الجسد البيزنطى بلارب.

ذلك أمر السياسة وتقلباتها ، أما الجوانب الحضارية ؛ فنذكر خلال تلك المرحلة ظهور عدد من الأعلام البيزنطيين فى مجالات متعددة ونكتفى بتقديم أمثلة فقط عنهم، وفى مجال التاريخ ، هناك المؤرخ نيكيتاس خونيئاتس Nicetas Choniates (١١٨٥-١٢٦١م السذى يرتبط إسمه دوماً بسقوط معشوقته ؛ بيزنطة، ولذلك تعد كتاباته مرآة صادقة لتطور أحداث تاريخها خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١٢٠٤م وخاصة كارثة العام الأخير ، ومع ذلك ينبغي ألاتصور أن اهتماماته اقتصرت على الكتابة التاريخية فقط، إذ أن هناك من يقرر تأليفه لكتاب كبير فى النطاق العقائدى عرف باسم «ثروة الأرثوذكسية»<sup>(١٢)</sup> ؛ مما عكس تعسده مواهبه التأليفية .

١- أنظر عنه المدخل البلبرغرانى



وفي ذات مجال الكتابة التاريخية ، نشير إلى قسطنطين مانسيس -Constantine Ma-nasses (ت ١١٨٥م) وقد وصف بأنه اتجه إلى العمل في السلك الكنسي ، وألف كتابه حروب العالم بدءاً منذ الخليقة حتى عام ١٠٨٠م<sup>(١)</sup>.

ثم هناك أيضاً ؛ ميخائيل جليكاس Michael Glykas ( ت بعد عام ١٢٠٠م) وعرف أيضاً باسم سيكيتيز Sikiidites وهو مؤرخ عمل في ديوان مراسلات الإمبراطور مانويل الأول إلى سنة ١١٥٩م . وقد ألف كتاباً في التاريخ تناول الأحداث منذ بدء الخليقة حتى عام ١١١٨م<sup>(٢)</sup>.

أما في المجال الكنسي؛ فنذكر من الاعلام الذين ظهروا خلال تلك المرحلة يوحنا ميساريتس John Mesarites. وقد ترهب في دير من الأديرة المتعددة التي وجدت في القسطنطينية، وفيما بعد؛ صار أستاذاً لتفسير الكتاب المقدس، وما يذكر عنه؛ معارضته الشديدة للكنيسة الرومانية وقد قام بالاشتراك مع أخيه نيكولا بالدفاع عن الأرثوذكسية من خلال محاورات مع مندوبي البابوية وذلك في عام ١٢٠٤م<sup>(٣)</sup>.

وفي المجال الحربي؛ نذكر من الاعلام الكسيوس ستراتيجوبولس Alexius Strategopulos الذي عمل كضابط في جيش ميخائيل الثاني بالبولوغوس ، وقد ساهم في معركة حدثت ضد الحاكم ميخائيل الثاني سيد ابروس وحلفائه عام ١٢٥٩م. واشتهر في التاريخ باقتحامه المفاجئ للعاصمة البيزنطية في يوليو عام ١٢٦١م ؛ مما نتج عنه تخليصها من السيطرة اللاتينية<sup>(٤)</sup>.

على أية حال ؛ من الأمور المؤكدة أن ظهور أولئك الاعلام في مختلف المجالات يعكس لنا قدرة بيزنطة «الجرحة» على أن تنجب لنا الأبناء البارعين الذين مثلت أحداث ١٢٠٤م تحدياً لقدراتهم فكانت تلك الاستجابة التي حفظها لها التاريخ . ولا ريب أن وقت الخطر تستنفر المواهب من أجل إبرازها، وهذا ما حدث بالفعل على المستوي التاريخي حينذاك، حيث أن التاريخ ذاته تحدى به واستجاب.

Nicol , A Biographical dictionary, pp. 77-78 .

Ibid, p. 44 .

Ibid, p. 84 .

Ibid, p. 116 .

مهما يكن من أمر ؛ عند مقارنة أسرة أمجيلوس مع غيرها من الأسرات البيزنطية السابقة عليها، نجد أنها حكمت سنوات قليلة لا تتجاوز العقدين من عمر الزمان، وهي مرحلة قصيرة لاتصل أحياناً إلى حكم إمبراطور بيزنطى واحد فى عهود الأسرات الأيسورية أو المقدونية كذلك حكم خلال عهدها خمسة أباطرة فقط.

والواقع ، أنها تعد أسرة أقل شأنًا إذا ما قورنت بالأسرات السابقة من حيث السياسة والحضارة، فلم تفرز لنا إمبراطوراً فى أهمية هرقل أو ليو الثالث الأيسورى ، أو باسل الثانى. ومع ذلك ؛ من الإنصاف القول؛ أن مراحل التدهور والضعف البيزنطى التى لمسناها بجلاء على مدى المرحلة الممتدة من ١٠٢٥ مع وفاة باسل الثانى حتى ١٢٠٤م تجمعت فى أسرة أمجيلوس، وبعبارة أخرى؛ فإن أخطاء الأسرات السابقة سواءً المقدونية - وفى قسم منها- وأسرتى دوكاس وكومنين كان حصادها فى تلك الأسرة دون أن يعنى ذلك تبرير أو تبرئة أباطرتها من مسئولية ما حل ببيزنطة عام ١٢٠٤م.

ومن الممكن القول بموضوعة ؛ أن أسرة أمجيلوس هى النتائج الحقيقى لسياسات آل كومنين خاصة فى صورة الإمبراطور مانويل كومنين الذى فصلت أمر سياساته وتقويمها من قبل، ولذلك لاتتجاوز الحقيقة إذا تم التأكيد على أنها كانت مهية أكثر من غيرها من الأسرات البيزنطية السابقة ليحدث فى عهدها سقوط القسطنطينية الأوز.

ذلك عرض عن تاريخ أسرة أمجيلوس؛ أما أسرة بايولوج التالية لها فتتناوله الصفحات التالية.

## تاسعاً : أسرة باليولوج (١٢٦١-١٤٥٣م)

تعرض الصفحات التالية : الأخر الأسرات البيزنطية الحاكمة ؛ ألا وهي أسرة باليولوج<sup>(١)</sup> التي امتد حكمها إلى أكثر من قرنين من الزمان، لرصد عوامل الإنهيار النهائى التي اتضحت بجملاء فى خلال تلك المرحلة أكثر من المراحل السابقة فى التاريخ البيزنطى مما أعطاها طابعاً يميزها عن غيرها من الأسرات الحاكمة .

جدير بالإشارة : تولى الحكم خلال القرنين المذكورين عدد من الأباطرة : ميخائيل الثامن Michael VIII ( ١٢٦١ - ١٢٨٢م ) وأندرونيكوس الثانى Andronicos II بالاشتراك مع ابنه ميخائيل التاسع Michael IX ( ١٢٨٢ - ١٣٢٨م ) ، وأندرونيكوس الثالث Andronicos III ( ١٣٢٨ - ١٣٤١م ) ، ويوحنا الخامس John V ( ١٣٤١ - ١٣٤٦م ) ، ويوحنا السادس John VI كنتساكوزين Cantacuzene ( ١٣٤٦ - ١٣٥٥م ) ، وأندرونيكوس الرابع Andronikos IV ( ١٣٥٥ - ١٣٧٩م ) ويوحنا الخامس ( المرة الثانية ) ( ١٣٧٩ - ١٣٩١م ) ، ويوحنا السابع John VII ( ١٣٩٠م ) ، وصانويل الثانى Manuel II ( ١٣٩١ - ١٤٢٥م ) ، ويوحنا الثامن John VIII ( ١٤٢٥ - ١٤٤٨ ) ، وأخيراً قسطنطين الحادى عشر Constantine ( ١٤٤٨ - ١٤٥٣م )

١- عن أسرة باليولوج أنظر:

Head , Imperial Twilight : The Palaeolous Dynasty and the decline of Byzantium , Chicago 1977

مع ملاحظة أن الإضمحلال البيزنطى سابق على عهد تلك الأسرة

Diehl, Etudes Byzantines, Introduction a L'Histoire de Byzance, Paris 1905 , pp. 217-240 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 580-721

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 401-509 .

Browning , The Byzantine Empire, pp. 228-292

Norwich, Short History of Bzantium, pp. 307-381

صلاح ضبيح، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية فى عصر آل باليولوغوس ١٢٦١-١٤٥٣م . رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب- جامعة جنوب الوادى عام ١٩٩٨م . وأرد

الإشارة بالمعهد المنقول فى هذه الأطروحة العلمية.

إن نظرة متأنية لأولئك الأباطرة يتضح لنا من خلالها ؛ أن هناك من حكم أعواماً طويلة مثل أندرونيكوس الثانى الذى حكم ٤٦ عاماً ، ومن بعده مانويل الثانى الذى امتدت مدة حكمه ٣٤ عاماً ، ولاتفغل أيضاً؛ أندرونيكوس الرابع الذى شغل المنصب الإمبراطورى ٢٤ عاماً ، وفى المقابل هناك من الأباطرة من أدار أمور الإمبراطورية مدة زمنية قصيرة فى صورة يوحنا السابع الذى لم يحكم إلا عاماً واحداً.

ويلاحظ أن الأسرة البيزنطية الأخيرة تعد مرآة - بصفة عامة- للأسرات البيزنطية السابقة على مدى القرون العديدة التى عاشتها تلك الإمبراطورية والمعصرة ؛ إذ هناك الإمبراطور المؤسس وهو ميخائيل باليلوغوس وهو أهم الأباطرة الذين حكموا خلال القرنين البيزنطيين الأخيرين وتعنى بهما المرحلة الممتدة من العقد السادس من القرن الثالث عشر حتى منتصف القرن الخامس عشر ، والأمر المؤكد ؛ أن الإمبراطور المؤسس حظى باهتمام المؤرخين أكثر من أى إمبراطور آخر؛ وهى ظاهرة أدركناها من خلال عرضنا السابق.

كذلك هناك ظاهرة الإمبراطور الذى يحكم بمساعدة آخر، كما لاحظنا ذلك فى حالة أندرونيكوس الثانى الذى حكم خلال الأعوام من ١٢٨٢ إلى ١٣٢٨م بالاشتراك مع ابنه ميخائيل السابع، كذلك تلمح ظاهرة أخرى من الظواهر المرتبطة بالتاريخ البيزنطى وهى اغتصاب العرش ونجد مثالا دالاً عليها فى يوحنا السادس الذى حكم من ١٣٤٦م إلى ١٣٥٥م.

والواقع ، أن تلك الأسرة تختص بخاصية تميزها عن غيرها من الأسرات السابقة وهى أنها شهدت السقوط النهائى لبيزنطة، ولذلك كثر تصور المؤرخين بأنها المشولة عن الإنهيار البيزنطى عام ١٤٥٣م. ولذلك فهى بالتالى من أكثر الأسرات التى من الممكن على مستوى الكتابة التاريخية أن تظل من خلال دراسة السقوط ودون البحث فى جذوره التاريخية الدفينة وهكذا؛ فإن ذلك الأمر يجعلها تمتاز بأنها شهدت حادثة الممات البيزنطى وبالتالى فهى الأسرة التى بعدها وجد الإنقطاع وعدم التواصل .

---

١- عنه أنظر: ناهد عمر صالح ، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثانى بالبلوجوس (١٢٨٢-١٣٢٨م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٩٩م.

على أية حال؛ من الملاحظ أن الأسرة البيزنطية الأخيرة حكمت كياناً محدوداً في صورة ما تمكن ميخائيل الثامن باليولوجوس في إسترداده في صورة ما سيطرت عليه إمبراطورية نيقية في آسيا الصغرى، ثم هناك القسطنطينية، وتراتيبا، وقسم من مقدونيا، وقد صارت مدينة سالونيك بمثابة مدينة محورية، ولاتفعل كذلك عدة جزر أبرزها رودس، ومن الملاحظ عن عهد ميخائيل الثامن إنشغاله بالصراع مع القوى السياسية في الغرب الأوربي مثل شارل الأنجوي Charles d'Anjou<sup>(١)</sup>، الذي وضع خطة لمهاجمة الأراضي البيزنطية وكذلك الصراع بينه وبين البابوية والبنادقة؛ كل ذلك جعله لا يتفرغ لمواجهة الخطر المحدق بالإمبراطورية البيزنطية من جهة الشرق في صورة الأتراك العثمانيين، وبالتالي واجه جبهتين حربية في الشرق وسياسية في الغرب دون أن يتفرغ تماماً لأية واحدة منهما، ولاتفعل هنا؛ الإشارة إلى

١- شارل الأنجوي Charles d'Anjou (١٢٢٦-١٢٨٥م) : هو شقيق الملك لويس التاسع Louis IX (١٢٢٣-١٢٢٧م) ملك فرنسا، وبعد أصغر إخوته، ويلاحظ أنه انتصر على خصمه مانفرد بن فردريك الثاني هو هشتاوين في معركة بنفينتو Beneventino في ٢٦ فبراير ١٢٦٥م وألت له أملاك الصقليتين، وقد توجه البابا كليمنت الرابع Clement IV (١٢٦٥-١٢٦٨م) عام ١٢٦٦م ملكاً على نابولي Napoli، وصقلية Sicily، وما يذكر عنه اعدامه لتنافس كونرادين عام ١٢٦٨م، كما قام بانتزاع ألبانيا من الإمبراطورية البيزنطية، كذلك اشترك في حملة لويس التاسع على تونس، وهي التي توفي فيها ملك فرنسا في ٢٥ أغسطس ١٢٧٠م. عنه أنظر

محمود سعيد عمران، «شارل كونت أنجو بين القسطنطينية وتونس والفس» ، ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري، القاهرة ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م، أميرة مصطفى أمين يوسف، «كونراد وعرش الصقليتين»، الموزع المصري، العدد (٢٥) يناير ٢٠٠٢، ص ٨٥، محمد عبد العزيز، «تخطيط الغرب لإعادة إقامة الكيان الصليبي بعد سنة ١٢٩١م»، سنن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، محرم على أحمد السيد وإبراهيم خبص، ط. الاسكندرية ٢٠٠٢م، ص ٤٧، ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت السيد الباز العريضي ط. بيروت ١٩٩٣م، ج ٣، ص ٥٠٠-٥٠١، مصطفى الكناشي، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ١٢٧٠م / ٦٦٩هـ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، ص ٢٣١-٢٣٧، ليلي عبد الحواد، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك، ص ٧٥، حاشية (١)، محمد شفيق غمزال (محرر)، الموسوعة العربية المبيّرة، ط. بيروت ١٩٩٥م، ج (٢)، ص ١٠٦٤

Waley, Later Medieval Europe from St. Louis to Luther, London 1976, p. 38.

أن الإمبراطورية المذكورة على مدى تاريخها المديد ؛ واجهت خطرين من جهتين مختلفتين؛ وهو أمر لاحظناه منذ مرحلة مبكرة من عهد الأسرات البيزنطية الحاكمة منذ عهد أسرة جستنيان عندما واجه الفرس والمجرمان على سبيل المثال على نحر جعلها مبعثرة الجهود في مواجهة الخطرين في وقت متزامن .

من زاوية أخرى ؛ يذكر عن عهد الامبراطور ميخائيل الثامن باليولوغوس ؛ اتجاهه إلى الحصول على دعم البابوية لشرعية حكمه في مقابل اعترافه بتبعية الكنيسة الأرثوذكسية للبابوية من خلال مجمع ليون Lyons<sup>(١)</sup> عام ١٢٧٤م، والواقع ؛ أنه مارس بمهارة لعبة توازن القوى Balance of Powers انتهز فرصة إنزعاج البابا جريجوري العاشر Gregory X<sup>(٢)</sup> (١٢٧١-١٢٧٦م) من تنامي قوة شارل الأنجوي، كما أستفاد من رغبة البابوية في فرض سيادتها على كنيسة القسطنطينية وبالتالي ؛ عقد الاتفاقات المذكور، وقد أفاده ذلك في أن أعطاه حرية الحركة ضد خصومه حيث قام بشن هجوم على ابيروس ضد قوات شارل الأنجوي

---

١- عن ذلك انظر: أمل أحمد حامد ، مجمع ليون الثاني ١٢٧٤م ، دراسة في مشروع الوحدة بين كنيسة القسطنطينية وروما في القرن الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة عام ١٩٩٧م، وهي الدراسة العربية الوحيدة في موضوعها

Constantinides , Byzantine Scholars and the Union of Lyons (1274) , in Beuton and Ro-  
veche . (eds.) The Making of Byzantine History , Studies dedicated to Donald M. Nicol,  
Centre for Hellenic Studies , King's College , London 1993, pp. 86-93 .

Vasiliev , Histoy of the Byzantine Empirc, p. 657-659, p. 662-663 . Ostrogorcky, History of  
the Byzantine State, p. 409, p. 433 , p. 500 .

Kelly , Oxford dictionary of Popes, p. 198 .

٢- البابا جريجوري العاشر Gregory (١٢٧١-١٢٧٦م)؛ تولى المنصب البابوي من يوم ١ سبتمبر ١٢٧١ إلى ١٠ يناير ١٢٧٦م وذلك عقب وفاة البابا كليمنت الرابع Clement IV (١٢٦٥-١٢٦٨م) ويلاحظ أنه وضع نصب عينيه القيام بحملة صليبية . كذلك يذكر عن ذلك البابا أنه مات في العاشر من يناير عام ١٢٧٦م، وقد دفن في دوسو Duomo، وأضاف بندكت الرابع عشر Benedict XIV ، اسمه إلى سجل علم الشهداء، الروماني The Roman Martyrology . ويوافق عيدهِ هو يوم ١٠ يناير غير أنه منذ عام ١٩٦٣م، صار ذلك يوم ٩ يناير عنه أنظر:

Kelly, Op. cit, p. 197- 199 .

كما تدخل في تساليا Thessalia كذلك حارب البنادقة في أبوليا Apolia وتوغل في أخايا التي مرت بمرحلة ضعف في أعقاب وفاة وليام فلهاردوين بعد توقيع الاتفاق مع البابوية بأربعة أعوام وتحديدًا عام ١٢٧٨م<sup>(١)</sup>.

مههما يكن من أمر؛ من الضرورة بمكان إلقاء الضوء على نحو موجز على الأتراك العثمانيين؛ وهم الذين شكلوا القوة الخارجية الفعالة في التاريخ البيزنطي حينذاك حتى نهايته.

وبصفة عامة؛ فإن الأصول الأولى للأتراك العثمانيين يكتنفه الغموض، ومع ذلك من الممكن القول بأنهم ينتمون إلى قبيلة تدعى قبيلة قايى التركية، وهي إحدى العشائر البدوية شديدة المراس من بين عناصر الأتراك الأوغور<sup>(٢)</sup>، وقد قدمت من أواسط قارة آسيا حيث شكل استبس وسط تلك القارة عنصراً مكوناً لشرقى وغربى أوروبا على مدى تاريخه، ووصلت إلى أعلى منطقة الجزيرة الفراتية، واستقرت من بعد ذلك في منطقة خلاط، ويقال أنها

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٢٥

٢- عن أصل الأتراك العثمانيين أنظر:

ابن أبي السرور البكري، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، ت. ليلي الصاغ ط. ديس ١٩٩٥، ص ٨-١٨ . محمد فزاد كوبريللي، قيام الدولة العثمانية، ت. أحمد السعيد سليمان، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ١١٩-١٢٢ . ويعد أفضل من درس تلك الزاوية بالإضافة إلى جيبونز، إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط. الرياض ١٩٩٨م، ص ٩-١٠، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط. الرياض ١٩٩٧م، ص ١٤، أكمل الدين حسام أوغلي (مختصر)، الدولة العثمانية وتاريخ وحضارة، ت. صالح سعداوي، ط. استانبول ١٩٩٩م، ص ٨-١٠، نبيل عبد الحمى وضوان، جهود العثمانيين لإتقان الأندلس وإسترداده في مطلع العصر الحديث، ط. مكة المكرمة ١٩٨٨م، ص ١٦-١٧ صلاح هريدي، دراسات في تاريخ العرب الحديث، ط. الاسكندرية ١٩٩٩-٢٠٠٠م، ص ١٧، رأفت الشيخ ومحمد رفعت، آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٩٧

quotact. The Ottoman Empire 1200-1922, Cambridge 2000, p. 13.

Inalcik, " L'Empire Otoman ", Acts du Congres international des etudes balkaniques et Sud-est enropenne, III, Sophia 1969, p. 76-77

Gibbons, The Foundations of the Ottoman Empire, Oxford 1916 .

ويعد أفضل دراسة في موضوعها بالإنجليزية حتى الآن وتقابلها بالتركية دراسة محمد فزاد كوبريللي

غادرتها من بعد ذلك عام ١٢٢٩م ، ثم هبطت من بعد ذلك إلى حوض نهر دجلة ، ثم قامت بالهجرة إلى أروزيجان في آسيا الصغرى، وهكذا ندرك تماماً : أن تلك التحركات الديموغرافية حدثت في وقت كانت فيه الإمبراطورية البيزنطية تعاني من الاحتلال اللاتيني لعاصمتها .

على أية حال: فإن ذلك التحول إلى آسيا الصغرى حدث بقيادة أرطغرل (ت ١٢٨١م) وقد حمل لقب الغازي لكثرة معركة ضد البيزنطيين<sup>(١١)</sup>، ومن بعده : تولى الحكم ابنه عثمان (١٢٨٨-١٣٢٦م) الذي يذكر له التاريخ تأسيسه على مدى سنوات متعددة تلك الدولة التي حملت اسمه ، وهناك من يقرر أن عهده شهد تحديد الوضع السياسي والديني والعسكري للأتراك العثمانيين<sup>(١٢)</sup>.

بصفة عامة؛ فإن محور تاريخ العثمانيين من مجرد إمارة حدودية إلى إمبراطورية كبيرة كان بمثابة «لفظ تاريخي»<sup>(١٣)</sup>، في تصور البعض وفي تقديري أن الجهاد الإسلامي مع عدم إغفال الدوافع الاقتصادية الأخرى هي المفتاح الحقيقي لفهم ذلك التطور التاريخي الفعال والمؤثر في تاريخ العلاقات الدولية حينذاك .

لقد كانت الدولة البيزنطية التي خرجت منهكة من الصراع مع اللاتين ، بمثابة الميدان الحيوي لتوسعات الأتراك العثمانيين وقد تمكن عثمان بن أرطغرل من السيطرة على مدينة بورصة في العام الأخير من حكمه أي عام ١٣٢٦م.

أي عام ١٣٢٦م<sup>(١٤)</sup>، ومن بعده : تولى الحكم خلفه أورخان ؛ الذي امتد عهده من ١٣٢٦م

١- أحمد جودت باشا، تاريخ جودت، ت. عبد القادر الدنا، تحقيق عبد اللطيف الحبيد، ط. بيروت ١٩٩٠م، ص٩٨

سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الموجز ، ص٣٤٥

٢- نفسه، ص٣٤٦، وعنه أنظر: حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٣١١

Inalcik, Op. cit , p. 76 .

-٣

٤- عن عثمان أنظر :

سعيد أحمد برجاي، الدولة العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، ط. بيروت، ١٩٩٣م، ص٢٥

نبيل عبد الحمى رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص١٨-١٩

زينب بيرجكل، شعر الثورات الداخلية في العهد العثماني، ط. عمان، ١٩٩٩م، ج ١، ص١٧



إلى ١٣٥٩م<sup>(١١)</sup>، وقد قام بإخضاع مدينة نيقية Nicaea بأسيا الصغرى بعد ٦ أعوام فقط من تربيته السلطة، كما حاول جاهداً أن ينطلق من آسيا الصغرى إلى أوروبا عبر البسفور، ونجح في عام ١٣٢٧م تمكن من الوصول إلى قلب العاصمة القسطنطينية - في تطور غير مسبوق- إلا أنه انسحب من جراء المقاومة البيزنطية له<sup>(١٢)</sup>، وأهمية محاولته أنها كشفت عن أن عمر محاولات الأتراك العثمانيين لإخضاع تلك العاصمة امتد من عام ١٣٢٧م إلى ١٤٥٣م فنال الأتراك العثمانيون خبرة حربية بارزة في صراعهم معها، ويلاحظ أن نفوذهم أخذ في التزايد على نحو أدى إلى ضآلة الأملاك البيزنطية في آسيا الصغرى، بل إن الأتراك العثمانيين عملوا على مهاجمة المدن البيزنطية بصورة عكست مدى الضعف، والهوان الذي وصلت إليه تلك الإمبراطورية التي بلغت من الكبر عتياً

لانفعل هنا: أن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث<sup>(١٣)</sup> بالبولوجوس- Andronicos III Palaiologos (١٣٢٨-١٣٤١م) أمام تزايد خطر الأتراك العثمانيين حاول جاهداً أن يطلب من

١- وعن عهد أورخان أنظر:

Pitcher, An Historical Geography of The Ottoman Empire from earliest times to the end of the Sixteenth Century, Leiden 1972, pp. 38-40

Norwich, Short History of Byzantium, pp. 339-340.

سبار الجميل. العثمانيون وتكوين العرب الحديث. ط. بيروت ١٩٨٩م، ص ٣٠٤- ٣٠٥. أحمد عثمان، تاريخ اليهود، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ج ٣، ص ٩

٢- عن ذلك أنظر:

نبيل عبد الحمى رضوان، جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس، ص ١٩- ٤٣

٣- أندرونيكوس الثالث هو الابن الأكبر لميخائيل التاسع المتوفى عام ١٣٢٠م، كما أنه يعد حفيداً لأندرونيكوس الثاني، وقد تولى حكم الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الواقعة بين عام ١٣٢٨.. ١٣٤١م. عنه أنظر:

Browning, History of the Byzantine Empire, p. 234. Nicol A Biographical dictionary, p. 8.

Norwich, Short History of Byzantium, pp. 337-338.

Vasiliev, History of The Byzantine Empire, p. 444-454

البابا بندكت الثاني عشر Benedict XII ( ١٣٣٤-١٣٤٢م)<sup>(١)</sup> شن حملة صليبية من الغرب الأوربي لحماية ما تبقى لبيزنطه من أملاك ؛ إلا أن ذلك المعسى أخفق لعدة أسباب رئيسية يمكن إجمالها كالآتي :

أولاً كان الاختلاف المذهبي القائم بين كنيسة القسطنطينية وروما بمثابة حجرة عثرة فى مواجهة أية إمكانية للاتفاق بين الطرفين وكان الثمن الذى تطلبه البابوية بصفة عامة فادحاً وتمثل فى إعلان الخضوع لها من جانب الكنيسة المنافسة لها على مدى قرون خلت أى كنيسة القسطنطينية.

ثانياً : كان الغرب الأوربي قد تغيرت أحواله السياسية وشغلت كل دولة بظروفها الخاصة. ولم يعد هناك الاهتمام البارز بأمور الدولة البيزنطية ، وهكذا ؛ فإن كل دولة شغلت بقضاياها الداخلية عن أن تقدم المساعدة لإمبراطورية تاريخها السابق حائل بالصدام مع الغرب اللاتينى.

بصفة عامة ؛ يؤكد لنا ذلك كله أوجه التشابه والاختلاف بين طلب الإمبراطور الكيسوس - من قبل- مساعدة الغرب الأوربي فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى وقيام البابا أوربان الثانى (١٠٨٩-١٠٩٩م) بتبني تلك الاستغاثة البيزنطية<sup>(٢)</sup> ، وانجاء الإمبراطور أندرونيكوس الثالث إلى تكرار الأمر مع البابا بندكت الثالث عشر، إلا أن الظروف التاريخية كانت قد تغيرت إلى حد كبير

ولم تكن الروح الصليبية بنفس قوتها فى القرن الرابع عشر الميلادى، مثلما كانت من قبل فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى ؛ إذ أدركت أوربا بعد قرنين كاملين كيف دفعت ثمناً باهظاً فى صورة مشروعاتها التوسعية على حساب الشرق من أبنائها القتلى ونسائها

١- حنين ربيع. دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٩٨

البابا بندكت الثانى عشر ؛ تولى المنصب البابوى خلال المرحلة من ٢٠ ديسمبر ١٣٣٤م إلى ٢٥ أبريل ١٣٤٢م. وذلك فى أعقاب الباب نيقولاس الخامس Nicolas V وهو بابا غير شرعى تولى بدوره مقعد القديس بطرس خلال المرحلة من ١٣٢٨ إلى ١٣٣٠م . عنه أنظر:

Kelly, Oxford dictionary of Popes, p. 210- 211

٢- أنظر ما سبق ذكره من قبل.

الأرامل<sup>(١١)</sup>، بالإضافة إلى اختلاف نوعية البابا أوربان الثاني وبنديكت الثالث عشر حيث كان الأول نتاجاً لصحوة ديركلوني Cluny على نحو لم يتأت للشانى، وهكذا، فإن الظروف التاريخية حينذاك ونوعية القيادة الدينية لم تكن فى صالح تصور الإمبراطورية البيزنطية فى شن حملة صليبية مدعماً لها لصد التوسع العثمانى.

مهما يكن من أمر؛ من الملاحظ أنه خلال عهد الامبراطور يوحنا السادس كنتاكوزين<sup>(١٢)</sup> John VI Cantacuzene وتحميداً فى عام ١٣٤٧م أى العمام الأول من حكمه (١٣٤٧-١٣٥٥م) تعرضت الامبراطورية إلى جانب الخطر الخارجى، إلى كارثة طبيعية فى صورة

١- أدى ذلك إلى ظهور رأى عام مضاد للحروب الصليبية فى الغرب الأوروبى عن ذلك بالتفصيل أنظر هذه الدراسة القيمة

Throop, Criticism of the Crusade : A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda, Amsterdam 1940 .

جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين، ص٢٣٦-٢٣٧

٢- يوحنا السادس كنتاكوزين ؛ هو إمبراطور بيزنطة خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٣٤٧م، ١٣٥٣م، وانتسب إلى احدى الأسرات البيزنطية النبيلة ذات الأملك الواسعة . ويقر دونالد نيكول تينيه لأفكار خاصة بإحبا، الإمبراطورية غير أن عامة الناس ما كانوا يشقون ليه نظراً لتشبهه الطبقة الارستقراطية، بصفة عامة؛ انجبه إلى التأليف فألف بعض الرسائل الدينية، وتأثر بالأفكار التصوفية، كما ألف تاريخه السالف الإشارة إليه فى المدخل الجيوغرافى من هذا الكتاب، وقد توفى يوحنا السادس كنتاكوزين عام ١٣٥٣م، عنه أنظر:

Nicol, The Reluctant Emperor , Abiography of John Cantacuzene, Byzantine Emperor and Monk , (1295-1353), Cambridge 2002, pp. 29-186 , Id , The Byzantine Lady Ten Porrait 1250- 1500 , Cambridge 1994 , p. 71 , p. 81 , pp. 84 , Id , A Biographical dictionary, pp. 57-58 .

Norwich, Byzantium , The decline and Fall, pp. 276-282 .

Browning , The Byzantine Empire , pp. 235-240 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 443 , p. 472 .

Vasiliev, History of The Byzantine Empire, pp. 584-585 .

است غنيم، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص١٧٠ ، سيد الناصرى، الروم والشرق العربى، ص٤٦٩-

ص٤٧٠ ، حسنين ربيع دراسات فى تاريخ العولة البيزنطية ، ص٢٩٩

الطاعون الذي اشتهر في التاريخ باسم الفناء الكبير أو الموت الأسود (The Black Death<sup>(١)</sup>) وقد انتقل من آسيا إلى مايتس Maeotus (بحر أزوف Azov)<sup>(٢)</sup>، وامتد إلى جزر بحر إيجه، وشاطئ البحر المتوسط، ويقدم حنا كنتاكوزين في تاريخه وصفاً مؤثراً للأثر الكبير لذلك الطاعون في الفتك بالسكان بأعداد غفيرة على نحو بعيد للأذهان الصورة التي وصف بها المؤرخ اليوناني ثيوكوديدز Thucydides في الجزء الثاني من تاريخه للطاعون الأثيني Athenian Plague؛ على نحو يدل دلالة وخاصة على حجم كارثة انتشاره<sup>(٣)</sup>.

١- عن الفناء الكبير بصفة عامة أنظر: المقرئى : إغاثة الأمة بكشف الغمة تحقيق جمال الدين الشبال ومحمد مصطفى زيادة . ط. القاهرة : ١٩٤٠م، ص٣٣-٣٥ . السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٤ ، تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة، ص ٩٤١ - ص ٩٤٤ . ابن تفرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٢٠٤ .  
Dols , The Black Death in the Middle East , Princeton 1977 Ziegler , The Black Death , London 1960 .

على السيد على، «الفناء الكبير»، والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي- دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، المجلة التاريخية المصرية، م (٢٣)، عام ١٩٨٦م، سعيد عاشور، «أوريا العصور الوسطى»، ص ٤٨٣، قاسم عبده قاسم وعلى السيد على، الأبريون والمالبيك التاريخ السياسي والعسكري، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٩١-١٩٤ دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المالبيك، ط. القاهرة ١٩٨٨م، ص ١٣٣-١٣٥، عصر سلاطين المالبيك التاريخ السياسي والاجتماعي، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص ٥٥-٥٩

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 626 .

-٢

Ibid , p. 626 .

-٣

وثيوكوديدز، مؤرخ أثيني ولد عام ٤٦٠ ق.م وتتلفذ على أيدي مشاهير الخطباء والفلاسفة مثل أناكساجوراس وبروتاجوراس وعندما نشبت حرب البليونيز بين أثينا واسطرطه شارك فيها، ويوصف بأنه أبو النقد التاريخي، وتمتاز كتابته عن تلك الحروب بالموضوعية والدقة، كما نلاحظ أنه لا يرجع للألته الشبر في كل كبيرة وصغيرة في الأحداث والوقائع، عنه أنظر:

Freedman , The Greek Achievement, The Foundation of the western World , New York 1999, pp. 205-206 .

ويضاف إلى ذلك، قدم الكاتب الإيطالي بوكاشيو<sup>(١١)</sup> Boccaccio (١٣١٣م-١٣٧٥م) في قصته الشهيرة بعنوان: ديكابرون Decameron؛ وصفاً لنفس الطاعون وتأثيره في إيطاليا حيث إمتد إليها وكذلك فرنسا، واسبانيا، والنرويج والمجنترا<sup>(١٢)</sup> مما عكس طابعه العالمي وليس البيزنطي فقط.

ووفقاً لما أورده المؤرخ المعاصر ديمتريوس كيدونيس Demetrios Kydones: نعترف أن حجم الحنساتر كان كبيراً من جراء ذلك الطاعون، وقد قرر أنه في كل يوم نذهب بأصدقائنا إلى القبور، وفي كل يوم نجد المدينة الكبيرة- يعني القسطنطينية - أكثر خلواً من السكان وأعداد القبور في تزايد مستمر، وقد عجز الأطباء، أن يفعلوا شيئاً في مواجهة تلك الأحداث<sup>(١٣)</sup>.

ويلاحظ أن ذلك التأثير امتد على مدى عام ونجد أثر الطاعون في العاصمة البيزنطية، وكذلك في سالونيك، أو أدريانوبل، وهناك من يقرر أنه بلغ طرابيزون في سبتمبر ١٣٤٧م<sup>(١٤)</sup>.

ولانغفل: أن الوباء المذكور أصاب أندرونيكوس Andronikos ابن حنا كنتاكوزين كذلك فشك بصديق صدوق له هو يوحنا المجيلوس John Anglos الذي عينه حاكماً لتساليا عام ١٣٤٢م<sup>(١٥)</sup>.

---

= فوزى مكاري، تاريخ العالم الاغريقي وحضارته، ص٢٥٢، لطفى عبد الرهاب، اليونان، مقدمة في التاريخ الحضارى، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص١٧١- ص١٧٣ حيث يتعرض لمروب البيزنطيين التي وصفها ذلك المؤرخ اليونانى البارز.

١- زينب راشد، تاريخ أوروبا الحديث، ص٧٩

وبوكاشيو (١٣١٣-١٣٧٥م) من أعلام النهضة في إيطاليا، نعرف أنه إنجه إلى القسطنطينية؛ كى يدرس الدراسات الكلاسيكية، وبالفعل بلغ فيها شأنًا كبيراً، وقد برع في اللغة الإيطالية لاسيما كتابة من يقرر أنه شرع في تأليفه عقب انتشار الطاعون المذكور وكان قد بلغ من العمر ٣٥ عاماً عن ذلك أنظر:

زينب راشد، المرجع السابق، ص٧٩

Vasiliev, Op. cit. p. 626 .

-٢

Demetrios Kydonies Letters, ed. R.J. Loenertz, vol I Vatican City, 1956, pp. 121-122 .

-٣

Nicol . The Reluctant Empir, p. 93 نقلا عن

Ibid . p. 93 .

-٤

Ibid, p. 93 .

وبناء على ذلك ؛ ندرک أن الطاعون قد أحدث تأثيره المدمر على البنية السكانية البيزنطية على نحو هيناً للأتراك مهاجمة شمالي بلاد اليونان واحتلاله<sup>(١١)</sup>، وكذلك كافة جوانب النشاط الاقتصادي ، كذلك ترك أثره على الناحية النفسية من ناحية أخرى ؛ كانت الامبراطورية في عهد ذلك الامبراطور بطبيعة الحال، حيث عمق الشعور بالموت، والخوف منه أكثر من ذي قبل<sup>(١٢)</sup>.

من ناحية أخرى ؛ عانت الامبراطورية في عهد ذلك الامبراطور من الصراع الداخلي ، وحدثت حرب أهلية من جانب القيادات السياسية البيزنطية، فقد حدثت مؤامرات قام بها يوحنا الخامس باليولوج الخامس John V Palcolgos انتهت بطرد كيتاكوزين من العرش ، كذلك تنازع يوحنا الخامس مع ابنه اندرونيكوس الرابع Andronicos IV ، كذلك حدث صراع بين الأول وحفيده يوحنا السابع John VII<sup>(١٣)</sup>.

لقد كان ذلك الصراع من أخطر ما واجه بيزنطة حينذاك؛ إذ أن الأطراف المتصارعة بحثت عن حليف ولم يتورع البعض منها عن طلب مساعدة الأتراك العثمانيين ومجد ذلك واضحاً في تحالف حنا كيتاكوزين معهم<sup>(١٤)</sup> . وجاء ذلك بمثابة الفرصة الذهبية السانحة ليكون للأتراك العثمانيين القدرة على تشكيل الخريطة السياسية البيزنطية من خلال التحالف مع البعض ضد البعض الآخر؛ تعميماً لهوة الخلاف بين كافة الفرقاء البيزنطيين .

١- عن ذلك انظر:

Nicol , The Reluctant Emperor , p. 92. Id. A Biographical dictionary p. 58 .

٢- ولعل هذا هو تعليل ما أورده أحد المؤرخين عندما ذكر ما يفيد أن فكرة الموت تعمقت في أوروبا العصور الوسطى في مرحلتها الأخيرة ، ولاشك ؛ في أن الكوارث الطبيعية كالأوبئة والأمراض الفتاكة ساهمت في ذلك

أنظر: يوهان هورينجا ، إنسحلال العصور الوسطى . ت. عبد العزيز توفيق جاويد . ط. القاهرة ١٩٩٨ . ص١٣٧

٣- Nicol , The Reluctant Emperor , p. 45-83

أنظر أيضا Osrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 444-474 .

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٢٨

٤- Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 622-624 .

من ناحية أخرى ، دخل الصرب كقوة أخرى في لعبة توازن القوى بين الأجنحة البيزنطية المتصارعة . وفي هذا الصدد تم تقديم منح كبيرة وصلت أحياناً إلى حد التنازل عن بعض مناطق الإمبراطورية مقابل الحصول على الدعم العسكري<sup>(١)</sup>.

وهكذا ؛ يمكن القول أن الفناء الكبير ، والحرب الأهلية كانتا بمثابة الجسر الذي مر عليه الأتراك العثمانيون من بعد ذلك وصولاً إلى العاصمة البيزنطية مع عدم اغفال تأثير العوامل الأخرى بطبيعة الحال.

لقد كشفت تلك الحروب الأهلية المذكورة عن مدى الضعف الشديد الذي وصل إليه البيزنطيون على نحو جعل أحد قياداتهم البارزة يستعين ضد خصمه بالعدو الرئيسي لبيزنطة المتمثل في الأتراك العثمانيين ، وهو يشبه في ذلك السلوك ما قام به ملوك الطوائف<sup>(٢)</sup> في الأندلس الذين وجد منهم من فضّل التحالف مع القوى المسيحية التي قادت حرب الاسترداد

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٢٨

٢- في أعقاب سقوط الخلافة الأموية في الأندلس عام ١٠٣١م ؛ ظهر إلى الوجود عدد من الدويلات مثل دويلة في قرطبة (بنو جهور) ، ودويلة في أشبيلية (بنو عباد) ، ودويلة في بطليوس (بنو الأفضى) ، ودويلة في طليطلة (بنو ذي النون) ، ودويلة في غرناطة (بنو مناد) وغيرها . في بلنسية ، وسرقطة ، والمجائر الشرقية . عن ملوك الطوائف أنظر:

ابن عثاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ت. كولان وليفى بروقتسال ، ط. بيروت ١٩٩٨م ، ص١٥٣-٢٨٧ ، رضا هادي عباس ، الأندلس محاضرات في التاريخ والمضارة ، ط. قاليتا- مالطة ١٩٩٨م ، ص٢١-٢١١ ، كمال السيد أبو مصطفى، دراسات أندلسية في التاريخ والمضارة ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، ص٣-٢٧ ، ابراهيم بيضون ، الدولة العربية في اسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ / ٧١١-٣١٠م ، ط. بيروت ١٩٨٦م ، ص٣٥١-٣٧٣ ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٩٦م ، ص٢٢٥-٢٢٦ ، رجب محمد عبد الحليم ، دولة بنو حمود في مالقة بالأندلس، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م ، مونتغمري وات ، في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص١٠٢-١٠٥ ، خالد السامرائي وعبد الواحد دنون وناطق صالح ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٢٤-٢٥٤ ، عصام محمد شبارو ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود ٩١-٨٩٧هـ / ٧١٠-١٤٩٢م ، ط. بيروت ٢٠٠٠م ، ص٢١١-٢٢٢ ، يوسف بن أحمد حوراله ، بنو عبيد في أشبيلية ٤١٤-٤٨٤هـ / =

Reconquesta - من وجهة نظر إسبانية- ضد منافسيه من المسلمين مفضلاً مصلحته الشخصية على الصالح العام للمسلمين؛ مما جر أسوأ الكوارث بدولة الإسلام هناك؛ ومهد فيما بعد لإنحصار محالف قشتالة وأراجون وإسقاطه لمملكة غرناطة في عهد بنى الأحمر عام ١٤٩٢م بعد ٣٨ عامًا فقط من سقوط بيزنطة عام ١٤٥٣م؛ مما عكس أوجه التشابه بين الكيان البيزنطي في الشرق والكيان الإسلامي في الغرب . ولاربع في أن سقوط غرناطة يشابه في خطوته العامة مع سقوط القسطنطينية . وإن اختلفت التفاصيل ، دون إغفال أن دولة المسلمين في الأندلس كانت أقصر عمراً مقارنة بالإمبراطورية البيزنطية ، ولا تغفل أن كلا منهما امتاز بالاحتضار الطويل قبل الموت.

على أية حال ؛ أدرك الأتراك العثمانيون أن عدوهم البيزنطي - أكثر من أى وقت مضى - لا يملك إلا الضعف ، والهوان، وإن تلك هي فرصتهم التاريخية للإجهاز على كيان طال احتضاره ، ويتمسك بالحياة على الرغم من عدم جدارته بها ! ، وأكد ذلك الكيان للقاصي والداني ، « جدارته » بالخروج من التاريخ من خلال عوامل النحر الداخلى التى كشفت عنها أحداث الصراع السالف الذكر ، مع ملاحظة أن الأتراك العثمانيين كانوا يتزايدون قوة يوماً بعد آخر ، فى ظل غياب الوعي بالتاريخ الذى خيم على عقول حكام بيزنطة، وكان هذا - بالفعل- من حسن حظ أعدائهم ا

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ أن الأتراك العثمانيين الذين حركتهم روح الجهاد ، مع عدم اغفال الدوافع الزخرى بطبيعة الحال ولاتناقض بينهما<sup>(١)</sup>، والذين أرادوا دعم نفوذهم السياسى على

= ١٠٢٣-١٠٩١م دراسة سياسية وحضارية ، ط. جفة ١٩٨٩م، ص٦٦- ص١١٠ . ويلاحظ أن الشاعر أبو الحسن بن رشيق القيروانى قال فى هذا الشأن:

مما يزهدي فى أرض أندلس أسما معتد فيها ومعتد  
ألقاب مملكة فى غير موضعها كالمهر يحكى انفتاحاً صورة الأسد  
أنظر:

أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ط. الاسكندرية، ب-ت، ص ٩٥

١- بشير المؤرخ التركى خليل إينالجيلىك إلى رغبة الأتراك العثمانيين فى الاستفادة من الثروات الطائلة التى تعود على من يتمكن من إخضاع التجارة المارة بالقسطنطينية وخاصة تجارة البحر الأسود مع أوروبا . =



حساب البيزنطيين، كان لهم هدفهم الاستراتيجي الذي ما حادوا عنه مهما تقلبت بهم الأحداث السياسية في صورة إسقاط القسطنطينية تلك المدينة التي راودت مخيلة المسلمين منذ عهد الدولة الأموية، وذهبت كافة المحاولات لإسقاطها أدراج الرياح، ولا تغفل؛ أن ذلك الهدف المحوري لم يتغير بتغير السلاطين العثمانيين، وبالتالي صار كل واحد منهم مكملاً للآخر في سبيل تحقيقه مهما واجههم المصاعب والمشاق .

على أية حال؛ وجه الأتراك العثمانيون ضربة للامبراطورية العجوز وقد عملوا على اتباع سياسة حرب الاستنزاف المستمرة لإقتطاع الأطراف ، وقد توسعوا في إقليم تراقيا وحاصر زعيمهم أورخان أدونه غير أن النية أجهزت عليه، فتولى أمر الحصار ابنه مراد الأول (١٣٦٠ - ١٣٨٩م)<sup>(١١)</sup> إلى أن تمكن من الاستيلاء عليها عام ١٣٦١م، ودعم نفوذه من خلال جعله أدونه عاصمة لدولته مما أعطاها أهمية سياسية أكبر ودعم مجديه للامبراطورية البيزنطية دون أن تستطيع له دفعا

ولا تغفل زاوية لا تخلو من أهمية؛ إذ أنه مع الضعف السياسي، الذي صارت عليه الإمبراطورية البيزنطية العائدة ، وجدنا أن المجتمع البيزنطي ذاته يعاني بشدة من الأمراض الاجتماعية ، وقد تفتت في صفوفه معدلات الجريمة وكذلك الانحلال الجنسي<sup>(١٢)</sup>، ولارب في أن إنهيار منظومة العادات والتقاليد في الحياة البيزنطية التي كانت قوية في عصر قوة الامبراطورية كان مؤشراً دالاً على الإنهيار الذي أسرعت به تلك الإمبراطورية.

---

= ومع تقديرنا للنافع الاقتصادي إلا أن ذلك لا يملئ الدافع الديني في صورة الجهاد والرغبة في نشر الإسلام . عن الرأي السابق أنظر:

خليل إبنجليك ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت. محمد الأرنؤاط ، ط. بيروت ٢٠٠٠ ص ٨٤ .

وتعد دراسته من أفضل ما كتب في موضوعها ويملك مؤلفها رؤية تاريخية خاصة به بالإضافة إلى قاعدة بيلغرافية متخصصة وقيمة تهايك عن التحليل الذي يعكس الهرة بالعصر التاريخي ذاته

١ - عن مراد الأول ومن بعده يزيد الأول أنظر:

Pitcher, An Historical Geography of The Ottoman Empire, pp. 41-56 .

E. Isl . , " Murad I ", vol . 3, 1993 , pp. 592-594 .

Norwich , Short History of Byzantium , pp. 333-335

O.D.B., vol . III, p. 1741

٢ - عن ذلك أنظر بصفة عامة:

بصفة عامة من الممكن أن نجد وجهاً للمقارنة بين الانحلال الأخلاقي الذي صارت إليه من قبل ملكة عكا الصليبية في أخريات القرن ١٣م<sup>(١)</sup>، والإمبراطورية البيزنطية في عصر تدهورها المتسارع، وذلك من أجل التأكيد على أن إتهام المنظومة الخاصة بالقيم لأى مجتمع تعد المؤثر الحقيقي للانهيار والسقوط العسكرى والسياسى.

مهما يكن من أمر؛ فقد جاء آخر فصول الهرمان البيزنطى عندما إنجحه الامبراطور يوحنا الخامس باليولوغوس John V Palaulogus إلى أن يطلب مساعدة البابا البابا وبلغ به الأمر أن أعلن تخليه عن المذهب الأرثوذكسى وإنججاه صوب الكاثوليكية، إلا أن ذلك كله لم يجعل البابا يقدم له يد العون . أما داخلياً؛ فقد رفض البيزنطيون ذلك التنازل المهين الذى أقدم عليه الإمبراطور بعد أن أعيتته السبل وأتعبته الحيل، ولم يجد فى جعبته إلا اللعب بالورقة الأخيرة؛ غير أنه باء بالخسران المبين حيث رفضه الشعب باصرار ولم يزد مسعفاً إلا إلى إلحاق المزيد من المهانة بامبراطوريته المتهاوية . وتعمقت الهوة بين القيادة السياسية وعامة الشعب البيزنطى.

١- عن ذلك الجانب لدى الصليبيين على مدى القرنين ١٢ ، ١٣ أنظر: أسامه بن منقذ . الاعتبار . تحقيق فيليب حتى . ط. بيروت ١٩٨١ . ص ١٧٤ . العباد الأصفهاني، الفتح القسى فى الفتح القدسى . ط القاهرة ب-ت . ص ١٧

Jacques de Vitry, A History of Jerusalem, Trans. by Aubrey Stewart . P.P.T.S., vol . XI . London 1896 , p. 64 . Prundage, " Prostitution, Misiogeneration and Sexual Purity in the First Crusade, " in Edbury (ed.), Crusade, and Settlement , Cardiff 1985 , pp. 57-65 .

زكى النفاش . العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، ط. بيروت ١٩٥٨م، ص ١٥٢ . جمعة الجندى ، حياة الفرنج ونظمهم فى الشام خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى دراسة تطبيقية على ملكة بيت المقدس . رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م، ص ٢٩٩-٣٠٠ . محمد عبد القادر أبو فارس . دروس وتأملات فى الحروب الصليبية، ط. عمان ٢٠٠٢م، ص ٨٥

جدير بالإشارة : يقوم الباحث الشاب محمد فوزى رحيل بإعداد أطروحته للدكتوراه بعنوان ملكة عكا الصليبية ١٢٥٠ - ١٢٩١م دراسة فى عوامل الإتهيار والسقوط وذلك فى كلية الآداب- جامعة عين شمس تحت إشرافى . وأ.د. أحمد رمضان

٢- عن ذلك بالتفصيل أنظر: ناهد عمر صالح . الاتحاد الكنسى فى عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس (١٣٥٤-١٣٧٦م). المزمخ المصرى العدد (٢٨) . يناير ٢٠٠٥م، ص ٢١١-٢٤١

على أبة حال؛ واصل الأتراك العثمانيون إنتصاراتهم بصورة عكست التباين الشديد بين عصر قوتهم وعصر الانحطاط البيزنطي؛ وقد وصلوا إلى نهر الدانوب عام ١٣٧٣م. بل أنهم بلغوا ساحل دلماشيا ، واضطر الإمبراطور إلى الدخول فى طاعة مراد الأول عام ١٣٧٤م فى خطة غير مسبوقه دليلاً على العجز التام عن مواجهة القوة العثمانية الفتية والمتنامية.

كذلك تمكن الأتراك العثمانيون من استغلال الصراع على السلطة بين الإمبراطور يوحنا كنتاكوزين، وابنه وقاموا بالسيطرة على مدينة سالونيك عام ١٣٨٢م<sup>(١)</sup>، ثم صوفيا عام ١٣٨٥م ، وتوالى تلك الأحداث على هذا النحو السريع لا يخلو من دلالة ؛ لأنه يعكس أن الأتراك العثمانيين طرقتوا على الحديد وهو ساخن ، واغتنموا الفرصة ؛ من أجل إيجاد واقع حرمى جديد على الأرض يغير خريطة التوزيعات الجيوبوليتيكية لصالحهم . ولا ترتاب فى أنهم قاموا باتباع سياسة تحقيق الهدف النهائى من خلال إستهلاك طاقة بيزنطة فى حرب استنزاف مستمرة دوغما هراة.

من زاوية أخرى؛ لا يمكن الفصل بين الإنجازات التى حدثت خلال عهد مراد الثانى دون إدراك أن ذلك ما كان ليتحقق دون التطور الاقتصادى حينذاك ؛ فقد تطورت التجارة وغت المدن العثمانية نمواً كبيراً ومن أمثلتها بورصة وأدرنة<sup>(٢)</sup>، وهناك من يقصر؛ أن الرحالة برتراندون دولا بروكيبه Bertand de la bracquiere قرر أن الدخل السنوى للدولة العثمانية قد بلغ ( ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ ) أوقية ، وهو مبلغ ضخم بإمكانات ذلك العصر. ويقر باحث رفيع الشأن فى الدراسات العثمانية ما نصه « وهو مبلغ لو استغله مراد الثانى كاملاً لكان فى وسعه أن يفتح أوروبا بسهولة »<sup>(٣)</sup>؛ مما دل على أن المكاسب الاقتصادية كانت عنصرها مهماً فى دعم طموح العثمانيين للتوسع على حساب الامبراطورية البيزنطية ، وإن كنت أتصور وجود مبالغة فى هذا القول بطبيعة الحال.

١- عن إخضاع الأتراك العثمانيين لمدينة سالونيك أنظر:

Mazower, Salonica City of Ghost , Christians , Muslims and Jews 1430-1950, New York 2005, p. 88-31 .

٢- على سبيل المثال انظر:

Inalick , " Busra and the Commerce of the Levant " , J.E.S.H.O., vol . III, 1960, pp. 131-142

٣- خليل إينالجيک. تاريخ الدولة العثمانية . ص٢٨

مهما يكن من أمر؛ من بعد السلطان مراد؛ تولى الأمر، السلطان بايزيد الأول الذى عمل على إشاعة الفرقة بين كبار القيادات البيزنطية التى تصارعت من أجل بلوغ المنصب الامبراطورى الذى تحررت نفوسهم شوقاً للوصول إليه من خلال مصالح شخصية ضيقة دون أن يضعوا فى الاعتبار المصلحة البيزنطية العليا.

ويلاحظ أن البنادقة حرصوا على شن حملة صليبية هي صليبية نيقوبوليس Crusade of Nicopolis فى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى وتحديدًا عام ١٣٩٦م، وقد حاصرت الحملة التى قادها ملك المجر سيجموند Sigmund ١٣٨٧-١٤٣٧م مدينة نيقوبوليس Nicopolis<sup>(١)</sup>؛ غير أن القوات العثمانية فى عهد السلطان الوافر النشاط بايزيد الأول تمكنت من إلحاق الهزيمة الفادحة بهم، وأكد السلطان انتصاره باستيلائه على شبه جزيرة المورة Morea (اللبليونيز) عام ١٣٩٧م.

من ناحية أخرى؛ لانغفل أن الإمبراطور مانويل الثانى Manuel II (١٣٩١-١٤٢٥م) طاف أنحاء الغرب الأوربي، طلباً للمساعدة ضد العثمانيين<sup>(٢)</sup> من خلال جهد دبلوماسى بارز على مدى الأعوام من ١٣٩٩م إلى ١٤٠٢م، ولكنها كانت بمثابة دبلوماسية النصف قرن الأخير التى لاجدوى من ورائها، فلم تقدم إيطاليا أو فرنسا أو إنجلترا ما يمكنه من التصدى للقوة العثمانية المتزايدة بل خذلته، ولاربي فى أنه بعد إخفاق صليبية نيقوبوليس زاد حذر الغرب الأوربي عن أى تورط غير محسوب العواقب فى مجال دعم بيزنطة على اعتبار أن من يتورط فى عالم السياسة يدفع الثمن فادحاً

---

١- عنها بالتفصيل أنظر:

Atiya, the Crusade of Nicopolis, London 1934 .

Newall, The Crusades, New York 1963- pp. 92-93 .

٢- عن ذلك أنظر:

Jugie, " le Voyage de L'Empereur Manuel Paleologue en Occident" E.O. T. XV, 1912 , pp. 322-332 .

وأنظر أيضاً هذه الدراسة المتخصصة عن الإمبراطور مانويل الثانى بالبرولوجوس.

Barker, Manuel II Paleologus (1391-1425): A study in late Byzantine Statesmanship , New Brunswick 1969 .

مهما يكن من أمر ؛ حدث تطور مهم على صعيد العلاقات الكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني من خلال وحدة الكنيستين وهو أمر حدث في ٦ يوليو ١٤٣٩م في مجمع فلورنسا<sup>(١)</sup>، وتم ذلك في عهد الإمبراطور يوحنا الثامن John VIII (١٤٢٥-١٤٤٨م)

ومع ذلك ؛ حلت بأعداء البيزنطيين تطور عسكري وسياسي كان في صالحهم إذ أن العثمانيين ، قد نكبوا بالهزيمة من جانب التتار بقيادة تيمورلنك الذين دخلوا آسيا الصغرى ، وفي عام ١٤٠٢ ، حدثت معركة أنقرة<sup>(٢)</sup> التي كانت بمثابة كارثة حلت بالعثمانيين ، وفيها وقع السلطان بايزيد الأول أسيراً في قبضة القائد المذكور المنتصر في مشهد ينذر حدوثه خلال المرحلة التاريخية التي ظهرت فيها القوة العسكرية العثمانية متصاعدة دون أية انتكاسات .

١- عن المجمع المذكور أنظر:

Gill, The Council of Florence , Cambridge 1959 .

Gill. Ibid, p. 350 .

و يشير المؤلف إلى رفض الشعب البيزنطي لذلك أنظر أيضاً .

Id, " Greeks and latins in acommon Council : The Council of Florence (1438-1439) O. Chr. p. vol . XXV, 1959 , pp. 265-287

و بعد جبل متخصصاً في العلاقات البيزنطية اللاتينية خاصة خلال العصر البيزنطي المتأخر.

٢- عن معركة أنقرة أنظر:

ابن عرشاه ، عجائب المقدور في نوائب نيسور ، ط. بيروت ١٩٨٦م ، ص٣١٩-٣٣١ ، حاتم الطحاوي ، « معركة أنقرة ٨٠٤هـ / ١٤٠٢م مقدماتها ونتائجها » ، مجلة كلية الآداب- جامعة الزقازيق دراسات خاصة ، مايو ٢٠٠١م ، ص١٧-٣٩ ، دراسة ممتازة ابن تغري بردي ، النجم الزاهرة ، ج١٢ ص٢٦٧ ، ص٢٦٨ ، جوزيف داهوس ، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى ، ت. محمد فتحي الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٩٢م ، ص١٨٩ ، ص٢٠٦ ، عبد العزيز نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ، ط. القاهرة ١٩٩٨م ، ص١٥-١٦ ، إسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، تقديم ومراجعة حسن الزين ، ط. بيروت ١٩٨٨م ، ص٢٤-٢٥ ، نزار قازان ، سلاطين بني عثمان بين قتال الاخرة وفترة الإنكشارية ، ط. بيروت ١٩٩٢م ، ص٢٩ ، محمد فريد ، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م ، ص٢٣-٢٤ ، أحمد عبد الرحيم مصطفى ، أصول التاريخ العثماني ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م ، ص٥٨

و يقرر الموزخ القدير الأخير عن تقويمه لها ما نصه « معركة أنقرة ذات أهمية خاصة بالنسبة إلى التاريخ العثماني باعتبارها الهزيمة الساحقة الوحيدة التي حلت بالعثمانيين خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الدولة ، ولأنها المناسبة الوحيدة التي شهدت أسرى عاهل من آل عثمان ولكنها من ناحية أخرى ليست من =

ويلاحظ هنا؛ أن تلك الهزيمة تركت أثرها على الواقع السياسي والاجتماعي العثماني، إذ هناك من يقرر أنها انطلقت مرحلة من الاضطرابات والتوتر الاجتماعي السياسي والاجتماعي وظهور الحركات الدينية المعارضة في أنحاء الأراضي العثمانية وعدة انتفاضات

لقد أدى ذلك الأمر؛ ثم وفاة السلطان بايزيد بعد تلك المعركة بعام واحد؛ أدى إلى «تأجيل» نجاح العثمانيين في وضع أقدامهم على أرض القسطنطينية لعدة عقود، مع ملاحظة أن تعبير «تأجيل» هنا من قبيل الاستعارة؛ نظراً لكون أحداث التاريخ لا تتأخر بل تحدث في توقيتها المحدد لها من خلال جملة ودفاع متعددة تمهد لها

مهما يكن من أمر؛ حكم من بعده ابنه محمد ١٤١٣ - ١٤٢١م، ومن بعد وفاته تولى الحكم ابنه مراد الثاني ١٤٢١ - ١٥٤١م، ومن أهم الأحداث خلال عهده؛ ما عرف بصليبية فارسنا The Crusade of Varna<sup>(١٦)</sup> وهي التي حدثت كنتيجة لدعوة البابا بوجينوس الرابع Eugenius IV<sup>(١٧)</sup> (١٤٣١ - ١٤٤٧م)؛ وذلك عام ١٤٤٠م، وقد تم تكوين جيش كبير

= المعارك التي غيرت مجرى التاريخ على اعتبار أنها لم تحول مجرى تاريخ المنتصر والمهزوم على حد سواء، أنظر نفسه، ص ٥٨

ابن عرشاه، عجائب المقدور في نواب تيسور، ط. بيروت ١٩٨٦م، وهو المصدر المتخصص عن تلك الشخصية، أيضاً؛

الفرمانى، أخبار الدول وآثار الأول، ط. بيروت ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٤٩٩ - ص ٥٠٦  
Manz, The Rise and Rule of Tamerlane Cambridge 1989 .

وتعد أفضل ما كتب بالإنجليزية عن الموضوع المذكور.

أيضاً؛ محمود السيد، من تاريخ عرب الشام في العصر المملوكى، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م، ص ١٤٩ - ص ١٥٠

٢- فنرنا Varna؛ وهي ورنه المروفة باسم أوديسوس Odessos وقد وقعت على الساحل الغربي من البحر الأسود The Black Sea، عنها أنظر؛

O.D.B., vol. III, p. 2154 .

٣- البابا بوجينوس الرابع؛ تولى المنصب البابوي خلال مرحلة من ٣ مارس ١٤٣١ إلى ٢٣ فبراير ١٤٤٧م، وذلك في أعقاب وفاة البابا بندكت الرابع عشر Benedict XIV وهو بابا غير شرعى، عنه أنظر؛ Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 241-242 .

بولندي هنغاري من نحو ٢٥,٠٠٠ رجل قاده هيونادي أوف ترانسلفانيا Hunyadi of Tran-sylvania، وجورج برانكوفيك الصربي George Brankovic of Serbia وتقدم في ١٤٤٣-١٤٤٤م صوب البلقان حيث تم تحقيق عدد من الانتصارات ضد الأتراك<sup>(١)</sup>

وكان من نتائج ذلك ؛ أن قام السلطان مراد الثاني بعقد اتفاق سلمي لمدة ١٠ سنوات مع القيادات السالفة الذكر في يوليو ١٤٤٤م ، وعندما سحب قواته، لم يحترم الصليبيون صراحتهم في غالبتهم وهاجموا العثمانيين في فارنا Varna في ١٠ نوفمبر عام ١٤٤٤م، وهناك تم إلحاق الهزيمة بتلك الصليبية وعن ذلك مكسباً كبيراً عسكرياً وسياسياً للعثمانيين<sup>(٢)</sup>.

ويعتبر أحد كبار المؤرخين في مجال الدراسات العثمانية ؛ أن معركة فارنا تعد آخر محاولة صليبية جماعية ضد الأتراك العثمانيين وقد كانت أخبار النكبة التي منى بها الصليبيون خلالها من العوامل الأساسية التي جعلت الحكام الأوربيين يعتقدون أن فكرة الحرب الصليبية لاجدوى من ورائها ، وهكذا ، لم يعد هناك أمل أمام إمبراطور القسطنطينية بعد تلك المعركة ، وقد تولى محمد الفاتح مهمة تربيته ضربة قاضية لآخر معقل للإمبراطور<sup>(٣)</sup>.

---

O.D.B., vol . 3, p. 2154 .

٢- عن صليبية فارنا ؛ أنظر هذه الدراسة المهمة :

Halecki, The Crusade of Varna, New York 1943 .

وتعد من أفضل الدراسات المتخصصة في الموضوع المذكور.

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 643 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 423 .

O.D.B., vol . III, p. 154 .

Norwich . Short History of Byzantium , p 369-370

عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية ، العصر الحديث، ص ٢١

٣- نفسه، نفس المرجع والصفحة .

وأود الاشارة بكتاب المؤرخ الكبير الراحل

على أبة حال ؛ لم يكن ذلك السلطان العثماني ليتوقف عن تحقيق ذلك الحلم الذي طالما راود المسلمين منذ قرون خلت ، وهكذا ؛ دعم قواته البرية والبحرية وتمكن بعد ثلاثة أعوام من الانتصار على الحملة الصليبية السالفة الذكر ، وبالتحديد عام ١٤٤٧م من الإنتصار على حاكم المورة Morca قسطنطين بالبولوج الذي أعلن خضوعه للسلطان ودفع له الجزية<sup>(١١)</sup>، بعد أن وضع له الفارق الشاسع بين الضعف البيزنطي والقوة العثمانية الفتية ، ومن المهم هنا ملاحظة أن العثمانيين يحققون هدفهم النهائي على صورة مرحلية ، ولاربط في أن تساقط الأطراف جاء مقدمة حقيقية لتوجيه الهجوم صوب القلب البيزنطي في نهاية المطاف.

ومع ذلك ؛ لم يتمكن مراد الثاني من فتح القسطنطينية تاركاً تلك المهمة التاريخية لمن يأتي من بعده

على أبة حال ؛ كان شرف فتح تلك العاصمة -التي أجهدت أعداها على مدى قرون متعددة- للسلطان محمد الثاني ابن مراد الثاني وهو الذي سيتلقب «بالفاتح» فيما بعد ؛ ويجدر بنا تسليط الأضواء عليه نظراً لدوره البارز في صنع فصل الحتام للتاريخ البيزنطي بكفاءة غير مسبوقه ومعه المسلمون بطبيعة الحال حتى لاتقع في مأزق دور الفرد في حركة التاريخ بمعزل عن المجموع 'بشرى المتعاون معه .

وقد ولد محمد الثاني بن مراد الثاني في ٢٠ أبريل عام ١٤٢٩م<sup>(١٢)</sup>، وتولى الحكم عام ١٤٥٩م، وهو في الثانية والعشرين من العمر

ويلاحظ أن عوض صغر عمره بوجود عدد من المستشارين المحتكين الذين قدموا له كل نصيحة صائبة أفادت تحركاته السياسية والعسكرية وجنبته الوقوع في مواقع الذلل.

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٣٦

٢- لانخفل في مرحلة نشئة محمد الثاني دوراً بارزاً قام به إثنان من العلماء هما: آمد شمس الدين ، وأحمد إسماعيل كوراني، ولقد حرصا على تعليمه تعليماً راقياً ، وقد وضعوا في ذهنه ضرورة أن يكون فتح القسطنطينية على يديه على نحو عمق الهدف في ذهنه . عن ذلك أنظر:

محمد طه جاسر ، تركية ميدان الصراع بين الشرق والغرب ، ط. دمشق ٧٠٠٧م، ص٤٣-٤٤

ومن المهم هنا الإقرار بأن دور الحاشية عموماً يحتل أهمية كبرى في التاريخ، وكثيراً ما أدت إلى أخطأ، فانتلة عندما لم تحسن التصح أو زينت أمور الحاكم دون النظر إلى الصالح العام.



ويلاحظ أن ذلك السلطان جمع بين البراعة العسكرية ومحبة العلم واتجه إلى قراءة كتب التاريخ والتشجيع بسير كبار أعلامه، ولاتفعل إجادته لعدة لغات مما عكس أننا أمام حاكم مسلم مثقف<sup>(١)</sup>

ومن المهم إدراك بعض الزوايا فيما يتصل بدوره في فتح القسطنطينية ويمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: اتجه ذلك السلطان إلى حصار تلك المدينة في أوائل أبريل عام ١٤٥٣ م وذلك بعد عامين فقط من توليه الحكم؛ مما عكس جدته وإدراكه لأهمية هدفه المنشود مبكراً من جهة البر بجيش قدره البعض بـ ٢٥٠ ألف رجل - وقد يكون في الرقم مبالغة - أما من جهة البحر؛ فقد حاصرها بـ ١٨٠ سفينة، كذلك أقام حول المدينة المذكورة ٢٤ بطارية مدفعية لك دفاعاتها، ولاشك؛ في أن كافة تلك الاستعدادات استغرقت منه وقتاً طويلاً ولم يسمع في تاريخ بيزنطة أن واجهت من قبل قوة برية وبحرية بتلك الصورة منذ افتتاح العاصمة في القرن الرابع الميلادي.

ثانياً: قام العثمانيون بوضع مدافع خاصة تمكن من صنعها مهندس مجرى اسمه أورباس<sup>(٢)</sup>، على الهضاب المجاورة للسفور، وكذلك القرن الذهبي مهمتها تدمير السفن البيزنطية، وكان لذلك أثره في أن عرقل حركة السفن المعادية وأصابها بالشلل.

١- عن السلطان محمد الفاتح أنظر:

Kritovolos, History of Mohamed The Conqueror, Trans . by Charles T. Riggs, Princeton 1954 .

Babinger, Mehmet der Eroberer und seine Zeit, Munich 1953 .

وهي أفضل دراسة بالألمانية في موضوعها

سالم الرشيدى . محمد الفاتح، ط. جدة ، ١٩٨٩م.

٢- عن ذلك أنظر:

Schlumberger . Le Siege, la prise, et le Sac de Constantinople par les Turcs, Paris 1914 .

زيدة عطا، الترك في العصور الوسطى، بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون . ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص١٨٨- ص٢٠٦ . حيث تقدم عرضاً ممتازاً يكشف عن مؤرخة خبيرة وأنظر الملاحق في ختام الكتاب أيضاً من المفيد الرجوع إلى

ثالثاً : دعمَ جهود العثمانيون الحربية تشييد قلعة روم إلى حصار الضخمة عام ١٤٥١م على بعد لايتجاوز ٧ كم. من أبواب القسطنطينية في منطقة البسفور على الجانب الأوروبى مقابل قلعة سابقة فى آسيا الصغرى عرفت باسم أناضولى حصار التى شيدها بايزيد وتمكن محمد الثانى بذلك من أن يشرف على المضيق ، واستطاع أن يمنع أية إمدادات تصل إلى العاصمة البيزنطية. وضمن أن يضع فى قبضته حرية المرور بين الأناضول ، وأوروبا<sup>(٢١)</sup>.

رابعاً أنشأ ذلك السلطان حوالى ٧٠ سفينة خفيفة وعمل على أن يحمل برأ من منطقة البسفور إلى خليج القرن الذهبى وقد تم ذلك فى ليلة واحدة وهو عمل عبقرى عكس براعة عسكرية غير مسبوقة ، وهدف من وراء ذلك ؛ تشتيت جهود المدافعين عن القسطنطينية<sup>(٢٢)</sup>، حتى يجعل البيزنطيين يقومون بنقل جزء كبير من قواتهم إلى شاطئ الخليج على نحو يضعف الجبهة البرية الغربية الوحيدة<sup>(٢٣)</sup>.

خامساً ظل المقاتلون المسلمون يشددون حصارهم حتى إذا لاح فجر يوم الثلاثاء ٢٩ مايو ١٤٥٣م بدأ الهجوم العام على العاصمة البيزنطية ؛ وذلك بعد حصار دام ٤٥ يوماً وكان الهجوم برياً ، وبحرباً فى أن واحد وبالفعل سقطت<sup>(٢٤)</sup> المدينة، وسقط الكثيرون من المسلمين شهداء ذلك اليوم التاريخى ، وسقط الكثيرون من البيزنطى قتل خلال دفاعهم عنها.

= محمد مفيد الشرباشى. ألمع ساعات المرجع فى تاريخ الإنسانية. ط. القاهرة ٢٠٠٤م. ص ٩١  
ص ٨٧-١٠٠ ، مى علوش ، أشهر حصارات المدن فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ١١٩-١٢٦  
١- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ت. نبیه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط. بيروت ١٩٩٨م. ص ٤٣

٢- مفيد الزيدى. العصر العثمانى، موسوعة التاريخ الإسلامى؛ ط. عمان ٢٠٠٣م. ص ٢٠

٣- Runciman, The Fall of Constantinople 1453, Cambridge 1965. pp. 105-106.

٤- محمد طه جاسر ، تركية ميدان الصراع بين الشرق والغرب، ص ٤٢

٥- عن سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م أنظر:

Doukas. Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks, trans. by Magoulas. Detroit 1975.

أتوجه بالشكر للزميل د. حاتم الطحاوى الذى قام بتزويدي بهذا المصدر التاريخى

Kritovoulos . History of Mehmed the conqueror. pp. 66-72 .

Nicola Barbaro , Diary, of the Siege of Constantinople 1453 . Trans. by J R. Jones. New York 1969

وكذلك قتل الامبراطور قسطنطين الحادى عشر<sup>(١١)</sup>، وسط جنوده المدافعين عن العاصمة .

= وله ترجمة قيمة قام بها حاتم الطحاوى أنظر: الفتح الاسلامى للقنطنطينية ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.  
The Siege of Constantinople 1453 , Seven Contemporary Accounts, trans . by J.R. Jones, Amsterdam 1972 .

ويحتوى الكتاب الأخير على عدة مصادر هي : Giacomo Tedali , Leonicus Chalcocondylas , Michael Ducas , Christophes Riccherio , Zorzi Dolfin , Angelo Gioranni Lomellino , Leonard of Chios .

وتوجد ترجمة عربية ممتازة له مزودة بمقدمة اضافية وتعليقات ثرية من جانب المؤرخ الراحل حاتم الطحاوى، تحت عنوان: جوائز الحصار العثمانى للقنطنطينية سبعة مصادر معاصرة، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

أنظر أيضاً: Nicolle, Constantinople 1453 , The end of Byzantium , London 2005 , pp. 69-82 .

Schlumberger , Le Siege , La Prise et le Sac de Constantinople par les Turcs en 1453 , Paris , 1922 .

ويعد من أهم الدراسات فى موضوعه على الرغم من تأليفه فى الربع الأول من القرن العشرين.

Asimov, Constantinople, The Forgotten Empire, p. 260 .

برنارد لويص، استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، ت. سيد رضوان على ، ط. الرياض ١٩٨٢م، ص١٥-٢٦ ، على محمد الصلابى، فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية، وقاهر الروم. ط. دمشق ١٩٩٣م، ص١٢٦ ، صالح السعدون، فتح القسطنطينية ، ط. دمشق ب-ت ، ص٨٤ .

١- عن ذلك الإمبراطور أنظر:

Mijatovich, Constantine Palaeologus, The last Emperor of the Greeks, 1448-1453, Chicago 1968 .

Nicol, The Immortal Emperor , The life and Legend of Constantintine Palaeologos, last Emperor of the Romans, Cambridge 2002, pp. 54-128 .

Kordoses, " The question of Constantine Palaiologos Coronation", in Beaton and Roueche (eds), The Making of Byzantine History Studies dedicated to donald M. Nicol, Centre for Hellenic Studies King's College , pp. 137-141 .

وواقع الأمر؛ تعد نهاية الامبراطور البيزنطي الأخير موضعاً للتأمل فقد طلب منه محمد الثاني الاستسلام ، والمخرج بسلام من القسطنطينية غير أنه أبى ذلك، وظل يقاوم إلى أن قتل على الرغم من أن الوضع العسكري القائم حينذاك يؤكد بما لا مزيد عليه أن الانتصار حتماً سيكون لصالح العثمانيين . ومنطقي أن ذلك الامبراطور ومن بقى معه مدافعاً عن العاصمة البيزنطية كانوا يدركون ذلك تمام الإدراك.

والتساؤل الذي يثار هنا ؛ لماذا ظل يقاوم أمام قوة كاسحة برية وبحرية لا قبل له بها ؟ ومن المفترض أنه أدرك أن الموت محيط به لا محالة . ولذلك رأى أن يموت بشرف حتى لا يقال عنه أنه استسلم ذليلاً لأعدائه . وهو في ذلك يذكرنا بمقاومة عناصر الاستتارية والدائرة خلال حصار السلطان الملوكي الأشرف خليل بن قلاوون لمكا عام ١٢٩١م على الرغم من عدم تقديري لتلك العناصر التي شاركت في نهب الشرق طوال قرنين كاملين هما القرنين ١٢م.

على أية حال فإن ذلك الامبراطور الذي قاتل ولم يستسلم؛ يستحق منا الاحترام، وهذا هو ما بقى منه للتاريخ ، فلاعجب والأمر كذلك أن نسجت حوله أسطورة. وهو في ذلك يتشابه مع شخصيات قيادية نسجت حولها أساطير مثل شارلمان وفرديريك بارباروسا وغيرهما .

ومن المهم هنا ؛ تناول سلوك السلطان محمد الذي لقب بالفاتح تجاه المدينة . وسكانها والواقع أنه عامل أهلها معاملة متحضرة . وقد أمر جنوده بحسن معاملة الأسرى البيزنطيين. وافتدى من ماله الخاص عدداً كبيراً من الأسرى<sup>(١١)</sup> . وخاصة الأمراء . ورجال الدين مكرماً ما قام به من قبل - منذ ٢٦٦ عاماً - السلطان صلاح الدين الأيوبي عندما دخل بيت المقدس فاتحاً في ٢ أكتوبر ١١٨٧م<sup>(١٢)</sup> ليدخل التاريخ من بعد من أوسع أبوابه . ونسال تقدير المعاصرين حتى من غير المسلمين ومن بعدهم الباحثين الأوربيين المحدثين .

١- على محمد الصلابي . "دولة العثمانية عوامل نشيئة وأسباب السقوط" ط. بيروت ١٩٩٩  
ص١٧٧- ١٧٩ . فاتح القسطنطينية . ص١٣٧- ١٣٨ . سلامة البلوي . صور من تسامح المغنارة الإسلامية مع غير المسلمين . ط. :لشارقة ٢٠٠٣م . ص٧٩

٢- عن ذلك أنظر: ابن الأثير . الكامل . ج. ١١ . ص٢٢٥ . الفتح البنداري . منا البرق الشامي . تحقيق فتحة السراوي . ط. القاهرة ١٩٧٩م . ص٣٨٥ . مالكوم ليرتز جاكسون . صلاح الدين . ت. على ماضي ومراجعة نقولا زيادة وفهسي سعد . ط. بيروت ١٩٨٨م . ص٣٢ . عزيز سوريال عطية . الحروب الصليبية كما رآها العرب . ص٢٤٩ . على عبد الحليم محمود . الغزو الصليبي والعالم الإسلامي . ط. الرياض =

وهكذا : لم يحل بالعاصمة الإمبراطورية ما حل بها من قبل عام ١٢٠٤م. وهو أمر فصلته من قبل- والتعليل الوحيد يكمن في الفارق الشاسع بين عدو متبرير واجهته بيزنطة عام ١٢٠٤م ، وعدو متحضر عام ١٤٥٣م ، وذلك دون شيفونية جوفاء بل بروح الموضوعية الواجبة.

وأكرم عبارة ابن بيزنطة الملوك نيكيتاس خونياتس Nicetas Choniates<sup>(١١)</sup> المعاصر لأحداث الصليبية الرابعة والذي كتب وقائعها بمداد الألم ، وعلى أوراق المرارة، والحزن القتال، وقد تمنى أن تسقط عاصمته الأثيرة إلى نفسه على أيدي المسلمين لا اللاتين ، وبالفعل محقق ذلك عام ١٤٥٣م<sup>(١٢)</sup>. ولاريب في أن البيزنطيين منهم من رأى أنه خير لبيزنطة أن تحتلها عمائم العثمانيين الخضراء ، عن أن تحتل من جانب القبعه البابوية<sup>(١٣)</sup>. أفضل إليه ، وهو اعتقاد تأتي من خلال تجربة بيزنطة المريرة مع الغرب الأوربي.

على أية حال ؛ وجدنا محمد الفاتح القائد الشاب لا ينتشر بخمر النصر على عكس ما حدث لعشرات المنتصرين في العصور الوسطى بصفة عامة؛ ولم يقم جنوده باغتصاب الراهبات

= ١٩٨٢م. ص ١٠٦ ، كارين آرمسترونج ، الحرب الصليبية الحملات الصليبية وأثرها على العالم العربي، ت. سامي الكمكي ، ط. بيروت ٢٠٠٤م، ص ٣١٩ ، مصطفى الحباري، صلاح الدين القائد وعصره، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ٣١٩ ، محمد حسن شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى ، دراسة موثقة ، ط. دمشق بيروت ١٩٩٤م، ص ١٣١ - ١٣٢

١- عنه أنظر المدخل الجيوجغرافي.

٢- من قبل اعتقد أ.د. إسحق عبيد ؛ أن عوامل الإنهيار الداخلي التي ألمت بيزنطة كانت حاسمة في سقوطها الداخلي وذكر ما نصه : لم يكن عسيراً على السلطان محمد الفاتح في ٢٩ مايو ١٤٥٣ أن يدخل مدينة لسطنطين ويعلن زوال الإمبراطورية الرومانية الشرقية من الوجود وإلى الأبد. لقد سقطت بيزنطة من الداخل، ولم يكن للفرك حتى مجرد شرف الإجهاز عليها، لقد كانت كالمخلوق الذي إنتهره . أنظر إسحق عبيد ، الدولة البيزنطية في عصر بالبولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢م، ص ١٢

والواقع إنني اختلف مع أساتذتنا القدير، لأن الإعداد لانسقاط العاصمة البيزنطية . والمجهودات البارزة التي استغرقت عدة أعوام متواصلة لإسقاط عاصمة استمعصت على الكثيرين على مدى قرون متعددة ، تمنعني أرى أن محمد الفاتح ومن خلفه المسلمون بالفعل صاحب شرف إسقاطها بجداره؛ وهو إنجاز تاريخي غير مسوق . وأن العوامل الداخلية للضعف مهما كان تأثيرها لا تكتمل إلا بالفعل الخارجي الذي يحسن استقلالها وهو ما تم بالفعل في العام المذكور .

٣- اسحق عبيد، الدولة البيزنطية في عصر بالبولوغوس، ص ١٢٦

كما حدث عام ١٢٠٤ م- كما أسلفت الذكر من قبل- كما اجتمع بكبار رجال الدين وطبأنهم على أرواحهم وعقائدهم . وتم انتخاب بطريك جديد ، وأحسن استقباله وكان البيزنطيون يتصورون واهمين أن القتل الجماعي سيحل بهم ، والواقع أنه بعد أيام قليلة استؤنفت الحياة العادية فى أمن وسلام حرمت منه العاصمة البيزنطية طويلاً ، وهكذا تحقق على أيدي العثمانيين سقوط القسطنطينية ، حلم الاسلام الحربى الكبير<sup>(١)</sup>.

من ناحية أخرى ؛ تم إختيار كنيسة أيا صوفيا Hagia Sophia لتكون بمثابة الجامع الرئيسى للعاصمة عقب الفتح، وحيث أن الإسلام رفض تصوير الكائنات الحية لذلك تم تغطية الفسيفساء والذهبية التى تمثل الفن البيزنطى أفضل تمثيل بطبقة كلسية. كذلك ثم إقامة محراب فى وسط الجناح الجنوبى للكنيسة، وإلى اليمين منه أقيم المنبر المتجه المقصورة ؛ كذلك تم وضع لوحات النقوش الضخمة بأحرف بلغ طولها تسعة أمتار احتوت على اسم الجلالة، والرسول (ص) والخلفاء الراشدين وذلك بما الذهب على لوحات مستديرة . فى عهد مراد الرابع (١٦٢٣- ١٦٤٠ م) ، كذلك تم تشييد أربعة منارات إحداهما شيدت فى عهد محمد الفاتح ، والثلاث الأخرى أقيمت فى عهد من حكم من بعده<sup>(٢)</sup>.

وهناك زاوية مهمة تضاف إلى ما سبق؛ إذ أن سقوط القسطنطينية فى العام السالف الذكر لم يكن ليعنى انتهاء الوجود البيزنطى بل ظل قائماً فى صورة امبراطورية طرابيزون التى ظلت قائمة بعد ذلك بسبع سنوات إلى أن استسلمت للسلطان محمد الفاتح عام ١٤٦١م<sup>(٣)</sup>.

١- أحمد فزاد سيد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بنى أبوب ٥٦٧هـ / ٦٤٨ هـ. ط. القاهرة

٢٠٠٢م. ص ١٨٠

وأرد الإشادة فهذه الدراسة التى أعدها المؤرخ الراحل الفذ أحمد فزاد سيد ، عنه أنظر مقالتي: محمد منسى عوض، عصر الحروب الصليبية، بحوث ومقالات ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م. ص ٢٤٣- ٢٥٣

٢- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٣٢

وعن تحويل كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد أنظر

Parker, Early Modern Tales of Orient . London 1999, p. 264 .

Norwich , Byzantium , The decline and Fall, p. 437

٣- عمر كمال نوفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٤٣

تبقى هناك، ملاحظة على جانب كبير من الأهمية، إذ في تاريخ العصور الوسطى ثلاث قيادات بارزة حملت أو وصفت بلقب «الفتح» هي كالاتي

أولاً: وليم «الفتح»<sup>(١)</sup> William The Conqueror؛ دوق نورمانديا الذي هزم الأنجلوسكسون في معركة هاستنجر بالإنجلترا عام ١٠٦٦م.

ثانياً: جنكيز خان الملقب «بفتح العالم»<sup>(٢)</sup>؛ القائد المغولي الذي ضم إليه الصين ١٢١٥م، وفتح مناطق عديده منها الدولة الخوارزمية ومناطق الاسماعيلية الزارية في شمالي إيران وتمكن أتباعه من دخول بغداد وإسقاط الخلافة العباسية عام ١٢٥٨م.

ثالثاً: محمد «الفتح»؛ مسقط بيزنطة ١٤٥٣م.

= وجدير بالذكر: أن ذلك السلطان واصل فتوحاته وأخضع صربيا عام ١٤٥٤م، ص ١٤٥٥م. وفي عام ١٤٥٦م؛ قام بحملة ضدها غير أنه لم يتمكن من الإستيلاء على بلجراد، عن ذلك أنظر: مجلاء، حسين توفيق، سياسة الدولة العثمانية في البلقان تجاه الصرب ١٣٢٦-١٤٥٩م. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة أسيوط عام ٢٠٠١م، ص ١٢٨

أيضاً بالتفصيل أنظر:

Inalcik. "The Ottoman Turks and The Crusades 1451-1522", Setton (ed.), History of the Crusades, vol. VI, Wisconsin 1989, pp. 311-353.

١- عن وليم الفتح أنظر:

William of Poitiers, Deeds of Duke William, in Houts, The Normans in Europe, Manchester 2000, p. 74-75.

Adams, The History of England from The Norman Conquest to the death of John (1066-1216). London 1905, p. 67-78.

Chibnall, The Normans, Massachesttle 2000, p. 29.

محمد محمد مرسى الشيخ، «الفتح النورمانى لإنجلترا - ملحمة فريدة في تاريخ إنجلترا ونورمانديا في العصور الوسطى»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسطى م (٢). ط. القاهرة: ١٩٨٣م، ص ٢٤٧-٢٥١، ص ٢٥١، سعيد السيد على فرغلى، «إضلال حكم الإنجلو سكسون في إنجلترا ١٧٩-١٠٦٦م / ٣٦٨-٤٥٨هـ»، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٤٩٤-٤٩٥

نور الدين خاتوم، تاريخ العصر الوسطى في أوروبا، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص ٦٩-٦٩٥

٢- عن جنكيز خان أنظر: عطا مللك الجوينى، تاريخ جهانكشاي، ت. محمد السعيد جمال الدين ضمن كتاب دولة الاسماعيلية في إيران، ط. القاهرة، ١٩٧٥م فلاديبير سينوف، حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية والعسكرية، ت. سعيد بن حذيفة الغامدى، ط. الرياض ١٩٨٣م، رمزي، تليفق الأخبار وتلفيق الآثار في وقائع قران، وبلغار ومعارك التشار، م. أورنورغ ١٩٠٨م، ص ٣٤٤، عباس إقبال، تاريخ =

وجدير بالذكر: أن المؤرخين الأوربيين حرصوا أشد الحرص على المبالغة فى تقديم وليم الفاتح وتكفل المؤرخون البريطانيون بتأليف مئات الدراسات عنه وتصويره على أنه من الأعداء عسكرياً وسياسياً من خلال دعاية قومية لاجدال فيها . حقيقة أ معركة هاستنجر لاتعد مجرد معركة عسكرية بل أنها بمثابة غزو حضارى فرنسى لاحتلرا وأنهت عزلتها من القارة الأوروبية؛ إلا أنها صرحت بقدر بارز من الدعاية السياسية عندما اتجه المؤرخون البريطانيون للكتابة التاريخية عنها.

أما جنكيز خان؛ الذى أقام إمبراطوريته على جماجم المسلمين ، ودمر حواضر الشرق الإسلامى التى كانت مزدهرة تجارياً وعلمياً بصورة غير مسبوقه ، مثل بغداد ، ونيابور ، ومرو ، وبخارى ، وأقام المذابح فى كل مكان حل فيه . فقد لقى من المؤرخين الغربيين التقدير ، وكتابات المؤرخين الروس<sup>(١١)</sup> ، والفرنسيين خير برهان ودليل ، بل اعتبره المؤرخ الأمريكى الراهم مايكل هارت من « المعظماء المائة فى التاريخ !!! »<sup>(١٢)</sup>.

فإذا اتجهنا إلى محمد الفاتح الذى تمكن من إسقاط بيزنطة- التى حوصرت من قبل (٢٩) مرة كما قرر البعض ، ونجح فى تحقيق ذلك وهو فى أوائل العشرينيات من عمره فهو أصغر

= المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ت. عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافى بأبوظى ٢٠٠٠م، ص٥٧- ص١١٣ . أحمد عطيط، حروب المغول ، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص١٨- ص١٩ . أحمد عودات وجميل بيضون وشهادة الناطور، تاريخ المغول والماليك فى القرن السابع الهجرى ، حتى القرن الثالث عشر الهجرى، ط. أريد ١٩٩٠م، ص٢٢ . محمود السيد، التتار والمغول، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص٦٠- ص٦٤ ، محمد الترنجى، بلاد الشام أبان الغزو المغولى ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص٢٣- ص٣٨ . محمد أسد الله صفا، جنكيز خان ، ط. بروت ١٤٠٨ هـ . هارولد لامب، جنكيز خان وجحافل المغول ، ت. مترى أمين ، ط. القاهرة ١٩٦٢م، السيد الباز العربى ، المغول ، ط. بيروت ١٩٨٦م، فزاد عبد المعطى العبياد، المغول فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٨٠م، حافظ حمدى ، الدولة الخوارزمية والمغول ، ط. القاهرة ١٩٤٩م، الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى، ط. القاهرة ١٩٤٠م قاسم عبده قاسم ، السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت ط. دمشق ١٩٩٨م، ص٩٧- ص٩٨ . محمد فتحي أمين، الغزو المغولى لبلاد الإسلام ، ط. دمشق ٢٠٠٥م، ابرار كريم الله ، من هـ المغول ، ت. رشيد رحيم ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.

١- على سبيل المثال أنظر:

فلاديسير ستينوف، حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية والعسكرية ، ت. سعيد بن حذيفة القامدى، ط. الرياض ١٩٨٣م.

Grusset , Histoire de , Le Monde Mongol , Paris 1922 .



فاتح بارز في العصور الوسطى على الأقل، محققاً إنجازاً عسكرياً وسياسياً غير مسبوق- فلم ينل منهم إلا العداوة الشديد واتهامه في أخلاقه على الرغم من تسامحه الفريد ولكن هي المركزية الأوروبية ذات المعايير المزدوجة ، ومن المضحكات المبكيات أن يردد البعض في الغرب الأوروبي والأمريكي في مطلع القرن الحادي والعشرين أن الإسلام دين الإرهاب بعد كل تلك الصفحات الناصعة من التسامح من جانب صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧م، ومحمد الفاتح عام ١٤٥٣م وغيرها

على أية حال ؛ تأكد المصنف البيزنطي من خلال أن «القلب» تغيير اسمه فصارت القسطنطينية تسمى إسلام بول أو مدينة الإسلام أو استانبول<sup>(١)</sup>، أو الاستانة . واختفى اسمها القديم إلى غير رجعة، ولم يعد موجوداً إلا في كتب التاريخ فقط، وظلت استانبول عاصمة للدولة العثمانية إلى أن قام مصطفى كمال أتاتورك بإسقاط الخلافة وتحويل العاصمة إلى انقره في مطلع عشرينات القرن العشرين ، وتحديداً عام ١٩٢٣م<sup>(٢)</sup>.

ولاربي في أن كافة تلك التغيرات كانت بمثابة النتيجة الطبيعية لما حدث خلال عام ١٤٥٣م الذي يعد - بكافة المقاييس - عاماً محورياً في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى وإيضاً بتحولات تاريخية لاحقة بعيدة المدى في التاريخ الحديث والمعاصر؛ مما عكس قدرة المسلمين على التأثير الواسع المدى في تاريخ القارة الأوروبية . وأن سبب ذلك حسرة كبيرة في نفوس المؤرخين الغربيين الذين كتبوا مؤلفاتهم عن التاريخ البيزنطي وتعترضوا لتلك الحادثة<sup>(٣)</sup>، وهناك منهم من وصف الواقعة على أنها «رد الإسلام الكبير»<sup>(٤)</sup>، وهو تعبير قوي الدلالة بطبيعة الحال.

١- عن استانبول أنظر آدم الدم، دانيال غرقمان ، وروس ماسترز ، المدينة العثمانية بين الشرق والغرب، حلب ، أزمير واسطنبول، ت. زكي زيان، ط. الرياض ٢٠٠٤م.

٢- عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٥

٣- من أمثلة هؤلاء، نذكر شارلز أورمان الذي أورد ما نعه «وأخيراً وصل السلطان (يقصد محمد الفاتح) إلى سانت صوفيا حيث كانت جموع الأسرى الباكبة يوزع بين جنوده ، وقد دخل من الباب الشرقي وأمر أحد العلماء بصعود المنبر وأن تقرأ هناك صيغة الشهد الإسلامي وهكذا؛ دوى الصوت بأنه الله أكبر محمد رسوله في القبة التي أحيى فيها ثلاثون جيلاً من الطائفة العشاء الرباني المقدس وعرفت أوربا كلها وأسبأ أن الستار قد أسدل على أطول قصة رأتها المسيحية لإحدى الامبراطوريات .أنظر: شارلز أورمان، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦٦

٤- فرديناند بروديل، البحر المتوسط المجال والتاريخ، ت. يوسف شلب الشام، ط. حصص ٢٠٠٠م، ص ١٧٦

وهكذا ؛ كان التاريخ البيزنطي بمثابة قصة طويلة عنيفة للصراع مع الموت عبر الزمان على مدى ما زاد على الأحد عشر قرناً ، الميلاد فى ١١ مايو ٣٣٠ . والمات ٢٩ مايو ١٤٥٣م ، ولانغفل أن نفس الشهر الذى ولدت فيه كان لها مع الموت موعد ؛ وتلك من مفارقات التاريخ وما أكثر مفارقاته !!!

على أية حال ؛ فإن السقوط البيزنطى كان مدوياً ، ويكفى أن هناك من المؤرخين من تصور أن عام ١٤٥٣م ؛ يصلح ليكون بداية تاريخ العصر الحديث فى أوربا على اعتبار حدوث تلك الحادثة المحورية ، وكذلك نهاية حرب المائة عام بين إنجلترا ، وفرنسا فى العام المذكور<sup>(١)</sup> . مما عكس أهمية ذلك العام بأحداثه فى الشرق البيزنطى « سابقاً » ، والغرب الأوروبى على حد سواء .

أما نتائج عام ١٤٥٣م ؛ فيمكن ملاحظتها من خلال إرتفاع شأن الأتراك العثمانيين الذين ظهروا فى عيون رعاياهم على أنهم قادة الجهاد الإسلامى وقد لمححو فيما عجز عنه الحكام

١- نشبت حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا حيث حدثت نتيجة للصراع حول أملاك إنجلترا فى القارة الأوربية ، كذلك لانغفل الصراع الاقتصادى بين الدولتين وكذلك تصادم المصالح السياسية ، ويلاحظ أن تلك الحرب لم تستمر مائة عام على نحو الدقة بل (١١٦) عاماً ، وأهم ما يميزها ثلاث مراحل هى الأولى من ٣٢٧م إلى ١٣٨٠م وخلالها انتصر الإنجليز عند كريس ، واستولوا على كاليه ثم بواتيه أما الثانية ؛ فقد امتدت من ١٣٨٠ إلى ١٤١٥ م ولم تحدث خلالها صدامات كبيرة ، أما الثالثة ؛ فقد امتدت من ١٤١٥ إلى ١٤٥٣م وخلالها مجددت الحرب على يدى هنرى الخامس ملك إنجلترا ، وهوق برجنديا ، وحقق الإنجليز انتصاراً عند ازينكورت وقاموا بقتل شمالى فرنسا ، ثم قامت برجنديا بالتحالف مع فرنسا إلى أن تم طرد إنجلترا بصورة نهائية من أوربا ومن أهم أحداث تلك المرحلة قتل جان دارك عفراء . أورليان أورليان حرقاً عام ١٤٣١م ، عن حرب المائة عام أنظر:

Perroy, The Hundred Years War , Trans. by D.C. Douglas, London 1951 . Painter , A History of the Middle Age 284- 1500, New York 1954 , pp. 16-32 .

إسحق عبده ، « جان دارك رؤية من خلال الوثائق ضمن الرسم الثقافى للجمعية التاريخية المصرية . ط . القاهرة ١٩٧٨م .

الفيلد مارسال مونتيجومرى ، الحرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٦١ - ص ٢٩٧ ، سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ص ٤٩١ - ص ٥٠٥ ، مجموعة من المؤرخين الروس ، موجز تاريخ العالم ، ت . محمد عينانى ، ج ١ ، ط . بيروت ١٩٨٩م ، ص ١٩٣ - ص ١٩٤ ، موريس كين ، حضارة أوربا العصور الوسطى ، ت . قاسم عبده قاسم ، ط . القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ٢٢٤ - ص ٢٣٨ ، جلال يحيى ، التاريخ الأوروبى الحديث والمعاصر ، الفجر ، ط . الاسكندرية ١٩٨٣م ، ص ١٣٣ - ص ١٤١ .

المسلمون طوال العصور الوسطى، وهكذا؛ تمكن المسلمون في صورة الأتراك العثمانيين من أن يضعوا أقدامهم في القارة الأوروبية في الجزء الشرقي منها وبذلك حققوا حلمًا جماعيًا طالما داعب عقولهم منذ قرون طويلة مضت، ليستمر ذلك الوجود حتى يومنا هذا ليرتفع شأن تركيا في القرن السادس عشر في عالم البحر المتوسط<sup>(١١)</sup>، وقيمة ذلك العمل؛ أنه بعد حدوثه بأقل من أربعة عقود - كما أسلفت - إنتهى الوجود الإسلامى من الغرب الأوروبى ، فكأن عام ١٤٥٣م؛ جاء كبديل عن الإنسحاب الذى سيحدث فيما بعد بأقل من أربعة عقود عام ١٤٩٢م من خلال اتحاد فرديناند وإيزابيلا ضد بنى الأحمر فى غرناطة<sup>(١٢)</sup>، من الجهة المقابلة؛ واعنى بها شبه الجزيرة الأيبيرية بعد ثمانية قرون من الوجود الحضارى هناك

والأمر المؤكد؛ أن القرن الخامس عشر شهد تحولات جذرية على المستوى الجيوبولوتيكى بصورة دلت على أن عصرًا تاريخيًا جديدًا إفتتح، ولاشك فى أن المسلمين شاركوا بجدارته فى

١- فرديناند بروديل، تاريخ وقواعد الحضارات، ت حسين الشريف، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٠١

٢- فرديناند أرفرناندو؛ هو ابن ملك نبره خوان الأول ولد عام ١٤٥٣م، وقد تولى عرش مملكة أرتون من عام ١٤٧٩ إلى ١٥١٦م، كذلك اعتلى عرش مملكة نابولى عام ١٥٠٤ حتى ١٥١٦م، وصقلية من ١٤٦٨م إلى ١٥١٦م وقشتالة من ١٤٧٤ إلى ١٥٠٤ م، ثم تزوج من الملكة إزابيلا ملكة قشتالة وقاد الحرب ضد المسلمين فى غرناطة آخر معاللمهم فى الأندلس إلى أن سقطت عام ١٤٩٢م، أما إزابيلا، فقد وادت فى مدريدال دى الناس تورس عام ١٤٥١م وهى ابنة ملك قشتالة خوان الثانى، وأمها هى إزابيلا البرتغالية، وقد تزوجت من فريناند أمير أروغون وصقلية وقادت معه ما أسماه الأسيان حرب الاسترداد Reconquista، عن ذلك أنظر: مانويل جاسبار رميرو، رحيل أبى عبدالله مع أسرته وكبار أتباعه، ت. عبد الفتاح عوض، ضمن كتابه فصول فى تاريخ الأندلس - بداية النهاية، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٢٥٩ - ٢٧٦، محمد عبده، الانتفاضة السرية الملحقة بمعاودة تسليم غرناطة عرض وتحليل، ضمن كتاب بحوث ودراسات مهدها إلى عبد العزيز الدورى، ط. عمان ١٩٩٥م، ص ٢٥٥ - ٢٦٧، سحر محمد سالم، علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبيل وعقب سقوطها، المؤتمر العالمى الخامس للدراسات المورسكية الأندلسية حول الذكرى الخمسة سنه لسقوط غرناطة ١٤٢٢ - ١٩٩٢، إشراف عبد الجليل التميمى، ط. زغوان ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٩٣ حاشية (٤١)، واشنطن، أخبار سقوط غرناطة، ت. هانى يحيى نصرى، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ص ٢٢١ - ٤٢٨، على حسين الشطشاط، نهاية الوجود العربى فى الأندلس، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٧١ - ١١٤، محمد حسن العبدروس، تاريخ العرب المحدث، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٣١ - ٣٣، عبد العزيز نوار، ومحسود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربى الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ٩، عبد الحميد الطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوربى الحديث، ط. القاهرة، ص ١١

صنعه ، ولانغفل كذلك اكتشاف الأمريكتين من خلال حركة الكشوف الاسبانية على نحو مثل نقطة تحول تاريخية.

ولانغفل ناحية أخرى من نتائج ذلك الحدث ؛ إذ أن الكثيرين من العلماء البيزنطيين رحلوا إلى الغرب الأوربي من بعد دخول الأتراك العثمانيين القسطنطينية وكان لهم دورهم البارز في قيام النهضة الإيطالية قبل غيرها من الدول الأوروبية<sup>(١١)</sup> دون إغفال عوامل أخرى أدت إلى تلك الأسبقية الحضارية بطبيعة الحال.

ولانغفل ؛ أن الدولة العثمانية من الآن فصاعداً ستغدو أكثر من مجرد آلة حربية ، لقد أقام العثمانيون بوصفهم نخبة فاتحة، وحدة من الإيمان ، وكذلك الثقافة واللغة على مساحة تجاوزت مساحة الامبراطورية الرومانية، واعتنقها أعداد هائلة من الشعوب<sup>(١٢)</sup>، وإن كان ذلك جميعه لايقدم مبرراً كافياً لنشوء الرعب الأوربي من تلك الدولة المسلمة التي وضعت أقدامها على أرض القارة الأوربية بعد جهد جهيد وكفاح حفظ التاريخ ملامحه .

لانغفل كذلك أن سقوط العاصمة البيزنطية في التاريخ قد اعتبره البعض بمثابة انتقام أسبوري أخذت فيه آسيا بشأرها من فتوحات الاسكندر الأكبر أو أنها حركة مضادة للحروب الصليبية<sup>(١٣)</sup>، وإن كنت أتصور أن القضية ليست قضيه إنتقام بل نمو وتطور طبيعي لقوة الاسلام كدين فاتح وعابر للقارات في توسعاته .

١- زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ج ١، ص ٧٠، شوقي الجمل، وعبدالله عبد الرازق، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة ، ط القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٤، وعن عطا، بيزنطة الحضارى للعالم أنظر: Diehl , Byzantium , Greatness and decline, Trans. by Naomi Walford, New Jersey 1957 . pp. 227-288 .

٢- بول كيندى ، نشوء، وسقوط القوى العظمى، ت. مالك البديري، ط. عمان ١٩٩٤م، ص ٣٢ وأود الإشارة بهذه الدراسة لمفكر استراتيجى أمريكى وأشد بجهد المترجم الذى نقل ما فى وسعه لنقل ذلك الكتاب الموسع إلى العربية فى لغة سلسة .

٣- نجيم فوح ، تاريخ بيزنطة السياسى ص ٣٤٧ . هذه الفكرة نظرية للغاية وانفرد المؤرخ الفاضل بها ولا أميل إلى تأييدها

من ناحية أخرى ؛ أثارت تلك الحادثة التاريخية المحورية جدلاً بين المؤرخين حول من برث الامبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية ، ومن هي روما الثالثة ؟ ورأى البعض أن ذلك الوصف ينطبق على فيينا Vienne عاصمة الإمبراطورية الرومانية المقدسة؛ بينما رأى فريق آخر أن موسكو صاحبة ذلك الميراث<sup>(١)</sup>، ومنطقي أنه من الصعب حسم ذلك الأمر الجدلي.

ولانغفل كذلك؛ الإشارة إلى أن تلك الإمبراطورية التي حملت لواء المسيحية الأرثوذكسية على مدى عدة قرون، غدت مناراً للإسلام والدعوة لذلك الدين على الأرض الأوروبية<sup>(٢)</sup>. وتلك مفارقة من مفارقات التاريخ

والواقع أن «المات البيزنطي» على ذلك النحو يشير قضايا ملحة وهي التوقيت الزمني ، ثم تحليل عوامل السقوط، كذلك المسؤولية التاريخية عن ذلك بين الفردية، والجماعية ، أو بينهما معاً.

وفيما يتصل بالتوقيت الزمني؛ وهو عام ١٤٥٣م؛ من الملاحظ سقوط بيزنطة من قبل ذلك التاريخ بعدة قرون ، وعدة مرات ! وهنا ممكن التعجب في تاريخها المديد! إذ أنها سقطت أوروبا عندما قامت الإمبراطورية إبريى من قبلى يتسبيل عيني ابنها قسطنطين السادس سعياً وراءه بريق المنصب الإمبراطوري فأطفأت بريق عيني فلذة كبدها !!!

كما أن بيزنطة سقطت أخلاقياً من خلال كم المؤامرات والدسائس والفتن الغير مسبوقه التي حدثت بين ما يمكن ، وصفه «بالصفوة» السياسية والعسكرية والواقع أنها لم تكن - غالباً- صفوة على المستوى الأخلاقي لأنها كانت تستحل فعل أى جرائم من أجل بريق السلطة الأخاد بجامع العقول والقلوب ولا شئ غيرها !

١- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسة، ص٣٤٧، ولشرح هذه الزاوية ، هناك من يقرر أن المسيحيين اللاتين نظروا لأحداث عام ١٤٣ م على أنها بمثابة عقاب إلى حل بالبيزنطيين المهرطقين وانفصالهم عن كنيسة روما وشاكر الروس عناصر اللاتين في الفكرة المذكورة ، وأعتقدوا أن مرافقة الامبراطورية البيزنطية على مجمع فلورنسا نتج عنه أن انتزع الله منهم الرئاسة على العناصر الأرثوذكسية وبالتالي صارت موسكو- في تصورهم- القسطنطينية الجديدة أو روما الثالثة، عن ذلك انظر:

طارق منرى المسيحيون الشرقيون والإسلام، ضمن كتاب العلاقات الإسلامية - المسيحية ، قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، ط بيروت ١٩٩٤م، ص١٨٧، حاشية (٢٩)

ومع ذلك ؛ فالواقع أن عملية الإضمحلال ، والسقوط على المستوى التاريخي بصفة عامة عملية معقدة متداخلة العناصر<sup>(١)</sup> . وبالنسبة للتاريخ البيزنطي؛ تسببت فيها عدة عوامل ، والأمر المؤكد ؛ أن معركة مانزكورت عام ١٠٧١م ؛ أحدثت زلزالاً عنيقاً فى الجسد البيزنطي، أو كما وصفها طومسون J.K.J. Thomson بأن مفتاح الهزيمة تمثل فى تلك المعركة<sup>(٢)</sup>

وجدير بالذكر أن آسيا الصغرى مثلت - على مدى التاريخ البيزنطي- خط الدفاع الشرقى البالغ الامتداد عن القلب البيزنطي فى صورة القسطنطينية ، ومثلت الرئة التى تتنفس من خلالها الامبراطورية ، ناهيك عن دورها التجارى الممتاز . وهكذا فإن أحداث ١٠٧١م وما تلاه مثل نقطة تحول محورية فى تاريخ تلك الإمبراطورية نظراً لتأثيرها على آسيا الصغرى، على نحو خاص ولانفصل كذلك؛ أن الحركة الصليبية ذاتها جاءت بمثابة اختبار عسير للإمبراطورية التى دفعت الثمن فادحاً من خلال لعبة توازن القوى التى مارستها ببراعة من قبل، ثم سقطت ضحية لها فيما بعد؛ كما حدث فى عام ١٢٠٤م ومن الممكن القول أن القرنين ١٢ ، ١٣م، شاركا بفعالية فى الأحداث النهائية التى جرت فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى .

من جهة أخرى؛ لانتكر تأثير عوامل الاضمحلال الداخلية ، وقد تزايدت على نحو جلى فى عهد أسرة باليولوج دون أن نفصل بين ما حدث فى عهد تلك الأسرة والخط البياني الهابط لغير صالح تلك الإمبراطورية من قبل.

١- عن الاضمحلال فى التاريخ بوجه عام أنظر: آرثر هيرمان، فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى ت طلعت الشايب، تقديم رمضان بساوس ، المشروع القومى للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.  
ويغلب على الكتاب الطابع الفلسفى النظرى ويتعد أحياناً عن «التطبيق» العلمى التاريخى.  
٢- عن ذلك أنظر:

Thomson , Decline in History The European Experience , Cambridge 1998, p. 8 .

وفى ذلك يقول ما نصه

“ A key defeat was the battle of Manzikert in 1071, following which the Turks advanced to the very walls of Constantinople” p. 8 .

وقد درس المؤلف أمر الإضمحلال البيزنطي على مدى الفصل الرابع من دراسته القيمة عن ذلك انظر Thomson , pp. 3-9

وبصفة عامة ، تعد دراسته متميزة.

والمؤكد ؛ أن الحرب الأهلية والصراع على العرش الامبراطوري قد أجهد تلك الامبراطورية خاصة أنها استمرت عدة أعوام وهناك من يقرر أن تلك الحرب أدت إلى نشر الحروب فى أنحاء الامبراطورية، وخلال ذلك وجدنا الانقسام بين البيزنطيين إلى فريقين<sup>(١١)</sup>، كل فريق يؤيد أحد الساعين إلى ذلك المنصب وكل ذلك فى وقت كان البيزنطيون أحوج ما يكونوا إلى الوحدة والتماسك فى مواجهة الخطر الخارجى .

أما إذا اتجهنا صوب الجانب الاقتصادى والاجتماعى- وهو يحتل أهمية خاصة - نجد أن الخزانة الامبراطورية حينذاك صارت تعاني من نقص شديد ، خاصة أن الحروب قد انتشر من خلال الحرب الأهلية وتضائل شأن الرسوم الجمركية ؛ نظراً لاستئثار البنادقة والجنوية بجانب وافر من التجارة الخارجية وحصولهم على امتيازات كبيرة، ولذلك اضطرت الحكومة إلى خفض قيمة العملة وبل استدان الأباطرة ووصل بهم الأمر إلى حد رهن جواهر التاج<sup>(١٢)</sup>؛ مما عكس الوضع المالى المتردى الغير مسبوق

أما من الناحية الاجتماعية ؛ نلاحظ أنه منذ أواسط القرن الرابع عشر الميلادى ظهرت موجة من الثورة الاجتماعية فالعناصر الفقيرة ثارت ضد الطبقة الارستقراطية ، وفى مدينة سالونيك - على سبيل المثال- وهى التى وصفت بأنها المدينة الثانية فى الأهمية عنها الفوضى وقامت فيها حكومة ذات طابع جمهورى<sup>(١٣)</sup> ووجدت السلطة الامبراطورية مشقة بالغة فى إخضاعها فى عهد حنا كنتشاكوزين ولم يحدث ذلك إلا بشق الأنفس وبعد جهد جهيد<sup>(١٤)</sup>

أما على الصعيد الدينى؛ فلاريد فى أن مسألة توحيد الكنيستين الشرقية والغربية قد أجهد الامبراطورية البيزنطية وأدخل أهلها فى جدل وتصارع لم يكن من ورائه مغنم. ومن الأمور ذات الدلالة أنه فى عام ١٤٥٢م، وهو العام السابق مباشرة على الفتح العثمانى نشبت

Diethl. The Byzantine Empire, p. 18

- ١

Ibid. p. 19

Ibid. p. 17

- ٣

Ibid. p. 17

- ٤

مظاهرات صاحبة عند كنيسة أبا صوفيا نتيجة لتلك القضية ، واستمر الأمر موضعاً للخلاف حتى عندما كان العثمانيون يحاصرون العاصمة البيزنطية<sup>(١١)</sup>.

وإذا نظرنا صوب الجيش والأسطول نجد أن الأول بلغ درجة كبيرة من الضعف ، وثارت عناصر المرتزقة بل إن فرقة المرتزقة التي عرفت باسم جماعة الكاتلان الكبرى ،Catakan ، انتزعت غاليلوي Gallipoli ثم حاصرت القسطنطينية لمدة عامين<sup>(١٢)</sup> على نحو عكس الوضع المتردى الذي بلغه الجيش البيزنطي حينذاك.

أما الأسطول البيزنطي ، فقد حاول ميخائيل الثامن إعادة تنظيمه إلا أن من حكم من بعده من الأباطرة البيزنطيين وأوا أن الاحتفاظ بذلك الأسطول يمثل عبئاً مالياً كبيراً ، ولذلك أهملوه ، وهكذا ؛ ثم ترك حماية مصالح الإمبراطورية في القسم الشرقي من البحر المتوسط لأساطيل المدن التجارية الإيطالية<sup>(١٣)</sup>.

وهكذا يتأكد لنا أن الاحتضار البيزنطي تزايد بصورة واضحة فيما قبل الفتح العثماني للقسطنطينية ، ويتضح لنا بالفعل أن الانهيار شمل كافة المرافق والمؤسسات في الامبراطورية ، فإذا أضفنا ذلك أن الشخصية البيزنطية أصيبت في الصميم من جراء محنة ما بعد ١٢٠٤م ، أدركنا أن حجم الانهيار كان كبيراً

ومن الممكن الإقرار بأن السقوط كفكرة قديمة ومتكررة على مدى التاريخ البيزنطي ذاته ، كما أنها في عام ١٢٠٤م سقطت لأول مرة ، غير أن الفارق الجوهرى بين أحداث عامى ١٢٠٤م ، ١٤٥٣م؛ أنها استمرت بعد العام الأول ، وانتهت إلى غير رجعة بع العام الثانى ، وبالتالي بعد عام ١٤٥٣م؛ هو الأكثر بقاء ، ولالة فى التاريخ مقارنة بالأول حتى هذه اللحظة !! ولانغفل ، أن المرحلة الواقعة ما بين عامى ١٢٦١م حتى ١٤٥٣م يمكن أن توصف بأنها «الاحتضار البيزنطي طويل الأجل» ، ومن الممكن الافتراض- كتوع من الرياضة الذهنية لا أكثر حيث أنه لا يوجد لو فى التاريخ . أنه لولا حدوث كارثة أنقرة عام ١٤٠٢م؛ لكان من

Ibid, p. 158 .

-١

Ibid , p. 159 .

-٢

Dichl, Rhe Byzantine Empire, p. 160 .

-٣



الممكن أن يسقط الأتراك العثمانيون بيزنطة قبل عام ١٤٥٣ بعدة عقود، في عهد بايزيد الأول وليس في عهد محمد الفاتح ، وهكذا ؛ فإن عاملاً خارجياً في صورة التنازل بقيادة تيمورلنك ساعد على إطالة عمر تلك الإمبراطورية إلى أن سقط في العام المحدد لذلك ويلاحظ أن صراعات أعداء بيزنطة مع بعضهم البعض - على مدى تاريخها- أوى في أحيان متعددة أدت إلى «إطالة» عمرها وهو أمر تكرر مرات متعددة

نخلص من ذلك؛ أن عام ١٤٥٣م في الواقع تحديد زمني ينبغى ألا يوهننا بأن الإمبراطورية البيزنطية قد سقطت فيه بينما -نظرياً- سقطت من قبل ذلك عدة مرات في ظروف متباينة.

ونفس الأمر نجده لدى كيانات سياسية أوروبية ، وإسلامية معاصرة لتلك الإمبراطورية في مرحلة العصور الوسطى ومن أمثلة ذلك؛ مملكة بيت المقدس الصليبية ، والدولة الفاطمية والدولة الأيوبية ، فقد تصور الكثيرون أن الأولى سقطت من جراء حطين عام ١١٨٧م، بينما سقطت من قبل ذلك أديباً من خلال طبيعة الحركة الصليبية ذاتها كحركة متعصبة عنصرية ودم سوية<sup>(١)</sup> ، وتمثل المرحلة من ١١٧٤ - عام وفاة الملك عموري آخر الملوك الصليبيين الأقوياء- حتى عام ١١٨٧م احتضار ما قبل النهاية العسكرية في صورة حطين وأعقابها ونفس الأمر يقال عن الدولة الفاطمية التي لم تسقط عام ١١٧١م بل من قبل ذلك من خلال الصراع الشيعي السني محضرى التشكيك في نسب الفواطم من جانب العباسيين في عهده الحاكم والمستنصر على نحو أدى إلى هوانهم في نفوس رعاياهم ثم التصارع على السلطة بين الوزراء العظام كل ذلك جعل تلك الدولة تعيش نوعاً من الاحتضار الذي طال بها منذ عهد المستنصر (١٠٣٦-١٠٩٤م) خاصة منذ الشدة المستنصرية حتى عهد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين في مصر ناهيك عن العجز عن مواجهة الغزو الصليبي. أما الدولة الأيوبية قد

عن ذلك بالتفصيل محمد مزنس عوض. عوامل إخفاق المشروع الصليبي في القرن ١٣ م / ٥٧ .

نسن كتاب الحروب الصليبية الساسة . المباء . العقيدة . ط. القاهرة ١ . ٢ . ص٤١ - ص٦٧

وتقوم حالياً تليذنى صفا عثمان بإعداد أطروحتها للدكتوراه في نفس الموضوع وتحديداً بعنوان.

عوامل فشل المشروع الصليبي في القرن ١٣م

سقطت أديبا بمعاهدة يافا ١٢٢٩<sup>(١)</sup> والتفريط في القدس على يد الكامل الأيوبي قبل أن تسقط في عهد تورانشاه ١٢٥٠م.

أما العوامل التي أدت إلى الممات البيزنطى فيمكن إجمالها فى صورة عوامل داخلية وخارجية .

وفى تصورى: أن العوامل الداخلية لعبت دوراً فعالاً لا يقل عن العوامل الخارجية ، ولا تغفل أن الاثنين معاً تعاوناً

وفىما يتعلق بالعوامل الداخلية؛ هناك من المؤرخين الأوربيين من عمل على تركيز نظرتهم صوب آل باليولوج فقط، وبالتالي تصور أن ضعف تلك الأسرة البيزنطية الحاكمة على نحو

١- عن معاهدة يافا ١٢٢٩ م . أنظر:

Philip of Novara , The Crusade of Frederick II from Philip of Novara , in Peters (ed.) , Christian Society and the Crusades 1198-1229, Sources in Translation including The Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 , pp. 157-158 .

ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ . ص ٢٠٥؛ ابن نطف الحسوى ، التاريخ المنصورى - تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان، تحقيق أبو العبد دودو ، ط. دمشق ١٩٨٢م. ص ١٧٦ : ابن أبيك الفوادى ، الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص ٢٩٢ ، المغريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٣٠ - ص ٢٣٢ ، ذكرى عزيز محمد صالح الصانغ . عصر الملك الكامل الأيوبي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الموصل عام ١٩٨٨م، ص ١١٣ - ص ١١٤ . وأود الأشادة بالجهد المبذول فى هذه الرسالة ، محمد مزنى عرض ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٩١ - ص ٣٠٠ . أحمد رمضان ، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، الحروب الصليبية . ط. القاهرة ب-ت ، ص ١٧٩ ، نظير حسان سعداوى ، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، ط. القاهرة ١٩٦٦م، ص ٩٦ - ص ٩٧ ، رأفت عبد الحميد ، الملك الكامل بين «الانقراض والتفريط» فى مواجهة الصليبيين، ضمن كتاب قضايا من تاريخ الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٢٥ - ص ٢٠١ . فوزى رضوان العربى ، «بيت المقدس تحليل تاريخى» ، الندوة الدولية القدس والتاريخ والمستقبل تقديم أ.د. يوسف درويش غرافه ، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج ، ط. عمان ١٩٩٥م، ص ٦٨ - ص ٦٩ . سعيد عاشور «الامبراطور فردريك الثانى والشرق العربى» ، المجلة التاريخية المصرية عام ١٩٦٣م محمد مصطفى زيادة، مصر والحروب الصليبية ، رسائل الثقافة العربية ، منشورات وزارة الدفاع الوطنى، ط. القاهرة ١٩٥٤م، ص ١٢ باسين الكريشى، الأيوبيون فى شمال الشام والجزيرة ، رسالة دكتوراه كلية دار العلوم- جامعة القاهرة ، عام ١٩٨١م ، ص ٢٠٤

خاص هو السبب المباشر وراء سقوط الامبراطورية، وهو أمر غير منطقي لأنهم في هذه الحالة لا يبحثون عن أصول وجذور الاضمحلال، والواقع أن ذلك الاضمحلال عميق الجذور، وقد لاحظنا أن المنصب الإمبراطوري كان هذفاً لكل طامع خاصة من جانب المؤسسة العسكرية وكانت الوسيلة المثلى متمثلة في المؤامرات والانتقالات

وقد وصل إلى ذلك المنصب في الكثير من الأحيان أشخاص غير جديرين به، وبالتالي كان الضعف مصاحباً لهم، ومن بين عشرات الأباطرة لا نجد إلا أقل القليل منهم من لديه القدرات الفعلية لتولي القيادة البيزنطية بكفاءة تاريخية حقيقية.

ولاتفعل كذلك؛ الخلافات الدينية والمذهبية، ودورها الفعّال في استهلاك طاقات الإمبراطورية وتفكيك روابطها، كما أن سياسة الأباطرة تجاه القضايا الدينية كانت متغيرة وقضية الصراع على عبادة الأيقونات خير دليل على نحو إنعكس بدوره على مسار التاريخ البيزنطي ذاته.

من ناحية أخرى؛ نجد أن الجيش البيزنطي على نحو خاص، قد أصابه الوهن من قبل الأسرة البيزنطية الأخيرة، ومن بعد عام ١٠٧٨م مع حدوث معركة مانزكورت وهزيمة الامبراطورية على أيدي السلاجقة، نلاحظ إفتقاد بيزنطة للمقاطعات التي كانت تحصل منها على عناصر المرتزقة، وهكذا؛ صار الجيش البيزنطي في عصور الضعف لا يملك إمكانية الدفاع عن الامبراطورية خاصة مع تكالب الأعداء عليها من كل حذب وصوب.

كذلك لانفعل أهمية الناحية الاقتصادية، وإذا تعرضنا لأمر الإقطاع البيزنطي<sup>(١)</sup>، يلاحظ البعض أن الإمبراطور ميخائيل باليولوجوس حاول أن يرضى العناصر المؤيدة له من العناصر العسكرية وكذلك أصحاب الضياع الكبيرة من الطبقة النبيلة، وبعد أن كانت الإقطاعات الزراعية الكبيرة المسماة برونويا Pronoia يتم منحها لمدة محدودة وهي غالباً مدى الحياة دون أن تورث صارت وراثية، وصار لأصحاب البرونويات حق تورثها إلى أبنائهم منذ صور أمرها، وتزايد عدد البرونويات كنتاج لأمر التورث وقد صاحبها الاعفاء من الخدمة الحربية

١ - عن أمر الإقطاع البيزنطي أنظر:

Ostrogorsky, Pour L'Histoire de la Feodalité byzantine, Trans. by H. Kazdan and Epstein .  
Change in Byzantine Culture in The Eleventh and Twelfth Centuries, pp. 56-73

واضطرت الامبراطورية إلى استخدام عناصر المرتزقة ، على نحو زاد من أعبائها المالية المنهكة أصلاً. كذلك نلاحظ أن أباطرة أسرة البيولوغوس قاموا باعفاء الضياع الكبيرة من العناصر المدنية من الضرائب ، على نحو أدى إلى ضعف الموارد المالية ناهيك عن نقص الخدمات الحربية<sup>(١)</sup>.

فإذا أضفنا إلى ذلك كله؛ افتقاد بيزنطة للعديد من أملاكها وسيطرة البندقية عليها عقب الصليبية الرابعة؛ أدركنا كيف أن الضعف الاقتصادي قد رسم ملامح قضية الاضمحلال والسقوط البيزنطي.

وفى معرض تناولنا للعوامل الداخلية؛ قد يتصور البعض أن الامبراطور قسطنطين الحاد عشر آخر الأباطرة البيزنطيين يتحمل أكثر من غيره مسئولية سقوط بيزنطة . وكان الأمر ارتبط بسياسة شخص واحد فقط وهو أمر غير منطقي لأن عهده كان نتاجاً لمرحلة ضعف طريفة سابقة عليه وبالتالي فهو نتيجة أكثر من كونه سبباً.

واقع الأمر ، لا يتحمل الامبراطور الأخير الذى وقع فى عهده السقوط منفرداً ذلك بصفة عامة وينطبق ذلك على الخليفة الأموي مروان بن محمد عام ٧٥٠م. والخليفة الفاطمي العاضد عام ١١٧١م، والسلطان الأيوبي تورانشاه عام ١٢٥٠م. والخليفة العباسي المستعصم عام ١٢٥٨م، وطومانباي عام ١٥١٧م، ومثلما نقول دوماً أن التاريخ يصفه الفرد القائد ومعه شعبه فإن ذلك ينطبق على السقوط فى التاريخ أيضاً بنفس الدرجة.

أما العوامل الخارجية؛ فيمكن إبراز أهمها فى صورة البايوية ، والبنادقة والأتراك العثمانيين، فيلاحظ بالنسبة للأولى أنها ناصبت بيزنطة العداء على مراحل تاريخها المديد من قطيعة فوشبوس مروراً بالإنشقاق الاعظم ١٠٥٤م، إلى الدور المتآمر للبابا أنوسنت الثالث

١- حسين ربيع . دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ص٢٩٦

وعن البروتويا فى عهد آل كومنين أنظر

Osuogorsky . " Die Pronoia unter den Komkenen", Z.R.V.I., 1970, pp. 41-57

وتعد دراسات أوستروجرورسكى أفضل ما ظهر فى موضوع الإقطاع البيزنطي

حسين ربيع . المرجع السابق. ص٢٩٧

٢- عن تلك الأملاك أنظر الملحق الخاص بها

خلال الصليبية الرابعة، ثم عدم الاستجابة للاستغاثات البيزنطية في مرحلتها المتأخرة للغاية حتى بعد أن تحول إمبراطورها يوحنا كانتاكوزين عن الأثرة كسبية على نحو مهيمن. لقد كان ميراث العدا، بين الجانبين أكبر من إمكانية تناسبه مع استفحال الأخطار على الامبراطورية التي ظلت درعاً للمسيحية الشرقية عدة قرون.

وبالنسبة للبندقية: نجد أن منافستها التجارية لبيزنطة جعلتها تتآمر عليها في ظروف أحداث عام ١٢٠٤م ولاشك أن بيزنطة قُدمت الأتراك العثمانيين منهوكة القوى بعد ما حدث لها في خلال الصليبية الرابعة. وفي تصوري أن الموقع الجغرافي الفريد لبيزنطة وتحكمها في تجارة البحر الأسود وقسم فعال من تجارة البحر المتوسط قد جنى عليها أحياناً، وجر عليها صراع البندقية معها التي أبت إلا أن تقضى على مكانتها التجارية الرقيقة المنافسة لها، وينبغي ألا يتصور أحد؛ أن الإمبراطورية البيزنطية قد تعرضت لمؤامرة خارجية قضت عليها في النهاية؛ أن تلك الإمبراطورية «تآمرت» داخلياً على نفسها أولاً من خلال الصراعات السياسية التي استمرت حتى النهاية، وبالتالي؛ تعاونت مؤامرة الداخل، والخارج معاً؛ لتخط آخر فصول المسرحية البيزنطية البالغة الطول، والتي شارك في أدائها قوى سياسية عديدة على مسرح العلاقات الدولية بين الشرق والغرب [١]

أما الأتراك العثمانيون: فالملاحظ أنهم مثلوا دماً مجاهدة شابة جديدة وقدت إلى المنطقة، والواقع أن بيزنطة لم تكن في عصر تدهورها وهوانها نداءً لمواجهة تلك القوة الفتية الجديدة التي تحمس التخطيط بدقة وتجيد تنفيذ ما خطت له

بصفة عامة؛ من الملاحظ أن الأتراك العثمانيين إمتازوا بوضوح الهدف، والسعي له بكل وسيلة نحو تحقيقه، ولانغفل، براعة التخطيط على أساس علمي من خلال سلاح المعلومات التي توافرت لهم عن العدو البيزنطي، ثم الإعداد العلمي العسكري الفذ سراً؛ من خلال الجيش أو الأسطول على نحو صنع الانتصار الأخير للفعال الذي لا يزال يعيش حياً بيننا من خلال دولة تركيا حاليًا على الخريطة الأوروبية بالإضافة إلى آسيا الصغرى أو الأناضول.

والآن؛ تبرز قضية خاصة بالمسئولية التاريخية عن سقوط بيزنطة، هل فردية أم جماعية، والواقع أن القول بالجانب الفردي من خلال سلوكيات الأباطرة أنفسهم، ليس إلا نصف التفسير الواقعي لما حدث، فليس من المنطقي؛ تصور أن مجموعة من الأفراد أيًا كانت سلطاتهم المطلقة يمكن أن يزدوا - بمفردهم إلى سقوط كيان سياسي كبير في حجم الإمبراطورية البيزنطية.

واقع الأمر ؛ أن «الأغلبية الصامتة من الشعب البيزنطي» تتحمل جانباً كبيراً من المسئولية التاريخية، فمن غير المتصور أن يتم تصوير الأمر من خلال مسئولية فردية وترك الشعب البيزنطي ذاته دون أن يتحمل قسماً بارزاً فيها . وقد يرد البعض بأن العصور الوسطى لم تكن بها شعوب تشارك في صنع القرار السياسي كما في العصر الحديث، إلا أن ذلك لا يبرر الأمر، ولانسى أن القيادات السياسية البيزنطية هي إقراز حقيقي من الشعب البيزنطي ذاته بإيجابياته وسلبياته .

وبعد ؛ فلا مراء ؛ في أنها رحلة طويلة شاقة قطعتها بيزنطة ؛ كي تتكيف مع الأحداث الدولية ، وصراعات القوى الدولية المتعددة التي كانت تتقلب في تحالفاتها وعداواتها بين الحين والآخر، ولاريب؛ في أنه بين يوم ١١ مايو ٣٣٠ م، ٣٠-مايو ١٤٥٣؛ أي بين الميلاذ والمات عاشت تلك الإمبراطورية تصارع الزمن بين مد وجزر لكن لم يكن من الممكن البتة أن تقوى على منطق التاريخ الذي رأيناه لدى كافة الكيانات السياسية الأخرى في العصور القديمة والوسطى والحديثة عندما تضعف وتشيخ ويكون بالتالي الخروج من التاريخ، وكان ذلك على أيدي المسلمين من الأتراك العثمانيين الذين دخلوا التاريخ بجداره مثلما خرجت منه بيزنطة بجدار موازية؛ وأعنى بها جداره الضعف والهوان ثم الإنسحاب ؛ لأن التاريخ لا يصنعه إلا الأقباء !

تبقى زاوية أخيرة ، تتعلق بعض مقارنة موجزة بين إسقاط القسطنطينية عام ١٤٥٣م في أيدي العثمانيين ، وإسقاط الوجود الصليبي في عكا من قبل في عام ١٢٩١م بأيدي المماليك.

واقع الأمر ؛ أن هناك مشروعية للمقارنة ، على اعتبار أن الحدثين التاريخيين الكبيرين حدثا خلال مرحلة العصور الوسطى وضمن نطاق العلاقات بين الشرق والغرب ، كما أن الفارق بين الحادثتين ١٦٢ عاماً فقط.

ومع إدراكنا الأولى لوجود اختلافات بين مملكة بيت المقدس الصليبية التي تمتد مملكة عكا الصليبية بعد عام ١١٨٧م ، والدولة ذات طابع اقتصادي تجاري على نحو خاص، وكذلك العاصمة البيزنطية، ولم يكن غريباً والأمر كذلك؛ أن ذكر الرحالة الأندلسي البارز ابن جبير عندما زار عكا عبارته ذات الدلالة « المشبهة في عظمتها بالقسطنطينية<sup>(١)</sup> . »

١- الرحلة ، بيروت ب-ت ، ص٢١١ ، برنارد لويس، اكتشاف المسلمين لأوروبا ، ت. ماهر عبد الغفار، ط القاهرة ١٩٩٦م، ص١١٥

كذلك نلاحظ أن كلاً من التاريخين كان يعنى نهاية كيان مسيحي - بغض النظر عن عن مذهبه، وذلك لمصلحة التوسع السياسى للإسلام كدين، وهكذا ، فإن عام ١٢٩١م شهد نهاية الوجود الصليبي من بلاد الشام، وعام ١٤٥٣م شهد نهاية البيزنطى من القسطنطينية وانتهت تلك الامبراطورية ذاتها

من جهة أخرى؛ تتشابه الحادثتان من حيث أن من قام بالانحياز فى صورة المالك ومن بعدهم العثمانيون التزموا أنفسهم بالجهاد وهو ذروة سنام الإسلام، وبالتالي احتلت الدولتان مكانة بارزة من بين الدول الإسلامية فى العصور الوسطى.

ولانغفل كذلك أن المرحلة العمرية لكل من الأشرف خليل بن قلاوون ومحمد الفاتح العثماني كانت شابه على نحو عكس أن التاريخ من الممكن أن يصنعه الشباب صغير السن إذا ما كان مهياً أصلاً لصنعه بجدارة!

أما أوجه الاختلاف فتذكر منها ، أن الكيان الصليبي فى عكا كان آسيوياً بينما كان الكيان البيزنطى أوروبياً ، كذلك لم يكن لعكا ذات الموقع العبرى الذى كان للقسطنطينية ، ناهيك عن قصر عمر مملكة عكا مقارنة بالقسطنطينية واسعة المدى الزمنى، كذلك لانغفل أن سقوط عكا الصليبية لم يكن يعنى بداية عصر تاريخى جديد ؛ إذا استمرت مرحلة العصور الوسطى قائمة أما بالنسبة لسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م؛ فقد اعتبره البعض بداية لما عرف بالعصر الحديث، وتستدل من ذلك ؛ أن التاريخ الأخير يعد أكثر محورية مقارنة بالأول لاسيما فى النطاق الأوروبى.

على أية حال ؛ أبأ كانت أوجه التشابه والاختلاف فالأمر المؤكد أن الحادثتين تمثلان نقطتى تحول فى مرحلة العصور الوسطى ومنها ما كان فى فصولها الأخيرة:

نخلص من وراء ذلك كله أن الإضمحلال البيزنطى كانت له على المستوى الداخلى صور وأشكال مختلفة ومتعددة منها السياسى، والحربى، والاقتصادى وتعارفت معاً فى تزامن متكامل على نحو أدى إلى النهاية المعروفة وبالتالي لم يكن الأمر نتاجاً لعامل واحد بل عوامل مشتركة وفعالة فى نفس الحين

على أية حال ؛ إذا كان ذلك شأن السباسبية والحرب ، فيلاحظ أن الامبراطورية البيزنطية فى عصرها المتأخر أنجبت عدداً من الأعلام فى مجالات متعددة وكأنها تقفل للتاريخ أن لديها القدرة على إنجاب البدعين فى كافة المجالات حتى وهى فى النزوح الأخير ؛ ومن الممكن تقديم العديد من الأمثلة والنماذج فى هذا الشأن.

ففى مجال التاريخ ؛ نجد هناك جريجوروس باخميريس<sup>(١)</sup> Pachimeres (١٢٤٢-١٣١٠م) ويعد مصدراً أساسياً عن عهد كل من ميخائيل الثامن ، واندرونيكوس الثانى .

كذلك نشير إلى ميخائيل كريستوبوليس Michael Kerstoboulos والذى انحدر من أسرة عريقة من جزيرة إيمبروس Imbros، وقد تمكن من الوصول إلى شروط محددة مع الأتراك العثمانيين بعد عام ١٤٥٣م وعلى أساسها جعلوه يتولى إدارة جزيرته منذ عام ١٤٥٦م وقد ألف تاريخاً يتناول الأحداث ما بين عامى ١٤٥١م ، ١٤٦٧م ، وقام باهدائه للسلطان محمد الفاتح ووصفت كتاباته بالبلبل إلى الأتراك العثمانيين، ويعد ما كتبه مهماً خاصة فيما يتصل بالنهاية البيزنطية عام ١٤٥٣م<sup>(٢)</sup>.

أما فى مجال اللاهوت ؛ فنشير إلى جريجورى القبرص Gregory of Cyprus الذى تولى بطريركية القسطنطينية خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٢٨٣-١٢٨٩م وقد تولى ذلك المنصب فى عهد أندرونيكوس الثانى، وقد ألف كتابين فى الإيمان ، وفى «الانبثاق» ، وهناك من يقرر عنه أنه كان خطيباً لايشق له غبار وألف رسائل كثيرة<sup>(٣)</sup>.

وهناك أيضاً جناديوس سكلاريوس Gnadius Scholarius ، ويوصف بأنه أول بطريرك يتولى منصبه بعد الفتح العثماني للقسطنطينية ، وكان قد اشترك فى مجمع فلورنسا ، وقد أيد الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية ، غير أن فيما بعد عدل عن رأيه وصار من أشد خصوم الاتحاد بينهما ، ومن أهم مؤلفاته كتابه «المراثى» ويحتوى على مادة تاريخية مفيدة خاصة عن أوضاع الكنيسة الأرثوذكسية فى ظل الوجود العثماني<sup>(٤)</sup>.

١- عنه أنظر المدخل الجبلوغرافى

دونالد نيكول، معجم التراجم: لبيزنطية، ت.حسن جنى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٢٥١

٢- نفسه ، ص٢٥١

٣- أسد رستم، الروم، ج٢، ص٢٧١

Nicol , A Biographical dictionary , p. 45 .

٤- أسد رستم، المرجع السابق، ج٢، ص٢٥١



ومن أعلام اللاهوت: ديمتريوس كيدونيس Demetrius Cydones (١٣١٠-١٤١٠م) وقد قام بترجمة أحد مصنفات توماس الاكوينى إلى اليونانية وهناك من يقرر أن أفضل ما كتب مراسلاته مع مانويل الثانى، ويوحنا كنتاكرزين، وغيرها<sup>(١)</sup>.

كذلك لانغفل بيساريون Bessarion الذى تعرف أنه ولد فى طرابيزون حوالى عام ١٣٩٥م، وعم صوب العاصمة البيزنطية لمتابعة دراسته وفيما بعد انهاها على مدى بليثون الفيلسوف فى ميسترا فى المورة Morea ، مما يذكر عنه : مرافقته يوحنا الثامن إلى مجمع «فلورنسا»<sup>(٢)</sup>، وبعد سقوط بيزنطة عام ١٤٥٣ اتجه إلى ايطاليا وقد تمكن من جمع ٦٠٠ مخطوط دفع ثمنًا باهظًا لها وصارت فيما بعد نواة مكتبة البندقية<sup>(٣)</sup>.

ثم تسير إلى ابوجينيكوس Eugenicos والذى وصف بأنه من أشد من تمسك بالأرثوذكسية وقرارات المجامع المسكونية ، وقد حضر مجمع فلورنسا ورفض توقيع قراراته، واشتهر بمؤلفاته فى تنفيذ العقيدة اللاتينية ، كذلك هناك مراسلاته<sup>(٤)</sup>.

وفى مجال الفلسفة والأدب وقعه اللغة تشير إلى عدد من الأعلام ومنهم: جيمستوس Geomistus (ت ١٤٥٠م) الذى درس فى القسطنطينية وعشق الفكر الكلاسيكى وهناك من يقرر ترويجه لفكرة انشاء أكاديمية أفلاطونية فى فلورنسا ، وقد صنف مؤلفًا فى المفاضلة بين اثنين من أعلام الفكر الفلسفى اليونانى هما أفلاطون وأرسطو<sup>(٥)</sup>.

ومن أعلام البلاغة ، والمحطبة خلال تلك المرحلة :خمنوس Chumnos وقد ترك عشرات الرسائل فى مجالات الأدب وكذلك اللاهوت والفلسفة<sup>(٦)</sup> مما عكس موسوعية معارفه وتعددتها بين علوم مختلفة .

١- أند رستم ، الروم، ج٢ ، ص٢٧٠

٢- نفسه ، نفس الصفحة.

٣- زينب راشد، تاريخ أوروبا الحديث، ج ١ ، ص ٧٠

٤- أند رستم ، المرجع السابق، ص ٢٧٠- ص ٢٧١

٥- أند رستم ، الروم، ج٢ ، ص ٢٧٢

٦- نفسه ، ص ٢٧٣

ويضاف إليه ؛ بلاندوس Planudcs الذي كان عالماً لغوياً ، وعاصر ميخائيل الثامن ، وأندرونيكوس الثاني ومن أهم مؤلفاته رسائل فى جراماتيك اللغة اليونانية كذلك ساهم فى أمر الترجمة فقام بنقل عدة مؤلفات لاتينية إلى اليونانية<sup>(١)</sup>.

وفى مجال الأدب نشير إلى يوحنا خورتا سمبينوس John Chortasmpnos (ت ١٤٣٦-١٤٣٧م) ، ووصلت إلينا رسائله التى وجه أغلبها إلى الامبراطور مانويل الثانى كذلك نظم عدداً من القصائد ، وما يذكر عنه شكواه الدائمة من شطف العيش<sup>(٢)</sup> ومع ذلك فبصرف بعشق الكتب التى كانت له - على ما يبدو - خير عزاء عما عاناه على المستوى المادى.

كما لاتنفل من الأعلام الذين تألق مجدهم خلال تلك المرحلة مانويل خريسو لوراس Ma-nuel Chrysoloras (ت ١٤١٥م) الذى قام بتدريس اللغة اليونانية فى فورنسا عام ١٣٩٦م. كما قام بأدوار دبلوماسية نشطة عام ١٤٠٨م من خلال سفره إلى باريس ، ولندن ، والبندقية. كذلك شارك فى مجمع كوتستانس عام ١٤١٤م.

على أية حال ؛ يذكر عنه سعيه إلى إحياء اللغة اليونانية فى إيطاليا ، ومن بين أهم مؤلفاته كتابه عن قواعد اللغة اليونانية الذى كان له تأثيره البارز وعنوانه "Erotemata"<sup>(٣)</sup>

كذلك نشير إلى جورج مينوخيتس (ت ١٣٢٨م) الذى عمل رئيساً للشمامسة وكاتباً ويذكر عنه بلاغته الجلية خلال المفاوضات التى جرت بين ميخائيل الثامن مع البابوية وكان نائباً عن الامبراطور المذكور خلال مجمع ليون ١٢٧٤م. وقد ترك بعض المؤلفات العقائدية التى يقرر دونالد نيكول أنها كانت تنمى نحو المذهب اللاتينى<sup>(٤)</sup>.

أما إذا أردنا عقد مقارنة موجزة بين أسرة باليولوج ، والأسرات البيزنطية السابقة عليها ، نجد أنها حكمت قرابة قرنين من الزمان (١٩٢عاماً) فهى بالتالى من أطول الأسرات الحاكمة

---

١ - نفسه، نفس الصفحة

Nicol, ABiographical dictionary, p. 23

Ibid, p. 24 .

-٣

Nicol . A Biographical dictionary , p. 86

٤

على مدى ذلك التاريخ المديد وبالتالي فاقت في ذلك الأسرة المقدونية (١٩٠) عاما على سبيل المثال ، غير أنه من الواضح أن الفارق الزمني محدود بين الأسترتين.

من جهة أخرى، نلاحظ أن تلك الأسرة تفوقت زمنياً على الأسرة السابقة عليها وهي أسرة انجيلوس إذ حكمت نحو عشرة أضعاف مدة حكمها، ومع ذلك ؛ تتفق الأسترتان في نوعية الأباطرة الضعاف، فلم تعد بيزنطة بقيادة على إنحجاب أباطرة مثل مؤسس الأسترات السابقة، بل من يشع بيزنطة إلى مشاها الأخير ؛ وإن تشابهت معها في زاوية أن كلا من الأسترتين شهدت السقوط البيزنطى كما حدث عام ١٢٠٤م، ١٤٥٣م مع ملاحظة أن الأول استمرت من بعده قرنين من الزمان ، أما الثانى فكان يعنى النهاية.

ولانغفل أنه إذا كانت أسرة قسطنطين (٣٢٤-٣٧٨م) توصف بأنها أسرة البداية والتأسيس فإن أسرة باليولوغوس - فى المقابل- توصف بأنها أسرة النهاية ، وتعد الأسترات الأخرى بمثابة حلقة الوصل بين الأسترتين المذكورتين .

من زاوية أخرى؛ يتطلب الأمر منا الاقرار بأن أسرة انجيلوس تتشابه مع الأسرة الهرقلية، وكذلك الأسرة الايسورية فى التعامل مع الضغط العسكرى للمسلمين فى عهود الخلفاء الراشدين والأمويين والسلطين العثمانيين وإذا كانت الأسرة الايسورية نجحت فى المواجهة إلا أن الأسترتين الهرقلية وأسرة انجيلوس فشلتا. وإذا كانت الأسترتان الأولى والثانية نجحتا فى المواجهة إلا أن الأخيرة أخفقت فكانت أحداث ١٤٥٣م.

كذلك لانكر ؛ أن أسرة باليولوج انتصحت خلالها تأزم العلاقة مع الغرب الأوربى على الرغم من التنازلات البيزنطية الغير مسبوقه ، وبالتالي ؛ يمكن القول أن ما حدث فى عهد الأسرة العمورية من خلال قطيعة فوشبوس، وكذلك ما وقع فى عهد الأسرة المقدونية من الإنشقاق الأعظم . انتصحت آثاره السلبية على بيزنطة فى عهد أسرة باليولوج التى كان من عوامل سقوطها ؛ الصراع الطويل بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى .

ذلك عرض عن أسرة باليولونج آخر الأسترات البيزنطية الحاكمة

## الخاتمة

نتجت عن هذه الدراسة عدة نتائج مهمة يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً: إن هناك إشكالية متعددة الأوجه في دراسة التاريخ البيزنطي، لعل من أبرز معالمها: الاتساع الزماني والمكاني الخاص بالإمبراطورية البيزنطية، ثم الدور الكاسح لمؤسس الأسرات البيزنطية الحاكمة مقارنة بالأدوار التاريخية الأخرى للأباطرة الثانويين، وما أكثرهم!، ثم هناك «كاريزما» البطل ودورها في معالجة المؤرخ للأحداث التاريخية، كذلك لا تنفعل الطابع الرسمي للمصادر، ثم زاوية الدعاية في النصوص المصدرية وانعكاسها على المعالجات الحديثة، ولا تنفعل مشكلة أساسية في صورة المركزية الأوربية التي كان لها تأثيرها الواضح في معالجة بعض المؤرخين العرب من تأثر بها بصورة أو بأخرى.

ولا تنفعل: أنه في حالة إدراك المؤرخ لمظاهر تلك الإشكالية، فبالتالي تتزايد مصاعب دراسة تاريخ تلك الإمبراطورية ويتحول هو نفسه جزءاً منها

ثانياً: حاولت الدراسة تقديم تصور لأعمال عدد من الأباطرة البيزنطيين من عملت المركزية الأوربية على إبراز أدوارهم بتوع من الدعائية، ولكن من خلال استعراض تلك الأعمال التي قاموا بها؛ من الممكن التوصل إلى اكتشاف إيجابياتها وكذلك ما فيها من سلبيات تركت أحياناً أسوأ الأثر على مسار التاريخ البيزنطي بوجه عام، ويبقى الأمر مجرد وجهات نظر، ولكل مؤرخ تصورات طالما أنها مدعومة بمنطق الأحداث التاريخية لا من خلال رؤية شيغونية أو من زاوية اعتساف الأحكام أو القبولية إلى نحو ذلك من التصورات التي تتعارض مع الموضوعية التاريخية الواجبة ومن الطبيعي أن تختلف التصورات والرؤى لأن ذلك يمثل طبيعة الدراسات التاريخية ذاتها

ثالثاً: أكدت الدراسة على فعالية العوامل الداخلية ودورها البارز في سقوط بيزنطة أول مرة عام ١٢٠٤م خلال أحداث ما عرف بالصليبية الرابعة، المرة الثانية: عندما سقطت إلى غير رجعة من خلال فعاليات الأتراك العثمانيين في عهد محمد الفاتح عام ١٤٥٣م، وبالتالي كان السقوط من الداخل قبل الخارج، وتفاعلت العوامل الداخلية، والخارجية معاً؛ لتضع النهاية «الواقعية» لتاريخ بيزنطة أطول الإمبراطوريات عمراً في تاريخ العصور الوسطى قاطبة دون منازع؛ وينبغي ألا نخدع بفقرارة الاشارات المصدرية والمرجعية من فعاليات العامل الخارجي فقط بمعزل عن تأثير العوامل الداخلية.

رابعاً : اتضح من خلال الصفحات السابقة ! الطابع البرجماني ، «الميكياثيلي» في التاريخ السياسي البيزنطي ، وبالتالي ، فإن حوادث الاعتقال ، والحبانة والغدر تمثل جزءاً لا يتجزأ من ذلك التاريخ على نحو لا يستطيع المؤرخ الموضوعي تجنبه مهما كانت درجة تعاطفه مع أبطاله التاريخيين

ومن الممكن القول: أن بيزنطة الإمبراطورية بعد رحلة دامت أكثر من ١١ قرن من الزمان عجزت عن تقديم نموذج أخلاقي رفيع يتمثل في أحد أباطرتها الكبار إلا ما ندر ، وظل تاريخها تشويه الدساتس ، والمؤامرات على مستوى ما سمي بالنخبة العسكرية ، والسياسية على الأقل ، وبالتالي؛ فإن رؤية المؤرخ البريطاني إدوارد جيبون Edward Gibbon حياها التي أوردتها في كتابه عن إضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية منذ زمن بعيد لم تنشأ من فراغ بل من خلال استقراء تاريخي يحمل جانباً من الواقعية ، دون أن تغفل ما كان لتلك الإمبراطورية - في المقابل- من جوانب حضارية مشرقة لا بد من الإشادة بها لأنها جزء من التراث الحضاري الانساني عموماً

خامساً : تأكد لنا من خلال العرض السابق: أن النطاق الزمني الطويل لبيزنطة على غير المؤلف في أعمار القوى السياسية في العصور الوسطى ؛ لم يكن يرجع إلى قدرات بيزنطية ذاتية فقط بل إن القرنين الأخيرين من عمرها كانت تعيش خلالها مرحلة احتضار طويل الأجل ، وقد أثرت أحداث فعالة لدى أعداء بيزنطة في «تأخير» سقوطها ، خاصة أنها في مرحلتها الأخيرة لم تكن تمثل عنصراً فاعلاً بل كانت الإمبراطورية الصدى؛ أي تعبر عن ردود الأفعال على قوة العثمانيين التي تبرص بها من خلال تناميها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، ناهيك عن الغرب المترص بها كسبياً ، ثم هناك الضعف البيزنطي بعد أن شاخت وهرمت ولم تعد تستطيع التفاعل بجدارة تاريخية مع تلك «الفترة العثمانية الشابة» كانت تعرف هدفها بجلاء وتسمى له بقوة ودائما التاريخ للأقوى والأصلح.

سادساً : اتضح لنا من خلال العرض السابق: أن التاريخ البيزنطي على الرغم من أن وقائعته ذات معالم واضحة من خلال معالجة المصادر التاريخية المختلفة إلا أن قراءته اختلفت من مدرسة تاريخية غربية إلى أخرى ، ويكفي أن نذكر: أن معالجة المؤرخين المحدثين الروس ، واليونانيين نظرت إلى ذلك التاريخ على اعتبار أنه جزء لا يتجزأ من التاريخ القومي الروسي ، واليوناني ، وإنعكس ذلك بالضرورة على معالجاتهم والمواقف الفكرية التي اتخذوها ،

ونجدهم لأباطرة معينين، خدمة لأهداف تاريخهم القومي، وهكذا؛ يتأكد لنا أن هناك عدة أشكال مختلفة لقراءة وكتابة التاريخ البيزنطي في داخل المركزية الأوروبية الواحدة - وهو أمر غير موجود في المدرسة التاريخية العربية لإتعدام وجود مركزية بديلة أصلاً للأسف الشديد - وبالتالي؛ من الضرورة بمكان الحذر عند التعامل مع إسهامات أولئك المؤرخين الأوروبيين، وضرورة إدراك دوافعهم للكتابة التاريخية في المجال المذكور

سابعاً : ومن الجوانب المهمة التي حرصت الدراسة على إبرازها ؛ ضرورة إيجاد مركزية عربية إسلامية في مواجهة المركزية الأوروبية كنوع من التعبير عن الهوية ، ولتجنب التبعية الفكرية للغرب الأوربي، والأمريكى الذى يقدم لنا تصورات، وللأسف هناك من المؤرخين من يأخذها دون ملاحظة أن هناك دوافع لتصورات أولئك الباحثين الغربيين لاتنفصل عن تطور مراحل الكتابة التاريخية في أوطانهم ذاتها، كما أنها لاتنفصل عن النظرة الاستعمارية الغربية.

كذلك ؛ لانغفل أن مواجهة الاستشراق تكون من خلال «الاستغراب» - كما نادى بذلك المفكر المصرى حسن حنفي فيدون ذلك ؛ يظل الأمر فى صالح الطرف الآخر، وتكون الكتابة التاريخية العربية فى المجال البيزنطى - كمثال فقط- تعبر عن توجهات الغرب الأوروبى أكثر من توجهاتنا العربية والإسلامية ذاتها !!! مما عبر عن أزمة هوية حقيقية !!!

ثامناً : على الرغم من الطابع الذكورى لمصادر التاريخ البيزنطى ذاتها، وكذلك مسار حكم أسرته بصفة عامة؛ إلا أنه من العسير كتابة معالمة دون المرأة التى كانت الأم والزوجة والابنة، والعشيقة ، وقد كان لها دورها فى معترك السياسة . وكذلك الحياة العامة بكافة أشكالها وصورها، وينبغى هنا الإشادة بالدراسة الرائدة بالعربية لـ أ.د. عليه الجنزورى عن المرأة البيزنطية . وهى مؤرخة رائدة فى التاريخ البيزنطى، كما تعد أول مؤرخة عربية حديثة للحروب الصليبية

ولانغفل فى هذا الشأن ؛ أن التعطش للسلطة الإمبراطورية المطلقة جعل أحياناً المرأة البيزنطية تدخل معترك المؤامرات لتصل إلى قمة عالم السياسة وكان ضحيتها المفضلة الرجل! ونصل إلى تصور واقعى، وهو أن التاريخ البيزنطى ذاته هو حصاد تاريخ كل البيزنطيين الرجال والنساء، دون التعصب لطرف عل حساب الآخر، على نحو بضر بالرؤية التاريخية الموضوعية.

تأسعاً على الرغم من القرون العديدة التي عاشتها تلك الإمبراطورية ، إلا أنها امتازت بوجود أيام محددة حاسمة ومكثفة تمركز فيها تاريخها بصورة غير مسبقة ما بين لحظتى الميلاد والمات، ومن أمثلتها دون حصرها

- ١١ مايو ٣٣٠م الميلاد

- ١٦ أغسطس ١٠٧١م: معركة مانزكورت

- ١٣ أبريل ١٢٠٤م : الغزو اللاتينى.

- ١٥ أغسطس ١٢٦١م: استرداد البيزنطيين للقسطنطينية

- ٢٩ مايو ١٤٥٣ : المات.

ومن الملفت للانتباه ؛ أن الأيام المذكورة كان نتاجاً لمرحلة زمنية سابقة عليها قد تطول لتصبح عدة قرون، وبالتالي فهى تعد بمثابة أيام الحصاد « المفترض أن شهور الصيف (أبريل، مايو ، أغسطس) كانت من أكثر شهور العام تأثيراً على مسار التاريخ البيزنطى . وأن «وقف الشتاء» أحياناً إلى جوار بيزنطة كما حدث بالنسبة لشتاء ٧١٧-٧١٨م أسلفت الاشارة من قبل فى عهد الاسرة الأيسورية

وفيما يتصل بفكرتى الميلاد والمات فى التاريخ البيزنطى؛ نلاحظ أن تلك الإمبراطورية - على نحو خاص- ظلت تكافح شبح الموت بكل وسيلة ممكنة سياسية وعسكرية وتنصيرية على الرغم من كثرة الاعداء من كافة الاتجاهات بصورة غير مسبقة ، إلا أن الموت كان «ضرورياً» على المستوى التاريخى ليضع نهاية لاحتضار طويل بلا فعالية تاريخية حقيقية خاصة خلال المرحلة الأخيرة من تاريخها

ومن مفارقات التاريخ ؛ أن مشيد لحظة الميلاد الامبراطور قسطنطين ، ومن عاصر لحظة النهاية حمل نفس الاسم ولكنه قسطنطين الحادى عشر كذلك فإن شهر الميلاد كان عينه شهر المات وأعنى شهر مايو حيث ولدت فى ١١ مايو ٣٣٠م ، وماتت فى ٢٩ مايو ١٤٥٣م ولاتفعل أن البيزنطيين أنفسهم اعتقدوا فى نبوة تقول أن العدو الذى سيجهز على إمبراطوريتهم سيأتى من الشرق وهو ما حدث فعلاً !! ولاتفعل هنا تأثير الجانب الغيبى فى الشخصية البيزنطية بصفة عام

هكذا تاريخ بيزنطة، صراع بين الميلاد والمات ومفارقات تدعو للتأمل .

عاشراً : تأكد لنا من خلال الصفحات السابقة ؛ أن طول عمر الامبراطورية البيزنطية ساهمت فيه إلى حد كبير عدة عوامل مشتركة مثل سياسات بعض الأباطرة الأقوياء ، وكذلك كفاءة الجيش والأسطول البيزنطيين عندما كانا قادرين على صنع الانتصارات بركاً وبحراً ، ثم الدبلوماسية والأخيرة ذات دور مزدوج التأثير فعندما كانت الإمبراطورية ذات القدرة على الفعالية التاريخية؛ كانت دبلوماسيتها تعبر بوجه عام عن تلك الفترة ، أما عندما كانت تمر بمرحلة ضعف لجأت إلى الدبلوماسية كحل مؤقت لكسب الوقت وتجنب فتح جبهات متعددة في وقت واحد

وبصفة عامة؛ من الممكن مقارنة القسطنطينية في مراحلها المتأخرة بفرنطة في الأندلس حيث لجأت العاصمتان إلى طرق بوابة الدبلوماسية رغبة في سلام شاحب حذر، وكان ذلك حلاً خادعاً لأنه كان يعنى تأخير المصير المحتوم الأخير ويخلق حلماً جميلاً وودياً يستيقظ صاحبه على ضربات الموت ا

من جهة أخرى ؛ لانفعل أن من أسلحة تلك الدبلوماسية تمثلت جزئياً في ، التنصير حيث تمكن المنصرون البيزنطيون من تحقيق ما عجزت عن تحقيقه قدرات القادة العسكريين أحياناً ، ولانسى أن بيزنطة تمكنت من احتياح روسيا كاملة بفضل ذلك السلاح الفعال ، وإذا أضفنا إلى ذلك كله عنصر المصاهرات السياسية الذى أوجد واقعاً تحالفياً جديداً لصالح الإمبراطورية وكانت تدرك أهميته وفعالته في تحقيق مصالحها العليا، وهكذا؛ تأكد لنا أن بيزنطة « حاربت » بالدبلوماسية كما حاربت بقواتها العسكرية والتقى الأسلوبان معاً ليتم تدعيم الوجود التاريخي لتلك الإمبراطورية، ولاريب في أن تعاملها مع عدد كبير من القرى السياسية المعاصرة لها في الشرق والغرب ؛ أدى إلى إثراء خبراتها الدبلوماسية بصورها المتعددة على نحو أفادها تماماً في التعامل مع تقلبات الظروف الدولية المعقدة التي واجهتها مع ملاحظة ؛ أن تلك الدبلوماسية لم تكن لتمنع المصير النهائي المحتوم لبيزنطة .

حادى عشر : تأكد بالأدلة التاريخية الجلية: أن المسلمين كانوا عنصراً فعالاً في صنع وقائع التاريخ البيزنطى على مدى تسعة قرون كاملة من جملة أحد عشر قرناً هي عمر ذلك التاريخ ، وهكذا ؛ لايمكن بأى حال من الأحوال كتابة معالنه دون التعرض لفعاليات المسلمين الحربية والسياسية والمضاربه على مدى عهود الأسرات البيزنطية الحاكمة منذ عهد الأسرة الهرقلية حتى عهد أسرة بالبولوج ، ومن الخطأ البين 'براز وجه العلاقات بين الطرفين على



الصعيد الحرى فقط واغفال الجوانب الأخرى التى عكست حضارة الاسلام فى القرون الوسطى ، ولان تغفل أن إبراز الجانب الحرى فقط فى كتابات المؤرخين الغربيين يساعد على تكريس الطابع العدائى لحركة الجهاد الإسلامى وتصويرها على أنها للسلب والنهب ولم تكن مصاحبة بدور حضارى واضح المعالم

ومن الممكن التقرير بأن هناك ثلاثة من قادة المسلمين فى العصور الوسطى ساهموا مساهمة عسكرية بارزة فى إيصال بيزنطة إلى مشواها الأخير فى صورة خالد بن الوليد عام ٦٣٦ م ، وألب أرسلان عام ٧١-٨١ م، ومحمد الفاتح العثمانى عام ١٤٥٣ م ، ومن الخطأ البين تصور العام الأخير منفصلاً عن الرحلة الطويلة والشاقة التى قطعها المسلمون من القرن السابع وصولاً إلى القرن الخامس عشر الميلادى من أجل تحقيق الحلم الإسلامى الكبير بفتح القسطنطينية ، وهكذا ؛ فإن التركيز على المرحلة العثمانية على اعتبار أنها شهدت تحقيق ذلك الحلم بصورة نهائية قد يؤدى إلى عدم الموضوعية والنظرة الاعتسافية الجزئية ، لأن المقدمات السابقة أكدت النتيجة المحتامية عام ١٤٥٣م.

ولم يغفر الباحثون الغربيون للإسلام وأهله: ذلك الدور ، ومن ثم وجدنا التحامل من خلال دوافع استشراقية لاتخفى على أحد ويستثنى من ذلك قلة قليلة ، ونبرة نادرة من المستشرقين المنصفين.

وجدير بالملاحظة : أن التاريخ دوماً يكتبه الأقوياء ، وفى الوضع الدولى الراهن ، ومن خلال وهم «الاسلاموفوبيا» الذى يسيطر على الذهنية الأوربية والأمريكية ، من المفترض دونما مبالغة أن ذلك كله سينعكس بصورة أو بأخرى على مجالات الكتابة التاريخية عن العلاقات الأوربية- الإسلامية فى القرون الوسطى- والجانب البيزنطى أحد عناصرها . من أجل مواصلة إثارة المواجهات الماضية واشعار القارئ بأن الإسلام دائماً وأبداً دين العنف والدعوة! وهو أمر مغلوظ نظراً لكون الاسلام نفسه حضارة كما وصفه العلامة الراحل حسين مؤنس .

إن الوضع السابق؛ يجعلنا فى مفترق الطرق ، وبدون التنبيه إلى ضرورة أن تكتب تاريخنا بأقلامنا ، ومن حصاد تجاربنا القومية ، والدينية سيظل «الأخرون» يكتبونه لنا وخطورة ذلك الآن أكبر على نحو ينعكس كله على تاريخنا الذى هو أفضل ما تملك ومن المؤكد أن العلاقات العربية البيزنطية ، ومرحلة الحروب الصليبية على نحو خاص سيتم التركيز عليها فى الغرب تحقيقاً لتصورات واهمة هى نتاج ما بوصف بأنه عصر العولمة ؛ والتى فى حقيقتها اذابة الثقافات خدمة للغرب والغرب فقط!

وبعد ؛ فتلك أهم الملاحظات الختامية التي أمكن الخروج من الدراسة، وما زال التاريخ البيزنطي يحمل في طياته الجديد طالما أمكن التعامل معه من خلال رؤية تاريخية نقدية وأعيه لمشاكل دراسته ؛ وهى أساسية من الناحية المنهجية ، والأمل معقود على غيرى من الباحثين الجادين من ذوى الخبرة من أجل تسليط الأضواء الكاشفة على تلك الحقبة الحبيوة فى تاريخ العصور الوسطى.

ذلك عرض لأهم النتائج التى نتجت عن الدراسة.



## فهرس الملاحق

- ١- الأسرات البيزنطية الحاكمة (٣٣٠-١٤٥٣م)
- ٢- الخلفاء الفاطميون فى مصر (٩٧٢-١١٧١م)
- ٣- السلاطين العثمانيون (١٢٩٩-١٥٢٠م)
- ٤- الترتيب الزمنى لأهم أحداث التاريخ البيزنطى
- ٥- أبيات من القصيدة الأرمينية التى أرسلها  
الامبراطور نقفور فوكاس إلى الخليفة العباسى  
المطيع لله متهدداً ومتوعداً
- ٦- المستعمرات البيزنطية التى خضعت للبندقية بعد  
عام ١٢٠٤م



## ملحق رقم (١)

## الأسرات البيزنطية الحاكمة

أسرة قسطنطين (٣٢٤ - ٣٧٨ م)

- قسطنطين Constantine (٣٢٤-٣٣٧ م)

- قسطنطين الثاني Constantine II (٣٣٧ - ٣٤٠ م)

- قنسطانز Constance (٣٣٧ - ٣٥٠ م)

- قسطنطيرس Costantius (٣٣٧-٣٦١ م)

- جوليان المرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣ م)

- جوثيان Jovian (٣٦٣-٣٦٤ م)

- فالنز Valenz (٣٦٤-٣٧٨ م)

أسرة ثيودوسيوس (٣٧٩-٥١٨ م)

- ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧٩-٣٩٥ م)

- أركاديوس Arcadius (٣٩٥-٨ م)

- ثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠ م)

- مارقيان Maracian (٤٥٠ - ٤٥٧ م)

- ليو الأول الكبير Leo I The Great (٤٥٧ - ٤٧٤ م)

- ليو الثاني Leo II (٤٧٤ م)

- زينون Zeno (٤٧٤ - ٤٩١ م)

- أناستاسيوس Anastasius (٤٩١ - ٥١٨ م)

أسرة جستنيان (٥١٨-٦١٠ م)

- جستن الأول Justin I (٥١٨-٥٢٧ م)

- جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧ - ٥٦٥ م)

- جستين الثاني Justin II (٥٦٥ - ٥٧٨ م)

- تيبيريوس الأول (Tiberius I) (٥٧٨ - ٥٨٢ م)
- موريس (Maurice) (٥٨٢ - ٦٠٢ م)
- فوكاس (Phocas) (٦٠٢ - ٦١٠ م)
- أسرة هرقل (٦١٠ - ٧١٧ م)
- هرقل (Heraclius) (٦١٠ - ٦٤١ م)
- قسطنطين الثالث (Constantine III) (٦٤١ م)
- قنسطانز الثاني (Constance II) (٦٤٢ - ٦٦٨ م)
- قسطنطين الرابع (Constantine IV) (٦٦٨ - ٦٨٥ م)
- جستنيان الثاني (Justinian II) (٦٨٥ - ٦٩٥ م)
- ليونتئوس (Leontius) (٦٩٥ - ٦٩٨ م)
- تيبيريوس الثاني (Tiberius II) (٦٩٨ - ٧٠٥ م)
- جستنيان الثاني (عودته) (Justinian II) (٧٠٥ - ٧١١ م)
- فيليبكوس (Philippicus) (٧١١ - ٧١٣ م)
- اناستاس الثاني (Anastas II) (٧١٣ - ٧١٥ م)
- ثيودوسيوس الثالث (Theodosius III) (٧١٥ - ٧١٧ م)
- الأسرة الأيسورية (٧١٧ - ٨٢٠ م)
- ليو الثالث (Leo III) (٧١٧ - ٧٤١ م)
- قسطنطين الخامس (Constantine V) (٧٤١ - ٧٧٥ م)
- ليو الرابع (Leo IV) (٧٧٥ - ٧٨٠ م)
- قسطنطين السادس (Constantine VI) (٧٨٠ - ٧٩٧ م)
- إيرين (Irene) (٧٩٧ - ٨٠٢ م)
- خلفاء الأيسوريين
- نقفور الأول (Nicephorus I) (٨٠٢ - ٨١١ م)

- ستور اكيوس Stauracius (٨١١م)
- ميخائيل الأول وانجاب Michael I Ranagab (٨١١-٨١٣م)
- ليو الخامس الأرميني Leo V (٨١٣-٨٢٠م)
- الأسرة العمورية (٨٢٠-٨٦٧م)**
- ميخائيل الثاني Michael II (٨٢٠-٨٢٩م)
- ثيوفيلوس Theophilus (٨٢٩-٨٤٢م)
- ميخائيل الثالث (السكرير) Michael III . The Drunkard (٨٤٢-٨٦٧م)
- الأسرة المقدونية (٨٦٧-١٠٥٧م)**
- باسل الأول Basil I (٨٦٧-٨٨٦م)
- ليو السادس (الحكيم) Leo VI The Philosoph (٨٨٦-٩١٢م)
- الكسندر Alexander (٩١٢-٩١٣م)
- قسطنطين السابع بورفيروجينيتس Constantine VII Porphyrogenitus (٩١٣-٩٥٩م)
- شاركة في الحكم رومانوس الأول Ramanus I Lecapeus (٩١٩-٩٤٤م)
- رومانوس الثاني Romanus II (٩٥٩-٩٦٣م)
- نقفور فوكاس Nicophorus Phocas (٩٦٣-٩٦٩م)
- يوحنا الأول تزييمسكس John I Tzimiskes (٩٦٩-٩٧٦م)
- باسل الثاني (سفاح البلغار) Basil II Bulgaroctonus (٩٧٦-١٠٢٥م)
- قسطنطين الثامن Constantine VIII (١٠٢٥-١٠٢٨م)
- زري Ziri (١٠٢٨-١٠٥٠م)
- شاركها في الحكم أزواجها
- رومانوس الثالث Romanus III (١٠٢٨-١٠٣٤م)
- ميخائيل الرابع Michael IV (١٠٣٤-١٠٤١م)
- ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١-١٠٤٢م)



- قسطنطين التاسع (مروماخوس) Constantine IX (١٠٤٢ - ١٠٥٤م)
- ثيودورا (عزودتها) Theodora (١٠٥٤ - ١٠٥٦م)
- ميخائيل السادس Michael VI (١٠٥٦ - ١٠٥٧م)
- أسرتى دو كاس وكومنين (١٠٥٧-١١٨٥م)
- إسحق الأول كومنين Issac I Comnenus (١٠٥٧ - ١٠٥٩م)
- قسطنطين العاشر (دوكاس) Constantine X Docas (١٠٥٩ - ١٠٦٧م)
- رومانوس الرابع (ديوجينيس) Romanus IV Diogenes (١٠٦٧ - ١٠٧١م)
- ميخائيل السابع (دوكاس) Michael VII Ducas (١٠٧١ - ١٠٧٨م)
- نقفور الثالث (بوتانياتس) Nicephorus III Botaniates (١٠٧٨ - ١٠٨١م)
- الكيسوس الأول (كومنين) Alexius I (١٠٨١-١١١٨م)
- يوحنا الثانى (كومنين) Johan II (Comnenus) (١١١٨-١١٤٣م)
- مانويل الأول (كومنين) Manuel II Comnenus (١١٤٣ - ١١٨٠م)
- الكيسوس الثانى (كومنين) Alexius II Comnenus (١١٨٠ - ١١٨٣م)
- أندرونيكوس الأول (كومنين) Andronicus I Comnenus (١١٨٣ - ١١٨٥م)
- أسرة أنجيلوس (١١٨٥ - ١٢٠٤م)
- إسحق الثانى Issac II Angelus (١١٨٥-١١٩٥م)
- الكيسوس الثالث أنجيلوس Alexius III Angelus (١١١٥-١٢٠٣م)
- اسحق الثانى Issac II (١٢٠٣-١٢٠٤م)
- الكيسوس الرابع Alexius IV Angelus (١٢٠٤م)
- الكيسوس الخامس Alexius V Angelus (١٢٠٤م)
- الأباطرة اللاتين فى القسطنطينية (١٢٠٤ - ١٢٦١م)
- بولدوين الأول أمير فلاندرز Baldwin I of Flanders (١٢٠٤-١٢٠٥م)
- هنرى أمير الفلاندرز Henry of Flanders (١٢٠٥ - ١٢١٦م)
- بطرس كورتناوى Peter of Courtenay (١٢١٧م)

- يولند Yolande (١٢١٧-١٢١٩م)
- روبرت الثاني (كورتناى) Rober II de Courenny (١٢٢١-١٢٢٨م)
- بلدين الثاني Baldwin II (١٢٢٨-١٢٦١م)
- تحت وصاية حنا دى برين ثم منفرداً من (١٢٤٠-١٢٦١م)
- أباطرة نيقية البيزنطيين (١٢٠٤-١٢٦١م)**
- ثيودور الأول لاسكاريس Theodore I Lascaris (١٢٠٤-١٢٢٢م)
- يوحنا الثالث لاسكاريس John III Vanatzes (١٢٢٢-١٢٥٤م)
- ثيودور الثاني لاسكاريس Theodere I Lascaris (١٢٥٤-١٢٥٨م)
- يوحنا الرابع لاسكاريس John III Vanatzes Vanatzes (١٢٥٨-١٢٥٩م)
- ميخائيل الثامن باليولوج Michael VIII Paleologus (١٢٥٩-١٢٦١م)
- أسرة باليولوج (١٢٦١-١٤٥٣م)**
- ميخائيل الثامن Michael VIII Palcologus (١٢٦١-١٢٨٢م)
- أندرونيكوس الثاني Andronicus II (١٢٨٢-١٣٢٨م)
- أندرونيكوس الثالث Andronicus III (١٣٢٨-١٣٤١م)
- يوحنا الخامس John V (١٣٤١-١٣٩١م)
- يوحنا السادس كنتاكوزين John VI Cantacuzene (١٣٤٧-١٣٥٤م)
- أندرونيكوس الرابع Andronicus IV (١٣٧٦-١٣٧٩م)
- يوحنا السابع John VII (١٣٩٠م)
- مانويل الثاني Manuel II (١٣٩١-١٤٢٥م)
- يوحنا الثامن John VIII (١٤٢٥-١٤٤٨م)
- قسطنطين الحادى عشر Constantina XI (١٤٤٩-١٤٥٣م)<sup>(١)</sup>.

١- عن ذلك أنظر

Ostrogorsky , History of the Byzane State, p. 516 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 725-726 .

عمر كمال ترفيق . تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٢٤٧- ٢٥٢

## التعليق

عند إمعان النظر فى قوائم الأباطرة البيزنطيين يمكن الخروج بعدة دلالات توجز فى الأتى:

١- من بين عشرات الأباطرة الذين حكموا من عام ٣٣٠ إلى ١٤٥٣م، مع استثناء المرحلة الواقعة بين عامى ١٢٠٤-١٢٦٦م على اعتبار أنها تمثل احتلالاً لاتينياً، نلاحظ أن أبرز الأباطرة البيزنطيين من خلال أعمالهم السياسية أو الحربية أو العمرانية أو القانونية هم

١- قسطنطين الأول ٣٢٤-٣٣٧م

٢- ثيودوسيوس الأول ٣٧٩-٣٩٥م

٣- جستنيان ٥٢٧-٥٦٥م

٤- هرقل ٦١٠-٦٤١م

٥- ليو الثالث الأيسورى ٧١٧-٧٤١م

٦- ميخائيل الثانى العمورى ٨٢٠-٨٢٩م

٧- باسل الثانى ٩٧٦-١٠٢٥م

٨- الكيسوس كومنين ٨١-١١١٨م

٩- ميخائيل الثامن ١٢٦١-١٢٨٢م

من الملاحظ، أن الصفة الغالبة على أولئك الأباطرة أنهم من مؤسسى الأسرات البيزنطية الحاكمة، وينطبق ذلك؛ على الأباطرة أرقام (١)، (٢)، (٤)، (٥)، (٦)، (٨)، (٩)، أما الاستثناء، فيرتبط برقمى (٣)، (٧)

٢- فى حالة جمع مدد الأعوام التى حكمها أولئك الأباطرة نجد أنها حوالى (٢٦٦) عاماً، ونستطيع القول؛ أنها الأعوام الأكثر فعالية فى التاريخ البيزنطى، وقد أثرت فى كافة القرون التالية. ومن الممكن القول أن مدة استمرارية التاريخ المذكور والتى بلغت (١١٢٣) عاماً؛ أى أحد عشر قرناً وقرابة ربع القرن، لم تكن فيها فعالية تاريخية حقيقية مؤثرة داخلياً وخارجياً إلا فى ٢٦٦ عاماً مع عدم اغفال بعض الاستثناء، أحياناً بالطبع، أما الأعوام الأخرى؛ فقد تولى أمرها أباطرة ثانويون، ومرة أخرى - لمواجهة جدل متوقع فى هذه الناحية على نحو خاص- فإن الامبراطور الثانوى فى تصورى هو ظل لأباطرة فاعلين سابقين، أو الامبراطور المهزوم عسكرياً وسياسياً أو الذى أثبتت وقائع التاريخ البيزنطى قصر نظره أو حدوث عواقب

وخيمة لسياسته فى المرحلة التالية لوفاته ، ولذلك ؛ تم إعتبار الامبراطور مانويل كومنين ١١٤٣ - ١١٨٠ م من أولئك الأباطرة<sup>(١)</sup>.

٣- ليس معنى وجود أباطرة ثانويين ، أنهم بلا قيمة للتاريخ البيزنطى، إذ أنهم كانوا جسوراً عبر عليها الأباطرة النفاةلن المؤثرين فى ذلك التاريخ، وبدونهم ما كان لنا أن نذكر حج فعاليات المؤثرين فى ذلك التاريخ ، وبدونهم ما كان لنا أن نذكر حجم فعاليات الأباطرة السالفى الذكر سواءً المؤسسين للأسرات الحاكمة أو غيرهم من خلال المقارنة التاريخية الموضوعية التى وحدها من شأنها الاقتراب - قدر مكان - من الحقيقة .

٤- إن دلالة القول بأن (٢٦٦) عاماً هى تركيز لفعاليات بيزنطة تاريخياً من بين (١١٢٣) عاماً يدل دلالة وضاحة على أن العمر الطويل لتلك الامبراطورية لم يكن كله وجود بيزنطى فاعل فى التاريخ ب؛ ل كان أشبه ببيات شتوى طويل الأمد، ومن بين ما زاد على أحد عشر قرناً من الوجود الزمنى، هناك فقط قرنان وقرابة ثلاثة أرباع قرن فقط من الهيربة التاريخية، ومن الخطأ البين تصور أن البقاء فى التاريخ بقاء زمنى بل البقاء، يعنى «الدور التاريخى» وهو مالا يتجدد بجلاء إلا لدى قلة من الأباطرة من بين عشرات آخرين كما اتضح من العرض السابق

وقد يتساءل البعض؛ ما تعليل تلك الاستمرارية إذ أن بيزنطة عدت إمبراطورية معمرة فى عالم العصور الوسطى؛ والإجابة ليست عمسيرة المثال ؛ إذ أن عبقرية المكان وأعنى به القسطنطينية ؛ كان بمثابة العامل الرئيسى وراء ذلك الوضع دون إغفال تأثير العوامل الأخرى، مجتمعه ، ولاتفعل ؛ أن الأعوام ال (٢٦٦) كانت بمثابة مقويات فعالة للتأثير فى الجسد الامبراطورى<sup>(٢)</sup> على نحو ضمن لبيزنطة الاستمرار بمثل تلك الصورة، ولاننكر أن الخلافات

١- أود الاشارة هنا إلى أن تأليف دراسات متخصصة عن مانويل كومنين مثل دراسة ماجد ولينو التى أشدت بها من قبل ، وغيرها لايعنى أنه من الأباطرة الرئيسيين الكبار فى التاريخ البيزنطى . بل أن الأمر مرتبط بالجدل الذى ثار بين التاريخيين حول جدوى سياساته ومسئولته عن الأحداث التالية لمدى حكمه وبالتالي يتبنى عدل المثلط بين الدور التاريخى الفعلى، والجدل الذى ارتبط بامبراطور ما من الأباطرة البيزنطيين.

٢- ولا أدل على ذلك من أن أ.د. إسحق عبيد قرر عن الامبراطور ميخائيل باليولوجوس ما نصه

الحادة التي كانت تقع في صفوف أعدائها ساعدت على إطالة عمرها، وقد كان هناك أعداء على جانب كبير من الخطورة في صورة الروس، والمدن التجارية الإيطالية وعلى نحو خاص البندقية والمسلمين، والعدو الأول وجدت السبيل لاختراقه من خلال التنصير والثاني وقف وراء كارثة ١٢٠٤م. بالنسبة للمسلمين فقد امتلكوا القدرة على وضع سطر النهاية في المسرحية البيزنطية البالغة الطول التي جلبت الملل على مشاهديها خاصة في مشاهدتها المتأخرة المتهاوية.

وهكذا ؛ يمكن القول أن ما زاد على ثمانية قرون ونصف وبالتحديد حوالي (٨٥٧) عاماً كانت بيزنطة فيها تسير في تاريخ غطي وتقليدي توقظه بين الحين والآخر مؤامرة هنا وهناك تصل بأحد السياسيين والقادة العسكريين إلى السلطة التي كان لها بريقها الآخاذ في ذلك العصر

٥- وقد يختلف الباحثون فيما بينهم حول من هو أكثر الأباطرة السالفي الذكر فعالية وحسناً في التاريخ البيزنطي، ومنطقي أن يتحمس كل باحث لمن درس من الأباطرة. وأن يركز الاختيار في أعمال الامبراطور موضع الاختيار، ومع ذلك ؛ فهناك شخصيتان بارزتان من داخل وخارج بيزنطة كان لها دورها الفعال في تاريخها في صورة قسطنطين الأول المؤسس البارز ومفتتح القسطنطينية، أما من الخارج فهناك محمد الفاتح العثماني، الذي لم يقدره المسلمون كما يجب ؛ وراح ضحية المركزية الأوروبية المتعصبة، مع ملاحظة، أنه وضع نهاية لكيان متحدر بضعفه الداخلي، وتعاونت عوامل الداخل والخارج لتصنع إنجاز عام ١٤٥٣م التاريخي ومن الملفت للانتباه ؛ أن عامي ٣٣٠م، ١٤٥٣م يعدان أكثر الأعوام فعالية في التاريخ البيزنطي وكفي للدلالة على ذلك إرتباطه بالممات بعد قرون الاحتضار.

يبقى أن أشير إلى أن كل مؤرخ له اجتهاداته وتصوراته وإمكانياته ووجود تصورات مغايرة أمر وارد ومتوقع تماماً

٦- من بين عشرات الأباطرة الذين أشار إليهم الملحق المذكور؛ لا يظهر دور سياسي لحواء البيزنطية سري في حالات قليلة، مثل ثيودورا Theodora زوجة جستنيان، وإيريني Irene

= « لقد حقن بالبولوغوس بيزنطة بجرعة من الدم المجدد مدت من عمرها مائتي عاماً تقريباً » انظر: رشح عبيد. الدولة البيزنطية في عصر بالبولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢م، منشورات جامعة بنى غازى ط.

(٧٩٧-٨٠٢م) من الأسرة الأيسورية ، وزوي Zoc (١٠٢٨-١٠٥٠م) من الأسرة المقدونية التي حكمت بمعاونة أزواجها . وهى سنوات قليلة بين أكثر من (١١) قرناً من عمر الزمان، وذلك كله يعكس - بلاريب - الطابع الذكورى للتاريخ البيزنطى ، ولانفضل أيضاً ؛ أن المؤرخين كانوا من الرجال باستثناء حالة واحدة نادرة فى صورة الأميرة أناكومينا ، ومع ذلك ، من الممكن الإقرار بأن النساء فى أحيان متعددة ؛ حكمن من وراء الستار ، وكان لهن دورهن فى توجيه دفة السياسة خدمة لمصالحهن الخاصة بغض النظر- أحياناً- عن الصالح البيزنطى العام .

٧- على الرغم من تعدد أولئك الأباطرة البيزنطيين؛ إلا أن هناك عنصراً مشتركاً فى الكثير منهم إذا عدواً كبيراً منهم وصل إلى العرش من خلال مؤامرة أو تم التخلص منه من خلال أخرى، والمتآمرون فى الغالب من رجال الجيش أو الأسطول والتادر من رجال الاداره . وهناك عدة أمثلة على الأباطرة الذين تم قتلهم غيلة، ومن أمثلتهم: موريس (٥٨٢-٦٠٢م) وفوكاس (٦٠٢-٦١٠م) ، وجستينيان الثانى (٦٨٥-٦٩٥م) ، (٧٠٥-٧١١م) ، وتيبيريوس الثانى (٧٩٨-٧٥٠م) ، وميخائيل الثالث الكبير (٨٤٢-٨٦٧م) ، ونقفور فوكاس (٩٦٣-٩٦٩م) ويوحنا تزيكس (٩٦٩-٩٧٦م) ، والكسيوس الثانى كومنين (١١٨٠-١١٨٣م)، وأندرونيكوس الأول كومنين (١١٨٣-١١٨٥م) ، والكسيوس الرابع أنجيلوس (١٢٠٣-١٢٠٤م)

ولانفعل ؛ أن القتل كان مصيراً لعدد من الأباطرة فى ساحات المعارك التى هزموا فيها مثل فالنز (٣٦٤-٣٧٨م) الذى هزم فى معركة أدونة عام ٣٧٨م ضد القوط الشرقيين ، ونقفور الأول (٨٠٢-٨١١م) الذى هزم فى معركة ضد البلغار عام ٨١١م ، ورومانوس الرابع، يوجنيس (١٠٦٧-١١٧١م) وهزم هو الآخر فى معركة مانزكرت ضد السلاجقة عام ١٠٧١م وأخيراً قسطنطين الحادى عشر باليلوج (١٤٤٩-١٤٥٣م) وهو صاحب الهزيمة الأخيرة فى مواجهة الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م، مما دل على تعدد القتل من الأباطرة البيزنطيين .

٨- هناك عدد من الأباطرة البيزنطيين أنهوا حياتهم السياسية بالجوء إلى الأديرة والإنعزال عن المجتمع وجاء ذلك بعد عزلهم عن السلطة والصدمة النفسية عقب الإخفاق السياسى، ومن أمثلتهم أناستاسيوس الثانى (٧١٣-٧١٥م) وثيودوسيوس الثالث (٧١٥-٧١٧م) ورومانوس الأول ليكابينوس (٩٢٠-٩٤٤م) واسحق الأول كومنين

١٠٥٧-١٠٥٩م) والكسيريوس الثالث أنجيليوس (١١٩٥-١٢٠٣م) ، وأندرونيكوس الثانى باليرولوج (١٢٨٢-١٣٢٨م)

٩- لا تغفل زاوية لها أهميتها وهى تتصل بالناحية النفسية والعقلية لدى عدد من الأباطرة البيزنطيين ومن المؤكد أنها أثرت بصورة أو بأخرى على قراراتهم السياسية ومن أمثلة ذلك أن الإمبراطور جستينيان (٥٢٧-٥٦٥م) بعد وفاة زوجته ثيودورا صار رجلاً يفضل الرعدة ، والعزلة وافتقد القدرة على الابتكار - كما لاحظ دونالد نيكول - ومن المفترض أصابته بإكتئاب نفسى كما أن باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) بعد وفاة ابنه الأكبر قسطنطين عام ٨٧٩ يقال ذلك أثر سلبياً على نفسيته وعلى قواه العقلية على مدى الثمانى سنوات الأخيرة من حكمه ، كما تكرر ذات الأمر على باسل الثانى (٩٧٩-١٠٢٥م) الذى تعرف أن حالات من الاكتئاب أصيب بها والواقع أن التفسير النفسى للتاريخ لا يلقى التقدير على الرغم من أهميته، مع عدم اغفال أن نقص الاشارات المصدرية ومن بعدها المرجعية لا تجعل الباحث يتعمق فى تلك الزاوية .

١٠- هناك عدد من الأباطرة تم الانتقام منهم ببشاعة من خلال تسميل أعينهم. ومن أمثلتهم: فليكوس، بردانس (٧١١-٧١٣م) وقسطنطين السادس (٧٨٠-٧٩٧م) وميخائيل الخامس كالافانس (١٠٤١-١٠٤٢م) ، ورومانوس الرابع ديوجنيس (١٠٦٨-١٠٧١م)

وقد حدث ذلك كعقاب من جانب خصومهم السياسيين ، أما أشهر حادثة لتسميل العيون فى التاريخ لبيزنطى فهى تلك التى قام بها باسل الثانى ضد البلغار التى أسلفت الإشارة إليها من قبل ، ولارب فى أن ذلك يعكس لنا أن هناك طابعاً «ساديًا» على المستوى الفردى أو الجماعى فى ذلك التاريخ لا يمكن إنكاره أو تبريره من خلال تصورات العصر ، ومثل تلك المآزرات التى استهدفت اغتيال عدد من الأباطرة ، وكذلك عمليات التسميل هى التى دفعت إدوارد جيبون Edward Gibbon لتبنى تصوراتهِ السالفة الذكر هى الأخرى مع تحفظنا لمآزق التعميم الذى يفرض تصور مسبق انتقائى دون إدراك كافة الجوانب الأخرى لاسيما الحضارية المتصلة بتاريخ بيزنطة .

## ملحق ( ٢ )

الخلفاء الفاطميون فى مصر<sup>(١)</sup>

- المعز لدين الله ٩٥٢-٩٧٥م
- العزيز بالله ٩٧٥-٨٩٦م
- الحاكم بأمر الله ٩٩٦-١٠٢١م
- الظاهر لإعزاز دين الله ١٠٢١-١٠٣٦م
- المستنصر بالله ١٠٣٦-١٠٩٤م
- المستعلى بالله ١٠٩٤-١١٠١م
- الأمر بأحكام الله ١١٠١-١١٣٢م
- المحافظ لدين الله ١١٣٢-١١٤٩م
- الظافر لدين الله ١١٤٩-١١٥٤م
- الفائز بنصر الله ١١٥٤-١١٦٠م
- العاضد لدين الله ١١٦٠-١١٧١م

---

١- مايسه محمود، دارد . المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، دراسة أثرية

وقنية، ط. القاهرة ١٩٩١م، ص١٣



ملحق رقم (٣)  
السلطين العثمانيون  
(من ١٢٩٩ إلى ١٥٢٠م)

- عثمان الأول بن أرطغرل ١٢٩٩-١٣٢٦م
- أورخان بن عثمان ١٣٢٦-١٣٦٠م
- مراد الأول بن عثمان ١٣٦٠-١٣٨٩م
- بايزيد الأول بن مراد الأول ١٣٨٩-١٤٠٣م
- محمد بايزيد الأول ١٤١٣-١٤٢١م
- مراد الثاني بن محمد الأول ١٤٢١-١٤٥١م
- محمد الثاني (الفاتح) ١٤٥١-١٤٨١م
- بايزيد الثاني بن محمد الثاني ١٤٩١-١٥١٢م
- سليم الأول بن بايزيد الثاني ١٥١٢-١٥٢٠م

التعليق

الأمر المؤكد : أن السلطان محمد الثاني ١٤٥١-١٤٨١م، الملقب بالفاتح يعد أكبر سلاطين العثمانيين تأثيراً في التاريخ البيزنطي، إذ وضع له النهاية التي تأخرت كثيراً ويلاحظ أن قيامه بهجمة القسطنطينية بعد عامين فقط من توليه السلطنة يؤكد بما لا يدع مجالاً لارتياب مرتاب ، أن إسقاط العاصمة البيزنطية كان هدفاً استراتيجياً للسلاطين العثمانيين وما دور محمد الفاتح إلا تكملة لأدوارهم في جهادها، ثم أنه يعكس لنا حرصه الشديد على أن يدخل بوابة التاريخ « مبكراً » من خلال ذلك للعمل الفذ الذي فصلت أمره فيما سبق من عرض تاريخي؛ وذلك دونما قولته أو اعتساف في الأحكام.

من المهم ملاحظة : أن السلاطين الذين سبقوا محمد الثاني وهم ستة من كبر الحكام العثمانيين ، مهدوا لذلك السلطان بتحقيق إنتصاره التاريخي الذي قلب الموازين الدولية بصورة غير مسبوقه في العلاقات بين عالمي الإسلام والمسيحية في أواخر العصور الوسطى ومطلع الحديثه .

## ملحق رقم (٤) الترتيب الزمني لأهم أحداث التاريخ البيزنطي

- ١١ مايو ٣٣٠م، إفتتاح القسطنطينية:  
 ٩ أغسطس ٣٧٨م معركة أدرنة وهزيمة القوط الشرقيين لغالنز  
 ٣٨١م مجمع القسطنطينية.  
 ٤٣٨م إصدار مجموعة ثيودوسيوس القانونية.  
 ٤٥١م مجمع خلقدونية الكنسى الرابع.  
 ٤ سبتمبر ٤٧٦م سقوط الإمبراطور رومولوس أوجستيلوس آخر إمبراطور رومانى فى الغرب.
- ١ أغسطس ٥٢٧ م جستنيان يتولى العرش.  
 ١١-١٩ يناير ٥٣٢م ثورة النصر Nika .  
 ٢٧ ديسمبر ٥٣٧م إفتتاح كنيسة أبأ صوفيا.  
 ٥٤١-٥٤٤م وباء الطاعون يجتاح القسطنطينية  
 ٢٨ يونيو ٥٤٨م وفاة ثيودورا زوجة جستنيان  
 ١٤ نوفمبر ٥٦٥ م وفاة جستنيان  
 ٦١٥م غزو الفرس لمصر .  
 ٦٢٧- هرقل يلحق الهزيمة بالفرس.  
 ٣٠ أغسطس ٥٧٠م ميلاد محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام .  
 ١٨ يوليو ٦٢٢م الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة  
 ٦٢٩م معركة مؤتة بين المسلمين والبيزنطيين.  
 ٢٢ أغسطس ٦٣٦م. معركة اليرموك وإنتصار المسلمين بقيادة خالد بن الوليد على جيش الامبراطور هرقل .  
 ٦٣٧م الخليفة عمر بن الخطاب يدخل بيت المقدس  
 ١١ فبراير ٦٤١م وفاة الإمبراطور هرقل

٦٤٢ م فتح العرب لمصر

٦٤٩م المسلمون يفتحون قبرص Cyprus

٦٥٤م المسلمون يفتحون رودس Rhodes

٦٥٥م معركة ذات الصراعى وانتصار المسلمين على البيزنطيين.

٦٦٩م المسلمون فى عهد معاوية بن أبى سفيان يحاصرون القسطنطينية دون جدوى.

٧١٧-٧١٨م المسلمون فى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك يحاصرون القسطنطينية خلال حكم الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى.

١٨ يونيو ٧٤١م وفاة ليو الثالث الأيسورى.

٧٥٤م عقد مجمع كنسى فى مدينة هيرا على خليج البسفر فى عهد قسطنطين الخامس.

٨ سبتمبر ٧٨٠م وفاة ليو الحزرى.

٢٥ ديسمبر ٨٠٠م شارلمان يتوج من جانب البابا ليو الثالث فى كنيسة القديس بطرس فى

روما

٢٥ ديسمبر ٨٢٠م وفاة ليو الخامس الأرمينى

٨٦٧م قطيعة فوشيس بين كنيسة القسطنطينية وروما.

٨٧٠م المسلمون يفتحون جزيرة مالطة Malta

١١ مايو ٩١٢م وفاة ليو السادس.

٩٠٤م المسلمون يفتحون سالرنيك Thessalonica

٩٨٦م هزيمة الامبراطور باسل الثانى من جانب البلغار بقيادة زعيمهم صموئيل فى معركة

مر ترانجان Tragan

١٠١٤م الإمبراطور باسل الثانى يحقق انتصاراً على البلغار فى معركة مر كسبالونجو

Kemhalongo.

١٠١٩-١٠١٩م إخضاع بلغاريا وضها فى عهد باسل الثانى.

١٠٤٥م إعادة تنظيم جامعة القسطنطينية فى عهد قسطنطين التاسع.

١٥ يوليو ١٠٥٤م الإنشقاق الأعظم بين كنيسة القسطنطينية وروما

- ١٦ أغسطس ١٠٧١م هزيمة بيزنطة في مانزكوت على أيدي السلاجقة .
- ١٠٨٠م الكيسوس كومنين يتولى العرش البيزنطي.
- ١٠٨٢م الكيسوس كومنين يقدم امتيازات للبتادقة.
- ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م البابا أوربان الثاني (١٠٨٩-١٠٩٩م) يدعو للحروب الصليبية في كليرمونت .
- ١٠٩٧م عقد اتفاقية القسطنطينية بين الامبراطور الكيسوس كومنين وأمرأه الحملة الصليبية الأولى.
- ١١٠٨م عقد معاهدة بين الامبراطور الكيسوس كومنين وبرهيمند
- ١١١٨م وفاة الكيسوس كومنين وتولى حنا كومنين .
- ٨ أبريل ١١٤٣م وفاة حنا كومنين
- ١١٤٧-١١٤٩م الحملة الصليبية الثانية.
- ١٧ سبتمبر ١١٧٦م معركة مرياكيفالون وهزيمة مانويل كومنين
- ٢٤ سبتمبر ١١٨٠م وفاة مانويل كومنين .
- ١١٨٢م مذبحة اللاتين في القسطنطينية .
- ١١٨٥م النورمان يستولون وينهبون سالونيكاً
- ٤ يوليو ١١٨٧م - ٢ أكتوبر ١١٨٧م معركة حطين وسقوط مملكة بيت المقدس الصليبية
- ١٣ أبريل ١٢٠٤م سقوط القسطنطينية في أيدي اللاتين في الحملة الرابعة
- ١٥ أغسطس ١٢٦١م البيزنطيون يستردون القسطنطينية .
- ١٢٦٦-١٢٨٢م محاولات شارل الأنجوى الاستيلاء على القسطنطينية
- ١٢٧٤م انعقاد مجمع ليون
- ١٣٠٨م العثمانيون يستولون على السوس Ephesus .
- ١٣٢١-١٣٢٨م الحرب الأهلية بين أندرونيكوس الثاني وأندرونيكوس الثالث
- ١٣٢٦م العثمانيون يستولون على بورصة
- ١٣٣١م العثمانيون يستولون على نيقية .

- ١٣٤١-١٣٤٧م الحرب الأهلية بين يوحنا الخامس ويوحنا كنتاكوزين
- ١٣٤٧م الغناء الكبير The Black Death
- ١٣٥٤م العثمانيون يستولون على جاليبولي Gallipoli .
- ١٣٦٥م العثمانيون يؤسسون عاصمتهم فى أدريانوبل Adrianople .
- ١٣٧٦-١٣٧٩م الحرب الأهلية بين البيزنطيين .
- ١٣٨٧م العثمانيون يستولون على سالونيك .
- ١٣٨٩م معركة كوسوفو
- ١٣٩٣م العثمانيون يستولون على تساليه Thessaly
- ١٤٠٢م معركة أنقره وهزيمة العثمانيين على أيدى التتار بقيادة تيمور لنگ
- ١٤٠٣-١٤١٣م الحرب الأهلية بين أبناء السلطان يزيد على السلطة.
- ١٤٢٣-١٤٣٠م الحرب العثمانية البندقية على سالونيك .
- ١٤٢٥م العثمانيون يستولون على أزمير Izmir
- ١٤٣٩م العثمانيون يستولون على غريس الأناضول
- ١٠ نوفمبر ١٤٤٤م صليبية نافار Navare وفشلها
- ٢٩ مايو ١٤٥٣م الفتح العثمانى للقسطنطينية بقيادة محمد الثانى بن مراد الثانى ومقتل قسطنطين الحادى عشر .
- ١٤٦٠م سقوط ميسترا Mistra
- ١٤٦١م سقوط طرابزون Trebizond

١- اعتمدت فى إعداد الترتيب الزمنى المذكور على: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ت. حسن جيسى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٨١-٢٨٤

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص ٢٥٣-٢٦٤

Browning, The Byzantine Empire, Washington 1997, pp 295-296 .

## ملحق ( ٥ )

أبيات من القصيدة الأرمينية التي أرسلها  
نقفور فوكاس إلى الخليفة العباسي المطيع  
لله (٩٤٦ - ٩٧٤م) متهدداً ومتوعداً

من الملك الظاهر المبحى مالك إلى خلف الأملاك من آل هاشم  
إلى الملك الفضل المطيع أخى العلاء ومن يرحمى للمعضلات العظام  
أما سمعت أذنك ما أنا صانع فإن تك عما تقلدت تائمًا  
ثغوركم لم يبق نبيها لوهنكم وضعتكم إلا رسوم المعالم  
فتحتنا الثغور الأرمينية كلها بفتيان صدق كالليوث الضراغم  
ويقول أيضاً

أسير بجندى نحو بصرتها اثنى لها يعر عجاج رانع متلازم  
إلى واسط وسط العراق وكوفة كما كان يوماً جندنا ذو العزائم  
وأخرج منها نحو مكة سرعًا أجر جيوشًا كاللبالى السواجم  
فأملكها دهرًا عزيزًا مملًا أقيم بها للحق كرسى عالم  
واحوى لجدًا كلها وتهامها وسط واتهام مذبح ومخاصم  
وأغزو يمانا كلها وزبيدها وصنعاها مع صعدة والتهائم  
فأتركها أيضًا خرابًا بلائعًا خلاة من الأهلين أهل مغانم  
وأحرى أموال البيانية كلها وما جمع القرماط يوم محارم  
أعود إلى القدس "أنى شرفت بها بعز مكين ثابت الأصل قائم  
وأعلو سريرى للوجود معظمًا وتبقى ملوك الأرض مثل خرازم  
هتالك تخلو الأرض من كل مسلم لكل نقى الدين أغلف زاعم

## التعليق

من الجلى البين من خلال مطالعة تلك الأبيات الشعرية عدة دلالات :

أولاً : تخيير ذلك الامبراطور البيزنطى استخدام الشعر؛ من أجل إرسال رسالة تهديد ووعيد للخليفة العباسى المطيع وهو أمر يعكس تفضيله الشعر على النشر لتحقيق ذلك الهدف. كذلك تدرك أن ورودها فى عدد من المصادر العربية يدل على انتشارها ومن المحتمل أن أبياتها ذاعت وانتشرت بحكم كون الشعر أيسر فى الحفظ من النشر بصفة عامة

ثانياً : لاتغفل ؛ أن ورود عدة مدن عربية إسلامية مثل بغداد، والبصرة ، وواسط ، ومكة فى القصيدة المذكورة بالإضافة إلى بيت المقدس؛ يدل على أن ذلك الإمبراطور البيزنطى لم يخص الحديث عن المدينة الأخيرة فقط، مما ينفى فى الأصل فكرة قيامه بحرب ذات طابع صليبي ؛ من أجل استردادها

ثالثاً : تعكس تلك القصيدة ؛ أن الإمبراطورية البيزنطية خلال عهد نقفور فوكاس ؛ أدركت بجلاء أهمية سلاح الدعاية من أجل تحقيق أهدافها السياسية ضد أعدائها . وهكذا ؛ لم نجد أفضل من الزاوية الدينية والعرف على وتر مدينة بيت المقدس؛ من أجل إثارة المعاصرين دون أن يكون ذلك من خلال مفهوم مستقر ومحدد عن الحرب المقدسة.

رابعاً : تكشف تلك القصيدة لنا كيف أن الضعف السياسى لدى المسلمين فى العصر العباسى الثانى؛ جعل ذلك الإمبراطور يتجراً على الخليفة المطيع ويهدده فيها بالوصول إلى مكة المكرمة . وهو تهديد أرعن ما كان من الممكن أن يحققه لأنه واقعياً لم يتمكن إلا من دخول بعض المناطق فى بلاد الشام ، ولم يستمر بها طويلاً . وهكذا؛ فإن تلك القصيدة لاتدرس إلا من خلال الأوضاع السياسية المتردية عامة التى كانت تعيش خلالها الدولة العباسية على نحو أدى إلى تطاول الدولة البيزنطية حينذاك إلى هذا الحد الغير مسبوق فى لغة الدعاية السياسية والحربية المتبادلة بين البيزنطيين والعباسيين . وهو أمر لم يحدث خلال عهده الراشدين والأمويين والعباسيين فى عصرهم الأول؛ مما عكس تفرد الحادثة فى تاريخ العلاقات البيزنطية- العربية .

خامساً : نظراً لكون ذلك الإمبراطور من القادة العسكريين الذين بلغوا المنصب الامبراطورى ، لذلك رفع مثل تلك الشعارات الديماغوجية الخاصة باسترداد بيت المقدس، ومن المفترض فى حالة كونه خارج نطاق النخبة العسكرية؛ ما فكر فى استغلال «الحلم الجماعى» المرتبط بالهجم إلى المحارم المسيحية المقدسة ليكون فى مشروعه السياسى.

## ملحق ( ٧ )

## المستعمرات اليزنطية التي خضعت للبندقية عام ١٢٠٤م

- ١- مورون من ١٢٠٦ - ١٥٠٠م
- ٢- كورون من ١٢٠٦ - ١٥٠٠م.
- ٣- أرجوس من ١٣٨٨ - ١٤٦٣م.
- ٤- نوبليا من ١٣٨٨ - ١٥٤٠م.
- ٥- مونفاسيا من ١٤٦٤ - ١٥٤٠م
- ٦- ليبانتو من ١٤٠٧ - ١٤٩٩م.
- ٧- لجزو بونت من ١٢٠٩ - ١٤٧٠م.
- ٨- پتليون من ١٣٢٣ - ١٤٧٠م.
- ٩- إيجينا من ١٤٥١ - ١٥٣٧م
- ١٠- تينوس من ١٣٩٠ - ١٧١٥م.
- ١١- ميكونوس من ١٣٩٠ - ١٥٣٧م.
- ١٢- شمالي سبوراديز من ١٤٥٣ - ١٥٣٨م.
- ١٣- كورفو من ١٢٠٦ - ١٢١٤م / ١٣٨٦ - ١٧٩٧م.
- ١٤- كيفالونيا من ١٤٨٣ - ١٤٨٥م / ١٥٠٠ - ١٧٩٧م.
- ١٥- زانتى من ١٤٨٢ - ١٧٩٧م.
- ١٦- سريجو من ١٣٦٣ - ١٧٩٧م.
- ١٧- سانتامافرا من ١٥٠٢ - ١٥٠٣م.
- ١٨- أثينا من ١٣٩٤ - ١٤٠٢م
- ١٩- پاتراس من ١٤٠٨ - ١٤١٣م / ١٤١٧ - ١٤١٩م.
- ٢٠- ناكسوس من ١٤٩٤ - ١٥٠٠م / ١٥١١ - ١٥١٧م.



- ٢١- انوروس من ١٤٣٧- ١٤٤٠م / ١٥٠٧- ١٥١٤م  
 ٢٢- پاروس من ١٥١٨- ١٥٢٠م / ١٥٣١- ١٥٣٦م .  
 ٢٣-  $\frac{1}{4}$  أهورجوس من ١٣٧٠- ١٤٤٦م  
 ٢٤- ماينا من ١٤٦٧- ١٤٧٩م  
 ٢٥- قوسترا ١٤٧٠م<sup>(١)</sup>

---

اسحق عبده، الدولة البيزنطية في عصر بالولوغوس ١٢٦١- ١٢٨٢م. منشورات جامعة بنغازي ،  
 ط. بيروت ب-ت ، ص١٣٦-١٣٧

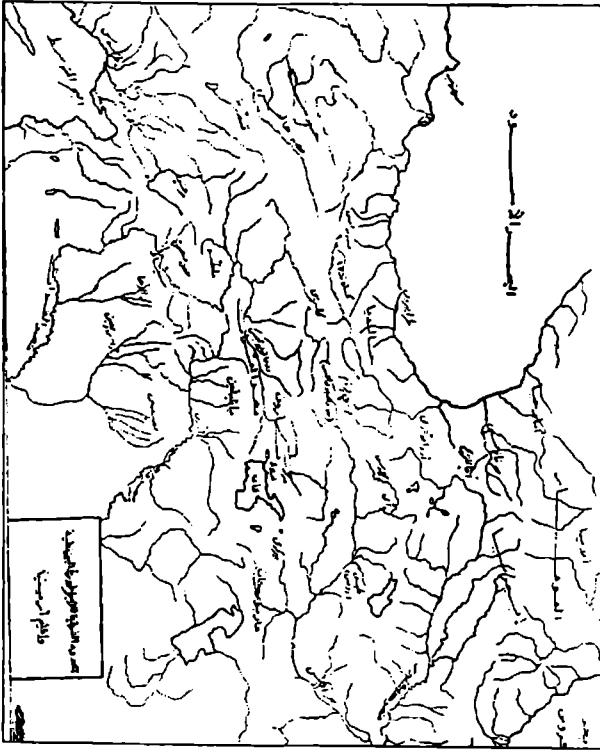
## الخرائط<sup>(١)</sup>

---

\* إعتقاداً على محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية مدخل إلى التاريخ السياسي والحربي ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٢. اسمت غنيم، امبراطورية جستنيان، ط. جدة ١٩٧٧م، نعم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ط. دمشق ٢٠٠٤ .

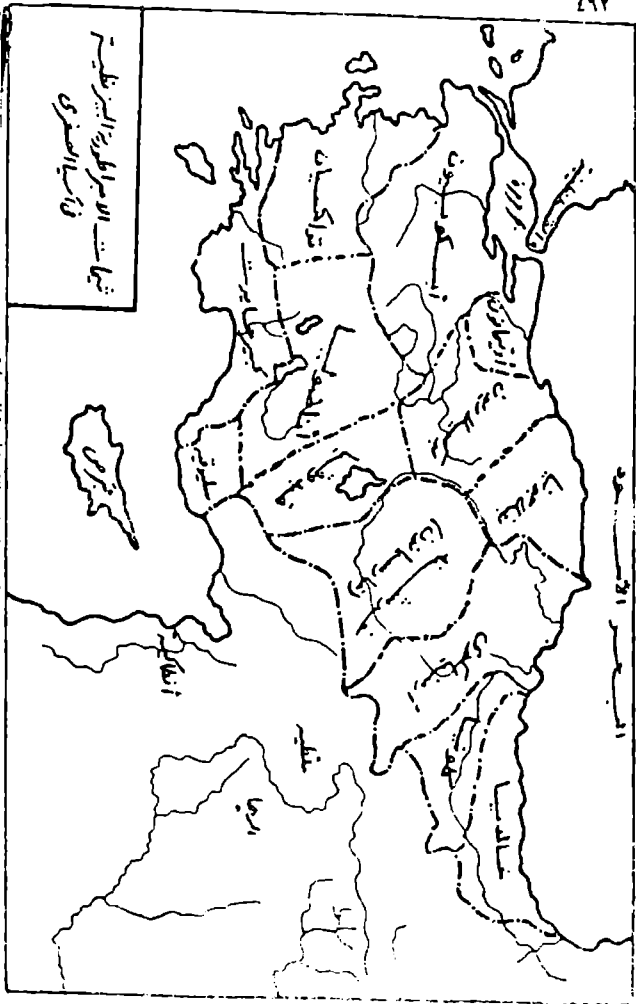






مصدر: سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية.





شبهات الامبراطورية البيزنطية  
في آسيا الصغرى

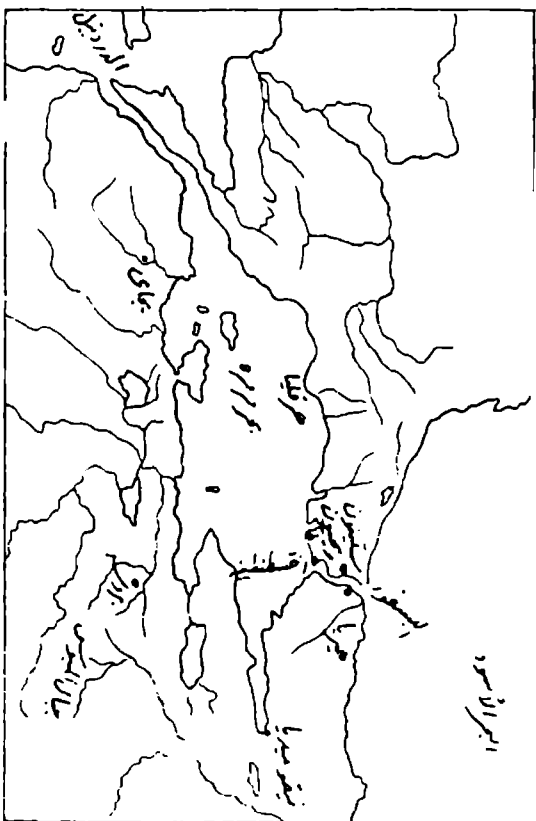
مصدر: سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية





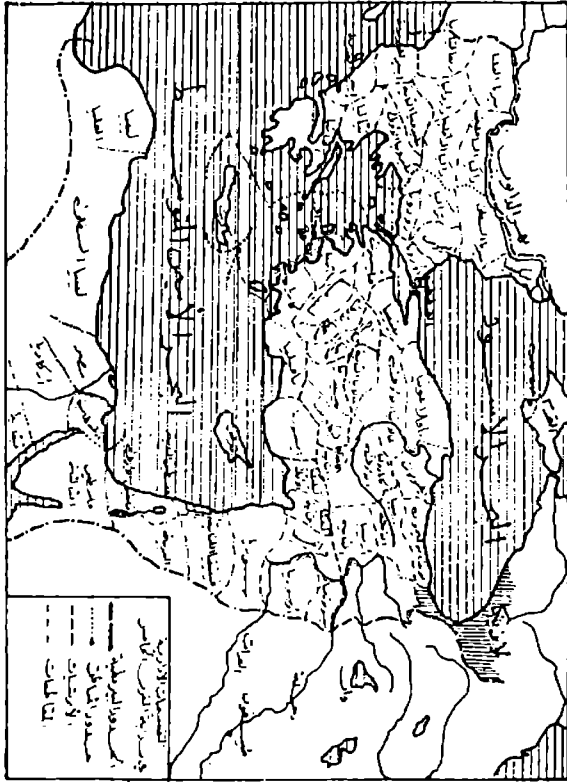






منطقه دجله و فرات  
و مستقرات ایران باستان  
معمود محمد عثمان، معالج تاریخ الامراتورية الميوسينية





تقسيم فوج، تاريخ منطقة الساسي



المدن المبرنطية والتقسيمات الإدارية في القرن الخامس



## قائمة المختصرات

- A.B.: Analecta Bollandiana.
- A. H.R.: American Historical Review.
- A.O.L.: Arshives de L'Orient Latin.
- B.: Byzantion.
- B.B.O.M.: Birmingham Byzantine and Ottoman Monographs.
- B.F.A.A.U.: Bulletin of The Faculty of Arts Alexandria University.
- B.J.R.L.: Bulletin of the John Rylands library.
- B.E.O.: Bulletin des Etudes Orientales.
- B.F.: Byzantinische Forschungen.
- B.Z.: Byzantinische Zeitschrift .
- C.H.A: Collection des Historiens Armeniens.
- E.I: Eretz. Israel.
- E.W. W.R.: Encyclopedia of World Woman and Religion.
- C.I.G: Corpus Inscriptionum Graecorum.
- C.S.H.B.: Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae.
- C.M.: Classica et Mediaevalia .
- C.M.H.: Cambridge Medieval History.
- D.O.S. : Dumberton Oaks Studies.
- D.O.P: Dumberton Oaks Papers.
- D.T.C.: Dictionnaire de Theologie Catholique.
- E.H.R.: Egyptian Historical Review.
- E.H.R.: English History Review.
- E.IsI: Encyclopedia of Islam.
- E.W.WR.: Encyclopedia of Women and World Religions.
- Ency. Jud. Encyclopedia Judeca.
- E.O.: Echos d'Orient .
- E.R.: Encylopedia of Religion.
- H.: L'Histoire.
- H.Z.: Historich Zeitschrift.



- J.E.S.H.O.: *Journal of Economic and Social History of The Orient* .
- I. C.: *Islamic Culture*.
- I.J.T.S.: *International Journal of Turkish Studies*.
- J.H.S.: *Journal of Hellenic Studies*.
- J.J.S. : *Journal of Jewish Studies*.
- J.O.A.S. : *Journal of Oriental and African Studies*.
- J.M.I.H.: *Journal of Medieval and Islamic History*
- J.R.A.S.: *Journal of Royal Asiatic Society*.
- H.U.C.A.: *Hebrew Union College Annual*.
- L.C.L.: *The Loyb Classical Library*
- O. chr. P.: *Orientalia Christiana Periodica*.
- O.D.B.: *Oxford dictionary of Byzantium* .
- P.G.: *Patrologia Graeca*.
- P.L.: *Patrologia Latina*.
- P.O.: *Patrologia Orientalis*.
- P.P.T.S.: *Palestine Pilgrims Text Society*.
- M.E.R.J.: *Middle East Research Journal*.
- M.G.H.: *Monumenta Germaniae Historica*.
- Med.S.: *Medieval Studies*.
- N.P.N.F.: *Niciene and Post Niciene Futhers*.
- R. A.: *Revue Archaeologique*.
- R. Af. : *Revue Afrique*.
- R.H.: *Revue Historique*.
- R.H.C.: *Recueil des Historiens des Croisades*.
- R.O.L.: *Revue de L'Orient Latin* .
- S. : *Speculum*.
- S.C.H.: *Studies in Church History*
- S.M.: *Studi Medievali*.
- Z.R.V.I: *Zbornik Radova Vizantoloskog Instituta*.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً : المصادر اليونانية واللاتينية والأرمنية والسريانية

- Agathias, The Histories Trans . by J.O. Frendo , New York 1975 .
- Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana , in R.H.C., Hist . Occ. T.V , Paris 1879
- Albert of Trois Fontaines, Chronicle of Albert of Trois Fontaine, in Andrea and Whalen (eds.) , Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Ambroise , The Crusade of Richard Heart of Lion , Trans. by Hubert , New York 1948
- Anonymous Syriac Chronicle , Trans. by A. S. Tritton and H. Gibb, J.R.A.S., vol . 92 , 1933 .
- Anonymous , The Chronicle of the Third Crusade Atranslation of Itenerarium Peregrianorum et Gesta Regni Recardi , Trans. by Helen Nicholson , London 1997
- Anonymous , Devastatio Constantinople , in A.J. Andrea and E.W. Whalen (eds.), Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Anonymous, The Deeds of Franks and The other Pilgrims to Jerusalem, Trans. by R. Hill, London 1962 .
- Anonymous , The Anonymous of Soissons in Andrea and Whalen (eds.) Contemporary Sources for the Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Anonymous, The Deeds of Bishops Halberstadt, in A. J. Andrea and B. E., Whalen (eds.), Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Anna Comnena, The Alexiad , Trans. by E.R.A. Sewter , Penguin Book , London 1979 .
- Baldric of Dol , in Peters (ed.) , The Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials , Philadphie 1971

- Bernard of Clairvaux, *The Letters of St. Bernard of Clairvaux*, Trans by Bruno Scott James, Institute of Cistercian Studies , Western Michigan University , 1988 .
- Constantine Porphyrogenitus , *De Administrando Imperio*, Trans by Jenkins , Washongton 1967 .
- *Corpus Juris Civilis* , ed T. Mommsen , p. Kruger, R. Scholl, W. Kroll, 3 vols., Berlin 1945- 1963 .
- Count Hugh of Saint Dol , *Report to The West* , in A.J Andrea (A.J.), and Brette (E.W.) eds.), *Contemporary Sources for The Fourth Crusade*, Leiden 2000 .
- Daniel , *Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy land*, Trans by Wilson, P.P.T.S., vol . IV , London 1895 .
- Diogenis Akritis, ed. and Trans. by J. Mavrogordate , Oxford 1926 .
- Doukas, *Decline and Fall of Byzantium to the Outooman Turks*, trans. by Magoulias, Detriot 1975 .
- Einhard, *Vita Caroli Magni*, in Lewis thorpe (ed.) *Two lives of Charlamagne by Einhard and Notker the Stammerer* , Penguin Book, London 1969
- Ernoul, *Chronique d'Ernoul et Bernard le Tresorier*, ed. Par Mas Laterie, Paris 1971
- Evagrius Scholasticus, *The Ecclesiastical History*, Trans by Michael Whitby , Liverpool 2000 .
- Eucherius, *Description of Jeruslaem*, Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., vol III, London 1892 .
- Eusebius, *Extraits from Eusebius life of Constantine* , Trans. by John Bernard, P.P.T.S., vol . I, London 1896 , *The Ecclesiastical History* Trans. by Kirsopp Lake, L.C.L., London 1930-1940 .
- Euphrosine , *Pelerinage en Palestine* “, Trans by De Khitrowo”, R.O.L., T. III, Année 1895 .

- Geoffrey of Vinsauf, *Crusade of Richard Coeur de Lion* , in *Chronicles of The Crusades*, London 1908 .
- Gilbert of Nogent , in Petrs (E), (ed.), *the First Crusade, The Chronicles of Fulcher of Chartres and other Source materiales*, Philadelphia 1971
- Gunter of Paris , in Allen (S.T.) and Ant (A.) (eds.), *The Crusades*, Toronto 2003 .
- Innocent III, *The Register of Innocent III* , in Andrea (A.J.) and whalen (B.E..) (eds.), *Contemporary Sources for the Fourth Crusade*, Leiden 2000 .
- Jacques de Vitry, *History of Jerusalem*, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol IX , London 1896 .
- Jean de Joinville, *The life of St. Louis*, in *Chronicles of The Crusades*, Trans. by M.R.B. Shaw , Penguin Book , London 1976 .
- Joannes Phocas , *A brief Description of the Holy land*, Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., vol V , London 1896 .
- John Bishop of Nikou, *Chronicle of John Bishop of Nikou* , Trans from Ethiopcan by Zotenberg , Paris 1883, English Trans . by R.M. Charls London 1916 .
- John Malalas, *The Chronicle of John Malalas*, Trans. by Elezabeth Jeffrys and Michael Jeffrys, R.Scott, *Byzantina Australiensia*, Australian Association for Byzantine Studies, University of Sidney 1986 .
- John Moschos, *the Spiritual Meadow ( Pratum Spiritual )*, Trans. by John Wortley, Kalamazoo, Michigan 1992 .
- John of Wurzburg, *Description of the Holy land* , Trans. by A. Stewart . P.P.T.S., vol . V London 1896 .
- Julian , *Julian letters and Works*, trans. by W.C. Wright, 3 vols , London 1913 .

- Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus, Trans. by Charles M. Brand, Colombia 1976 .
- Kritovoulos, History of Mehmed The Conqueror , Trans. by C.T. Riggs, Princeton 1954 .
- Life of St. Mary / Marinos , Trans by Nicholas Constat, in Talbot (A.M.) , (ed.), Holy Women in Byzantium , Ten Saints' Lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Matrona of Perge , in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Mary of Egypt, Trans. by Maria Kouli, in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St Theoktiste of Lesbos, Trans. by Angela C. Hero, in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St Elisabeth The Wonderworker , Trans. by Valerie Karras, in Holy Women . Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Athanasia of Aegina, Trans. by Lee Francis Sherry, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St Theodora of Thessalonike , Trans. by Alic- Mary Talbot, in Holy Women, Dumbarton Oaks , Washington 1996 .
- Life of St. Mary The Younger , Trans. by Angeliki E. Luion in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St Theodora of Arta, Trans. by Alice- Mary Talbot, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Thomais of Lesbos, Trans. by Paul Hulsall, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theodosia of Constantinople . Trans. by Nicholas Constat, in Talbot (A.M.) (ed.), Byzantine , defenders of images Eight Saints, Lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1989
- Life of St. Stephen The Younger , Trans. by Alice - Mary Talbot, in Byz-

- antine defenders , Dumbarton Oaks, Washington 1989 .
- Life of St. Anthousa of Mantineon, Trans. by Alice - Mary Talbot , in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks , Washington 1989
  - Life of St. Anthousa, daughter of Comnstantine V, Trans. by Nicholas Conostas, in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks, Washington 1989 .
  - Life of the Patriarch Nikephoros I of Constantinople, Trans. by Elizabeth A. Fisher, in Byzantine defenders , Dumbarton Oaks , Washington 1989 .
  - Life of Sts. David, Symeon, and George of Lesbos , Trans.. by Dorothy Abraham and Douglas Domingo- Forasté, in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks, Washington 1998 .
  - Mathieu d'Edesse, Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136) , avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusque 1162, ed . M.E. Bulquicr , Paris 1858 .
  - Michael le Syrien, Chronique du Michael le Syrien Patriarche Jacobite d' Antioche (1166-1199) ed . Par J.B. Chabot , Paris 1899-1905
  - Michael Panaretos, Chronicle of the Empire of Trebizond , ed. O lamp-sides, Athens 1958 .
  - Nicola Barbaro , Diary of the Siege of Constantinople 1453, Trans by J.R. Jones, New York 1969 .
  - Notker The Stammerer, in Tow Lives of Charlemagne , Trans. by Lewis Thrope , Penguin Book , London 1969 .
  - Nicetas Choniates, O'City of Byzantium , Annals of Nicetas Choniates. Trans. by Harry Magolias, Wayne State University Detroit 1984 .
  - Odo of Deul, De Profectine Ludovici VII in Orientem, ed. by Ginyerich Berry , New York 1948 .
  - Oliver of Paderborn , The Capture of Damietta, Trans. by Joseph J. Cav-

- igan, in Peters, (E.) (ed.) *Christian Society and the Crusades 1198-1229*, Sources in Translation including *The Capture of Damietta by Oliver of Paderborn*, Pennsylvania 1971 .
- Otto of Freising , *The deeds of Frederick Barbarossa*, Trans. by Charles Christopher Microw , Toronto 1966 .
  - Otto of St. Blasion, *The Third Crusade 1187-1190* , in Thatcher , *Source Book of Medieval History* , New York 1905 .
  - Philip of Novara, *The Crusade of Frederick II From Philip of Novara* , in Peters (E.) (ed.), *Christian Society and The Crusades 1198-1229* , Sources in translation including *the capture of Damietta by Oliver of Paderborn* , Pennsylvania 1971
  - Photius, *The Homilies of Photius Patriarch of Constantinople* , Trans. by Cyril Mango, D.O.S., 3, Harvard 1958 .
  - Pierre des vaux de Cernay , *The Historia Albigensis*, in Peters (ed.) *Heresy and Authority in Medieval Europe*, Pennsylvania 1980 .
  - Procopius of Caesarea, *The Buildings* , Trans. by H.B. Deaving and G. Downey , London 1940 , *Secret History* , Trans by Richard Atwater , Michigan 1961 , *The Wandalic War* , Trans. by Dewing, Cambridge 1968 , and also in, Evans, *Procopius*, New York 1972 .
  - Psellus , *Fourteen Byzantine Rulers* , *The Chronographia of Michael Psellus*, Trans. by Sewter , Penguin Book , London 1966 . also , Ashour (S.) and Rabie (H.) , (eds.) , *Fifty documents in Medieval History Cairo* 1971
  - Rainier Sacconi , in *Medieval Europe*, Pennsylvania 1980
  - Ralf of Caggeshall, *Chronicle of Ralf of Coggeshall*, in Alfred J. Andrea and Brette F. Whalen , *Contemporary Sources for the Forth Crusade*. Leiden 2000
  - Ramond d' Aguiliers, *Historia Francorum* , Trans. by John Hill and Lau-

rita Hill, Philadelphia 1948 .

- Robert of Clari, *The Conquest of Constantinople*, Trans. by E.H. Mc Neal, New York 1936 .
- Robert the Monk, in Peters (E.) (ed.), *The First Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials*, Philadelphia 1971
- Roger of Wendover, *The Chronicle of Roger of Wendover* , in Peters (E.) (ed.), *Christian Society and the Crusades 1198- 1229* , Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971
- Silvia of Aquitana, *Pilgrimage to the Holy Places*, Trans. by , P.P.T.S., vol . I, London .
- Tacitus, *Tacitus on Britain and Germany* , Trans. by H. Mattingly , The Penguin Book, London 1954 .
- The Chronicle of Solomon Bar Simson , in Eidelberg (ed.), *The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of The First and Second Crusaders*, Wisconsin 1977
- Theophanes, *The Chronicle of Theophanes* , An English Translation of anni mundi (6095-6305 A.D. 602-813), with introduction and notes by Harry Turtledove , Pennsylvania 1982 .
- The Narrative of the Old Persecution or Mainz Anonymous, in Edilberg, *The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of the First and Second Crusades* , Wisconsin 1977
- The Song of Roland Trans. by Sayer, Penguin Book, London 1977
- Villeharduin , *The Conquest of Constantinople* , in *Chronicles of The Crusades*. Trans. by M. R. B. Shaw , Penguin Book, London 1963 .
- William of Poitiers, *Deeds of Duke William* , in Houts, (ed.) *The Normans in Europe*, Manchester 2000 .
- William of Tyre, *A History of Deeds done beyond the Sea* Trans. by Bab-



## ثانياً المصادر العربية :

القرآن الكريم .

- ابن الأثير : ( عز الدين محمد ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م) التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليحات ، ط. القاهرة ١٩٦٣م ، الكامل فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٦٦م. ط. القاهرة ١٩٩٩م)
- ابن أبيك الدوادرى : (أبو بكر عبدالله ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م) الدر الزكية فى الدولة التركية، تحقيق أولرخ هارمان، ط. القاهرة ١٩٧١م ، الدر المطلوب فى أخبار بنى أبوب تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٧٢م.
- ابن بطوطة : (محمد بن عبدالله ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م) تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ط. بيروت ب-ت .
- ابن تغرى بردى : (جمال الدين يوسف ت ٨٧١ هـ / ١٤٦٩م) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ط. القاهرة ١٩٦٣م.
- ابن جبير (محمد بن أحمد ت ٦١٤ أو ٦١٦ هـ) الرحلة المسماة تذكرة بالأخبار فى اتفاقيات الأسفار ، ط. بيروت ١٩٨٤م .
- ابن الجوزى : (أبو الفرج عبد الرحمن ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ج ٩، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٥٩ هـ .
- ابن الفرات : (ناصر الدين محمد ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤م) تاريخ الدول والملوك م (٥) ج (١) ، تحقيق حسن محمد الشماع ، ط. البصرة ب-ت .
- ابن حماد (أبو عبدالله محمد ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١م) أخبار ملوك بنى عبید وسيرتهم، تحقيق التهامى نقره وعبد الحليم عويس ط. القاهرة ١٤٠١ هـ .
- ابن حوقل (أبو القاسم ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م) صورة الأرض ، تحقيق دى جويه . ط بيروت ١٩٦٧م ، ط. بيروت ١٩٩٢م.
- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبدالله ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢م) المسالك والممالك ط. القاهرة ب-ت
- ابن خلدون : (عبدالله بن خلدون ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط.

- بيروت ب-ت ، المقدمة تصحيح وفهرسة ، أبو عبدالله السعيد المنوه ، ط. بيروت ٢٠٠٥م.
- ابن خياط : (أبو عمر خليفه بن خياط ت ٢٤٠هـ / ٨٥٠م) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق مصطفى نجيب نوار وحكمت نوار . ط. بيروت ١٩٩٥م.
- ابن رسته : (أبو علي أحمد ت ق ٤٤هـ / ١٠م) الأعلاق النفيسة ، ط. لندن ١٨٩٢م.
- ابن الساعى : تلخيص معجم الآداب فى معجم الألقاب ج ٤ / ق ٢ ، تحقيق مصطفى جواد . ط. بغداد ١٩٦٧م.
- ابن شاهين : (غرس الدين خليل ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) زبدة كشف المالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بول راقيس ، ط. باريس ١٧٩٧م.
- ابن سعد (ت ٢٣٠هـ / ١٨٤٥م) الطبقات الكبرى ، ط. بيروت ١٩٥٨م.
- ابن شداد (القاضى بهاء الدين ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط. القاهرة ١٩٦٤م.
- ابن عبد الحكيم (عبد الرحمن بن عبدالله ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م) . فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر . ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- ابن العبرى (غريغوريوس ت ٦٨٥هـ / ١٢٥٦م) تاريخ مختصر الدول . ط. بيروت ١٩٥٨م . ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- ابن العديم : (كسالم الدين أبو القاسم ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، ج ١ ، ط. دمشق ١٩٥١م ، بغية الطلب فى تاريخ حلب - القسم الخاص بتراجم السلاجقة ، تحقيق على سورم - الجمعية التاريخية التركية ، ط أنقرة ١٩٧٦م. الدرارى فى ذكر القرارى ، تحقيق علاء عبد الوهاب ، ط. القاهرة ١٩٨٤م.
- ابن عذارى (ت بعد ٧١٢هـ / ١٣١٢م) البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب تحقيق ج .س كولاند وليفى بروئنسال . ط. بيروت ٩٤٨م . ط. بيروت ١٩٩٨م.
- ابن عربشاه (أبو العباس شهاب الدين ، عجنب المقدر فى نواب تيمور . ط. بيروت ١٩٨٦م

- ابن عساكر (أبو القاسم على ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) ، ترجمة محمود بن زنكى تحقيق نيكيتا اليسيف مجلة الدراسات الشرقية . B.E.O., XXV Année 1972 .
- ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ط. القاهرة ١٩٥١م.
- ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن عباس ت ٤٤ هـ / ١٠ م) رسالة ابن فضلان، تحقيق سامى الدهان ط. بيروت ١٩٨٧م
- ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن على ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م) كتاب البلدان ، تحقيق يوسف الهادى ، ط. بيروت ١٩٩٦م)
- ابن الفرطى (كمال الدين أبو افضل ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٢ م) الحوادث الج معة والتجارب النافعة فى المائة السابقة، تحقيق مصطفى جواد ط. بغداد ١٣٥١ هـ
- ابن القلاسى (أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز، ط. بيروت ١٩٠٨م
- ابن كثير (الحافظ عماد الدين اسماعيل ت ٧٤٤ هـ / ١٣٧٣ م)، البداية والنهاية ، ط. القاهرة ب-ت . الاجتهاد فى طلب الجهاد ، ط . القاهرة ١٣٤٧ هـ .
- ابن منكلى ( محمد بن منكلى ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٦ م) الأحكام الملوكية والضوابط النومية فى فن القتال فى البحر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس ، تحقيق عبد العزيز عبد الدايم، عام ١٩٧٤م.
- ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) منتخبات من تاريخ مصر R.H.C., Hilt. Or., T.III
- ابن نباته (أبو يحيى عبد الرحيم ت ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م) ، ديوان ابن نباته ، ط. بيروت ١٣١١هـ.
- ابن نظيف الحموى (أبو الفضائل محمد ت ق ٧٧ / ١٣ م) التاريخ المنصورى- تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان ، تحقيق أبو العيد دودو ، ط. دمشق ١٩٨٣م.
- ابن واصل (جمال الدين محمد ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) مفرج الكروب فى أخبار بنى أبوب ج، ١، تحقيق جمال الدين الشبال ، ط. القاهرة ١٩٥٣م.

- ابن وردان (القرن ١٠هـ / ١٦م) تاريخ الأغالية ، تحقيق محمد زينهم ، ط. القاهرة ١٩٨٨م.
- ابن الوردى : (أبو حفص زين الدين ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) تنمة المختصر فى أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردى . ط. النجف ١٩٦٩م.
- أبو الفداء : (إسماعيل بن على ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) تقويم البلدان ، تحقيق رينو ودى سلان ط. باريس ١٨٤٠م، المختصر فى أخبار البشر ، ط. بيروت ١٩٦٠م.
- أبو تمام : (ديوان أبو تمام ط. بيروت ب-ت .
- أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد ت ٦٥٥هـ / ١٢٦٧م) الذيل على الروضتين ، ط القاهرة ١٣٦٦هـ.
- أسامة بن منقذ : (مزيد الدولة أبو المظفر ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ط. بيروت ١٩٨١م.
- إسحق بن الحسين : (ق ٤٤هـ / ١٠م) أكام المرجان المشهورة فى كل مكان، باعتناء فعمى سعد ، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- الإدريسى : (الشرف الإدريسى ت ٦هـ / ١٢م) ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- بيبيرس الدوادارى : (ركن الدين بيبيرس ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٦م) . زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- البلاذرى (أبو أحمد بن يحيى ت ٧٧هـ / ٨٩٢م) فتوح البلدان ، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- الحسينى (صدر الدين على بن ناصر القرن ٦هـ / ١٢م) ، أخبار الدولة السلجوقية تحقيق عباس إقبال ، ط. بيروت ١٩٨٤م.
- الحسبى (محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) الروض المعطار فى خبر الأنظار، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٥م.
- الدمشقى (شمس الدين بن أبى عبد الله ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرن ط. لبيز ١٩٢٣م.
- الذهبى (الحافظ الذهبى ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) العبر فى خبر من غير ، تحقيق

- أبوهاجر محمد السعيد ، ط. بيروت ١٩٨٥م ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، ط. بيروت ١٩٩٣م.
- الطبرى (أبو جعفر بن جرير ت ٣١٠هـ / م) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. القاهرة ١٩٩٦م.
- العدوى : (القاضى العدوى ت ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م) الزيارات ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط. دمشق ١٩٥٦م.
- عطا ملك الجوينى ( ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) تاريخ جهانكشاي ت. محمد السعيد جمال الدين ، ضمن كتاب دولة الاسماعيليه فى إيران ، ط. القاهرة ١٩٧٥م.
- عسّاد الدين الأصفهاني ( القاضى عماد الدين ت بعد عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦م) البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان ، تحقيق كلود كاهن ، مجلة الدراسات الشرقية B.E.O., T. VII-VIII Années 1937-1938 .
- العماد الأصفهاني (الكاتب) (ت بعد عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦م) الفتح القسى فى الفتح القسدى ط. القاهرة ب-ت
- الفتح البندارى (الفتح بن على بن محمد ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) سنا البرق الشامى ، تحقيق فتحية النبراوى ، ط. القاهرة ١٩٧٩م ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ط. بيروت ، ط. القاهرة ١٩٠٠م.
- القرمانى : (أحمد بن يوسف ت ١٠٠٩هـ / ١٦١٠م أخبار الدول وأثار الأول فى التاريخ ، ج ١ ، ط. بيروت ١٩٩٢م.
- القزوينى : (زكريا بن محمد ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) أثار البلاد وأخبار العباد ، ط. بيروت ٩٩٨م.
- الفلقشندى (أبو العباسى ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ط. القاهرة ١٩٣٠-١٩٣٣م .
- الكندى : ولاة مصر ط. بيروت ١٩٥٩م
- ، المتنبى أبو الطيب ت ق ٤هـ / ١٠م) ديوان المتنبى ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقى ، ط. بيروت ١٩٨٠م.

- مجهول (رحالة مراکشى معاصر للقرن ٦م / ١٢م) الاستبصار فى عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها ورحمهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- المسعودى (أبو الحسن على ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) التنبيه والإشراف ، ط. بيروت ١٩٦٨م، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء العمران . ط. بيروت ١٩٩٦م.
- مسكويه (أبو على أحمد ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) تجارب الأمم، . ط. القاهرة ب-ت
- المقدسى : (شمس الدين أبو عبدالله ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ط. بيروت ب-ت .
- مغلطاي (علاء الدين مغلطاي ت ٧٦٢هـ / ١٣٦٣م) مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق أسيا كليبيان على البارح ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- المقرئى : تقى الدين أحمد ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) اتعاظ الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج ٢ ، تحقيق محمد حلمى أحمد ، ط. القاهرة ، ب-ت ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق جمال الدين الشيبان ومحمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة ١٩٤٠م، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٤ ، تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة
- ناصر خسرو (ناصر خسرو علوى ق ٥٠هـ / ١١م) سفر نامه ت. بحبى الخشاب ، ط. بيروت ١٩٨٣م .
- البيهقى (أبو محمد عبدالله ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج ٣ ، ط. حيدر أباد الدكن ١٣٤٨م.
- ياقوت الحموى: شهاب الدين ت ٨٧٦هـ / ١٢٢٨م) معجم البلدان ، ط. بيروت ب-ت ، ط. بيروت ١٩٩٧م، المشترك وضعاً والمفترق حقاً ، تحقيق وستنبيلد ، ط. بيروت ١٩٨٦م.
- البيزى (محمد بن أحمد ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) العراضة فى الحكاية السلجوقية ت. عبد النعيم حسنين ، ط. بغداد ١٩٧٩م.

## ثالثاً : المصادر المعربة :

- ٦٩ - أنا كومنيننا ( ق ١٢م / ٦هـ) الكسياد ت. حسن حبشى ، المشروع القومى للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.
- بطرس توديبود ( ت ق ١٢م / ٦هـ) تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ت . حسين عطيه ، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م.
- بروكوبيوس (٦م) التاريخ السرى ت. صبرى أبو الحخير . ط. القاهرة ٢٠٠١م (ت ق ١٢م / ٦هـ) . عزرا حداد ، ط. بغداد ١٩٤٥م ودراسة وتقديم عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، المجتمع الثقافى أبوظبى ٢٠٠٢م.
- بنيامين التطبلى (ت ق ١٢م / ٥هـ) الرحلة ، ت. عزرا حداد ط. بغداد ١٩٤٥م، ودراسة وتقديم عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، ودراسة المجتمع الثقافى أبوظبى، ٢٠٠٢م.
- ثيودريش ( ق ١٢م / ٦هـ) وصف الأماكن المقدسة فى فلسطين للرحالة الألمانى ثيودريش، القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى ، ت . سعيد عبدالله البيشاوى ورياض شاهين ، ط. عمان ٢٠٠٣م.
- دانيال الروسى (ت ق ١٢م / ٦هـ) رحلة الحاج الروسى دانيال الراهب ، ت. سعيد عبدالله البيشاوى ط. عمّان ١٩٩٢م .
- روبرت كلارى : (ت ق ١٢م / ٧هـ) فتح القسطنطينية . ت. حسن حبشى ، ط. القاهرة ١٩٦٤م.
- فوشيه الشارتري ( ت ق ١٢م / ٦هـ) تاريخ الحملة إلى القدس ، ت. زياد العلى، ط. عمان ١٩٩٥م.
- فلناردوين (ت ق ١٣م / ٧هـ) من مذكرات فلناردوين فتح القسطنطينية ، ت. حسن حبشى ، ط. جدة ١٤٠٣هـ.
- قسطنطين السابع بورفيروجينيتس : إدارة الامبراطورية البيزنطية ت. محمد سعيد عمران. ط. بيروت ١٩٨٠م.
- مجهول (ت بعد عام ١٠٩٩م / ٤٩٢هـ) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ت. حسن حبشى ، ط. القاهرة ١٩٧٠م.

- مجهول (مزوخ سريانى مجهول الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية ، ضمن كتاب الحروب الصليبية ، ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٨٤م.
- مجهول : قصة حملة الأمير إيفور خميس حرج ، ط. موسكو ١٩٨٩م
- مجهول: ( ق ٤٤ / م ١٠) حدود العالم من الشرق إلى الغرب ت. عن الفارسية. وتحقيق يوسف الهادى، ط. القاهرة ٢٠٠٢م .
- نيقولا باربارو : (القرن ١٥ م ٩هـ) الفتح الاسلامى للقسطنطينية ، يوميات الحصار العثماني ١٤٥٣م ت. حاتم الطحاوى ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- يوحنا النقيوسى : ( عاصر القرن ٧م / ١هـ) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى ، ت. عمر صابر عبد الجليل ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- يوساب القيسارى : تاريخ الكنيسة . ت مرقص داود ، ط. القاهرة ١٩٧٩م .



## رابعاً : المراجع العربية والمعربة :

- إبرار كريم الله من هم التتار ؟ ت. رشيدة رحيم الصروتى، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- إبراهيم أبو جابر (د.) القدس ومستقبلها فى القرن الحادى والعشرين، دراسات (٢٤) ، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان ٢٠٠٢م.
- ابراهيم العدوى (د.) « إفريقيا بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى »، المجلة التاريخية المصرية م (٣) ، العدد (٢) عام ١٩٥٠م، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ط. القاهرة ١٩٥١م، الدولة الأموية والبيزنطيون ط. القاهرة ١٩٥٣م « قوانين الإصلاح الزراعى فى الامبراطورية البيزنطية »، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، العددان (٣) ، (٤) يونيو ١٩٧٣م.
- إبراهيم أيوب (د.) التاريخ الفاطمى السياسى ، ط. بيروت ١٩٩٧م.
- إبراهيم بيضون (د.) الدولة العربية فى أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢- / ٧١١-١٠٣١م، ط. بيروت ١٩٨٦م ، « حملة مؤته مقارنة للمشروع السياسى الأول للدولة الإسلامية فى بلاد الشام»، ضمن كتاب تاريخ بلاد الشام إشكالية الموقع الدور فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٩٧م.
- إبراهيم خميس (د.) « الأوبئة والأمراض التى تفشت بين الصليبيين فى الشرق الأدنى الإسلامى وأثرها ٩٨٠-١٢٩١م» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران محرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- ابراهيم خورى : الشريف الإدريسى نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مركز زايد للتراث والتاريخ ط. أبوظبى ٢٠٠٠م.
- ابراهيم سعيد فهم (د.) « جى دو لوزينيان وصلاح الدين الأيوبي بين الحرب والسلام» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى. كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، محرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- إبراهيم طرخان (د.) الحركة اللا أيقونية فى الدولة البيزنطية ، ط. القاهرة ١٩٥٦م.

- تاكيتوس والشعوب والجرمانية ط. القاهرة ١٩٥٩ م، المسلمون في أوربا في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٦م.
- إبراهيم عبد الفتاح المتناوى (د.) فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية ، ط. طنطا ٢٠٠٢م.
- إحسان عباس (د.) جثون «المخطر الأخضر» وحملة تشويه الإسلام، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- إحسان عباس (د.) العرب في صقلية ، ط. القاهرة ١٩٥٩م.
- أحمد إبراهيم الشريف (د.) دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة ط. القاهرة ١٩٦٨م.
- أحمد إسماعيل عى (د.) تاريخ بلاد الشام في العصر العباسى ١٣٢ - ٤٦٣هـ/ ٧٤٩ - ١٠٧٠م دراسة اجتماعية ، ط. دمشق ١٩٨٣ م ، أحمد البيلى (د.) حياة صلاح الدين الأيوبي ط. القاهرة ١٩٤٦م.
- أحمد الحوفى (د.) الطبرى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- أحمد الحشاش (د.) التفكير الاجتماعى ، ط. بيروت ١٩٨١م.
- أحمد جردت (باشا) تاريخ جردت ت. عبد القادر الدنا، تحقيق عبد اللطيف الحميد، ط. بيروت ١٩٩٩م.
- أحمد حطيط (د.) حروب المغول ، ط. بيروت ١٩٩٤م.
- أحمد رضا : خيبة السياسة الغربية في الشرق ت. بورقييه والصادق ، ط. تونس ١٩٧٧م.
- أحمد رمضان (د.) شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٧٨م ، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى - الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ب-ت
- أحمد زكى : أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح ، ط. الرياض ١٩٩٥م.
- أحمد سوسه : الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية، ط. تونس ١٩٧٤م.
- أحمد عامر (د.) «اليهود وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية حتى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى ، التاريخ والمستقبل يناير ٢٠٠٣م.

- أحمد عبد الرازق (د.) تاريخ مصر الإسلامية وأثارها من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي ، ط. القاهرة ١٩٩٣م.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى (د.) أصول التاريخ العثماني ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- أحمد عبد الكريم سليمان (د.) «رسالة من البطريك نيقولا مستيكوس إلى الخليفة العباسي» ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٨) ، (٢٩) ، عام ١٩٨١م - ١٩٨٢م.
- أحمد عبدالله أحمد : التجارة فى الساحل الشامى فى القرنين ١٢ ، ١٣م رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م تحت إشرافى بالاشتراك مع أ.د. أحمد رمضان).
- أحمد عثمان (د.) تاريخ اليهود، ج ٣ ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- أحمد على عجيبة (د.) الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- أحمد عودات (د.) وجميل بيضون (د.) وشعاده الناظور (د.) تاريخ المغول والماليك من القرن السابع الهجرى حتى القرن الثالث عشر الهجرى ، ط. إربد ١٩٩٠م.
- أحمد فؤاد سيد (د.) تاريخ الدعوة الإسلامية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والمخلفاء الراشدين - بلاغ الدعوة ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، الحكم الإسلامى لفلسطين فى ظل دولة الخلافة الإسلامية ١٥هـ - ٤٩٢هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بنى أيوب ٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ ط. القاهرة ٢٠٠٢م .
- أحمد فؤاد متولى (د.) تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبى، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- أحمد كامل محمود الحاكم بأمر الله وعصره رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.
- أحمد كمال الدين حلمى (د.) السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ط. الكويت ١٩٨٦م.
- أحمد محمد عدوان (د.) موجز تاريخ دويلات المشرق الإسلامى ، ط. الرياض ١٩٩٨م.
- أحمد مختار العبادى (د.) فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ط. بيروت ب-ت ، فى

- التاريخ العباسي والأندلسي، ط. بيروت ب-ت، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط. الاسكندرية ب-ت. قيام دولة المصاليك الأولى في مصر والشام، ط. بيروت ١٩٨٦م.
- أحمد وصفي زكريا : جولة أثرية في بعض البلاد الشامية وصف طبغرافي تاريخي أثيرى عمراني للبقاع والبلدان الممتدة من شمالي الاسكندرية إلى أبواب دمشق، ط دمشق ١٩٨٤م.
- أدهم الدم ودانبال غورمان ويروس ماسترز : المدينة العثمانية بين الشرق والغرب حلب، أزمير -اسطنبول ت- زلي ذبيان، ط. الرياض ٢٠٠٤م.
- إدوارد جييون إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ج١، ت. محمد على أبوريدة، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- آرثر كريستنس : إيران في عهد الساسانيين ت- يحيى الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام، ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- آرثر هيرمان : فكرة الإضمحلال في التاريخ الغربي، ت. طلعت الشايب تقديم رمضان ببطاويسي المشروع القومي للترجمة، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م) ت. محمد أحمد عيسى، ط. القاهرة ١٩٩٠م.
- أرشيد يوسف (د.) سلاجقة الشام من ٤٣٥- ٥٧٠ هـ، ط. الرياض ١٩٨٨م.
- إرنست باركر : الحروب الصليبية ت. السيد الباز العرني، ط. القاهرة ٩٦٠م.
- أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الاغريق، ت. لمعي المطيعي، ط. القاهرة ١٩٩٠م.
- أسامة زكي زيد (د.) صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، ط. الاسكندرية ١٩٨١م.
- اسبر زيتو : الشهيد الإسلامي خرافة أم حقيقة ؟ ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- اسحق عبيد (د.) روما وبيزنطة من قطيعه فوشيبوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين، ط. القاهرة ١٩٧٠م. الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية

- ط. القاهرة ١٩٧٢م ، الفرسان والأقنان فى مجتمع الاقطاع ط. بنى غازى ١٩٧٥م، الدولة البيزنطية فى عصر آل باليرولوغوس ١٢٦٦١-١٢٨٢م . ط.
- بيروت ب-ت ، «الذات والموضوع فى كتابات مؤرخى العصور الوسطى قراءة فى يوسابوس وبروكوبيوس» ، ضمن كتاب الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية (السمنار) - جامعة الكويت، ط. الكويت ١٩٩٥م . «جان دارك رؤية من خلال الوثائق» الموسم الثقافى للجمعية التاريخية المصرية ، ط. القاهرة ١٩٧٨م. من الارك إلى جستنيان ط. القاهرة ١٩٧٧م. «شمس العرب تسطع على أرض النيل» ، ضمن كتاب أثر الإسلام فى مصر وأثر مصر فى الحضارة العربية الاسلامية، ط. القاهرة ١٩٩٩م. محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها، ط. القاهرة ١٩٧٨م.
- أسد رستم (د.) الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، جزآن ، ط. بيروت ١٩٢٥-١٩٥٠م . كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ج٢، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- إسرائيل شاحاك : التاريخ اليهودى ، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة ، ت. صالح على سوادح . ط. بيروت ١٩٩٩م.
- إسرائيل ولفنسون (د.) : موسى بن ميمون حياته ومصنفاته ، ط. القاهرة ١٩٩٣م.
- إسماعيل سرهنك تاريخ الدولة العثمانية ، تقديم ومراجعة حسن الزين، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- إسماعيل نورى الربيعى (د.) تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ط. عمان ٢٠٠٢م.
- إسماعيل ياغى (د.) العالم العربى فى التاريخ الحديث ط. الرياض ١٩٩٧م ، الدولة العثمانية فى التاريخ الإسلامى الحديث ، ط. الرياض ١٩٩٨م. تاريخ أوروبا المعاصر ، ط. الرياض ٢٠٠٣م .
- أسمت غنيم (د.) امبراطورية جستنيان ، ط. جدة ١٩٩٧م. «معركة مانزكرت فى ضوء وثائق بسلسلوس» كلية الآداب، جامعة الاسكندرية عدد عام ١٩٨١م، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م

- اكمل الدين حسان أوغلي (محرر) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ت. صالح سعداوى ط. استانبول ١٩٩٩م.
- ألفريد بتلر : فتح العرب لمصر ، ت. محمد فريد أبوحديد ، سلسلة تاريخ المصريين ، ط. القاهرة ١٩٨٩م.
- أنفونس مارييا شنيذر «قبور الصحابة فى القسطنطينية» ، ضمن كتاب المنتقى من دراسات المشرقين ، ج ١ ، ت. صلاح الدين المنجد ، ط. القاهرة ١٩م.
- اليكسى جورافسكى الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ت. خلف محمد الجراد ، ط. دمشق ٢٠م.
- أميرة مصطفى أمين يوسف (د.) «كونرادين وعرش الصقليتين» المؤرخ المصرى، العدد (٢) يناير ٢٠٢٠م.
- أمين معلوف : المحروب الصليبية كما رآها العرب ت. عفيف دمشقية ، ط. بيروت ١٩٨٩م، ط. بيروت ١٩٩٣م.
- أمال حامد غانم زيان : الإمبراطور الكيسوس كومنين والمحلة الصليبية الأولى فى ضوء كتاب الكسياد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ٢٠٠م.
- أمل أحمد حامد : مجمع ليون الثانى ١٢٧م دراسة فى مشروع الوحدة بين كنيستى القسطنطينية وروما فى القرن الثالث عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة المنصورة عام ١٩٩٧م.
- أمل سعيد الجابرى : محمد الفاتح وفتح القسطنطينية ، ط. الشارقة ٢٠٠م.
- أنور محمد الزناتى : زيارة جديدة للاستشراق ، ط. القاهرة ٢٠٠م.
- الأمين أبوسعده (د.) «بيزنطة فى الملاحم العربية قراءة فى سيرة الأميرة ذات الهمه» ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، تحرير حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- أنور عبد العليم (د.) : الملاحه وعلوم البحار عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٧٩م.

- أنيس فريحه (د.) : أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، الجامعة الأمريكية ببيروت ، ط. بيروت ١٩٥٦م.
- أمين فؤاد سيد (د.) الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- إيناس أحمد السيد عباس (د.) صراع القوى في البحر المتوسط بين البيزنطيين والعرب في الفترة من ٢٥ - ٢٣٢ هـ / ٦٤٥ - ٨٤٦م رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد دراسات البحر المتوسط ، جامعة الاسكندرية عام ٢٠٠٥م ، الترك في آسيا الوسطى ، ت. أحمد السعيد سليمان ط . القاهرة ١٩٥٨م.
- بارو : الرومان ، ت. عبد الرازق بسرى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م .
- برنار لازار : مناخضة السامية تاريخها وأسبابها ، ت. ماري شهرستاني ، ط. دمشق ٢٠٠٤م
- برنارد كلى : فتح القسطنطينية ، ت. شكري محمود نديم ، ط. بغداد ١٩٦٢م .
- برنارد لويس : استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، ت. سيد رضوان على ، ط. القاهرة ١٩٨٢م. اكتشاف المسلمين لأوروبا ت. ماهر عبد القادر ، ط. القاهرة . ١٩٩٦م.
- برنادين كلى : فتح القسطنطينية ، ت. شكري محمود نديم ، ط. بغداد ١٩٩٢م.
- بوريس راوشتيباخ : «تعميد كييف» مجلة رسالة اليونسكو. العدد التذكارى بمناسبة مرور ألف عام على تعمد كييف رقم (٣٢) ، نوفمبر عام ١٩٨٨م.
- بول بويار : الفاتيكان عاصمة الكثرة في العالم ت. أنطران الهاشم ، ط. بيروت ١٩٩٩م.
- بول كيندى: نشوء وسقوط القوى العظمى ، ت. مالك البديرى ، ط. عمان ١٩٩٩م.
- بول وليمان ، شيردورا ، جزآن ، ط. بيروت ١٩٩٩م.
- بيرل سمايلى : الموزخون في العصور الوسطى ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- ترتون أهل الذمة في الإسلام، ت. حسن حبشى ط. القاهرة ١٩٩٧م
- تركى مسيبر العتيبي الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقلية الإسلامي ، ط. الرياض ١٩٨٧م.

- حاسم بونس المريرى (د) « دور القيادة الكارزمية » ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط. أبو ظبي ٢٠٠٣م.
- جان جنبير : المسيحية نشأتها وتطورها ت. عبد الحليم محمود ، ط. القاهرة ١٩٨٨م.
- جان فلورى : الحرب المقدسة ، الجهاد والحرب الصليبية العنف والدين فى المسيحية والإسلام ، ت. غسان مابسو، مراجعة د. جلال شحاده ط. دمشق ١٩٩٩م.
- جلال حسنى سلامة (د) : عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة ، ط. نابلس ١٩٩٨م.
- جلال يحيى (د) التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م.
- جلوب : الفتوحات العربية الكبرى، ت. خيرى حماد ، ط. بيروت ب-ت
- جمال الدين سرور (د) : تاريخ الدولة الفاطمية . ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- جمال الدين الشبال (د) تاريخ مصر الإسلامية ج ٢، العصران الأيوبي والملوكي، ط الاسكندرية ١٩٩٧م.
- جمال فاروق الوكيل تطور استراتيجية الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر الميلادى فى ضوء كتاب مارينو ساندو . رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ٢٠٠٠م.
- جمال فوزى محمد عمار (د) : التاريخ والمؤرخون فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- جمعه الجندى (د) حكم النورمان فى صقلية ١٠٩١-١١١٩ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٠م. حياة الفرنج ونظمهم فى بلاد الشام خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين - دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٨م.
- جميل حرب محمود (د) : الحجاز واليمن فى العصر الأيوبي ، ط. جدة ١٩٨٨م.
- جوستاف لوبون : حضارة العرب ت. عادل زعبير ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- جورج عطية « الأثر السريانى فى الحياة الفكرية والعلمية فى بلاد الشام ، ضمن كتاب بلاد الشام فى العهد البيزنطى، الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولى الرابع



- لتاريخ بلاد الشام، تحرير محمد عدنان البيخيت، ومحمد عصفور ، ط. عَمَّان ١٩٩٨م.
- جورج يوزنر : معجم الحضارة المصرية القديمة ، ت. أمين سلامة مراجعة سيد توفيق ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- جوزيف كوسى : تاريخ الثورة الفرنسية ط. بيروت ١٩٨٩م.
- جوزيف داهموس : سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى ت. محمد فتحى الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٨٩م. ، سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى ت. محمد فتحى الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٩٢م.
- جوزيف نسيم يوسف (د.) «دراسات فى المخطوطات العربية بدير القديسة كاترين فى سيناء» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٨م. ١٩٩٩م، «الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية» ، مجلة كلية الآداب- ، جامعة الاسكندرية م (١) ، عام ١٩٦٩م، نشأة الجامعات فى العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م ، العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م ، «أنشودة رولان قيمتها التاريخية وما أثير حولها من نقاش» ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م. ، تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨٤ - ١٤٥٣م ، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م ، تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها ، ط. بيروت ١٩٨٧م. دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م.
- جودفرى ريكمان «بحرنا ... البحر المتوسط» ، ضمن كتاب البحر والتاريخ تحديات الطبيعة واستجابات البشر، تحرير أ. رابيس ، ت. عاطف أحمد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، أبريل ٢٠٠٠م.
- جونز (ج.ر) الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة ، ت. حاتم الطحارى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- جونز مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية ، ت إحسان عباس ط عَمَّان ١٩٩٨م.
- جيرارد ديموج : دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية ت. محمد رفعت عواد ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- جيمس : الماجنا كارنا (العهد الأعظم) ت. مصطفى طه حبيب. ط. القاهرة ١٩٦٥م.
- جيمس تبتلى اكتشف الكتاب المقدس قيام المسيح فى سيناء ، ت. آسيا محمد الطريحي ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- جيمس رستون (الابن) مقاتلون فى سبيل الله صلاح الدين الأيوبي وربشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة ، ت. رضوان السيد ط. الرياض ٢٠٠٢م.
- جيهان عبد المقصود فهمى : السنوات الأخيرة للأسرة المقلونية ، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٢م.
- حاتم الطحاوى (د.) بيزنطة والمدن الإيطالية ، العلاقات التجارية (٨١-١٠١٢م) ط. القاهرة ١٩٩٨م. « جون ل اسبريزيتو التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ؟» ترجمة قاسم عبده قاسم ٢٠٠١ م . J.Esposito, the Islamic Threat . Oxford 1999" Myth or Reality حولية التاريخ الإسلامى والوسيط م (٣) ، عام ٢٠٠٣م. « كريستوفر كوليس يدعو فرديناند وايزابيلا لشن حملة صليبية والاستيلاء على القدس ١٥٠١م» ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى مجموعة أبحاث مهدد إلى الأستاذ قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عاماً تحرير حاتم الطحاوى. ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- حازم عبد القهار الراوى الروح المعنوية للجيش العربى الإسلامى فى صدر الإسلام ، ط. بغداد ١٩٩٨م.
- حافظ حمدى (د.) الدولة الخوارزمية والمغول ، ط. القاهرة ١٩٤٩م . الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى ، ط. القاهرة ١٩٥٠م.
- حامد زيان (د.) : فردريك بارباروسا والحملة الصليبية الثالثة ، ط. القاهرة ١٩٧٧م.
- حبيب جاماتى : ثيودورا المثلة المتوجه ، ط. القاهرة ب-ت .
- حسان حلاق (د.) تعريب النقود والدواوين فى العصر الأموى. الحياة المالية والاقتصادية والإدارية ، ط. بيروت ١٩٨٨م .
- حسن ابراهيم (د.) : الفاطميون فى مصر . ط. القاهرة ١٩٣٢م ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى . ط. بيروت ٢٠٠١م.
- حسن الباشا (د.) العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ، ط. دمشق ٢٠٠١م.

- حسن الساعاتى (د.) «منهج أبى الفداء فى البحث» ، مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماه فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣- ١٣٣١م. ط. دمشق - حماه ١٩٧٤م.
- حسن حبشى (د.) نور الدين والصلبيون حركة الإفاقة الإسلامية فى القرن السادس الهجرى ط. القاهرة ١٩٤٨م ، الشرق الأوسط بين شقى الرعى ، حملة لويس على مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٤٩م، الحرب الصليبية الأولى ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- حسن حنفى (د.) مقدمة فى علم الاستغراب ، ط. بيروت ١٩٩٢م.
- حسن صبحى بكرى (د.) الاغريق والرومان والشرق الاغريقى الرومانى ، ط. الرياض ١٩٨٥م.
- حسن ظاظا (د.) الفكر الدينى اليهودى ، ط. دمشق ب-ت .
- حسن عبد الوهاب (د.) قيسارية الشام فى التاريخ الاسلامى ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، «مصر وأمن البحر الأحمر فى عصر الحروب الصليبية» ضمن كتاب مقالات للحروب الصليبية ، ط . الاسكندرية ١٩٩٧م ، معالم التاريخ البيزنطى السياسى والحضارى ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م .
- حسن محمود (د.) : قيام دولة المرابطين صفحة مشرفة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٦م.
- حسنين ربيع (د.) «البحر الأحمر فى العصر الأيوبي» ندوة البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، إشراف أ.د. أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة ١٩٨٠م، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ط. القاهرة ١٩٨٧م ، ط. القاهرة ١٩٩٥م.
- حسين أحمد أمين (د.) الحروب الصليبية فى كتابات المؤرخين المعاصرين لها . ط. القاهرة ١٩٨٣م.
- حسين السيد متولى النحال (د.) الحروب الصليبية المتأخرة على مصر وتونس فى أواخر العصور الوسطى ( ١٣٦٥-١٤٠٧م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩١م.

- حسين العودات : العرب النصارى عرض تاريخى ، ط. دمشق ١٩٩٢م.
- حسين عبد الحميد الأثرم : دراسات فى تاريخ الأغر يق وعلاقته بالوطن العربى ، ط. بى غازى ١٩٩٦م.
- حسين عطية (د.) إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة ، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م. إمارة أنطاكية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م / ٥٦٧-٦٦٦هـ) ، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م.
- حسين مؤنس (د.) تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط الأراض السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م ، فجر الأندلس ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- حسين مجيب المصرى (د.) الصلات بين العرب والفرس والترك ، ط. القاهرة ٢٠٠١م
- حكمت شريف (بك) تاريخ طرابلس الشام من أقدم أزمانها إلى هذه الأيام ، تحقيق منى حداد يكن ومارون عيسى خوى ، ط. طرابلس ١٩٨٧م.
- حمدى شاهين (د.) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م
- خليل السامرائى (د.) وعبد الواحد ذنون : تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس ، ط. بيروت ٢٠٠٠م.
- خليل إينالجيك : تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت. محمد الأرنؤوط ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- خليل رستم : القديس بوحنا اللهبى الفم ، ط. دمشق ١٩٨٣م.
- داوى : أنطاكية فى عهد ثيودوسيوس الكبير. ت. ألبرت بطرس، ط. بيروت ١٩٦٨م.
- دمترى ميكولسكى المسعودى هيرودوت العرب ، ت. عادل إسماعيل مراجعة نوفل ينف ط. دمشق ٢٠٠٦م.
- دنلوب : تاريخ يهود الخزر ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٩٠م.
- دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية ت. حسن جشى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- دونالد كواتزت : الدولة العثمانية ١٧٠٠-١٩٢٢م ، ت. أين الأرمادى ، ط. الرياض ٢٠٠٤م.

- ديفيد سوفيير : جغرافية الأديان ت. أحمد غسان سبانو ، ط . دمشق ١٩٩٩م.
- ديفيد صوميل مارجلبروث : القاهرة وبيت المقدس ودمشق ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو ، ط. دمشق ٢٠٠٠م. دراسات عن المؤرخين العرب ت. حسين نصار ، ط. القاهرة ٢٠٠١م .
- ديفز أوروبا في العصور الوسطى ت. عبد الحميد حمدى محمود ط. الاسكندرية ١٩٥٨م، شارلمان، ت. السيد الباز العرينى ط. القاهرة ١٩٥٩م.
- ديمتري غوتاس الفكر اليونانى والثقافة العربية حركة الترجمة اليونانية العربية فى بغداد والمجتمع العباسى المبكر، القرن الثانى- القرن الرابع هـ / القرن الثامن - القرن العاشر م . ت. نقولا زيادة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط. بيروت ٢٠٠٣م.
- ذكرى عزيز محمد صالح الصانغ : عصر الملك الكامل الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الموصل عام ١٩٨٨م.
- رأفت الشيخ ( د. ) ومحمد رفعت ( د. ) أسباب فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- رأفت عبد الحميد ( د. ) «كنيسة بيت المقدس فى العصر البيزنطى» «المجلة التاريخية المصرية» م (٢٥) عام ١٩٧٨م. «الملكية الأثنية بين الوراثة والانتخاب فى العصور الوسطى» ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٢) ، تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٨٣م . الدولة والكنيسة ج٢، قسطنطين ، ط. القاهرة ١٩٨٢م، ط. القاهرة ١٩٩٩م. «مصر والعرش البيزنطى» ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم رؤوف عباس، ط. القاهرة ١٩٨٦م ، «سوزيمين الموزخ الغزاوى» ضمن ندوة فلسطين عبر التاريخ إعداد حامد غانم زيان ، مركز البحوث والدراسات التاريخية - جامعة القاهرة ، ط القاهرة ١٩٩٦م ، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة ط. القاهرة ١٩٩٧م «الشورة الشعبية فى القسطنطينية ٥٣٢هـ» . ضمن كتاب بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ط. القاهرة ١٩٩٧م ، «مصرع حوليان الفيلسوف الإمبراطور» ضمن كتاب قطوف دانية مهداه إلى ناصر الدين الأسد، تحرير عبد القادر الرباعى ، ط. عمّان ١٩٩٧م. «الملك الكامل بين

- الإفراط والتفريط ، ضمن كتاب قضايا من تاريخ الحروب الصليبية ط. القاهرة ١٩٩٨م. الإمبراطورية البيزنطية العقيدة والسياسة ط. القاهرة ٢٠٠٠م. الفكر المصرى فى العصر المسيحى ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م ، الدولة والكنيسة المسيحية الجديدة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- رجب محمد عبد الحليم (د.) دولة بنى حمود فى مالفه بالأندلس، رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م.
- رستو فتزف : تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادى، ت. زكى على ومحمد سليم سالم، ج ١ ، ط. القاهرة ١٩٥٧م.
- رشاد خميس (د.) سيرة سيد بطال غازى فى القصص الشعبى التركى وأثر الصراع الإسلامى البيزنطى فيها، رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب، جامعة عين شمس عام ١٩٨٨م.
- رشدى الأشهب : المعالم الأثرية فى فلسطين ، ط. القدس ١٩٩٧م.
- رضا هادى عباس (د.) الأندلس محاضرات فى التاريخ والحضارة ط. فاليتا- مالطه ١٩٩٨م.
- رمزى : تلفيق الأخبار وتلفيح الآثار فى وقائع غازان وملوك التتار ، م (١) . ط. أورينورغ ١٩٠٨م .
- روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ت. صالح العلى ، ط. بيروت ١٩٨٣م.
- روبرتس (ج.م) موجز تاريخ العالم ج ١ . ت فارس قطا . ط. دمشق ٢٠٠٤م.
- روبرت لوبيز : ثورة العصور الوسطى التجارية ٩٥٠- ١٣٥٠ ت. محمود أبو صوة ، ط. فاليتا- مالطه ١٩٩٧م.
- رمون استانبولى مفاتيح أورشليم القدس ، حملتان صليبيتان على مصر ١٢٠٠- ١٢٥٠ ت. عابدة الباجورى تقديم ومراجعة أ.د. اسحق عبيد ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- رنيه جروسيه : الحروب الصليبية ، صراع الشرق والغرب ، ت. أحمد أبيش ، ط. دمشق ٢٠٠٢م.
- زاكية رشدى (د.) «تاريخ الأدب السرئانى» مجلة كلية الآداب - جامعة عين شمس ، م (١٧) عام ١٩٧٣م.

- زاهر رياض (د.) شمال أفريقيا في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٨١م.
- زبيدة عطا (د.) الترك في العصور الوسطى بيننطة وسلاجقة الروم والعثمانيين ، ط. القاهرة ب-ت . ط . القاهرة ١٩٧٧م. المقاتل البيزنطى . ط. المنيا ١٩٨٢م.
- الشرق الإسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- زكى النقاش (د.) العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، ط. بيروت ١٩٥٨م.
- زهيرة الببلى التاريخ يصنعه المرضى ، ط. القاهرة ١٩٨٥م مدينة القدس وجوارها خلال الفترة ١٢١٥هـ / ١٢٤٥هـ / ١٨٠٠ - ١٨٣٠م ط. عمان ١٩٩٦م.
- زينب بيبره جكلى شعر الثورات الناخلية فى العهد العثمانى ، ط عمان ١٩٩٩م. ذات السوارى ط. الشارقة ٢٠٠٦م.
- زينب عبد القوى (د.) الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة من ١١٨٩ - ١٢٩١ ط. القاهرة ١٩٩٦م. «جامعة أكسفورد فى العصور الوسطى» حولية التاريخ الإسلامى والوسيط م (٣) ، عام ٢٠٠٣م. اليهود فى إنجلترا العصور الوسطى، ١٠٦٦-٢٩٠م ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.
- زينب عصمت راشد (د.) تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ط. جدة ١٩٨٩م.
- سالم مخيمر (د.) وخالد حجازى أزمة المياه فى المنطقة العربية الحقائق والبدائل الممكنة سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٦م.
- ستيفن رنسيان الحصار البيزنطية، ت. عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة زكى على ، ط. القاهرة ١٩٦٤م . المسيحيون العرب فى فلسطين ، ط . اسكس ١٩٦٨م.
- تاريخ الحروب الصليبية ت. السيد الباز العرينى ، ط. بيروت ١٩٦٧-١٩٦٩م. ط. بيروت ١٩٩٣م.
- سر الحتم عثمان (د.) مدينة صور فى القرنين ١٢ ، ١٣ م. رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.
- سرور عبد المنعم (د.) السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك

فرولك الأنجوى ١١٣١-١١٤٣ / ٥٢٦ - ٥٣٨ هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠ م . «جودفرى دى بويون حاكماً للكيان الصليبي ١٠٩٩-١١٠٠» مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس عدد عام ٢٠٠٤ م .

- سعد ماهر (د.) البحرية فى مصر الإسلامية وأثارها الباقية ، ط. القاهرة .

- سعد رستم ، التوحيد فى الأناجيل الأربعة وفى رسائل القديسين بولس ويوحنا ط. دمشق ٢٠٠٢ م. الفرق والمذاهب المسيحية من ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية ، ط. القاهرة ٢٠٠٤ م.

- سعد السعدى : معجم الشرق الأوسط ط. بيروت ١٩٩٨ م.

- سعد زغلول عبد الحميد (د.) الاسكندرية قاعدة عسكرية فى القرن الأول من تاريخها العربى وموقعة الصواري، ضمن كتاب سواحل مصر عبر العصور، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ٢٠٠١ م.

- سعيد أحمد يرجاوى ، الدولة العثمانية تاريخها السياسى والعسكرى ، ط. بيروت ١٩٩٣ م.

- سعيد عبدالله البيشاوى (د.) ناهلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠ هـ / ١٠٩٩-١٢٩١ م ط. عمان ١٩٩٠ م. المستلكات الكنسية فى ملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١٢٩١ م / ٤٩٢-٦٩٠ هـ ط. الاسكندرية ١٩٩٠ م ، «الأراضى الزراعية ومنتجاتها فى الحليل فى العصر الفرنجى ٤٩٢-٥٨٣ هـ / ١٠٩٩-١١٨٧ م» ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، تحرير محمد مؤنس عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠٣ م ، «الاستيطان الفرنجى فى بيت المقدس والمناطق المحيطة بها (١٠٩٩-١١٨٧ م ، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤ م .

- سعيد السيد على فرغلى (د.) «إضمحلال حكم الأنجلوسكسون فى إنجلترا ٩٧٩-١٠٦٦ م / ٣٦٨ - ٤٥٨ هـ . بحث ضمن كتاب بحوث فى تاريخ



- العصور الوسطى ، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ط.  
الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- سعيد عاشور (د.) أوروبا العصور الوسطى - التاريخ السياسي ط. القاهرة ١٩٦٢م، ط  
القاهرة ١٩٧٢م، ط . القاهرة ١٩٨١م. «الامبراطور فردريك والمشرق العربي»  
المجلة التاريخية المصرية ، عدد عام ٩٦٣م الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى  
تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٣م. أضواء جديدة  
على الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٤م. تاريخ العلاقات بين الشرق  
والغرب فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ٢٠٠٣م.
- سعيد عاشور (د.) ومحمد أنيس (د.) النهضة الأوروبية فى العصور الوسطى وبداية  
الحديثة ط. القاهرة ١٩٥٦م.
- سلوى بالحاج صالح (د.) المسيحية العربية وتطورها من نشأتها إلى القرن الرابع  
الهجرى / العاشر الميلادى ، ط . بيروت ١٩٩٧م.
- سليم شعشوع ، صفحات من التعاون اليهودى العربى فى الأندلس ، شفا عمرو-  
فلسطين ١٩٩٠م .
- سليم عرفات المبيض النصرانية وأثارها فى غزة وما حولها ط. غزة - فلسطين ١٩٩٨م.
- سليمان الخرابشة ، الصراع الفاطمى - السلجوقى فى بلاد الشام ٤٤٧ - ٥٦٦ هـ /  
١٠٠٥ - ١١٧٠م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين  
شمس عام ١٩٩٠م.
- سليمان الرحيلى (د.) العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة فى عهد  
الخليفة هارون الرشيد والامبراطور شارلمان ط. الرياض ب-ت .
- سميرة بونس (د.) النورمان والدولة البيزنطية فى القرن الحادى عشر ط. القاهرة  
١٩٩٥م .
- سها إبراهيم منصور ، جامعة اكسفورد نشأتها وتطورها ، رسالة ماجستير غير منشورة  
كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.
- سهير نعينع (د.) «العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية ومصر والشام فى القرنين  
١١ ، ١٢ الميلاديين فى ضوء الوثائق التاريخية» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ

- العصور الوسطى كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، تحرير  
على أحمد السيد وإبراهيم خيس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- سهيل زكار (د) «أبو الفداء» ، ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماه  
فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م ط. دمشق - حماه  
١٩٧٤م ، المدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ط. دمشق ١٩٨١م ، الحروب  
الصليبية ، ت. سهيل زكار ط. دمشق ١٩٨٤م ، الموسوعة الشامية عدة أجزاء  
، ط. دمشق ١٩٩٣-١٩٩٥م.
- سهيل زكار (د) ووفاء جرنى (د) واكتسالم إسماعيل (د) حروب الفرنجة  
(الصليبية) ، ط. دمشق ٢٠٠٥م .
- سيار الجميل (د) العثمانيون وتكوين العرب الحديث ، ط. بيروت ١٩٨٩م .
- السيد الباز العرنى (د) أجناد الروم ، ط. القاهرة ١٩٥٦ ، الدولة البيزنطية ٣٢٣-  
٨١٠م ط. القاهرة ١٩٦٠م ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٢م ،  
الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ط. القاهرة ١٩٦٣م.
- سيد أمير على ، مختصر تاريخ العرب ت . غفيف البعلبكي ، ط. بيروت ١٩٩٠م .
- سيد الناصرى (د) تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ط. القاهرة  
١٩٧٥م ، الروم والمشرق العربى ط. القاهرة ١٩٩٣م .
- السيد عبد العزيز سالم (د) التاريخ والمؤرخون العرب ط. الاسكندرية ١٩٧٦م ، تاريخ  
المحضارة الإسلامية ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، طرابلس الشام فى التاريخ  
الاسلامى ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م.
- سيده كاشف (د) مصر فى عصر الولاة ، ط. القاهرة ب-ت .
- شارل دبل ، البندقية جمهورية أرستقراطية ت. أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ،  
ط. القاهرة ١٩٤٨م.
- شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ت. مصطفى طه بدر ، ط. القاهرة ١٩٥٣م ، ط.  
القاهرة ١٩٦٠م .
- شاكرو أبوبندر ، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ط. بيروت ب-ت .
- شاكرو مصطفى (د) «دخول الترك الغز إلى الشام» ضمن كتاب تاريخ بلاد الشام من

- القرن السادس إلى القرن السابع عشر المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ط.  
بيروت ١٩٧٤م ، التاريخ العربى والمؤرخون ط. بيروت ١٩٨٠م.
- شحاده على الناظور (د.) تاريخ صدر الإسلام وفجره ، ط. عمّان ٢٠٠١م.
- شعبان محمد خلف هنفاريا والحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢١٨م / ٤٨٩-٦١٤هـ)  
رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة المنيا عام ٢٠٠٤م.
- شكرى فيصل (د.) حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى ط. بيروت ١٩٧٤م.
- شمس الدين الكيلانى ، صورة أوروبا عند العرب فى العصور الوسيط ، ط. دمشق  
٢٠٠٤م.
- شوقى الجمل (د.) وعبدالله عبد الرازق (د.) تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب  
الباردة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- شوقى شعث ، القدس العربية الإسلامية الماضى الحاضر المستقبل ، ط. الشارقة  
٢٠٠١م.
- صابر دياب (د.) المسلمون وجهادهم ضد الروم فى أرمينية والشغور الجزرية والشامية  
خلال القرن الرابع الهجرى ، ط. القاهرة ١٩٨٤م .
- صبرى أبو الخير (د.) تاريخ مصر فى العصر البيزنطى ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- صالح السعدون ، فتح القسطنطينية ط. دمشق ب-ت . العلاقات الخارجية للأندلس فى  
عهد الإمارة ط. الرياض ب-ت .
- صبحى عبد الحميد ، معارك العرب الحاسمة ، ط. بيروت ١٩٨٣م.
- صلاح الدين المنجد (د.) المؤرخون الدمشقيون وأثارهم المخطوطة ، مجلة معهد  
المخطوطات العربية ق (٢) ، ج (١) عدد مايو ١٩٥٦م . معجم المؤرخين  
الدمشقيين ، ط. بيروت ١٩٧٤م .
- صلاح الدين بحيرى (د.) أشكال الأرض ، ط. دمشق ١٩٧٩م .
- صلاح الدين المنجد (د.) الشرق فى نظر المغاربة والأندلسيين فى القرون الوسطى ، ط  
بيروت ١٩٦٣م .
- صلاح ضيع (د.) العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية فى عصر

- آل باليولوجوس ١٢٦١-١٤٥٣م رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب -  
جامعة جنوب الوادى عام ١٩٩٨م.
- صلاح هريدى (د.) دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، ط. الاسكندرية  
١٩٩٩-٢٠٠٠م.
- ضيف الله بطاينه (د.) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين ، ط. عمان ١٩٩٩م.
- طارق مترى (د.) «المسيحيين الشرقيين والإسلام» ضمن كتاب العلاقات الاسلامية  
المسيحية قراءات مرجعية فى التاريخ والحاضر والمستقبل ، مركز الدراسات  
الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ط. بيروت ١٩٩٤م.
- طارق منصور (د.) الجيش فى الامبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهاية  
القرن التاسع الميلادى رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة  
الزقازيق فرع بنها عام ١٩٩٣م. الروس والمجتمع الدولى ٩٤٥-١٠٥٤م ط.  
القاهرة ٢٠٠١ م ، قطوف الفكر البيزنطى أولاً: الأدب ط. القاهرة ٢٠٠٢م.  
«ساريا المصرية نموذج للقصص الدينى فى العصور الوسطى». ضمن كتاب  
قطوف الفكر البيزنطى أولاً: الأدب ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م. «الملحة البيزنطية  
ديجنيس اكريتيس رؤية أدبية» ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطى أولاً:  
الأدب ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م. بيزنطة والعالم الخارجى ج١، البيزنطيون والعالم  
الإسلامى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م. «فن القتال عند البيزنطيين دراسة فى  
الاستراتيجية فى ضوء تكتيكا ليو الحكيم» ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ  
العصور الوسطى أبحاث مهداه إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة  
بلوغه الستين عاماً تحرير حاتم الطحاوى ط. القاهرة ٢٠٠٣م. «النار الاغريقية  
- قراءة جديدة فى ضوء المصادر البيزنطية والإسلامية» ، حولية التاريخ  
الإسلامى والوسيط ، م (٤) ، عام ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥ م.
- طارق منصور (د.) ورأفت عبد الحميد (د.) مصر فى العصر البيزنطى ٢٨٤-٦٤١م  
ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- طارق منصور (د.) ومحاسن الرقاد (د.) النفط واستخدامه وتطوره عند المسلمين ٦٤-  
٩٢٣هـ / ٦٨٤-١٥١٧م ط. القاهرة ٢٠٠٦م
- عائشة بنت عبدالله ، البحر الأحمر فى العصر الأيوبي ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م.

- عائشة سعيد أبو الجدايل (د.) الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي / الأول الهجري دراسة التطورات والتغيرات ط. الرياض ١٤١٥هـ .
- عادل زيتون (د.) العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ط. دمشق ١٩٨٠م . العلاقات الاقتصادية في العصور الوسطى ط. دمشق ١٩٨٠م . تاريخ العصور الوسطى الأوربية ، ط. دمشق ١٩٨٢م ، «ملاحظات على أطروحة هنري بيريمن من خلال كتاب «محمد وشارلمان»» ، ضمن الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية (السمنار) ، قسم التاريخ - كلية الآداب جامعة الكويت عام ١٩٩٣-١٩٩٤م .
- عارف تامر (د.) الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين - الحاكم بأمر الله ، ط. بيروت ١٩٨٠م .
- عاطف مرقص (د.) قبرص والحروب الصليبية في القرنين ١٢ ، ١٣ م ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩١م .
- عبد الحفيظ محمد علي (د.) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عصر حنا كومنين ١١١٨-١١٤٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م .
- عبد الحميد البطريق (د.) وعبد العزيز سليمان نوار (د.) التاريخ الأيوبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر ، ط. القاهرة ١٩٩٧م .
- عباس إسماعيل الصايغ (د.) تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية ، الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين ، ط. بيروت ١٩٩٩م .
- عباس إقبال ، تاريخ المغول ضد حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ، ت. عبد الروهاب علوب ، المجمع الثقافي ، ط. أبو طيبي عام ٢٠٠٠م .
- عباس عزاوي ، التعريف بالمؤرخين ، ط. بغداد ١٩٨٧م .
- عباس عمار : المداخل الشرقي لمصر ، ط. القاهرة ١٩٤٦م .
- عباس فاضل السعدي (د.) ياقوت الحموي دراسة في التراث الجغرافي العربي مع التركيز على العراق في معجم البلدان ، ط. بيروت ١٩٩٢م .
- عباس محمود العقاد عبقرية خالد ، ط. القاهرة ١٩٩٦م .

- عباس التكروري ، موسوعة الخلفاء الراشدين ، ط . عمان ٢٠٠٣ م .
- عبد الجبار الجومرد ( د .) هارون الرشيد حقائق عن عهده وخلاته ، ط . بيروت ١٩٩٩ م .
- عبد الجبار السامرائي ( د .) «الرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة » الفصيل ، العدد (٥٥) ، محرم ١٤٠٢ هـ / نوفمبر ١٩٨١ م .
- عبد المحافظ التيا ( د .) النظام الاقطاعي في المملكة اللاتينية في القسطنطينية ١٢٠٤ - ١٢٦١ م رسالة دكتوراه غير منشوره ، كلية الآداب - جامعة الزقازيق عام ١٩٩٨ م .
- عبد الرحمن حميدة ( د .) «أبو الفداء» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافي أبو الفداء صاحب حماه - في ذكرى مرور سبعمئة عام على ولادته عام ١٢٧٣ - ١٣٣١ م ط . دمشق - حماه ١٩٧٤ م . «طريق الحرير بين ابن بطوطة وماركوبولو» مجلة دراسات تاريخية - جامعة دمشق السنة (١٢) ، العددان (٣٩) كانون الأول ١٩٩١ م .
- عبد الرحمن زكي ( د .) ومحمود عيسى الحروب بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط . القاهرة ١٩٤٧ م .
- عبد الرحمن سامي القول الحق في بيروت ودمشق ، ط . بيروت ١٩٨١ م .
- عبد الرحمن العبد الغني ( د .) «فوتبوس والقطيعة بين كنيسة روما والقسطنطينية في القرن التاسع الميلادي» ، عالم الفكر ، العدد (٣) أوتبر - ديسمبر ١٩٨٦ م .
- عبد الرازق محمد أسود ، موسوعة الأديان والمناهج ، ط . بيروت ٢٠٠٠ م .
- عبد السلام الزمانيني ( د .) «أزمة التاريخ الإسلامي ج ١ ق ٢» ، ط . الكويت ١٩٨٢ م .
- عبد السلام زيدان ( د .) الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧ - ١١٤٩ م ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي عام ٢٠٠٠ م .
- عبد السلام عبد العزيز فهسي ( د .) السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ، ط . دمشق ١٩٩٣ م .

- عبد الشافي محمد عبد اللطيف (د.) العالم الإسلامي في العصر الأموي ٤١-١٣٢هـ / ٦٦١-٧٥٠م) . ط. القاهرة ١٩٨٤م.
- عبد العزيز الدورى (د.) العصر العباسى الأول دراسة فى التاريخ السياسى والإدارى والمالى ، ط. بغداد ١٩٩٧م . نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، ط. أبوظبى ٢٠٠٠م.
- عبد العزيز رمضان (د.) العلاقات البيزنطية - اللاتينية فى عهد الامبراطور مانويل الأول كومنينوس ١١٤٣- ١١٨٠م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م. - المرأة البيزنطية من القرن التاسع حتى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى رسالة دكتوراه - كلية الآداب ، جامعة عين شمس عام ٢٠٠٣م. «مدخل إلي مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الانترنت» حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٣) عام ٢٠٠٣م .
- عبد العزيز عبد الغايم (د.) إمارة طرابلس الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى. رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.
- عبد العزيز سليمان نوار (د.) التاريخ الحديث أوربا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية- البروسية ١٧٨٩- ١٨٧١ ، ط. القاهرة ب-ت . تاريخ الشعوب الإسلامية العصر الحديث ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- عبد العزيز سليمان نوار (د.) ومحمود محمد جمال الدين (د.) التاريخ الأوربى الحديث عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- عبد الفتى محمود عبد العاطى (د.) السياسية الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الكمبوس كومنين . ط. القاهرة ١٩٨٣م .
- عبد الفتاح الغنمى (د.) معركة بلاط الشهداء فى التاريخ الاسلامى والأوربى ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، الاسلام والثقافة العربية فى أوربا ، ط. القاهرة ١٩٧٩م.
- عبد القادر اليوسف (د.) الإمبراطورية البيزنطية . ط. بيروت ١٩٦٦م، العصور الوسطى الأوربية ، ط. صيدا ١٩٦٧م علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر ، ط. صيدا ١٩٦٩م.
- عبد القادر طليمات (د.) ابن الأثير المؤرخ ، ط. القاهرة ١٩٦٩م .

- عبد اللطيف حمزة (د.) أدب الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٤٩م .
- عبد اللطيف عبد الهادي السيد (د.) «دراسة نقدية لمنهج الكتابة التاريخية عند جاك دي فثري» ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تحرير محمد مؤنس عوض . ط. القاهرة ٢٠٠٣م .
- عبد الله بن سعيد الغامدي (د.) مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ، جامعة أم القرى- سلسلة بحوث الدراسات الإسلامي، مكة المكرمة ١٤١٤هـ .
- عبدالله الريعى (د.) «الدوافع الدينية للحركة الصليبية ضمن ندوة الاطار التاريخى للحركة الصليبية» إتحاد المؤرخين العرب ، ط. القاهرة ١٩٩٦م .
- عبدالله عتان ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ط. القاهرة ١٩٧٣م .
- عبدالله محمد عبد الرحمن (د.) علم اجتماع التنظيم ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م .
- عبد المنعم ماجد (د.) الحاكم بأمر الله الخليفة المقتضى عليه ، ط. القاهرة ١٩٥٩م .
- العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٦٦م .
- التاريخ السياسى للدولة العربية ج١ ، ط. القاهرة ١٩٦٧م . ط. القاهرة ١٩٧٩م .
- العصر العباسى الأول أو القرن الذهبى فى تاريخ العباسيين التاريخ السياسى ، ط. القاهرة ١٩٧٣م . ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، ط. القاهرة ١٩٨٥م ، الدولة الأيوبية فى تاريخ مصر الإسلامية . ط. القاهرة ١٩٩٧م .
- عبد النعيم حسنين (د.) سلاجقة إيران والعراق ، ط. القاهرة ١٩٧٠م ، دولة السلاجقة ، ط. القاهرة ١٩٧٥م .
- عبد الواحد داود الاشورى ، الانجيل والصليب ، قدم له وعلق عليه محمد على سلامة ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م .
- عثمان توزان ، الأناضول فى عهد السلاجقة والإمارات التركمانية ت. على عوده الغامدى . ط. الرياض ١٤١٨هـ .
- عرفان شهيد ، روما والعرب مقدمة لدراسة بيزنطة والعرب ت. محمد فهمى عبد الباقي محمود ، ط. القاهرة ب-ت



- عرفان عبد الحميد فتاح (د.) النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها ، ط. عمان ٢٠٠٠م.
- العروسى المطوى ، الحروب الصليبية فى الشرق والغرب ، ط. تونس ١٩٥٤م .
- عزت زكى حامد قادوس (د.) العمالات اليونانية والهلمينستية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م .
- عزيز أحمد (د.) تاريخ صقلية الاسلامية ، ت. أمين توفيق الطيسى، ط. بيروت ١٩٨٠م.
- عزيز سورمال عطية (د.) العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ت. فيليب صابر ، ط. القاهرة ١٩٧٢م. الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ت. فيليب صابر ، ط . القاهرة ١٩٧٧م، تاريخ المسيحية الشرقية ، ت. إسحق عبيد، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.
- عصام الدين عبد الرؤف (د.) بلاد الجزيرة فى أواخر العصر العباسى ، ط. القاهرة ب-ت.
- عصام محمد شبارو (د.) السلاطين فى المشرق العربى معالم دورهم السياسى والحضارى ، ط. بيروت ١٩٩٤م. الأندلس من الفتح العربى المرصود إلى الفردوس المفقود ٩١-٨٩٧هـ / ٧١٠-١٤٩٢م ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- عطيه القوصى (د.) اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- عفاف صبره (د.) العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام فى الفترة ١١٠٠-١٤٠٠م ، ط. القاهرة ١٩٨٣م. هـ الجزيرة الفراتية بين الصراع الفارسى البيزنطى من القرن الرابع الميلادى إلى الفتح الإسلامى ما قبل ٨- ٦٦١-٦٢٩م / ٦٨٢م، المجلة التاريخية المصرية م (٤٣) ، عام ٢٠٠٥م.
- علاء الدين حسين مكى ، فن الحرب عند العرب دراسة فى الفتوحات الكبرى فى العصر الراشدى ، ط . بغداد ١٩٩٩م.
- على أبو عساف « طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم » مجلة دراسات تاريخية جامعة دمشق السنة (١٢) . العددان (٣٩) ، (٤٠) كانون الأول ١٩٩١م.
- على أحمد السيد (د.) الحليل والحرم الابراهيمى فى عصر الحروب الصليبية (١٠٩٩-

١١٨٧م / ٤٩٢ - ٥٨٣هـ) ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

- على السيد على (د) «الفناء الكبير» والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي - دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، المجلة التاريخية المصرية م (٣٣) عام

١٩٨٦م، المجلة التاريخية المصرية عدد ( ) عام ١٩٩م.

- على السيد على (د) وقاسم عبده قاسم (د) الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي ، ط. القاهرة ١٩٩٦م .

- على العواجي (د) مواقف نصارى الشام ومصر من الحروب الصليبية في الفترة من ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م إلى ٦٩٠هـ / ١٢٩١م. رسالة دكتوراه غير منشورة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٩٩م.

- على الغمراوي (د) ملحمة البطولة الجرمانية ، ط. القاهرة ١٩٧٢م «المصادر الهجيرية جرافية قبل النهضة الكارلنغية»، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت ، العدد (٢) عام ١٩٧٢م. «المؤلفات الدينية في أدب الفقهاء اللاتين من القرن السادس حتى القرن الثامن»، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت، عدد ديسمبر كانون الأول ١٩٧٤م. مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط ، ط. القاهرة ١٩٧٥م ومعالم ألمانيا التاريخية - Monumenta His torica مجموعة مصادر التاريخ والتراث الألماني في العصور الوسطى، مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عدد عام ١٩٨٦م .

- على بكر حسن (د) الطبرى ومنهجه في التاريخ ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م .

- على بن ابراهيم التملة (د) التنصير في المراجع العربية دراسة ووصد وواقى للمطربوع ، ط. الرياض ٢٠٠٣م.

- على حسنى الخربوطلى (د) الإسلام وأهل الذمة ، ط. القاهرة ١٩٦٩م .

- على حسين الشطشاط (د) نهاية الوجود العربى فى الأندلس ، ط. القاهرة ٢٠٠١م

- على صالح محميد (د) الفوز الصليبي والعالم الإسلامى ، ط. الرياض ١٩٨٢م .

- على عبد العظيم تعيلب (د) الحركات الحديثة للقشرة الأرضية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م .

- على عوده الغامدى (د.) «معركة مرياكيفالون ٥٧٢هـ / ١١٧٦م» مجلة كلية الشريعة - جامعة أم القرى، العدد الأول، السنة الأولى، مكة المكرمة عام ١٤٠٩هـ.
- على محمد الصلابى (د.) الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط، ط. بيروت ١٩٩٩م، الشرف والتسامى بحركة الفتح الإسلامى، ط. القاهرة ٢٠٠١م. فاتح القسطنطينية، السلطان محمد الفاتح، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م. الدولة الأموية، عوامل الإزدهار وتناعبات الإنهيار، ط. الشارقة، ٢٠٠٦م.
- علياء ديب تبريزى، المخطط الأعظم لتحرير القدس، نور الدين محمد. ط. صيدا ٢٠٠٣م.
- عليه الجنزورى (د.) المرأة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨٠م، العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية ٨٦٧-١٠٥٦م، ط. القاهرة ١٩٨٩م، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ط. القاهرة ١٩٨٦م. الإمبراطورة إيرنى، ط. القاهرة ١٩٨١م. هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- عماد الدين خليل (د.) الإمارات الأرتقية فى الجزيرة الفراتية ١٠٧-١٤٠٩م / ٤٦٥-٨١٢هـ، ط. بيروت ١٩٨٠م. عماد الدين زنكى، ط. بيروت ١٩٨٢م. «فلسطين فى الأدب الجغرافى العربى»، ضمن كتاب دراسات تاريخية، ط. بيروت ١٩٨٣م.
- عمر عبد السلام تدمرى (د.) «دار العلم فى طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجرى» مجلة عالم الفكر، م (١٢)، الكويت عام ١٩٨١م لبنان من الفتح الإسلامى حتى سقوط الدولة الأموية ١٣-١٣٢٢هـ / ٦٣٤-٧٥٠م، ط. طرابلس ١٩٩٠م، لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدية ١٣٢-٣٥٨هـ / ٧٥٠-٩٦٩م، ط. طرابلس ١٩٩٢م لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٣٥٨-٥١٨هـ / ٩٦١-١١٢٤م، ط. طرابلس ١٩٩٤م. «مدينة صور فى كتابات المؤرخين والرحالة من الفتح الإسلامى حتى التحرر من الصليبيين» ضمن كتاب صور من العهد الفينيقى

- إلى القرن العشرين. منتدى صور الثقافي ١٥-١٦ حزيران ١٩٩٧ م. ط. صور ١٩٩٧ م.
- عمر فروخ (د.) «أبو الفداء وتعليل التاريخ» ضمن مؤخر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماه فى ذكرى مرور سبعمانه عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٢١ م. ط. دمشق ١٩٧٤ م.
- عمر كمال توفيق (د.) الامبراطور نقفور لوكاس واسترجاع الأراضى المقدسة ، ط. الاسكندرية ١٩٥٩ م. مقدمات العدوان الصليبي الامبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ، ط. الاسكندرية ١٩٦٦ م. المؤرخ وليم الصورى ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية م (٢١) عام ١٩٦٧ م. تاريخ الدولة البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٦٧ م. ط. الاسكندرية ١٩٩٥ م.
- عيد على الحفاف (د.) ومحمد أحمد عقله المومنى (د.) دراسات فى التراث الجغرافى العربى الإسلامى ، ط. عمان ١٩٩٩ م.
- الفزى ، نهر الذهب فى تاريخ حلب ، ط. حلب ١٩٤٢ م.
- الفاخورى ، تاريخ الأدب العربى ، ط. بيروت ب-ت .
- فاروق عز الدين (د.) القدس تاريخياً وجغرافياً ، ط. القاهرة ١٩٨١ م .
- فاروق عمر قوزى (د.) العباسيون الأوائل ١٣٢-٣٤٧ هـ / ٧٤٩-٨٦٦ م الثورة - الدولة المعارضة ، ج٢ ، ط. عمان ٢٠٠٣ م.
- فاروق عمر قوزى (د.) ومحسن محمد حسين (د.) الوسيط فى تاريخ فلسطين فى العصر الإسلامى الوسيط ، ط. رام الله ١٩٩٨ م
- فازيليف ، العرب والروم ت. محمد عبد الهادى شعيرة ، ط. القاهرة ب-ت .
- فاطمة الشناوى (د.) معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين فى بلاد الشام ومصر ١١٣٧-١٢٩١ م / ٥٣١ - ٦٩١ هـ) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٧ م.
- فاطمة مصطفى عامر (د.) تاريخ أهل اللمة فى مصر الاسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى ، ط. القاهرة ٢٠٠٠ م.

- فايد حماد عاشور (د.) العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامى فى العصر الأيوبي، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م .
- فردريك يو البراكين والزلازل ت. الدرمداش سرحان ، ط. القاهرة ١٩٧٩م .
- فرديناند بروديل تاريخ وقواعد الحضارات ت. حسين شريف ، ط. القاهرة ١٩٩٩م ، البحر المتوسط المجال والتاريخ ت. يوسف شلب الشام ، ط. حصص ٢٠٠١ م .
- فايز مجيب إسكندر (د.) دراسة لاتفاقية تجارية بين إمبراطورية طرابيزون والبندقية سنة ١٣٦٤م ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م نيكتاس خونياتس واعترافه بتسامح المسلمين وبربرة الصليبيين قراءة نقدية لتجاوزات الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م / ١٢٠٠هـ / ب-ت ، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. المنصورة ب-ت . الفتحوات الاسلامية لأرمينية (١١-٤٤٠هـ / ٦٣٢-٦٦١م) ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م «متى الرهاوى والحملة الصليبية ١٠٩٢-١٠٩٩م / ٤٨٨-٤٩٢هـ» ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. المنصورة ب-ت ، البيزنطيين والأثراك السلاجقة فى معركة ملاذكرد (١٠٧١-٤٦٣هـ) فى مصنف نقفور برنينيوس مقارنة للمصادر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م. أسرة برنينيوس ودورها فى التاريخ البيزنطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م. استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية أنى، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م . مصر فى كتابات المهجاج الروس فى القرن الرابع عشر ، والحامس عشر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م . «بنيامين الأول البطريرك الثامن والثلاثون بين نهاية العصر البيزنطى وبداية الفتح الإسلامى لمصر (٦٢٣-٦٦٢م) ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ج ١ ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م .
- فتحى عثمان (د.) الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحرسى والاتصال الحضارى، ٣ أجزاء ، ط. القاهرة ١٩٦٦م .
- فتحية النبراوى (د.) «حياة الإمبراطور الكيسوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى القرن ١٢م» المجلة التاريخية المصرية م (٢٧) عام ١٩٨١م ، علم التاريخ دراسة فى مناهج البحث، ط. القاهرة ١٩٩٦م
- فزاد عبد المعطى الصياد (د.) المغول فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٨٠م .

- فوزى رضوان العربى (د.) «بيت المقدس تحليل تاريخى» ضمن الندوة الدولية القدس التاريخ والمستقبل تقديم أ.د. محمد رأفت محمرد محرير محمد إبراهيم منصور ، ط. أسبوط ١٩٩٧م.
- فوزى مكاوى (د.) تاريخ العالم الاغريقى وحضارته من أقدم عصوره حتى عام ٣٣٢ق.م ، ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- فلاديمير سينفر ، حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية والعسكرية ، ت. سعد بن حذيفه الغامدى ، ط. الرياض ١٩٨٣م.
- فيصل السامر (د.) ابن الأثير ، ط. بغداد ١٩٨٦م .
- فيليب حتى (د.) لبنان فى التاريخ ت. أنيس فريحه ونقولا زيادة ، ط. بيروت ١٩٥٩م.
- قاسم عبده قاسم (د.) أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٧٩م. «الشعر والتاريخ دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٨) ، (٢٩) عام ١٩٨١-١٩٨٢م.» «الدوافع الاجتماعية فى الحركة الصليبية» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط م(٢) محرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، الخلفية الأيدولوجية للحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك ، ط. القاهرة ١٩٨٨م ، ماهية الحروب الصليبية ، الايدولوجية - الدوافع ، النتائج ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٠م. عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسى والاجتماعى ، ط. القاهرة ١٩٩٤م. السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت ، ط. دمشق ١٩٩٨م.
- قتيبه الشهابى «صمود دمشق أمام الحملات الصليبية ، ط. دمشق ١٩٩٨م .
- قسطنطين زريق (د.) « ما ساهم به المؤرخون العرب فى المائة السنة الأخيرة فى دراسة التاريخ العربى عن فترة الحروب الصليبية» مجلة الأبحاث - الجامعة الأمريكية بيروت السنة (١٢) ، ج ٢ يونيو ١٩٥٩م ، «عبرة من عصر أبى الفداء» ضمن مؤتمر المؤرخ والمجغرافى أبو الفداء صاحب حماه فى ذكرى مرور سبعمئة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م ، ط. دمشق - حماه ١٩٧٤م .

- ٢ - كارول بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ت. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط. بيروت ١٩٩٨ م .
- كارولين جولر ، مستشرقو المدرسة الإيطالية ت. رانيا قرداحي ، ط. دمشق ٢٠٠٥ م .
- كارين أرمسترونج ، المحلات الصليبية وأثرها على العالم اليوم ، ت. سامي الكعكي ، ط. بيروت ٢٠٠٤ م .
- كامل عباد ، « المؤرخ أبو الفداء ومنزلته العلمية » ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماء فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١ م ، ط. دمشق - حماء ١٩٧٤ م .
- كراتشكو فسكى ، تاريخ الأدب الجغرافى العربى. ت. صلاح الدين هاشم، ط. القاهرة ١٩٥٧ م .
- كريستوفر دوسون تكوين أوروبا ، ت. محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٦٧ م .
- كمال أمين محمد حسب الله (د) إمارة أنطاكية الصليبية (١٠٩٨-١٢٦٨ م) رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٩٠ م .
- كمال الدسوقي (د) تاريخ ألمانيا ، ط. القاهرة ١٩٦٩ م .
- كمال السيد أبو مصطفى (د) دراسات أندلسية فى التاريخ والحضارة ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧ م .
- كويلاد وفينوجرادوف الإقطاع فى العصور الوسطى بغرب أوروبا ، ت. محمد مصطفى زيادة ، ط. القاهرة ١٩٤٥ م .
- لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ت. بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط. بغداد ١٩٥٤ م .
- لطفى عبد الوهاب (د) « بعض المصادر البيزنطية لتاريخ سوريا فى العصر البيزنطى » ، بحث ضمن أعمال المؤتمر الدول الرابع لتاريخ بلاد الشام م (١١) تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور ، ط. عمان ١٩٨٦ م . « حولية ثيوفانىس مصدر بيزنطى عن بلاد الشام فى العصر الأموى » ، المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد

الشام فى العصر الأموى، عمان ٢٤-٢٩ تشرين الأول عام ١٩٨٧م ، اليونان  
مقدمة فى التاريخ الحضارى ، ط . بيروت ١٩٩٦م .

- لىلى عبد الجواد (د.) السياسة الخارجية للإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية  
١٢ ١٢٦١م. رسالة ماجستير غير منشور كلية الآداب - جامعة القاهرة  
عام ١٩٨٠م علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية ٦٥٩- ٧٨٤  
هـ / ١٢٦١- ١٢٨٢ م. مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ، العدد (٤٦) ،  
(٤٧) ، عام ١٩٨٦م. «القسطنطينية فى ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة  
المسلمين» مجلة المؤرخ المصرى، العدد (٣) (٤) ، ط. القاهرة ١٩٨٩م، تاريخ  
الروس من خلال المصادر العربية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م. « حملات مانويل  
كوسمين على المجر (١١٥١-١١٦٧م) فى ضوء كتابات حنا كيناموس » ،  
المجلة التاريخية المصرية العدد (٣٧) ، عام ١٩٩٠م «أضواء جديدة على  
تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطى ١٠١٨- ١٠٩٧م» المؤرخ المصرى ، العدد  
(١٤) يناير ١٩٩٥م . «البابوية والامبراطورية البيزنطية ، ضمن كتاب  
دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تكميلاً  
للأستاذ الدكتور إسحق عبيد تحرير محمد مؤنس عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- مأمون كيران ، اليهود فى الشرق الأوسط الخروج الأخير من الجيتو الجديد ، ط. عمان  
١٩٩٦م .
- ماجدة حسن صدقى ، العلاقات البيزنطية التركية فى ضوء كتاب الكمياد ، رسالة  
ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩م .
- مانفرد لودرك معجم المعهودات فى مصر القديمة ت. صلاح الدين رمضان مراجعة الدكتور  
محمود ماهر ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- مانويل جاسبارومير «رحيل أبى عبدالله مع أسرته وكبار أتباعه» وضمن كتاب فصول  
فى تاريخ الأندلس بداية النهاية ، ت. عبد الفتاح عوض، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- مایسة محمود داود (د.) المسكوكات القاطمية بمجموعة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة  
دراسة أثرية وفنية ، ط. القاهرة ١٩٩١م .
- مايكل هارت ، المائة الأرائل ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سباتو ، ط. دمشق  
٢٠٠١م .



- مالكوم ليونز وجاكسون ، صلاح الدين ت. على ماضى ، مراجعة نقولا زيادة ، وفهمى سعد ، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- مجدى غنيم ، الحرير ، ط. القاهرة ١٩٩٣م .
- مجموعة من الباحثين العرب والأوروبيين، ابن عساكر فى ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته ٤٩٩ - ١٣٩٩هـ وزارة التعليم العالى السورية ، ط. دمشق ١٩٧٩م.
- مجموعة من المؤرخين الروس مرجز تاريخ العالم ، ت. محمد عينانى ، ج١ ، ق١ ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- مجيد خورى ، الصلات الدبلوماسية بين الرشيد وشارلمان ، ط. بغداد ١٩٣٩م.
- محسن محمد حسين (د) « مسئولية صلاح الدين فى فشل حصار صور » المجلة العربية للعلوم الإنسانية م (٧) ، العدد (٢٦) ، ط. الكويت ١٩٨٧م.
- محمد أحمد أبو الفضل (د) «قضاة ثوار فى الأندلس» نفوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، م (٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٥م .
- محمد أسد الله صفا ، چنكيز خان ، ط. بيروت ١٤٠٨هـ .
- محمد التوشجى (د) بلاد الشام إبان الغزو المغولى ، ط. بيروت ١٩٩٨م .
- محمد الزحيلي (د) الإمام الطبرى ، ط. دمشق ١٩٩٠م.
- محمد السيد الوكيل (د) العصر النهبى للدولة العباسية دراسة وصفية وتحليلية لتلك الدولة ، ط. دمشق ١٩٩٨م.
- محمد السيد محمد عبد الغنى (د) لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان ، ط. الاسكندرية ١٩٩٩م
- محمد الصابر ، عبادة ميتراس فى روما رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م.
- محمد الطالبي (د) الدولة الأغلبية التاريخ السياسى ت. المنجى الصيادى ، ط. بيروت ١٩٨٥م.
- محمد الهمشرى والسيد أبو الفتوح وعلى إسماعيل موسى ، إنتشار الإسلاء فى أوروبا

ج ١ الرياض ١٩٩٧م.

- محمد بحر عبد المجيد (د.) اليهود في الأندلس ، ط. القاهرة ١٩٧٠م .
- محمد ثابت توفيق ، ذات الصواري ، ط. الرياض ٢٠٠١م
- محمد جاسم حمادي المشهداني (د.) موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف ، ط. مكة المكرمة ١٩٨١م
- محمد حرب (د.) العثمانيون في التاريخ والحضارة ، ط. دمشق ١٩٩٩م.
- محمد حرب فرزات (د.) «حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين وبلاد الشام» ، مجلة الدراسات التاريخية جامعة دمشق ، السنة (٢٢) العددان (٣٩) ، (٤٠) ، كانون الأول عام ١٩٩١م.
- محمد حسن العبدروس (د.) تاريخ العرب الحديث ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- محمد حميدالله (د.) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط. بيروت ١٩٦٩م.
- محمد خالد المومني (د.) الفقهاء وثورة أهل الرض في الأندلس (٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - الجامعة الأردنية عمان. ١٩٩٥م.
- محمد دسوقي محمد حسن ، العلاقات السياسية الفرنسية والانجليزية وأثرها على الحروب الصليبية في المشرق والمغرب الإسلاميين ١١٣٧-١٢٢٣ / ٥٣١-٦٢٠هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية فرج دمنهور عام ٢٠٠٦م.
- محمد زايد عبدالله عيد ، العلاقات البيزنطية الألمانية ٩٦٢-١٠٥٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م.
- محمد زكي زنجيب (د.) علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنين ١٠٨١-١١٨٥م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٨٥م.
- محمد سهيل طقروش (د.) تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ومصر وبلاد الشام ، ط. بيروت ٢٠٠١م. تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، ط. بيروت ٢٠٠٢م التاريخ الإسلامي الوجيز ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.

- محمد شاكر محمود ، الجرمان ونظمتهم وعلاقاتهم بالإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الثالث الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عا ١٩٩٣م.
- محمد شفيق غربال (محرر) ، اموسوعة العربية الميسرة م (٢) ، ط. بيروت ١٩٩٥م.
- محمد صالح منصور (د) أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية ، منشورات جامعة قاريونس، ط. بنى غازى ١٩٩٦م.
- محمد صفى الدين (د) جيمور فولوجية قشرة لأرض ، ط. بيروت ١٩٧١م.
- محمد صلاح سالم (د) القنص الحق التاريخ والمستقبل ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- محمد طه جاسر (د) تركيا ميدان الصراع بين الشرق والغرب ، ط. دمشق ٢٠٠٢م.
- محمد عبد الحفيظ المناصير، الجيش فى العصر العباسى الأول ١٣٢هـ / ٢٣٢هـ ، ط. عمان ٢٠٠٠م.
- محمد عبد الشافى المغربى (د) آسيا الصغرى فى العصور الوسطى دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى القرن ١١ - ١٣م . ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م. مملكة الحنزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م. العصور الوسطى الأوروبية رؤية فى المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- محمد عبد العزيز عزيز (د) «تخطيط الغرب لإعادة إقامة الكيان الصليبي بعد سنة ١٢٩١م» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران محرر على أحمد السيد و ابراهيم خميس ، ط . الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- محمد عبد القادر أبو فارس (د) دروس وتأملات فى الحروب الصليبية ، ط. عسّان ٢٠٠٢م.
- محمد عبد المنعم ، الاسكندرية المكتبة الاكاديمية فى العالم القديم، ط . القاهرة ٢٠٠٠م.
- محمد عبده حتامله (د) «الاتفاقية السرية الملحقة بمعاهدة تسليم غرناطة عرض وتحليل» ، ضمن كتاب بحوث ودراسات مهناه إلى عبد العزيز الدورى ، ط. عسّان ١٩٩٥م.

- محمد عثمان عبد الجليل (د.) ثورة توماس الصقلي في الامبراطورية البيزنطية ٨٢١-  
٨٢٣ هـ ٢٠٥- / ٢٠٥ هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة  
طنطا عام ١٩٩٢م. « السامريون في فلسطين وعلاقتهم بالدولة البيزنطية ٣٠٥  
- ٦٣١ م ، المؤرخ المصرى، العدد (٢٨) يناير ٢٠٠٥م.
- محمد على القطب، الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ، ط. صيدا ٢٠٠٢ م .
- محمد على المغربي ، الهزات الزلزالية ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- محمد فزاد كوبريللى ، صيام الدولة العثمانية ت. أحمد السعيد سليمان ، ط. القاهرة  
١٩٩٣ م .
- محمد فتحى الشاعر (د.) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس  
الميلادى عصر جستنيان ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة الزقازيق عام  
١٩٨٥م.
- محمد فريد ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط. بيروت ١٩٧٧م.
- محمد كامل عياد (د.) تاريخ اليونان ج١ ، ط. دمشق ١٩٩٣م.
- محمد كرد على ، خطط الشام ، ط. دمشق ١٩٥٦م.
- محمد لقمان الأعظمى ، السيرة النبوية ، ط. جلة ب-ت .
- محمد مؤنس عوض (د.) «جغرافية الحروب الصليبية- المراجع العربية والمعرية»  
ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط . م (٣) عام ١٩٨٥م ، الرحالة الأوربيون في  
مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩- ١١٨٧ ميلادية ، ط. القاهرة ١٩٩١ م .  
الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، ط.  
القاهرة ١٩٩٥م ، ولیم الصوری مؤرخًا للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس  
الصليبية المرحلة من ١١٣٧- ١١٥٠م / ٥٣٢- ٥٤٥ هـ سلسلة دراسات شرق  
أوسطية ، مركز بحوث الشرق الأوسط - جامعة عين شمس عام ١٩٩٥م ،  
الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ط . القاهرة ١٩٩٦م. فصول  
بيلوغرافيا في تاريخ الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٦م . في الصراع  
الإسلامى الصليبي معركة أرسوف ١١٩١م. ط. القاهرة ١٩٩٧م. فى الصراع  
الإسلامى الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩ هـ / ١١٤٦-

١١٧٤، ط. القاهرة ١٩٩٨م، الحروب الصليبية، دراسات تاريخية ونقدية، ط. رام الله ١٩٩٩م، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب فى القرنين ١٢، ١٣ ك / ٦، ٧ هـ، ط. القساهرة ١٩٩٩-٢٠٠٠م، الاضطهادات الصليبية لليهود فى حوض الراين عام ١٠٩٥م من خلال حولية الربى اليعازر يارناتان - مركز بحوث الشرق الأوسط- سلسلة دراسات شرق أوسطية عام ٢٠٠٠م، الحروب الصليبية السياسة، المياه، العقيدة، ط. القاهرة ٢٠٠١م، دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصر الوسطى)، ط. القاهرة ٢٠٠٢م (تحرير)، إغارات أسراب الجراد وأثرها فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١١١٤-١١٥٩م / ٥٠٩-٥٥٤ هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، «أضواء على تاريخ موارنة لبنان عصر الحروب الصليبية ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصر الوسطى، أبحاث مهناء إلى أ.د. قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين تحرير حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م. «أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية فى القرنين ١٢-١٣م / ٦-٧ هـ حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٣)، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، «الرحالة الأوربيون فى العصر الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، التنظيمات الدينية الحربية فى مملكة بيت المقدس اللاتينية فى القرنين ٦، ٧ هـ / ١٢، ١٣ م، ط. را الله ٢٠٠٤م «فكرة الجهاد الإسلامى فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصر الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خيس، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، مؤرخون مصريون رواد لمرحلة العصر الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، ط. القاهرة ٢٠٠٦م «أ.د. حسن حبشى مؤرخ مصرى رائد للعصور الوسطى»، ضمن كتاب عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.

- محمد متولى (د.) وجه الأرض، ط. القاهرة ١٩٧٧م.

- محمد مجدى حسن عبد الفتاح، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط اقسطنطينية ١٢٠٤م/ ٦٠٠ هـ رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة النيا عام ١٩٨٧م.

- محمد مرسى الشيخ (د.) الممالك الجرمانية فى أوربا العصر الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٧٥م. «سياسة الامبراطور البيزنطى ثيوفيلوس تجاه الخلافة

- العباسية مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية العدد (١٣) عام ١٩٧٩م. «الحزب وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد (٤) ، عام ١٩٨٠م «الفتح النورمانى لإنجلترا - ملحمة فريدة فى تاريخ إنجلترا ونورمنديا فى العصور الوسطى» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م.
- محمد مقيد آل ياسين (١٠) الحياة الفكرية فى العراق فى القرن السابع الهجرى ، ط. بغداد ١٩٧٩م .
- محمد مصطفى زيادة (١١) مصر والحروب الصليبية ، رسائل الثقافة العربية رقم (٢٩) ، منشورات وزارة الدفاع الوطنى ، ط. القاهرة ١٩٥٤م ، حلة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ، ط. القاهرة ١٩٦٦م.
- محمد فريد الشواشى ، ألمع ساعات المرح فى تاريخ الانسانى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- محمد فتحى أمين (١٢) الغزو المغولى لديار الاسلام ، ط. دمشق ٢٠٠٥م.
- محمد نصر مهنا (١٣) الإسلام فى آسيا من الغزو المغولى دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م .
- محمود إسماعيل (١٤) الأغالبة ١٨٤-٢٩٦هـ سياستهم الخارجية ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- محمود الحويرى (١٥) العادل الأيوبي صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية ، ط. القاهرة ١٩٨٠م ، رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م ، اللومبارديون فى التاريخ والحضارة ٥٦٨-٧٧٤م ، ط. القاهرة ١٩٨٦م مصر فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٦م.
- محمود السيد (١٦) تاريخ عرب الشام فى العصر المملوكى ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها ط . الاسكندرية ٢٠٠٠م، التتار والمغول ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، الفتوحات الإسلامية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، تاريخ الحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٢م

- محمود المقداد (د.) تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٢ م .
- محمود رزق محمود (د.) العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى معركة حطين ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٧٣ م .
- محمود سعيد عمران (د.) «معركة حارم ١١٦٤ م قصة التحالف البيزنطى الصليبي الأرميني ضد نور الدين محمود ء المؤرخ العربى، العدد (٨) ، بغداد ١٩٧٧م. الحملة الصليبية الخامسة ، ط. الاسكندرية ١٩٧٨م «أركولف ورحلته إلى الشرق» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط م(٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٥م . نيقولا مستيكوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالقوى الإسلامى من خلال مراسلاته ، ط. بيروت ب-ت . السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد مانويل كومنين ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م «شارل كونت أنجو بين القسطنطينية وتونس والقدس» ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى/ التاسع الهجرى، القاهرة ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م ، ملكة الوندال فى شمال أفريقيا ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، «محصينات مدينة القسطنطينية فى مواجهة الغزوات الخارجية بحيث القى فى ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحر - إتحاد المؤرخين العرب ، ط. القاهرة ٦-٨ نوفمبر ١٩٩٣م . معالم تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية مدخل إلى التاريخ السياسى العربى ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م ، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩٢ ، ط. الاسكندرية ١٩٩٥ م. الامبراطورية البيزنطية وحضارتها ط . بيروت ٢٠٠٢م.
- محمود شاكر ، موسوعة تاريخ اليهود ، ط. عمان ٢٠٠٢ م .
- محمود محمد الروضى «قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام ومصر زمن الحروب الصليبية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة المنيا العدد (٤١) يوليو ٢٠٠١ م. إمارة الرها الصليبية ، جامعة مؤتة ٢٠٠٢م.
- مرمرجى الدوميتسكى ، بلدانية فلسطين العربية منشورات المجمع الثقافى ، ط. أبوظبى ١٩٩٧م.

- مصطفى الحاج ابراهيم « الآفاق الجغرافية عند أبي الفداء وكتابه تقويم البلدان » ضمن مؤتمر المزرخ والجغرافى أبو الفداء ، صاحب حماه فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣ - ١٣٣١ م . ط. دمشق - حماه ١٩٧٤م
- مصطفى الحيارى ( د ) ، القدس زمن الفاطميين والفرنجية . ط. عمان ١٩٩٤ م ، صلاح الدين القائد وعصره .. ط. بيروت ١٩٩٤ م .
- مصطفى الشكعة ( د ) سيف الدولة الحمدانى مملكة السيف ودولة الأقاليم . ط. القاهرة ٢٠٠٠م .
- مصطفى الكنانى ( د ) العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ١١٧١ - ١٢٩١ م / ٥٦٧ - ٦٩٠ هـ . ط. الاسكندرية ١٩٨١م . حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ١٢٧٠ م / ٦٦٨ - ٦٦٩ هـ . ط. الاسكندرية ١٩٨٥ م .
- مصطفى طه بدر ( د ) محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدى المغول ، ط. القاهرة ١٩٩٩ م .
- مفيد رائف محمود العابد ( د ) معالم تاريخ الولة الساسانية عصر الأكامسة ٢٢٦ - ٦٥١ م ط . دمشق ١٩٩٩ م .
- مفيد الزيدى ( د ) موسوعة الحروب الصليبية ، ط. عمان ٢٠٠٤ م .
- ممدوح الزوى ، الموسوعة العربية الميسرة ، الأديان - المذاهب المعتقدات المصطلحات الدينية . ط. دمشق ب-ت .
- ممدوح درويش مصطفى ( د ) التاريخ الرومانى من أقدم العصور حتى بداية العصر الامبراطورى ، ط. الرياض ٢٠٠٤م .
- ممدوح مغازى ، الحياة السياسية وبعض مظاهر الحضارة فى إمارة الموته الصليبية فى عهد أسرة فيلهاردوين ١٢٠٥ - ١٣١٠م رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ٢٠٠٠ م .
- ممدوحة محمد سلامة ( د ) الكارزمية - القدرة على التأثير على الآخرين « مجلة علم النفس العدد ( ١٤ ) ، أبريل مايو - يونيو ١٩٩٠ م .
- متى البرى العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين فى صقلية وجنوبى إيطاليا زمن الأسرة المقدونية ٢٧٣ - ٤٣٢ هـ / ٨٨٦ - ١٠٤٠ م ) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٦ م .



- منى حسن محمود (د.) المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجية ٩٢-١٠٢٦ هـ / ٧١٤-٨١٥م . ط. القاهرة ١٩٨٦م
- منى حماد (د.) «وليم الصوري والصراع الفرنجي الإسلامي ١٠٩٩-١١٨٤م» ضمن كتاب أبحاث ودراسات في التاريخ العربي مهداة إلى ذكرى مصطفى الحيارى تحرير صالح الحمارنة - الجامعة الأردنية، عمان ٢٠٠١م.
- منى محمد بدر محمد (د.) أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والملوكية . ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- موريس كين ، حضارة أوروبا العصور الوسطى ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول ت. إسماعيل العربي ، ط. الدار البيضاء ١٩٩٠م.
- موس ميلاد العصور الوسطى ت. عبد العزيز توفيق جاويد ومراجعة السيد الباز العرينى ط القاهرة ١٩٦٧م . ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- مونتجومرى (الفيلد مارشال) ، الحرب عبر التاريخ ت. عبد المنعم النمر ، ط. القاهرة ١٩٧١م.
- مونتجومرى وات، في تاريخ أسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بييركاكيا) ت. محمد رضا المصرى ، ط. بيروت ١٩٩٤م
- ميخائيل اسكندر ، القدس عبر التاريخ ، ط. القاهرة ١٩٧٢م
- ميخائيل زابوروف ، الصليبيون في الشرق ت. إلياس شاهين ، ط. موسكو ١٩٨٦م.
- مى علوش ، أشهر حصارات المدن في التاريخ ، ط. بيروت ١٩٩٤م.
- ميشيل جحا (د.) الدراسات العربية والاسلامية فى أوروبا ، ط. بيروت ١٩٨٢م.
- ميشيل جرجس ، الكنيسة المصرية ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- ميشيل مان موسوعة العلوم الاجتماعية ت. عادل مختار الهوارى وسعيد عبد العزيز مصلوح ، ط. الكويت ١٩٩٤م.
- ميكيلي أمانى ، تاريخ مسلمى صقلية . ط. ت. محب سعد ابراهيم وسوزان اسكندر، ط. فلورنسا ٢٠٠٣م.

- ميلاد المقرحى (د.) تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨م ، منشورات جامعة قاريونس، ط. بنى غازى ١٩٩٦م .
- نادبة حسن صقر (د.) السلم فى العلاقات العباسية البيزنطية فى العصر العباسى الأول دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٥م .
- ناصر عبد الحميد زيدان : الدولة البيزنطية فى عهد الامبراطور جستين الثانى وتيبيريوس ٥٦٥-٥٨٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.
- ناهد عمر صالح (د.) السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد الامبراطور أندروتيكوس الثانى باليولوغوس (١٢٨٢-١٣٢٨م) . رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٩٩م ، الاتحاد الكنسى فى عهد الامبراطور يوحنا الخامس باليولوغوس (١٣٥٤-١٣٧٦م) ، مجلة الموزخ المصرى، العدد (٢٨) يناير ٢٠٠٥م .
- نبيل عبد الحميد رضوان (د.) جهود العثمانيين لإتقاز الأندلس واسترداده فى مطلع العصر الحديث ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٨م .
- نبيل لوقا بباوى (د.) إنتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م .
- نبيلة ابراهيم (د.) ، سيرة الأميرة ذات الهمة دراسة مقارنة ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- نبيلة ابراهيم مقامى (د.) العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان فى جنوب إيطاليا وصقلية ١٠٢٥-١١٩٧م ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٩م .
- نبيلة عاقل (د.) الإمبراطورية البيزنطية ، ط. دمشق ١٩٦٩م. تاريخ خلافة بنى أمية . ط. دمشق ١٩٧٥م.
- نجلاء حسين توفيق ، سياسة الدولة العثمانية فى البلقان تجاه الصرب ١٣٢٦-١٤٥٩م . رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة أسيوط عام ٢٠٠١م.
- نجيب العقبى (د.) المستشرقون ، ج١، ط. القاهرة ١٩٨٠م. الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ، ط. القاهرة ١٩٦١م . تاريخ إنجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م .

- نعمان محمود جبران (د.) «محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير أسباب ونتائج» مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة (١٢)، العددان (٣٩) (٤٠) كانون الأول عام ١٩٩١م.
- نعوم شقير (بك) تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلاقات التجارية والحربية وغيرها عن طريق سينا من أول عهد التاريخ إلى اليوم.
- نعيم زكي فهمي (د.) العلاقة بين إمارة أنطاكية الصليبية والدولة البيزنطية في عهد الحملة الصليبية الأولى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م.
- نعيم فرح (د.) «ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العهد البيزنطي» الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور ، ط. عمّان ١٩٨٦م. تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى . ط. دمشق ١٩٩٥م. الحضارة البيزنطية . ط. دمشق ٢٠٠٣م ، تاريخ بيزنطة السياسي ، ط. دمشق ٢٠٠٤م
- نعيمة إبراهيم (د.) اسيا الصغرى والحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ٢٠٠١م.
- نقولا زيادة (د.) «سوريا زمن الصليبيين المقتطف عدد يوليو ١٩٣٥م. رواد الشرق العربي في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٤٦م ، ط. بيروت ١٩٨٦م ، الجغرافيون والرحلات عند العرب ، ط. بيروت ١٩٨٢م
- نور الدين حاطرم (د.) المدخل إلى التاريخ ، ط. دمشق ١٩٦٥م. تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ج ١ ، ط. دمشق ١٩٨٢م.
- نورمان بينز ، الإمبراطورية البيزنطية ت. حسين مؤنس ومحمود زابد ط القاهرة ١٩٥٧م.
- نورمان كانتور التاريخ الوسيط ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- واشنطن إيفرنج ، أخبار سقوط غرناطة ت. هاني يحيى نصرى ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- وديع فتحي (د.) العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي

(٧٤١-٨٢٠م /١٢٤-٢٠٥هـ) ط. الاسكندرية ١٩٩٠م. بيزنطة ومسلمو جنوب إيطاليا وصقلية فى عهد باسيل الأول المقدونى (٨٦٧-٨٨٦م ٢٥٣/-٧٢٣هـ) ، ط. الاسكندرية ١٩٩٣م ، العلاقة بين الدولة والكنيسة فى عصور نقفور الأول (٨٠٢-٨١١م) ، مجلة المؤرخ المصرى العدد (٢٨) عام ٢٠٠٥م.

- وسام عبد العزيز فرج (د) العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م . «الإمبراطور باسيل الثانى (سفاح البلغار) ٩٧٦- ١٠٢٥ العوامل التى أثرت على السياسة فى عصره ندوة التاريخ الإسلامى والوسط ، ط. القاهرة ١٩٨٢م. وقوانين الملكية الزراعية فى الامبراطورية البيزنطية دراسة تحليلية ندوة التاريخ الاسلامى والوسط ، م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م. دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية من ٣٢٤- ١٠٢٥م . ط. الاسكندرية ١٩٨٧م . الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس ٨٨٦- ٩١٢ ، ط. الاسكندرية ١٩٩١م . والسلاط الصقالبة فى شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها (٥٩١- ١٠١٨م) ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ السياسى والادارى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م. «التجارة فى العصر البيزنطى الأوسط (من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى) ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

- وفاء عبدالله المزروع (د.) جهاد المسلمين خلف جبال البرنات من القرن الأولى إلى القرن الخامس الهجرى ط . القاهرة ب-ت .

- وفاء محمد ، الامبراطور موريس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس .

- ول ديورانت ، قصة الحضارة ج١٤ ، ت. محمد بدران ، ط. القاهرة ١٩٧٥م .

- ولیم سلیمان قاده (د.) «العلاقات الإسلامية المسيحية فى الواقع المصرى ، المفهوم الأساسى الماضى والحاضر والمستقبل» ضمن كتاب العلاقات الاسلامية - المسيحية قراءات مرجعية فى التاريخ والحاضر والمستقبل ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، ط. بيروت ١٩٩٤م .

- ولتر فيشيل ، يهود فى الحياة الاقتصادية والسياسية للدولة الاسلامية ، العباسية - الفاطمية الالمانية، ت. سهيل زكار ط. دمشق ٢٠٠٥م
- هبة الزحيلى (د.) الإسلام وغير المسلمين ، ط. دمشق ١٩٩٨م.
- هارتمان وباراكلاف ، الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ت. جوزيف نسيم يوسف، ط. الاسكندرية ١٩٧٠م، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م.
- هارفى بوتز ، موسوعة مختصر التاريخ القديم ، ط. القاهرة ١٩٩١م.
- هارولد ايدرس بل مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ت. عبد اللطيف أحمد على ومحمود عواد حسن ، ط. القاهرة ١٩٥٤م
- هارولد لامب ، جنكيز خان وجحافل المغول ، ت. متري أمين، ط. القاهرة ١٩٦٢م
- هارى ألز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ج ١ ت. محمد عبد الرحمن برج ، ط. القاهرة ١٩٨٤م
- هاملتون جب «تاريخ دمشق» ، ضمن كتاب صلاح الدين الأيوبي» ، دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ت. يوسف أبيض ، ط. بيروت ١٩٧٣م.
- هانى عبد الهادى البشير (د.) العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى ٦٨١ - ١٠٨١م، رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٩م. «البياصة فى آسيا الصغرى فى ضوء مصنف بطرس الصقلى» المؤرخ المصرى، العدد (٢٤) يناير ٢٠٠١م. «نقفور بطريك القسطنطينية (٨٠٣- ٨١٥م) ، ومؤلفه التاريخ المختصر ، المؤرخ المصرى، العدد (٢٦) يناير ٢٠٠٣م.
- هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ، ط. ت أحمد محمد رضا، ط. القاهرة ١٩٨٥م.
- هيرت فشر ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ت. محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العرنى ، ط. القاهرة ١٩٥٧م.
- هسى ، العالم البيزنطى ت. وأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٩٧م
- هنادى السيد محمود ، مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد بلدوين الأول ٤٩٤-

٥٢ / ١١٠٠ - ١١١٨ م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦ م.

- هنا ، بركات ، التاريخ السياسي لإمبراطورية طرابيزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادى حتى سقوطها ١٤٦١ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٨ م.

- هنرى كتن ، القدس الشريف ت. نور الدين كنانه ، ط. عمّان ١٩٨٩ م.

- ياسر عبد المعبود ، جامعة باريس ودورها فى النهضة الفكرية فى العصر الوسيط ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ م.

- ياسين التكريتى ، الأيوبيون فى شمال الشام والجزيرة رسالة د:توراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة عام ١٩٨١ م.

- بسرى الجوهري (د) جغرافية البحر المتوسط ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤ م.

- يحيى أحمد عبد الهادى (د) أهل الذمة فى العراق فى العصر العباسى الأول الفترة السلجوقية نموذجاً ٤٤٧ - ٥٩٠ هـ / ١٠٥٥ - ١١٩٤ م ، ط. إربد ٢٠٠٤ م.

- يورى ميخايلوفتش كويسانوف، الشمال الشرقى الأفريقى فى العصور الوسطى المبكرة وعلاقاتها بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع ، ت. صلاح الدين عثمان هاشم ، ط. عمان ١٩٨٨ م.

- يوسف أحمد ياسين (د) بلدان الأندلس فى أعمال ياقوت الحموى الجغرافية (٥٧١ - ٦٢٦ هـ / ١١٧٨ - ١٢٢٦ م) مركز زايد للتراث ، ط. أبوظبى ٢٠٠٤ م.

- يوسف العشى، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ط. دمشق ١٩٩٨ م.

- يوسف بغدادى، والرها ، مجلة المشرق ، السنة (٨) العدد (٤) ، عام ١٩٠٥ م .

- يوسف بن أحمد حوالة ، بنو عباد فى أشبيلية ٤١٤ - ٤٨٤ هـ / ١٠٢٣ - ١٠٩١ م دراسة سياسية وحضارية ، ط. جدة ١٩٨٩ م .

- يوسف درويش غوانه (د) إمارة الكرك الأيوبية ، ط. عمان ١٩٨٢ م ، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرننج ، ط. عمّان ١٩٩٥ م .

- يوشع براور ، عالم الصليبيين ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن . ط. القاهرة ١٩٨١م.
- يوغوليو يسكى «رحلة السائح الروسي دانيال إلى الأراضى المقدسة فى أول عهد الصليبيين مجلة المشرق ، العدد (٩) السنة (٢٤) ، عام ١٩٢٦م.
- يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والاستشراق فى أوربا حتى بداية القرن العشرين ت عمر لطفى العالم . ط. بيروت ٢٠٠٠م.
- ٥- يوهان هورينجا ، إضمحلال العصر البسطينى. عبد العزيز توفيق جاويد ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

## خامساً : المراجع الأجنبية

- Adams (G.B.) , The History of England from the Norman Conquest to the death of John (1066-1216), London 1905 .
- Adelson (H.L.), Medieval Commerce, New York 1962 .
- Allen, "The Justinian Plague", B., 49, 1979 .
- Amelineau (E.), " La Conquete de L'Egypte par les Arabes ", R.H.I. vol CXIX , 1915 .
- Anastos (M.V.), " Dumbarton Oaks and Byzantine Studies: a personal account ", in Laion and Magnice (eds.), Byzantium Aworld Civilization , Washington 1992 .
- Angold (M.) , Byzantium The Bridge from Antiquity to the Middle Ages, London 2001
- Arnold (T.), The Spread of Islam in The World , A History of Peaceful Spreading , India 2001
- Asbrighie (T.), The First Crusade , New History , The Roots of Conflict between Christianity and Islam, Oxford 2004 .
- Asimov (I), Constantinople the Forgotten Empire , Boston 1970 .
- Aṭiya (A.S.) The Crusade of Nicopolis , London 1934 , The Crusade, Historiography and Bibliography , London 1962 .
- ATwater (D.) The Penguin dictionary of Saints, London 1977
- Awad (M.M.) " Highlights on the Medical Contribution of Musa Ibn Maimun (1135-1204 A.P.525- 602 A.H.) during the Ayyubide Rule in Egypt ", M. E. R. J., vol 12, March 2003 .
- Babinger (F.), Mehmet der Eroberer und Seine Zeit, Munich 1953 .
- Baldwin (M.) " Mission To the East in the Thirteenth and Fourteenth centuries", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol V, Philadelphia 1985 .. " The latin States under Baldwin III and Amalric I 1143-1174", in Setton (ed.), A History of the Crusades , vol II Pennsylvania 1958 .



- Barisic (F.) (ed.) *Melanges Georges Ostrogorsky*, Beograd 1963 .
- Barker (ed. (ed.)), *Relations between East and west in the Middle Ages*  
Edinburgh 1973
- Barker (E.), *The Crusades*, London 1949
- Barker (J.) *Justinian and the Later Roman Empire*, Wisconsin 1966
- Manuel II Paleologos (1391- 1425) *A study in later Byzantine Statesmanship*, New Brunswick 1969
- Barth (H.), *Constantinople*, Paris 1906
- Bartlett (W.B.), *An ungodly war The Sack of Constantinople and the Fourth Crusade*, Gloucestershire 2000 .
- Baynes (N.) "The death of Julian the Apostate in a christian legend , in *Byzantine Studies and other Essayes*, connecticut 1974.
- Bynes (N.) and Moss (L.B.) (eds.) *Byzantium* , Oxford 1948 .
- Beatan (R.) and Ricks (D.) (eds.) , *Digenes Akrites*, New approaches to *Byzantine Heroic Poetry* , Lodon 1993
- Becher (M.), *Charlemagne* , Trans. by David S. Bachrach, London 03 .
- Beer (J.M.), *Villehardouin : Epic Historian*, Geneva1968 .
- Berry (V.G.), " *The Second Crusade* , in Setton (ed.) , *A History of the Crusades*, vol . I , Pennsylvania 1950.
- Binns (L.E.) , *Innocent III* , London 1931
- Bosworth (C.E.) , " *The Byzantine Defence System in Asia Minor and the First Arab incursions*" , *Proceedings of The Second Symposium on the History of Bilad al- Sham during the early Islamic Period up to 40 A.H., A.D. 640* , the Fourth international Conference on the History of Blad al- Sham ed. by M.A Bakhit , vol I , *French and English Papers*, Amman 1987
- Byzantium and the Syrian Frontier in the Early Abbasid Perios (132-A./ 750-45), A.H. / A. D 1059), *Proceedings of the Fifth international*

- conference on the History of Bilad al- Sham , ed. M.A . Bakhit (English and French Section ) , Amman 1991 “ Byzantium and the Arabs War and Peace between Two World Civilizations “ J.O. A.S., 3-4 , Athens, 1991-1992 .
- Bowersock (G.W.) , Julian the Apostate, London 1978 .
  - Brand (C.M.), “ Byzantium and Saladin 1185-1192 , Opponents The Third Crusade”, S. vol . XXXVII, 1962 , Byzantium confront the west 1180-1204 , Cambridge 1968 .
  - Brehier (L.), La Schism Orientale du XI Siecle, Paris 1899 , L'Eglise et L'Orient au Moyen age , Paris 1928 ., Vie et Mort de Byzance, Paris 1946 .
  - Brice (W.C) , “ The Turkish Colonization of Anatolia , B.J.R.L., vol XXXVIII, 1955 .
  - Bridge (R.) , “ The History “, in Daniel (G.) (ed.), The Byzantines, London 1962 .
  - Brook, A History of Europe 911 to 1198, London 1938 .
  - Brooks (E.W.), “ The Campaigne of 717-718 from Arabic Sources”, J.H.S., vol . XIV, 1899 ., “ Byzantium and Arabs in the time of the Early Abbasids”, E.H.R., vol . XV , 1900 . “ Arabic lists of the Byzantiune, Themes”, J.H.S., vol XXI, 1901 . , “ The Arab Occupation of Crete”, E.H.R., vol . XXVIII, 1913 .
  - Brown (H.F.) The Venetians and Venetian quarter in Constantinople to Close of the Twelfth Century “, J.H.S., vol . XL , 1920 .
  - Browning (R.), The Emperor Julian , London 1975 . History of the Byzantine Empire , New York 1980, Justinian and Theodora, London 1987
  - Brubacker (L.), Haldon (J.) Byzantium in the Iconoclast Era (Ca 680-850): The Sources , An annotated Survey , B.B.O.M., Birmingham 2001.

- Brundage (J.) (ed.), *The Crusades, motives and achievements* , Boston 1964 , " Holy war and The Medieval Lawyers", in *The Crusades motives and achievements* , Boston 1964 .
- Bryer (A.) and Herrin (J.), (eds.), *Iconoclasm* , Birmingham 1971 .
  - Buckler (G.), *Anna Comnena*, London 1929 ., *Harunl Rashid and Charles The Great* , Massachusetts 1931
  - Bury (J.B.), *A History of the Eastern Roman Empire*, London 1952  
The treatise *De Administrando Imperio*", B.Z., vol. XV, 1906 .
  - Byrne (E.), " Genoese Trade with Syria in the Twelfth century " , A.H.R., vol . **XXV**, 1919
  - Cahen (C.), " La Campagne de Mantzikert d'apres les Sources musulmans", B., T IX , 1934 , *La Syrie du nord a l'epoque des Croisades* , Paris 1940 ., " The Turkish Invasion " Setton (ed.), *A History of the Crusades* , vol . I , Pennsylvania 1952, Pre- Ottoman Turkey , a general Survey of the materiy and Spiritual culture 1071-1330, Trans. by J.J. Jones, New York 1968 .
  - Cameron (A.), *Procopius and The Sixth century* , Oxford 1989 , Los Angeles 1985 .
  - Canard (M.) , *Sayf al Daula*, Alger 1934 ., *Histoire de la dynastie des Hamadanides de Juzira et de Syrie* , T.I , Paris 1953 ., " La Guerre Sainte dans le monde Islamique et dans le monde Chretien " , R. Af., T. LXXIX , Année 1956, " La destruction de l'eglise de la resurrection par le Calife Hakim et L'Histoire de la descente du feu Sacre " , B. XXXV, Année 1965 .
  - Cantor (N.), *Medieval History* , *The life and death of Civilization*, New York 1969
  - Carr (A.), Hill (B.) , Brand (C.) Peterson (T.) and Takacks (S.) (eds.) *Komnenian Culture, Papers From the Session at the 20 th Annual*

Byzantine Studies conference , Ann Arbor , Michigan , on 21  
September 1994 (B.F. vol. XXIII, 1996).

- Chalandon (F.) , Les Comnènes, Jean II et Manuel I Comnène, Paris 1912
- Chapman (C.) Michael Paleologue restaurateur de L'Empire Byzantine (1261-1782) , Paris 1926 .
- Charanis (P.), " The Byzantine Empire in the eleventh Century", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol . I, Pennsylvania1958 .
- Cheira (M.A.), la lutte entre les Arabes et Byzantines : La Conquete et L'Organisation des Frontieres aux VII et VIII Siecles, Alexandrie 1947 .
- Chibnall (M.), The Normans , Massachosetts 2000 .
- Ciggaar (K.) , Western Travellers to Constantinople, The West and Byzantium 962-1204 , Cultural and Political Relations , Leiden 1996 .
- Clot (A.), Mehmed II le Conquerant de Byzance (1432-1481), Paris 1990.
- Colomans (C.B.), Constantine The Great and Christianity , New York 1914 .
- Colish (M.L.), Medieval Foundations of the Western intellectual Tradition 400-1400, London 1998 .
- Collins (R.), " Visigothic Spain , 409-711, " in Carr (D.) (ed.) Spain A History , Oxford 200 .
- Conrag (L.), The Plague in Early Medieval Near East , Unpublished . D. diss in Near Eastern Studies , Princeton university 1981 .
- Constantinides (C.C.), " Byzantine Scholars and the Union of Lyons 1274", in Beaton (R.) and Roneche (C.) , (ed.) the Making of Byzantine History , Studies dedicated to Donald M. Nicol, centre for Hellenic King's College, London 1993

- Coulbora (ed.), *Feudalism in History* Princeton 1950 .
- Cowdrey (H.E.), "Pope Urban II and the Idea of Crusade", S.M. 36, 1995.,  
 " Pope Gregory VII and the Bearing of Arms" in kedar , Riley -  
 Smith and Hierstand (eds.) *Montjoie Studies in Crusade His-*  
*tory in Honour of Hans Eberhard Mayer*, Aldershot 1997  
*The Carthusians and their Contemporary World : The Evidence*  
*of Twelfth- Century Bishops, Vitae ,"* in *The Crusades and latin*  
*Monasticism, 11 th - 12 th centuries*, Great Yarmouth 1999
- Crampton (R.J.), *A concise History of Bulgaria*, Cambridge 1997
- Dargon (G.), *Emperor and Priest , The imperial office in Byzantium*,  
 Trans. by J. birrell, Cambridge 2003 .
- Dastrup (J.), " Manuel's Coup against Genoa and Venice in the light of  
 Venice Commercial Policy ", C.M.T.X, 1949
- Davis (e.) " William of Tyre", in Barker (ed.) , *Relations between East and*  
*West in the Middle Ages*, Edinburgh 1973
- Diehl (C.) , " Etude Byzantines, Introduction a' L'Histoire de Byzance ,  
 Paris 1905 , *History of the Byzantine Empire*, Trans. by George  
 B. Ives, Princeton 1925 .
- *Byzantium, Greatness and decline ,* Trans. by Naomi Walford , New Jersey  
 1957  
 Theodora "Empress of Byzantium, Trans. by Samuel R. Rosenbaum, New  
 York 1972.
- Dols (M.W.) *The Black Death in The Middle East ,* Princeton 1977.  
 Doney (D.) , *Earthquakes at Constantinople and vicinity (324-1453)*, S.,  
 vol XXX, 1955 .
- Dowins (N.), *Basic Documents in Medieval History ,* New Jersey 1959 .
- Doyle (W.), *Origins of The french Revolution ,* Oxford 1999
- Dvornik (F.), *The Photian Schism History and Legend*, Cambridge 1948
- Ebeid (E.), " Was Pope Innocent III an accomplice in the diversion of the  
 Fourth Crusade 1204", E.H.R. vol XV, 1969

- Edbury (P.) , The Kingdom of Cyprus and the Crusades 1191-1374 , Cambridge 1981 " William of Tyre , A Historian of the Crusades and The Kingdom of Jerusalem ( 1130-1148) " , B.F.A.A.U., 1988 .
- Edbury (P.) and Rowe, William of Tyre Historian of the latin East , Cambridge 1988 .
- El - Azhari (T.K.), The Saljuqs of Syria during the Crusades 463-549 A.H. / 1070-1154 A.D, Berlin 1997 .
- Emereau (C.) , " les Origins et la Formation de Constantinople" R.A., T.XXXI , 1925 .
- Enan (M.A.), Decisive moments in the History of Islam, New Delhi 2001
- Evans (G.R.), Bernard of Clairvaux, New York 2000 .
- Evans (J.A.S.) , Procopius , New York 1972 , The Nika Rebellion and the Empress Theodora", B. LIV, 1984 ., The Age of Justinian, The Circumstances of imperial Power, London 1996 , The Empress Theodora Partner of Justinian, Texas 2002 .
- Fahmy (A.M.), Muslim Sea - Power in the Eastern Mediterranean from the Seventh to the Tenth century A.D., Cairo 1966 .
- Farag (W.A.), Byzantium and its Muslim Neighbours during the reign of Basil II, 976- 1025, ph . D., University of Birmingham 1979
- Finly (G.) , History of Greece vol . III, Oxford 1877
- Fouracre (D.), The Age of Charles Martel, Essex 2000.
- France (J.) , Victory in the East, A Military History of the First Crusade Cambridge 1996 .
- Freedman (Ch.) , The Greek Achievement , the Foundation of the Western World, New York 1999
- Friedley (F.A.) Julian The Apostate and the Rise of Christianity, London 1937
- Friedman (Y.) Encounter between enemies in Captivity and Ransom in the Latin kingdom of Jerusalem, leiden 2002 .

- Friendly (A.) the Dreadful Day The Battle of Manzikert 1071 , London 1981
- Fuller (J.F.), Decisive battles of Western Europe and their influences upon history , London 1954
  - Gadolin (A.R.), " Alexios I Comnenus and the Venetians Trade Privileges: A New interpretation" B., 50, 1980 .
  - Gardiner (L.), Byzantine Emperors Woman and Power in Byzantium A.D. 527-1204 , London 1999
  - Geanakoplos (G.J.), Emperor Michael Paleologus 1282-1298, Cambridge , 1959
  - Gero (S.) , Byzantine Iconoclast during the Reign of Leo III with Particular attention to the Oriental Sources , Louvain 1999 .
  - Gibb (H.), " Zengi and the Fall of Edessa", in Setton (ed.), A History of the Crusades , vol .I , Pennsylvania 1952 .
  - Gibbon (E.), The decline and Fall of the Roman Empire , vol III, New York 1995
  - Gibbons (G.A.), The Foundations of The Ottoman Empire, Oxford 1916 .
  - Gill (J.) The Council of Florence , Cambridge 1959 .. " Greek and Latin in a common council, The Council of Florence ( 1438-1439), O. chr. P. vol XXV, 1959
  - Goodwin (G.) , A History of the Ottoman Architecture, Oxford 1997
  - Graber (A.), " Byzantine Architecture and Art ", C.M.H., vol. IV Cambridge 1967
  - Grant (R.M.), Eusebius as Church Historian, Oxford 1980 .
  - Goitein (S.), " Contemporary letters on the Capture of Jerusalem by The Crusaders ", J.J.S., vol X, 1952 . , " Saladin and the Jews", H. U.C.A., vol XXVII , 1956 .
  - Gregoire (H.), Le Communiqué arabe sur la prise de Thessalonique 904", B. 22, 1952 .

- Grousset (R.), *Histoire d'Asie , le monde Mongol*, Paris 1922 .
- Hagenmeyer (H.) , *Peter der Ermitte*, Leipzig 1879 , " Chronologie de la Premiere Croisade", R.O.L. , T. VII, Année 1899 .
- Halden (J.F.), *Byzantium in the Seventh Century , The Transformation of aculture*, Cambridge, 1997, "Blood and Ink : Some Observations on Byzantine attitudes Toward Warfare and diplomacy " , in Shepard (J.) , and Franklin (S.), (eds.), *Byzantine Diplomacy , Papers from The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine studies, The Promotion of Byzantine Studies*, Hampshire 2003 .
- Halecki (O.), *The Crusade of Varna*, New York 1943 .
- Hamilton (B.) , " The Elephant of Christ : Regnald of Chatillon" in *Monastic Reform , Catharism and the Crusades, 900-1300*, London 1979 , "Manuel I Comnenus and Baldwin IV of Jerusalem" in J. Chrysostomides (ed.), *Katheyetria, Essays Presented to Jean Hussey for her 80 th birthday* , Cambridge 1988 , " The Cathars and the Seven Churchs of Asia", in J. Howard Johnstone (ed.) *Amsterdam 1988* , " Wisdom from the East: The Reception among the Cathars of Eastern Dualist Texts, in Biller (P.) and A. Hudson (eds.) , *Heresy and literacy , 1000-1530*, Cambridge 1994 .
- Harris (J.) *Byzantium and the Crusades*, London 2003 .
- Havighurst (A.), *The Pirenne Thesis Analysis Criticism and Revision*, Boston 1958 .
- Hammad (M.), *Latin and Muslim Historiography of the Crusades, A Comparative Study of William of Tyre and izz Addin Ibn Al Athir*, ph . D. University of Pennsylvania 1987.
- Head (C.) *Justinian II of Byzantium*, Madison 1972 , *Imperial Twilight : The Palaeologos Dynasty and the decline of Byzantium*, Chi-



- cago 1977, Imperial Portraits, Byzantine Portraits , A verbal and graphic gallery , New York 1982 .
- Hergentother (J.), Photius Patriarch von Constantinople Seine Leben , Seine Schriften und das griechirliche Schisma , 3 vols, Regensburg 1897- 1869
  - Herrin (J.) Women in purple , Rylers, of Medieval Byzantium , Princeton 2001
  - Hillenbrand (C.) The Crusades. Islamic Perspectives, Illinois 1999
  - Hedges (R.), Whitehouse (D.), Mohammed , Charlemagne and the Origins of Europe, Archaeology and The Pirenne Thesis, New York 1983.
  - Hollister (C.W.) Medieval Europe: A Short Source Book, U.S.A. 1992 .
  - Holt (P.M.), The Crusader States and their Neighbours , London 2004
  - Housely (N.), Crusades against Christians Their Origins and early development 1000-1216", in Peter W Edbury(ed.), Crusade and Settlement, Cardiff 1982 , The Crusades, London 2002
  - Houts (ed.) The Normans in Europe, Manchester 2000 .
  - Higgins (M.J.), The Persian war of the Emperor Maurice I , Washington 1939.
  - Hill (G.H.) History of Cyprus , 3 vols , Cambridge 1948
  - Hill (J.H.), Raymond IV Count of Toulouse , Syracuse 1967
  - Holmes (W.G.), The Age of Justinian and Theodora, 2 vols ., London 1912 .
  - Holmes (G.), (ed.) The Oxford History of Italy, Oxford 1997
  - Hunt (J.) The French Revolution, London 1998 .
  - Hussey (J.), " Michael Psellus" S., vol X , 1935 , " The Later Macedonians the Comneni and The Angeli," C.M.H., vol V, Cambridge 1979, The Byzantine World, New York 1961
  - Hutton (W.H.) . Constantinople, The Story of the Old Capital of The Empire , London 907

- Inalick (H.), "Busra and the Commerce of The Levant ", J.E.S.H.O ., vol III, 1960 , " L'Empire Ottoman", Actes du ler Congres International des Etudes balkaniques et Sud . est europeannes, III, Sophia 1969 , " The Ottoman Turks and the Crusades 1451- 1522", in Setton (ed.) , A History of the Crusades vol . VI , Wisconsin 1989 ., " The question of the Emergence of the Ottoman State ", J.T.S., vol . II, 1980 .
- Inalcik (H.) and quataert (D.) , (eds.), An Economic and Social History of the Ottoman Empire , vol . II , 1600-1814 , Leiden 1972 .
- Janin (R.), Constantinople byzantine: development Urbain et repertoire Topographie, Paris 1950 .
- Jarry (D.) and Jary (J.) Collins dictionary of Sociology, Glasow 1995 .
- Jeffreys (E.), Croke (B), and Scott (R.) (eds.) Studies in John Malalas, Sydney 1990 .
- Jenkins (R.J), " The Supposed Russian attack on Constantinople in 907', A., 1949.
- Jones (A.H.M.) , The Later Roman Empire 284-602, Baltimore 1986 .
- Jones (J.R.M.), The Siege of Constantinople 1453 , Seven Contemporary accounts , trans . by J.R. M. Jones, Amesterdam 1972 .
- Jugue (M.), Le Voyage de L'Empereur Manuel Paleologue en Occident" E.O., T.XV, 1912 , " Michael Psellus", D.T. C.T. XIII, 1936 .
- Kaegie (W.), Byzantium and The Early Islamic Conquests, Cambridge 2000 , Heraclius Emperor of Byzantium , Cambridge , 2003 .
- Kamil (J.) , Coptic Egypt, History and Guide Cario 1990 .
- Kaplan (S.), The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, New York 1960 .
- Kazhdan (A.P.) (ed.), Oxford dictionary of Byzantium, Oxford, 1991.
- Kazhdan (A.P.) and Epstein (A.W), Change in Byzantine, Culture in The Eleventh and Twelfth centuries, los Angeles 1985 .

- Kedar (B.), *Crusade and Mission, European Approaches to the Muslims*, Princeton 1988 .
- Keen (M.) *The Pelican history of Medieval Europe*, London 1976 .
- Kelly (J.N.D.), *The Oxford dictionary of Popes*, Oxford 1996 .
- Kleinbauer (E.), *Saint Sophia at Constantinople*, Dublin 1999.
- Kleinbauer (E.), White (A.) Muthhews (H.), *Hagia Sophia, Istanbul 2004* .  
Kordses (M.), "The Question of Constantine Palaiologos" Coronation", in Beuton (R.) and Roveche (C.) (eds.) *The Making of Byzantine History , Studies dedicated to Donald M. Nicol, Centre for Hellenic Studies, King's College , London 1993*
- Krey (A.C.) , " A Neglected Passage in The Gesta and its Bearing on the literature of the First Crusade", in *The Crusades and other Historical Essays Presented to Dana C. Munro by his former Students*, New York 1928 , " William of Tyre, The making of an historian in the Middle Ages", S., vol XVI , 1941
- Kuelzer (A.), *Byzantine and early Post Byzantine Pilgrimage to the Holy land and Mount Sinai in Byzantine World , Burlington 2002.*
- La Due (W.J.) , *The Chair of Saint Peter , A History of The Papacy , New York 1999*
- La Monte (J.) , " To what extent was the Byzantine Empire the Suzerian of The Latin Crusading state", B., vol vol. VII, 1932 , *The World of The Middle Ages*, New York 1949
- Lethaby and Swainson , *The church of Sancta Sophia Constantinople Study of Buzantine building*, London 1894 .
- Lewis (A.), *Naval Power and Trade in the Mediterranean 500-1000 A.D.*, Princeton 1954 .  
Lewis (B.), " Maimonides, Lionheart and Saladin", E.I., vol VIII, *Jerusalem 1964* .
- Lille (D.) , *Byzantium and the Crusader States 1096-1204*, Trans. by J.C. Morris and Tean Ridings , Oxford 1993 .

- Little (W.) and Coulson (F.) , The Shorter Oxford English dictionary of Historical Principles, vol . II, Oxford 1950 .
- Lock (P.) The Franks in The Aegean 1204-1500 , London 1995 .
- Longnon (J.) , " The Frankish States in Greece (1204-1311) , in Setton (ed.) A history of the Crusades, vol. II , Wisconsin 1989 .
- Lopez (R.) , " Silk Industry in the Byzantine Empire, " S., vol . XX , 1945.
- Lopez (R.) and Raymond (L.W.) , Medieval trade in the Mediterranean world , New York 1961 .
- Luchaire (A.), Innocent III, 6 vols, Paris 1905-1908.
- Maas (M.), John Lydus and the Roman Past , London 1992 .
- Maddan (TF) A Concise History of the Crusades, London 1999.
- Magdalino (P.) , The Empire Manuel I Komnenos 1143-1180, Cambridge 1997
- Mainston (R.J.), Hagia Sophia Architecture , Structure and liturgy of Justinian's Great Church , Hungary 1997
- Mango (C.) Byzantium the Empire of New Rome, New York 1980 .
- Maniatis (G.C.), " Organization, Market Structure and Modus Operandi; of the Private Silk industry in the 10 th Century Byzantium" D.O.P., 53 , 1999
- Manz ( B.F.), The Rise and Rule of Tomerlane, Cambridge 1989 .
- Marriot , The Eastern question , Oxford 1958 .
- Martin (E.G.) A History of the Iconoclastic Controversy , London 1978
- Mayer (H.E.) Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuge , Hannover 1960, " Literat urbericht uber die Veroffentlich , Ungem 1958-1967 , H. Z., 3, 1969 ., The Crusades, Trans. by John Gillingham, Oxford1987
- Mayer (H.E.) & Mclellan (L.), " Select Bibliography of the Crusades" in Setton (ed.) A History of the Crusades, vol VI Wisconsin 1989 .

- Mazower (M.), *Salonica City of Ghost , Christians, Muslims and Jews, 1420-1950*, New York 200 .
- Mckitterick (R.) and quiuault (R.) (eds.) *Edward Gibbon and Empire*, Cambridge 1997
- Mcyendorf and Baynes (N.), *The Byzantine Inheritance in Russia” in Baynes and Moss (eds.) Byzantium An Introduction to the East Roman civilization*, Oxford 192 .
- Mijotovich (G.) *Constantine Paleologus , The last Emperor of the Greeks 1448-1453*, Chicago 1968 .
- Mohammad (T.M.), *Ibn Mangali between the Arab and Byzantine Worlds: New Evidences”, J.M.I.H., vol . III 2003 .*
- Mohammed (O.N.) , *Muslim Christian Relations , Past , present , Future , New York 1999*
- Mundy (J.H.), *Europe in the High Middle Age 1105-1309* , London 1973.
- Moorhead, *Justinian* , London 1994 .
- Munro (D.) , “ *The Speech of Pope Urbanus II at Clermont” A.H.R. , vol II , 1905 “Did The Emperor Alexius I ask for aid at the Council of Piacenza”, A.H.R., vol. XXVII , 1922 .*
- Nelson (R.S.) *Hagia Sophia 1850-1950, Holy wisdom modern monuments* , Chicago 2004
- Newhall (R.A.), *The Crusades*, New York 1963 .
- Niavis (P.G.), *The Reign of The Byzantine Emperor Nicephor I*, Athens. 1987
- Nicholson, *Tancred: Astudy of his Carcer and work in Their reation to the First Crusade and the establish ment of the Latin States in Syria and Paestine*, Chicao 1940 .
- Nicol (D.), *Biographical Dictionary of The Byzntine Empire*, London 1991, *The Byzantine Lady: Ten Portrit 1250-1500*, Cambrige 1994 , *Byzantium and Venice A Study in Diplomatic and Cul-*

- tural Relation Cambridge 1995 , The Reluctant Emperor A biography of John Cantacuzene, Byzantine Emperor and Monk 1295-1383, Cambridge 2002 , The Last Centuries of Byzantium 1261-1453, Cambridge 2002 .
- Nicolle (D.) , Yarmuk ad 636, The Muslim Conquest of Syria, Oxford 1994, Constantinople 1453- The end of Byzantium, London 2005 .
- Noouan (T.), " Byzantium and khazars a special relashonship " , in Shepard (J.), and Frankin (S.), (ed.) , Byzantine Diplomacy , Papers from the Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine studees. Cambridge , March 1996, Hampshire 1997 .
  - Norwich (J.J.), A Short History of Byzantium , Penguin Book, London 1998 , Byzantium , The decline and Fall, New York 2000 .
  - Oman (C.) , A History of the art of war in the Middle Ages, London 1924 .
  - Ostrogorsky (G.), Pour L'Histoire de Feodalite byzantine, Trans. by H. Gregoire, Brussels 1954 , History of the Byzantine State, Trans . by J. Hussey Oxford 1956 , " De Pronoia unter den Komnenen", Z.R.V.I, 1970 .
  - Painter (S.) , A History of the Middle Ages 284-1500, New York 1954 .
  - Parker (K.), Early Modern Tales of Orient , London 1999 .
  - Perroy (E.), The Hundred Years War , Trans. by D.C. Dauglas , London 1951 .
  - Peters (E.) (ed.), Christian Society and the Crusades 1198-1229 , Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 , Heresy and Authority in Medieval Europe, Pennsylvania 1980, Europe and the Middle Ages, New Jersy 1997 .
  - Pirenne (H.), Mohammed and Charlemagne, London 2001 , Medieval Europe Economic and Social History of Medieval Europe, Economic and Social History of Medieval Europe, London 1972 .
  - Pitcher (D.E.) , An Historical Geography of the Ottoman Empire From

- earliest Times to The end of The Sixteenth Century Leiden 1972.
- Pazhdan (A.) (eds.) Oxford dictionary of Byzantium , Oxford 1991
  - hilips (J.), and Hoch (M.) (eds.) The Second Crusade , Scope and Consequences, Manchester 2001
  - Prawer (J.) , The Latin Kingdom of Jerusalem , European Colonialism in The Middle Ages, London 1979 .
  - Prundage (J.) " Prostitutions , Miscegenation and Sexual Purity in the First Crusade", in Edbury (ed.) Crusade and Settlement , Cardiff, 1985 .
  - quataert (D.) , The Ottoman Empire 1700-1922, Cambridge 2000
  - Raaflaub (K.), " The Transformation of Athens in the fifth century " , in Boedeker (D.) and Raaflaub (K.) eds.), Democracy , Emire and the Arts in fifth century's Athens, Cambridge 1998 .
  - Rand (E.K.), Founders of the Middle Ages, New York 1975
  - Rashdall (H.), The Universities of Europe in the Middle Ages, Oxford 1936 .
  - Regan (G.), The First Crusades Byzantine's Holy Wars, New york 2003
  - Peinink (G.I) and Stolte (B.H.) (eds.) The Reign of Heraclius (616-641), Crisis and confrontation , Paris 2002 .
  - Riant (C.), " Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades " , A.O.L., T.I, Année 1880
  - Riasaouovskiy (N.) , A History of Russia , New York 2000
  - Richard (J.) La Comte de Tripolis Sous la Dynastie Toulousaine , Paris 1945 , " La bataille de Hattin, Saladin defeat L'Occident " , H.T. XLVII, Année 1982 , The Crusades 1071- 1291, Trans, by Jean Birrell, Cambridge 1999
  - Ridley (F.A.), Julian The Apostate and the Rise of Christianity, London 1937
  - Ringrose (K.), " Eunuchs as cultural Mediators", in B. F., vol XXIII, 1996
  - Roscher (H.), Papst innocent III und die Kereuzzuge, Gottingen 1969

- Roth, Ashort History of the Jewish People, London 1953 .
- Ruhricht (R.), Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heligen Landes Bezuglichen Literatur, vol 333 Bis 1878, Berlin 1878 .
- Runciman (S.), A History of the First Bulgarian Empire, London 1930 , The Byzantine Civilization , New York 1956 , The Eastern Schism , A study of the Papacy and the eastern churches during The XI and XII centuries, Oxford 1956 , The Emperor Romanus Lecapenus and his reign , Cambridge, 1963 , The Fall of Constantinople 1453, Cambridge 1965 , " The Pilgrimage to Palestine before 1095" , in Setton, A History of the Crusades, vol . I , Pennsylvania A History of the Crusades, Penguin Book, London 1978 .
- Rybarov , Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 .
- Schlumberger (G.), Un Empereur Byzantine au Dixieme Siecle Nicephor Phocas, Paris 1890, le Siege , la prise , et le Sac de Constantinople par les Turcs , Paris 1922 , Renauld de Chatillon Prince d' Antioch au Temps des Croisades, Paris 1932 .
- Segal (J.B.), Edessa, The Blessed City, Oxford 1970 .
- Sharf (A.), Byzantine Jewry from Justinian to the Fourth Crusade, New York 1971
- Shepard (J.) and Franklin (S.) (eds.) , Byzantine Diplomacy, Papers from The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies , The Promotion of Byzantine Studies , Hampshire 2003 .
- Siegfried (A.), The Mediterranean , Trans. by Hemming , London 1948 .
- Skinner , Physical Geography , New York 1974 .
- Spuller (C.A.) , L'Eclogue des Isaurians Texte, Traduction et Histoire , Cernaurzi 1929 .
- Stephenson (C.) , Medieval History, New York 1943 .
- Stephenson (P.) , Byzantium's Balkan Frontier A Political Study of the Northern Balkan 900-1204 , Cambridge 2000 ., The Legend of



- Basil The Bulgar- Slayer , Cambridge 2003 .
- Steigler , Dictionary of earth sciences , London 1976 .
  - Stein (E.), Studien zur Geschichte der byzantinischen Reiches vornehmlich unter den Kaisern Justinus II und Tiberius, Stuttgart 1919 .
  - Swainson (H.), Lethaby (W.R.) The Church of Sancta Sophia Constantinople , A Study of Byzantine building , London 2003 .
  - Sumption (T.), The Albigensian Crusade, London 1988 .
  - Sybel , The History and literature of the Crusades, Trans. by . Duff Gddon, London 1861 .
  - Thomson (J.K.T.) , Decline in History , The European Experience , Cambridge 1998 .
  - Throop, (P.A.) Criticism of the Crusade A study of public opinion and crusade propaganda, Amsterdam 1940 .
  - Tobler (T.) , Bibliotheca Geographica Palestinae , Leipzig 1876 .
  - Topping (P.) , " The Morea 1374-1470", in Setton (ed.) , History of the Crusades, vol . II, Wisconsin 1989 .
  - Tougher (S.) The Reign of Leo VI (886-912) , Politics and People, Leiden 1997
  - Tout (T.F.), The Empire and the Papacy 918-1273, London 1914 .
  - Toynbee (A.), Constantine Porphyrogenitus and his world , London 1977
  - Treadgold (W.) , History of the Byzantine state and society , California 1997 , A Concise History of Byzantium , New York 2001
  - Turk (E.L), The History of Germany , London 1999 .
  - Umann (W.), History of Political Thought , The Middle Ages, London 1978 .
  - Ure (P.N.) , Justinian and his age , London 1951 .
  - Van Houts (E.), The Normans in Europe , New York 2000 .
  - Vasiliev (A.), " The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II A.D. 721",

- D.O.P., Nos. 9-10 , Massachostes 1956 , " The Foundation of the Empire of Trebizend (1204-1222) , S., vol XI, 1936 , " The Empire of Trebizond in History and Literature" B.vol XV, 1940-1941 , History of the Byzantine Empire , Madison 1952 .
- Vatikiotos (P.T.), " Al Hakim BI Amrilla The God King idea realised", I.C., vol XXXIX , No . I, January 1955 .
  - Vikan (G.), " Byzantine Art" in Augeliki E. Laiou and Henry Maguire (eds.) Byzantium Aworld Civilization D.O.S., washington 1992.
  - Vissey (D.) , " William of Tyre and The art of Historiography", Med . S., vol XXXV, 1973 .
  - Vogot (A.) Basile ler Empereur de Byzance (807-886) et la Civilisation Byzantine à la fin du Ixe Siecle, Paris 1908 .
  - Vryonis (S.), The decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the eleventh through The Fifteenth century , Berkely , los Angelos 1971 .
  - Waley , Later Medieval Europe from St. Louis to Luther, London 1976 .
  - Walker (P.) "The Crusade of John Tzimisces in the light of New Arabic evidence" B. XLVII, 1977
  - Weitzmann (K.), The Monastery of Saint Catherine at Mount Sinai , the Icons , vol . I, Princeton 1976 .
  - Whittow (M.) , The Making of Byzantium 600-1025 , los Algelos 1996 .
  - Wilkinson (J.) Jerusalem Pilgrims before the Crusades , London 1977
  - Wolfran (H.) , History of the Goths , Trans. by Thomas J. Dunlop, Berkely 1990 .
  - Wolff (R.K.), "Baldwin of Flanders and Hainaut , First latin Emperor of Constantinople, his life and resurrection," S., vol XXXVII, 1952 .
  - Wright (W.), Early Travels in Palestine, London 1848 .
  - Yewdale (R.B.), Bohemond I Prince of Antioch, Amsterdam 1970 .

- Yecel (E.) Hagia Sophia , Istanbul 1986 .
- Ziegler (C.B), The History of Russia, London 1999 .
- Ziegler (P.) The Black Death London, 1960 .

- مواقع على شبكة الانترنت :  
 - مركز الداهيرتون أوكسي

Dumbarton Oaks  
 WWW. doaks. org.

مركز دراسات العصور الوسطى والتاريخ البيزنطي - جامعة فوردهام  
 Fordham University , Center for Medieval Studies  
 WWW . Fordham . edu.

- جمعية الرقي بالدراسات البيزنطية  
 - Society for the Promotion of Byzantine Studies.  
 WWW byzantium . uk sp Bs.

جامعة نوتردام  
 University of Notre Dame  
 WWW. byzantine , nd. edu.

جامعة شمالى فلوريدا  
 University of North Florida  
 WWW Unf. edu .

- جامعة شمالى فلوريدا

منتدى اقرأ الثقافي

[www.iqra.ahlamontada.com](http://www.iqra.ahlamontada.com)

رقم الامناع ٢٠٠٧/٣٤٨٢

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977-322-207-1

مطبعة صحوة

٧ شارع اسماعيل رمضان - الكوم الأخضر - فيصل

تليفون وفاكس / ٣٨٧١٦٩٣ - ٠١٠١٠٠٩٦٧٨